عباس محمود العقاد



٤

« الجزء الأخير »

الطبعة الثانية



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

تقديم

أما بعد . . فهذا هو الجزء الرابع من اليوميات ، هو ختام هذه اليوميات التى نشر منها ثلاثة أجزاء من قبل .

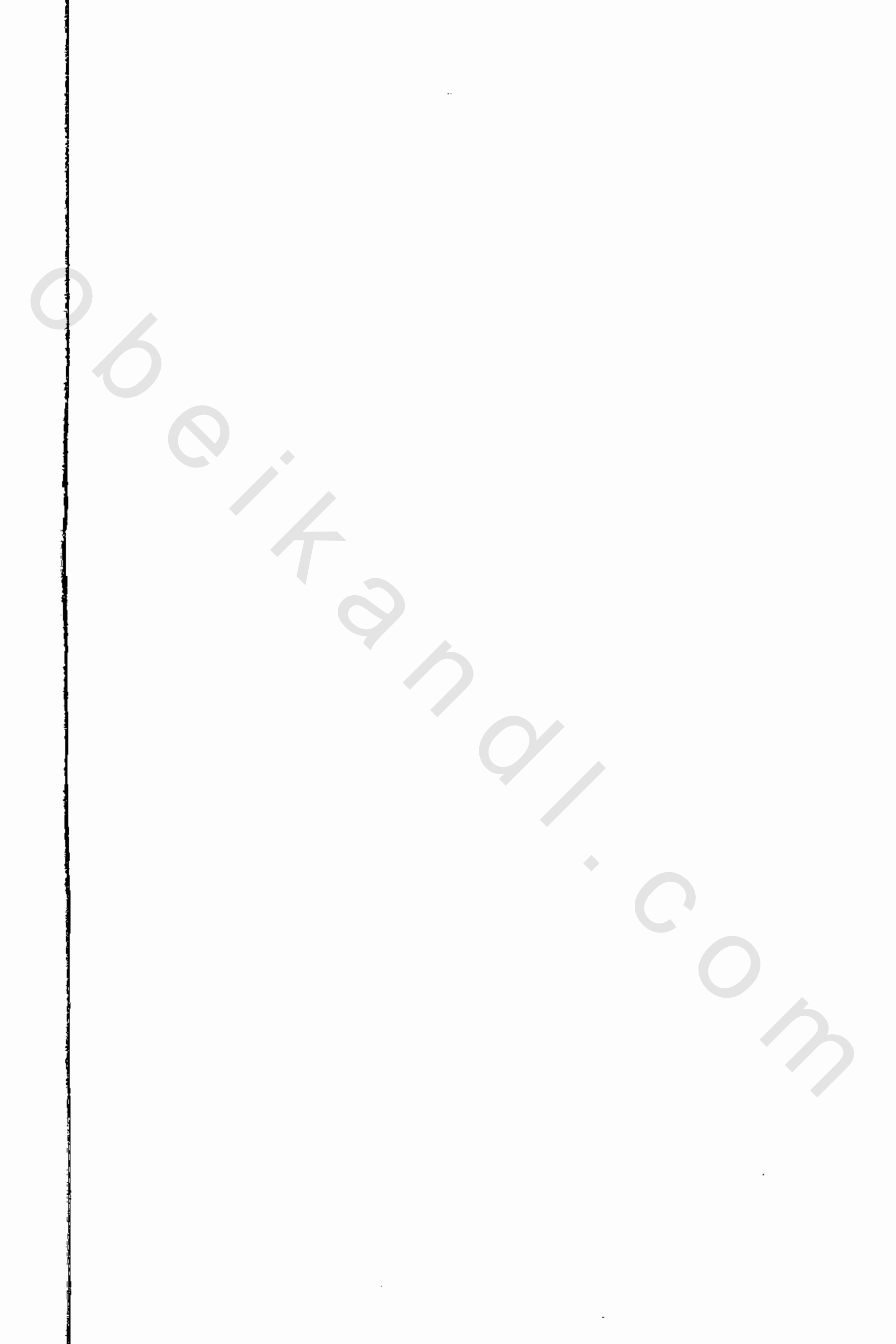
ولا شك أن القارئ قد ألف هذا النوع من التأليف الذى تميز به العقاد فى يومياته وهى السبحات الهائمة فى كل أجواء الأدب والفن والفلسفة والشعر وكل ما يدخل تحت عنوان الثقافة الإنسانية . لا يقف دون العلم ولا يتهيب ارتياد الفضاء ولا يتراجع عن الغوص فى أعماق البحار والأراضى والزلازل والبراكين ، مقالات لا ترتبط برباط زمنى ولا موضوعى ولكنها هتفات يستدعيها المثقفون فى كل مكان ، والرباط الوحيد فيما بينها هو شخصية كاتبها التى تميزت بعلمها وأدبها وأسلوبها .

وبهذا الجزء الرابع الذى نختتم به هذه اليوميات نرجو أن نكون قد وفقنا إلى ما أردنا من خدمة العلم والأدب . ونتركها بين يدى القارئ المستمتع لمتعته ، وللدارس المحقق لدراسته ، راجين من الله حسن التوفيق .

مصر الجديدة

١٧/ ٨/ ١٩٧٢

عامر العقاد



مدارس النقد*

عند السيد « لبيب . . . » أن الكاتب أدرى بمذهبه ، ولهذا يسألنى عن رأيى فى حديث من الأحاديث الإذاعية سمعه عن مدرسة النقد الاجتماعى ومدرسة النقد النفسانى[1] ، يقول الأستاذ « الدروبى » فيه : إننى أنشأت المدرسة الثانية وأن الدكتور طه حسين أنشأ المدرسة الأولى . ولا يزال لها أتباع وتلاميذ من كتاب الرسالات الجامعية .

ورأيى أن الأستاذ الدروبى قد أصاب فى اختيار مدرسة النقد التى أنتمى إليها وأفضلها ، لولا أننى لا أحب أن تستغرقنى مدرسة واحدة ، ولا أعتقد أن الكاتب يتبع المدرسة ، وإنما تأتى المدرسة تابعة لكتابها ، ولم يعرف تاريخ الأدب مدرسة جدية ينادى بها أصحابها لينشئوها ، ولكنهم ينشئونها ثم يتولى النقاد والمؤرخون وضعها فى موضعها .

فإن كان لابد من مدرسة واحدة فتلك هى المدرسة النفسية ، لأنها تفسر لنا ظهور الكتاب والشعراء المختلفين فى الحياة الاجتماعية الواحدة ، وقد يصلح النقد الاجتماعى لتفسير حالة الأدب كله فى المجتمع ، بين نشاط وركود ، وبين صعود وإسفاف ، وبين عناية بموضوع من الموضوعات أو انصراف عنه ، ولكن المجتمع الواحد لا يفسر لنا ظهور عشرين شاعرًا متناقضين فى بيئة واحدة ، ولا يفسره لنا إلاَّ « الحالة النفسية »

---

* الأخبار فى ٧/ ٧/ ١٩٥٨ .

(١) لم يقدر لنا سماع الحديث الإذاعى الذى أشار إليه صاحب السؤال وإنما قرأنا للأستاذ سامى الدروبى مقالًا نشره بجريدة الشعب يوليو سنة ١٩٥٨ حاول فيه أن يفرق بين مذهب العقاد النقدى ومذهب الدكتور طه حسين .

وقد وفق الأستاذ أحمد حمدى إمام مريد العقاد فى شرح مذهب أستاذه فى النقد فى دراسته التى كتبها فى كتاب « العقاد دراسة وتحية » منشورات الأنجلو المصرية – تراجع صفحات ١٩٨ وما بعدها .

التى نبحث عنها فى كل شاعر منهم ، لنعلم من ثم أسباب اختلافه مع اتفاق البيئة وعوامل الاجتماع .

أقول هذا وأحيل الأديب صاحب السؤال إلى كتابى عن ابن الرومى الذى أشار إليه الأستاذ الدروبى ، فإنه مبدوء بنحو خمسين صفحة عن المجتمع وأحواله فى عصر الشاعر ، وفيها الوفاء بحق النقد الاجتماعى فى جملته ، وإن اتسع المجال لتفصيل أعم من هذا التفصيل عند الكتابة عن العصر كله ، للمقابلة بينه وبين مختلف العصور.

كلاهما وزيادة .

هذا هو جواب الفصل عندى لكل سؤال غن مدرستين صالحتين !

أيهما ؟

كلاهما وزيادة ، تتمَّم إحداهما بالأخرى وتتم المدرستان معًا فى خضم الأدب الواسع الذى لا يحصره تيار ، لأنه لايقبل الحصر ولا الحصار .

الحكاية بسيطة*

قرأت اليوم – كما قرأت سائر أيام الأسبوع – كلامًا عن الإصلاح الذى قيل إنه سيحل المشكلات جميعًا فى كتابه اللغة العربية ، لأنه يعلم الناس أن يكتبوا الحروف كما ينطقونها فى جميع اللغات .

وكل ما قرأته حتى الآن يزيد مشكلات الكتابة ويوقع اللبس والاختلاط حيث لم يكن من قبل لبس ولا اختلاط .

هل ننوى من اليوم أن نقول « رمى يرمى رميًا ورجا يرجى رجيًا وصفا يصفى صفيا » إلى آخر هذه الألفات أو هذه الياءات .

إن كنا ننوى ذلك فقد انحلت المشكلة وتساوت الألف والياء ، تكتبها ألفًا أو تكتبها ياءً كما تشاء .

ولكننا لا ننوى ذلك ولا نستطيع إذا نويناه ، لأنه يجر إلى الخلط الذريع بين أبواب الفعل وأوزان المشتقّات ، وكلها مرتبط بأساس تكوين اللغة العربية لأنها لغة اشتقاق تقوم على أبواب الفعل الثلاثى التى لا وجود لها فى جميع اللغات الهندية الجرمانية وهى اللغات التى تكتب بالحروف اللاتينية ويدعونا إلى التشبه بها من ينسون الفارق الأصيل بين لغة الاشتقاق ولغة النحت والتركيب .

ومتى كان إلغاء الفوارق بين أبواب الفعل الثلاثى ضربًا من المستحيل فالخلط بين ألفها ويائها يزيد المشكلات ولا ييسّر صعوبة واحدة من الصعوبات التى تيسّرها القواعد المتبعة لأصغر التلاميذ .

كل ألف رابعة فما فوقها تكتب ياء لأنها ياءٌ فى المضارع أو المصدر كما نفهم من النطق البسيط للأفعال والمصادر .

---

* الأخبار فى ١٨/٦/١٩٥٦ .

فنحن نقول : اكتفى يكتفى واستوى يستوى واهتدى يهتدى واعتلى يعتلى ، ولا يوجد لسان عربى يصعب عليه أن يجرى على هذه القاعدة فى تصريف الأفعال .

ونحن نقول كذلك : تعالى تعاليًا وترامى تراميا وتداعى تداعيا ولا يصعب على أحد أن يأتى بالمصدر بداهة وإرتجالا على هذا القياس .

وهكذا نرى أن القاعدة هنا تزيل اللبس وتحفظ للأفعال والمشتقات أبوابها وأوزانها ، ولا توقعنا فى الخلط بين كل ألف وكل ياء .

ومن « تسليات » الإصلاح الذى يستطيعه عندنا من لا يستطيع أن يفك الخط قول بعضهم : إننا يجب أن نكتب كما نتكلم ليفهم عنّا جميع القراء ما نقول .

وعلى هذه القاعدة يقول ابن القاهرة « بقه » ويقول السورى « تمه » ويقول الصعيدى « خشمه » إذا تكلموا عن الفم .

فكيف تكتب الفم فى كتاب يقرؤه القاهريون والسوريون وأبناء الصعيد . ؟

وعلى هذه القاعدة يقول السورى « اجره » ويقول المصرى « رجله » ويقول السودانى « كراعه » . . فكيف نكتبها فى كلام يقرؤه هؤلاء ؟

ونريد أن نعرف كيف نكتب الشمس والسماء والثورة والتوراة ؟

ينبغى أن نكتبها كما تنطق : الششمس » وسسماء ، وثثورة وتتوراه ؟

. . فيزول الإشكال بحمد الله . . لأننا لاننطق الألف واللام فى هذه الكلمات كما ننطقها فى كلمات القمر والبلد والجمل والبرتقال .

بسيطة الحكاية ياحضرات المصلحين .

بسيطة جدًّا والله العظيم ، وعلى المقسم كفارة القسم إن كان لابد من قسم أو تكفير . .

مرة أخرى بسيطة*

لعله البقية الباقية من المريدين الذين حضروا على السيد جمال الدين الأفغانى ولازموه زمنًا فى أواخر أيامه .

ذلك هو الأستاذ عبد القادر المغربى الذى فقدته اللغة العربية فى هذا الأسبوع ، وكان إلى عهد قريب قوّة عاملة فى خدمة اللغة والثقافة ، كأنه لا يزال فى العشرين .

وقد كان رحمه الله يقول لنا : إن تاريخ ميلاده « سهل الحفظ » لأنه يساوى مجموعة الحروف فى كلمة « المغربى » بحساب الجُمل زائدة واحدًا .

ومجموعة الحروف فى اسمه رحمة الله – بعد زيادة واحد – تساوى سنة « ١٢٨٣ هجرية » . فكأنه قد بلغ التسعين زائدة واحدًا حين توفاه الله ، ولكننا رأيناه فى جلسات المؤتمر الأخيرة كما كنا نراه بدار المؤيّد يوم كان يعمل فى تحريره ، لا تفوته جلسة من الجلسات ولا يحضر إحداها إلاّ كانت له مشاركة فى بحث من بحوثها أو خلاف من خلافاتها .

ومن كلماته الأخيرة التى يذكرها كاتب هذه السطور وهو يرد عليه : أكل شىء بالمنطق ؟

وكان جوابى بين الفكاهة والجد « ولا كل شىء بعير المنطق » .

وخرجنا من الجلسة ضاحكين فى ذلك اليوم لأنه كان رحمة الله لا يثور حتى يهدأ بعد قليل .

وفى إحدى الثورات بينه وبين الأستاذ عبد العزيز فهمى رحمه الله كان الأستاذ عبد العزيز أسرع إلى الرضى من صاحبه فصالحه وألح عليه فى قبول دعوته إلى الغداء بنادى محمد على . . وكنت من المعارضين للكتابة بالحروف اللاتينية فقلت لعبد العزيز

* الأخبار فى ١٨/٦/١٩٥٦ .

« باشا » : إنك بهذه الطريقة ياباشا تغرى الناس بمعارضتك . . فقبض على يدى وهو يقول : وأنت أيضًا تحضر الصلح . . ولم يدع يدى إلاّ فى السيارة إلى طريق المائدة ، ولم نبرح المائدة يومئذ حتى كنا قد استوعبنا من تاريخ الحركة الوطنية وتاريخ السيد جمال الدين ماتمتلئ به « موائد » الصفحات .

إن الأستاذ المغربى ليذكر ببحوث كثيرة فى اللغة ، ولكنه لا يذكر فى هذه الأيام خاصة ببحث من بحوثه الكثيرة كما يذكر ببحثه عن الاشتقاق .

إننا إذا فهمنا الفرق بين لغة الاشتقاق ولغة النحت بطل الجدال العقيم فى أقوال (المصلحين) المتعجلين .

فالحركة جزء مهمٌّ من بنية الكلمة فى لغة الاشتقاق ، لأنها قد تغيّر معنى الكلمة من النقيض إلى نقيضه ، ويضاف إلى هذا الفارق أن المشتقات والمصادر تختلف فى أبواب الفعل الثلاثى ، كما تختلف فتح فتحًا وكرم كرمًا وبلغ بلوغًا ولا تتغيّر هذه الأوزان جميعًا بتغيير حروف الكتابة ولا يمكن أن تتغير بتغير الأوزان . .

بسيطة جدًّا مرة أخرى . .

فى غاية البساطة والله العظيم . .

رحم الله الأستاذ المغربى ، ورحم الله اللغة وأبقاها الله .

صمام الأمن*

يوم من أيام الحقائق التى تهدم الخرافات بضربات اليمين والشمال .

وأول هذه الخرافات شؤم العدد (١٣) . . فإن الجلاء قد غلب هذا الرقم على نحسه فحوله إلى يوم من أيام السعود .

ومن تلك الخرافات أن الجلاء كان له موعد مضروب على سبيل التعجيز : أن يتم حين يتلاق « أحدان » when two Sundays meet

وقد تم حين تلاقى أربعة آحاد لا « أحدان » فقط . . فإن اليوم يوم أربعاء !

ومن تلف الخرافات أن الاحتلال والحرية الوطنية ينفقان أولا يتعارضان ، مادام الجيش الأجنبى فى مكان وعاصمة الدولة فى مكان .

وكثيرًا ماروج المحتلون هذه الخرافة وكادت أن تروج على عهد اللورد كرومر على الخصوص ، لأنه كان يأبى أن يصدر القانون الذى يقيد الأقلام والألسنة ، وكان يقول لمن يقترحون عليه تقييدها : « دعوها فإنها صمام الأمان » .

كان يقول ذلك يوم كانت الأقلام والألسنة لاتخيفه ، فلما أحس الخوف منها جعل من جيش الاحتلال أداة حاضرة لتخويفها وتهديدها بزيادة عدده وزيادة نفقاته وتخويله حق المحافظة على حياة رجاله بإعلان الأحكام العرفية أو تجريد المحكمة المخصوصة .

ولم ينته عهد كرومر حتى رأيناه أشد الناس فزعًا من صمام الأمان .

---

* الأخبار فى ١٨/٦/١٩٥٦ .

دخل وخرج مع الظلام*

قرأنا اليوم أن جلاء المتخلفين من جنود الاحتلال قد تم تحت جنح الظلام.

وكذلك دخلت طلائع الجيش تحت جنح الظلام قبل أربع وسبعين سنة، فإنها لم تقتحم ولم تغامر بالاقتحام، بل كان معها الأدلاء من صنائع الخديو توفيق يقودونها فى الصحراء إلى ماوراء المعسكرات المصرية، وكان أناس من «الطابور الخامس» يستطلعون الأحوال أول الليل ويؤكدون أن الجيش المغير لن يتحرك فى تلك الليلة وأن أدلاء الصحراء راصدون له فى الطريق فلا يخطو خطوة حتى تأخذه الصيحة من أمامه ومن خلفه ومن جانبيه.

ويقال إن أبواق الهجوم والانصراف كانت تنطلق بالنذير أو بالاستعداد من كتيبة الحرس التى كانت فى قصر توفيق فلم يكن سامعوها فى المعسكر المصرى يفرقون بين أبواق الجيش المدافع وأبواق الجيش المغير.

لقد جاء الاحتلال مع الظلام وخرج مع الظلام، ولا يزال الظلام حوله وحول تاريخه فى العقول وفى الصفحات وفى الذكريات، ولا نحسبه منقشعًا عن ظلماته هذه قبل أعوام، تصحح فيها الأنباء ويتبدل فيها تراجم الأموات والأحياء.

---

* الأخبار فى ١٨/٦/١٩٥٦.

الزمن يتغير*

كان من مألوفات العرف السياسى فى القرن التاسع عشر أن تعتدى الدولة القوية على استقلال الأمم الشرقية لتستعمر بلادها ثم تعتدى على الأمم فى طول الطريق لتدافع عن ذلك الاستعمار .

ولهذا ضاع استقلال الهند ، وضاع استقلال مصر وغيرها على طول الطريق . .

إن الزمن يتغير ، ومبادئ الإنسانية تتغير معه بالأقوال والأعمال . فلا يسوغ فى لسان قائل أن تباح حقوق الهند أو تباح حقوق مصر لأنها لازمة لاستباحة الحقوق هنا وهناك .

إن أيام الجلاء فى وادى النيل لا تؤرخ معالم الزمن فيه وحده ، ولكنها تؤرخ معالم الزمن فى العالم كله ، بعد منتصف القرن العشرين .

---

* الأخبار فى ١٨/٦/ ١٩٥٦ .

خازن النيران*

السيد « فولكان » خازن النيران فى جوف الأرض يتفقد مساكنه المهجورة من قديم الزمن ، ويسمعنا صوته منها مرات فى السنة ، وربما غبرت السنون قبل ذلك ونحن لا نعلم أنه هناك ، بل لا نعلم أنه كان هناك يومًا من الأيام .

كانت صحراؤنا الشرقية مقرًّا قديمًا للسيد فولكان ، إن صح أن يكون فى الأرض مقر لهذا الطارق المغوار ، الثوار الغوار ، السالب لكل قرار .

وكان من آثاره صدع البحر الأحمر وسلسلة الجبال التى فى جواره ، وقد يكون وادى النيل نفسه بعض هذه الآثار .

ومضت السنون والقرون واتقدت جوانح السيد فولكان شوقًا إلى مأواه القديم ، فهذه هزاته التى تضطرب بها حنايا الأرض بين آونة وأخرى ، أو تضطرب بها حناياه .

هذا فى رواية .

وفى رواية أخرى أن السيد فولكان مظلوم ، وقد يلحق الظلم فى هذا الزمان ، حتى بخازن النيران .

فى رواية أخرى – والعهدة على صاحب كتاب السماوات والأرض – أن قشرة الأرض هى التى تطفو بمن عليها ، وأن بقاعًا منها تزحف من مكانها قيراطًا فى كل شهر على وجه التقريب ، وأن آباءنا الأولين فى عصر بناة الأهرام لو عادوا اليوم لوجدوا أهرامهم قد تزحزحت عن مكانها الأول نحو ميلين ونصف ميل إلى الجنوب .

ولا ذنب للسيد « فولكان » على هذا الحسبان . فهى الأرض التى تهتز اليه وتحتوى عليه . وهى التى تتقلقل وتتنقل . ولا تبالى من فوقها كرامة لمن تحتها ، ولو شقى لإنسان بين السيدة « جيو » والسيد فولكان .

---

* الأخبار فى ٧/ ٧/ ١٩٥٨ .

الوجودية*

. . . ذهب بعضهم إلى أن الوجودية شر وأن الوجوديين ملحدون كفرة ، وذهب غيرهم إلى أنها فلسفة إنسانية وأنها دعوة الفكر الحر والانطلاق من حماقات الماضي مع تحرر الفرد وتحقيق ذاته وحياته . . . وأنت ياسيدى خير من يتكلم ويضع النقط على الحروف لتسكت كل من يتكلم حول هذا الموضوع بعد ذاك » .

محمود عبد العزيز دسوق

جامعة إسكندرية

وأود أن أقول للسيد الدسوق إنه هو قد وضع النقط على الحروف فى أمر الوجودية حين علم أنها هى تحرير للفرد وتحقيق لذاته .

ولكن هذه النقط على الحروف لا تسكت أحدًا يريد أن يتكلم ، لأن العبرة بالفرد الذى يتحرر ماذا يصنع ؟ وكيف يحقق ذاته على حريته وهواه ؟

عندنا ألف فرد يتحرر أحدهم فيفعل مايشاء ويتحررون جميعًا فيفعلون مايشاءون لكن هل نعلم مايشاء أحدهم ؟ وهل نعلم مايشاءون أجمعين ؟

إن مذاهب الوجودية المتعددة تتفق فى عقيدة واحدة ، وهى أن الفرد يحقق ذاته بعد صدمة عنيفة تطلعه على أعماق ذاته ، فيختار لها مايوافقها .

وماذا يوافقها ؟

عمل ، كسل ، إيمان ، كفر ، محبّة ، أنانية ، كرامة ، هوان .

كأنها الريح إن مرت على عطر
تزكو وتخبث إن مرت على خبث

---

* الأخبار فى ١٨/٦/١٩٥٨ .

وهذه هى الوجودية فى وحدتها ، وهذه هى الوجودية فى تفرقها ، فاحمدها أو العنها فأنت واجد منها مايحمد ومايلعن ، ولكنها لا تكون وجودية واحدة فى الحالتين[١] . .

فلانٌ حقق وجوده .

قبل أن نقول له أحسنت أو أسأت ينبغى أن نعرف من هو؟

بطل حقق وجوده بالبطولة ، فله الثناء والأعجاب .

لص حقق وجوده باللصوصية ، فعليه لعنة الله وبئس المآب .

(١) سبق للأستاذ العقاد الكتابة فى مسألة الوجودية فى كثير من المواضع ومن أهم كتاباته فى هذا الشأن مانشر بصحيفة الأساس عام ١٩٤٨ ثم أعاد نشره فى كتابه « بين الكتب والناس » تراجع طبعة دار الكتاب العربى ببروت صفحة ١٥ ومابعدها عن الوجودية الجانب السليم منها والجانب المريض » .

مولانا أبو الكلام*

فى يوم السبت الماضى أعلنت حكومة الهند حداد البلاد لوفاة العالم النابه « مولانا أبو الكلام أزاد » وزير المعارف الهندية .

وقبل أسابيع أعلنت نخبة من فضلاء الهند دعوتها العامة إلى احتفال كبير تنوى أن تقيمه بعد شهور تكريمًا للعالم الفقيد لمناسبة بلوغه السبعين .

وهكذا شاء القدر أن يكون التأبين بعد الموت سابقًا للتكريم بقيد الحياة ، ولكنه على الحالَيْن لا يغلق باب التقدير الذى يستحقه العالم الراحل من خدام الثقافة فى البلاد الشرقية ، ولا تخصيص هنا لبلاد الهند من بين الأمم الشرقية ، إلا لأن الفقيد من أبنائها المولودين فى بلادها .

ولكن الفقيد ذو فضل مشهود فى ميدانين من ميادين الثقافة الإنسانية ، وإن كان لها صلة وثيقة بتاريخ المشرق وأطوار العلم والمعرفة فى شعوبه الغابرة والحاضرة .

كان لأبى الكلام أزاد فضله فى المؤلفات التى عنيت – بتحقيق « الشخصيات » الدينية الكبرى ، أو الشخصيات التى وردت أخبارها فى كتب الأديان على اختلافها ، ومنها شخصية قارون وذى القرنين وقورش والنمرود وسائر هذه الأسماء التى كانت أشباحًا تلوذ بغياهب الماضى المجهول فأخرجها الباحث المجتهد من غياهبها إلى صفة النهار ، ولا نريد بذلك أنه جعلها من الشخصيات التاريخية المحققة بأسمائها المعلومة وعهودها الواضحة بل نريد أنه أدخلها فى النور – ولو على البعد – فأصبحت على مداها البعيد مقربة من رؤية العين ، بعد أن كانت كأشباح الخيال .

وكان لأبى الكلام فضله فى إنصاف الثقافة الشرقية من الهند والصين إلى بابل ومصر ، وقد أمر فى وزارته بتأليف موسوعة صغيرة عن تاريخ الفلسفة فى العالم فتم

---

* الأخبار فى ١٩٥٨/٣/٣ .

تأليف الكتاب باللغة الإنجليزية . وقدم له بتمهيد مسهب عن أخطاء المؤرخين الغربيين فى استقصاء مصدر الفلسفة الأولى ، وذكر فيه مصر القديمة بصفة خاصة فاستشهد بكلام أفلاطون وأرسطو الذى ينفى دعاوى المؤرخين المحدثين عن ابتداء الفلسفة كلها فى اليونان لأن الحكيميْن العظيمين يقرران أن الكهنة المصريين كانوا طليعة الفلاسفة والعلماء قبل من ورثوا منهم الفلسفة والعلم فى بلاد الإغريق ، وقد كانت للعالم الهندى غاية خاصة بالتنويه المتتابع بأثر العرب فى نشر الفلسفة منذ القرن الثامن للميلاد ، وكان له دراية ذات قيمة مأثورة بالتفرقة بين تاريخ الحكماء وتاريخ الحكمة ، أو بين سير الفلاسفة وموضوعات الفلسفة ، لأن هذه التفرقة تضطر الباحث إلى السؤال عن مصادر الفلسفة قبل أول فيلسوف معروف من اليونان أو غير اليونان ، فلابد هنالك من فلسفة مجهولة قبل أول فيلسوف معروف .

والكاتب الراحل أديب فى أسلوبه مع الحرص على تحرى الحقائق وتثبيت المراجع والأسانيد ، لأنه استفاد روح الأدب من إدمان الاطلاع على الأشعار الفارسية ، ونصيبه من الاطلاع على الآداب الشرقية الأخرى .

يقول فى مقدمته لتاريخ الفلسفة العالمية إن هذا الكون كما قال الشاعر الفارسى كتاب ضخم له صفحتان معقودتان من الفاتحة والختام ، ولا نعرف « تحقيقا » شعريا لمعارفنا نحن بنى الإنسان أصدق ولا أجمل من هذا التحقيق ، فنحن نقرأ فى كتاب الكون ماشاء ولكننا نعود إلى الصفحة الأولى منه فلا نجدها ونمضى إلى نهاية الكتاب فنقف عند الرقم الأخير من الصفحات ، ونعلم علم اليقين أن هناك ورقة أخرى مطوية قبل الختام .

ولكن الورقتين المفقودتين بينهما ورق كثير لا يستوى المطلعون عليه والمعرضون عنه ، وأوفرهم حظًا من عرف موضع التقصى وموضع الوقوف ، فما عرف شيئًا من لم يعرف موضع هاتين الورقتين .

مكتبة أسوان*

من علامات الخير أن يكون للمكتبة عندنا هذا العدد الجم من الأنصار النافعين الذين يتعهدونها جمعًا وقراءة واشتغالاً بالتصميم والتنظيم .

كتبت كلمتى فى اليوميات عن حاجة أسوان إلى مكتبة عامة فلم يكد ينقضى الأسبوع حتى تلقيت فى موضوعها رسائل بعدد أيامه ، عدا ماتلقيته فى بريد المدينة من التأييد والتعقيب .

وكان أول ما وردنى رسالة من السيد الهمام مدير دار الكتب المصرية تدل على اهتمام متصل بمسألة المكتبات فى القطر كله ، وفى أسوان بين الطليعة من المدن المختارة ، وفحواه أن السيد المدير يرجو إقامة المكتبة فى وقت قريب إذا وجد العون من أهل المدينة ، وهم ولا شك معينوه بكل ما استطاعوه .

وتلقيت من الأستاذ الفاضل مدير « مؤسسة الثقافة الشعبية » رسالة يقول فيها إن فى المؤسسة بالمدينة مكتبة عامة ، فيها أكثر من ألفى كتاب من الكتب المفيدة ، ويرجو أن تحظى هذه المكتبة ببعض التشجيع منى ، للبحث على القراءة وارتياد المكتبات فى وقت الفراغ .

وجاءتنى من الطالب النجيب « سمير عياد الطالب بقسم المكتبات » رسالة يبدى فيها أسفه لما يلمسه من التقصير فى النشاط المكتبى ، ويعلن غبطته لأنه سيكون من « الرعيل الأول المتخصص » حين يخرج قريبا إلى مجال العمل فى هذا الميدان ، ويرى فى حمل رسالة المكتبة شرفًا وأى شرف .

وجاءنى فى اليوم نفسه إحصاء مقارن بعدد الكتب التى يتداولها القراء فى مكتبات

---

* الأخبار فى ١٧/ ٣/ ١٩٥٨ .

الأمم المتحضرة ، ومع الإحصاء كلمة من مرسله « يوسف جاد » عن جداول الإحصاء .

وأذاعت الصحف أن مصلحة الثقافة الزراعية تتأهب لتعميم المكتبات السيارة بين القرى الصغيرة لتنبيه الوعى وتزويد الفلاح بالزاد الذى يحتاج إليه من العلم بفنه والعلم بالمعارف الإنسانية فى عصره .

وأود أن أبشر السيد الهمام مدير دار الكتب المصرية بالعون الذى سيلقاه من أهل المدينة حين تتهيأ له الفرصة لإنجاز وعده وإتمام جهده فى إقامة المكتبة الأسوانية وسائر المكتبات الإقليمية .

ولعله يعلم من قبل أن جهود المسئولين فى الإقليم تنصرف الآن إلى تدبير الموقع الملائم للمكتبة المقصودة ، بين مكان قريب لا بناء فيه وبناء واف ولكنه لا يصلح للمكتبات العامة بغير تعديل وتنسيق .

أما المكتبة التى جمعتها مؤسسة الثقافة الشعبية بأسوان فهى فى الحق زادٌ صالح يغنى فى انتظار ما هو أغنى منه وأوفى بحاجة المدينة على اتساعها . فإن ألفى كتاب منتقاة تنفع وتكفى ولكنها لا تجاوز حدود المكتبات الخاصة التى تقصر عن مطالب المئات من طلاب الاطلاع فى مختلف الأبواب والفنون .

ولا يفوتنا أن نغتبط مع الطالب النجيب باقتراب اليوم الذى يخرج فيه لميدان النشاط المكتبى ذلك الرعيل الأول من جند الثقافة المتأهب للمعركة المقبلة بينه وبين قوى الجهالة والجمود .

وإذا تقابلت الرغبات من شتى الجهات فالمسألة فيما نرجو مسألة وقت وفرصة . ولعله وقت قريب وفرصة مهيأة الاسباب .

أدب القصة *

الأسهل فالأسهل :

هذه هى علة العلل فى انحدار أدب القصة على أيدى أدعيائها الذين لا يحسنون عملا نافعًا فى الأدب ولا فى الحياة . وقد أحسن القصصى الشاب الأستاذ « عبد الحليم عبد الله » وصف هؤلاء الأدعياء فيما قرأته له اليوم ، فإنهم ينحدرون من قصة مبتذلة إلى نقد عقيم لا ينتج ولا يدع الكاتبين ينتجون .

إن القصة الجيدة ليست بالعمل السهل ولا بالعمل المرفوض فى موازين الثقافة ، وقد نبغ من كتاب الرواية عندنا جيلٌ بعد جيل الحكيم وتيمور ولا يزالون يبدعون ويتقدمون ، ولكن الهبوط يبدأ بعد هؤلاء ويزداد فى طريق النقصان ويتقدم فى طريق الانحدار ثم يسلم الزمام أخيرًا إلى أولئك الهجائيين الهدامين الذين هم « كلهم نقاد » وكلهم غير منتجين ولا قادرين على إنتاج الأسهل فالأسهل .

وكان سهلا فى مبدإ الأمر أن تكتب القصة التى لا تعدو أن تكون ملحقًا بالفراش أو ملاجئ العجزة ، ثم صعبت هذه أيضًا على أدعيائها المصابين بداء السهولة ، فهم الآن فى المنحدر السهل الذى لا منحدر بعده غير السكوت ، وهو منحدر الهراء الذاهب فى الهواء .

رقم (١) قصة للتسلية .

رقم (٢) قصة لإشباع الغرائز والأحقاد .

رقم (٣) شتائم العجز والحسد « فى سهولة ويسر » . . أسهل على الأقل من « حدوتة » التسلية وأيسر على الأقل من « حدوتة » الفراش .

وأسهل من هذه وتلك السكوت ، ولكن الخاتمة التى يفرضها الشعراء ولا تتوقف على إرادة السهولة والمستسهلين .

---

* الأخبار فى ٢٧/ ٥/ ١٩٥٨ .

مشكلة تعدد الزوجات بين المسيحيين*

.. سبق أن تفضلتم بالإجابة عن السؤال الخاص بنظرية النسبية والموجه إلى سيادتكم من الأستاذ الألمعي محمد التابعي فهل تتفضلون بالقول الفصل في موضوع تعدد الزوجات بين النظامين الإسلامي والمسيحي الذي أثاره الأستاذ البحاثة المحقق الغزالي حرب في أخبار اليوم وعلق عليه بعد ذلك السادة سمير وهبي والدكتور محمد ناجي ثم القس لبيب ميخائيل في الأخبار، وهل الصواب في جانب الأستاذ الغزالي القائل إنه ليس في كتب العهدين آية واحدة صريحة في منع تعدد الزوجات، أو في جانب القس ميخائيل القائل إن المسيحية تحرم تعدد الزوجات بنصوص صريحة في العهد الجديد..؟».

على كامل بهيج المحامى

وأقول للأستاذ الفاضل إن كتب العهد الجديد لا تشتمل على نص صريح يمنع تعدد الزوجات وإن قول السيد المسيح عن الرجل والمرأة أن الله خلقهما ذكرًا وأنثى وأن الذي جمعه الله لا يفرقه الإنسان قد ورد في سياق الكلام على الطلاق ولم يرد في سياق الكلام على تعدد الزوجات وهو – مع هذا – لا يمنع التفرقة بين الزوجين لأنه يجيزه لعلّة الزنى، ولا يمنع أن يكون إجراء الزواج وإجراء الطلاق بمشيئة واحدة هي مشيئة الله.

وينبغي في جميع الأحوال أن نعود إلى عبارات السيد المسيح لنفهمها حق فهمها كما تفهم الوصايا في طلب الكمال، وهي غير أوامر التشريع والإلزام.

فالأصحاح الخامس من إنجيل متى يروى عن السيد المسيح أنه قال لتلاميذه:
«قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن، وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة

* الأخبار في ١٢/ ٥/ ١٩٥٨.

ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه ، فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك ، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم ، وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم . وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق ، وأما أنا فأقول لكم ، إن من طلق امرأته إلاّ لعلة الزنى يجعلها تزنى ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى . . . »

وهذه وأمثالها وصايا عالية فى تقبيح الزنى والجشع والتنفير من الرذائل وذرائعها ، ولكنها لا تقضى بأن قلع العين التى تشتهى المرأة تشريع يؤخذ بنصه وحرفه ، فليس يخفى خطاب الوصايا والعظات وخطاب التشريع والجزاء .

أما الكلام عن الاكتفاء بالزوجة الواحدة فلم يرد صريحًا فى غير حالة واحدة هى حالة الأسقف والشماس ، إذ جاء فى الأصحاح الثالث من رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس إنه « يجب أن يكون الأسقف بلا لوم بعل امرأة واحدة » .

وجاء فى الأصحاح نفسه : « ليكن الشمامسة كل بعل امرأة واحدة » .

ولا موجب لتخصيص الأساقفة والشمامسة بالزوجة الواحدة إذا كان هذا الحكم عامًّا لجميع المتزوجين .

وتاريخ الزواج بعد ذلك يدل على المفهوم من أحكامه ، فإن الأمبراطور شارلمان كان كثير الزوجات والسريات باعتراف الكنيسة وله منهن أبناء شرعيون ، والقديس أوغسطين فى كتاب الزواج الأمثل Bono Conjugali يوصى من عقمت زوجته أن يتخذ سرية معها ، وكان الفقيه الكبير جروتيوس الملقب بأبى القانون الدولى يستصوب شريعة الآباء فى الجمع بين الزوجات ، لأن المعروف عن إبراهيم أبى الأنبياء ومن بعده داود وسليمان أنهم جمعوا بين زوجات كثيرات .

وكل كتاب فى تاريخ الزواج يذكر تطور الزواج فى الشرائع المختلفة ، ويشير إلى بقاء تعدد الزوجات بين الأمم المسيحية الغربية إلى القرن السادس عشر فى الحالات التى تسجلها الكنيسة ، ولعله بقى إلى مابعد ذلك فى غير هذه الحالات .

تعدد الزوجات . . فى العلم والتاريخ*

كتبنا فى موضوع تعدد الزوجات ردًّا على سؤال فى هذا الموضوع من وجهة البحث العلمى التاريخى الذى لا يعرض لمذاهب الجدل بين النحل والمعتقدات ، وعلى أساس هذا البحث نجيب عن الأسئلة التى تستحق الجواب مما ورد إلينا تعليقًا على ما كتبناه فى اليوميات وهى :

١ — سؤال عن المصدر التاريخى .
٢ — سؤال عن الامبراطور شارلمان وزوجاته .
٣ — سؤال عن رأى القديس أوغسطين والعلامة جروتيوس .
٤ — سؤال عن النص الصريح ونصوص الاستنتاج .

١ — المصدر التاريخى

فأهم المراجع التاريخية فى بحوث الزواج كتب وسترمارك Westermarck أشهر الباحثين فى النظم الزوجية ونظم الأسرة على عمومها ، وفى الصفحة الـ (٢٣٥) من كتابه الموجز عن تاريخ الزواج يقول : « إن العهد الجديد لم يصرح بمنع تعدد الزوجات إلاّ فى حالة الأسقف والشماس ، وقد قيل إنه لم يكن ضروريًّا لمعلمى المسيحية الأوائل أن ينكروا تعدد الزوجة لأن وحدة الزوجية كانت القاعدة العامة بين الشعوب التى كانوا يدعونها إلى المسيحية ، ولكن هذا ولا شك لا يصدق على اليهود الذين كانوا يسمحون بتعدد الزوجات ويعددون الزوجات فعلا عند قيام المسيحية .

وقد رمى بعض الآباء أحبار اليهود بالشهوانية ولكن لم يحدث أن مجلسًا من مجالس القرون الأولى عارض تعدد الزوجات ولم توضع عقبة أمام الملوك الذين استباحوه فى

* الأخبار فى ٢٦/ ٥/ ١٩٥٨ .

أيام الوثنية . وحدث فى منتصف القرن السادس أن ديارميت Diarmait ملك إيرلندة كانت له ملكتان وسريتان ، وتزوج الملوك الميروفيون عدة مرات باكثر من زوجة وكان لشارلمان زوجتان وعدة سريات ، ويستفاد من أحد قوانينه أن تعدد الزوجات لم يكن مجهولاً حتى بين القساوسة ، وقد حدث بعد ذلك أن ملك هيس فيليب والملك فردريك وليام الثانى البروسى تزوجا بأكثر من واحدة بموافقة القساوسة اللوثريين ، وأقر لوثر نفسه فعل الأول كما أقره مبلانشتون ، وكان لوثر يتكلم عن تعدد الزوجات فى مناسبات كثيرة بلهجة المسامحة .

٢ – زوجات شارلمان

أما زوجات شارلمان الشرعيات فقد اعترف بأربع منهن وهن : « دسدراتا » و « هلدجارد » و « فستدرادا » و « ليوبتجارد » ولم يعترف بأربع أخريات هن « مالتجارد » و « جرسوندا » و « رجينا » و « أوليدا » وهن عدا السريات والوصيفات .

وقد سمى ثمانية من الأبناء والبنات من عدة زوجات بين ذريته الشرعية ، وقبل أن ينتسب إليه عشرة غيرهم وأن يسجل أسماءهم بين أبنائه الشرعيين .

وكان البابا الذى باركه ليون الثالث وهو الذى أسلمه مقاليد ضريح القديس بطرس وعقد على رأسه التاج (٨٠٠ م) .

٣ – رأى أوغسطين

ورأى القديس أو غسطين الذى أباح به التسرى عند عقم الزوجة يراجع فى الفقرة الخامسة عشرة من كتابه عن الزواج الأمثل Bono Conjugali

ويراجع رأى جروتيوس علامة القانون الدولى فى الفقرة التاسعة بعد المائة من الكتاب الخامس من القانون الطبيعى Jusnaturàle

أو تراجع موسوعة العقليين Rationalist Encyclopedia صفحة (٤٥٨) .

٤ – النص والاستنتاج

يقول الأب « القس لبيب ميخائيل » فى خطابه : « إنه عندما دخلت المسيحية البلاد الوثنية اعتنقها كثيرون ممن كانوا متزوجين بأكثر من واحدة ، وطبعًا كان لا بد أن يبقوا على نسائهم فى رعايتهم حتى بعد اعتناقهم المسيحية ولكن الرسول بولس يطلب من تيموثاوس ألا يسمح لأحد هؤلاء أن يكون أسقفًا أو شماسا . فليس الأمر شرطًا لمنع تعدد الزوجات على الأسقف أو الشماس ولكنه شرط ألا يكون الأسقف إبان وثنيته متزوجًا بأكثر من واحدة » .

ويقول الدكتور هنرى الخولى : « أما بخصوص ما جاء فى رسائل بولس الرسول من أن يكون الأسقف بعل امرأة واحدة فالسبب معلوم ، لأن بين المسيحيين من كانوا متزوجين بأكثر من امرأة قبل اعتناقهم للمسيحية فهؤلاء يحرم عليهم ارتقاء المناصب فى دين يحرم تعدد الزوجات ، هذا عدا مايراه فريق من المسيحيين من أن المقصود أيضًا عدم جواز اختيار الأسقف والشماس ممن سبق زواجه بأكثر من زوجة لوفاة الزوجة الأولى . . » .

ونعود فنقول : إننا لا نبحث هنا فى ترجيح استنتاج على استنتاج من كلمات العهد الجديد ، وكل ما نريد أن نقرره أن النص القاطع غير الفهم المستنتج من مدلول النصوص ، لأن الاستنتاج يختلف باختلاف المفسرين . وقد كان أنبياء العهد القديم يعلمون أن الله خلق الناس ذكرا وأنثى ولم يفهموا من ذلك أن تعدد الزوجات زنى وأنه ممنوع منع الحرام ، ولم يفهم المتبتلون من ذلك أن الرهبانية حرام وأنها تخالف سنة الله فى خلق الجنسين .

هذا ما نعنيه ولا نزيد عليه فى هذا المقام ، وكذلك النص على خلق الذكر والأنثى لم يكن هو العّلة التى أجازت للوثنيين أن يحتفظوا بزوجاتهم بعد إيمانهم بالمسيحية ، فإنهم قد خلقوا من ذكر وأنثى كغيرهم من الناس ، ولكنه حكم مستنبط من ضرورات الحوادث كما قضى به الرسول .

ونحن لا نناقش هنا من يقول إنه يحرم تعدد الزوجات لأن حواء واحدة ولكننا نقرر الواقع حين نقول إن أنبياء العهد القديم قد علموا أن حواء واحدة ولم يفهموا من ذلك أنه تحريم لتعدد الزوجات أو تحريم الطلاق ، ولو فهموا ذلك لما أباحوا لأنفسهم حرامًا غير مباح .

وفرق بين القول بأن النصوص يفهم منها هذا الحكم ، وبين القول بأن هذا الحكم صريح قاطع لا يختلف فيه رأيان .

وهذا ما عنيناه .

تعدد الزوجات مرة أخرى*

إننى على رأى السيدة (ج . عثم الله) التى تعتقد أن مسألة النصوص الصريحة فى تعدد الزوجات عند المسيحيين قد شبعت بحثًا وأخذًا وردًّا ممن يفهمون فيها ومن لا يفهمون ، وليس عندى – من جانبى – قول أضيفه إلى ما قلته فى هذا الموضوع .

والآنسة « سوسن عبد الشهيد » على حق حين تقول إنها فهمت من كلامى فى بعض الكتب أننى من أعداء تعدد الزوجات .

وأريد على ما أشارت إليه أن المسألة عندى ليست مسألة رأى وتفكير وحسب ، بل لعلها مسألة وراثة بيتية قبل الرأى والتفكير .

فليس بين أقاربى للأم أو للأب رجل جمع بين زوجتين أو قبل أن يزوج بنته ممن يجمع بين زوجتين .

إن الزواج الأمثل هو زواج – رجل وامرأة بغير جدال .

هذه حقيقة لا ينكرها أحد له مسكة من صواب .

لكن هل توضع الشريعة للأحوال المثالية ؟ وهل قوام الشريعة ما ينبغى فى أكمل الحالات أو ما يستطاع فى جميع الحالات ؟

هذه هى المسألة ، ورأيى فيها أن الشريعة تحسب حساب الضرورات وحساب القصور عن مقام المثل الأعلى . ومتى وجدت هذه الضرورة فلها مكانها فى الواقع وفى الشريعة ، ولو على كره واضطرار .

---

* الأخبار فى ٩/٦/١٩٥٨ .

فشل الحروف اللاتينية*

مرة أخرى نعود إلى قصة الحروف العربية والكتابة بالحروف اللاتينية . ومرة أخرى نعيد ما اتفق عليه خبراء الخط واللغة بعد بحث المئات من مشروعات التيسير والتحسين التى اشترك فيها أصحاب الآراء من الشرقيين والمستشرقين فى كل مكان تعرف فيه لغة الضاد ، وخلاصة ما اتفقوا عليه أن تعديل حروف الطباعة ممكن قريب ، ولكن المتعذر البعيد تعديل الكتابة على أساس يخالف أساسها المصطلح عليه .

منذ مئات السنين ، وأفشل مايكون التعديل إذا قام على أساس الكتابة بالحروف اللاتينية ، فإنها تضاعف الصعوبات ولا تزيل صعوبة واحدة مما نحاول تذليله بمشروعات التيسير والتحسين .

وكل ماأسفرت عنه محاولات المجتهدين حتى اليوم أنهم وفقوا إلى اختصار الحروف فى صندوق الطباعة ، وقد يوفقون إلى تجميلها وتسويتها بشىء من العناية يبذله أصحاب المطابع والمسابك وخبراء الصف والتوظيف أو التوضيب كما يقال .

إن محاولة الكتابة بالحروف اللاتينية لا فائدة فيها ولا نتيجة لها ، ثم يعود الأمر إلى طريقتنا التى ألفناها منذ مئات السنين . قائلين ونحن راضون أوكارهون : ليس فى الإمكان أبدع مما كان .

إن كاتب هذه السطور لا يرى هذا الرأى ذهابًا مع التقاليد وحسب ، كما يخطر على بال أناس من المتعجلين ، ولكننى أراه بعد المقابلة والموازنه بين جميع الصعوبات فى الكتابة المتبعة وفى الكتابة اللاتينية ، وهكذا تنتهى المقابلة والموازنة بينهما بعد طول التجربة على كل لسان ولنضرب المثل بكلمة واحدة هى كلمة . « حسن » بالتنوين المرفوع .

* الأخبار فى ١٩٥٨/٨/٤ .

يلزمنا (أوّلاً) أن نخترع علامة لحرف الـ (H) تميزه عن الهاء العربية ، ولا بد من اختراع علامات كهذه العلامة لعشرة حروف فى لغتنا لا توجد فى الكتابة اللاتينية ، فإذا نحن نزيد علامات الشكل ولا نتخلص من نظيراتها فى كتابتنا المألوفة .

ويلزمنا (ثانيًا) أن نزيد حروف الكلمة إلى ضعفها لأن كلمة « حسنٌ » المضمومة المنونة تكتب بالحروف اللاتينية هكذا Hassanon

فعندنا إذن سبعة حروف بدلًا من ثلاثة ، ولو وضعنا الشكل على كل حرف بالكتابة العربية لما زادت على هذا العدد ، مع مزية فى الكتابة العربية لا وجود لها فى الكتابة اللاتينية ، وهى مزية التفرقة بين الحركة وحرف العلة ، فإن الضمة واو كاملة فى كتابتهم وهى عندنا حركة محدودة فى اللفظ وفى القيمة الموسيقية .

ويلزمنا (ثالثا) أن تقطع الصلة بين أجزاء المادة الواحدة ، لأننا إذا قرأنا فى اللغة العربية (حسن يحسن وحسنًا وإحسانًا وحسانًا ومحاسن ومحسنين) عرفنا لأول وهلة أنها مشتقات مادة واحدة ، وليس من السهل معرفة ذلك إذا كتبت هذه الكلمات بالحروف اللاتينية .

ويلزمنا على كل حال أن نعرف الإعراب لنكتب صحيحًا ونقرأ صحيحًا ، لأننا بغير الإعراب نكتب خطأ ونقرأ خطأ ونسجل الخطأ بالحروف الثابتة ، بدلا من ترك الحرف غير مشكول يصيب فيه من يصيب ولا يتقيد بالخطأ المكتوب .

والمعضلة كلها كما قالت السيدة أم كلثوم بحق هى معضلة الاختراع الذى يعلمنا الإعراب إذا كان الإعراب ممّا يخترعه المخترعون ، ولكنه – لسوء الحظ – مطلب موقوف على اختراع الإنسان الذى يفكر ويكتب ويترجم ويحفظ ألفية ابن مالك ويحسن تطبيقها فى الخط والكتابة ، وموعد هذا الاختراع فيما نعتقد هو الموعد الذى ينقضى فيه الإنسان الحى الناطق ويدع فيه الفكر والكتابة لإنسان من الخشب والحديد ، يتولى عنه إن شاء وظيفة التأليف والتجديد ، ووظيفة الإبداع والتوليد .

حساب التاريخ*

حضرت أول احتفال بالسنة الهجرية سنة ١٣٢٧ وسنة ١٩٠٩ للميلاد ولم يكن رأس السنة الهجرية من أيام الاحتفالات الشعبية ولا من أيام الإجازات فى دواوين الحكومة ، وإنما جاء الاحتفال به ثمرة من ثمرات الحركة الوطنية التى تمت وتفرعت بعد حادث دنشواى . وإلى هذا المعنى يشير حافظ إبراهيم فى القصيدة التى نظمها للاحتفال الأول ، حيث قال يحيى الروح التى سرت فى مصر بعد ذلك الحادث .

خبت زمنًا حتى توهمت أنها   تجافت عن الإرواء لولا كرومر
تصدى فأوراها وهيهات أن يرى   سبيلًا إلى إخمادها وهى تزفر

وقد كان القائمون بإحياء هذه المعالم التاريخية يتعمدون إبراز الناحية القومية منها ، فيخطب المسيحيون فى الاحتفال بالهجرة ويخطب المسلمون فى الاحتفال بالنيروز ، وتدور الخطب والقصائد على الذكريات الوطنية فى الاحتفالين .

ومن الأخطاء الشائعة أن اليوم الأول من شهر المحرم هو اليوم الذى هاجر فيه النبى عليه السلام من مكة إلى المدينة . وليس هذا بصحيح على وجه من الوجوه . فإن اليوم الأول من شهر المحرم هو رأس السنة الهجرية وليس بيوم الهجرة وإنما تمت الهجرة فى اليوم الثامن من شهر ربيع الأول الموافق يوم ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية . وقد سمعنا من يقترح أن يراعى هذا التاريخ فى إعادة الذكرى لأنه يأتى فى موعد واحد من كل سنة ، ولكنه رأى لا ضرورة له ولا هو مما يطابق اسم اليوم وحكمته ، إذ كانت الهجرة لا تسجل موعدًا من مواعد الفلك ولا موسمًا من مواسم الزراعة ولا يضير المحتفل بها أن يذكرها لمناسبتها فى وقت من الأوقات ، ما دام قوامها على معنى فى الضمير لا على مسير الكواكب أو ترتيب المواسم والفصول .

---

* الأخبار فى ٢٠/ ٧/ ١٩٥٨ .

والحال سواء فى السنة الهجرية والسنة الميلادية على هذا الاعتبار . فإن السنة التى تنسب إلى الميلاد لم تبدأ بمولد السيد المسيح ، ولو صح الحساب بها لوجب أن تكون السنة الحاضرة سنة ١٩٦٣ لا سنة ١٩٥٨ كما نحسبها الآن . لأن السيد المسيح عليه السلام قد ولد فى السنة الخامسة قبل الميلاد .

ومن المتفق عليه أن السيد المسيح لم يولد فى رأس السنة الميلادية . وأن شهر يناير لايبتدئ السنة بحساب فصل من الفصول ، أو دورة من الدورات ، فإنه يأتى فى منتصف فصل الشتاء . ويأتى بعد الشهر العاشر على الترتيب القديم .

فلا داعية إذن للتأخير ولا للتغيير فى هذا التاريخ أو فى ذاك ، وكلها حسبة صحيحة إذا اتفقنا عليها .

وكلها تقتفى أثرًا واحدًا فى طريق القافلة السماوية التى ليس لها أثر بين أجواز الفضاء .

وحسبنا من كل سنة سلام فى البدء وسلام فى الختام .

المارونيون والدروز*

« سأل سائل من هم المارونيون وما أصل تسميتهم ؟
ثم من هم الدروز وما أصل تسميتهم وما هى عقيدتهم ؟ ولماذا انقسم لبنان دون أهل الأرض إلى هذه الفئات المتعددة التى تقيم فى القطر الشقيق » .

فؤاد البلك

ينتسب المارونيون إلى الراهب مارون المتوفى فى أوائل القرن الخامس للميلاد . وكان ناسكًا متعبدًا مشهورًا بالزهد والورع . فبنى أهل حماة ديرًا سموه باسمه . ثم اجتمع رهبانه وغيرهم من رهبان الصوامع التى تقتدى بالراهب الإمام ومن يتبعونهم من أهل جيرتهم فتألفت منهم أسرة دينية متحدة لم تزل تكبر حتى استقلت بكنيسة خاصة كان بطرقها الأول فى أواخر القرن السابع يسمى أيضًا باسم مارون .

وقد تقاربت عقيدة المارونيين وعقيدة الكنيسة المغربية بعد المجمع الخلقدونى وتوثقت صلتهم بكنيسة رومه بعد الحروب الصليبية . وأصبحت الكنيسة المارونية إحدى الكنائس الكاثوليكية المتحدة فى سنة ١٧٣٠ وهى محافظة على شعائرها السريانية ولها مدرسة مستقلة لتعليم اللاهوت وتقرأ التوراة والإنجيل باللغة العربية .

وكان المارونيون متفرقين فى البطاح وسورية ولبنان وقبرص ، ثم شجر الخلاف بينهم وبين الطوائف الأخرى فهجر الكثيرون منهم ديارهم إلى الجبل وجزيرة قبرص حيث تبلغ عدتهم الآن قرابة نصف مليون .

وكان أشد هذا الخلاف بينهم وبين الطوائف المسيحية الأخرى ، فلجأوا فى أوائل القرن السادس إلى حبر الكنيسة الرومانية يشكون إليه « الذئاب التى تفترس رعية المسيح » .

---

* الأخبار فى ١٩٥٨/٦/٩ .

ويقولون فى شكواهم : « إن هؤلاء المضطهدين المفوِّقين أسهمهم إلينا إنما هم ساويرس وبطرس اللذان لا يعدان فى عداد المسيحيين لأنهما يجردان كل يوم علانية المجمع الخلقدونى المقدس » .

ولم يثبت أن المارونيين من قبائل المردة الذين سموا بهذا الاسم لالتباس معناه بالعصيان الدينى وقبلوا أن يشتهروا باسم المارونيين لوحدة العقيدة .

أما الدروز فهم طائفة إسلامية ينتمون – نسبًا – إلى قبائل تنوخ اليمانية . ويدينون بمذهب من مذاهب الشيعة الإمامية ولكنهم على ما يظهر من رسائل بعض رؤسائهم يقرون خلافه أبى بكر وعمر ويذهبون فى الفقه مذهبًا خاصًّا فيمنعون تعدد الزوجات استنادًا إلى ما جاء فى القرآن الكريم من تعذر العدل بين النساء .

وأطلق عليهم اسم الدروز لأول مرة فى عهد الحاكم بأمر الله ، نسبة فيما يقال إلى الشيخ حسين الدرزى من دعاتهم فى الصعيد ، ولا يصح أنهم ينسبون إلى تشتكين الدرزى لأنهم يمقتونه ويلعنون ذكراه .

والاسم المفضل عندهم اسم الموحّدين لأنهم يدينون بالوحدانية ولهم رأى فى الحلول يتعلمه عقالهم من أئمتهم ، لأنهم يختصون بالمعرفة الباطنية طائفة منهم تسمى « بالعقال » تمييزا لها من « الجهال » الذين لم يطلعوا على حقائق الدين .

وليس بالمستغرب أن تكثر الطوائف الدينية فى جبل لبنان ، فإن موقع الجبل قريب من الموطن الذى نشأت فيه الأديان الكتابية ، متوسط بين الدول التى تتنازع السيادة على مفترق الطرق فى القارات الثلاث ، وفيه معتصم لمن أراد أن ينجو بنفسه من هذه المنازعات ، ولكنه لم ينفرد بهذه الخصلة لأن جزيرة قبرص – مثلا – تشبهه فى تعدد الطوائف التى تعتزل خصومها فى مكان يفصله البحر كما ينفصل اللاجئون إلى الجبال بين القمم والأغوار والدروب .

عندما أراد سلامة موسى أن يغيظ الملك*

صفتان يستوفيهما الكاتب فيذكر ويستحق أن يذكر ، وتفوتانه فلا حق له فى غير النسيان ، وإن كان من المذكورين : أن يكون صاحب رسالة . وأن يكون فى رسالته رائدًا متقدمًا على نحو من الأنحاء . وقد كان سلامة موسى على حظ موفور من هاتين الصفتين .

كانت له رسالة أداها فى نشر الثقافة العلمية وتبسيطها ، وكان رائدًا متقدمًا فى أداء هذه الرسالة ، لأنه كان يتجه إلى حرية الفكر يوم كانت حرية التفكير جرأة لا يقدر عليها كثيرون ، وكان مع اتجاهه إلى الحرية الفكرية موهوبًا فى صياغة أفكاره وابتداع مصطلحاته ، فقلما استعار مصطلحًا من السابقين له فى تبسيط العلم ونشره إلا أن يكون ذلك المصطلح قد عم وشاع وأصبح فى عداد « الملكيات العامة » .

كان له اتجاه إلى الأخذ بالجديد أينما اتفق له فى مطالعاته ومشاهداته ، وربما أفرط فى ذلك إفراطًا يعجله عن إعادة النظر أول الأمر فيما اتخذ من رأى جديد ، فلم يكن يعسر على من يعاشرونه أن يعرفوا آخر الكتب التى قرأها من آخر الكلمات التى يتحدث بها والمذاهب التى يدعو إليها ، وربما تناقض فى الوقت الواحد بين الإيمان « بالسوبرمان » على مذهب نيتشه والإيمان بالنكرات المجهولة فى غمار الجماهير على مذهب كارل ماركس ، بل ربما آمن مع كارل ماركس هذا بالتفسير الاقتصادى لمسائل الأخلاق والاجتماع وآمن فى الوقت نفسه بالتفسير الجنسى الذى يقول به فرويد ويرد إليه سلوك الجماعات كما يرد إليه سلوك الآحاد .

وكان للعلم عنده شأن أكبر من شأن التفكير ، وللتفكير عنده شأن أكبر من شأن الفن والآدب ، ولا شك فى نزعته العلمية وإن لم تكن بواعثه النفسية كلها علمية فى

* الأخبار فى ١٨/ ٨/ ١٩٥٨ .

مصادرها وغاياتها ، ولعله كان يعمل ليحارب أضعاف عمله للتأييد والمؤازرة ، فإذا قرأت له ثناء على إنسان فانظر وراء الثناء مليًّا فإنك واجد ولا ريب إنسانًا آخر يصيبه ذلك الثناء بغير ما يرضاه ، وأخالنى مدينًا لهذه العادة فيه ببعض الثناء الذى خصنى به فى حملاته الخفية ، على حاشية القصر أيام « أحمد فؤاد » .

وأراد سلامة موسى أن يغيظ القصر ولا يذكره بكلمة واحدة ، فنشر صورتى وأنا سجين فى يوم وصول الكاتب الايرلندى برنارد شو إلى الديار المصرية ، ولم يزد على أن قال ما معناه : لو كان هذا الرجل طليقًا لوجد برنارد شو فى مصر من يلقاه باسم الأدب المصرى ، ولكنه الآن سجين !

وقد عرفت سلامة منذ نيف وأربعين سنة ، وكان يومئذ فى نشوة الإعجاب الجديد بنيتشه والسوبرمان . وكان يدين تارة بمذهب النشوء والتطور . وتارة بمذهب النشوء والارتقاء ، ولكنه كان يذكر تعيشه مع داروين كلما آمن بالارتقاء . ولا يبالى كثيرًا أن داروين لم يكن من الحازمين بملازمة التطور للارتقاء .

وأذكر أننا اختلفنا من اللقاء الأول ، وكان موضع العجب فى هذا الاختلاف أنه – وهو الاشتراكى المتطرف – كان يقدس نيتشه داعية السوبرمان ، وأننى – وأنا المؤمن بالبطولة – كنت أنحى عليه نيتشه ولا أرتضى منه ذلك التقديس للأبطال على حساب الجماهير .

ولست أظن أن زميلنا الراحل طيب الله ثراه نسينى أسبوعًا لم يذكرنى فيه على طريقته فى النقد الملفوف أو الثناء المعقوف ، ولا أظن أننى الوحيد بين زملائه المذكورين على هذا الأسلوب ، ولكننى كنت أتلقى نصيبى ونصيب الأدباء الذين أعجب بهم وأكتب عنهم ، فلم يسلم من التحية على هذا الأسلوب ابن الرومى وأبو نواس وجمال الدين ، ولا هاردى وكارليل وهازليت ، ولولا شفاعات كثيرة للمعرى وابن رشد لما سلما – هما الآخران – مما أصاب هؤلاء .

كل هذا يذهب وينطوى . بل قد ذهب وانطوى فى حينه . ثم يبقى اللباب من رسالة الكاتب الرائد جديرًا بالحمد والتنويه . جديرًا بالثناء الصريح لأنه ثناء على

الصريح الخالص من دعوة الحرية وحب التجديد والسبق إلى التعميم والتبسيط فى وقت كان فيه تعميم الفهم جناية وتبسيط الفكر مشقّة وارتياد السبق اقتحامًا يضير المقتحم ويعرقل مسعاه.

عوض الله الأدب العربى فى الزميل الراحل خير العوض ، وجزاه فى دار البقاء على ما أفاد وأجاد وأحسن الجزاء.

تقسيم العلوم*

يقول السيد « م . رائف » . إنه يسمع فى هذه السنوات كلمة العلوم الإنسانية ، ولا يدرى ما المقصود بها ، وما أصل هذه التسمية ، فهل هى كلمة مترجمة أو هى فروع جديدة من العلوم العصرية ؟ . .

ونقول : إن الكلمة ترجمة عن الأوربية تقابلها بالإنجليزية كلمة Human Studies أو كلمة Humanities وهى ترجمة صحيحة من وجهة اللفظ والمعنى . ولكنها لا تحمل معها دلالتها التاريخية التى أوجبت وضعها فى اللغات الأوربية وجعلت قراء تلك اللغات يفهمونها على البداهة بغير حاجة إلى مراجعة .

فالعلوم الإنسانية عندهم هى طائفة من العلوم غير اللاهوتية ، كان رجال الدين يتعلمونها ويفرقون بينها وبين دراسة الكتب المقدسة والحكمة الدينية . ومنها الأجرومية والبلاغة والتاريخ وعلم تقويم البلدان وما إليها ، وكانوا يسمون هذه العلوم باللاتينية Literae تمييزا لها من العلوم الإلهية التى كانوا يسمونها Literae Divinae على سبيل التقسيم الضرورى الذى لا محيص عنه فى أدوار الثقافة الأولى .

ثم احتاج الأمر إلى التمييز بين هذه العلوم الإنسانية وبين علوم إنسانية أخرى كالطبيعة والكيمياء والفلك والطب وعلوم الأحياء والنباتات وسائر هذه الدراسات التى لا تدخل فى باب اللاهوت ولا بد من التمييز بينها وبين دراسات الأجرومية والبلاغة والتاريخ والحقوق وما هو من قبيلها ، فأصبحت لدينا – على هذا – ثلاث طوائف من العلوم المنوعة . وهى اللاهوتية والإنسانية والطبيعية ، وليست هذه التسمية بصالحة للتفرقة بينها لولا القرائن التاريخية . لأنها كلها علوم إنسانية يتعلمها الإنسان ، وكلها علوم إنسانية بمعنى التهذيب وطلب الكمال ، وكلها طبيعة ما دام الإنسان موجودًا كسائر

* الأخبار فى ١٩٥٩/٧/٨ .

الموجودات التى تشملها الطبيعة.

ولا غنى عن التواضع والاصطلاح للتمييز بينها ، ولا مانع عندى فى التفرقة بينها بأسماء أخرى كاسم العلوم الدينية واسم العلوم الطبيعية واسم العلوم الثقافية فربما أغنانا هذا التقسيم من قرائن التاريخ المستعار من مصطلحات الغرب ، وإن كان هذا التقسيم أيضًا موقوفا على التواضع والاصطلاح.

تلحين القرآن*

« . . . دارت بيني وبين زملائي مناقشة حامية حول موضوع تلحين القرآن الكريم . فبعضنا أيد فكرة التلحين وفريق عارضها . . . ونتمنى ألا تبخل علينا بالكتابة حول هذا الموضوع فى يومياتكم بالأخبار حتى تطمئن نفوسنا ويزول ما علق بها ونحن فى الانتظار » .

محمود عبد العزيز دسوقى

بكلية الحقوق جامعة الإسكندرية

من المفروض المطلوب أن نرتل القرآن ترتيلا ، ومن المستحب أن نستمع إلى القرآن من صوت جميل ، لأن الجمال صفة إلهية ونعمة ينعم بها الله على عباده ، ويزيد فى الخلق ما يشاء .

والترتيل فى اللغة هو الترتيب والتنظيم ووضع الكلام وغيره فى موضعه وإيقاعه فى موقعه . وأصله من الثغر المرتل أى مفلج الأسنان لا تتلاصق ولا تتراكب ، بل تنتظم كما تنتظم اللآلئ المنسوقة فى أسلاكها .

فقراءة القرآن على هذا النظام مستحبة بل واجبة ، ولا حرج فيها مالم يكن فيها عبث يوقع الآيات الكريمة فى غير مواقعها ، وينحرف بها عن الأثر الواجب لها من الخشوع والوقار ، وذلك مكروه فى كل شيء فضلا عن كراهته فى أمر من أمور الذكر الحكيم .

وعندنا فى ج . ع . م قراء مجيدون يحسنون الترتيل والتفصيل ، نحسبهم مفخرة العالم الإسلامى ، لأنهم يعاونون المستمعين على فهم الآيات وحسن الإصغاء إليها والرغبة فى

* الأخبار فى ٨/ ٧/ ١٩٥٩ .

سماعها وحسن التأمل فيها ، ولا خفاء بحكم قراءتهم على أحد يسمعهم ، فإنه ليدرى موضع تلك القراءة من نفسه ولا يجهل ما توحى به إليه من أثرها النفسانى . فإذا كانت تزيده فهمًا ورغبة فى الإصغاء واعتبارًا بالمعنى فهى حسنة بل لازمة ، وإن أحس منها أثرًا غير ذلك فلا حاجة به إلى فتوى .

ولكن ينبغى أن نذكر أن القارئ غير مسئول عن عوج الطباع واختلال الأمزجة ، فإذا بلغ من سامعة – مثلا – أنها لا تصغى إلى صوت جميل إلا اقترن عندها بنزوات النفس ، أو بلغ من سامع مثل ذلك كلما استمع إلى صوت قارئة محسنة فالوزر فى ذلك على الطبع الأعوج لا على الصوت الجميل ، ومنع المعوج أولى من منع القراءة التى لا ذنب لها إلا أنها مقرونة بالجمال . . .

ومن الجائز على هذا القياس أن يحفظ الكتاب المبين فى غلاف نفيس وأن يكون حفظه على هذه الصورة مغريا للسرّاق والغواة . . ولكنه ذنب يحسب عليهم ولا يحسب على من يقتنى الكتاب وينافس فى حفظه وزينته ، بل يشكر هذا ويلام أولئك الغواة .

والحلال بين والحرام بيّن ، والدين يسٌر وليس بعسر ، قبل كل شىء وبعد كل شىء . . .

كيف نحارب الشوال ؟

قال الأصمعى : « قدم عراقى بعدل من خُمر العراق إلى المدينة فباعها كلها إلا السود ، فشكا ذلك إلى الدارمى ، وكان قد تنّسك وترك الشعر ولزم المسجد ، فقال : ماتجعل لى على أن أحتال لك بحيلة حتى تبيعها كلّها على حكمك ؟ قال : ماشئت ؟ . . . فعمد الدارمى إلى ثياب نسكه فألقاها وقال شعرًا ودفعه إلى صديق له من المغنين فغنى به ، وكان الشعر :

قل للمليحة فى الخمار الأسود ماذا صنعت بناسك متعبد
قد كان شمر للصلاة ثيابه حتى خطرت له بباب المسجد
ردّى عليه صلاته وصيامه لا تقتليه بحق دين محمد

فشاع هذا الغناء فى المدينة وقالوا قد رجع الدارمى وتعشق صاحبة الخمار الأسود ، فلم تبق مليحة فى المدينة إلا اشترت خمارًا أسود ، وباع التاجر جميع ماكان معه » .

هذه القصة مهداةٌ إلى الرجل الصالح الغيور الذى يسأل عن لابسات الشوال والبرميل ! أليس لهن رجال ؟ ألا يستحين من إثارة الشهوات وفتنة الأبصار ؟

لا ياصاحبى الصالح الغيور . . . إنك إن اعتمدت على هذا الوعظ فى التنفير من الشوال والبرميل لم يبق فى المدينة شوال ولا برميل فارغًا من لابسة تتخايل به ليقال إنها مغرية بالفتنة مثيرة للشهوات .

وقليل من النساء من تأبى أن يقال عنها إنها تفتن الناسك وتعبث بالخليع الفاتك . ولكن الشوال والبرميل معا يزولان فى لمحة عين إذا عرف الناس أنهما زيان صالحان لستر العيوب فى الأجسام المشوهة ، وأنهما كساءٌ وقور تلبسه الحسناء والشوهاء فإذا هما سواء .

الأحاديث الصحفية .. المخترعة ..*

ذهبت اليوم إلى اجتماع نافع بعد تردد ، بين الذهاب والاعتذار ، ولم يدفعني إلى الذهاب إليه أخيرًا إلا النفور من الاعتذار لغير سبب قاهر . لأنني شككت في اجتماع الأعضاء ، بعد أن قرأت في إحدى صحف الصباح أن أحدهم — وأشدهم اتصالا بموضوع البحث — قد اعتزل عمله ، وتوقعت أن يضطر عضو آخر إلى الاعتذار لكثرة أعماله في موسم الامتحان .

ولكنني وصلت إلى مقر الاجتماع فوجدت العدد كاملاً ، وعلمت أن العضو الذي قيل إنه اعتزل عمله كان أوّل الملبين للدعوة ، وأنه لم يلق الصحفي — راوي الخبر — منذ عدة شهور .

ولم يدهشني الخبر المكذوب ، وإن كان راويه قد أحاطه بمقدمات وتفصيلات يصعب اختلاقها ولا يخطر للقارئ أنها كلها من محض التلفيق أو التنجيم .

لم يدهشني الخبر المكذوب لأنني كنت قبل اطلاعي عليه بيوم واحد ، أطلع على أخبار وأقوال منسوبة إلى تناقض رأيي في كثير من المسائل الأدبية والفنية ، وتناقض ما سمعه مني الحاضرون ساعة إلقاء الأسئلة والإجابة عنها . فقد أصبح من المقرر في جملة الأحاديث الصحفية عند بعضهم أنها اختراع أو تحريف أو مبالغة أو سوء نقل مقصود في كثير من الأحيان ، وغير مقصود في القليل منها ، وأصبح من الوسائل الشائعة عند طائفة من المتحدثين الصحفيين أن يتذرع إلى نشر رأيه في الثناء على هذا وهجاء ذاك بإفراغه في قالب الحديث الذي لا تحاسبه صحيفته على إعلاناته أو اتهاماته ، ولا تلقى تبعته أو تحسبه من مبتكراته .

ولكن الذي حيرني أنني قلت عند اطلاعي على تلك الأخبار المنسوبة إلى ، إنني

* الأخبار في ٨/٧/١٩٥٩ .

سأعالج الأمر بإعلان دورى فى آخر كل شهر أجمع فيه ما قيل خلال الشهر كله فى تكذيب واحد ، واستغنى بذلك عن متابعة الأحاديث واحدًا واحدًا بالتصحيح والتفنيد !

والذى حيرنى أن الزميل الصحفى الذى سمع قولى هذا قد نقله صحيحًا فى « أخبار اليوم » . وتركنى مترددًا بين التكذيب الذى يشمل هذه الرواية الصحيحة وبين السكوت على مافيه من ورطات وظنون .

ولا سبيل إلى الخلاص من هذه الحيرة إلا بتعديل يسير فى المشروع الأول فليكن التكذيب إذن سابقًا للأقاويل المزعومة ولا ننتظر به تمام الشهر الذى نشرت فيه تلك الأقاويل ، بل نبدأه قبل ابتداء الشهر بأيام .

وموعدنا أول يوليو القادم بالتكذيب المقبل . . . أما هذا التكذيب فى الأسبوع الأول من شهر يونيو الحاضر فحسبه أن يسرى على الأسابيع الثلاثة الباقية منه ، ولعله أن يكون فاتحة خير . . . فلا يصادفه فى هذه المدة ما يحتاج إلى تصحيح أو إنكار .

آثار المازنى*

« قرأت فى يومياتك الأخيرة حديثًا عن سومر ست موم ورأيك فيه . . . وعندما أراد – فيفر – وهو صديقه منذ سنوات أن يترجم له وافقك الرأى فى نظرتك إلى بعض مؤلفاته ولم تمنعه صداقته له أن يلتزم العرض على الوجه المعقول ، ولم تكن ترجمته له حشدًا لعبارات الملق والنفاق بل كانت تقديرًا سليمًا ونقدًا نزيهًا . . . وقد أثار هذا الحديث فى نفسى خاطرا قديمًا طالما تمنيت أن يتحقق . فأنت ممن زاملوا المرحوم المازنى طوال حياته ، وعلاقتكما وصداقتكما واشتراككما فى كثير من المعارك الأدبية مما سجله تاريخ الأدب الحديث . . . ، ولا أعتقد أن أحدًا قد درس المازنى أو قدره حق قدره مثلك ، فهل لنا أن نطمع فى أن تكتب لنا عنه ؟ وهل نطمع فى كتاب يصدر لك عن المازنى الأديب الساخر ، والمازنى الروائى الصادق ، والمازنى الشاعر الملهم ، والمازنى الناقد البصير ، والمازنى المؤرخ الحصيف ؟ . . هل لنا فى دراسة من الدراسات الممتعة عنه ؟ . . . وهل للمازنى من ينصفه سواك ؟ . . . . »

أحمد السيد عوضين

شارع الكركى – روض الفرج

هذه هى الرسالة الرابعة التى أتلقاها فى هذا الموضوع خلال الأسابيع الأخيرة ، وتزيدنى كل رسالة منها طمأنينة إلى مروءة العالم القارئ عندنا ، أو على مروءة عند فريق من قرائنا على الأقل تبعث الطمأنينة إلى أخلاقنا الثقافية وشعورنا بواجب الوفاء لمن يستحقون الذكرى من أدبائنا الراحلين .

وسأعود إلى هذه الرسائل مرة أخرى فى موعد قريب ، ولكننى أحب أن يذكر

* الأخبار فى ٨/ ٧/ ١٩٥٩ .

الذاكرون كل ماينبغى أن يذكروه فى هذا المقام ، وأوله أن الكاتب لا يحتاج إلى من يذكره بحقه على نفسه أو بحق أدبه عليه ، ومامن صفحة أكتبها عن المازنى إلا وهى فى جملتها صفحة أكتبها عن نفسى وعن عملى وعن أملى فى الحياة الأدبية ، فإن لم تكن وفاءً لصديق فهى وفاءٌ للنفس ووفاءٌ للرسالة التى جمعنا بين معناها ومعنى الحياة .

وستكون آثار المازنى بين أيدى القراء – فيما نرجو – بعد أمد قصير ، وهى أحرى بالتقديم والاهتمام ، ليشترك فى تقديرها جمهرة القراء الذين شبوا فى هذه السنوات ولم يطلعوا على كثير من هذه الآثار التى نفدت قبل وفاته بسنوات عدة ، ولعلها تتخطى عقباتها التى لا يسلم منها تراث أدبى قديم أو حديث . فإنها أحرى أن تدرك طلاب الأدب المازنى ولم يطل عليهم أمد الانتظار .

آل وأل .. وسلقط وملقط

« ... أرجو التكرم بإفادتنا فى يومياتكم عن الآتى :

١ – ما سبب تقديم التعريف فى أسماء أبناء الكويت : كاسم السالم واسم الصباح ؟

٢ – ما معنى قولهم فى اللهجة العامية : دوّرت عليه فى سلقط وملقط ملقتوش » .

الطالب

يحيى محمد أبو الفتوح توفيق

إن الألف واللام التى تسبق أسماء الرؤساء وشيوخ الأسر فى الكويت ليست للتعريف ولكنها من كلمة « آل » أو الأهل ، ومعناها آل الصباح وهم أسرةٌ عريقةٌ معروفة بتاريخها منذ مئات السنين ، ينتسب إليها كبار هذا البيت ولا ينفرد بها واحد منهم ولكنها تلحق بأسمائهم الأولى ، وقد يكون أحدهم رأسًا لبيت متفرع من البيت القديم فيذكر اسمه مسبوقًا بكلمة « الآل » على هذا المعنى .

ولعراقة هذا البيت فى التاريخ العربى انتسب إليه حسن بن الصباح زعيم الباطنية المشهور ، ولكنه نسبٌ غير محقق أو غير مصحح فى محفوظات الأسرة ، على ما علمنا من رواية بعض المؤرخين .

أما معنى الكلمتين : سلقط وملقط فى اللهجة العامية فقد نستوضحه من الرجوع إلى قواعد المزيد فى اللغة العربية الفصحى ثم إلى قواعده المحْكيّة فى اللهجة العامية .

واللام كما هو معلوم من حروف الزيادة فى اللغة الفصحى ، تأتى فى الغالب للدلالة على المبالغة فى قوة الفعل على سبيل التهويل أو الاستهزاء ، ومن ذلك على وزن سلقط كلمات (زحلف وصلدم وهلفت وبلقع) من زحف وصد وهفت وبقع ، وأمثالها فى اللهجة العامية أكثر مما ورد على هذا الوزن فى اللغة الفصحى ، نذكر منها (سلطح

وشلفط ، وهلضم ، وخلبص وشلبك وكلفت وفلطح ، وفلعص وكلضم إلخ . . . إلخ) ، من الأفعال الثلاثية سطح وشفط وهضم وخبص وشبك وكفت وفطح وفعص ، وهى بمعانيها فى أحاديث العامة قابلة لهذه الزيادة .

ومعنى (سلقط) على هذا الاعتبار (سقط) بزيادة اللام ، وقولهم (بحثت عنه فى سلقط وملقط) معناه أنهم بحثوا عنه حيث يسقط وحيث يلتقط . أى فى كل مكان يبحث فيه عن ذلك الشيء المفقود ، وتأتى (ملقط) بعد (سلقط) على سبيل الإتباع كما يحدث فى اللغة الفصحى ؛ لأن اللام أصلية فيها وليست مزيدة على بنية الفعل (لقط) كما هو ظاهر .

ولا يفوتنا فى سياق البحث عن قواعد اللهجة العامية أن نلاحظ مما تقدم كما نلاحظ من مباحث شتى فى تصريفات هذه اللهجة أن اللغة العربية على أنسنة العامة قد توضع لها أجرومية منتظمة ، ولابدّ أن توضع لها هذه الأجرومية إذا شاع استخدامها فى لغة الكتابة ووجب تعليمها للأطفال كما يتعلمون اليوم لغة الكتابة الفصحى .

وكذلك حدث عند نقل الكتابة من اللغة اللاتينية إلى لغات الفرنسيين والإيطاليين والأسبان الأصلاء ، فإن هذه اللغات التى كانت من قبيل العامية عندنا قد أصبحت قواعدها اليوم أكثر وأعقد وأصعب تعلّمًا من اللغة اللاتينية الأولى ، وأصبح أطفال العصور المتأخرة يتعلمون قواعد الأجرومية فى كل لغة من هذه اللغات ويستسهلون دراسة الأجرومية اللاتينية بالقياس إليها .

وينبغى أن يذكر هذا من يقومون اليوم ويقعدون بالدعوة إلى تعميم الكتابة باللهجة العامية ، إعفاءً للطفل – كما يقولون – من مشقة العلم بتفصيلات القواعد النحوية والصرفية ؛ فإن القواعد النحوية والصرفية سوف تأتى لا محالة مع شيوع اللهجة العامية فى كتابة كل بلد عربى يستخدمها اليوم فى مخاطباته ، ولكننا نخسر بذلك كثيرًا ولا نكسب شيئًا ؛ لأننا سنضطر إلى تعليم عشرين لهجة عامية بين البلدان العربية وبين لهجات الأقاليم المختلفة فى البلد الواحد ، ثم نضطر إلى هدم لغة عريقة بلغت غاية

الإتقان والبلاغة لنخلفها بلغات ساذجة لا مطمع لها فى مثل هذا الإتقان ولا فى مثل هذه البلاغة بعد مئات السنين.

وهذا فضلا عن ضياع التراث النفيس من مأثورات العربية الفصحى فى عشرات القرون ، وفضلا عن ضرورة العلم معها بقواعد اللغة التى تنزل بها القرآن ، مادامت قراءة القرآن فريضةً مرعيةً فى بلاد المسلمين ، ومادام القرآن كتابًا يدرس لبلاغته ولتاريخه وعلاقته بعلوم اللغات.

تعليقات حول سلقط وملقط . . . ! *

ستة تفسيرات أخرى عن (سلقط وملقط) ترد إلينا بعد التفسيرات الستة الأولى التى أشرنا إليها فى اليوميات الماضية ، ، وهى مثل سوابقها موزعة على أنحاء القطر كله ، مما يدل على تمكن هذه الأسطورة من المرددات الشعبية فى بلادنا : وهى التى يسميها الغربيون بالفولكلور .

إحدى الرسائل من الدكتور محمد جلال الدين علام مفتش صحة حدائق القبة ، وهو يروى ما سمعه من شيخةٍ معمرة عن أصل القصة . وخلاصته أن رجلا أودع عند آخر إناءً مملوءًا سمنًا ولما عاد بعد حين لاسترداده وجده فارغًا ، فقال : وكيف يفرغ وما سال قط ولا مال قط . .

وإحدى الرسائل الست من الأستاذ عبد الفتاح حسن محمد المدرس بالفيوم يقول فيها : إنه مع اقتناعه بتفسيرنا للكلمتين يروى ما اطلع عليه فى كتاب النوادر والقصص ، وهو تكرار لما تقدم عن قصة العسل والجرة والطفل ، أو الأطفال . .

ورسالة من السيد محمد رضا السيد عوضين طالب الطب بجامعة القاهرة يتردد تفسيرها بين السمن والزيت أو غيرهما من مقتنيات البيوت ، ويعيد حكاية الوديعة وعجب المودع من فراغ الإناء وهو ما سال قط ولا مال قط . . على تقدير أنه إناءٌ أو بلاص ، أو قدر ، بضمير المذكر ! . .

ويروى السيد «أحمد عبد الله مسعود» رئيس قلم بوزارة الزراعة أن الإناء كان مملوءًا لبنًا ، وأن قول القائل (ما سال قط ولا مال قط) معناه «أنه لا اللبن سال ولا الإناء مال ، فأين ذهب اللبن ؟ . .»

فصار مثلا يقال للشىء الذى يخفى فجأةً ولايترك أثرًا .

---

* الأخبار فى ٣/٤/١٩٦٣ .

ومن أسوان يقول (الطالب محمد حسنى يوسف عمر المريسى الطالب بالمعهد العالى الصناعى) : إن قصة (سال ومال) متواترة وان تفسيرنا يخالف التفسير المنطق فى العبارة كلها فلو لقط الشيء فليس هناك داع لأن يأسف لضياعه ..

ولم يذكر لنا الطالب الصناعى : من الذى قال إنهم لقطوا الشيء فى الملقط حيث تفقدوه ؟ .

والسيد (محمد أبو الفتوح عبد العزيز المعيد بجامعة القاهرة) يروى القصة عن أعرابى وأعرابية مشهورين بالبخل لهما ولد واحد يقتران عليه فى الرزق ، وهو الذى اختلس العسل من البلاص « لأنه أحدث فيه ثقبًا » ليستقطر منه العسل يومًا بعد يوم ، إلى أن أتى عليه .

وسمعنا من طالب سودانى بمدينة البعوث الإسلامية أنهم يسمعون القصة بجملتها فى بلدهم ولكنهم يقولون (سقط ولقط) بغير ميم فى الكلمتين .

وقد كانت قصة لقمان وماء اللفت وبعض جوانبها على تأويلات هذا المثل كما جاء فى يوميات الأسبوع الماضى ، فنزيدها فى هذه اليوميات قصةً أخرى ترجع إلى الفارابى الفيلسوف فى باب الموسيقى ولا ترجع فى باب الطب إلى لقمان الحكيم .

جاء فى الصفحة الرابعة عشرة من كتاب الموسيقى الشرقى لمؤلفه الملحن المعروف محمد كامل الخلعى وهو يتكلم عن أصل العود : « وقيل إن الفارابى صنعه لما مات والده وجاء على طبائع الإنسان وقال : هذا أبى ليتسلى به ، وعمل له لوالب تربط فيها الأوتار . ولكنه لم يجوّف له بطنًا ولم يثقب وجهه ، بل جعله مسدودًا ، فلما ضرب عليه ولم يظهر له طنين ، بل خرس ، تركه وجعل يقول : إن أبى أخرس ! ثم إنه تفقده فى بعض الأيام وضرب عليه فظهر له صوت عال ، فنظر إليه فإذا الفأر قد نقره ، فعلم أن صوته من نقر الفأر ، فقال : هذا ليس بأبى . . بل الفار أبى . . قالوا : ومن أجل ذلك لقبوه به – أى الفارابى . . » .

هذه هى القصة التاريخية الموسيقية التى نزيدها فى يوميات هذا الأسبوع ، ثم نزيد عليها أنها – على كثرة ما فيها من التوفيقات المليحة لم تعجب صاحبنا الخلعى ولم

يصدقها ؛ لأنه كان يعلم أن الفارابي منسوب إلى بلدة فاراب ، ولا ينسب إلى الفأر الذى نقر العود .

وتوفيقة سلقط أملح من توفيقة الفار الموسيقار وتوفيقة ماء اللفت من صيدلية لقمان .

ولكن لا نهاية لهذه التوفيقات إذا فتحنا لها الباب على مصراعيه ، فقد تصادفنا على الأثر الملوخية من الملوكية ، والكرنب من كرب وبنب ، والفيوم من ألف يوم ، وقليوب من قال أيوب ، وسنتريس من سان تريز ، وشكسبير من الشيخ زبير ، والطرف الأغر من ترافلجار ، والموسكى من الموسك ، والديناميت من دنا الموت ، وشرانيل من شراب النار ، والبطارية من صنع البيطار والتراكتور من « ترك التور » والفرملة من فرم وولى . . إلى غير انتهاء .

لغويات عامية*

كنت أسمعهم أثناء إقامتى ببلاد الصعيد يقول أحدهم للآخر مزاحًا وإعجابًا . . يافرخ ! ! كلما (ضبطه) فى عمل من أعمال الخبائة والدهاء . . والمعلوم أن أبناء الصعيد يقولون (الفرخ) ويعنون به الابن غير الشرعى أو ابن الحرام ، فما هو معنى ذلك التعبير وما هى العلاقة بين الفرخ بمعناه فى الصعيد أو بمعناه فى اللغة على العموم ؛ وبين كلمة (الفرخ) التى نطلقها على صحيفة الورق ؟ .

أحمد زيدان

شبرا

فى الصفحات الأخيرة من كتاب الكنايات للثعالبى تقرأ هذه القصة :

(أهل المدينة يسمون اللقيط فرخًا وهو عندهم فرخ زنا . فيحكى أن الرشيد كان يأكل يومًا مع جعفر فوضعت لهما ثلاثة أفراخ ، فقال الرشيد لجعفر يمازحه : قاسمنى لنستوى فى أكلها ، فقال : قسمة عدل أم جور ؟ قال : قسمة جور . . فأخذ جعفر فرخين وترك واحدًا . . فقال الرشيد : أهذا العدل ؟ قال : نعم . معى فرخان ومعك فرخان . . قال : فأين الآخر ؟ قال : هذا . . وأومأ إلى الفضل بن الربيع وكان الفضل متهمًا فى نسبه) .

فالغالب أن استعارة الفرخ لابن الحرام سرت إلى بعض لهجات الصعيد من قبيلة عربية نزلت به وسمعت منها هذه الاستعارة بهذا المعنى ، ويجوز أن يكون الأصل فيها عند أهل المدينة أن الفرخ – وهو ابن الطير – تعرف أمهاته ولا تعرف آباؤه . أو أن الولد من الحرام يطير عن العش فيُلحَق بالطير على هذه الكناية .

---

* الأخبار فى ٢١/ ١١/ ١٩٦٢ .

وليس أبناء الصعيد وحدهم هم أصحاب هذه الكناية فى مقام المزاح عند الإعجاب بمن (يضبطونه) متلبسًا بعمل من أعمال الخبث والشيطنة . فإن القاهريين وأبناء الأقاليم البحرية ومثلهم أبناء الصعيد يقولون عن الخبيث الماكر الذى يعبث أو يحتال إنه (ابن حرام) لأن مهد الحرام مقرون أبدًا بالمحاولة والحيلة والمراوغة والمداراة ، والنسب المدخول أقرب إلى سوء الدخلة وسوء الطويّة من النسب الصريح ، وقد ينسب ابن الحرام إلى الشيطان فهو إذن فى ذكاء الشياطين .

بل الملحوظ فى جميع الشتائم إذا خففت بين المتمازحين أنها تتحول من معنى الشتم إلى معنى التقريظ ، ولا يندر فى لهجات الحديث المتداولة أن يقال عن الرجل الموصوف بالمهارة والشيطنة إنه (ابن كلب) أو إنه (زنديق) أو إنه بلوى ، أو إنه مصيبة لا يقدر عليه ، وقد كانت أندية القاهرة إلى زمن قريب تعرف رجلا من الصعيد الأوسط باسم الشيخ (مصايب) لأنه كان سليط اللسان بالنكتة الحاضرة . وهم مع هذا يتلقون ذلك (المصايب) بالضحك والترحيب .

أما الفرخ بمعنى صفحة الورق فلا نظن أنه مستعار من فواكه الشجر بمعنى الثمر لمجاورته للورق على الشجرة ، فإن الشبه بعيد بين الثمار وصفحات الورق ، ولا نظن كذلك أنه مستعار من الفرخة بمعنى السنان العريض لأن الأسنة ليست من المناظر المشهودة وغيرها أولى بالاستعارة عند تسمية الصفحات والأوراق . ونستبعد كذلك أن تكون لفرخ الورق علاقة بفرخ الطير أو الفرخ المكنى به عن ابن الحرام .

وأرجح التوجيهات عندنا لأصل هذه الكلمة أنها من بقايا لغة الدواوين التركية ، وأنها محرفة عن كلمة ورق نفسها لأن اللسان التركى ينطق الواو فاء وينطق القاف بين الكاف والخاء ، فتسمع منه كلمة (ورق) قريبة من (فرخ) بفتح الراء ثم تتعود الألسنة تسكين الراء لمشابهة الفرخ العربية ، وقد راجعنا كلمة صفحة ورق فى المعجم التركى فوجدنا أنهم يطلقون عليها كلمة (يبراك) كما يطلقون على ورق العنب ولا يخفى أن الباء الثقيلة تنطق عندهم قريبًا من الفاء وأن القاف تتحول فى نطقهم إلى كاف ،

فلا يبعد أن تكون (يبراك) محرفة من الورق عند إطلاقها على ورق الكتابة أو ورق العنب ، وهذه على أية حال أقرب التوجيهات التى نعرفها لإطلاق كلمة الفرخ على ورق الكتابة .

فى بريدٍ واحد تلقيت هذه الرسائل الثلاث من طلبة بالمدارس الثانوية .

يسأل الطالب (إبراهيم محمد على خليل) بالثانوية العامة عن مفهوم عبارة السيد مصطفى لطفى المنفلوطى فى مقاله عن الرحمة من كتاب النظرات : (إن منظر الشاكى منظر جميل جذاب ونغمة ثنائه وحمده أوقع فى السمع من العود) .

ويسأل الطالب (أنانيال عجايبى سدارى) بمدرسة السويس الثانوية عن هذه العبارة بعينها ثم يضيف إليها سؤالا عن عبارة بعدها يقول فيها صاحب النظرات : (إن السماء تبكى بدموع الغمام ويخفق قلبها بلمعان البرق وتصرخ بهدير الرعد ، وإن الأرض لتئن بحفيف الريح وتصيح بأمواج البحر وما بكاء السماء ولا أنين الأرض إلا رحمة بالإنسان) .

وسؤال الطالب الذكى : كيف يكون بكاء السماء وأنين الأرض رحمةً بالإنسان ؟ وماذا يقصد الكاتب هنا بكلمتى البكاء والأنين ؟

والرسالة الثالثة من (رشيد أحمد) الطالب الثانوى بالقاهرة يعجب فيها من استحسان منظر الشاكى وهو يشكو مما يؤلمه ويسوءه ويتساءل : هل من الشفقة أن يحب الإنسان رؤية الشكوى ؟

وواضح من أسئلة الطلبة الثلاثة أنهم جميعًا يطالعون مقال المنفلوطى فى طبعة واحدة من النظرات ووقع فيها الخطأ المطبعى فى كلمة الشاكى ، وحقيقتها الشاكر كما رأيتها فى النسخة التى عندى من طبعة الجزء الأول من النظرات .

ولا غرابة فى معنى العبارة بعد هذا التصحيح ؛ لأن سماع الشاكر جميل محبوب إذا دل على سرور المصاب أو المحتاج بعد حزنه وانفراج ضيقه ، ولم يكن جماله فى سمع المحسن المتفضل لاعتزازه بإحسانه إليه واستعلائه على من يستمع إلى شكره وثنائه ،

وكلمة الحمد فى عبارة النظرات تدل على أن الكلمة التى تقدمتها من الشكر لا من الشكوى .

أما بكاء السماء وما تلاه من نسبة الصراخ والأنين والهدير إلى الرعد والريح والبحر من تشبيهات المجاز ، والتى يلجأ إليها المنفلوطى رحمه الله فى مقالاته العاطفية أو الوصفية الخيالية ولعل الطالب سيعلم تفصيل ذلك من دروس البلاغة المقررة على المدارس الثانوية إذا كانت لا تزال مقررة على تلاميذها مع دراسات النقد والمحفوظات ، وليس أنفع فى دروس المطالعة من تنبيه الطلاب إلى الفارق بين الصور الخيالية الصادقة والصور الوهمية الظاهرة فى هذه التشبيهات ، فإن المشابهة بين قطرات المطر وقطرات الدموع صورة من صور الوهم الظاهر ؛ لأن السماء التى تهطل بالمطر لا تشبه الباكى فى حالة من حالاته ولا فى أثر من آثارها ، ولكن الرعد المزمجر – مثلاً – قد يشبه الغاضب المتوعد المنتقم بصواعقه وضرباته وهذا هو الفارق بين صور الخيال وصور الوهم التى توضحها أقسام التشبيهات فى قواعد البلاغة العربية ، ولا يهملها نقاد الأدب الغربيون بخاصة فى باب التفرقة بين الخيال Fancy والوهم Imagination هو من فنون النقد التى عنى بها واضعو البرامج الأدبية على النهج الحديث

صنهاجة أو السنغال*

تصحيح الأوضاع اللغوية يقترن بتصحيح الأوضاع الوطنية فى شئون العالم العربى ، أو ينبغى أن يكون تصحيح الكلمات والأسماء سابقا لتصحيح المعالم والحدود ؛ لأننا مطالبون بمعرفة اللغة التى نتكلمها قبل غيرنا ، ولأن هذا التصحيح فى أيدينا وفى متناول ألسنتنا ، وهو بعد ذلك أيسر من تصحيح المعالم والحدود .

ما « السنغال » هذه التى نردد أخبارها بين أخبار أفريقية الغربية تارةً مكتوبة بحرف الغين وتارة مكتوبة بحرف الجيم ؟

إنها هى « صنهاجة » التى نقرأ أخبارها فى تواريخ المغرب والأندلس ، ينطقها الأوربيون « سناجة » ويضيفون إليها علامة النسبة فتصبح « سناجال » وسنجال وسنغال . . وننقلها عنهم « بعبلها » فى هذا العصر الذى تعود فيه البلاد إلى صبغتها الأولى .

« السنغال » تعنى بلاد صنهاجة لا أكثر ولا أقل ، فلا يجوز لنا نحن أن نلوى ألسنتنا بالكلمة مغلوطة على اختيارٍ منا ، وهم إنما يغلطون فيها مضطرين . .

وفى السماء كما فى الأرض يأخذون منا الكلمات والأسماء ويمسخونها ولا ندرى أنها مستقيمة فى ألسنتنا وفى كل مرجع من مراجعنا القريبة .

فمن أسماء الكواكب التى يكثر ترديدها مع الكلام عن السياحة بين الأفلاك كوكب « الفيجا » فى نهر المجرة . . !

ماكوكب « الفيجا » هذا الذى ننقله عنهم وننسى أنهم نقلوه عنا ؟

إنه النسر « الواقع » يكتبونه (فيجا) Vega (وواجا) Waga وهو الذى يردده كل

---

* الأخبار فى ٣١/٨/١٩٦٠ .

حافظ لقصيدة المعرى المشهورة إذ يقول :

ونضا فجره على نسره الوأقع سيفا فهم بالطيران !

وحرام فى هذا العصر أن ننظر إليه « مفتحين » ولا نحسن نطقه كما ينطق به الشاعر الضرير !

إذا سألناهم أن يردّوا بضاعتنا إلينا فلنردها نحن بألسنتنا قبل ذلك . .

وذلك أضعف الإيمان !

سورية أو سوريا*

يشير الأستاذ « السيد أحمد الصردى » إلى بحث للعلامة الأستاذ مصطفى الشهابى عن كتابة كلمة سورية التى يكتبها الكثيرون ويلفظونها خطأً بياءٍ مشددة وألف ، ويذكر الأستاذ الشهابى أن بعض أمهات المصادر أجمعت على كتابة (سورية) مخففة ومنها القاموس المحيط وتاج العروس ومعجم البلدان وفتوح البلدان وزبدة الحلب فى تاريخ حلب . . ثم يقول سيادته : إن من المفيد ، أو من الواجب إذاعة بيان على الدوائر الرسمية والمعاهد العلمية لكى تكتب هذا الاسم وفاقًا لما جاء فى الكتب المعول عليها .

ويختم الأستاذ الصردى خطابه بالسؤال عن رأى كاتب اليوميات فى كتابتها الصحيحة وفى البيان الذى يذاع عن رسم الكلمة المتفق عليه .

ونرى أن الاتفاق على التصحيح ميسور كل اليسر فى هذه المسألة ؛ لأن وجه الخطأ ظاهر فى مخالفة الرسم الذى ورد فى أمهات الكتب المعول عليها ، ويكفى مجرد التنبيه إلى وجه الخطأ للاقتراب من الاتفاق على الصواب .

فالذين ينطقون الياء بالتشديد يتوهمون أنها ياء النسبة وأن المدّ الأخير نيابة عن التاء المربوطة التى تنطق كما تنطق الهاء .

والخطأ فى هذا الوهم ظاهر ؛ لأن الكلمة التى تنسب إليها (سورية) بالتشديد على هذا الظن لا وجود لها فى اللغة ولا فى الجغرافية ، وليست هناك كلمة (سور) للدلالة على اسم مكان من الأمكنة أو قوم من الأقوام .

وإذا لم تكن الياء للنسبة فلا وجه لتشديدها ، ولا يوجد هذا التشديد فى الاسم المقابل لها باللغات الأوربية ، ومنها نقل هذا الاسم Syria

ويلاحظ أن اليونان كانوا يخطئون فى تحديد بلاد (السريان) ويذهبون بها وراء

* الأخبار فى ٢/ ١٠/١٩٦٣ .

البلاد الآرامية من السلالة السامية العامة ، وقد كثر ذلك بعد ظهور الدين المسيحى وشيوعه بين فلسطين والشام . فإن الذين دخلوا المسيحية اختاروا اسم السريان وفضلوه على اسم الآراميين الذين بقوا على عقائدهم الوثنية أو الإسرائيلية ، وعمّت هذه التفرقة بين أتباع الكنيسة الشرقية فسبق إلى الظن بعد حين أن بلاد السريان غير بلاد الآراميين وأن سورية هى التى تنسب إلى السريان أو إلى اسم لهم قديم قريب من هذا الاسم ، وليس لهذا الظن أصل فى التاريخ ولا فى تقويم البلدان .

ومما أكد هذا الوهم أو هذا الخطأ أن أصحاب الأناشيد الثورية فى أيام الحكم الفرنسى قد رمزوا إلى اسم سوريا باسم (ثريا) وثبت التشديد على الياء من التزاوج بين الاسم الرمزى والاسم الأصيل ، وقد رأينا من العامة من يسبق إلى ظنه أن ثريا وسريا اسم واحد فى أصل وضعه ، وبخاصة لأن الواو بعد السين لا تظهر فى النطق الدارج ، كما هو الشأن فى حروف المد على اختلافها .

ومتى أمكن التحقيق من أسباب الخطأ فمن السهل أن تتفق الأقوال والآراء على الصواب .

° ° °

ونستطرد من هذه الملاحظة اللغوية إلى طائفة من الملاحظات اللغوية وردت إلينا حول كلمات المرناء والتلفاز والإذاعة المرئية . وكلها موزعة بين استحسان الاختيار من مادة (رنا) العربية إذا أردنا أن نتحاشى نقل الكلمة الأوربية بلفظها ووزنها . أما من رأى الإبقاء على اللفظ الأوربى فهو يفضل إجراءه على وزن من الأوزان العربية كالتلفاز أو التلفز بوزن جعفر ، ويقول الأستاذ (عبد القادر عبد السيد سليم) المدرس بدار المعلمات العامة : إننا إذا عدلنا عن كلمة (التلفز) بوزن جعفر إبقاء على مصدر التسمية فكلمة (المرنى) العربية أصلح من كلمة المرناء أو المرناة . . لأن المرنى اسم المكان الذى يحصل منه « الرنو » وهو مطابق لوصف التليفزيون . أما المرناء فهو اسم آلة ، وآلة الرنو هى العين . . ولا حرج فى ستخدام اسم الآلة – فى الواقع – للدلالة على البصر والسمع كما نطلق السماعة والنظارة على الآلات وهى لا تسمع ولا تبصر ، وإنما يحدث السمع من الآذان والعيون .

السيمية*

السيمية Samantics فرع كبير من فروع علم اللغة الحديث ، موضوعه مراجعة (التعبيرات) لتصحيح دلالتها والملاءمة بين ألفاظها ومعانيها ، على حسب أطوارها المتتابعة فى أزمنتها ومواطنها .

ذكرت السيمية كثيرًا فى مطالعاتى الصحفية فى هذا الأسبوع ، وكان مما ذكرنى بها عبارات شتى كالعبارة الآتية :

قالت الصحيفة ، راوية الخبر ، بعد شرح القضية : « وأمرت المحكمة بحبس المتهم حبسًا مطلقًا مع تأجيل الدعوى » .

والمقصود من عبارة الصحيفة مفهوم ، وهو أن الحبس غير معلق على موعد محدود ، ولكن وصف الحبس بالإطلاق يجمع بين النقيضين ، ولا تناقض – مثل هذا – فى العبارة التى ألفناها من قديم : وهى الحبس إلى أجل غير مسمى .

والقصة التالية أيضًا مما يوحى بالتعليق على كلمة عظيم مشهور ، لم تزل موضع أخذٍ وردٍّ فى دلالتها وصدق تعبيرها منذ قالها ذلك العظيم المشهور ، وهو المستشار البروسى بسمارك مؤسس الرايخ الألمانى على أثر حرب السبعين .

كان بسمارك يرد على الذين يحذرونه من عاقبة التسليح ، وهى الحرب لا محالة ، فيقول : إننى لا أنتحر خوفًا من الموت !

وتعاد هذه العبارة اليوم لمناسبات شتى يدعو إليها طول الأخذ والرد فى مسائل التسليح ، ولكن الوقائع لا تقيم الحجة التى تؤيد لنا منطق بسمارك ومنطق القائلين بقوله كما كان يعنيه ، فإن الانتحار خوفًا من الموت أمر غير بعيد فيما نعلمه من وقائع الحياة ،

---

* الأخبار فى ١٩٦٢/٥/٢ .

وآخرها فى أخبار الصحف حادث الرجل الذى قتل نفسه فى السيارة العامة لأنه مطارد بالثأر المبيّت له منذ سنوات ، وقد وازن بين مواجهة الخوف من الموت مرة واحدة ، ومواجهة هذا الخوف مرة بعد مرة ويومًا بعد يوم ، وسنةً بعد سنة ، فهان عنده الخوف المختصر ولم يهن عنده الخوف الذى يطول به الأجل ويزداد كلما عاد .

و (بيدى لا بيد عمرو) مثل قديم يصحح فى مذهب التعبير خطأ المستشار العظيم .

التقويم بين العرب والأوربيين*

تصدر فى اللغات الأوربية ، فى مثل هذا الموعد من كل سنة تقاويم دورية يسمونها باللغات المختلفة Almanac (المناك) ويدل ابتداؤها بالألف واللام على أنها عربية الأصل ، وهكذا يقول معجم القرن العشرين الإنجليزى الذى يرجح أنها من كلمة المناخ العربية . . فهل هذه النسبة صحيحة ؟ وإذا كانت صحيحة فلماذا نستعمل نحن كلمة التقويم ولا نستعمل الكلمة التى أخذها عنا الأوربيون . ؟ .

سيد أحمد سليم

رمل الإسكندرية

إن كلمة « المناخ » عربية بغير خلاف وأصلها كما هو ظاهر من إناخة الإبل بالمكان ، وإلى هذا ترجع على الأرجح تسمية شارع المناخ على مقربة من موقع بركة الأزبكية القديمة حيث كانت قوافل التجارة تنيخ جمالها إلى ما قبل ردم البركة بقليل .

وقد كان العرب يصفون الأرض بأنها طيبة المناخ ويعنون بذلك أنها أرض صالحة لنزول الإبل بها للمرعى أو للإستراحة فى طريق السفر ، ومن هنا كان استعمال الكلمة حديثًا بالمعنى الذى يقابل معنى الإقليم أو معنى خصائص التربة الأرضية والجوية ومقدار صلاحها للزرع والسكنى . وقد فضّلها العصريون على كلمة الإقليم لأن هذه الكلمة يونانية الأصل بمعنى الصعود . ويريدون به ارتفاع درجات الكرة الأرضية ، وتقسيم الأرض كلها إلى مناطق جوية على حسب الارتفاع والانحدار .

والظاهر من هذا أن الغرب استعاروا كلمة الإقليم من اليونانية ثم فضلوا استعمال كلمة المناخ فى تقسيم الأرض إلى خصائصها الجوية والأرضية بغير نظير إلى مسألة .

---

* الأخبار فى ١٠/ ١/ ١٩٦٢ .

الارتفاع والانحدار ، وهى فى الواقع أصدق فى الدلالة على معناها من الكلمة اليونانية . . لأن الأرض كثيرًا ما تختلف تربة وجوًّا وصلاحًا للسكن والزرع وهى على درجة واحدة من درجات الطول والعرض ، أو على طبقة واحدة فى العلو والهبوط ، قبل أن تحسب طبقاتها بتلك الدرجات .

ولكن العرب لم يستخدموا الكلمة قط بمعنى التقويم ، فلا نظن أن الأوربيين نقلوا الكلمة وخلقوا لها معنى لم يقصده أصحابها الذين نقلوها عنهم لأوّل مرة ؛ ولهذا نرجح رأى الدكتور فانديك الذى يعتقد أن (المناك) مأخوذ من اسم كتاب (المنهاج) فى التقاويم كما روى عنه الأمير شكيب أرسلان ، ورأى الدكتور فانديك الكبير فى هذه المسألة ثقة يؤخذ به . لأنه كان على علم بتاريخ الفلك عند العرب وعلى علم بمراجع الكتب الأوربية من مصادرها العربية .

وقد كانت للأوربيين تقاويم شهرية وسنوية قبل اتصالهم بالعرب فى المشرق والمغرب ، وكانوا يطلقون على التقويم اسم اليوم الأول من كل شهر وهو (كالند) Calends باللغة اللاتينية لأن السلطات الحكومية والدينية كانت تجمع أصحاب الشأن بين جمهرة الناس فى أول كل شهر لتبلغهم أوقات العمل فى الدواوين والمعابد ، مع أوقات المواسم والأعياد والصلوات الجامعة والجلسات القضائية وغيرها من الجلسات التى يلتقى فيها الناس لمصالحهم العامة ، ولا تزال كلمة (الكالندر) تطلق إلى اليوم فى اللغات الأوربية على نظم التوقيت التى تحسب بها الأيام والشهور والسنون ، كحساب السنة الميلادية وحساب السنة الهجرية وحساب السنة الرومية وغيرها من نظم التوقيت .

وقد احتكرت الدولة عندهم إصدار التقاويم السنوية للنبوءة عن الطوالع والطوارىء وإعلان المواعيد الرسمية والمواسم الدورية ، فكان الملوك والأمراء يعينون المنجمين الذين يباح لهم إصدار التقاويم ويسمونهم أحيانًا بمنجمى البلاط ، وصدر الكثير من هذه التقاويم قبل اختراع الطبع بالحروف فكان السماح لأصحابها بعرضها للنسخ والنشر مرهونًا بترخيص البلاط وشهادة العلماء الفلكيين الذين يرجع إليهم فى

تحقيق كفاية المنجم لوظيفته الرسمية أو لكسب الثقة من جمهور طلاب الطوالع والنبوءات .

ولما بطل هذا الاحتكار الملكى وأبيح إصدار التقاويم لمن يشاء بعد انتشار الطباعة راجت هذه الصناعة وراج معها الدجل والعبث بالمصالح العامة التى ترتبط بنبوءات الأسعار والأمطار وأوقات الملاحة ومحاصيل الغلال ، ولم تتيسر محاربة هذه التقاويم بنصوص القانون لأن الحكومات – قبل غيرها – كانت تصدق بعلوم التنجيم ولا ترى سبيلاً إلى مصادرتها لاعتبارها ضربًا من ضروب الاحتيال التى يحرمها القانون ، ولكن أقلام الكتاب المتحررين من هذه الخرافة صنعت كرامتها التى عجز عنها سلطان الشريعة ولا سيما كتّاب الفكاهة الذين تعقبوها بالسخرية والتفنيد وأبدعوا فى الاحتيال عليها بما يبطل سلاحها . . ولا يفل الحديد إلّا الحديد !

ومن ذلك أن الأديب الساخر جوناثان سويفت صاحب رحلات جلفر المشهورة أصدر هو نفسه فى إحدى السنين تقويمًا تناول فيه طالع المنجم (باترج) أشهر أصحاب التقاويم فى زمانه فأعلن أنه سيقضى نحبه عند تمام الساعة الحادية عشرة من اليوم التاسع والعشرين من شهر مارس سنة ١٧٠٨ . .

وجن جنون الرجل ، وتوهم أن فى الأمر مكيدةً يدبرها له نظراؤه وحساده فلم يزل فى حذر حتى مضت الساعة المقدورة لوفاته فانطلق بالتكذيب انطلاق الظفر والسلامة ، وكال التهم كيلاً لإسحاق بكرستاف الذى نشر باسمه تقويم سويفت ، وراح فى مجالسه وندواته يهدده بالمقاضاة والانتقام .

ولكن الكاتب الساخر كان كفؤًا لغريمه فى ميدان السخرية والعبث فعاد يؤكد أن الرجل قد مات فعلاً ، وأنه لا يحق له أن يعيش على الرغم من طوالع وفاته ! ويستشهد على موته بأن الذين قرأوا تكذيباته قالوا جميعًا إنه لا يهذى هذا الهذيان أحد فى العالم . . فكيف يكون حيًّا وهو فى غير هذا العالم بإجماع الناس ! . .

وقد غطى اسم هذا المنجم الوهمى بكرستاف على اسم (بارترج) وأسماء زملائه المنجمين الحقيقيين فى عصره فماتوا بشهرتهم ومكانتهم أو كأنهم ماتوا حقًّا كما أنبأ عنهم

(سويفت) فى تقويمه . وقد كانت لهذا الكاتب الظريف – وهو من أئمة رجال الدين الموقرين – منزلة رفيعة بين قرائه وكلمة مصدقة ، أو محترمة على الرغم من اشتهاره بالمزاح بين خاصتهم والمقربين إليه من عليتهم ؛ لأن الفكاهة الارلندية خصلة مشهورة بين رعاياه الدينيين حيث ولد ونشأ ومات ، وإن لم يكن من سلالتهم ، فبلغ من تعويله على الثقة بكلامه أنه سمع ضجيجًا بالليل على مقربة من داره وقيل له إنهم خليط من الدهماء يرقبون ساعة الخسوف فى تلك الليلة ، فخرج إلى نافذة الدار وصاح بهم : إن الخسوف قد تأجل إلى ليلة أخرى . . فتفرقوا منصرفين . . وبفضل مكانته وذيوع أخباره بلغ من ألفة الناس لاسم بكرستاف أن كاتبًا مشهورًا لا يقل عن سويفت له مكانة فى عالم الأدب هو السير ريتشارد ستيل اختار لنفسه اسم بكرستاف عند إنشاء صحيفة العصر الأدبية الـ (تاتلر) التى خلفتها صحيفة سبكتاتور بمعاونة صديقه إديسون ، وكلاهما من أعلام الكتابة الفكاهية فى اللغة الإنجليزية ورواد الفكر الحر فى الاجتماع والسياسة ، ولا تزال صحف حزب الأحرار تسمى باسم صحيفتيهما (السبكتاتور) والجارديان إلى الآن . . وقد كان غلو ستيل فى السخرية بالتقاليد والأساطير الموروثة فى المجتمع البريطانى سببًا لطرده من مجلس النواب بعد انتخابه له بزمن وجيز .

إلّا أن الحملات الساخرة على الأساطير لم تحرم (علم التنجيم) أنصاره أجمعين ، ولم تبرح له – حتى اليوم – شيعته التى تهوى السؤال عن الطوالع فى مطالع الأعوام إيمانًا بصدقها أو ولعها بعلامات التفاؤل والتشاؤم ولو على غير اعتقاد ، ولهؤلاء تصدر التقاويم الخاصة التى لا تتحدث إليهم عن شىء غير نبوءات التنجيم . وقد شاعت تسمية هذه التقاويم وغيرها من التقاويم الجدية باسم « المناك » وكاد أن ينسى اليوم اسم (الكالندر) اللاتينى القديم فلا يطلقه أكثر الكتّاب والمتحدثين على غير حساب السنين .

ومما يرجح أصل الكلمة العربى – غير ابتدائها بالألف واللام – أنها لم تعرف فى الغرب قبل اتصال الأوربيين بالأندلسيين ، وأن أوّل منهاج عرف بهذا الاسم فى القرن الحادى عشر كان من عمل يهودى ينتمى على ما يظن إلى المهاجرين الأسبان ، ولكن

تحريف كلمة (المناك) عن المنهاج أقرب إلى معناها وسبب استخدامها من تحريفها عن معنى المناخ ، ولا موجب فى هذا العصر لتبديل المناخ بالتقويم لأنها لم تكسب هذا المعنى باصطلاح قديم أو اصطلاح حديث . وقد تردد العرف الشائع بين كلمة (النتيجة) وكلمة التقويم للدلالة على التصانيف السنوية المعروفة زمنًا غير قليل إلى أن غلب اصطلاح التقويم على اصطلاح النتيجة فى السنوات الأخيرة ، ولعلها فى أصلها منقولة من (الجندرة) بمعنى التسوية والصقل والترتيب والتقويم . وقد أخذت « الجندرة » من (الكندر) أو الأسطوانة التى تستخدم لصقل الملابس وتقويم ثناياها وتنظيم طيّها وترتيبها فى النهاية ، واستخدام (الكلندر) المكتوبة فى صحيفتها المطوية أوّل كل شهر للدلالة على تنظيمات الشهر ، ثم تنظيمات السنة للمشابهة فى الوقت والشكل وارتباطها بفواتح الشهور ومواعيد المواسم والأيام ، ولولا هذه المشابهة لكان وجه الاستعارة اللفظية أو المعنوية بعيدًا فى إطلاق كلمة من مادة (قام) على دفتر يحتوي بيان المواعيد وحساب الفلك والنجوم .

وإذا كان الغرض بالرجوع إلى كلمة (المناخ) هو اجتناب الترجمة والاقتباس فكلمة (المنهاج) أوْلى وأوْفى بتحقيق هذا الغرض . لأن ابتداء اللغة العربية باستخدامها لمعناها فى كتب التقويم أمر لا شك فيه .

مشروع الكتابة فى الصين*

تكاملت فى هذا الاسبوع أعداد المجلات التى عنيت بمشروع الإصلاح الكتابى فى الصين ، وهو المشروع الذى يعمل أصحابه على استبدال الحروف الأبجدية بالأشكال الرمزية التى تعد بعشرات الألوف .

ويظهر من هذا المشروع أن النطق الصينى يقارب النطق العربى فى مخارج الحروف ، لأنه يستثنى حرف الفاء الثقيلة V التى لا وجود لها فى لغتنا ويزيد على الزاى والسين حرفين يقاربان الظاء والصاد .

ولعلنا – لو اقتصدنا قليلاً فى التشهير بحروفنا العربية – كنا خلقاء أن نرشح « أبجديتنا » لاستبدال تلك الأشكال الرمزية بها .

ولعلنا نستطيع الآن أن نقتصد قليلا فى هذا اللفظ الذى نسمعه عن المقارنة بين إصلاح الكتابة الصينية وإصلاح الكتابة فى لغة الضاد . فإننا قد تخطينا قبل ثلاثين قرناً هذا الدور الذى يحاول الصينيون أن يتخطوه ، ليتنقلوا من كتابة أصعب من الهيروغليفية إلى الكتابة بالحروف .

وما أعجب الزمن فى قانون التقدم والتأخر الذى يجريه على الشعوب . إن هذا « التأخر » فى الكتابة عند الصينين له علّة من علل « التقدم السريع » وهى ظهور المطبعة بينهم ، ولكن قبل الأوان .

فالمطبعة هى التى حفظت نقوش الكتابة قبل أن تتطور مع الزمن من الهيروغليفية إلى الرمزية إلى المقطعية إلى الحرفية ، فكان فى هذا الحفظ ضياع ثلاثين أو أربعين قرناً من العصر السابق لعصر الكتابة عندنا إلى هذا القرن العشرين .

اللهم نسألك تقدمًا فى الأوان . . لا قبل الأوان ولا بعد الأوان .

---

* الأخبار فى ١٦/٧/١٩٥٦ .

فاجعة . . كاتب الفواجع*

قيل عن الكاتب الأمريكى الكبير – همنجواى – أنه يكتب فواجعه على مثال الفواجع اليونانية التى تتابعت بأقلام أعلامها الأفذاذ منذ القرن الخامس قبل الميلاد ، وبقيت آياتها إلى يومنا هذا فيما بقى من روايات الشعراء الخالدين : إسكيلوس وسفوكليس ويوربيد ، وقد شاهد المعاصرون منها على مسارح القاهرة فاجعة « أوديب » يمثلها « جورج أبيض » ويبلغ بها ذروته فى الإتقان وقوة الأداء .

وفى هذا القول مسحة من الصحة على وجه الحقيقة ولكن أصح منه أن همنجواى نفسه بمصرعه الأليم جدير أن يكون بطلًا معدودًا بين أبطال المأساة اليونانية ، وأن يلحق فى العصر الحديث بأشخاص اسكليب وادميث وانزيس وأوديب الذين حاولوا أن يغلبوا الموت وأن يصارعوا القدر ويتشبهوا بالأرباب ، فعاشوا فى حركة دائمة كأنهم يلاحقون طريدًا شريدًا ويلاحقهم مطارُد عنيد ، وأعقبتهم الأقدار إلى خاتمة المصير .

وقد وصلت إلى القاهرة صحف الغرب ومجلاته التى فصلت أخبار الأديب الراحل فى أيامه الأخيرة إلى اللحظة التى انقضت بموته ، فزادت هذه التفصيلات فى تصوير هذه الفاجعة المحزنة وإبراز تلك الأيدى الخفية التى كان شعراء اليونان الخالدون يسمونها بأيدى ربات القدر Fates ويسندون إليها العمل فى الدفاع الرواية بضحاياها إلى مصيرهم المحتوم وقضائهم المقدور .

وأيًّا كان صدق الخبر عن خاتمة همنجواى فهناك أيدى أولئك « الربات » تبرز إلى مكان القوة الفاصلة فى هذا الفصل الأخير من ذلك الشوط المتدارك السريع ، ذلك الشوط الذى كان كأنما يعدو بصاحبه إلى غاية منظورة أمام عينيه ، لا يستريح ولا يهدأ أو ينتهى إليها .

---

* الأخبار فى ١٩/٦/١٩٦١ .

هل مات خطأ وهو يقلب سلاحه وتنطلق منه القذيفة على غير قصد ، كما قالت زوجته وهي تنفى عنه نية الانتحار ؟.

هذه يد القدر – وليس غيرها – يد غالبة تبطل الحذر وتعمى البصر ، وتقضى على هذا الملاكم المصارع الذى حمل السلاح طول حياته أن يموت بخطأ فى تناول السلاح .

لقد حمل همنجواى سلاحه الصغير قبل أن يحمل قلمًا يكتب به حروف الهجاء فى المدرسة ، وتعلم الملاكمة والمصارعة بعد أن تعلم الوقوف على قدميه ، ولم تنشب فى زمانه معركة لم يتطوع لها وإن دفعته السلطات عنها لضعف بصره . . فاشترك فى الحروب العالمية ، وفى الحرب التركية اليونانية وفى الحرب الأهلية الأسبانية ، وفى الحرب مع ضوارى الآجام والبحار كلما فرغ من الحروب مع الآدميين .

ويموت بعد ذلك بخطأ فى حمل السلاح الذى عرفه سنوات كما عرف أصابع يديه !

أى يد غير أيدى « ربات الأقدار » تشغل مكان القوة الفاصلة فى ختام هذه القصة الجامحة من قصص الحياة ؟ أتراه قد ختم هذه الحياة بيديه ؟

هنا مكان أولئك « الربات » أظهر وأقوى .

إنه رجل يبلغ غاية ما اشتهى من الشهرة والثروة ، ويصبح بين قومه قدوة يقتدى بها الناشئون فى أسلوبه وأدبه ، ويدللونه تدليل الحب كما يدلل البنون « بابا » المحبوب وكما لقبوه وهو يرتضى منهم ذلك التلقيب الحبيب ، وينظر الناظر إليه فيروعه منه هيكل كهيكل الدب الجسيم على ما وصفه واصفوه ، وتتوالى أخباره من وطنه إلى أرجاء العالم فإذا هى أخبار نجاح يتلوه نجاح وإقبال يترقى إلى إعجاب ، وإعجاب يزداد مع الأيام ، ثم تتوالى عليه جوائز التقدير فينال أعلاها فى وطنه وأعلاها فى الآداب العالمية ، ولا يقرن حظه بحظ أديب فى زمانه إلا كان هو صاحب القسط الأوْفر والنصيب الأوفى .

ثم يقضى على هذا « السعيد المجدود » أن يتعجل الموت كما يتعجله أشقى الأشقياء وأخيب البائسين ، وأن يتمنى الهلاك وهو مقام الأمنية المرموقة من الحياة .

غير « ربات الأقدار » لا يقدر على مثل هذا الانحراف بالقصة من قمة الأمل المشرق إلى قرارة القنوط فى غياهب الظلمات .

إلا أنها ربات تعيش فى عصرها ولا تضرب صرعاها بأيدى الناقمات الغاضبات فى أساطير يونان Fury . . لأنها فى غنى عنه بآفات العلة ذوات الأسماء المنكرة التى لم يكن لها اسم معلوم بين آفات الأساطير.

ومن نكد الأيام ودلائل غفلة الإنسان عن خبايا الأقدار أن أم همنجواى أهدت إليه المسدس الذى أطلقه أبوه على نفسه لأنه كان مصابًا بمثل مرضه ، ولعلها كانت غاية الطمأنينة وغاية الأمان من ذلك المصير أن تفكر الأم الرءوم فى إهداء ذلك الأثر المشئوم إلى ابنها الأثير عندها ، وماكانت لتريه إياه لو أنها خامرتها ذرة من الشك فى انطواء ضميره على مثل تلك النية يومًا من الأيام .

بل من دلائل الضعف البشرى بين أيدى الأقدار أن يتحدث همنجواى عن الموت فى كل ماكتب كأنه قضاء القدر الذى لا حيلة فيه ثم يقضيه هو على نفسه بيديه .

كان همنجواى يكتب مقدمته لكتابه عن أشهر حروب التاريخ فيقول : « إن هذا الكتاب لا يعلمك كيف تموت ، فإن أناسًا من القادة يستطيعون أن يدّلوك على خير وسيلة لاختيار تلك الفعلة الصغيرة ولكنها فعلة ضرورية فى النهاية . . كلا . إن هذا الكتاب لا يعّلمك كيف تموت ، ولكنه يعلمك كيف كان الناس من أقدم الأزمنة يحاربون ويموتون . فإذا علمت ذلك فقد علمت أنه ما من بلاء يحل بالإنسان اليوم إلا قد حل به مثله مرارًا قبل اليوم » .

ثم يقول فى توطين النفس على أسوأ الحالات : « ما من جندى صالح يقلق ويضرب ، لأنه يعلم أنه ما من شىء يحصل قبل أن يحصل فعّلا ، وأنه يعيش عيشته إلى أن يتم حصوله ، فلا يوجد الخطر إلا فى ساعة الخطر ، ومن أراد أن يعيش فى إبان الحرب كما ينبغى فلينزع منْ ذهنه كل فكرة عن الخطر المحتمل . فلن يكون الأمر سيئًا إلا ساعة وقوعه ، ليس قبل ذلك بحين ولا بعده بحين . . وليس الجبن حين نميزه من الذعر إلا ضربًا من العجز عن تأجيل عمل الخيال ، ومن تعلم كيف يعلق عمل خياله

وأن يعيش فى صميم لحظته الحاضرة بغير قبل ولا بعد فقد تعلم أفضل خصال الجندية » .

ولكنه يتبع ذلك على الأثر قائلا : « إن هذه الخصلة نقيض جميع الخصال التى تصلح للكاتب ، وذلك الذى يجعل الكتابة الحسنة من الجندى الحسن هبة نادرة نحرص عليها أشد الحرص كلما وجدناها » .

* * *

ولسنا ندرى أى الخصلتين كانت تلازمه فى أواخر أيامه ! خصلة صاحب السيف أو خصلة صاحب القلم .

ولكن الذين تعودوا رؤيته منذ سنتين كانوا يقولون إنه كان دائم الغم والكآبة ، وكان يعانى حالة من حالات الوجوم والسآمة حار فيها أطباؤه النفسانيون ، فاضطروا إلى معالجته باستخدام الهزات الكهربية لاستنهاض همته واستعادته إلى ديدنه القديم من حب الحركة والمغامرة ، واشتدت هذه الحالة جدًّا بعد وفاة صديقه جارى كوبر فخيف عليه عواقب الحزن والملل وغوائل الزهد فى العزاء والأمل ، ولم يفاجأ عارفوه بإشاعة موته المبتسر ، لأنهم علموا أن رجلا فى مثل طبيعته الجامحة لا يستكين طويلا إلى هذا الوجوم ولا يطيق الاستسلام لذلك الانقباض ، وشاعت أخبار مرضه بضغط الدم وداء السكر وذكرى أبيه الذى قضى على حياته بيده وتعرض لوساوس سن اليأس على ما يظهر قبل أوانها ، وهى وساوس سن تعرض للرجال كما تعرض للنساء وإن تأخرت فى الرجل عن مثل أوانها فى المرأة ، فيتبعها فيها عارض عنيف من عوارض الحيرة واختلال التوازن ، يزول مع اعتدال الجسد فيما عدا ذلك ، وقلما يحس مع امتلاء النفس بشواغل العاطفة أو شواغل اليقين .

أما همنجواى فقد كانت شواغله كلها منذ أيام صباه شواغل النفس الجياشة التى لا تطمئن إلى قرار فى داخلها ، فلا تزال منصرفة عن إلحاح الشعور عليها بهذا الفراغ إلى الحركة الدائمة والاندفاع من اقتحام إلى مغامرة ومن مغامرة إلى اقتحام ، تعويضًا عن السكينة الباطنة بضجة الحياة الظاهرة فى كل مجال مطروق ولا سيما مجال الصراع واقعًا

فى الدنيا أو موصوفًا على صفحات الأوراق .

وقد كان همنجواى واحدًا من أبناء ذلك الجيل الذى فقد اليقين بشىء من الأشياء بعد الحرب العالمية الأولى وزادته مقدمات الحرب الثانية فقدانًا على فقدان فأطلقوا على أنفسهم اسم « الجيل الضائع » واعتبروا الكاتب الكبير ترجمانًا لهم ينفس عنهم لأنه يشرح لهم شعورهم وشعوره بتلك القصص العارمة التى أخرجها واحدة بعد أخرى تعج بضجّة الحركة فى غير معنى واضح وإلى غير مقصد معلوم . وغلب همنجواى على ذوق العصر كله لأنه كان كاتبه الأسبق الذى اهتدى فى اللغة إلى أسلوب « قومى » مستقل عن أساليب اللغة الإنجليزية فى بلادها ، وجعل ابن العالم الجديد يشعر وهو يتنبه لوجوده « القومى » بالأسلوب الأمريكى للأمريكيين ، لأنه – على انطلاقه من قيود المحاكاة لأساليب كتّاب الإنجليز – أسلوب مفتول.محكم الفتل كالأسلاك المعدنية ، فى أمة الصناعة وعصر المصنوعات !

وقد ختمت حياة هذا الأديب الأمريكى الصميم بعد ختام حياة الجيل الضائع بسنوات ، لأنه الجيل الناشئ فى بلاده ينتقل الآن من الشعور بالضياع إلى الشعور برسالة له ورسالة لبلاده ، وليس هو بالجيل الضائع على أية حال ، بل ليس هو بالجيل الذى يترجم عنه همنجواى ويعطيه أسلوبه الأول الذى تبعته الآن أشتات متفرقة من الأساليب ، ولكن المكانة التى بلغها هذا الكاتب العلم بين قومه قد بقيت له بحق الوفاء وحق السبق إلى الطليعة ، فشيعه قراء جيله وقراء هذا الجيل بعبرة الحزن على الأثر الحى فى زمانه والأثر الخالد بعد زمانه : أمريكيًّا للأمريكيين .

أما الأديب همنجواى فى سجل الأدب العالمى ، فله مكانه الذى لا يمترى فيه . إن له كتابات لا يتخيل القارئ المطلع كيف كانت تكتب على غير هذا النمط الذى خرجت به من قلم همنجواى ، كما قال بعض ناقديه فى تأبينه ، وتلك هى علامة الخلود وشارة العالمية ، وقد كسب بآثاره هذه إعجاب القراء الناشئين فى غير بلاده ومنهم شاب يحب الأدب ويحب الفن هو الأديب« حسن عنبر »طالب الفنون بجامعة القاهرة ، أهدى إلى صورة كبيرة للكاتب الأمريكى نقلها عن بعض صوره الشمسية

فدل على إلهامه أنه رسم حول عينيه ملامح الحزن وقد كادتْ أن تخفى فى الصورة الشمسية التى كانت تمثله وهو فى عنفوان القوة والإقبال على الحياة ، وكأنه نظر بإلهام الفنان إلى الغيب المكنون حول تلك الجفون ، فرأى فيها ما لم يكن باديًا للنظرة الأولى أنه شعور منظور .

وبهذا التجاوب بين الكاتب الكبير وبين قرائه فى بلاده وغير بلاده ، يعيش فى سجل البقاء ، ويمضى مأسوفا عليه .

همنجواى مرة أخرى *

وفى هذه المرة يتكلم همنجواى عن الأديب الذى يشتغل بالصحافة ويرويه السيد « سعيد القصبى » بأسيوط فيسأل مستفسرًا :

« . . عاش همنجواى حياتين منفصلتين كما قرأنا : حياة للأدب بكل ما فيها من خلق ومكابدة لمشكلات الأديب الفنان ، وحياة للصحافة يعارك فيها الإنسانية من أجل الحياة والارتزاق . وفى رأيه أن الصحافة تلتهم الأدب وأن المبرر الأوحد للكتابة الصحفية أن يحصل الأديب على مكافأة تجزيه . . وفى نفس الموضوع كتب سومرست موم فقال إن الأدب يجتاز محنة . . فالإنتاج الأدبى الذى يحقق الخلود أخذ يتناقص بصورة واضحة . وفى رأيى أن الصحافة هى المسئولة عن هذه الأزمة ، فقد انتقلت عدواها للأدباء . . والآن أتوجه إليك راجيًا الاستنارة برأيك فيما إذا كانت الصحافة تخدم الأدب أو تضره ؟ وهل الصحافة هى المسئولة عن هذه الأزمة ؟ » .

وأقول للسيد القصبى : إن الأدب الارتزاقى قد وجد فى عصر ولم يكن سببًا للإسفاف ولا للتحول من أدب الخلود إلى أدب الزوال ، وهل يظن أحد أن هوميروس نظم إلياذته الخالدة وهو يختار بين صنفين من الشعر أحدهما للفن والآخر للارتزاق ؟ .

إن الشاعر أو الكاتب ، الذى يهبط باختياره عن طبقة الفن الجميل خرافة من خرافات الأوهام ، لأن الإنسان لا يشوه بيديه ما يستطيع أن يخرجه عن تينك اليدين جميلا موفور الحق فى الإتقان ، ولكنه يبيع بضاعة ليس فى استطاعته أن يزيد فى قيمتها الفنية لو أراد .

والذى أعلمه من تجربتنا فى أدبنا الحديث أن الصحافة أفادت أشهر الأدباء بالتقريب بينهم وبين قراء الكتابة الأدبية وقراء الكتابة السياسية .

---

* الأخبار فى ١٩/٦/١٩٦١ .

وفى طليعتهم المازنى وهيكل والبشرى والمنفلوطى وطه حسين ودياب ، وأن اشتغال الأديب بالسياسة لا يفقده قراء الأدب بل ويضم إليهم من كان قبل ذلك لا يقرأ غير الصحافة السياسية .

وربما شغلت كثرة الصحف جمهورًا من القراء لا تتسع أوقاتهم ولا رغباتهم للجمع بين مطالعات الأدب ومطالعات السياسة ، ولكن الأمر قبل ذلك يتوقف على رغبة القارئ وقوة استعداده ، فلا يعقل أن وجود الصحف هو الذى يشغله عن مطالعة الكتب وهى موجودة كذلك أمام عينيه ، إلا إذا كانت رغبته أضعف من أن تسلكه بين القراء الذين تعيش بهم الآداب والفنون .

وإذا رجعنا إلى الإحصاء فقد تعلم أن عدد المطبوع من كتب الأقدمين الخالدة يزيد فى عصر الصحافة على عدد المقروء منها فى زمانها ، فلا نحسب أن العوامل الجوهرية لنشأة الأدب النفيس تخضع كثيرًا لأمثال هذه الاعتبارات العارضة . وإن كان لها أثرها الذى لا بد منه إلى حد محدود .

ولو أننى سئلت : ما هى شكواك من الصحافة فيما عانيته من جهودك الأدبية ؟ لقلت غير مصر على ما أقول : إننى كنت أود لو كانت أوقاتى فى التأليف أوفر من أوقاتى فى مكاتب التحرير ، ولكننى أعود فأقول : إننى غير مصر على ذلك الأسف ، لأن الخسارة هنا تعوضها وتزيد على تعويضها فائدة التحرير فى المرانة على سرعة الكتابة ، وفائدته التى أشرت إليها آنفا فى توسيع الصلة بينى وبين أكبر عدد من قراء الصحف وقراء المؤلفات .

* * *

. . أنا مع سيادتكم من حيث جواز انقراض الأضداد فى اللغة اليوم . . أما المترادفات فإننى لا أفهم أنها كلمات متعددة بمعنى واحد كما يفسرها بعضهم ولكننى أفهمها على أنها كلمات تصدر درجات متعاقبة من المعنى الواحد . . ولن تنقرض لأجل هذا بالتخصيص والتمييز » .

إبراهيم أمين فودة

الزمالك

وإننى أقر الأستاذ « فودة » على قوله إن المترادفات لم تنشأ من مادة واحدة ولم تنشأ كذلك للدلالة على معنى واحد . .

فالعظيم فى أصل وضعها إنما كانت تدل على الجسم كبير العظام ، وصح من أجل هذا أن يقول الشاعر :

لقد عظم البعير بغير لب　　فلم يستغن بالعظم البعير

ولكن من الذى يصف الجمل اليوم بأنه عظيم كما يصف البطل الكبير ؟

إن هذا بعض ما أردناه بعمل التخصيص والتمييز فى استخدام الكلمات لغير ما وضعت له فى أصولها ، وقد تخصصت العظمة لمعانيها الآن بعد استخدامها فى الأوصاف النفسية والخلقية ، فمن أراد غير ذلك قيدها بعظمة الحجم أو عظمة الجسم ، فقال عما يصفه فى ذلك إنه حجم عظيم أو جسم عظيم ، ويندر أن يكتفى بوصف العظيم إلا كان المقصود أنها عظمة الأخلاق والأعمال .

وقد كان « الجميل » بمعنى « الشحيم » قبل أن تشيع على الألسنة بمعناها الحديث ، ولكنها تتخصص الآن لمعنى يخالف السمنة ، وقد يناقضها مناقضة النحيل للبدين ، وعلى هذا يطرد عمل التخصص والتمييز .

الأطفال هم الذين يخلقون العيد*

مما استوقف النظر فى خميسنا هذا كثرة السؤال عن « الوقفة » هل هى اليوم أو غدًا ؟ وهل الجمعة اليتيمة فى هذه السنة آخر رمضان أو هى أول شوال ؟

والأطفال هم أكثر السائلين عن خبر هذا اليوم ، لأن مراسمهم القديمة توجب عليهم تقليدًا محترمًا عندهم لا يحبون أن يغفلوا عنه إذا غفل الكبار عن تقاليدهم المرهقة وما يرتبط بها من التكاليف والنفقات ، لأن الأطفال الصغار هم الذين تكلفوا قديمًا بالنداء ، أو بالصياح ، حول البيوت :

الليلة الوقفة وبعده العيد !

ولابدّ من احترام الكبار لهذه التقاليد إن كانوا منصفين ، لأن الأطفال الصغار هم الذين يخلقون الأعياد فى الحقيقة وليس غير الطفل الصغير أحد يستطيع أن يخلق السرور حسب الميعاد وكلما أراد ليكن « عيد » فهو عيد . .

وليكن سرور فلا مناص من السرور ولا يحتاج إلى سبب للسرور أقرب من هذا السبب الذى يستغنى عن كل سبب آخر :

أطفالهم مسرورون مستبشرون فلا مناص لهم من السرور ، طائعين أو مكرهين . .

ومن شاء فليجرب « عيدًا » فى مكان لا أطفال فيه ، وليقل لنا كيف يستطيع أن يتصوره مجرد تصور ، ولا تسأله أن يحققه لنفسه باليقين .

ولكننا ندع الأطفال ومراسمهم ولا نجهدهم بسؤال عن « الوقفة » . . يذكرهم بمكاتب الحفظ والامتحان وهم مستريحون منها هذا اليوم ، ومستريحون منها إلى مدى أسبوع .

* الأخبار فى ٢٢/ ٣/ ١٩٦١

تدع الأطفال ونسأل أنفسنا نحن الكبار : ما هى وقفة العيد الصغير ؟ وأين هو يوم الوقفة من أول شوال ؟ .

إن الوقفة قبل العيد الكبير مفهومة ، لأن الوقوف على عرفات ومناسك الحج فريضة من فرائض هذا العيد ، ولكن ما هى الوقفة قبل عيد الفطر ؟ ولماذا نسمى آخر رمضان يوم وقفة ولا وقوف فيه على منسك من مناسك الصيام أو الإفطار ؟

إن وقفة رمضان هنا مستعارة من وقفة ذى الحجة ، وفيها لنا درس مفيد من دروس اللغة نتعلم منه الشىء الكثير عن أسرار وضع الكلمات ، أو نتعلم منه كفاية القليل من المناسبات لإطلاق الكلمة على المعنى المصطلح عليه ، ثم يتكفل الاصطلاح بالبقية فتصبح الكلمة مفهومة متداولة على معناها المستعار ، بغير سؤال .

إن الذين يتهمون اللغة العربية بضيق الحظيرة ويظنون أنها تضيق عن اختراع المصطلحات المتفق عليها فى لغات العلوم الحديثة خليقون أن يقفوا قليلا يوم وقفة العيد الصغير ، ليذكروا أن كل مناسبة كافية لخلق الكلمة التى تؤدى معناها الأصيل أو المستعار ، فليس من العسير خلق كلمة تؤدى معنى المخترع الحديث بملابسة من الملابسات ، فإنها ستساوى على الأقل ملابسة الوقفة فى شهر رمضان .

إننا سمعنا من بعض إخواننا المسيحيين من يطلق اسم الوقفة على اليوم السابق لعيد القيامة ، لأنها اكتسبت معنى اليوم الذى يسبق العيد حيث كان . وانفصلت عن معناها الأصيل كل الانفصال .

وهكذا نتعلم كيف نذكر هذه الحقيقة عند البحث فى خلق المصطلحات العلمية باللغة العربية ، فما من اختراع يستعصى علينا أن نذكره بصفة من صفاته البعيدة أو القريبة ، ثم يصقله الاستعمال بعد تداوله أياماً على الألسنة وصفحات الأوراق .

ولنقف مرة أخرى عند يوم « الوقفة » أو يوم الجمعة « اليتيمة » ليذكر كيف تسلسل هذا الاصطلاح حتى وصل إلى إطلاق « اليتم » على الجمعة التى تسبق العيد .

إن « اليتيم » وهو الشىء المنفرد الذى لا يأتى له نظير .

ويسمى اليتيم يتيمًا ، لأنه فقد أباه ، فليس من المنتظر أن يأتى له أخ من أبيه وأمه .

وتسمى الدّرة النادرة « يتيمة » لأنها تنفرد بنفاستها وجمالها فلا يقترن بها درة تضارعها .

وتسمى الجمعة اليتيمة يتيمة لأنها آخر جمعة فى شهر رمضان ، فليس بعدها يوم تقام فيه صلاة الجماعة وتجرى فيه مراسم هذا اليوم بمسجدها المشهور .

وهذه أيضًا كرامة من كرامات اللغة فى خلق الأسماء ، وتبديل المعانى من طرف إلى طرف ، ومن اليتم الحزين إلى اليتم النفيس المستعار .

ووقفة أخرى نقفها مهنئين بالوقفات والجمعات والأعياد ، ونرجو أن تكون تهنئة بسائر الأيام ، على مدى العام ، أو الأعوام .

لغة الصاندوتش*

« . . سمعت أحد هيئة كبار العلماء فى مسجد الحسين يقول فى تفسير قوله تعالى : وزنوا بالقسطاس المستقيم – إن الكلمة رومية كثر استعمالها بين العرب . . فإذا كان الله سبحانه وتعالى يذكرها فى كتابه فلماذا لا نبقى نحن الكلمة الخفيفة اللفظ كالصاندوتش مثلا بدلا من (شاطر ومشطوروبينهما طازج) .

وأقول هذا لأننى قرأت فى الأسبوع الماضى أن مجمع اللغة العربية جاءنا بكلمة « عرباض » بدلا من إحدى الكلمات التى انتشر استعمالها ، وقد قالت إحدى الصحف إن استعمال هذه الكلمة صعب جدًّا فما رأى سيادتكم فى هذا الموضوع ؟ نرجو الإجابة فى يومياتكم بالأخبار الغراء مشكورين » .

مزمل أحمد عبد المنعم السلواوى

يعلم الله والراسخون فى العلم والذين يسمعون أخبار المجمع من غير طريق القافية البلدية أن الشاطر والمشطور والطازج بينهما شىء لم يخطر على لسان أحد من المجمعيين ، وإنما اختار المجمع كلمة « الشطيرة » لترجمة الصاندوتش لأنها أصح دلالة على المعنى وأخف على اللسان ، إذ كان الأصل فى كلمة الصاندوتش أنها اسم رجل مقامر كان يلازم مائدة القمار ولا يفارقها ريثما يأكل وجبة الطعام فى موعده ، ولكنه كان يطلب الخبز والجبن أو اللحم وهو فى مجلسه فيصنع منها الشطيرة التى سميت باسمه ولم يحسن جلساؤه أن يختاروا لها اسمًا غير اسم من يأكلها ، وأصبح جماعتهم من آكلى لحوم البشر وهم لا يشعرون .

وكلمة الشطيرة صحيحة جدًّا وخفيفة جدا وسهلة الشيوع على الألسنة وأطيب فى

* الأخبار فى ١٩٦٠/١١/٢ .

الذاكرة من أكل السيد صاندوتش اسمًا أو جسمًا أوحكمًا موقوف التنفيذ !

أما كلمة « عرباض » فهى ترجمة لكلمة « سبنيولا » وأخف منها وأولى بالاستعمال حين تريد التمييز بين القفل والمغلاق والرتاج والمترس والمزلاج وغيرها من أشباه هذه الأدوات القديمة والحديثة وهى على اختلاف .

وعرباض مع هذا ليست بأثقل من عربات وعربون وعربيد من الكلمات التى تحتوى أكثر حروفها وتتردد كل يوم على ألسنة الكبار والصغار . وليست هى ، بعد ، بأثقل من كلمة صاندوتش وقد استخفها الأديب صاحب السؤال .

ولا ندرى من هو الصحفى القائل بأن النطق بها صعب على شفتيه الرقيقتين ، ولكننا لا نلوم المجمع ولا القادرين على النطق بهذه الحروف إذا شاء من شاء أن يجعل نفسه « دلوعة » على حساب اللغة العربية فلعله أحوج إلى علاج لشفتيه منه إلى النقد والاعتراض ، ولعله يذكر أن اعتراضه يجمع حروف العين والراء والضاد التى جاءت فى كلمة عرباض وزادت عليها بالتاء . . فيترك الاعتراض ويقبل العرباض .

الأسماء والطوائف*

(. . فى ترجمة لكم قرأت أن اسم عباس من أسماء الأسرة النبوية لأنه اسم العباس بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم ، فهو – إذن – من الأسماء التى يتسمى بها المسلمون كمحمد وعلى وحسن وحسين ولا يتسمى بها أبناء الديانات الأخرى . ولكنى رأيت أخيرًا أحد إخواننا المسيحيين باسم عباس وسمعت أن بعض اللبنانيين المسيحيين يسمون أبناءهم باسم حسن . . فهل للتفرقة فى الأسماء تاريخ معلوم بين الطوائف الدينية ؟ . .) .

عباس خليل

أسيوط

إن التفرقة الحاسمة بين الطوائف الدينية لم تعرف قديمًا فى بلاد الشرقين الأدنى والأوسط . وقد كان للخليفة المقتفى طبيب مسيحى اسمه على بن الراهبة وكاتب اسمه الحسين بن عمرو . وذكر البيرونى فى الآثار الباقية عليًّا بن على الكاتب من المسيحيين . . ومن القبط فى مصر من تسمى باسم أحمد ومنهم ماجد بن أحمد فخر الدين القبطى صاحب ديوان الجيوش المنصورة المتوفى سنة ١٣٨٦ ميلادية ، وروت مجلة الخزانة الشرقية عن صحيفة المقطم بتاريخ ١١ يناير سنة ١٩٣٠ (أنه قدم بيروت أحد أعيان الحوارنة السيد حسن فلوح وهو من الروم الملكيين فقيل له : هل أنت مسيحى أو مسلم ؟ فقال : أنا مسيحى . . وأظنكم تستغربون ذلك واسمى حسن ، فإننا ألفنا منذ القدم هذه الأسماء التى نحبها كثيرًا وقد تستغربون إذا قلت لكم إن اسم والدى محمود .

ومن أسماء المستعربين المسيحيين اسم خالد بن سليمان وصالح بن عمر كما جاء فى

* الأخبار فى ١٩٦٢/٨/١٥ .

تاريخ المستعربين للعالم الأسبانى أنجل بلنسيا نقلاً عن المجلة المذكورة ، قالت : (ومن الغريب أن الأساقفه أنفسهم كانوا على مثل هذا الزى ، واشتهر منهم أسقف قرطبة ربيع ابن زيد ، وحكى المقرى فى تاريخ سنة ٣٥١ هجرية أن المستنصر بالله تقدم باستدعاء أردون . . وقد حفته جماعة من نصارى وجوه الذمة . . فيهم وليد بن خبروت قاضي النصارى بقرطبة وعبيد الله بن قاسم مطران طليطلة . .) .

فالتسمية بأسماء الأسرة النبوية وأسماء الخلفاء لم تكن قليلةً بين المسيحيين فى المشرق ولا فى المغرب ، وقد بقيت هذه الأسماء التى دونتها كتب التاريخ فدلّ وجودها على مئات غيرها لم تتصل بالأخبار التاريخية .

ويغلب على الظن أن تخصيص بعض الأسماء لبعض الطوائف على هذا النحو الحاسم الذى لوحظ فى العصور المتأخرة إنما نشأ منذ زمن غير بعيد فى عصر الدولة العثمانية ، بعد أن تقررت نظم الامتيازات الأجنبية وانفصلت كل طائفة غربية أو شرقية بقضائها الخاص فى الأحوال الشخصية ومعاملاتها المختلفة بنصوص التشريع والأحكام الإدارية .

لغتنا السمحة*

« . . . أصدرت هيئة البريد أخيرًا طابعا تذكاريًّا للدعوة إلى إنقاذ آثار أبو سمبل التليدة . . ويلاحظ أن بعض الصحف يلتزم قواعد الإعراب على اختلاف مواقع الرفع والنصب والجر ! وهى أبو سمبل وأبا سمبل وأبى سمبل . . وبعضها لا يلتزم قواعد الإعراب فى كل حالة ، ولا يرسمه بغير الواو ولو كان فى موقع المفعول أو المضاف إليه . . فأى الطريقتين أصح فى الرسم وأوفق للقواعد اللغوية . . . » .

عيسى متولى

وكيل مكتبة بنك مصر

وعلينا للسيد وكيل المكتبة أو نشكر له هذه الغيرة على اللغة وهو يقيم بين الكتب والأسفار فى دار المال والاقتصاد ، ولكننا نرجو أن يطمئن على هذه الغيرة المشكورة ، إن الطريقتين مقبولتان فى لغتنا السمحة التى تعرف للمرونة حقها كما تعرف هذه الحق للصلابة والثبات .

فمن اللغويين من يرى أن الأسماء المركبة والمجموعة أو المثناة تبقى على صيغتها الموضوعة ولا تتغير حسب العوامل النحوية لأنها تؤخذ على الحكاية كما ينطقها من وضعوها ويألفها من تداولوها .

فنحن نقول مثلا ابن زيدون ولا نقول ابن زيدين ، ونقول لمن يسمى « حسنين » ، حسنين موجود ولا نقول « حسنان موجودان » .

وإذا سمى أحد من الناس « محمدين » كما يحدث كثيرًا فى الصعيد وفى بلاد النوبة

* الأخبار فى ١٩٦٤/١/٨ .

حيث توجد آثار أبي سمبل لم نقل « ولد محمدان فى الشلال » أو جاء محمدون من الصعيد . .

وقد يكون من الأفضل فى رأيي أن ألتزم قواعد الاسماء الخمسة فى كتابة أبى سمبل كما أفعل فى هذه الكلمات ، ولكننى لا أرى من الحق أن نحجر على من يخالف هذا الرسم ، لأنه ينقل الاسم بلفظه المصطلح عليه فى الخطاب .

أما الأسماء المجموعة أو المثناة فليس فى وسع المعرب أن يتقى السخرية إذا أعربها بالألف والياء ، والواو ، وهى مكتوبة فى دفتر المواليد « محمدون وحسنين » .

وما دمنا لا نستطيع أن نقول : « حسنانُ موجودان » فلا حيلة فى معاملة « حسنين » معاملة المفرد فى كل موقع من مواقع الإعراب ولا حيلة للكاتب المصرفى الغيور على اللغة فى رفض « الشيك » الذى يكتب فيه « حسنان » بدلا من حسنين ، ولو كان فى موقع الابتداء . . !

النشوز . . . والتنمر*

سألني أمس صديق أديب عن رأيي في ترجمة رواية شكسبير Taming of the shrew بتأديب الناشز ، وقال لي : إن الدكتورة سهير القلماوي التي تتولى ترجمتها فضّلت هذه التسمية على اسم « ترويض النمرة » الذي اختاره الأستاذ إبراهيم رمزي رحمه الله .

وإذا صح ما سمعته من الصديق الأديب فترجمة شكسبير تحتاج إلى تحقيق أصح من هذا التحقيق .

لأن الفرق بين النمرة والناشز بعيدٌ ، بل جِّد بعيد .

إذ كانت الزوجة الناشز تهجر مسكن زوجها ويصلحها الرد إليه ، ولا يلزم من التنمر أن تخرج المرأة من بيت الزوجية بل لعلها تستقر فيه ولا تفارقه ولو طردت منه .

والناشز تكره زوجها وتقلاه ولا تحب أن تعيش معه ، ولكن المتنمرة قد تحبه وتهواه ، وقد يكون تنمرها من قبيل المناوشات والمغايظات التي يتبادلها الأحباء .

والناشز قد تترك بيت زوجها أو تعيش فيه ولا تنبس بكلمة واحدة .

أما النمرة أو المتنمرة فلا تسكت عن لذعات اللسان ولو كانت على مائدة الطعام !

والنشوز لا يكون إلا بين المرأة وزوجها ، ولكن التنمر خليقة تكون في المرأة مع كل إنسان : مع زوجها وأهل زوجها ، ومع أبيها وأمها ، ومع الصواحب والجارات .

وإذا اطلع القارئ على رواية شكسبير علم أن الأساليب التي لجأ إليها الرجل لترويض الزوجة السليطة أو المتنمرة تنفع حقًّا في تخويفها وتهدئتها وتنجع في تهذيبها حيث يكون الأمر كله مستدعيًا للتهذيب والتأديب .

ولكن هذه الأساليب قد تزيد المرأة الكارهة كراهة لزوجها ونفورًا من معاشرته

* الأخبار في ٣٠/١/١٩٥٦ .

والإقامة معه فى مسكن واحد ، وقد يكون نشوزها لأنها هى المهذبة المؤدبة وزوجها هو المحتاج للتهذيب والتأديب .

وهذا هو الفارق البعيد فى معنى العنوان .

فكيف يكون الفارق أو الفوارق فى الرواية كلها بما اشتملت عليه من مناظر وفصول .

كان الله فى عون الأدب إن لم يتدارك فهمه بتحقيق أصح من هذا التحقيق .

مثل عامى*

« . . . . اختلفت مع بعض الأصدقاء حول تفسير كلمات (كشكار دائم ولا علامة مقطوعة) ورأينا أن نحتكم إليكم . فهل تتفضلون بشرح هذا المثل وبيان معنى كشكار وعلامة ؟ »

محمد منير
مؤلف برنامج مع الناس بالتليفزيون

هذا مثل من أمثلة العامية الشائعة فى الوجهين البحرى والقبلى ، مضى على تداوله أكثر من سبعة قرون ، وقد ذكره الأبشيهى صاحب كتاب المستطرف : (صفحة ٣٤) وهو – كما هو معلوم – من أبناء إقليم الغربية عاش إلى سنة ١٤٣٩ ميلادية ، ولا بد أن يكون هذا المثل متداولا قبل مولده بزمن كاف لسريان الأمثال بعد نشأتها .

وقد أثبته العالم المحقق أحمد تيمور (باشا) فى مجموعته الكبيرة للأمثال العامية تحت رقم (٢٣٤٦) فقال :

« الكشكار – أو الخشكار – هو الدقيق الخشن ، والعلامة الدقيق الحوارى ، والمراد الخبز المتخذ منهما ، يضرب فى تفضيل الردىء الدائم على الجيد الذى لا يدوم بل ينال غبًّا . والمثل قديم فى العامية أورده الأبشيهى بلفظه فى المستطرف . وقريب منه قولهم : بيضتها أحسن من ليلتها . وقد تقدم فى الباء الموحدة .

وقال فى شرح « بيضتها أحسن من ليلتها » ما يأتى :

(بيضة الدجاجة . . . والمراد بليلتها ليلة تذبح وتؤكل ، أى أن فى الإبقاء عليها نفعًا مستمرا ، يضرب فى أن القليل الدائم خير من الكثير المنقطع ، وفى معناه قولهم :

---

* الأخبار فى ١٢/١٢/١٩٦٢ .

كشكار دائم ولا علامة مقطوعة . . وسيأتى فى حرف الكاف .

وهو المثل الذى سأل عنه السيد منير ، وفى طريقة العالم المحقق دليل على أسلوبه فى المقارنة بين معانى الأمثال ، ودليل على العصر الذى سار فيه هذا المثل من استخدام كلمة الكشكار للدقيق المختلط فهى دخيلة على اللغة الغربية .

تورلى . . *

فى لغة المطاعم صنف يسميه « الترك » ، « تورلى » وتنقله عنهم بلفظه ومنهجه فى التأليف والتصنيف .

ويسميه أبناء الصعيد « خلطة » أو « خضار خلطة » إذا كان من « الخضر » المطبوخ .

ويسميه أبناء الصعيد الأقصى والنوبة « جكوت » .

وقد يطلق عليه أبناء النوبة العليا « أتر » بتشديد التاء .

ولم يوجد قط أحد من ناقدى المائدة يعيب على صفحة من هذه الأطعمة أنها طعام على غير منهج ، أو أنها تجمع بين أشتات من الأصناف ولا تطبخ من صنف واحد ، لأنه يكفى أن يعرف اسمها ليعرف أن تنويع أصنافها هو فضيلتها الكبرى ، وهو الغرض من طبخها ولو وجد كل صنف من أشتات أصنافها على انفراد .

---

* الأخبار فى ١٥/١/١٩٦٤ .

سلسلة تراث الإنسانية والنقد الموضوعى*

فى لغة المدارس كراسات يسمون الكراسة منها بالكشكول ، ويقرأ فيها القارئ صفحة فى التاريخ إلى جانب صفحة فى الجغرافية بين صفحات متفرقة فى اللغة أو الحساب أو الترجمة والإنشاء .

وتقع الكراسة فى أيدى مفتشى المدرسة فلا « يخصم » يوم من مرتب المدرس ولا يسقط درجة من شهادة التلميذ ، ولا يتهم « الكشكول » بالخروج على برنامج التعليم .

لكن مجموعة « التراث الإنسانى » تلقى كل يوم من النقاد « الموضوعيين » ما لم يلقه طبق التورلى ولم تلقه كراسة التلميذ .

لأن « الناقد الموضوعى » ويا للعجب لا ينظر إلى موضوع التراث الإنسانى ولا ينظر فى معنى اسمه ولا فى موضعه من التأليف والتصنيف ؟

وما هو تراث الإنسانية كلها بأيسر نظرة إلى معنى الكلمتين ؟

تراث الإنسانية هو مؤلفات كل الأمم لا أمة واحدة ، وكل العصور لا عصر واحد ، وكل الموضوعات لا موضوع واحد من العلم أو الأدب أو التاريخ أو القصة أو من أشتات علوم الرياضة والكيمياء وطبقات الأرض وفروع الطب والهندسة وكل معرفة من معارف بنى الإنسان فى كل مطلب وكل موطن ، وكل زمان .

ولا تجمع مؤلفات التراث الإنسانى لتخصص فى موضوع كل تأليف ، ولا بتسجيل تواريخها المتعاقبة بالترتيب والتبويب .

ولكنها تجمع للذين يأخذون فكرة عن كل كتاب وخلاصة وجيزة عن كل

* الاخبار فى ١٩٦٤/١/١٥ .

موضوع ، ويقرأونها كلما أرادوا القراءة غير ملتزمين فيها منهجًا غير منهج التنويع والإلمام من الكثير الموزع بالقليل المجموع .

فكيف ينشر هذا التراث كله على طريقة غير طريقة المتفرقات فى الباب الواحد فضلاً عن عشرات الأبواب ، أو مئات الأبواب ؟

وكيف يلتفت الناقد « الموضوعى » إلى موضوعاتها ثم يقضى على الناشر أن يحصرها فى موضوع بعد موضوع ، ولا ينتقل من مطالعة من مطالعاتها العلمية والأدبية أو الفنية قبل أن يفرغ منها كل الفراغ ، ويستقصيها غاية الاستقصاء ، ويظل قراء المجموعة من طلاب الموضوعات الأخرى فى انتظار الدور صفًّا بعد صف إلى اليوم الموعود ؟

وكيف يصبح « التراث الإنسانى » قراءة مقصورةً على طلاب صنف واحد من أصناف ذلك التراث الذى يتسع لأشتات من قرائه وأشتات من مؤلفيه وملخصيه ؟

ومن الوجهة العملية كيف يتأتى انتظام تأليفه على هذا الترتيب ؟

يأيها المختصون بالفلسفة اليونانية وثقافة اليونان على الإجمال خذوا هذه الكتب فلخصوها وترجموا لمؤلفيها وعلقوا على تلخيصها وعلى ترجمتهم فى مدى هذه الأسابيع أو هذه الشهور .

حسن !

وماذا يصنع المختصون بالموضوعات الأخرى من ثقافات الرومان والفرس والهنود والألمان والروس والإنجليز والمصريين الأقدمين والمحدثين خلال هذه الأسابيع والشهور ؟

أيفرغون من تلخيصهم وتعليقهم ثم ينتظرون ؟ وهل من المستطاع أن يفرغ كل كاتب من عمله فى دوره المقدر بالترتيب لكل كتاب ؟

وهل يصدر الجزء من الأجزاء لقراء التراث اليونانى دون غيرهم من قراء المتفرقات أو قراء التخصيص ؟

وكيف يسيغ القارئ الذى لا يريد التخصص فى الفلسفة اليونانية أن يقرأ فى كل جزء عشرة كتب متوالية فى هذا الموضوع ؟

يفتينا فى ذلك ناقدنا « الموضوعى » السيد عبد الفتاح البارودى فيلاحظ كما لاحظ على هذا الترتيب :

أوّلا : ألاحظ أن هذا التراث ينشر بلا منهج واضح . . . أن الموضوعات نفسها مدزوسة ، ولكنى أفضل أن تنشر حسب الترتيب التاريخى ، فتبدأ مثلاً بالأدب الإغريق ، ثم الرومانى ، وهكذا ، أو تنشر حسب تقسيمات المدارس الأدبية ، فتبدأ مثلاً بدراسات متوالية للأدب الكلاسيكى ثم دراسات متوالية للأدب الرومانسى . . . وهكذا . . . المهم هو التزام منهج يساعد على التعريف والتنوير .

ثانيًا : نحن فى حاجة إلى التراث الإنسانى كله ، ولكننى أفضل البدء بنشره على ضوء احتياجاتنا ، كأن تكون الموضوعات المختارة مرتبطة بواقعنا الأدبى والفنى ، ولو فى جزء محدد من كل عدد . . . فإذا كان مسرحنا يقدم بيجماليون لتوفيق الحكيم مثلاً نحاول نشر دراسات عن أسطورة بيجماليون وكيف تناولها الفنانون فى مختلف العصور . . إلخ إلخ إلخ .

مفهوم هذا ؟ ممكن هذا ؟

موضوعى هذا يا عباد الله ؟

إن السيد « عبد الفتاح » لا يستطيع أن يجيب ولو لم يقسم اليمين .

ولكنه يستطيع أن يفتى فتاواه ، وليس له أجر على الله ، ولا على أحد من عباد الله . . !

تاريخ الهكسوس*

فى خطاب من الأستاذ أحمد عبد الجواد عبد الباقى المدرس بالقاهرة يقول الأستاذ – نقلا عن بعض المراجع التاريخية – : إن « الهكسوس » الذين حكموا مصر قديمًا كانوا قومًا من أرض فلسطين وأنه قرأ فى كتاب أن « هكسوس » مركبة من كلمتين هما كلمة « هك » بمعنى ملك و « سوس » بمعنى راع . . . وقد سموا بذلك لأنهم الملوك الرعاة . ويستطرد الأستاذ إلى معنى كلمة سوس بالعبرية وهو الحصان أو الخيل ، ويسأل : هل لها قرابة بكلمة « سيسى » التى تشيع اليوم ؟

والذى نفهمه من مختلف الآراء عن أصل هذه الأسرة أنها أقامت بفلسطين ولكنها انتقلت إليها من جهة أخرى تكثر فيها الخيل ولم تنتقل من الرعى إلى الزراعة .

ولا ينبغى انتساب الهكسوس إلى أرض فلسطين بعد انتقالهم من موطنهم الأول أن يقال – كما جاء كثيرًا فى روايات المؤرخين – إنهم طائفة من طوائف الحثيين لأن الحثيين أقاموا فى فلسطين وكثر التزاوج بينهم وبين سكان كنعان إلى عصور العهد القديم . . وكانت منهم امرأة « عيسو » كما جاء فى الإصحاح السادس والعشرين من سفر التكوين ، بل جاء فى سفر التكوين أيضًا أن « حثا » الذى ينتسب إليه الحثيون هو ابن كنعان .

إلّا أن الشكوك التى تنفى انتساب الهكسوس إلى الحثيين ترد على الخاطر من تقدم الحثيين فى حضارة المدن شوطًا واضحًا بعد معيشة المرعى والترحل فى ارتياد أماكن العشب والماء ، وقد بقيت آثار عمائرهم وعليها ملامح لا تشبه الملامح السامية وصور كتابية بعيدة عن طريقة الكتابة فى لغات الساميين جميعًا ، وعن طريقة الكتابة الفرعونية وطريقة التسطير واتجاه الحروف فيها .

---

* الأخبار فى ١٥/ ١/ ١٩٦٤ .

ولهذا يغلب أن يكون الصواب فى جانب القائلين بأن « الهكسوس » قبيلة من قبائل البادية بين وادى النهرين وتخوم كنعان ، ويؤيد هذا الرأى أن الملك خيان أحد الملوك وجد له تمثال مكسور الرأس فى خرائب « بوبسطة » ثم وجد له تمثال على شكل أسد مكتوب عليه اسمه بين آثار بغداد .

أما تخريج اسم « هكسوس » فالأقوال فيه كثيرة ، منها ترجمته بملك الرعاة ، وترجمته على رواية يوسفيوس المؤرخ اليهودى بالرعاة الأسرى ، وهو يزعم أنهم من بنى إسرائيل وهم فى الزمن القديم أهل بادية لم يشتهروا قط بالإكثار من اقتناء الخيل أو سياستها فى مراعيها .

ويرى عالمنا الأثرى « أحمد كمال بك » أن هذا الاسم مركب من كلمتين هما « هيق » ويطلق فى اللغة العربية على ذكر النعام وعلى كل حيوان طويل العنق وهى صفة تحمد فى الجياد . . أما الكلمة الأخرى فهى كذلك عربية من مادة « ساس » سوسًا بمعنى رياضة الخيل .

ولكنه تخريج يرد عليه اعتراض المعترضين على مصدر هذه التسمية باللغة العربية التى ترجع إليها مادة الكلمتين ، فلماذا خلت تواريخ العرب فى الشمال والجنوب من كل أثر لهذا الاسم بصيغته العربية من الزمن القديم أو فى الزمن الأخير؟ ولماذا عرف ملوك القبيلة باسم ملوك الرعاة بعد نزولهم بمصر ولم يكن لهم ملك معروف قبل هجرتهم إليها ؟

أغلب الظن أن الاسم – كما جاء فى بعض الروايات – فرعونى بمعنى حكام الهمج من كلمتى هيك وحوش Hek Khos . . وهو اسم لا يطلقه القوم على أنفسهم ، وإنما يطلقه عليهم أبناء البلد الذى أراد أن يميزهم بين أسماء الأسرة المالكة ، ويبقى تحقيق مادة الكلمتين فى اللغة الفرعونية القديمة بغير اعتماد على التخمين أو التأويل البعيد .

سعة اللغة العربية*

«أنا من المؤمنين بمرونة الكلمة العربية وأن اللغة العربية تتسع لما يطلب منها من المفردات والمعانى، ولكنى مع هذا أقف حائرًا أمام كلمات مثل City Town,. Metropolis ولا أرى مرادفًا لها غير كلمة «مدينة» مع العلم بالفوارق الأساسية بين المسميات الثلاثة . . . وإننى أطمع فى أن أعلم رأى سيادتكم فى هذه المسألة بما تكتبونه ليوميات الأخبار.

السيد عبد الحليم الزيات

كلية الآداب – جامعة إسكندرية

إن هناك فروقًا بين معانى الكلمات الأجنبية كما يقول السيد عبد الحليم ولكنها ليست بالفروق الأساسية فى تركيب هذه الكلمات، وإنما هى فروق اصطلاح حديثة بالقياس إلى المصطلحات العربية التى ميزها علماء الأصول والفقه عندنا قبل تمييز الأوربيين بينها بسبعة قرون أو أكثر.

ففى اللغة العربية كلمات البلد والقرية والمصر والحاضرة والمدينة غير الكلمات المستعارة من الفارسية كالدسكرة والرستاق.

وقد عنى الفقهاء بالتفرقة بينها للتفرقة بين مقر الوالى ومقر صلاة الجماعة ومراسم الأعياد، أو للتفرقة بين الثغور المحمية والثغور المباحة وبين دار الإسلام ودار الحرب وديار المحاربين والمعاهدين.

وكل تفرقة بين معانى الكلمات الأجنبية الثلاث فقد سبقنا إليها الأوربيين بعدة قرون.

---

* الأخبار فى ١٥/ ١/ ١٩٦٤.

وأحسب أن كلمة « بلدة » كافية لما يقابل « تاون » Town وأن كلمة مدينة كافية لما يقابل « سيتى » City وأن الحاضرة تقابل الـ « متروبوليس » كل المقابلة بمعناها الحديث والقديم ، وتبقى كلمة « المصر » عامة لكل بلدة أو مدينة أو حاضرة تصدق عليها الشروط الفقهية المنصوص عليها فى أمر مقر الولاية وصلاة الجماعة ومراسم الدولة ؛ لأن العبرة فيها بهذه الشروط وليست بالسعة ولا بكثرة السكان ، وكل تخصيص لمكان من أماكن الإقامة يعرفه الأوربيون فمقابله باللغة العربية معروف موجود على سعة وتعدد يسمح بالتمييز بين أدق الفروق السياسية والاجتماعية .

سعة اللغة العربية أيضًا*

« . . . فى ختام محاضرات العام لمادة محاسبة الشركات أراد أستاذنا استرجاع مقرر الدراسة سريعًا وأتى على موضوع الشهرة فى شركات الأشخاص قال : إنه منذ انتهى من تدريس المادة فى الفصل الأول جعل يبحث فى كتب اللغة وقواميسها ليعرف المعنى اللغوى لكلمة الشهرة التى تعنى فى حسابنا تلك الميزات التى تمتاز بها شركة معينة فتجعل الأفراد يفضلون التعامل معها على غيرها من الشركات مما يدعو إلى تحقيقها أرباحًا غير عادية . . . ويقول الأستاذ أنه خرج من بحثه فى كتب اللغة بأن الشهرة هى اشتهار الشيء فى شنعة ، أى أنها اشتهار فى الشنيع والقبيح ليس إلّا . . مما جعلنا نشكو من كتب اللغة على لسانه . . . وبعد – ياسيدى – أليس هناك تفكير فى اتخاذ خطوات نحو تطوير كتب اللغة حتى تساير روح العصر ومقتضياته . . إلخ . . إلخ . . إلخ .

محمد الشحات سيف
بكالوريوس تجارة – عين شمس

قبل التفكير فى اتهام اللغة ، وفى اتهام كتب اللغة ، وفى تطوير كتب اللغة ينبغى أن يكون هناك تفكير فى « عملية » سهلة جدًّا وهى العملية التى يتعلم بها الطالب والأستاذ كيف يكشفان عن الكلمة فى المعجم اللغوى وكيف يراجعان الألفاظ ومعانيها للاستفادة منها .

ففى أول قاموس فتحته وجدت فيه « شهرة بالفضل كان له فيه شهرة » ولم أجد قط قاموسًا يقصر معنى الشهرة على الشنعة أو على الصفات القبيحة وحدها .

واللغة العربية غنية بالكلمات التى تقابل أمثالها فى اللغات الأجنبية ، ومنها غير

* الأخبار فى ٧/٦/١٩٦١ .

الشهرة كلمات السمعة والذكر والصيت ، وقد عرف العامة قبل الخاصة قيمة الشهرة بالحساب الاقتصادى فأرسلوا مثلهم « المشهور » الذى يفضلون به الصيت على الغنى إذ يقولون : « الصيت ولا الغنى » . . وتداولوا كلمة (الاسم) بهذا المعنى فشبهوه « بالطبل » فى لفت الأسماع ودعوة « الزبائن » والمشترين ، وقالوا عن التاجر والبائع وعارض البضاعة أن له اسمًا كالطبل وأنه ضرب السوق . . . كما يقرع الطبل الآذان .

ولم يكن الأوربيون بحاجة إلى « تطوير » لغاتهم لأن هذه الكلمات بمعانيها الاقتصادية لم تعرف قبل العصر الحاضر ، وكل ما احتاجوا إليه أن يتعلموا كيف يستخدمونها وكيف يجعلون لكل شهرة معنى يناسبها ، وعندنا كلمة الشنعة تقابل عندهم كلمة Notoriety ولكنها أصح منها اشتقاقًا ودلالةً ، لأنهم أخذوا كلمتهم من مجرد الملاحظة Note وهى غير التشنيع والتجريس والتشهير و . . . و . . . باللغة العربية .

وليس فى تلك اللغات كلمة تفيد معنى الشهرة الحسنة أو السيئة ولا يمكن أن نقابلها فى لغتنا بكلمتين وأكثر من كلمتين ، فلابدّ إذن من تطوير لازم قبل تطوير اللغة العربية ، وهو تطوير فتح الصفحات على مواضع الكلمات ثم تطوير السرعة – بل الهرولة – إلى اتهام الأولين والآخرين ، لأنها هرولة غير لازمة لنا خطوة أو بعض خطوة ، إذا استغنينا عنها بمراجعة كلمتين أو تقليب صفحتين .

الأضداد*

« يقول أبو العباس ثعلب إن عنوة صفة من صفات الأضداد . . وقد وقع فى يدى الكثير من صفات الأضداد هذه . . فما هو معنى دلالة الكلمة على الضدين ؟ وهل لهذه الأضداد ضابط أو رابط ؟ . . » .

محمد عبد الواحد حجازى

مدرس — الزقازيق

من مراجعة أسماء الأضداد يظهر أنها لم تكن موضوعةً — فى أصل وضعها — للدلالة على الضدين ، ولكنها تحولت إلى الدلالة عليها لأسباب عارضة لا تزال تعمل عملها فى لغة « التخاطب » الدارجة بيننا إلى اليوم .

١ — فمن هذه الأسباب حب التفاؤل بالخير ، فيقال عن الجماعة الراحلة إنها « قافلة » أى راجعة تمنيًا لعودتها ، ويقال لمن لدغته الحية إنه « سليم » تمنيًا لسلامته . (ونحن اليوم نقول للفنجان الفارغ إنه « ملآن » وللمريض إنه « بعافية » من هذا القبيل) .

(وتنشأ الأضداد إذا نظرنا إلى المعنى الواحد من وجهتين . . . فالناهل الذى يذهب إلى مورد الماء ليشرب يقال عنه إنه ظمآن وهو صحيح . . . وكذلك يقال إن الرجل نهل فهو ناهل ، أى عائد من مورد الماء ، وهو فى هذه الحالة ريان ولا يقال عنه إنه ظمآن كما يقال عنه وهو قاصد إلى المورد) .

وقد سألنا مرة اثنين فى طريق قنطرة على النيل : هل القنطرة مفتوحة ؟ فقال أحدهما : مفتوحة . . وقال الآخر : مقفلة . . وكلاهما مصيب .

---

* الأخبار فى ٢٨/ ٦/ ١٩٦١ .

ولكن الأول أراد أنها مفتوحة للسفن ، والآخر أنها مفتوحة للمارة ، فهى مفتوحة ومقفلة بمعنى واحد على الضدين .

٢ – وبعض أسباب الأضداد أن الكلمة توضع لوصف العمل ثم تنتقل من العمل إلى مظاهره المختلفة .

فكلمة « الجون » تطلق على الأبيض كما تطلق على الأسود ، وعلى الأحمر ، وعلى الأخضر من النبات . . وليست هذه الألوان مما يلتبس على أحد ، ولكن الأصل فيها جميعًا هو الطلاء ؛ إذ يقال عن النقاش إنه « تجون » الجدار أو « تجون » الباب أى طلاه ، ثم يقال بعد ذلك إن الجدار جون « أى مطلى » سواء كان لونه أبيض أو أسود أو أحمر أو أخضر . . ومثل هذا فى لغتنا الدارجة كلمة « اللميع » التى تطلق على الجلد من جميع الألوان للتشابه فى اللمعان .

٣ – وللتهكم شأنه فى تسمية الأشياء بأضدادها ، كما يقال عن المحيط بين القارتين الآسيوية والأمريكية إنه المحيط « الهادئ » وهو أعنف البحار ، وكما نقول نحن عن القطار المشهور إنه « المستعجلة » وهو أبطأ القطارات .

وللأضداد أسباب غير هذه قد نلاحظها فى أحاديثنا اليومية ونفسر بها ذلك الاختلاف المضحك بين الكلمات فى اللهجات الشائعة بين الأقطار العربية . فالمبسوط – مثلاً – هو المضروب المهان بلهجة العراق ، ولكنه بلهجتنا القاهرية وغير القاهرية هو المسرور المبتهج وربما أطلقوه على الشارب الذى يجاوز حدّ السرور الهادئ إلى الغناء والصياح .

والغالب أن الأضداد فى اللغة تنقرض بالإهمال كما تنقرض المترادفات بالتخصيص والتمييز أو بالاختصار والاكتفاء . ولا بدّ لهذه الظواهر الطبيعية فى اللغة أن تجرى فى مجراها إلى مستقرها ، ولعلها من علامات حياة اللغة لأنها تسجل للألفاظ كل موضع معقول يصح أن توضع فيه .

أصل البربر*

« . . . دارت مناقشة بيني وبين أستاذ جامعي عاد أخيرًا من المغرب حول أصل قبائل البربر ، وذكر لى الأستاذ أن أصل البربر غامض وأنهم يعتزون بقوميتهم مع شدّة تمسكهم بالدين ، وأذكر أننى قرأت أن البربر إنما انحدروا من سلالة الفينيقيين الذين أسسوا قرطاجنة فى الشمال الأفريقى ، فلما قضى الرومان على دولتهم انتشروا فى شعاب الجبال ، وقيل إن ابن خلدون إنما كان يتقرب إلى بعض زعماء البربر الذين ربطته بهم صلة قومية قبل مقدمه إلى مصر ، وأرجو أن تتفضلوا بالبيان الشافى عن هذا الموضوع فى يوميات الاخبار . . »

منصور جاب الله

إسكندرية

كان ابن خلدون على نقيض ما يقال شديد الاعتزاز بنسبته العربية يبحث عن أصولها حيثما نزل فى بلاد المغرب والمشرق ، وكلامه عن أصل البربر منقول عن الروايات القديمة التى تمتزج فيها التواريخ بالأقاويل والظنون . ولو صحت روايته لكان البربر والصينيون والفرس والأوربيون من أصل واحد ، وهو على التحقيق غير صحيح الّا على اعتبارهم جميعًا من الجنس البشرى قبل افتراق الأصول والسلالات . أما الثابت على وجه اليقين فهو « أوّلاً » أن بلاد البربر كان فيها سكان قدماء منذ العصر الحجرى الأول ، وأن تلك البلاد تتلق المهاجرين إليها منذ أقدم العصور من جزر البحر المتوسط الشرقية . ومن الشواطئ الفينيقية ، ومن أوربة الجنوبية ويقول المؤرخان جسل Gsell وبيرونيه Peuronnet إن الآثار ببلاد الجزائر وما حولها توجد لها نظائر فى

* الأخبار فى ٧/ ٨/ ١٩٥٩ .

إقليم مصر والنوبة منذ خمسة آلاف سنة ، كما يعلم من تاريخ الرومان أنهم استنجدوا بحلفائهم فى اليمن والحبشة فأنجدوهم بقوة كبيرة بقيت فى أفريقية الشمالية ولم يعد منها إلى موطنها الأول غير القليل .

والذى نعتقده أن اسم أفريقية نفسه محرف من اسم أبرهه اليمنى الحبشى إذا وقع فيه الاختلاف المعهود فى نطق الحروف المنقولة إلى اللاتينية ، فإن أبرهه تكتب بتلك الحروف Aprecha وليس أقرب من تحويل الباء الثقيلة إلى فاء كما تحولت فى كلمة أفلاطون ، ولا أقرب من تحويل السين إلى قاف كما تحولت فى كلمة قبرص فتنطق « ابركشة » على هذا الوضع « أفريقش » وأفريقة على ألسنة اللاتين .

ويدعونا إلى هذا الاعتقاد أن اسم أفريقش غير موجود فى اليمن والحبشة فيما عدا اسم قائد الحملة الذى احتل بعض شواطئ الشمال فسميت باسمه ، وأما اسم « أبرهة » فهو من أشيع الأسماء قديمًا بين اليمانية والأثيوبيين .

وقد تشابهت بعض العادات فى المساكن والمدافن بين أفريقية الشمالية وأوربة الجنوبية ، ويجوز أن تكون الهجرة القديمة متبادلة بين الجانبين .

والذى يفهم من دلالة اللغة أن اللغة البربرية لا تشبه اللغات السامية فى قواعد الاشتقاق ولا فى قواعد تكوين الكلمات من الأفعال الثلاثية ، وهى كذلك لا تشبه اللغات الأوربية فى قواعد النحت والتركيب ، ولكنها تتلاقى مع جميع هذه اللغات فى بعض الخصائص الثانوية .

وخلاصة ما يعلم من جملة الأخبار والآثار أن قدماء البربر يوجد فيهم الجنس الأبيض ، وإلى جانبه الجنس الأسود أو الأسمر ، وأن الهجرة إلى بلادهم لم تنقطع قط من جوانب البحر المتوسط ، وبقايا لغتهم الأولى تدل على مقاربة وثيقة لبقايا اللغات فى بلاد القارة الشرقية ، ومنها وادى النيل .

إمكانيات*

هذه كلمة جديدة شاعت على الألسنة والأقلام فى السنوات الأخيرة ، وقاطعتها فى كل ما أكتب وما أقول فلم أنطق بها قط إلّا لأعلن امتعاضى منها واعتراضى عليها وعلى جميع المصادر الصناعية التى استحدثها المعاصرون قياسًا على الخليط الدارج من كلمات « اللهجة العربية التركية » فى لغة الدواوين ، قبل بضعة أجيال .

وزملاؤنا الأفاضل بمجمع اللغة العربية يعرفون كراهتى لهذه الكلمة ويذكرون مناقشتى لمن يقبلونها ولا يتحرجون من استخدامها فى الكتابة أو الحديث .

وأذكر أننى توهمت أننى سمعتها من زميلنا الكبير الدكتور طه حسين ولقيته فى اليوم التالى فقلت له متسائلا : أتراك يا دكتور قد غيرت رأيك فى « إمكانيات » وما إليها من هذه « التركيات » المستعربات ؟

فقال ضاحكًا : كلّا . . لم أغير رأيى فى إمكانيات ولا فى أختها « انطباعات » . . ولا أزال أسمع هذه وتلك فلا أستريح إليهما فى كتابة ولا حديث .

ودارت المناقشة فترةً غير قصيرة بين الحاضرين من أعضاء لجنة المعجم الكبير فيما يغنى عن هذه الكلمة ، وهو كثير فى اللغة العربية ، وأقربه إليها كلمة « الإمكانات » بغير حاجة إلى هذه الياء المزيدة عليها ، فضلاً عن كلمات الوسع والطاقة والاحتمال والقدرة وما جرى مجراها ودل على معناها ، ولا تلزم فيه مقابلة الحرف للحرف فى الترجمة من اللغات الأخرى .

على أننى حمدت هذه الكلمة أخيرًا لأنها وضعت على لسانى فى حديث صحفى منسوب إلى ، فكانت دليلاً قاطعًا عند من يعرف كراهتى لها على حقيقة هذا الحديث

---

* الأخبار فى ٥/٧/١٩٦١ .

بلفظه ومعناه ، وحقيقته أنه لا يكون من كتابتى ولا من إملائى ، بشهادة هذه « الإمكانيات » .

إن « إمكانيات هذه بالنسبة إلى كاتب هذه السطور توقيع معكوس . . فإذا كان توقيعى الصحيح على كلام منسوب إلىّ شاهدًا بصدق هذه النسبة ، فإمكانيات هذه هى التوقيع المعكوس الذى ينفيه ويشكك فيه ، وإننى لأحمد الله الذى ألهم ناقل الحديث المزعوم أن يدسّها بين عباراته فيجعلها « تصحيحًا منه فيه » كما أقول فى وصف أمثال هذه الأحاديث .

وأحسب أن الأمر ظاهر للكثيرين من قراء ما أكتب بغير حاجة إلى هذا التوقيع المعكوس .

فليس الحديث من كتابتى ولا من إملائى ، وإنما هو تلخيص مجمل لبعض آرائى فى الكتب وبعض آرائى فى المناقشات الشفوية ، ولكن أخانا الصحفى قد استقل بفهمه وتعبيره فنقله كما خطر له ولم ينقله كما خطر لى عند كتابته أو المناقشة فيه ، ولم يكن فى نقده سوء نية ولا أراه قد تعمد التشويه والتبديل ، ولكنه خطأ « غير مقصود » وعجلة فى النشر غير محمودة . . فإذا عاد إلى مثلها فرجائى إليه أحد أمرين : إما توقيعى الصحيح على ما يرويه ويلخصه ، وإما هذه « الإمكانيات » يكررها بين سطوره مرتين ، أو ما شاء من المرات .

إعادة النظر فى لقب « المطرب »*

« . . . نحن نطلق لقب (مطرب) على الفنانين الذين يشتغلون بالغناء ، لأن أغانيهم تطرب النفس ، أى تسعدها وتهزها . . . فهل من الجائز أن نطلق لقب (مطرب) على الشيخ عبد الباسط أو الشيخ مصطفى إسماعيل ، أو على أى من القراء الذين يشتغلون بتلاوة القرآن الكريم ؟ وهل يوافق ذلك أن القرآن الكريم هو الآخر يهز النفوس ويسعد القلوب ويطرب الأرواح ؟ . »

محمد عليوه البطاط

مدرس وحدة مصطاى

. . . الحق أن الوقت قد حان لإعادة النظر فى لقب المطرب الشائع بمعناه المتداول فى هذه الأيام : هل يصح أن يطلق على الموسيقيين والمغنين جميعًا بغير استثناء ؟ أو هو لقب يناسب أصحاب فن خاص من فنون الأغانى والألحان ولا يصدق على غيرهم من المشتغلين بهذه الفنون ؟

إن الطرب هو الاهتزاز والاضطراب من السرور أو من الحزن والوجل ، ولا يشترط فيه أن يكون مقصورًا على الغناء الذى يبعث السرور .

والذين أطلقوا اللقب قديمًا على المغنين قد فهموا هذا بغير خلاف ؛ لأنهم كانوا يقولون عن الغناء المطرب أيضًا إنه غناء (شجى) أى يبعث الشجى فى نفس السامع ، وهو شعور أقرب إلى الحزن منه إلى السرور ، وقد يخامر نفس العاشق كثيرًا فى حالات الشوق والحنين والشكوى من البعد والهجران ، ولا يندر فى هذه الحالات أن يطلق الأعين بالبكاء .

---

* الأخبار فى ١٤/ ١/ ١٩٦٢ .

ولكن المعاصرين عدلوا بوصف الطرب عن هذا المعنى الأصيل وكادوا يقصرونه على الغناء الذى يهز النفس كما يهزها إيقاع الرقص بأنواعه الحديثة وأنواعه التى ورثناها منذ زمن بعيد ، وهذا ضربٌ من الغناء له قيمته فى فن الموسيقى وبراعته التى لا يقدر عليها كل مشتغل بصناعة الألحان ، وقد كان الأستاذ زكريا أحمد رحمه الله يحسن هذا الفن فى تلحينه للأغانى كما يحسن غيره من فنون التلحين ، ومن إيقاعه المرقص نغمات الأنشودة التى تغنيها أم كلثوم ، فلا تبدأ بإنشادها حتى تستخف المستمعين إلى التصفيق وترديد (الوحدة) ويوشك أن ينبعثوا منها مترنمين مترنحين ، لو يسمح مجال الطرب عندنا لمثل هذه المجاوبة الفنية .

وتلك هى أنشودة : « غنى لى غنى » من نظم بيرم فى رواية زميلنا الأستاذ (باكثير) .

ولكن الموسيقى ليست كلها موسيقى الطرب ولا موسيقى الرقص والغناء .

وهناك الموسيقى التى تعلق الأنفاس حرصًا على الصمت والسكون ، وترسل الخيال فى آفاق التأمل والمناجاة إرسالاً كأنه الإسراء بالروح ، ومن دونه أوصال الجسد ساكنة بغير حراك .

فالموسيقى الذى يعبر عن سبحات الروح هذا التعبير لا يلقب بالمطرب ولو كان فى الطرب معنى الشجى الذى وصفه الأقدمون ، ويصح أن يوصف بأنه موسيقى مبدعٌ قدير ، أو موسيقى معبِّرٌ بليغ ، أو موسيقى ملهمٌ مبين ، ولكنه لا يوصف بالطرب على أية حال .

أما تلاوة القرآن الكريم فإذا أردنا بالطرب معناه اللغوى فى المعجمات ففى الإصغاء إلى آياته طرب لاشك فيه ومن آياته (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلى ربهم يتوكلون) .

ولكن العبرة بالعرف الشائع والاصطلاح المفهوم لا المعانى التى تشرحها المعجمات ، وليس من مصطلحات العرف عندنا أننا نستمع إلى القرآن لنطرب مهما يكن معنى الطرب المصاحب للغناء ، ولا يجوز أن نجمع بين الأثرين فى كلمة واحدة ، وهما أثر

النفس من الاستماع إلى آيات الوحى ، وأثر النفس من الاستماع إلى المطرب المرقص من الألحان .

وقديمًا كنا نقول عن المغنى الذى يستجدى الرزق بإنشاد المواويل أنه أديب ، وأنه أدباتى وأنه (ابن فن) . . . وكنا نقول عن شيخة المغنيات والراقصات فى الأعراس إنها (عالمة) أو معلمة . . . ولكننا تعودنا بعد اختلاف الزمن واختلاف هذه المصطلحات معه أن نفرق بين معانى العرف ومعانى القاموس عند استخدام هذه الكلمات .

بين الخطأ المشهور والصحيح المهجور ! *

« . . . أرجو أن تسمحوا لى بالالتجاء إليكم طالبًا الجواب الشافى عن هذا السؤال الذى ظل يحيرنى وقتًا طويلاً وهو : هل الخطأ المشهور خير من الصحيح المهجور ؟ وهل ينطبق هذا القول على التاريخ كما ينطبق على اللغة ؟ . . أما الخطأ المشهور فهو المدون بكتب التاريخ من أن المعز لدين الله الخليفة الفاطمى بعد أن شيد عاصمة جديدة لملكه علق أجراسًا على الحبال فحركها غرابٌ وفهم البناءون أن دق الأجراس إيذان بابتداء البناء ، وكان الطالع فى تلك الساعة للمريخ أو القاهرة كما يسمى عند الفلكيين الأقدمين فسميت القاهرة لذلك . . . أما الصحيح المهجور فهو أن القاهرة اسم قديم وأصله كلمتا (كاهى) و (راه) ومعناها أرض را أو رع إله الشمس ، ويقرب منه اسم هليوبوليس باليونانية إلى مدينة الشمس . . . فهل الأقرب إلى الصواب والعقل أن نقول إن القاهرة أصلها (كاهيرا) أو أن نتخيل قصة لا سند لها من التاريخ الصحيح أو علم الفلك ؟ . . . »

دكتور فؤاد واصف

شبرا

. . . من أخبار التاريخ المحققة أن الفاطميين كانوا يدرسون النجوم ويرصدون الطوالع ، ويعنون – من خلفائهم إلى دعاتهم ومريديهم – بتعلّم الفلك ومراقبة الأبراج السماوية قبل الإقدام على عمل من أعمال الفتح والتأسيس ، وفى إحدى سهرات الحاكم بأمر الله إلى جبل المقطم لرصد الكواكب حدثت وفاته التى لا يعرف سببها على التحقيق ، ومن ولعه برصد الكواكب والتهجد للعبادة كل يأمر تجار القاهرة بفتح

* الأخبار فى ١٤/ ١/ ١٩٦٢ .

الدكاكين بالليل وإغلاقها بالنهار ، ويختار للسهرات العامة ليالى الطوالع كما يتنبأ بها فى أرصاد التنجيم .

فمن المستبعد جدًّا أن يؤسس المعز لدين الله مدينة كبيرة يتخذها عاصمةً لملكه دون أن يستطلع لها طالعها الذى يتفاءل به لانتصاره وثبات دولته ، وليس أوفق لهذا التفاؤل من طالع المريخ وهو طالع الحرب والظفر فى حساب التنجيم القديم ، ولقبه (القاهر) عند أصحاب ذلك الحساب .

أما قصة الغراب ووقوعه على الحبال فهى على ما نعتقد خرافة لا تعقل ، كما فصلنا ذلك فى كتابنا عن (فاطمة الزهراء والفاطميين) لأن القصة بذاتها رويت عن بناء الإسكندرية ؛ ولأن النجوم ترصد ليلاً والغربان لا تطير بالليل ، ولو طارت ليلاً أو نهارًا لما كانت وقفة غراب على أحد الحبال كافية لدق الأجراس على جميع الأسوار ، ولو كانت الأجراس تدق بهذه السهولة لدقت قبل وقوع الغراب على الحبل لأسباب كثيرة تحرك الحبال كما تحركها هزة الغراب ، ولو كان تحقيق الرصد مبنيًّا على العلم — لا على الرؤية — لأمكن ابتداء التأسيس فى ساعة معلومة بغير حاجة إلى الأجراس . . . ثم من قال إنه غراب وهو مجهول ؟ وكيف عرفوه والمظنون أن المهندسين هم الذين حركوا الحبال ؟ ولم لا يكون طيرًا آخر أو جملة من الطير ؟

فلا ريب عندنا فى صبغة القصة الخرافية ، ولا نرى أن علماء الفاطميين كان يعوزهم الرصد الذى يعرفون به طالع الفلك ليختاروا الساعة المفضلة عندهم لتأسيس المدينة وابتداء أعمال التأسيس كلها فى لحظة واحدة ، إذا صح اختيارهم لوقت معلوم .

أما تسمية القاهرة باسم فرعونى قديم فلا يكفى للقول به تشابه اللفظ على التقريب ؛ لأن هذا التشابه كان على الدوام حجة من الحجج التى استند إليها المؤرخون المولعون بنقل الأسماء والأعلام إلى لغاتهم بغير دليل غير توافق الحروف ، وقد استند إلى مثل هذا التشابه من قالوا إن (ترفلجار) أصلها الطرف الأغر وإن شكسبير أصلها الشيخ زبير وإن الفِريد أصلها الفَريد ، وقس على ذلك مئات المشابهات فى جميع اللغات .

وإنما يثبت أصل الكلمة القديم إذا ثبت أن الفاطميين كانوا يعرفون اللغة

الهيروغليفية وثبت قبل ذلك أن اسم (كاهيرا) كان يطلق على مدينة فى الموقع ، وأن العارفين به كان لهم رأيهم فى تسمية عاصمة الفاطميين بالاسم الذى عرفوه ، وظلت مشورتهم على ولاة الأمر مجهولةً بعد البناء كما ظل هذا الاسم مجهولاً قبل البناء من أقدم عصور التاريخ .

وقد لوحظت مشابهة لفظية كهذه فى تسمية (مصر) كما أشرنا إلى ذلك فى تاريخ عمرو بن العاص . فقد كانت مصر فى الزمن القديم معروفة بين أهلها باسم كيم أو خيم بياء ينطقونها ممالة بين الياء والألف . ويتوهم بعضهم أنها مأخوذة من كلمة خام أو حام ابن نوح على اعتبار المصريين سلالة حامية قديمة ، وهو من الأوهام التى لا سند لها من التاريخ ولا من الآثار الباقية ؛ لأن معنى الكلمة قديم فى اللغة المصرية بمعنى الأرض السوداء ، ومنها أخذ اليونان كلمة الكيمياء حين كان علم الكيمياء يسمى بالعلم الأسود أو السحر الأسود ؛ لأنه من العلوم الخفية التى يستعان عليها بالأرواح الشريرة فى رأى الأقدمين .

ولم يبق من أسماء مصر القديمة فى العصر الحاضر غير اسمين اثنين : أحدهما اسم (إيجبت) الذى أخذه الغربيون عن اليونان ، ويقال إن أصله (كى بتاه) أى أرض بتاح أو فتاح لقرب نطق الفاء من الباء فى اللغة اليونانية .

أما الاسم الآخر فهو اسمها المشهور فى اللغة العربية ، ويستند بعضهم إلى المشابهة اللفظية فيقول : إن مصر مأخوذة من اسم شهر (مسرى) لأنه شهر النيل وشهر الفيضان ، ويقول غيرهم : إنها منحوتة من ثلاث كلمات بمعنى بلد أبناء الشمس وهى (ما) بمعنى موضع و (سى) بمعنى ابن و (را) اسم (رع) أو الشمس كما هو معلوم .

وليس لهذا القول ولا لما تقدمه سند ثابت غير هذه المشابهات التى نرى أنها تختلف باختلاف المفسرين ، ومثلها فى هذه التفسيرات أسباب التسمية باللغة العبرية ؛ إذ يقولون : إن البلد منسوب إلى أوّل ملوكه (مصرايم) ويظنون أن (مصرايم) هو اسم العلم المشهور ، وهو بالعبرية مثنى مصر لأنهم يثنّون الاسم بالياء والميم كما نثنّيه فى العربية بالياء والنون .

فلا يزال الصواب المشهور – إذن – هو نسبة القاهرة على الرواية المشهورة إلى النجم القاهر ، ولو تحقق أنه خطأ شائع لما كان فى الأمر إشكال يدعو إلى التفكير فى تغليب الخطأ أو تغليب الصواب ؛ إذ يبقى اسم القاهرة ولا يتغير لفظه على الألسنة كما تتغير أخطاء اللغة بوضع اللفظ الصائب المهجور موضع اللفظ الشائع على خطئه ، وكل ما يتغير عند تصحيح التاريخ – بعد ثبوت صحته أن يذكر تفسيره الصحيح بدلاً من تفسيره المعدول عنه ، ولابدّ قبل التغيير من ثبوت الصواب وثبوت الخطأ ، ولا يزال كلاهما فى التاريخ بمكانه الذى استقر فيه .

التطور والتغيير*

« . . . اختلفنا حول مفهوم كلمتين اثنتين لكل منهما معنى وهما كلمة التغير وكلمة التطور . فمن قائل إن التغير هو الذى يحدث التطور ، ومن قائل إنه إذا تطور الإنسان أو مجتمعه تغيرت حالته تبعًا لذلك . . . ورجاؤنا أن تدلونا على الفارق الدقيق بينهما على صفحات اليوميات » .

أحمد داود محمد أحمد

عابدين – القاهرة

إن التطور تغيّر محقق ، ولكن لا يلزم من كل تغير أن يكون تطورًا بالمعنى المصطلح عليه فى العصر الحديث على الخصوص .

والمصطلح عليه حديثًا أن التطور هو انتقال من حالة إلى حالة على درجات لها ترتيبها إلى نتائجها المتعاقبة . ولا يتفق فى كل حالة أن يكون التقدم من حسن إلى أحسن ومن راق إلى ما هو أرقى منه ، وإنما يتفق دائمًا أن تكون الخطوة التالية فى تكوين الشيء المتطور أتمّ من التى سبقتها إلى نتيجتها التى تنتهى إليها .

فيقال – مثلا – إن الحمى تطورت أو تقدمت فى المريض ، أى أنها بلغت أشدّها واستوفت « تطورها » وهى بذلك تنتهى إلى تعريض المريض للخطر الأكبر أو للموت ، ويقال كذلك إن الحرج فى الموقف الدولى يتطور من سيئ إلى أسوأ مع النظر إلى النتيجة المحظورة وهى اشتباك القتال .

وقد التبست كلمة التطور زمنًا طويلاً بكلمة التقدم حين كان الكتّاب يذكرون مذهب النشوء والتطور ومذهب النشوء والتقدم بمعنى واحد ، ولكنه خطأ يعدل عنه

---

* الأخبار فى ٣١/ ١٠/ ١٩٦٢ .

أكثر الناس اليوم بعد فهم النظريات الدروينية على حقيقتها ، فإن المفهوم الآن بين الكثيرين أن القول ببقاء الأنسب أصح من القول ببقاء الأصلح ، وعلى هذا لا يجوز أن يبقى الميكروب فى المستنقع الوبائى ويفنى الإنسان ، مع أن الإنسان أرقى وأقوى من الميكروب ، إلّا إذا اجتمعت منه الملايين.

بين الأذن واللسان*

من أخبار أمس أن الطبيب المجرى جورج فون بتليسى مُنح هذه السنة جائزة نوبل الطبية مكافأةً له على دراساته للأذن الداخلية ، وقال رواة النبأ البرق فى وصف تلك الدراسات إنها « معقدة للغاية ! » .

وكل خبر من أخبار الصحف والإذاعات فى هذا الزمن ينبغى أن يكون معقدًا للغاية إذا احتاج إلى ربط الكلمة بالكلمة أكثر من نصف سطر . ولا تقول من سطر واحد .

سمعنا مع هذا الخبر مذيعًا يقول ما نصه مع حذف الأسماء :

« أعلن فلان مندوب الدولة الفلانية فى الأمم المتحدة — أعلن أنه يبلغ الهيئة كيت وكيت ! »

فهذا المذيع وأمثاله يعتقدون أن سامعيهم عاجزون عن ربط الفعل بمفعوله على بعد كلمات ، فلا بدّ إذن من الإعادة والتكرار ، للفهم والتذكار .

والواقع أن السامعين غير عاجزين عن ذلك كما تعلم ، وأن الجمهور السامع أو القارئ أحسن كثيرًا من ظنون الرواة الصحفيين والمذيعين ، ولكن الحقيقة أن صناعة الأخبار قد استدرجت إليها فى هذا الزمن كثيرًا من الأكفاء لفن واحد من فنون الرواية الصحفية أو الاذاعية ، وهو فن العجلة العاجلة المستعجلة ، ولا شىء عندهم يحسنونه بعد العجلة والتعجل والاستعجال .

هذه الصناعة العاجلة المتعجلة المستعجلة تقوم على الخطف والجرى والسرعة فى الهرب من الفهم والتفاهم وأصحابها هم العاجزون عن الفهم وإن أرادوه ، وعن التفاهم وإن حاولوه . . فلا يجبون عندهم أن يتهموا أنفسهم فى هذا النفس القصير بين

* الأخبار فى ٢٥/١٠/١٩٦١ .

الكلمة والكلمة ، وبين الفكرة والفكرة ، وأسهل من ذلك أن يتهموا الجمهور أولاً حيث لا تهمة ، وأن يتهموا العلم والعقل ثانيًا بالتعقيد للغاية ، حيث لا تعقيد للغاية ولا لما هو دون الغاية ! !

وموضوع الدراسات فى الأذن الداخلية موضوع بسيط لا تعقيد فيه للمختصين ولا لغير المختصين ، إلا إذا وصل الأمر إلى التشريح وتمييز الأعصاب والخلايا .

فنى هذه الحالة كل ظفر يقصه الحلاق من الأصابع معقد غاية التعقيد ، ولا موجب لتمييز الأذن الداخلية أو الخارجية ، بذلك التعقيد المزعوم .

منذ زمن بعيد والناس يشعرون بالعلاقة بين حاسة السمع وبين حفظ التوازن فى الجسم كله ؛ لأن الأمر هنا لا يحتاج إلى دراسة ولا تشريح ، ويكفى فيه لكمة على الأذن تطيح بالسمع وبالتوازن فى لمحة عين ! لكمة على أذن المذيع إذا شاء ، ولا مؤاخذة .

ومنذ زمن بعيد والناس يشعرون بالعلاقة بين المسموعات والمنظورات ، لأنهم يشاهدون بعض المكفوفين الذين فقدوا البصر يستعيضون بحركة الأذن عن حركة العين ، ويعرفون من أمواج الهواء بعض ما فاتهم من أمواج الأثير .

ومنذ زمن بعيد والناس يشعرون بأن الجهاز الصناعى يوضع على عظمة خلف الأذن فيؤدى إلى الدماغ أكثر الأصوات التى كانت تصل إليه من فتحات الأذن .

ومنذ زمن بعيد يدرك الناس أن العلاقة وثيقة جدًّا بين الملكات الموسيقية وحاسة السمع . وأن تمييز النسب الموسيقية – ومعها النسب الرياضية – مرتبط بالقدرة على تمييز النسب بين الأصوات ، وأن الفوارق بين هذه الأصوات تدق أحيانًا حتى تخفى على بعض الأسماع الإنسانية ولكنها لا تخفى على أسماع بعض العباقرة الموسيقيين ولا عن أسماع بعض الحيوان .

وهذا كله شىء معروف مفهوم فى كل مكان يوجد فيه الموسيقيون والمكفوفون والذين يتضاربون بالكلمات والذين يدركون دقة السمع فى بنى آدم وفى الحيوانات .

وهذا هو موضع دراسة العالم المجرى التى قال رواة البرق إنها معقدة غاية التعقيد .

إن كان فيها شيء جديد فهو البحث فى العلاقة بين طب الأذن وبين طب النفس « السيكولوجى » . . . ولكنه ليس بالجديد كل الجدة ؛ لأن أثر الصمم فى الحالات النفسية عارض قديم ، لا يخفى على الممثلين الفكاهيين ، فضلاً عن أطباء الآذان أو الأطباء النفسانيين .

وإن كان فيها شيء جديد – مرةً أخرى – فهو البحث عن الفارق بين انطباع الصوت فى الدماغ وانطباع الصوت فى قرص الشمع الذى تسجل عليه أدوار الغناء ، فإن الأجهزة الفنية تثبت أن الطابع فى الحالتين متشابه ، ولكن الفرق بين دلالة الصوت ودلالة الكلمة هو محل الاختلاف الكبير .

وهذا أيضًا ليس بالشيء الجديد كل الجدة ؛ لأن الكلمة من اللغة الأجنبية يتلقاها الإنسان بدماغه كأنها علامة مرسومة على قرص الشمع ، وإنما يختلف عملها فى الدماغ عندما تنتقل من مجرد صوت مسموع إلى تركيبة من الحروف المفهومة .

وقبل الدكتور بتليسى بسنوات كان الطبيبان ويفر Wever وبراى Bray يحققان عمل الأصوات فى دماغ الحيوان ، ويثبّتان اللاقطات الكهربية على أعصاب دماغ القط متصلة بالمكبرات الصوتية ، فإذا بأعصاب القط تعيد ما ينطبع عليها من الانفعالات كما يعيدها قرص الشمع على جهازه المعروف ، ولكن الخطوة التالية هى أن الآثار التى تحدثها الكلمات غير الآثار التى يحدثها مجرد الأصوات .

والمظنون أن البحوث الأخيرة تتقدم فى هذا الاتجاه ، وأن الاتصال بين السمعيات والنفسيات يزداد يومًا بعد يوم على أيدى أصحاب هذه البحوث من الأطباء والعلماء .

ولكن من الواجب أن تتصل هذه البحوث بجمهرة القراء من جانبها البسيط الشائع الذى يعلم الناس بالحس والمشاهدة أنه ليس بالشيء الجديد ، ولا أمل فى هذا الاتصال على أيدى العاجلين المتعجلين المستعجلين من محترفى صناعة الخطف على الأثير أو الخطف على المكنات الطابعة ، فإن كل فكرة عندهم ترتبط بأكثر من ثلاث كلمات ، هى تعقيد بل تعقيد للغاية يحسن السكوت عنه والسكوت عليه .

المطن*

« . . . قرأت حديثكم الممتع عن قول العامة – يخرب مطنك – وتحليل الكلمة معقول جميل . ولكنى سمعت فى قريتنا من ريف الوجه البحرى أن معناها دعاء بالصمم . ولعلها مأخوذة من الطنين ، والمطن على هذا مكان الطنين ، فما رأى أستاذنا فى هذا ؟

العوضى الوكيل

رأيى يا أستاذ عوضى أن فقهاء اللغة العامية فى بلدكم – عمر الله مطنكم – يجرون على مذهب « أنف العنزة » تفسيرًا لكلمة « أنفلونزا » التى نذكرها كثيرًا فى هذه الأيام ، وحجتهم فى التحليل كحجة الطنين فى تحليل المطن . لأن الأنفلونزا تسيل الأنوف كما تسيل أنوف المعيز .

أما المطن من الطنين على مذهب الفقهاء العاميين فى بلدكم فلم نجد لها أصلاً فى قواميس الوجهين البحرى والقبلى ، ولا فى قواميس الحاضرة أو الريف .

وقد أقمت شهورًا فى الزقازيق وطفت كثيرًا بين قراها وحواضرها فلم أسمع أحدًا يسمى الأذن « مطنا » أو يذكر المطن بمعنى الأذن فى حديث ملفوظ أو مكتوب .

ويقول « الشراقوة » كما يقول الصعايدة والمصاروة إن « أذنى توش أو تون » أو تزن ، أو تصفر ، أو تطبل » ولكنى لم أسمع كلمة الطنين فى كلام غير كلام الكتابة . « مع استثناء المثل السائر فى الأزجال . . يا ودن طنى كل ساعة خبر » . . ولا أحسبها من أحاديث اللغة الدارجة فى مكان يتحدث أبناؤه باللغة العربية .

ومما يرجح معجماتنا على معجم فقهاء العامية فى بلدكم أن مرادفات « المطن » بمعنى

---

* الأخبار فى ٢٣/ ١١/ ١٩٦٢ .

الموطن كثيرة فى أمثال هذا الدعاء ، ومنها قولهم يخرب بلدك ويخرب نجعك ، ويخرب بيتك ، ويخرب ديارك ، ويخرب منقعك إلخ إلخ . . مع تقدير كلمة « الأبعد » بعد كل دعاء فى هذا المقام .

ولم أسمع من يقول يخرب أذنك أو ودنك ، ويخرب فمك أو خشمك أو بقك ، ويخرب أنفك أو مناخيرك . . . وإن كان منهم من يقول يخرب عقلك يا بعيد . . ولا يزيد .

وإلى « مطن » فقهاء العامية فى بلدكم نرفع هذا الحوار . وسنرى هل يفهمون منه معنى « السمع » أو معنى الدار .

السجيعى :

الشجاعى صحح اسمه ومضى يصحح الأسماء كلها*

قبل نحو ثلاثين سنة كنت عضوًا بلجنة المعارف فى مجلس النواب ، وكان من عمل اللجنة الاشتراك مع وزارة المعارف فى تحضير مشروعات التعليم والتثقيف قبل عرضها للمناقشة فى المجلس ، ومنها مشروعات متعددة لتحسين أحوال الفنانين وترقية الفنون الجميلة بما يستطاع من وسائل الترقية الميسرة للوزارة ، وفى مقدمتها ترشيح النابغين فى فن الموسيقى لإتمام الدراسة بالمعاهد الأوربية الكبرى ، ولم يكن لهذا الفن — يومئذ — غير معهد واحد مختص بتدريسه ورعايته فى العاصمة المصرية .

ورشحت للبعثة الموسيقية نابغةٌ من نوابغ هذا الفن لم يقنع بحظه من علمه على وقرته ، ولم يزل يستعد للفرصة التى تتيح له السفر إلى المعاهد العليا لاستيفاء دروسه ، فتعلم اللغة الإيطالية وعكف على تعلم المصطلحات الفنية بها حتى أتقنها بشهادة أساتذتها من الإيطاليين فى الديار المصرية .

ولقى هذا الترشيح مصيره المحتوم من شنشنة الدواوين المعهودة ، وهو مصير كل عمل تغلب فيه التقاليد والمناورات الخفية على كل اعتبار صالح من اعتبارات الفن الصحيح والكفاية الحقة ، فقال سكرتير الوزارة لوزيرها — وكلاهما على غرار واحد — إن الطالب المرشح جاوز سن البعثات ، وليست له مؤهلات من الإجازات المدرسية ! ولم تكن للموسيقى إجازات مدرسية من أية طبقة فى ذلك الحين ، ولكنها من آفة الدواوين الخالدة بما استحكم فيها من تقاليدها ومناوراتها لا فرق بين حسن النية وسوء النية فيها . . !

ذلك الطالب المخفق فى ترشيحات الوزارة هو موسيقار مصر الكبير « محمد حسن الشجاعى » أو السجيعى كما كتب اسمه فى دفتر المواليد .

---

* الأخبار فى ٢١/٨/١٩٦٣ .

وبعد فترة وجيزة كنا على شاطئ البحر بالإسكندرية نستمع إلى الفرقة الموسيقية الممتازة التى يختارها فندق « سان ستفان » لمواسمه العالمية فدوت ساحة الفندق بالتصفيق وصيحات الإعجاب والاستعادة ، ونظرت فى قائمة اليوم لأعرف ما هو اللحن الذى يستعاد بهذه الحماسة وهذا الإعجاب ، فإذا هو مقطوعة يقترن بها اسم « هاسان الشجائى ، أو حسن الشجاعى . . » بعد ترجمته إلى الحروف العربية !

وألفيت نفسى أتقدم على غير انتباه منى إلى مكان السكرتير الذى كان على مقربة من منصة الفرقة . ويدى تشير إلى اسم المقطوعة ومؤلفها على الورقة ، وهذه الكلمات تنصب فى أذن « حضرة السكرتير » التى لم تفرغ بعد من أصداء التصفيق والاستحسان .

إنهم يستعيدون ألحان الفنان الذى لم « يفلح » طالبًا عندك لدراسة الموسيقى يا حضرة السكرتير !

* * *

خيرة الله .

وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم .

فقد شاءت الأقدار أن تبقى « العصامية » وحدها خالصةً للموسيقار الموهوب . من فاتحة حياته إلى خاتمتها . . . فلا يحسب عليه فضل غير فضل الملكة النابغة والاجتهاد المستقل عن كل معونة ، حتى معونة التعليم المفروضة على الموهوبين وغير الموهوبين .

ومضى ولا فضل لأحد عليه فى فنه غير الفضل الذى ينسب إليه قبل أن ينسب إلى الأستاذ أو المعين : اللهم إلّا استثناءً واحدًا قد يذكر لذلك الوجيه النبيل الذى نقله من قريته إلى « الملجأ العباسى » بمدينة طنطا ، لأنه أنس فيه براعة فى تلحين الأنغام على الفطرة لا مستقبل لها فى دراسة من دراسات المعاهد غير الملجأ الذى تتبعه فرقته الموسيقية . وماكان للتلميذ الفقير أن يطمح إلى دخول معهد آخر فى سلك غير هذا السلك من برامج الدراسة ، إذ لم يسبق له أن يتعلم شيئًا فى غير مكتب القرية .

ولد « محمد حسن السجيعى » بقرية أبى الغر من قرى مركز كفر الزيات قبل نيف

وستين سنة . وهو الذى خطر له – فيما بعد – أن تصحيح اللغة واجب حتى فى الأسماء ، فاستبدل الشجاعى بالسجيعى وهو يناهز الثلاثين !

ومات أبوه وهو طفل صغير ، وكان أبوه بناءً يعمل كما يعمل الكثيرون من البنائين فى الريف على تلك الأنغام التى يرددها الفعلة ويستمعون إلى ألحانها من نافخى الصفارة والأرغول ، وعلى الصفارة الصغيرة كان الطفل (محمد) يبتدع ألحانه الأولى من وحى قريحته الباكرة . ويسمعها زملاء له عرفت منهم اثنين هما اللذان حدثانى بأحاديث سيرته فى صباه : أحدهما كان من سجناء المظاهرات لقيته بسجن « قره ميدان » والآخر سرى من لداته وأنداده يعتز بذكراه .

وأبرزه نبوغه بين زملائه تلاميذ الملجأ ، فكان واحدًا من الناشئين القلائل الذين اختيروا من جانب القطر كله للعمل بالفرقة الموسيقية فى حرس قصر عابدين . وهى فرقة منتقاة من الفرق العسكرية لا ينتظم فيها غير المتقدمين فى صفوفهم ممن يصلحون لأداء التحية وإحياء الحفلات الموسيقية فى قصر الإمارة .

وقد كان الشجاعى واحدًا بين عشرات من عازفى تلك الفرقة ، ولكنه – على ما أعلم – كان وحده يطلب من الفن فوق ما يكفيه لأداء عمله المحدود ، وكان وحده يتردد على المعاهد الفنية للتزود من علومها التى أحس من وحى قريحته بالحاجة إليها ، ولم يضل طريقه قط إلى مصادر هذا العلم الجديد بالتحصيل ، فلم يطلبه مع طالبى الفن الشائع حيث كان مريدوه ومعلموه من أساتذة التخوت وسهرات الغناء ، ولكنه طلبه من ينبوعه الأصيل وتعلم الإيطالية ليعلم أصول الأنغام التى توقعها الفرقة من الألحان الأجنبية ويعلم أصول النوطة التى تدون بها تلك الألحان ، ومنه علمت بعد حين أن السلام الخديوى لم يضعه « ڤردى » الموسيقى الإيطالى الكبير ، وإنما وضعه ضابط مصرى لم أنقل عنه اسمه الكامل على التحقيق !

وفى هذه السن الباكرة استطاع الفتى الريفى الفقير – بما عنده من ثقة الروح الفنية – أن يحكم على حكام القصر فى ميادين الفنون الجميلة وميدان الفن الموسيقى خاصة من مبلغ عنايتهم بالاستماع واختيار ما يستمعون إليه وتنظيم أعمال الفرقة الموسيقية

على وفاق ما يختارون وما يستمعون ، وسمعت منه غير مرة أن سادة القصر فى عهد الخديو عباس الثانى لم يكن لهم شاغل فنى ذو بال ، ولم يكن استماعهم إلى الفرقة فى أوقات الفراغ أو مواسم الاحتفال إلاّ تقليدًا من تقاليد ديوان التشريفات .

أما السلطان حسين كامل فقد كانت له دراية موسيقية واسعة ، وكان يقسم الأدوار والأغانى إلى أقسام ثلاثة : موسيقى عالمية لمشاهير الألمان والطليان وسائر الفنانين الغربيين ، وموسيقى السلامات والأناشيد العسكرية ، وموسيقى الأغانى المنقولة من نغمات التخت كما تخلفت عن عصر الجمود والاسترخاء إلى الزمن الأخير ، وكان يكثر الاستماع إلى أدوار يسميها بالأناشيد « المتحركة » . . . ولكنه لم يكن يقترح على الفرقة دورًا من الأدوار المنقولة من أنغام التخوت ، وإذا طلبه سماه بالملوخية . . . ونادى بمدير الفرقة على البعد : هات طبق ملوخية . . . فتة ملوخية ! . . كأنه يعنى أنها « فاكهة بلدية » تطلب فى أوانها ، ولا تقدم بين أصناف المائدة كل آونة !

وقد كان الشجاعى رحمه الله يحب « الملوخية » كما يحب أبناء هذا البلد « طبختهم البلدية » المأثورة ، ولكنه كان يقول كلما أقبل على صحفتها دون سائر الصحاف : جزى الله ذلك السلطان المجنون . . لقد كاد أن يبغضنى فى الملوخية كلما ذكرت معها أنغام التخت و « ميوعة » الأدوار التى يغنوها عليه .

ولم يطل عهد الشجاعى بفرقة القصر لأنه تعرض لشبهات الشرطة كما تعرض لها سائر الشبان بعد حادث الاعتداء على السلطان ، وكان من أوهام القصر منذ عهد الخديو عباس أن جرائم « الفوضوية » تنتقل مع الوافدين الإيطاليين حيث ينتقلون ، وبلغ من توجسه من هذه الناحية أنه فاتح المعتمد البريطانى فى وقف تيار الهجرة الإيطالية عند الشروع فى بناء خزان أسوان ، وبقى هذا الوهم غالبًا على سياسة القصر الداخلية إلى ما بعد حادث الاعتداء على السلطان حسين ، فلم يطمئن المقام فى القصر بالموسيقى الشاب الذى كان يشاهد حيث شوهد فى صحبة أناس من الإيطاليين ، ودفع به الحرج إلى اعتزال عمله فى فرقة القصر بعد قليل .

* * *

ولقد كان للدراسات الفنية التى استفادها الشجاعى من العلم باللغة الإيطالية فضل عظيم على ملكته المطبوعة لم يزل يتحدث به إلى آخر أيامه ، ولم ينسه إياه إعجابه الشديد بفن « فاجنر » وإخوانه من عباقرة الألمان ، ولكن هذا الفضل العظيم لم يكن يغنيه لو لم يوهب تلك الفطرة العميقة التى ساقته إليه وألهمته أن ينصرف عن كل وجهة يتجه إليها الفنان الناشئ لتلبية دواعى الملكة عنده غير الوجهة القويمة دون سواها ، وأحسب أن هذه الدفعة بلغت غايتها عنده حتى أفرطت بعض الإفراط ، لكى تقاوم كل اتجاه غير ذلك الاتجاه الوحيد ، ومن هنا كان غلوه الشديد فى احتقار الفن المريض من بقايا عصر الجمود والاسترخاء ، حتى كاد أن يحسبه مرضًا يزال بغير هوادة ، إذ كان من الحق أن يحسبه مريضًا مصابًا بالداء الذى يرجى أن يفارقه على أيدى الاطباء ، ولا يظل فى حسباته مرضًا عصىّ الشفاء .

ولعل هذا الغلو الشديد كان له « لزومه » المحمود فى دور الانتقال من فترة الجمود والنكسة ، إلى فترة التجديد والاستقامة على جادة الطريق ، وقد أدرك مدرسة السيد درويش فى إبانها فصحبها فى خطواتها الأولى إلى طريقها القويم ، وكان إشرافه على الفرق الموسيقية فى دور التمثيل عونًا كبيرًا للموسيقى المسرحية والأناشيد التمثيلية التى تفرعت عليها أغانى المجددين وكادت أن تصبح اليوم أسلوبًا من غناء التخت يطرد عنه أسلوبه القديم . . . فإن التخت العصرى إنما هو امتداد للفن المسرحى تلمس اثره فى جميع مظاهره ، وأظهرها للحس غناء المطرب وهو قائم متحرك أمام مستمعيه .

* * *

لقد أوشكت حماسته لفنه أن تكون غيرةً دينيةً على معبود لا يقبل الشرك ولا الشفاعة إذ كانت حماسته بريئةً منزهةً عن كل غرض من أغراض النفع والشهرة أو أغراض الزلفى والمجاملة ، وكانت هذه الحماسة الطيبة تغرى به الموافقين والمخالفين ، فكان أشدّنا فى زمرة الأصدقاء إعجابًا بفاجنر – أدبًا وفنا – أشدنا معاندة له فى ثنائه البالغ على الموسيقار العظيم ، وأكثرنا ولعًا باستثارته للحملة الشعواء على فن « هز القحوف والضرب على الدفوف » .

واصطلح الإخوان آخر الأمر على اتفاق يفهم منه أننا موافقون له مع حسبان الحساب لهامش يزيد وينقص على حسب الظروف . أو أننا مخالفون له فى حدود ذلك الهامش الذى تعتريه مقادير الزيادة والنقصان كذلك على حسب الظروف .

وكان له عندنا أن يختار بين دورين يراوح بينهما ، ونراوح بينهما نحن كما يشاء ونشاء . . دور فاجنر العظيم ودور (العم بجبح) فى المسرحية النموذجية على مسرحه القديم .

كان يقبل على الندوة فى مشيته الوئيدة فنلقاه قائلين :

هذا الشجاعى آت من ها هنا يتبختر
يمشى رويدًا رويدً كأنما هو « فجنر »

أو نلقاه قائلين :

هذا الشجاعى آت من ها هنا يترنح
يمشى رويدًا رويدًا كأنه العم « بجبح »

وفى زيارته الأخيرة ، منذ أسبوعين جلس بعد صعود السلم مجهدًا فراح يقول فى تعقيبه على البيت : ها هو « التبختر » يفرضه علينا الزمن بالإكراه ، وها نحن نترنح بحمد الله ونحن قاعدون .

ودار الكلام فى الندوة على فاجنر ونحن ننوى أن نستعين بالصديق الكريم للاستماع إلى مختاراته يوم الاحتفال بذكراه ، وكثيرًا ما استعنّا به قبل ذلك فى اقتناء كل آية من آيات الموسيقى العالمية نحب أن نفهمها ممن يقدر على جلائها وتوضيح أسرارها لمن تعوزهم الدربة على استماعها مع الرغبة فيها ، ويشاء القدر أن نتطلع إلى لقائه فى أسبوع فاجنر الذى ترددت فيه ذكراه لانقضاء مائة وخمسين سنة على ميلاده ، فإذا بالأجل المحتوم يحول دون اللقاء ! . . وإذا بالشجاعى خبر من أخبار النعاة ، نسمعه ولا نراه ! . .

بدعة من بدع المدخنين*

قرأت اليوم فى الصحف بشرى للمدخنين لأنهم يستطيعون قريبًا أن يدخنوا سجائر محشوة بالتفاح والبنجر والخضر والفاكهة . . . بدلاً من السجائر المحشوة بالنيكوتين ، وقد أكد خبراء التدخين أن السجائر الجديدة سترضى المدخنين وتدخل مزاجهم كما يقول المدخنون . . .

وقبل أكثر من عشر سنوات سمعت عن خلطة جديدة للسجائر من اختراع الأستاذ إسماعيل الحكيم والد زميلنا الألمعى الأستاذ توفيق الحكيم ، وقوامها نخبة من الأعشاب والزعتر على الخصوص .

* * *

على أثر معركة من معارك اللغة فى المجمع دعانى زميلنا الكبير عبد العزيز فهمى (باشا) إلى تناول الغداء معه بمنزله فى شارع بطرس باشا المجاور للشارع الذى أسكن فيه .

ووجد شيخ القضاة عند دخوله حجرة الاستقبال نسخة من كتاب جديد للأستاذ توفيق ، فقال متمتمًا : الله يرحم والده ؟ . . هل صاحبكم ياترى كأبيه فى فلسفته ؟

قلت : وهل كان أبوه فيلسوفًا ؟ . .

قال : على نحو ما نعم . .

كان يحب أن يبتدع له بدعةً فى كل شىء حتى التدخين ، وخطر له يومًا أن يسأل نفسه : لماذا يصنع الناس السجائر من الدخان ولا يصنعونها من الأعشاب الكثيرة التى تمتلئ بها أحقاق العطارين عندنا ؟ لماذا لا يدخنون سجائر من الزعتر مثلاً وهو أطيب رائحةً وأحسن مذاقًا .

---

* الأخبار فى ٢١/ ٨/ ١٩٦٣ .

وجاءنا يومًا ، وكنت أنا ولطفى[1] على قهوة بميدان الأوبرا . وفى يده سيجارة من تلك السجائر الفلسفية ، فبادرناه مداعبين بهذه التحية فى شطر من الشعر :

يا مرحبًا بالفلسفة !

فأجاب بغير تمهل :

إن لم يكن فيها سفه .

ثم أخذ فى شرح فلسفته التدخينية مع فلسفات أخرى فى شتى مسائل القانون والاجتماع ، وقد كنا ندرسها معًا بمدرسة الحقوق .

ذكرت ذلك الاختراع القديم حين قرأت هذا الاختراع الأمريكانى الجديد ، وأحببت أن أذكر به زميلنا الأستاذ توفيق الحكيم . . . لكيلا تفوته المطالبة بحق الاختراع الأول إذا نجحت التجربة ، وليست حجته القانونية بالتى تخفى عليه . . !

---

(١) المقصود هو أستاذ الجيل المرحوم أحمد لطفى السيد .

إذاعتنا الرائجة*

« ليس بالعسير تفسير هذا الرواج الإذاعى فى مصيفنا الأكبر ؛ لأن المصطافين يقضون ساعات فى النهار والليل بعيدين عن بيوتهم وليس لديهم وسيلة للتسلية أيسر محملاً وأطول وقتًا من جهاز الإذاعة الصغير » .

بدا لى فى رحلات الشتاء . إلى الصعيد أن القرية الريفية تستوفى من الإذاعة نصيبًا أطول أمدًا وأوفر عددًا من نصيب المدن الكبرى ، ولا سيما القاهرة .

والقرية من قديم الزمن لم تخل من المذيع المتطوع ، والسامع المتطوع ، والناقل المتطوع ، سواء باتفاق أبناء القرية أو بالتفاهم الذى يشبه الاتفاق ، لأن عزلة القرية عن مراكز العمران الحافلة بسكانها وقصّادها خليق أن يفعل (الخبر) بضاعةً حيويةً لا غنى عنها ، ولا مناص من الفضوليين وغير الفضوليين من التعويل عليها .

فلما وصلت الإذاعة إلى القرية لا جرم يستنفد القرويون كل قطرة من قطراتها ، بعد أن وصلت إلى عقر الدار وسكنت فى كل جوار ، ويوشك أن ترى هنالك صاحب الفضول ومن لا فضول عنده ينبئك باسم القارئ قبل أن ينتهى من البسملة ، أو ينبئك باسم المذيع الذى لا تعرفه وأنت فى القاهرة ، أو ينبئك بأخبار مسموعة من المحطات التى لا تفكر فى البحث عنها .

ولم أزل أعتقد هذا الاعتقاد فى القرية الريفية حتى رحلت رحلة الصيف هذا العام إلى الإسكندرية ، فهى – بغير منازع – معسكر الإذاعة الأول. بين المدن الكبرى والقرى الصغيرة على السواء ، وهى فى لغة المباراة تسجل الرقم القياسى فى مجال الإذاعة بغير منازع .

حيثما سرت بين شارع سعد زغلول أو طريق الحرية أو شاطئ البحر صادفتك

* الأخبار فى ١٦/ ١/ ١٩٦٣ .

أصوات الإذاعة من أجهزتها الصغيرة على اختلاف النماذج والأشكال يعرضها الباعة على زبائنهم وعلى عابرى الطريق ، ويجتهدون فى إدارتها على مصادر مختلفة من محطاتنا المحلية ، ومن المحطات الخارجية بعض الأحيان .

وليس بالعسير تفسير هذا الرواج الإذاعى فى مصيفنا الأكبر ؛ لأن المصطافين يقضون ساعات من النهار والليل بعيدين عن بيوتهم ، وليست لديهم من وسيلة للتسلية أيسر محملاً وأطول وقتًا من جهاز الإذاعة الصغير ، فهو أداةٌ لازمةٌ لضيف الشاطئ ولو كان من أبناء البلد المقيمين فيها ، ممن يملكون الأجهزة الكبيرة حيث أقاموا فى داخل المدينة .

ولكن الجو الإسكندرى – على ما يظهر – يمتاز بمزية أخرى للأجهزة الصغيرة غير سهولة النقل إلى الشاطئ أو إلى النزهات البعيدة . لأن هذه الأجهزة تلتقط فى جو الشاطئ أصداء من المحطات الخارجية لا تسمع فى القاهرة ، وقد تبادر السمع عرضًا عند أيسر حركة من مؤشر الصوت بغير قصد ولا محاولة .

وتأتى بعد ذلك ، أو قبل ذلك ، مزية (العرض) العاطفى التى تغتنم الفرصة للظهور فى كل معرض مسموع أو منظور ، أو مشموم ، عند اللزوم . فليس أكثر من عرض الروائح والعطور فى كل مزدحم معمور ، وأكثر من ذلك عرض المناديل للناظرين وعرض الأغانى للسامعين ، ثم هذا العرض الجديد الذى لا يزال فى المصيف الأكبر مترددًا بين الآذان والأبصار .

ثلاثة شبان رأيناهم على إفريز الشاطئ يحمل كل منهم جهازًا صغيرًا من نموذج مختلف ، ويستمعون جميعًا إلى أجهزتهم وهم يتبادلون النكات والضحكات ، أو يتبادلون كلمات التحية والإعجاب . . لا يدرى أحد أهى تحية لما ينظر أو لما يسمعون .

وثلاثة أجهزة مسموعة فى وقت واحد أعجب من خطباء ثلاثة يتكلمون فى وقت واحد لضيق الوقت وزيادة الفائدة . . . كما فعلها بعض أشقياء الأدباء[1] فى محفل

(١) يقصد العقاد الأديب الشاعر الراحل محمد مصطفى حمام – الذى كان يقدم المتحدثين ولكثرة الراغبين فى الحديث شاءت شقاوته أن يقول : نظرًا لضيق الوقت سيتحدث كل خطيبين فى وقت واحد ..

مزيف من محافل التكريم أقيم فى زاوية من زوايا قهوة الفيشاوى منذ سنوات .

نعم إن الاستماع من أجهزة ثلاثة للإذاعة فى وقت واحد عجيب ولو كانت تصدر عن محطة واحدة ، وقديمًا حكم قاضى بغداد بالحجْر على سفيه ، واستدل على سفهه باقتنائه جاريتين زامرتين ، وفى وسعه أن يقتنيهما زامرةً وعوّادةً أو زامرة وطبّالةً أو زامرةً وراقصة ، لو كان أهلا لحسن التصرف فى ساعات المجون !

فأما إذا صدرت الأجهزة الثلاثة عن محطات ثلاثة فى وقت واحد فهو برج بابل بغير مسوغ من غضب الله ، أو هو محفل الفيشاوى بغير حاجة إلى (شقاوة) المحتفلين والمكرمين والمزيفين .

لكن الحق يقال إن الشبان حملة الأجهزة الثلاثة قد سبكوا الصنعة وقطعوا ألسنة بابل وألسنة الأشقياء الفيشاويين لأنهم حملوا أجهزتهم وهم يضعون سماعاتهم فى آذانهم ، فلا محل للاعتراض باسم الذوق ولا باسم حيث كانت ، واستحقت تحية الإعجاب من غير المستمعين . . كما استحقتها من قاضى بغداد !

وإذا جرت مظاهر العرض كلها على هذه السنّة فقد حملت رخصتها معها من المستمعين (المزعومين) . .

ماركة البنت فى أغنية اليوم*

« اتفق لى أن سمعت أصوات الناشئين جميعًا بعد طبقة أم كلثوم وعبد الوهاب ، فأعجبنى منها ما يعجب جماهير هؤلاء الناشئين : لكننى لم أزل أشعر بفراغ منتظر بعد ذلك الإعجاب السريع كأنه إعجابنا بالثمرة المعلقة على الغصن فى انتظار (الاستواء) . . »

ربما كان حديث النقاد الموسيقيين عن أزمة الأصوات الفنية حديثًا مبالغًا فيه أو مصروفًا إلى غير معناه .

فكل ما نفهمه من شكاياتهم المتكررة أنهم يشكون الحاجة إلى الثروة المفرطة . ولابدّ من التفرقة بين الحاجة إلى ثروة القناطير المقنطرة من الذهب ، وبين شكوى الأزمة الخانقة أو الفاقة المدقعة !

نحن ، ولا جدال ، نفتقد تلك الأصوات الوافية المشبعة بالألوان من جميع الطبقات فى سلم الغناء ، ولكن فقدان هذه الأصوات فى بعض الفترات عَرَضٌ دائمٌ فى جميع الفنون لا فى فن الغناء وحده ؛ ولهذا نسمى هذه الأصوات وما شابهها من الملكات الفنية بالظواهر النادرة فى كل أمة ، ولا يتفق أن تكون الملكة نادرةً وأن نطلبها فلا نفقدها فى حين من الأحيان .

فإذا قنعنا بالثروة الميسورة على الدوام فعندنا ، بحمد الله ، أصوات جميلة وأصوات رخيمة وأصوات صافية وأصوات عميقة وأصوات حنون وأصوات مؤدية فى كثير من المعانى الإنسانية التى لا تحتاج كلها إلى الخوارق النادرة من وراء طاقة الأوساط والممتازين .

وربما لوحظ على بعض هذه الأصوات أنا بارزة ناطقة وليست ممسوحة

---

* الأخبار فى ٢١/ ٨/ ١٩٦٣ .

ولا ناصلة ، ولكنها كرسم الكربون تعطينا الصورة السماعية بلون واحد يختلف بالظلال ولا يختلف بزخارف الأصباغ ، ويقبل هذا الصوت كما تقبل الصورة « الكربونية » متى حسبنا له حسابه وطلبناه .

وقد اتفق لى أننى سمعت أصوات الناشئين جميعًا بعد طبقة أم كلثوم وعبد الوهاب ، فأعجبنى منها ما يعجب جماهير هؤلاء الناشئين : ولكننى لم أزل أشعر بفراغ منتظر بعد ذلك الإعجاب السريع . كأنه إعجابنا بالثمرة المعلقة على الغصن فى انتظار « الاستواء » !

ثم رأيت صورهم أخيرًا وهم يبلغون نحو العشرين ، فكان من بوادر الملاحظة التى تسبق إلى الناظر إليهم لأول لمحة أنهم جميعًا « طقم » واحد فى القامة والمنظر والحركة والوجهة الصوتية كأنهم مصنوعون بتوصية واحدة ، وكلهم ممن يخيل إليك أنهم كانوا يحملون محفظة الكتب تحت آباطهم قبل هنيهة ، ثم تركوها فى بعض الطريق !

دقة « تلاميذى » بلا اختلاف بين الأشكال والأصوات والمظاهر ، لولا زيادة عن السن – قليلاً – فى بعض الأحوال .

والدقة « التلاميذى » لا تتركهم فى ساعة الإنشاد ، فكل من استمع إليهم لم يفته أن يذكر التلميذ الذى ينطلق بصوته إلى غاية مداه على منصة الإنشاد فى حصة المحفوظات ، ويبدو على محياه فى حماسته المتطلعة أن اجتهاده كله معلق على انتظار درجة أو درجتين من جانب الممتحنين ، وهو على ثقة من عاطفة التسامح عند مستمعيه المشجعين !

إن هذا « الطقم » فى مجموعه هو طقم المرحلة التى أصبحت فيها « البنت » سيدة السماع باتفاق الآباء والأمهات والإخوة .

كان الرجل الكهل هو سيد السماع قبل خمسين سنة ، وكنت لا ترى على التخت مطربًا تقل سنّه عن الأربعين ، على أيام يوسف المنْيلاوى ومحمد السبع وعبد الحى حلمى وصالح عبد الحى ، إلى أن توسط بين المرحلتين شفيق وعبد اللطيف البنا وعبد المطلب فى مطلع شبابه ، فاجترأ على الصعود إلى التخت من لم يبلغ الثلاثين .

ولم يكن للمرأة « الأم » قسط من هذا السماع إلّا من وراء حجاب ، حيث تستمع هناك لأغانى العوالم الممنوعة فى غير زوايا الحجرات ، وإنما يسمح للبنات فى سن العروس المزفوفة بالاستماع إليها ، على سبيل « البحبحة » المبذولة فى ليالى الأفراح .

فلما اجترأت « البنت » على إعلان عاطفتها ظهر الطقم « التلاميذى » الذى يردد لها التعبير عن تلك العاطفة من منصات الغناء ، ولعله قد ظهر قبل ذلك بتمهيد طويل فى أدوار المنولوجات والأحاديات ، ولا تزال مسحة المنولوج عالقة بأغانى هذا الطقم من المطربين إلى آخر ما ظهر منها على التخت أو بين فصول الأفلام .

واتصلت حلقات هذا الفن حول بيئة الأسرة التى تحيط بالبنت فى سن التعبير عن العاطفة الناشئة ، فبرزت بينها الأحاديث عن الأب والأم والأخ والخطيب ، وعن معارض البلكون ومساجلات التليفون . . . ولم يبرح للمحفظة مكانها تحت ذراعى الطقم « التلاميذى » الذى ينطلق بهتافه إلى غاية مداه فى حصة المحفوظات ، على ثقة بتشجيع المستمعين وإعجاب « التلميذة » التى لا يهمها الدور كما يهمها قائل الدور أو من يمثله فى عالم الخيال .

ومن الحسن أن تنضج هذه الثمرة على شجرتها ، وأن يتأنى عليها القاطفون إلى أوانها ، ولا ضير أن تعرض فى سوق الفاكهة أحيانًا بأغلى من أثمانها « الاقتصادية » . . . كما هى العادة فى موسم البواكير .

لطفى السيد واللغة *

« فى مقال للكاتب الكبير أحمد حسن الزيات بمجلة الأزهر عن المرحوم أحمد لطفى السيد قرأت هذه الفقرة (إنه فى عهده رد المجمع الاعتبار إلى المولد وقبل السماع من المولدين وقرب المسافة بين الفصحى والعامية بقبول ما وضع الصناع والزراع والتجار وغيرهم من كل ذى حرفة) . . والحالة الأخيرة مقبولة للتيسير على أرباب الحرف ، ولكن ما فائدة تساهل المجمع مع المولدين ؟ . . أرجو الإجابة لفائدة القراء . . »

مصطفى محمود مصطفى

مدرس لغة عربية
بمدرسة منرس الليان الإعدادية

ومن رأينا أن الاعتماد على الأمثلة أدعى إلى صحة الحكم عليها من مجرد الكلام فى القاعدة العامة بغير مثال .

ونقترح على الأستاذ المدرس أن يختار عشر كلمات أو عشرين كلمةً من لغة المولدين ثم يبين الضرر من استخدامها فى لغة الكتّاب الفصيحة ، أو يبين وجه الاعتراض عليها ، وربما بدا له يومئذ أنها تسوغ فى التعبير عن معانى الكاتب العصرى كما ساغ غيرها من اللفظ المعرب أو المولد أو الدخيل ، مما لم يكن له أصل فى لغة الجاهلية .

والذى نراه أن اللفظ العربى الحديث سائغ فى عصرنا كلما استطعنا إجراءه مجرى اللفظ « الجاهلى » فى أحكام التصريف وأوزان الاشتقاق وقواعد الإعراب وقد توجب الضرورة اقتباسه إذا لم يكن له نظير من الكلام الفصيح فى مدلوله على المستحدث من العوارض الاجتماعية .

---

* الأخبار فى ١٩٦٣/٣/٥

قطار الإسكندرية عذول . . *

كان رسوًلا فأوشك أن يكون عذوًلا ونخاله – كما قال أبو الطيب – عذول ما من صداقته بد ، لأن اجتنابه خليق أن يصبح اجتنابًا للمحبوب .

ذلك هو قطار الإسكندرية ، وهو فى الواقع أكثر من قطار ، بل أكثر من قطارين ، وإذا قصرنا الأمر على القطر التى تزود بجهاز التكييف ! تكييف الهواء .

عذول وياله من عذول .

كان المسافر إلى الإسكندرية يتنسم الهواء بعد مفارقه دمنهور بقليل ، ويبشر نفسه باقتراب الديار .

وفى محطة « سيدى جابر » يسرع إلى الرصيف وهو يصيح فى سره ، أويصيح لمن حوله :

هاهو نسيم البحر !

هاقد وصلنا ! . .

فإذا اصطحب العذول اليوم فهو من محطة القاهرة فى جو كجو الدنمرك على مسافة النظر من بحار القطب وثلوجه ، ويصل إلى رصيف سيدى جابر وهو يتأفف ويتململ ، لأنه سينتقل فى ثوان معدودات من أوائل الشتاء إلى أواخر الربيع ، ويجاهد ما يجاهد أن يصيح لنفسه أو لمن حوله : هاقد وصلنا . . فلا يستطيع !

وبوده أن يقول للقطار – لو يستطيع أيضًا – سر على بركة الله إلى غير انتهاء .

عذول وياله من عذول ، ولكنه قد يحتمل بعض الاحتمال ، ولا احتمال لفراقه كل الفراق !

* الأخبار فى ١٤/ ١/ ١٩٦٣ .

ولا أظن أن الشكوى من هذا العذول شائعة من ركاب القطار . فإننى لا أعرف غير الآحاد القليلين ممن يشكون تكييف الهواء كما أشكوه ، أو ممن يخشون الفارق المحسوس بين التكييف والتبريد كما أخشاه ، لأن الأكثرين من طلاب التبريد باسم التكييف يضايقهم الحر أشد من مضايقة الزكام ، ولعلهم يحتملون الزكام بعد مفارقة القطار ولا يحملون القطار وزره ، أويندمون على التعرض له مختارين !

ولقد كان لى شريك واحد فى شكوى « التكييف » بقاعة مجلس الشيوخ ، وكان الداخل إلى القاعة ينتقل فى وثبة واحدة من جو القارة الأفريقية إلى جو القارة الأوربية فى أقصى الشمال ، ولربما انتقل من القاهرة إلى كوبنهاجن – متدرجًا بالطائرة السريعة – فى بضعة أيام ، ولا يسلم مع هذا من مفاجأة الانتقال .

كان شريكى الوحيد فى الشكوى من هذه النقلة أستاذ الجيل أحمد لطفى السيد . .

وكنت أسمعه يقول لمهندس التكييف : وهل نحن سمك ياخلق الله !

ولكن « كثرة الأصوات هنا » تقضى قضاءها بغير اقتراع ، لأن الكثرة من الشيوخ كانوا يتقبلون الانتماء إلى عالم الماء ، ولا ينسون أنه من الماء يخلق جميع الأحياء .

وليست لنا اليوم حيلة فى أمر هذا العذول المحبوب ! . . قطار إسكندرية .

كل ما هنالك أن نرتضى التكييف بدلا من التبريد . فلا نحس أننا نفارق المصيف إذا وصلنا إلى أرض المصيف ، ولا نزال نتدرج بدرجات « ميزان الحرارة » فى داخل القطار من جو كجو القاهرة إلى أن نبلغ الإسكندرية فى جو كجوها ، أو دونه بقليل .

وعندئذ نفارق القطار ونحن نستطيع أن نصيح لأنفسنا ، أو نصيح لمن حولنا : الحمد لله ! ها قد وصلنا إلى المصيف .

* * *

كان « كوكو » خير صاحب لى فى رحلتى الصيفية ، بالثغر الإسكندرى هذا العام .

ولعلك تسأل : من كوكو هذا ؟

فاسأل ما بدا لك فى هذه الأيام ، واسأل سؤالك هذا فى أرجاء القارة الأوربية كما تسأله فى أحياء القاهرة والإسكندرية ، لأنك تسأله وأنت فى أمان من تهمة الجهل

بأسماء الأعلام من الأقطاب أو الأبطال !

أما قبل عشرين سنة فكن على ثقة من ابتسامة الإشفاق على فم كل طفل فى عواصم القارة الأوربية إذا سألته : ومن يكون كوكو هذا ؟

فإن « كوكو » هذا قد كان ملك « السيرك » فى أرجاء تلك القارة من موسكو إلى برلين إلى باريس إلى لندن ، إلى أطراف القرى فى أكثر تلك الأقطار . .

وقد يعلم بعض أصدقائنا القراء أنى أخص الرحلة الصيفية فى كل سنة بسيرة فنان أو فنانة من مشاهير الفن العالميين . وأن المصادفة هى التى تختار لى السيرة التى أصاحبها فى تلك السنة ، لأننى أجدها فى أول جولة من جولات الاستطلاع بين مكتبات الثغر أو مكتبات القاهرة قبل وداعها .

وهكذا اتفقت لى مصاحبة الراقصة النابغة « إيزادورادنكان » . . كما اتفقت لى مصاحبة شارلى شابلن ومارلين مونرو ونكولاى بولياكوف البهلوان . . .

ونكولاى بولياكوف هو « كوكو » بعينه كما كتب فى دفتر الميلاد .

* * *

وليس اختيارى لتراجم الفنانين فى المصيف عن استخفاف بشأن هؤلاء الزملاء فى صناعة الفن والأدب ، ولكننى أعتقد أن ترجمة الفنان أصلح القراءات للتعريف بطبيعة النفس الإنسانية ، سواء عرفناه هو أو عرفنا الناس من خلال عمله ، وليس له عمل غير الإعراب عن نفوس الناس ، وليس للتراجم كلها من عمل ولا غاية غير هذا الإعراب وبعد هذا أختار تراجم الفنانين لمطالعات المصيف ، لأنه أوان التسرية عن النفس . وكل ما فى حياة الفن أو حياة الفنان تسرية للنفوس .

وزميلنا فى هذه السنة « كوكو » إن له قدرة على استخدام صفحة الكتاب لا تقل عن قدرته على استخدام ساحة السيرك والمسرح ، فلا أغالى إذا قلت إن طبيعة الإنسان لم تتمثل فى ترجمة عظيم ولا صغير خيرًا مما تمثلت فى ترجمة هذا البهلوان !

ولا نهاية لصفحات العواطف التى تعرضها أمامنا ترجمة « كوكو » أو ترجمة نكولاى بولياكوف : فكل ما يعنى الإنسان من عواطف الأبوة والأمومة .

أو عواطف البنوة والزوجية ، أو عواطف الحب والكراهية ، والرغبة والأمل والقنوط ، فى حالات الفقر والغنى وحالات الحَجْر والحرية ، وحالات الزهو والاستكانة ، وكل ما يلابس هذه الحالات من سن الخامسة حتى سن الخمسين ، فهو هنالك فى صفحات هذه الترجمة التى لاتزيد على مائتين وخمسين صفحة من القطع الصغير .

ومن البديهى أن النقائض فى حياة البهلوان كانت هى أول ما يسترعى النظر من نقائض الدنيا كما عرضها صاحبنا ، وهو غير قليل .

فما نحسب قارئًا يلم بهذه الصفحات ثم لا يستوقفه هذا السؤال قبل كل سؤال !

كيف ياترى يتفق فى كيان المخلوق الواحد كل هذا الإفلات من ضوابط المعيشة وكل هذه القدرة على ضبط حركات الجسم على قيد الأنملة بل على قيد الشعرة ، فى ألعاب تؤدى بالحياة عند أيسر اختلال ؟

وكيف يعيش هذا الرجل على هواه فى الحركة من بيت إلى بيت ومن معيشة إلى معيشة ، ومن بلد إلى بلد ، ومن سيرك إلى سيرك ، فلا يحكم نفسه ولا يحكمه أحد حيثما خطر له أن يرحل بغير سبب ، ويقيم بغير سبب ، ويتصل بغير سبب هنا وينقطع بغير سبب هناك ؟

كيف يملكه هواه الشارد هكذا بغير ضابط ولا مانع وهو يملك كل نقلة من نقلات أصابعه على الحبال والأسلاك وحوافى الكراسى وأسنان الدبابيس ، فلا يأتى بحركة من هذه الحركات بغير تقدير بالغ وحذر دقيق ! ؟

أخال أن المشكلة فى هذا التناقض تنحل كلها أمامنا حين نرجع بالفوضى فى جانب والنظام فى جانب آخر إلى مصدرين مختلفين من ذلك الكيان الإنسانى العجيب !

تنحل كلها – أو أكثرها – إذا فرقنا بين عمل الإرادة وعمل الغريزة فى حركات البهلوان .

فهو مستسلم لرغباته تغلبه دوافع الإرادة التى لا يقوى على ضبطها فى أطوار المعيشة .

وهو إذا ألقى اعتماده كله على كوامن الغريزة الحيوانية فيه صنعت له الغريزة ما تصنعه من عجائب الحركة فى طبائع الحيوان . .

ولهذا تتعلم الفيلة وسباع البحر والنمور والخيل ضروبًا من حركات التوازن وضبط الأعضاء لا ملهم لها فيها غير كوامن الغريزة التى تعلمتها ثم نسيتها بعد استقرارها فى أعصابها وأدمغتها وعضلاتها ملايين السنين !

وقد وقعت لى ترجمة البهلوان العالمى بعد سهرة ممتعة مع التليفزيون (المرناء) شهدت فيها معرضًا وافيًا من معارض البراعة فى الألعاب الرياضية والحركات البهلوانية التى يحق لنا أن نسميها بالمخاطرات ولا يجوز أن يقلل من خطرها عندنا أنها منتظمة مدروسة وأنها تكررت ولا تزال تتكرر حتى تفارقها فكرة الخطر فى نفوس النظارة الذين لا يشاهدونها للمرة الأولى .

ولا أحسب أن الحركات التى وصفها كوكو فى ترجمته تفوق تلك الحركات التى أداها لاعبونا فى تلك السهرة . . إلا بعض حركات نادرة تأتى فيها البراعة من قدرة الفنان على التصرف فى خطته المرسومة المتكررة ويدل على هذه البراعة مبلغ ما فيها من التفاهم المفاجىء بين اللاعبين ، مع أنهم لم يتوقعوها ولم يستعدوا بالمرانة الطويلة على التوفيق بين حركاتهم فى كل منها .

إحدى هذه الحركات يشترك فيها نحو عشرين لاعبًا يؤدون أعمالهم فوق منصة عالية منصوبة على خشبة يحملها سلك دقيق معلق فى الهواء .

وتنكسر الخشبة خطأ لأنها كانت غير الخشبة المعدة لهذه اللعبة ، ولكن الكارثة المحتومة لم تقع لساعتها كما توقع جميع العارفين باللعبة ، لأن اللاعبين تداهموا فى أقل من لمحة عين إلى التصرف اللازم للهبوط بالجميع إلى الأرض سالمين ، وموضع الدهشة فى هذه الأعجوبة أن بنتًا صغيرةً من اللاعبين أغمى عليها فتكفل الممسكون بها من كلتا يديها بتدبير حركاتها إلى أن أفاقت من غشيتها بعد قليل ، وتمت اللعبة فى مثل موعدها وكثير من المشاهدين يحسبون أنها كانت مقصودة بما فيها من الخطأ وهو كسر الخشبة وإغماء البنت الصغيرة .

ومن تصرفات « كوكو » نفسه أعجوبة أخرى كهذه الأعجوبة ولكن بغير أخطارها .

أصيب بعطل فى رجليه وخطر له أن اعتزال العمل قضاء محتوم عليه قبل شفاء رجليه ، ولكنه لم يلبث أن اخترع لأداء حركاته التى اختص بها مع مساعديه وهو جالس على الكرسى الذى كان يحمل عليه بعض مساعديه وهو سليم !

ومن طرائف مخترعاته – السهلة – فى المستشفى أنه اشتاق إلى التدخين وهو ممنوع فى حجرة المرضى ، ورأى مريضًا آخر يدخن على بعد خطوات منه فسأله نفسًا من السيجارة التى لا تزال فى يده . .

قال زميله : وكيف ياسيد كوكو بالنفس وأنت لا تقوى على المشى وأنا لا أقوى على قذف السيجارة إليك ؟

وفى لحظة خاطفة كان البهلوان المصاب بقدميه « قائمًا » على يديه . . وأخذ ماشاء من أنفاس السيجارة الوحيدة وهو ينفخ بها إلى الأرض ، بدلًا من الهواء !

ومثل هذا التصرف فى البهلوانية لا يعسر على أبطالنا ولا ريب ، ولكن البراعة التى تنقذ اللاعب من الخطر فى حالتى الصواب والخطأ على هذه سواء ، هى موضع العثرة كما يقال فى هذا المقام .

نكولاى بولياكوف أو «كوكو» مرة أخرى*

« . . . كان من حظى أن أتلاقى معكم فى قراءة ترجمة المهرج كوكو التى كتبها بقلمه . وأعجبت كما أعجبتم بطرائفه وألاعيبه وأخباره وتهريجاته . ولكن ألا ترون معى أنه يكثر من الفشر والاختلاق فى بعض رواياته ؟ . . »

ارجعوا مثلا إلى حكايته عن الرجل التركى زارو أغا الذى عاش – كما زعم كوكو – حتى نيف على مائة وستين سنة وقال إنه كان يظهر معه فى سيرك واحد ؟ . . ألا ترون أنها تهريجة تاريخية ؟ . . مارأيكم فى أمثال هذه الأخبار وفى أمثال هذه الترجمات التى تشبه تهويلات البرقيات الصحفية فى هذه الأيام ؟ .

عرفة محمد حجازى

إسكندرية

. . .إذا كانت قصة زارو أغا هى الشبهة الوحيدة فى صدق «كوكو» عند السيد عرفة فلا موجب للشك فى أحاديث الرجل ، لأن قصة زاروا أغا على الأخص قد وردت فى أكثر من كتاب من كتب التحقيقات العلمية ، وآخر ما قرأناه عنه فى كتاب يبحث فى مسألة الشيخوخة تعليق على قصة توماس بار الذى كتب عنه العلامة وليام هارفى الذى قيل إنه عاش إلى أن جاوز الثانية والخمسين بعد المائة . ثم ذكره روبرت دى روب فى كتابة الأخير عن « الإنسان فى وجه الشيخوخة » واستطرد فى قصته إلى قصة زارو أغا معتمدًا فيها على التشريحات الطبية بعد الروايات المتواترة عن شهود العيان

ويقول صاحب كتاب الإنسان فى وجه الشيخوخة : « إننا إذا جئنا بعد ذلك إلى العصور المتأخرة وجدنا قصة بار تتحداها قصة زارو أغا أكبر رجل فى العالم وقد ادعى

* الأخبار فى ٢١/٨/١٩٦٣

فى سنة وفاته – « ١٩٣٤ » – أنه بلغ السادسة والخمسين بعد المائة ، يقول الدكتور شكرى اكسيل الذى شرّح جثة هذا التركى الموقر إن هذا العمر ربما كان عرضة للتساؤل ، ولكن عمر زارو أغا لا يمكن أن يقل عن مائة وثلاثين سنة » كما ظهر بداهة من التشريحات الطبية ، ومن التقارير التى كانت بين يدى الطبيب .

والبهلوان كوكو لم يزد فى روايته على نقل الخبر عن زارو أغا نفسه وعن مستر سيريل ميلز الذى أحضره معه من أمريكا بين معروضاته الغريبة ، وزادنا كوكو بيانًا مشبعًا بالعطف والطيبة عن زميله فى السيرك وعن عاداته المقلقة التى كان يشغل بها السيرك كله فى أخريات أيامه . ومنها أنه كان يتصايح ألمًا من وجع أسنانه . . أسنانه التى سقطت منذ سبعين سنة لأنه تعود من مدير السيرك فى هذه الحالة أن يعالجه من وجع الأسنان بملعقة كالملاعق التى يضعها أطباء الأسنان فى أفواه المرضى ، ولكنها مملوءة بالمربيات وأطايب الحلوى بدلا من الأدوية والعقاقير . . ومنها أنه كان يسلك فى لهوه وعربدته مسلكًا صبيانيًا عجيبًا يذكرنا بقول القائلين إن الشيخوخة العليا طفولة ثانية ، ولكن العجب فى هذا المسلك أن الرجل كان يذكر فى هذه الشيخوخة « الطفلية » وقائع من حقائق التاريخ شهدها بعينيه فى أيام طفولته الأولى .

ولا نرى من مراجعة أخبار كوكو فى سيرته الممتعة أنه تخطى الحقيقة فى رواية من رواياته « الشخصية » عن العصر الحديث ، وليست رواياته عن زارو أغا – خلاصة – إلا مثلا من أمثلة البساطة الصادقة فى نقل كل ما شاهده وسمع به أيام حياته البلهوانية ، ونذكر أننا أشرنا إلى قصة زارو هذه فى اليوميات منذ شهور لمناسبة الخبر الذى نقلته المجلات الأدبية والعلمية عن وفاة السيدة « أطيش نينه » مواطنة زارو . . وقيل إنها من مواليد سنة ١٧٩٥ . . . وقد كان تعقيبنا على جملة هذه الأخبار أننا لم نعرف أحدًا فى بلادنا جاوز المائة ، ولكن الذين قاربوها من المشهورين بيننا لم يحمدوا قرباها على مدى سنوات ، وذكرنا منهم فارس نمر وعبد العزيز فهمى وأحمد لطفى السيد ، وهو الذى كان يقول فى سنواته الأخيرة : إننى لا أتمنى بلوغ التسعين لصديق .

الباتفزيكا . . أهم من اللامعقول ! *

ما هى خلاصة فلسفة المسرح « اللامعقول » عند يونسكو ودورنمات ؟ وما الفرق بينهما إن كان هناك فرق « مفهوم » بين الفلسفات فى هذه المذاهب ؟

هذه أسئلة مقتبسة من رسائل خمس أو ست من بعض أصدقائنا القراء ، أجملناها لنجيب عنها فى موضع واحد ، لأنها متفقة فى موضوعها بغير اختلاف بين أجزائها ، إلا فى رسالة واحدة يسأل صاحبها عن « دورنمات » هل هو شخصية « حقيقة » أو هو كرواية الهواء الأسود المنسوبة إليها خرافة مختلقة لا أثر لها فى الحقيقة ؟

ونفرغ من السؤال عن حقيقة دورنمات (أوّلاً) فنقول إنه «شخصية» موجودة فى عالم التأليف وفى عالم الواقع ، وإنه الآن يجاوز الثانية والأربعين . لأنه ولد فى الخامس من شهر يناير (سنة ١٩٢١) ويبلغ من الشهرة المسرحية فى ألمانيا وانجلترا والولايات المتحدة ما لم يبلغه شريكه فى المسرح اللامعقول أوجين يونسكو الكاتب الرومانى الذى لا يعرف كثيرًا فى غير البلاد اللاتينية ، أو لا يعرف فى تلك البلاد كما عرف فيها دورنمات Duerrenmatt الذى يدل اسمه على أصالة قديمة فى العنصر الجرمانى ، وإن كان من مواليد إقليم « برن » السويسرى وهو خليط من سلالة الجرمان والسلالات السويسرية الأخرى . ولعل هذه الأصالة « الجرمانية » هى سر الرواج الذى امتاز به على صاحبه فى ألمانيا وبلاد السكندناف كما امتاز به فى بلاد اللغة الإنجليزية . ولعلها هى أيضًا سر الاقتصاد فى « موضة » التهريج عنده ، لأن الموضات الفنية وموضات الأزياء منها هى ميراث الدول اللاتينية فى باريس عاصمة الأزياء المتجددة من كل لون .

والفرق بين « الهذيان الفلسفى » عند الاثنين أنهما يختلفان فى تفاصيل الإخراج أكثر

* الأخبار فى ١٥/ ٥/ ١٩٦٣

من اختلافهما فى منهج الكتابة وغايتها ، وقد يضيقان معًا بنسبتهما إلى مذهب « اللامعقول » ويقولان معًا إنهما لا يقصدان الكتابة على قواعد هذه المذاهب ، ولكن الهذيان الذى ينقل عنهما يتخبط فى ألوان من اللغو لا تنتهى إلى طائل ، ويناقض كل منهما نفسه كما يناقض الآخر مرات وهما يفصلان دور الممثل إلى جانب دور الكاتب ودور المخرج إلى جانب دور النظارة فى تأليف الرواية المسرحية ؟ هل الممثل دمية كالدمى المعروفة فى خيال الظل لا تصنع على المسرح شيئًا من عندها غير مايصنعه صاحب الصندوق لها وهو يجذب خيوطها ، أو الممثل شريك المؤلف يعاونه فى الارتجال عند اللزوم ، وشريك النظارة أيضًا يعاونهم فى التفرج والتصفيق أو التصفير ؟ وهل النظارة أصحاب دور مع الممثلين والمؤلفين كهذا الدور أو هم كتلة سلبية تتلق المؤثرات من الجميع ؟

ولهذا يعيد دورنمات كتابة المسرحية لكل مخرج ولكل ممثل ، بل لكل جمهور جديد كما تمليه عليه الرغبة فى توزيع التذاكر والإقبال على الشباك ، ونصيبه من التفانين « الإخراجية » أكبر جدًّا من تلك « البهلوانيات » اللامعقولة عند زمرة المسرح المسمى بالمسرح الجديد ، خلافًا للكاتب الرومانى الذى ينفى عن نفسه أنه « لا معقول » ولكنه يتخذ لفنه فلسفة سبقه إلى تسميتها « مهذار خنفشاوى » آخر هو الفريد جارى Jarry قطب الأقطاب الأول فى فلسفة (الباتافيزيك)[١] أو الفلسفة المناقضة للعلم الطبيعى Pataphysics

وتقول شهر زاد ، ولم يدركها الصباح فى هذه المرة : وما الفلسفة الباتيفزيكية يرحمهم الله .

قالوا إنها هى فلسفة الشاذ ، أو فلسفة المفرد ، أو فلسفة المناقضة ؟ أو فلسفة النافر الذى ليس له قياس .

قالوا أيضًا : إن العلم موكل بمقاييس الأشياء التى تجرى على وتيرة واحدة وتدخل

---

(١) أحدثت هذه المقالة مناقشة بين العقاد وتلميذه الأستاذ أنيس منصور تراجع المناقشة فى كتاب يسقط الحائط الرابع للأستاذ انيس منصور الطبعة الثانية صفحة ١٦٨ منشورات دار الكاتب العربى القاهرة

فى تعريفات القانون الواحد ، ولكن هذا القياس – والعهدة على الراوى – خطأ جسيم ، لأنه الحادث الواحد قانون مستقل لا يقبل التكرار ، ويستوى فى هذه الحالة أن يقال إنه نسيج وحده فى نظامه وأن يقال إنه فوضى بغير نظام . . ومن الواجب أن نعزل كل حادث عن الذاكرة وعن التوقع ولا نضيفه إلى حادث آخر ولو وقعنا فى التناقض والنسيان ، لأن الذاكرة ملكة آلية فى الإنسان الحى يتخلص منها بالاستسلام للخيال . بل يتخلص من الخيال أحياناً لكى يستسلم إلى الأحلام الباطنة بلا ماض ولا مستقبل ولا معنى ولا مدلول .

أين باب مستشفى المجاذيب ؟

هو هذا الباب الذى يكتبون عليه اسم (الباتافزيكا) بالخط العريض ، فلا وجود لمكان يصلح لتطبيق النظر إلى الدنيا بهذه النظرة خارج مستشفى المجاذيب .

وأكبر نجاح يصل إليه هؤلاء المهرجون من الأمساخ أن يؤخذوا مأخذ الجّد فى مناقشة شيء يسمونه بالمذهب أو شيء يسمونه بالتجديد ، فإن الناقد لا يحتاج إلى إلغاء قول من الأقوال بأكثر من وصفه الصادق بأنه هذيان . . فمن السخف العقيم أن يجيئه إنسان يعلن له أنه يهذى ولا يبالى العقل ولا الذاكرة ثم يناقشة فيما يقول ، وهو لا يصل من المناقشة إلى إثبات بطلانه بأكثر من تكرير دعواه .

وليست تلك « التهريجات » بالبدعة الحديثة فى هذه السنوات الأخيرة ، بل هى النتيجة المنتظرة لشيوع مصطلحات العلم على الألسنة . ثم اجتراء الجهلاء على التبجح بالآراء بعد الخجل من تهمة الجهل فى الأزمنة الخالية ، لأن الجاهل الحديث يعيش فى عصر المساواة ويخلط بين المساواة فى الحرية الفكرية وبين المساواة فى ابتداع الآراء ثم فى ابتداع المذاهب بعد الآراء ، ولم يكن هذا من شأن الجاهل الذى كان فى الأزمنة الخالية يحجم عن دعوى المساواة فى الحقوق الاجتماعية وفى حقوق الإرشاد والهداية الفكرية على السواء .

وقد ألمعنا فى يومية سابقة إلى فلسفة مارنيتى الذى كان يطلب من المصور أن يرسم

الإنسان بعشرة أرجل إذا رسمه وهو يتحرك جريا على عجل . ويسمى ذلك بالرسم فى الزمان والمكان . . .

والمعنى كذلك إلى التقاليع التى تستمد أسماءها من تأتاة الأطفال ، ولا تظن أن « الباتافزيكيين » وصلوا فى الدوامة الفكرية والدوار الفكرى إلى شوط أبعد من شوط « الدواريين » من أسلافهم الخنفشاريين ، لأن هؤلاء الدواريين قد كانوا متكبرين غاية التكبر ، أو متواضعين غاية التواضع ، حين أطلقوا اسم الدوار نفسه على دعوتهم فسموها بالفورتيستزم Vorticism وهم لا يفيقون لعلهم يخجلون .

* * *

وقديمًا قال الحكماء كما قال العلماء إن قوانين الطبيعة استقراء ناقص ، أو حقائق محدودة ، أو تعبيرات نسبية لا يمكن أن تدل على الحقائق المطلقة ، أو على حقائق الأشياء فى ذواتها ، ولكن القول بهذا كله شىء والقول بإلغاء الحقائق واعتقاد الأباطيل شىء آخر .

وقديمًا قال العارفون وغير العارفين إن البصر الإنسانى ينظر إلى الأعراض ولا ينظر إلى جواهر الأشياء فى ذواتها ، ولكن الجاهل الخنفشارى وحده هو الذى يبنى على هذه الحقيقة مذهبًا يجعل الرمد والجهر والعمى والحول قانونًا للنظر الصحيح .

وقديمًا قال الناس إن لذة العيش للمجانين وإن العقل يحار فى متاعب العيش ، ولكن الفلسفة الخنفشارية وحدها هى التى تحول العالم كله إلى مستشفى للمجاذيب وتقرر إلغاء العقل والمعقول من كلام المسرح ورسم الفنان وألحان الموسيقار .

ولا لزوم للمناقشة الجدية مع هؤلاء الرقعاء من أشباه الرجال ، وإنما يكفى أن يعاد كلام الفيلسوف منهم كما يلقيه ولا يقال فيه أكثر مما يقوله هو فيه :

هذيان . .

ومن شاء أن يقبل ذلك الهذيان بعد ذلك فالطريق أمامه مفتوح إلى حيث يرى العنوان المكتوب ، أو يراه مسكوتًا عنه مرموزًا إليه !

أنيس منصور يقف بين جيلين*

ليس السيد « انيس منصور » من أبناء الجيل القديم .

ولكننا لا نظنه يلحق نفسه بالجيل الجديد ، أو يلحق نفسه بالدفعة الأخيرة من قرعة ثلاث وستين !

فهو ، إذن ، على حق فى وقوفه بين الجيلين موقف الحيدة واتخاذه لنفسه مظهر العدالة والإنصاف بين أبناء « زمان » وأبناء اليوم .

ولقد كان منصفاً – والحق يقال – فى وصفه للخلائق المختلفة والعادات الغريبة بين الأسبقين ومن تبعهم من اللاحقين الأقربين والأبعدين .

ولكنه لم يربط الفرس بمربطه الذى يبحث عنه فى غير مكانه على غير جدوى .

فليس مربط الفرس أن الجيل الحديث أغرب عادات من الجيل القديم وليست الأزياء النافرة هى الصبغة التى تميز جيل اليوم من جيل « زمان » قبل عشرين سنة ، أو قبل أربعين وخمسين .

كلا ! ياسيد أنيس !

لقد رأينا الإزار الضيق للرجال والنساء قبل خمسين سنة ، يوم كان « البنطلون » يلبس بصابونة كما كان الزجالون يقولون فى ذلك الحين .

وقد رأينا الطربوش يقصر حتى لا يزيد على خمسة قراريط ، ورأيناه يطول كما يطول القاووق .

ورأينا القلادة الهفهافة بكل ما فى قوس قزح من ألوان ، ورأيناها سوداء سابغة تغطى الصدر وتسمح لحافظ إبراهيم أن يداعب إمام العبد وهو يلبسها فيصيح به : مالك تفتح صدرك علينا ياإمام ؟ . .

---

* الأخبار فى ١٥/ ٣/ ١٩٦٣ .

كل ما فى غرائب الأزياء والعادات من ملبوسات الجيل الحاضر وملاهيه كانت لها نظائرها قبل عشرين سنة ، وقبل خمسين سنة .

وإنما الطارئ المختلف شيء واحد – فقط – ليس إلا .

الطارئ الواحد يدور حول كلمتين اثنتين بحساب التلغراف :

الاعتراف بالمسئولية .

فالجيل القديم يهزل ولا يتبجح بالدعوى كما يهزل اللاعب الذى يباح له اللعب بمعاذيره ، إذا احتاج إلى معاذير .

أما الجيل الحديث فهم يقارفون العيوب ولا يحسبون أنهم مسئولون عنها :

إما لأن المجتمع هو المسئول ولا مسئولية على أحد من أبنائه ، ولا سيما الصغار .

وإما لأن « العقد النفسية » أصبحت حقًّا مشروعًا بعد انتشارها على ألسنة الفرويديين .

وإما لأن ادعاء « الحقوق » هو الدأب الشائع فى كل مكان بعد أن كان التزام الواجب هو الضريبة المفروضة فى مكان كل حق من الحقوق .

وسوف تتغير هذه الحال مع الزمن ، وإن لم نقل إنها ستتغير عما قريب .

ولكنها لن تتغير إلا إذا ثبت فى الأذهان أن الإنسان مسئول عن جده ولعبه ، ولا استثناء لأحد من هذه التبعة ، حتى المجنون .

لأنه لا يترك بغير حساب ، ولو كان حساب العقلاء للمجانين .

وحدوى *

يقول الأديب الفاضل الأستاذ محمد إبراهيم الجزيرى فى رسالة مفصلةإنه لاحظ فى السنوات الأخيرة شيوع كلمة (وحدوى) نسبة إلى وحدة وتكرارها فى الجمع والمفرد والمذكر والمؤنث على غير القاعدة النحوية .

قال : (وقد تعلمنا فى دراستنا الأولى أن النسبة إلى المختوم بتاء التأنيث تكون بحذف التاء منه كفاطمى وقاهرى ودولى وخمسى وعشرى إلى آخره . . وقد دخلت الوحدة فى التاريخ القومى ولن تخرج منه ، ولابد أن تبقى سليمة المبنى كما هى سليمة المعنى بتأييد الله ونصره . . .) .

ولا خلاف فى صحة الملاحظة من الوجهة النحوية . لأن النسبة إلى (وحدة) وحدى ووحديون ووحديات ، بغير التاء وبغير الواو التى تزاد عليها .

ولكننى أعتقد أن البداهة السليمة هى التى أوحت زيادة الواو إلى ألسنة الجماهير ، كما أوحت إليها ضم الذال فى وصف القنبلة الذرية ، وهى قاعدة سماعية على غير القياس فى كتب اللغة الصحيحة ، لأنهم يقولون (دهريون وزهرية وذرية وسرية) بضم الدال والزاى والذال والسين ، ولم يتعلموا هذا النطق الصحيح من كتب اللغة كما هو معلوم ، وقبل ذلك كانوا يقولون (الثوروى) نسبة إلى الثورة ، فاجتنبوا بذلك اللبس بين النسبة إلى (ثور) والنسبة إلى ثورة ، وبخاصة مع حذف أداة التعريف .

وفى كتب اللغة شبيه بذلك كلمة (حانوى) نسبة إلى الحانة على غير القياس الذى يقضى أن تكون النسبة إلى الحانة (حانيا) بغير واو . .

ولا معول على تعليلات النحويين لذلك لأن الغالب على الظن أن ألسنة الجمهور سبقت إلى كلمة (الحانوى) للتفرقة بينها وبين النسبة إلى الجمع فى كلمة (حانى) وبين

* الأخبار فى ١١/٩/١٩٦٣

كلمة (الحانى) اسم فاعل من حنا يحنو فهو حان كما يقال فى التصريف .

ومثل هذا التصرف شائع فى الرسم أكثر من شيوعه فى القواعد النحوية ، فقد ألحقوا الواو باسم عمرو تمييزًا له من عمر . وزادوا ألفًا على مئة تمييزًا لها من الميم والنون والهاء قبل تمييزها بالنقط على النحو المعروف الآن .

وفى باب النسبة من المفصل للعلامة ابن يعيش : (إنهم يقولون فى النسب إلى قرنوه قرنوى وهذا نص ، ومن قال فى تغلب ويثرب تغلبى ويثربى قال فى القاضى ويرمى قاضوى ويرموى فيفتح المكسور ويقلب الياء ألفًا ثم ينسب إليه . وحكى سيبويه حانوى فى النسب إلى حانة . .) .

ثم يلى ذلك تأويلات لا سند لها غير الاجتهاد .

ولنا أن نذكر أن تغيير الحركات والحروف دفعًا للبس سنة معروفة فى اللغة العربية ، وهى لا تضيق بهذه التفرقة فى لفظ الوحديين والوحدويين . ولتكن (وحدها) حكمًا خاصا فى هذا المقام .

التكييف وقطار الإسكندرية*

على ذكر مهرجان الإسكندرية نحمد قطارها اليوم فى الذهاب والعودة ، ولا نسميه « بالرسول العذول » كما سميناه إبان موسم الصيف ، لأنه كان يحرم الوافدين على الثغر الجميل من فرحة الهتاف لنسيم البحر البليل بعد حسبة الساعات الثلاث تحت سقف القطار القديم ، يوم كان يحتفظ لركابه بهوائه الساخن بغير تكييف ، وبغير تلطيف .

فليس بين الوافدين إلى الإسكندرية على القطار العذول فى موسم الصيف من يهتف ساعة النزول إلى رصيف سيدى جابر : هذا هو نسيم الشاطئ المحبوب بعد طول الانتظار . . وحسبه أن يحرم الوافدين لحظةً واحدةً من هذه الفرحة ليظفر منهم لحظة واحدةٌ كذلك – بلقب الرسول العذول !

ولكننا – بعد هذه اللحظة السريعة – لا نلومه على دور العاذل ولا نحسب أنه قابل للتغيير على رضى من أولئك الوافدين ، وكلهم – ما عدا واحد أو اثنين فى كل مائة وافد – يستحبون هذا العذل ولا يخشون منه على غرامهم بالشاطىء المحبوب .

ولست أبيح لنفسى أن أضيّق على المئات من أجل رحلة واحدة لا يعسر تدبير أمرها علينا ولا على القلائل الذين يعنيهم أن يدبروها ، ولا أرى أن أشكو نظام التكييف من أجل عناية يحمدها مئات المصطافين لإدارة السكك الحديدية وقد يستزيدونها منها ، ولكن السيد المحترم مدير الشئون العامة بوزارة المواصلات تقبل الملاحظة العابرة قبول الشكاية وتفضل بالكتابة إلّى فى موضوعها فقال فى خطابه الرسمى : « إن الحرارة داخل عربات السكك الحديدية المكيفة الهواء تهبط أوتوماتيكيا بواسطة أجهزة كهربائية معينة على الدرجة التى يشعر عندها معظم الركاب بالراحة كما أن تصميم هذه العربات يسمح بالتنظيم اليدوى لدرجة الحرارة داخل العربة طبقًا لرغبات السادة الركاب . . هذا

* الأخبار فى ١٩٦٣/١١/٢٧

بالإضافة إلى أنه فى إمكان كل راكب أن يتقدم بملاحظاته لملاحظ عربة التكييف المستصحب للوحدة ليمكن تنفيذ رغبته » .

وكل ما أرجوه بعد شكر السيد المدير على هذه العناية بملاحظات ضيوفه أن يظل له حقه المشروع فى شكر المئات من هؤلاء الضيوف الذين يحمدون له توفير أسباب الراحة لهم فى رحلات الصيف والشتاء ، ومن الحق علينا وعلى زملائنا معًا بعد رحلة المهرجان أن نبلغه أننا قد صحبنا القطار « العذول » بدءًا وعودًا فى هذه المرة راضين مستريحين ، دون أن نجور براحتنا على راحة الأكثرين من طلاب التكييف ، وهم أهل من المصلحة الموقرة لتدبير مايريح .

نعم القدرة على تحمل تبعات الوطن وتحمل معها تبعات للإنسانية جمعاء*

تمت اليوم حفلات مهرجان الشعر الخامس بالإسكندرية

وقد كان هذا المهرجان – كما كانت المهرجانات السابقة – معلمًا بارزًا من معالم الطريق ، على مراحل تاريخ الأدب عامة والشعر خاصة فى ثقافتنا العربية .

ولا نصف المهرجان بغير وصفه الملموس حين نقول إنه كان حجة قائمة للشعر العربى فى هذا العصر بين سائر عصوره الزاهية ، وأنها الحجة التى تحفظ للشعر العصرى مكانته المرعية عند المقارنة بينه وبين الشعر فى عصور اللغة العربية من ماضيها إلى حاضرها ، وتدفع عنه كل ما يحتج به المحتجون عليه من ناقديه والمتنقصين لأدب هذا العصر وآداب العصور الأخرى على عمومها .

فقد ألقيت فى المهرجان بضع عشرة قصيدة على الأقل ترتفع فى فن الصياغة إلى الذروة العليا من طبقات النظم التى ارتفع إليها القصيد العربى فى تاريخه العريق ، منذ أقدم عهود الجاهلية .

وتنهض هذه الحجة على ناقدى الشعر العصرى أو ناقدى الشعراء المعاصرين عند النظر إلى الموضوعات التى أحاطت بها قصائدهم ، وهى شاملة لجميع الموضوعات التى يطرقها الشاعر وينسبها بعضهم إلى العصر الحديث كلما ذكروا شعر القصص وشعر الاجتماع وشعر الأحداث العالمية أو القومية ، غير مقصورة على ضروب الشعر الغنائى أو شعر المناسبات الخاصة التى يقال بغير حق إنها تستنفد أغراض الشعراء جميعًا فى سائر البلاد العربية .

واستجاب الوزن فى هذه الأغراض لقدرة الشاعر المطبوع فى القصائد المقفاة على

* الأخبار فى ٢٧/ ١١/ ١٩٦٣

روى واحد أو القصائد التى تعددت فيها القافية وتعددت فيها المقطوعات ولم تتعدد البحور والأعاريض .

وإذا استطاعت قدرة الشاعر المطبوع أن تسلس النظم فى القصة وشئون الاجتماع وشواغل العالم والوطن فقد سقطت دعاوى المحنقين على الوزن لأنه قد يعوق الشاعر عن إطلاق العنان لقريحته فى أمثال هذه الأغراض . . وإنما هى دعاوى لم تصدق على غرض من هذه الأغراض عامة ولا على الشعر الغنائى قبل غيره ، فإن الشعر الغنائى لم يكن قط أيسر نظمًا من شعر القصص أو شعر الاجتماع أو شعر الأحداث العامة على اختلاف أبوابها ومطالبها ، بل هو أحوج إلى تجويد النظم والنغم من شعر الملاحم ومشاكل الاجتماع .

ولقد شوهدت بواكير هذه القدرة فى قصائد الناشئين الثلاثة الذين استحقوا الجوائز فى مسابقة الشعراء الشبان ، فإنهم أقاموا حجة الشعر الأصيل على الذين يستصعبون الوزن والقافية ويحسبونها حائلا بين الشباب وبين مجاراة ملكاتهم فيما طبعت عليه من الشاعرية الفتية .

وقد تقدم هؤلاء الشبان إخوان لهم فى السنوات الماضية فأسقطوا حجة الأدعياء ممن يحسبون أنهم هم وحدهم الشبان وهم وحدهم الشعراء . . فلا تشجيع للشباب إن لم يكن تشجيعًا لهم دون غيرهم ، ولم يكن هذا التشجيع تسليمًا لهم بهدم قواعد الفن وهدم التراث العربى فى إبّان عصر الإيمان بالعروبة ورسالتها الخالدة ، وكل أولئك لغير ضرورة محتومة ولغير مصلحة للشعر ولا للشعراء ، بل بغير استناد منهم إلى حجة مقبولة ولو بقصيدة واحدة يصح فيها دعوى المدعيين أنها لم يسبق لها مثيل قديم أو حديث من شعر الوزن والقافية ، وأنها جاءت بالعذر الذى يبيح لأبناء العربية أن يهدموا فنهم الجميل بأيديهم إلى غير رجعة .

وقامت كذلك حجة الشابات فى هذا المهرجان كما قامت حجة الشبان المتسابقين والسابقين بغير سباق .

فقد كان بين الفائزين بالجوائز فتاة فى طبقة من الشاعرية ترشحها لمستقبل ثابت فى

مجال الشعر المبتكر المطبوع ، واشترك فى المهرجان ثمانى شواعر مجيدات يسبقن أعمارهن ويرجى لهن مزيد من الإجادة والافتنان فى سن النضج يلحقن بعرائس الشعر من الجنس اللطيف ، وإنه لمن حق شواعرنا المبكرات أن يفخرن بما أقنه للشعر النسائى من حجة محمودة إلى جانب كل « شعر نسائى » تحفظه لغتنا العربية ، فلم يكن تأخر الزمن ليصدهن عن التقدم إلى طليعة الصفوف بين شواعر الحضارة العباسية والحضارة الأندلسية ، وهن طبقة لا تقصر عن نظائرها فى الحضارة الأوربية ، مع حسبان الفضل لقيود الحجاب الغابر وهو يجارى نشاط السفور المطلق من قديم .

* * *

ولسنا نبخس الشعراء حقهم إذا قلنا إنهم خرجوا من المهرجان بالدور الأخير بين أدوار المستمعين والمتحدثين . . فقد شوهد فى كل يوم من أيامه أن إقبال المستمعين على الإصغاء كان أشد من إقبال المنشدين على الإلقاء ، وقد لبث المهرجان ستة أيام كان إقبالهم فى آخرها كإقبالهم فى أولها ، وكان الراغبون فى حضوره وراء الأبواب أضعاف الحاضرين فى رحاب المحفل الفسيح ، فحق لهم أن يكونوا هم أصلاء الدعوة وأن يكون شعراؤهم هم ضيوفها القادمين إليها الناعمين بحفاوتها .

ورحب المستمعون بصوت العلم وهو يتحدث إليهم عن الفن الجميل كأنهم يستمعون إلى قصيد ينشد أو نغم يردد ، واستطاع الجنس اللطيف فى ميدان البحث العلمى كما استطاع فى ميدان الفن الجميل أن يكسب الوقار حلة من الزينة والجمال ، فأصغى المستمعون إلى بنات حواء معلمات كأنه يصغى إليهن مترنمات .

وبأسلوب العلم الذى لا يستعير شيئًا من غلو الخيال نقول فى توديع المهرجان إننا لا نحتاج إلى الخيال لنبحث عن عصر ذهبي للشعر فى الأزمنة الغابرة ، فربما تسنى له عصره الذهبي فى منتصف القرن العشرين !

تاريخنا الحديث بين التبييض والتسويد . . *

انتهينا من قصة الأبيات الثلاثة عن صلاة رشدى وعدلى على أكثر من خمس روايات مختلفة لا يصح منها – على سبيل الترجيح – غير رواية واحدة ، وتدل كلها على الحقيقة التى يجب أن نذكرها من أمر تاريخنا الحديث : وهى أن هذا التاريخ لا يزال مسودة فى انتظار « التبييض » عدة مرات قبل أن تثبت عندنا ثبوت الخبر اليقين .

وفى اليوم الذى كتبنا فيه آخر كلمة عن تلك الأبيات قرأنا فى مذكرات الأستاذ عبد العزيز فهمى (باشا) فصلًا عن تأليف الوفد المصرى وعن الأعضاء الثلاثة الذين قابلوا المندوب البريطانى (سير ريجنالد ونجت) قال فيه :

« هؤلاء الثلاثة هم سعد زغلول وعلى شعراوى وعبد العزيز فهمى . . ومما تجب ملاحظته هنا أن اختيار هؤلاء الثلاثة إنما وقع بطريق المصادفة والاتفاق ، وإلا فباقى إخوانهم فيهم من هو أكفأ فى النضال المنطقى وأولى بالسفارة مثل رجلنا الكبير أحمد لطفى السيد . ولعل التقدم فى السن كان هو السبب الطبيعى الذى أدى إلى اختيارهم » .

هذا ما جاء فى المذكرات بنصه منقولًا عن أحد الأعضاء الثلاثة ، يليه كلام عن المناقشات التى دارت بين سعد وزملائه حول الاستعداد لإثارة القضية المصرية أمام مؤتمر الصلح الذى يدل كله على ضرورة « التبييض » فى كل كلام يتعرض لمسائل الخلاف فى السياسة لأنه يحتمل السهو والنسيان كما يحتمل التأثر بالميول والخصومات ، ولكننا نكتفى هنا بالفقرة الأولى من هذه القصة كلها لأن الحقيقة فيها أظهر من أن تحتاج إلى المراجعة والمناقشة ، وهى تتعلق بسبب اختيار الأعضاء الثلاثة لمقابلة ممثل الدولة البريطانية دون غيرهم من المشتركين فى الوفد بعد تأليفه :

---

* الأخبار فى ١٠/ ٤/ ١٩٦٣

لم يكن اختيار هؤلاء الأعضاء الثلاثة مصادفة واتفاقًا ولم يكن للتقدم فى السن على سائر الأعضاء ، ولكنهم كانوا هم نواب الجمعية التشريعية بين الأصدقاء الخمسة الذين تألفت منهم نواة الوفد فى المرحلة الأولى ، وهم كما ذكرهم الأستاذ أحمد لطفى السيد فى قصة حياته : « سعد زغلول وعبد العزيز فهمى وعلى شعراوى ومحمد محمود ولطفى السيد » . . . ولم يكن الاثنان الأخيران من أعضاء الجمعية التشريعية ، فتقرر الاكتفاء بسعد وكيل الجمعية وشعراوى وعبد العزيز العضوين فيها ليكون للثلاثة صفة الكلام بالنيابة عن الأمة .

وقد كان الانتخاب للجمعية التشريعية أهم أسباب هذا الاختيار باتفاق الأعضاء ، ولكنه لم يخل من أسباب أخرى لوحظت فيه كما سمعنا من سعد بعد ذلك ، ومنها أن على شعراوى يمثل أعيان الفلاحين وأن عبد العزيز فهمى الذى كان نقيبًا للمحامين يمثل طائفة المتعلمين ، وأن الأوّل من الوجه القبلى والثانى من الوجه البحرى ، فهم صالحون لتمثيل الناخبين فى أوسع نطاق .

ولما تقرر القبض على الزعماء الأربعة ونفيهم إلى جزيرة مالطة لم يكن هذا الاختيار أيضًا من قبيل المصادفة والاتفاق فى نظر الجهات الرسمية ، ولكنه كان عند هذه الجهات موافقًا لتقاليد البروتوكول فى نظام الأوّلية ، فكان سعد زغلول رئيس الوفد ووزيرًا سابقًا ، وكان إسماعيل صدقى يليه فى الأسبقية الوزارية ، وكان محمد محمود مديرًا من كبار الموظفين . وكان حمد الباسل يحمل لقب الباشوية ويمثل رؤساء العشائر فى البلاد .

فلم يكن هنالك محل للمصادفة ولا لاعتبارات السن فى اختيار الزعماء من جانب الوفد أو من جانب السلطات الرسمية ، ولكنه عمل من أعمال النظام متفق عليه ، وقد سها عن ذلك رجل من أولى الناس بذكر مسائل النظام فضلا عن كونه أحد هؤلاء الزعماء ، فكيف بسائر الروايات ؟ وكيف بسائر الرواة ؟

أما بقية الكلام على المناقشات التى دارت عند التفكير فى إثارة القضية الوطنية ،

فهى أحوج من هذه القصة إلى التعقيب ، وهى لحسن حظ التاريخ مما يكفى للتعقيب عليه مجرد البيان الوجيز.

* * *

« نشرت جريدة الأهرام نبأ جاء فيه أن الإسكندرية واثينا ستحتفلان بذكرى الشاعر السكندر اليونانى قسطنطين « كافى » – هكذا – وسيحتفل أدباء الإسكندرية بذكراه فى مدرج كلية الآداب يوم ٢٩ إبريل سنة ١٩٦٣ . . فهل تتكرمون سيادتكم بكلمة تنشرونها عن هذا الشاعر فى يوميات الأخبار ؟ »

أنيس زيان

الإسكندرية

لا شك أن الشاعر المقصود هو قسطنطين كفافى أكبر شعراء اليونان بالمدرسة الإسكندرية فى القرن العشرين ، وقد ولد فى ١٧ إبريل سنة ١٨٦٣ وتوفى فى ٢٩ أبريل سنة ١٩٣٣ ففى هذا الشهر يحين موعد الاحتفال بانقضاء مائة سنة على مولده وانقضاء ثلاثين سنة على وفاته.

وقد صدرت مختارات من شعره باللغة الإنجليزية قبل نحو عشر سنوات لمناسبة انقضاء عشرين سنة على وفاته ، وقال ناقد إنجليزى يومئذ فى صحيفة « سنداى تيمس » إنه كتاب السنة .

وصدرت المجموعة الكاملة من شعره باللغة الإنجليزية فى السنة الماضية ، استعدادًا للاحتفال بذكرى ميلاده بعد شهور .

ويعتبر كفافى واحدًا من الشعراء المطبوعين القلائل الذين ينظمون قصائدهم باللغة الدراجة المهذبة ، وهى غير اللغة الإغريقية السلفية التى حفظت بها قصائد هوميروس وأريستوفان ونظرائهما من أعلام هذه الطبقة وغير اللغة الإغريقية التى ثبتت فى شعائر الكنيسة بعد ترجمة الأناجيل إليها . . وجاء الشعراء المحدثون فلم يجدوا أحدًا من قراء العصر يفهم هذه اللغة أو تلك بغير التعليم ، ولم يجدوا اللغة الدارجة صالحة للكتابة كما

تجرى على الألسنة ، فهذبوها بعض التهذيب المستطاع وطوعوها للعبارات الشعرية والغنائية ، فاكتسبت مسحة من الفصاحة يستسيغها القراء المتعلمون .

ويمكن أن يقال إن (كفافى) ينتمى إلى مدرسة أوسكار وايلدبسلوكه فى الحياة وأسلوبه فى التعبيرات الفنية ، فمن كلام أوسكار وايلد أن الطبيعة تحاكى الفن ، ومن كلام كفافى إنه لا يحب الورد والنرجس فى الحديقة لأنهما يذبلان ويسرح فيهما السوس . . وأفضل منهما الورد والنرجس من يد الفنان المبدع الصناع .

ولد كفافى بالإسكندرية من أسرة يونانية هاجرت إلى مصر قبل ولاية محمد على الكبير ، وجمعت من التجارة فى شواطىء البحر الأبيض ثروة وافرة ورث منها الشاعر نصيبًا حسنًا قنع به وعاش عليه وترك التجارة لغيره ، وفرغ لنظم الشعر ولما يطيب له من اللهو البرىء وغير البرىء بين الإسكندرية وبيروت وأنطاكية ومدن السواحل الشرقية ، وكان موظفًا بمصلحة الرى المصرية قبل أن يؤول إليه الميراث الذى أغناه عن الوظيفة واستعان به جيش الاحتلال فى البلاد اليونانية أثناء الحرب العالمية للترجمة ونشر الدعوة فى محاربة النازيين ، كما استعانوا بالقصاص الإنجليزى فورستر لمثل هذا الغرض فى مكتب واحد ، وهو الذى أشاد بشعره من قبل ظهور ديوانه المترجم ، لأنهما خبيران باليونانية الحديثة وبالإنجليزية ، مع اشتراكهما فى المعيشة بمدينة الإسكندرية .

وقد كتبت عن هذا الديوان عند صدوره قبل أكثر من عشر سنين ، وكنت يومئذ بالإسكندرية استمع إلى حديث عن ذكرى الشاعر من وجيه يونانى أديب ، ومما قلته يومئذ بعد عرض الديوان فى عدة صفحات إنه ظهر فى هذه السنة مترجمًا إلى اللغة الإنجليزية ، وتناوله النقاد فى الصحف الأدبية والإذاعات الأثيرية « وغالى بعضهم فقال إنه كتاب السنة وإنه من طبقة فى الشعر لم يعهدها قراء الأدب الغربى الحديث منذ سنوات . ولكنها على ما نرى مغالاة ظاهرة ترجع إلى بواعث متعددة ، منها قداسة التراث اليونانى عند الأوربيين ، ومنها العناية المتجددة بحوادث اليونان فى هذه السنوات ، ومنها الإباحية الجنسية التى أخذت تغزو بلاد الإنجليز فى الأدب المكشوف . . » .

ومن عجائب القدر أن هذا الشاعر الذى كان أمتع الأدباء اليونان فى عصره حديثًا وسمرًا كما أنبانى صديقه اليونانى الوجيه ، قد أصيب بالسرطان فى حلقة ومات بهذا المرض ، فقضى أيامه الأخيرة يسامر أصدقاءه بالكتابة على الورق ، ومنهم من يحتفظ ببعض هذه الأوراق إلى الآن .

ومن الأدب الإسكندرى الأوربى أيضًا . .

نعم . . سؤال آخر فى بريد واحد عن سلسلة من الروايات كتبها أديب أوربى عن الإسكندرية وقد كان من سكانها الذين قضوا سنوات الحرب والسلم فيها ، ولكن مؤلفها ايرلندى وليس بيونانى ، ولغتها الإنجليزية وليست اللهجة الإغريقية الحديثة .

السؤال عن هذه الروايات من خطاب مطول يقول مرسله الطالب الحقوق (عبد الرزاق فهمى المهداوى) :

« رباعية الإسكندرية عنوان الروايات الأربع التى كتبها لورنس دوريل الايرلندى الأصل الذى عاش بمدينة الإسكندرية خلال سنوات الحرب العالمية الثانية ، وقد ضمنها مغامرات غرامية من نوع الحب الحديث . . وقد ذاع صيت هذه الرباعية فى أمريكا وأوربا وطبع منها منذ سنة ١٩٥٨ ما يقرب من مليون نسخة . . وقد تنكر المؤلف للمدينة التى أوته فخلع عليها صورة من نفسه القلقة وجعلها مأوى الذباب والغبار والمتسولين . . أليس فى نشر هذه المغالطات عن مصر عامة والإسكندرية خاصة ما يدعو إلى ردود فعل تحبط جهودنا ولا سيما الجهود التى نبذلها لتنشيط السياحة ؟ . . فماذا نحن فاعلون ؟ وما هو رأى الأدباء والكتاب والنقاد العرب ؟ وما هو رأى أستاذنا العقاد . . ؟ »

* * *

ورأيى فى هذه الرباعية كتبته أيضًا منذ سنوات كما أوجزت رأيى عن صاحبها قبل الآن .

والقضية مع هذا الكاتب وزملائه فى مدرسته ليست بقضية الإسكندرية وحدها

لا قضية الديار المصرية برمتها ، ولكنها قضية كل مدينة وكل مكان ، ولو فى عالم الخيال .

فلو كتب أحدهم عن . . الأوليمب « مسكن الأرباب » لحمل إليه الذباب والغبار والعفن والنفاية مما يرى بالعين أو يسمع بالأذن ولا يخطر على بال بشر . . وكل ماكتبه « دوريل » عن الإسكندرية قد كتب مثله وزيادة عن لندن وأثينا وبلغراد وقبرص وكل مكان وصل إليه أو فكر فيه أو حلم به من دنيا الواقع ودنيا الخيال ، وكل ماكتبه عن المصريين من أبناء الإسكندرية فقد كتب مثله ، وأقذر منه ، عن جالياتها الأوربية والأجنبية ، ومنهم الإنجليز والفرنسيون والإيطاليون واليونان واليهود والأرمن والمالطيون .

ومذهب دوريل فيما يسميه بالوصف الواقعى هو مذهب زملائه الذين اشتهروا أخيرًا باسم شبان انجلترا الغضاب Angry youngmen of England ، ومن حقهم أن يسموا بدلًا من ذلك بشبان انجلترا الوسخين Dirty youngmen لأنهم يتمرغون بالأوساخ ويحبونها ولا يسرهم أن تقع أعينهم على شيء كما يسرهم أن تقع أعينهم عليها . وعلتهم كما يصفها المحللون النفسانيون أنهم مصابون بداء الكوبروفيليا Coprophilia وهو داء يغرى مرضاه بتتبع الأماكن القذرة والتفوه بالأحاديث المهجورة وقد يلحقون بجيرانهم فى عنبر الأمراض النفسية عشاق الجثث والخرائب الذين يصابون بداء (النكروفيليا) Necrophilia ولا تقع أعينهم على شيء فى هذه الدنيا غير العفونة والبلى والرثاثة وسائر الأعراض التى تبتعد بهم عن حياه الصحة والسلامة والجمال .

وقد لحق دوريل بمدرسة هؤلاء الشبان « الوسخين » وهو أكبر منهم سنًّا وأنظف منهم قلمًا بعض الشيء ، ولكنه تتلمذ لزعيمهم الأكبر الكاتب الأمريكى هنرى ميلر واستطاع بوساطته أن يطبع إحدى رواياته الأولى فى مطابع باريس السرية ، وتمادت به هذه التلمذة المشئومة فلم يزل ينحدر فى كتاباته الأخيرة درجة تحت درجة حتى أوشك أن يهبط إلى الحضيض .

ومن لغو القول أن يتحدث المتحدث عن صيحات هؤلاء المساكين كأنها ضرب من

الشكاية الاجتماعية أو ضرب من الصياح فى طلب الإصلاح ، فإنما قصارى القول فيهم أنهم أطفال يصرخون صراخ الأطفال الكسالى الذين يكرهون الماء والصابون ، فإما أن ينبذوا جانبًا مع ذبابهم وعفونتهم وأما أن يتسلط على رؤوسهم رشاش بارد من الماء والصابون الصالحين لغسيل العقول .

ولا خوف على الإسكندرية فيما نرى من رباعية دوريل أو سواه . لأن قراء هذا الصنف قد عرفوه وعرفوا أسلوبه فى وصف كل مدينة وكل مكان على الأرض أو فوق السماء ، ومن كان من قرائهم على شاكلتهم فربما كانت الرباعية وأمثالها إعلانًا عندهم مشوقًا إلى كل كعبة يحجون إليها ، وليست لهم كعبة فى الشرق أو الغرب لا يغطيها التراب ولا يحوم عليها الذباب .

وقبل الحذر من هذا الكاتب ومن جرى مجراه فى هذا الداء علينا أن نحذر من أعداء الماء والصابون عندنا ، لأنهم لا يصفون فى بلادنا منظرًا واحدًا تحب العين أن تعاود النظر إليه ، وتستوى فى ذلك مناظر التراب والذباب ، وتلك المناظر التى هى شر من التراب والذباب ، لأنها جرثومة الجراثيم فى خراب الأخلاق والأذواق والآداب .

* * *

خير لاحق ليوم سابق :

نصيحتى للسيد (رجاء النقاش) أن يتدارك نفسه فى مستهل سيرته الأدبية ، لأنه — وإن لم يكن صغيرًا بالسن التى يدعيها — لم يجاوز الثلاثين ، وهى سن تؤهله لابتداء سيرة جديدة واجتناب سيرة منقضية مدبرة لا فائدة الآن من الاستمرار عليها .

نصيحتى للشاب الثلاثينى أن يتدارك نفسه فى أمر العمل النقدى الذى يتولاه ، لأنه بحاجة إلى التدارك الشديد فى أهم صفات الناقد وهما الأناة والتثبت مع الأمانة فى النقل والتعليق .

يتعجل فيقول إن رواية دوريل كانت نتيجة لنجاحه فى رواية أخرى ، فإذا قلنا له إن هذه الرواية سابقة لتلك بأكثر من خمس عشرة سنة كان الجواب تطاولا لا يجسر عليه غيره وغير أمثاله المعهودين بمثل هذه الجرأة المدخولة .

ويتعرض للكلام عن رواية « خنفشارية » فيروج بها لمذهب اللامعقول وهو لا يعرف شيئًا عن حقيقتها ولا حقيقة المذهب ، فإذا تكشفت له حقيقة دعواه كان الجواب تطاوّلا آخر وادعاء جديدًا من قبيل تلك الدعوى التى سجلت عليه التزييف بغير تبصر ولا دراية ، ومن جرأته على التزييف أن يدعى علينا كلامًا قلناه وصنعنا فيه مثل صنيعه جوابًا على من سألنا عن بيتين نسبهما لابن الرومى ، ولم يكن فى ذلك الجواب شيء من التعالم بالفنون اللامعقولة ولا الروايات الخنفشارية ، وإنما هو بنصه كما كتبناه فى الرسالة : « إننى لا أذكر أننى قرأت البيتين فى ديوان ابن الرومى ولا أراهما مما يعاب سواء نسبا إليه أو إلى غيره ، ولا أعداهما من أبيات الوصف لأنهما أشبه بأبيات التخلص التى يأتى فيها الوصف عرضًا غير مقصود ، وإنما عنيت بأبيات الوصف فانتظرت أن يذكرنى من شاء بأبيات وصفية أبين له ما فيها من عناصر الاستيعاب » .

ولو لم يكن السيد رجاء النقاش هو السيد رجاء النقاش بكفاياته التى يريد أن يعلن عنها بمثل هذا الصنيع لعاد عشرين سنة إلى ماكتبناه ليتعلم العزوف عن ادعاء ما يجهل وصحة الحكم على ما بين يديه . ولكنه يصر على أن يبقى بعد الثلاثين كما كان قبل العشرين . فلا ينفعه ذلك فى صناعة النقد الأدبى الذى يتصدى له الآن . ولو كانت جرأته على التطاول أضعاف جرأته بالأمس على التسليم .

بل لو تعلم مما كتبناه قبل عشرين سنة وكما قلنا لكان جوابه : « إن الرواية الخنفشارية لا نعرفها من كلام المؤلف المزعوم وإنها على هذا ليست من فن اللامعقول وليست عيوبها من عيوبه » . فيؤدى لأمانة النقد حقها ولا يقع حيث أوقعوه ، وإن كان واقعًا فيه وفى غيره بغير حيلة . .

« الذوقيات » المحسوسة لا تقبل الخلط*

إن قصائد (كفافى) الشاعر اليونانى السكندرى لم تترجم من اليونانية إلى العربية فيما نعلم ، وكل ما اطلعنا عليه من شعره فهو مما ترجم إلى اللغة الإنجليزية ، وبعضه من ترجمة الشاعر نفسه ، وأكثره ترجمة « جون مافرو جورداتو » وهو من أصل يونانى كما هو ظاهر من اسمه ، وطائفة منه وردت فى كتاب « دراسات فى الشعر اليونانى الحديث » للأديب الشاعر فيليب شيرارد . وقد اشتمل على دراسات مفصلة لخمسة من شعراء اليونان المحدثين ، منهم كفافى وسكليانوس اليونانيان السكندريان .

ونعتقد أن الأدباء الذين سيحتفلون بذكرى ميلاد كفافى بعد أيام سيترجمون بعض شعره إلى العربية وينشرون المحاضرات التى تقال فى تحليل سيرته أو تحليل أدبه ، وهى لا تخلو من شواهد عربية مع أصولها اليونانية .

هذا ما نجيب به أصدقاءنا القراء الذين سألونا عن مراجع شعر الشاعر باللغة العربية أو باللغة التى أطلعنا فيها على سيرته وأدبه .

أما الأمثلة من قصائده فنحن لا نستقصيها ولا نفصلها فى هذه اليومية ، فمثال واحد منها يغنى فى الدلالة على سائر الأمثلة . . وهذا هو المثال الذى نختاره بين عشرات المقطوعات والقصائد التى تجنب فيها الإباحة المكشوفة ، وقد جاوز فى بعضها صراحة أبى نواس فى مجونه المكشوف .

---

* الأخبار فى ٢٤/ ٤/ ١٩٦٣ .

(١) سبق للأستاذ العقاد أن كتب مقالا عن « قسطنطين كفافى » الذى ولد ومات بمدينة الاسكندرية بصحيفة الأساس ثم جمعه ضمن مقالاته التى أصدرها فى كتاب « بين الكتب والناس » تراجع طبعه دار الكتاب العربى بيروت صفحة ٥٤٧ ومابعدها .

قال فى أبيات بعنوان الصلاة :

« ملاح آخر أخذه البحر إلى أعماقه
« ولا تزال له شمعة موقدة
« تحفظها أمه فى انتظاره
« تحفظها موقدة أمام أيقونة العذراء
« عسى أن يصحو الجو فى البحر يومًا ويعود إليها
« وتتسمع الرياح كلما هدأت من بعيد
« ولكن الأيقونة تعلم وهى تستمع إلى الصلاة
« وتشفق أن تقول : إنه لن يعود »

محكمة لمحاسبة المزيفين « اللامعقولين »*

إن النقد اليدوى أصلح من النقد الفكرى لكشف الستار عن حقيقة التزييف الذى يأبى أصحابه - بطبيعة الحال - أن يعترفوا بتزييفهم أو ترويج تزييف الآخرين بالترجمة أو التقريظ .

والذى نقصده بالنقد اليدوى ذلك التعبير الواقعى الذى يعمد إليه الناقد لتسجيل السخافة على أصحابها بعمل محسوس لا شك فيه ، ينساقون إليه وهم يجهلون أنهم يغالطون أنفسهم ، أو يعرفون ولكنهم يحسبون أن الناس سوف لا يعرفون أنهم مغالطون .

مدير معرض يعلم علم اليقين ماوراء الفنون « التجريدية » من الزيف والدجل والجهالة . ولكنه لا يريد أن يفتح للمزيفين أبواب الدعاية الصاخبة باسم الحرية الفنية والثورة على أعداء التقدم والتجديد . فماذا يصنع ؟

يقبل الصورة ويعلقها مقلوبّة ويترك « النقاد المحترمين » يهللون ويكبرون للإبداع الذى لم يسبق له نظير ، وللمعانى التى تخفى على الجامدين المقلدين ، وللأسرار التى تكمن فى كل خط وكل نقطة وكل « وعى باطن » وراء الوعى الظاهر الذى تقرر إلغاؤه والترفع عنه فى قوانين الفن الحديث .

ثم تنجلى الحقيقة بعد ذلك فيقطع على الناقدين المحترمين سبيل المغالطة . ويتبين لهم على الرغم منهم كما تبين للبسطاء المخدوعين بهم أن المعدول والمقلوب من ذلك الإبداع على حد سواء . وأنها رؤوس توضع فى موضع الأقدام وأقدام ترفع إلى مقام الرؤوس بلا اختلاف .

---

* الأخبار ٣/ ٤/ ١٩٦٣ .

وقصة الإبداع الذى أفاضته العبقرية قبل ذلك على ذيل الحمار (الأزعر) غنية عن التذكير.

وقد وفق الكاتب الصحفى (أحمد رجب) إلى حملة ناجحة على أسلوب (النقد اليدوى) منذ أيام . فلفق رواية خنفشارية باسم « الهواء الأسود » ونسبها إلى مؤلف خنفشارى فى إحدى الديار الأوربية . . فاهتزت لها أعطاف[1] النقاد المحترمين إعجابا وطربا . وارتفعوا بها إلى قمم العبقرية فنا وأدبًا . وقارنوا بينها وبين بدائع المنثور والمنظوم التى فاضت بها قريحة المؤلف المعدوم . وهنأوا العربية بهذه التحفة النادرة من السحر المفهوم وغير المفهوم . ولو أمهلهم الصحفى الماكر أسبوعًا واحدًا لاحتدمت بينهم المعارك ودارت بينهم الدوائر . فيما هو أفضل وأجمل من تلك الفصول والمناظر . وفيمن هو أبلغ وأقدر من أولئك النظراء والنظائر.

هؤلاء النقاد المحترمون أول من ينبغى أن يساق إلى « محكمة التزييف » لحماية الفكر الإنسانى فى هذه الأمة من وبال دعواه.

وأهون ما يستحقون عليه الجزاء الرادع أنهم استخفوا بدعوى القيادة الفكرية التى لا تكلفهم كثيرًا ولا قليلا من العلم بأصول شىء من الأشياء فى عالم الثقافة.

واستهلوا هذا التهريج الذى يجعلهم شعراء بغير لغة ولا إعراب ولا وزن ولا عروض ولا رواية ولا اطلاع ، أو يجعلهم مصورين بغير رسم ولا شكل ولا لون ولا دراسة للقديم أو الحديث من تاريخ الفن الجميل ، أو يجعلهم مسرحيين بغير مناظر ولا مواقف ولا شخصيات ولا حوادث ولا تمثيل ، أو يجعلهم نقادًا بغير مقاييس وبغير قواعد وبغير عقل وبغير معقول ، أو يجعلهم روادًا للتجديد والتقدم على رقعة من « الجغرافية » الخنفشارية لا يعرف لها رأس من قدم ولا يمين من شمال.

فوضى . . فوضى . . فوضى كريهة مخزية لا يعرف لها أول ولا آخر ، بل لها آخر محتوم لا مفر منه إذا هى صمدت على طريقها الوخيم إلى النهاية ، ولن تصمد عليه طويلا لأنه — بحمد الله — غير قابل للبقاء.

---

(١) كان هؤلاء النقاد هم الأساتذة د. عبد القادر القط وعبد الفتاح البارودى ورجاء النقاش.

استسهلوا هذه الدعوى التى تسهل على كل كسلان لا يبالى عاقبة كسلة ، فراحوا يضيعون على الناشئة الأبرياء أوقاتهم ويصرفونهم عن طريق الجّد النافع فى دراستهم ، ويزينون لهم ذلك الكسل الذى لا يحتاج إلى براعة فى التزيين والترغيب ، لأنه يسقط عنهم كل جهد ويكفل لهم كل دعوى ، بغير حذر من ظهور الباطل من دعاويهم ، لأنها شىء لا يقام عليه برهان ، ولا فرق فيه بين أسوأ الإساءة وأحسن الإتقان.

وإنما تظهره – إذا ظهر – حيلة يدوية كتلك الحيلة تغنى عن الإطالة فى المناقشة والمناوشة ، وهى كلها مناقشة أو مناوشة لا تنتهى إلى طائل ، لأنها كالضرب فى الهواء ، بغير سلاح ولا درع ، ولو تحت طاقية الإخفاء.

وماذا تسمع من هؤلاء الأدعياء إذا حيل بينهم وبين عقول الناشئين الأبرياء ؟

حجر على حرية الفكر.

عثرة فى طريق التقدم.

جمود على القديم.

خروج على منهج النقد القويم.

ثم لا أمل فى إصلاحهم ولا فى الرجوع بهم إلى شىء من الحياء بعد ضياع الوقت فى النصيحة التى لا تجدى وفى البذاء الذى يجيبون به الناصحين ، ولا جواب لهم سواه !

اليدويات .. اليدويات.

اليدويات من كل صنف مع هذه الأصناف .. أما العقليات والذوقيات فماذا تجدى فى ساحة كهذه الساحة ، لا محل فيها للذوق ولا للمعقول ؟ !

ثلاثية الجزر اليونانية*

قرأت أمس فى صفحة الأدب من الأخبار هذا الخبر بعنوان ثلاثية الجزر اليونانية بعد رباعية الإسكندرية :

« بعد النجاح الساحق الذى أحرزته فى أوربا رواية رباعية الإسكندرية التى كتبها الروائى الايرلندى لورنس داريل أصدر المؤلف أخيرًا رواية جديدة عنوانها ثلاثية الجزر اليونانية ، وأجزاؤها الثلاثة هى : الليمون الحامض وتدور أحداثها فى جزيرة قبرص وسفالو وتدور أحداثها فى جزيرة كريت ، ثم ڤينوس والبحر وتدور أحداثها فى جزيرة رودس » .

ويستحق هذا الخبر تعليقات كثيرة عليه ، لأن هذه التعليقات وسيلة عملية للإقناع بتصحيح بعض الأفكار التى تدور عليها دعوة التجديد عند محرر الصفحة الأدبية[1] وجماعة من زملائه ، وقد تكفى هذه التعليقات لنقل المسألة من حيز الآراء النظرية التى يطول فيها التمحل والتأويل إلى حيز الواقع الملموس باليدين .

فالتعليق الأول : أنه لا توجد للمؤلف ثلاثية روائية – جديدة أو قديمة – تقابل رباعية الإسكندرية ، لأن الأسماء التى ذكرت هى عناوين مؤلفات ثلاثة من كتب الرحلات والمشاهدات التاريخية والعصرية ، ولا ارتباط بين كتاب منها وكتاب .

والتعليق الثانى : أن « الثلاثى » ليس بثلاثى فى العدد ولا فى الموضوع ، لأن السيد المحرر نسى من هذه الرحلات رحلة جزيرة كورفو التى كتبها المؤلف قبل ست عشرة سنة (١٩٤٦) وسماها مقصورة (بروسبيرو) مقتبسًا عنوانها من رواية العاصفة لشكسبير .

والتعليق الثالث : أن هذه الرحلات غير مقصورة على الجزر اليونانية ، ومنها الرحلة إلى صقلية وما جاورها ، وتتشعب منها رحلات إلى بلاد الصرب والبلقان على الإجمال .

---

* الأخبار فى ١٣/٦/١٩٦٢ .

(١) كان هذا المحرر للصفحة الأدبية لصحيفة الأخبار يومئذ الأستاذ رجاء النقاش .

والتعليق الرابع : أنها ليست بجديدة فى تاريخها ، وليست مما كتبه المؤلف بعد النجاح الساحق الذى أحرزته الرباعية الإسكندرية ، فإن كتاب (سفالو) مثلا قد صدر قبل خمس عشرة سنة أى قبل صدور الرباعية ، وقد انتهت أجزاء الرباعية الأربعة بعد الفراغ من تلك الرحلات .

والتعليق الخامس : أن المسألة كلها ليست بالجديدة فى الأدب العربى الحديث ، وقد مضى نحو عامين على اليوميات التى تناولنا بها مؤلفات هذا الكاتب ومؤلفات أخيه جيرالد وهو مؤلف مثله ولكن فى غير موضوعه . لأنه منصرف إلى دراسة الطبيعة والحيوان فى القارة الأفريقية ، مع مصاحبته لأخيه زمنا فى الجزر اليونانية .

ولا يعنينا من التعليق على ذلك الخبر أننا نباهى محرر الصفحة وزملاءه (المحررين) بالسبق إلى هذه المطالعات وما عداها ، فإننى مستعد لإسقاط ما يشاءون من عدد الكتب التى نسبقهم إلى مطالعتها ، ولو كان قصارى الأمر أنه سباق أو مباهاة . ولكن التعليق لازم للإقناع الملموس بأن تجديد الأفكار شيء وتحديد تاريخ التقويم بالسنة والشهر شيء آخر .

فإذا خطر لهم أنهم ذهبوا مذاهبهم المرفوضة لأنهم عرفوا من الجديد ما لم يعرفه غيرهم فالواقع كما رأوا أنهم قد يفوتهم من الجديد ما يعرفه غيرهم ولا يزال معروفًا عند ذلك (الغير) بالقدر الذى يكفى للحكم عليه .

وإذا كانت دعواهم لا تحتكر لهم مسالك الوصول إلى الجديد فمن أين لهم أن يحتكروا الرأى فيمن سبقوهم إلى القديم كما سبقوهم إلى الجديد ؟

وإلى هنا لا قضية للقراء فى هذا الموضوع ، لأن القراء قد أنزلوا كل دعوة مقبولة أو مرفوضة بمنزلتها التى تستحقها عندهم ، سواء دعت إلى البناء أو دعت إلى الهدم والفوضى ، وإنما القضية قضية الجماعة الذين لا هم من القديم ولا هم من الجديد . .

فإذا ظنوا كما يقولون أن القراء يرفضون جديدهم لأنهم يجهلونه فليعلموا إذن أنهم يخطئون الظن فيما تخيلوه من علة رفضهم . . إذ الحقيقة أنهم لا يلقون القبول لأنهم لم يستعدوا له بأساس كاف من قديم مأثور ولا من جديد ينفردون با لوصول إليه .

نصيحة أخرى للسيد « رجاء النقاش »*

فى صفحة (٧٠٨) من مجلة الكتاب التى صدرت فى شهر ديسمبر سنة ١٩٤٩ هذه الأسطر التالية :

« إنه فرض على أن أقول لنفسى إنى أنا الذى أوردتها موارد الهلاك وأن لا أحد فى الدنيا مهمايكن عظيمًا أو حقيرًا ، بقادر على أن يرد موارد الهلاك إلا إذا ألقى نفسه بيده فى تلك المهالك . . إنى أحاول أن أقول هذا القول وهذا الحكم القاسى أصدره على نفسى فى غير شفقة أو رحمة » .

* * *

وفى الصفحة (٧٨) من كتاب التماثيل المكسورة لمؤلفه السيد (رجاء النقاش) يقول :

« إنه واجب على أن أقول لنفسى إنى أنا الذى أوردتها موارد الهلاك ، وأن لا أحد فى الدنيا مهما يكن عظيمًا أو حقيرًا بقادر على أن يدفعك إلى موارد الهلاك إلا إذا ألقيت نفسك بيدك فى تلك المهالك . إنى أصدر هذا الحكم القاسى على نفسى فى غير شفقة ولا رحمة » .

وفى مجلة الكتاب :

« . . اتخذت الشذوذ والتسكع والمغالاة فى التأنق خطة لى فى الحياة ومذهبا ، فأحطت نفسى بأصحاب العقول الصغيرة وبأصحاب النفوس الصغيرة وأسرفت فى تبديد ذكائى وفى تبذير مارزقته من شبابى . كنت أظنه لا يفنى أبد الدهر ، وكنت أجد فى هذا التبديد والتبذير لذة عجيبة » .

وفى صفحة (٧٥) من كتاب السيد رجاء النقاش ترد هذه العبارة بحروفها :

---

* الأخبار فى ١٩٦٣/٤/٢٤ .

« اتخذت الشذوذ والتسكع والمغالاة فى التأنق خطة لى فى الحياة . فأحطت نفسى بأصحاب العقول الصغيرة وأصحاب النفوس الصغيرة وأسرفت فى تبديد ذكائى وفى تبذير شبابى الذى كنت أظنه لا يفنى أبد الدهر ، وكنت أجد فى هذا التبديد وهذا التبذير لذة عجيبة » .

وفى مجلة الكتاب أكثر من خمس عبارات أو ست ، وردت فى مقال السيد مبارك إبراهيم عن أوسكار وايلد ونقلت بحروفها فى كتاب السيد رجاء النقاش الذى تكلم فيه عن أوسكار وايلد على النحو الذى تقدم .

وقد رجعت إلى مجلة الكتاب ، ولى فيها مقال عن الفن المسرحى ، فوجدت هذه المطابقة بين العبارات كما نبهنى إليها الأستاذ مبارك إبراهيم فى خطابه . . فلا أزيد هنا على نصيحة أخرى أسديها إلى السيد النقاش وأترك له أن يجرد نفسه لوظيفة « النقد » التى تصدى لها فى الزمن الأخير ليصوغ بقلم الناقد حكمه على هذا التصرف أو يحسن تفسيره ما استطاع ، لأنه لا يستغنى عن تفسير .

نصيحة لا نزيد فيها على التنبيه . . فماذا فى جعبة النقد البرىء من ذخيرة التطاول على الناصحين ؟ ؟

ملحوظة فى ذيل اليومية*

والملحوظة فى ذيل هذه اليومية نعلق فيها على تعليقات السيد « رجاء النقاش » فنقول له عن يقين إنها ستضعه فى مكان لا يستطيع الهرب منه . . ولا يستطيع كذلك أن يجترئ فيه على عقول القراء . . لأن الجرأة على عقول الناس شيء له حدود .

فالأمانة التى نؤديها للفكر الإنسانى عمل نضطلع به منذ خمس وثلاثين سنة إذا وقفنا به عند هذا الحد الذى يكفى لجواب السؤال . . وقد كان ذلك قبل ميلاد السيد « رجاء النقاش » ببضع سنوات . ولم نكن حين كتبناه نحسب حسابًا لمقدمه إلى هذه الدنيا ولا للمحج إلى « ندوتنا » يوم الجمعة كما يقول . .

وإنما المسألة مع السيد النقاش وأمثاله أنهم يجب أن يستعدوا للصناعة التى يتصدون لها ويّدعون فيها حق القيادة الفكرية . وليكن فى وسعه هو ومن وراءه أن يصيحوا على أقصى طاقة حناجرهم بما صاح به أمثالهم من قبلهم . . فلن يعفيه ذلك من ضرورة هذا الاستعداد .

* * *

فليس من اللائق بكرامة القراء أن يتصدى أمامهم للنقد كاتب يجهل موضوعاته . . وذلك ما يصنعه السيد النقاش وما قد صنعه فيما نبهناه إليه حين تسب إلى الأديب الايرلندى لورنس دوريل شيئًا سماه ثلاثية روائية للجزر اليونانية صدرت بعد رباعية الاسكندرية . . ويعلم من نظر إلى كتب هذا الأديب نظرة واحدة أنه لم يصدر ثلاثية روائيه بعد تلك الرباعية . ولكنها عدة كتب صدرت قبل ذلك وبعد ذلك عن الرحلات فى البحر الأبيض المتوسط غير مقصورة على جزر اليونان ، زادت على الأربعة وتناولت بلاد الصرب والبلقان . . كما تناولت جزيرة صقلية ! !

---

* الأخبار فى ١٩٦٣/٥/١

وليس من اللائق بكرامة الصحيفة التى يكتب فيها ، ولا بكرامة القراء ، أن يتصدى للحكم على أعمال أدبية يجهلها ويجهل مناسباتها . . فيقول بالحرف الواحد فى صفحته الأدبية (١٢ يونية ١٩٦٢) .

« بعد النجاح الساحق الذى أحرزته فى أوربا رواية رباعية الإسكندرية التى كتبها الروائى الايرلندى لورنس داريل أصدر المؤلف أخيرًا رواية جديدة عنوانها ثلاثية الجزر اليونانية . وأجزاؤها الثلاثة هى الليمون الحامض وتدور أحداثها فى جزيرة قبرص وسفالو وتدور أحداثها فى جزيرة كريت ثم فينوس والبحر وتدور أحداثها فى جزيرة رودس » . .

والخطأ هنا غير الخطأ فى عدد الكتب وموضوعها ، أن نجاح المؤلف فى رباعية الإسكندرية لم يكن له شأن على الإطلاق بتأليفه هذه الكتب ، لأن كتاب « سفالو » مثلا قد صدر قبل الرباعية بخمس عشرة سنة ، وقد صدرت الرباعية بعد تمام هذه الرحلات ، لا قبلها ولا نتيجة للتشجيع الذى لقيه مؤلفها . .

وليس من اللائق بالكاتب أن يعمد إلى مجلة محتجبة فينقل منها ترجمة الصفحات بحروفها ولا يشير إلى المجلة ولا إلى مترجم فصولها ، ثم يزعم أن المقام لم يتسع للإشارة وهى لا تحتاج إلى أكثر من ثلاث كلمات . . وقد نوى أن ينتحل الترجمة لأنه غير فيها كلمة هنا وكلمة هناك كل عشرة سطور . . فدل بذلك على العجز حتى فى أسلوب الانتحال والمداراة .

وليس من اللائق أن يطنب الكاتب فى الثناء على رواية ملفقة باسم دورنمات كما صنع فى التعليق على مهزلة « الهواء الأسود » ، وهو لا يعنيه من الأمر إلاّ أن ينشر مبادئ الهدم فى الأدب ولو لم يعرف منها إلا أنها هدم لدعائم الأدب الأصيل . .

كل هذه وقائع « حرفية » تلزم السيد النقاش أن يعلم أن أمانة النقد ليست كلها استغفالا للناس وتهويلًا بالادعاء والتزييف . ولكنه أبى إلا أن يتعلم ما يوحيه إليه طبعه ويدفعه إليه من وراءه ، فعاد إلى بضاعة التزييف والصياح بالأباطيل لا ينزه عنها أمانة ولا حرمة تتنزه عن الزج بها فيما يحيط به التهم والشبهات .

فما شأن الثورة بما هو مجترئ عليه ومأخوذ بجريرته أمام القراء من الغش والعبث والاستخفاف ؟

إن القلم الذى يسف هذا الإسفاف أضعف من أن ينصر ثورة وطنية . أو دعوة إنسانية . . وما كان لكاتب صادق أن يتخذ اسم الثورة ستارًا يهرب من ورائه أو يتخذ من حديثها ثمنًا لمداراته واستباحة ما لا يباح لحامل قلم أمين .

أما « ندوتنا » يوم الجمعة . فالسيد النقاش يعلم كما يعلم زوارها أنه لم ينقطع عن ندوة لنا باختياره ، وهو لو كان أهلًا لشهودها لوجد فيها من يعلمه شيئًا غير هذه اللجاجة وهذا المحال . . ولكنه زار الندوة مرات لغرض لم يصل إليه وانتهى به الأمر إلى اليأس منه . . ولسنا نريد أن نأخذه بحديث يقدر على إنكاره . . ولكننا ننقل له ماكتبه بحرفه فى أكثر من عدد من مجلة البوليس حيث كتب فى عدد الخامس من شهر أكتوبر سنة ١٩٥٨ يقول :

« لقد كان العقاد جديرًا بأن يصبح أعظم مفكر عربى فى النصف الأول من القرن العشرين لو أنه . . . تخلى عن عدائه المتطرف للنزعة الاشتراكية » . .

وكتب فى عدد الرابع عشر من شهر ديسمبر يستشهد بالنقاد الاشتراكيين – كما يسميهم – فقال : « إن ناقد الجيل الأستاذ محمود العالم قد وضع العقاد فى المعارضة لفكرة أن الأدب تعبير عن الحياة » . .

ولقد كتب فى المقال نفسه كثيرًا عما سماه عداءنا للاشتراكية فقال مما قال : إن هذا العداء « ظهر فى السنوات الأخيرة ظهورًا واضحًا عنيفًا » . .

وإذا علم القراء أننا لم نكتب كلمة واحدة فى معارضة الاشتراكية فى الزمن الأول ولا فى الزمن الأخير ، فقد عرفوا ما هى تلك الاشتراكية التى ينتقم لها السيد النقاش ويذكر فى مقدمة أبطالها محمود العالم الذى لا خفاء بأمره ، وعرفوا لماذا انقطع السيد عن تشريف الندوة غير مأسوف عليه . .

لقد نبهنا هذا الفتى إلى ضلاله بالقول الصريح الذى لا ينساه وإن لم يستفد شيئًا من ذكره ، وعرفوا ما وراء نقمته ونقمة محمود العالم ومن إليه فيما دأبوا عليه باسم

الأدب الحر ، وأدب الحياة ، ووصفناه يومئذ بأنه أدب الانتحار .

ولا يعنينا أمر هذا الفتى كما يعنينا أمر الذين يكمنون وراءه ويروجون للأباطيل باسم الأدب المتقدم والأدب المنطلق والأدب الجديد ، وليس من وراء ذلك غير الهدم والفوضى وترويج المقاصد التى كان نقاد جيله « العلماء » من المسخرين عليها . .

وسيبقى التنبيه إلى هذه الضلالات قائمًا لا يفلت منه المحروس رجاء ولا من هم أبرع منه فى صناعة الصياح للهرب من ضوء النهار . .

بين عالم الفضاء . . وعالم القضاء*

نحن الأرضيين – أبناء الكرة الأرضية – أمة عجب .

كل طراز جديد من الطائرات والصواريخ فالقطفة الأولى منه معّدة للغارة على إخواننا ، من آدم وحواء ، فوق هذه الكرة !

وكل راحل فى أجواز الفضاء يعود إلينا من رحلته العلوية نسأله عن (بشارة) يحملها إلينا من كرة سماوية يعمرها أناس لا تدرى كيف تسميهم إذا لم تقل إنهم آدميون ، وماهم بآدميين .

ألعلهم أبناء عم لنا ، شقيق مجهول للأب آدم رحمه الله ؟ لقد نعلم أنه كان فى دنياه محرومًا من الشقيق ؟

ألعله خليقة أخرى ، من طين آخر ، من تراب كوكب آخر ، تصنع منه هذه (الفاخورة) التى لا نعرف لها غير (ماركة) واحدة فى مصنع الخلق والتكوين إلى هذا الزمان ؟

لقد تجدد الشوق إلى أبناء عمومتنا هؤلاء بعد الرحلات الفضائية التى جاوزت القمر ووصلت إلى فلك الشمس ثم سمعنا الأنباء عن رسائلها المختومة مع كل بريد جديد .

ثم تجدد الظن الذى يشبه الأحلام ، وتجدد بعده النبأ الذى يقطع الرجاء فى تفسير المنام ، كلما كان تفسيره لقاء الإخوة وأبناء العمومة العلويين أو تأجيله إلى حين .

وغاية ما وصلنا إليه بعد البريد الأخير هو غاية ما وصلنا إليه قبل كل بريد : سؤال يمكن أن يتجدد فى عصر الطيران كما تجدد فى عصور لم تكن فيها على ظهر الأرض طائرة غير حصان الأبنوس وبساط سليمان !

سؤال فحواه : لماذا يستحيل فى كواكب الفضاء ما أمكن على متن هذه الغبراء ؟

ويلوح للنظرة الأولى أنه سؤال وجيه جوابه : لا يستحيل .

---

* الأخبار فى ١٩٦٣/٦/٥ .

ولكن النظرة الأولى أيضًا قد تقول ولها حق السؤال الأوّل كله فى الصواب وحيرة الجواب : ولماذا لا يستحيل ؟ لماذا لا يستحيل ؟

نعم : لماذا لا يستحيل أن تتكرر شروط الحياة على الأرض فى ناحية أخرى من أنحاء الفضاء ؟

إذا وجدت الحياة فى أنحاء الفضاء فهى لا توجد على غير منظومة شمسية لها تركيب فى سياراتها وأفلاكها كتركيب الشمس والأرض والسيارات .

وإذا وجدت هذه المنظومة بين نجوم المجرة التى لا عداد لها فلا يلزم من ذلك أنها فى مكانها تستجمع من شروط الإشعاع الضوئى والكهربى والمغناطيسى ما استجمعته هذه الكرة اليتيمة بين نظائرها حتى فى زمرة المنظومة الشمسية !

وإلى اليوم لم يثبت قط أن شمسًا أخرى ذات منظومة كمنظومة شمسنا قد وجدت على مرأى العين أولا على تقدير الحساب بأبعد أنواع الرصد من النظارات وغير النظارات .

وآخر ما قيل – من باب التخمين – إنهم رصدوا على بعد لا يقل عن مليون سنة ضوئية نجمًا كبيرًا يظنون أنه قد يتصل بالأجرام الأخرى فى منظومة واحدة ، وأنهم ليظنون ويقولون : إنه ظن راجح ، لأن سرعة هذا النجم أبطأ مما ينبغى لجرمه ، ولأن هذا البطء لابد أن يرجع إلى تأثير نجم آخر يجذبه ويعوق سيره بمقدار قوة جذبه .

فإذا قالوا ذلك قال لهم المتشككون : وأين يكون هذا النجم المظنون ؟

إنه إذا استطاع أن يعوق الشمس الكبيرة فلا بد أن يكون له جرم ضخم يرى كما رؤيت تلك الشمس الكبيرة ، وإن يكن أصغر منها فى الجرم وأبطأ منها فى السرعة .

وإذا وجد هذا السيار الضخم على التقدير الذى ينبغى له ، فلا بّد أن تكون القوة الجاذبة فيه أعظم جدًّا مما تحتمله حركة الأعضاء الحية فى جسم الإنسان وما يشبه الإنسان .

وبعد هذا كله يستطيع المتشكك أن يقول بملء فيه : ولو !

نعم . . إن وجود الحياة على ذلك الفضاء السحيق لا يثبت ولو ثبت وجود السيار

المطلوب فى حجم الكرة الأرضية .

فقد ظهر من تجارب السفينة الفضائية التى عرفت باسم (الملاح رقم ٢) Mariner II أن سيارة الزهرة التى كنا نعلق عليها أكبر الآمال خلو من الجو المغناطيسى ، وأن درجة الحرارة على ظهرها تبلغ ثلثمائة بميزان فارنهيت !

وهى درجة جديرة بكوكب الحب والغرام ، ولكنها غير جديرة بالحياة الوادعة التى لا تطيق الذهاب مع اللوعة المستمرة إلى ذلك الحد من اللهيب !

* * *

ومنذ شهور تألفت اللجان العلمية المستعدة بوسائل هذه البحوث لإعادة النظر فى مسألة الشهب المتساقطة التى قيل إنها تحتوى بعض المعادن العضوية ، وأن احتواءها هذه المعادن العضوية يفض الخلاف فى أمر الكائنات الحية التى تعمر أفلاك السماء . . لأن هذه الشهب واردة إلينا من وراء فلك الشمس وقد تكون من شظايا النجوم التى اخترقت الفضاء إلينا من أبعد آفاق السماء .

إلا أن البحث الطويل فى هذه الظاهرة القديمة الجديدة لم يسفر عن خبر يقين ، وغاية ما انتهت إليه اللجان العلمية بعد أن بلغ استعدادها لهذه البحوث ما لم تبلغه وسائل العلم قط قبل السنوات الاخيرة أن المسألة مفتوحة للمزيد من المراجعة مع ارتقاب المدد المتتابع من الشهب المقبلة . . أو كما قال باتريك مور فى أحدث كتاب من كتب الفضاء . فى السنوات الستينية : (إن المسألة بحذافيرها لا تزال مفتوحة لإعادة النظر ، إذ لم يثبت أن شهاب أورجيل وغيره من الشهب يحتوى مادة عضوية على الإطلاق ، ولم يتفق العلماء على شيء من ذلك ، بل لا يزال فى الوسع تفسيرالمشاهدات فى تلك الشهب بما هو أبسط من ذلك بكثير) .

وهذا المؤلف الذى تخصص لدراسة الطيران الكونى ومارس الطيران فى الفلك الأرضى بحربة وسلمه ، يكاد ييأس من رحلات الفضاء بين النجوم ، ولا يذهب بالأمل إلى مدى أبعد من إمكان التخاطب على صورة من الصور بين سكان الأرض ومن عساهم يوجدون فى الأفلاك العليا من الخلائق العقلاء .

ويجب – على رأيه – بعد الوصول إلى طريقة من طرق التفاهم بيننا وبين أصحاب اللغات المختلفة من إخواننا العلويين ، أن ننتظر أربع سنوات على الأقل ، حين يتم الاتصال بالمحطة التى تصادفنا وتصغى إلينا وترضى أن ترد علينا وتنتظر الرسالة التالية منا .

لأن إشارتنا البرقية التى تسرى بسرعة الضوء لا تبلغ المحطة العليا فى أقل من هذه المدة ، ولابد من مدة أخرى – مثلها – لإعادة الإشارة بينهم وبيننا فى هذا الحديث الممتع الذى لا يمل السامع ، ولا المجيب .

وقد أسمعت لو ناديت حيا   ولكن لا حياة لمن تنادى

فإن كانت هنالك حياة لمن لا تناديه فلننظر مليًّا إلى جانب السماعة المعلقة ، لعله هو ينادينا بعد طول الإعراض عنا ، إن سمعناه !

علمتني الصحافة *

تعلمت من الصحافة سرعة الكتابة .

كنت أكتب المقال الذى أرسل به إلى « الجريدة » فى مدة تتراوح بين أربع ساعات وست ساعات .

وكنت أكتبه فى البيت قبل العمل فى مكاتب الصحف ، غير مضطر إلى مواصلة الكتابة ولا شاعر بما يمنعنى أن أرجئ العمل إلى وقت آخر ، كلما مللت المثابرة عليه ، وضاقت نفسى بصعوبته أو قلة الرغبة فيه .

فلما وجب أن أكتب فى دار الصحيفة اليومية ، وأن أتم الكتابة قبل موعد صدور الصحيفة بساعات تكفى لصف الحروف وتصحيحها ووضعها فى مكانها من المطبعة ، تركت التردد اضطرارًا والتزمت المثابرة على العمل بغير انقطاع ولا تفكير فى التأجيل ، فأصبح نصف الساعة أو الساعة على الأكثر كافية لكتابة المقال الذى لم يكن ميسورًا لى قبل ذلك أن أتمه فى أقل من أربع ساعات .

ولم ألبث أن علمت أن اختصار الوقت لم ينقص شيئًا من قيمة المقالة أو أسلوبها أو فى موضوعها ، لأن إطالة الوقت فى كتابتها إنما كان له مرجع واحد : وهو التهيب الذى يلازم المبتدئ فى كل صناعة ، مع شعوره بإمكان التسويف والتأجيل .

وعلمت كذلك أن الإسراع لم يتحقق على حساب التدقيق والعناية بالفكرة أو بالأسلوب ، لأننا – لحسن الحظ ولسوئه فى آن واحد – كنا نشتغل بالصحافة فى وقت تسل فيه سيوف الرقابة والعداوة الحزبية على رؤوس الصحفيين ، فتعودنا الحذر والدقة فى الحركة ، كما يتعود اللاعب المدرب أن يقفز على السلك الدقيق ، أسرع من قفز عابر الطريق على جادة الطريق .

---

* أخبار اليوم فى ١٤/ ١/ ١٩٦٤ .

وعلمتنى الصحافة التبسيط فى الكتابة ، وكنت أحسب قبل الكتابة لجمهرة القراء على اختلاف حظها من القدرة على القراءة – أن كل ما فهمته ووضح فى ذهنى عند كتابته فهو مفهوم واضح عند كل قارئ من قراء الأدب الخالص ، فلما وجب أن أكتب لقراء الأدب الخالص وغيرهم من أشباه الأميين – أخذت نفسى بالتوضيح للطريق الذى يصل من بدايته إلى الرغبة فى الإفهام على قدر المستطاع أيًا كان الموضوع الذى أكتب فيه ، وأيا كان نصيبه من الاختصاص أو التعميم . .

خصلة – بحمد الله – على نقيض الغرور .

إن المغرور يؤمن بأن ما يفهمه هو لا يفهمه غيره . .

أما الذى يحسب أن الناس جميعًا يفهمون ما هو مفهوم لديه ، فقل فيه ما شئت إلا أنه مغرور . .

* * *

وعلمتنى الصحافة أن أبنى التأليف على المقالة ، وأن أجعل الفصل فى كل موضوع هو وحدة الكتاب .

فالكتب التى أؤلفها هى مجموعة من الفصول ، كل فصل منها له استقلاله وحدوده ، وكل فصل منها يمكن أن يكتب فى الوقت الذى اختاره له ، ولو اختلف ترتيبه فى موعد الكتابة وترتيبه فى أجزاء الكتاب .

فربما كتبت الفصل الرابع قبل الفصل الأول ، وربما بدأت بكلمة الختام قبل كلمة الافتتاح . .

ومثل الكتاب عندى هو مثل غايته ، وليس هو بمثل البيت الذى تقام فيه طبقة بعد طبقة ، أو دور فوق دور .

وفى وسعك أن تقسم الطريق إلى مراحل تبدأ بتمهيد مرحلتها الوسطى وأنت تعرف – سلفًا – كيف يكون إعدادك لموضع الاتصال بينها وبين ما قبلها ، وبينها وبين ما بعدها .

وليس ذلك . . بميسور فى بناء الدور . . إلا أن يحدث ذلك فى بعض هندسات الترميم .

* * *

وتعلمت من الصحافة أن أشك كثيرًا فى قداسة « الكلمة المطبوعة » لأننى كنت أعرف من يكتبونها ومن يطبعونها ومن يغيرون فيها ويبدلون قبل ظهورها لقرائها .

وعلى خلاف ذلك كانت قداسة الكلمة المطبوعة عند قرائها ، لأنها تتجرد عن عملها « الإنسانى » وتبدو أمامهم شيئًا « مسجّلا » لا يخطر على البال عند قراءته ما يخطر على بال السامع عند الاستماع إلى كل متكلم يوصف بالعلم كما يوصف بالجهل ، وبالصدق كما يوصف بالكذب . وبالوقار كما يوصف بالزراية .

وفائدتى من الشك فى قداسة الكلمة المطبوعة أن الكتاب قد أصبح عندى فى ميزان النقد كالعبارة الشفوية التى أسمع قائلها وأراه ، وأعرف أنه يقولها على وجه آخر كلما تبدلت غايته ومرماه .

وآخر ما علمته من الصحافة أن جماعة الصحفيين قد أقاموا أنفسهم من الجمهور مقام الكهان الأقدمين من أربابهم الأولين .

يدعون عليهم ويقولون بألسنتهم ويفترون على نياتهم وأسرارهم ، ما هم منه براء ، وما ليس للأرباب المظلومين بمقصود فى العلانية ولا فى الخفاء .

وكثيرًا ما رأينا كهانًا للجمهور هم أجهل الناس بحقيقة الجمهور !

وكثيرًا ما رأينا كهانًا للجمهور يعرفونه ولا يذهلون عن حقيقته ، ولكنهم يقولون عنه غير ما يعلمون ، ويتعمدون أن يحرفوا الكلم من لسانه ، وهو ساكت صامت ، لا يعرف وسيلته إلى التصحيح والتفسير .

* * *

وقد تعلمت من الصحافة أشياء كثيرة عدت إليها فجهلتها باختيارى كأننى لم أعلم شيئًا منها .

ولكننى أحمد الله لأن الصحافة نفسها تنسى فى كل جيل أن تعلمها للجيل الذى يليه .

وأنفع ما جهلته مما تعلمته أن الجمهور ينقاد لكل صرخة فى واد ، وأن تزييف الحجر باسم الذهب فن معقول . .

كلا . . إنه اليوم من فن « اللامعقول » . وإنما المعقول مقدار من الذهب ورصيد مدخر ، وجهد كبير فى طلب الثقة والضمان . . .

ذكرى سيد درويش*

وافق أمس موعد الاحتفال بذكرى انقضاء أربعين سنة منذ وفاة « سيد درويش » فى الخامس عشر من مثل هذا الشهر فى سنة ١٩٢٣

مرحلة طويلة تكفى لقياس مدى الأثر الذى سرى من عبقرية الموسيقار الخالد إلى الموسيقى العربية ، وإلى الغناء الحديث فى معارضة المنوعة بين التخت والمسرح والستار الأبيض والتليفزيون (المرناء)

وقد تتخلص المرحلة كلها فى ظاهرة واحدة جامعة للظواهر المتعددة ، وهى ظاهرة التخت القائم بعد التخت الجالس على النمط القديم .

وتلك ظاهرة تتجاوز الشكل إلى الموضوع ، لأن قيام العازفين قد أوشك أن يلغى الآلات الوترية التى يعزفون عليها بالأصابع واستبدل بها آلات العزف « القوسية » فانطلقت النغمات من طبقة « الدندنة » الرائقة على ذوق المنادر القديمة إلى طبقة الالحان المرسلة التى تتحرك وتتقدم ولا تدور على نفسها فى مجلس التهويم والغفوة السارحة . . كأنها فى الطريق إلى حجرة النوم .

ومع انطلاق النغمات من طبقة « الدندنة » إلى طبقة الألحان المرسلة جاء الوقوف على المسرح « ملقنًا » طبيعيًّا لتقريب أدوار الغناء إلى أدوار التمثيل ، فاستفادت الأغانى من تعبيرات الفنان المسرحى نفحة من التصوير الحى والمطاوعة السهلة للحركات العاطفية فى أداء الأنغام ، بل فى وضع الألفاظ والمعانى التى توافق تلك الحركات .

وتقدم الغناء – ولا ريب – فى هذه السنين الأربعين ، ولعله لم يتقدم قط خلال أربعين سنة من تاريخه الطويل كما تقدم منذ الصيحة الأولى التى طرقت الأسماع ونبهت الأذهان من ألحان سيد درويش .

---

* الأخبار فى ١٨/٩/ ١٩٦٣ .

إلا أنه لا يزال حتى اليوم تقدمًا فى التفصيلات ، ولا يزال الأمل قويًا فى ارتقاء هذا التقدم من وفرة المقدار إلى تحسين الجوهر الأصيل ، فلا نقنع باستمرار التقدم إلى الأمام وإنما نرجو أن يكون التقدم المنتظر ارتفاعًا إلى الأعلى . ولو فى نفس الطريق .

فلا يكفى أن تتكاثر الأدوار والأحاديات « المنلوجات » هذه الكثرة المتدفقة التى أوشكت أن تعاب ، لأنها ضيعت فكرة « الأغنية الموسمية » التى تشغل الأسماع فترة بعد فترة ، معبّرة عن ساعتها تعبيرًا لا تشترك فيه جميع الفترات . . وقد تعاب كثرة الأغانى إذا ظهرت دفعةً واحدةً فى وقت واحد بغير مزية خاصة تربط بينها وبين أوانها ، فتأتى متشابهةً مع أغنية الأمس وأغنية اليوم بغير مزية .

ولا يكفى أن يتكاثر عدد المغنين والمنشدين على طابع واحد يكاد أن يجعلهم نسخة متكررة أو صوتًا متشابهًا ينبعث من عدة آلات .

كّلا . . إن هذا لا يكفى ولا يزيد على أن يكون إضافة « عددية » إلى إضافة أخرى بغير تنويع ولا تمييز .

وإنما المنتظر أن تكون الكثرة تنويعًا بغير تكرار ، واختلافًا فى الطابع والجوهر وليس مجرد اختلاف فى الحناجر والأصوات ، ونخشى أن نقول إننا لم نصل كل الوصول إلى الاختلاف فى الحناجر والأصوات ، لأن الكثيرين من المنشدين والمغنين يلتزمون طريقة واحدة ولا يحاولون الاستقلال بمواهبهم وملكاتهم ، حتى فى أسلوب الأداء والإيماء ، وحتى فى هزة الرأس والإشارة باليدين .

وعندنا اليوم ثروة من المنشدين والمغنين تزيد فى وفرتها ووفرة أدوارها وأغانيها على كل ثروة فنية عرفناها فى أجيال العصر الحديث ، فلا نظن أننا بحاجة إلى مزيد من الأصوات الرخيمة أو الأصوات الصافية أو الأصوات السخية المرسلة بغير كلفة ، أو الأصوات المعبرة على حسب كلماتها ومعانيها ، وربما كان للميكروفون فضله فى معاونة هذه الأصوات على إشباع الغناء بمختلف الكلمات والألحان ، ولكنها فائدة من فوائد العصر الحديث الذى تنتفع فيه الطبيعة بمخترعات الصناعة ، ولا تسقط فيه النظارة فى حساب النظر ولا الميكروفون فى حساب السماع !

. ولكن الخوف من سلطان الميكروفون أن يتحداه أصحاب الأصوات القوية الوافية فيدخلوا مع الميكروفون فى سباق جامع لا يدرى السامع فيه أيهما صدى المعدن الرنان وأيهما صدى الخافق الحى من صدر الإنسان .

وقد سمعنا مثل هذا السباق من أصحاب الأغانى البلدية ، فلم نكد نفرق بين الصوت الحى Voice وبين الرنين المعدنى Sound منطلقًا من بوق النحاس .

ولا حاجة بنا إلى الرنين المعدنى نسمعه من حناجر الناس ، فإن الأبواق والصنوج تخرج من المصانع كل يوم بالمئات والألوف ، ولكننا نحتاج إلى إثبات قوة الصوت بقوة العاطفة وقوة التعبير عنها ، وقد يعيبه – فنيًّا – أن يثبت بصلصلة النحاس وجلجلة الأجراس .

وقد يحمد الفن من أصحاب الأصوات الوافية العميقة أن يستقلوا بأصواتهم عن معونة الميكروفون ، ولكن معونة الميكروفون أصح وأجمل من قوة تنحرف بالصوت الحى إلى رنين الجماد .

والأمل فى أربعين سنة أخرى أن تفسح المجال لهذه الأصوات جميعًا لإبلاغ رسالتها والانتفاع بغاية ما يستطاع من مزاياها ، والعودة إلى الاحتفال بذكرى الموسيقار الخالد فى طريق الارتفاع ، وفى اتجاه متقدم يكثر فيه الابتكار ويقل التكرار

منذ خمس وثلاثين سنة
موضات ماتت وأخرى ستموت*

يسأل السيد « عبد المجيد أحمد جيزاوى » عن مراجع كتبت فيها منذ عشر سنوات فى موضوع « تقاليع » الفوضى التى يسميها بعض الأدعياء بالمذاهب الفنية وليست هى من الفن فى شيء . ويقول الأديب إن اطلاعه على ماكتبناه فى هذه الفترة الأخيرة يحفزه إلى متابعة الآراء حول هذا الموضوع من مبادئها الأولى ، فيما نكتبه نحن ومايكتبه غيرنا حول مذاهب التجديد فى الفنون الجميلة .

ونقول للسيد عبد المجيد إن ماكتبناه منذ عشر سنوات موزع بين أعداد من الصحف لا تحضرنا الآن تواريخها التى تساعده على طلبها فى مواضعها لمراجعتها .

ولكن الموضوع برمته قديم فى تعليقاتنا على حركات الفنون المستحدثة ، وقد تابعنا هذه المذاهب منذ ظهورها على الخصوص فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وقدّرنا لبعضها الزوال قبل أن تزول فعلًا من عالم الفن والثقافة .

ولا نحصى كل ماكتبناه حول هذا الموضوع فى حينه . ولكن الفصول التى جمعناها منه فى بعض الكتب كافية للتعريف بوجهته ومضمونه . وقد أعيد طبع هذه الكتب ثلاث مرات فى بضع سنوات .

ومن الطبعة الثالثة لأحدهما – وهو ساعات بين الكتب – نختار هذه الفقرات من مقال نشرناه فى عدد (الثانى من شهر مارس سنة ١٩٢٨ من البلاغ الأسبوعى) بعنوان : (المعرض الفرنسى) مضى على كتابته نحو خمس وثلاثين سنة تحققت فى أثنائها جميع تقديراته ، وقد يعّد ظهور « التقاليع » الجديدة بعده إعلانًا لزوال تلك التقاليع السابقة وإعلانًا معه لزوال الجديد غدًا على آثارها .

---

* الأخبار فى ١/ ٥/ ١٩٦٣ .

نقول فى مقال الثانى من شهر مارس سنة ١٩٢٨ عن الإمبرشنزم أو التأثرية أو الإحساسية :

« . . . فى الامبرشنزم الذى لهج به المصورون فى هذا العصر يهبط بالفن كلما تمادى إلى حيث يكثر فيه الادعاء ويضعف المرجع المصطلح عليه ويصبح الشذوذ هو القاعدة ، والقاعدة هى الشذوذ . . ولا نظن أن الفن من هذا القبيل فناً إنسانيا يصدق فى الإبانة عن طبائع الإنسان . . ولكنه هو فن النزوة الموقوتة والغرابة التى يوشك أن تضمحل مع الألفة إلا أن تزيدها الألفة من توطد واستقرار . . والإحساسية فى هذه الحالة هى مجرد المخالفة للآخرين على نمط يستطيعه كل من يبغى الخلاف والشذوذ . . وأكثر ما نراه فى تحريفاتهم إن هو إلا أزياء لا تفهم لها حجة . كزى السراويل الواسعة بعد زى السراويل الضيقة ، أو كزى اللون البنفسجى بعد زى اللون الأزرق أو المرقط . وكلها ذاهبة مع الزمن كما يذهب كل جديد يؤتى به حبًّا للجديد ورغبة فى التنويع الموقوت ولا تبقى إلا الإحساسية المستمدة من الحس الصادق والعلم الصحيح . . وهكذا كان بحمد الله . .

فأين الآن تلك الإحساسية المشوهة ؟ذهبت كما ذهبت بعدها توأمتها التعبيرية expressionism التى زادت عليها فى أساليب التشويه والإغراب ، وذهبت مع التعبيرية تقاليع مثلها كالوحشية والدادية والمستقبلية .

وستذهب بعدها أخوات لها تنقض عنها على التوالى عامًا بعد عام .

وقد يرى السيد صاحب السؤال أننا كنا نسمى تلك التقاليع قبل خمس وثلاثين سنة بالأزياء ، ولا نسميها بالموضات كما نقول عن تقاليع خلفائهم الخنفشاريين فى الزمن الأخير . لأن تقاليع الزمن الأخير سقطت عن منزلة الزى باللغة الفصحى إلى منزلة « الموضة » بلغة الابتذال ، وقد يكثر عليها اسم الموضة حين تصلح الموضة للظهور ولو بضعة أسابيع .

* * *

وفى الشهر نفسه كتبنا مقالًا آخر بعنوان « الإحساسية فى التصوير » قلنا فيه عن

الإحساسية المتطورة إنها « تكميل لنظر الأقدمين مسبوق إليه أو متوقع فى آثار بعض الأساتذة الأسبان والفرنسيين . . و (ديلكروا) لم يكن إحساسيًّا ولكن أسلوبه فى ملاحظة المسافة لا ينكره الأسلوب القديم ولا أى أسلوب صحيح . فلا يعاب عليه أنك حين تدنو من أزهاره لا ترى إلا بقعًا من الألوان يتعذر عليك تمييزها . ثم تبتعد قليلًا قليلًا فإذا هذه البقع ورود وأزهار لا أجمل منها ولا أصدق فى رعاية اللون والرسم والمسافة .

واستطردنا من الكلام على المدرسة الإحساسية إلى الكلام على ما كانوا يسمونه بالمدرسة المستقبلية ، فقلنا إنها تعاب حين تترامى كما ترامى « ناقدها » المتهوس مارنيتى . . فقد « زعم أن الفن يجب أن يعنى برسم الأشياء فى الزمان لا فى المكان وحده . . وفسر ذلك بأن المصور يجوز به أن يرينا ظهر الكرسى من خلال جسم الرجل الجالس عليه لأن ذلك الرجل سيفارق كرسيه فى زمن قريب ، وأنه يجوز له أن يرسم أذرعًا خمسًا أو ستًا للرجل الذى يحك رأسه لأنه يؤديه بذلك أداءً صادقًا فى أزماته المتابعة » . . ثم تبحث عن كل هذه الكلمات الحاوية من مستقبلية إلى رسم فى الزمان إلى النفاذ المحسوس فى خلال المادة إلى غير ذلك من الطبل والطنين فتلفيه كله لا يخرج عن رسم الحركة الذى عرفه الأقلمون وأدوه أجمل اداء ووصفه شاعرنا العربى ابن حمديس حين قال :

أسد تخال سكونها متحركا فى النفس لو وجدت هناك مثيرا

* * *

ويرى القراء أن المستقبليين كانت لهم حجج « علمية » لا تقل عن حجج الوعى الباطن واللامعقول التى يهذى بها اليوم جماعة « الخنفشاريين » ، من دعاة التجريد والتجديد ، ولكنها كلها من قبيل الهذيان الذى يسخر منه السامع إذا استمع إليها من مخبول مصاب بالبحران الشديد . فكيف به إذا نطق به مخلوق مفيق يزعم أنه ينير الطريق للمستقبل ويغلق الباب على الفن العتيق !

شوسر وهل تأثر بالأدب العربى *

إلى الآنسة الفلسطينية التى تدرس تاريخ الأدب الإنجليزى بجامعة إسكندرية وتستعد ببحثها لدراسة الشاعر « شوسر » وتود أن تعرف أثر الأدب العربى فى ثقافة هذا الشاعر ومواضع ظهور هذه الثقافة فى مؤلفاته ومنظوماته .

تقول إن اطلاع شوسر على الثقافة العربية فى القرون الوسطى أمر لا خلاف فيه ، وإن كان من المستبعد أنه أطلع عليها باللغة العربية فى كتبها التى كانت متداولة بين طلاب الفلسفة والأدب فى القرن الرابع عشر ، وهو عصر شوسر فى البلاد الإنجليزية . . وقد تأخر وصول هذه الكتب إليها فلم يطلع عليها هناك غير أفراد قلائل بين رواد العلم التجريبى الحديث .

ويبدو جليًّا من مراجعة كتاب « الاسطرلاب » الذى ألفه شوسر لتعليم ولده لويس أنه ألم بدروس علم الفلك كما تعلمها الأوربيون من مصادرها العربية .

فقد وردت فيه لأول مرة كلمات السماء Azimuth والسمت Zemith والنظير Nadir وهى كلمات عربية دخلت إلى لغات الأوربيين بألفاظها التى استخدمها العرب فى كتب علم الهيئة ، ولم يسبق ظهورها فى مرجع إنجليزى آخر قبل كتاب الاسطرلاب .

ويبدو كذلك من المقابلة بين « حكايات كانتربرى » وبين حكايات ألف ليلة وليلة أن الشاعر قد استمد موضوعاته فى بضع حكايات متفرقة من نظائر لها فى كتاب ألف ليلة . وأشهرها قصصه فى حلقة كليومايدس Cleomades وفيها اقتباس من قصة تاج الملوك ودينا وقصة أردشير وحياة النفوس وقصة الحصان المسحور .

وتفصيل هذه المقتبسات مستوفى غاية الاستيفاء فى كتاب مطول اشترك فى تأليفه نحو عشرين أديبًا إنجليزيًّا من المتخصصين لدراسة شوسر وعصره . ولهم إلى جانب ذلك

* الأخبار فى ١٨/ ٩/ ١٩٦٣ .

اطلاع واسع على مصادر الحكايات الأوربية التى لا شك فى علم أصحابها بحكايات ألف ليلة وليلة ، وبخاصة مجموع الأصباح العشرة للأديب الإيطالى بوكاشيو ، واسمها يدل على اقتباسها من المصادر العربية .

أما اسم الكتاب الذى نعنيه فهو مصادر ونظائر حكايات كانتربرى لشوسر

Sources and Analogues of Chaucer's Canterbury Tales

موسيقانا فى أربعين سنة*

.. من الوجهة العقائدية نوجه إليكم هذا السؤال ، لأنكم كتبتم دراسة تحليليَّة عن فلسفة كارل ماركس وعلمتم بالخلاف القائم على مبادئ هذه الفلسفة بين زعماء الصين وزعماء روسيا السوفيتية ، فأى الفريقين ترونه أقرب من الآخر إلى مبادئ كارل ماركس ، ومن منهما استطاع التوفيق بينها وبين برنامجه العملى فى مشروعات السياسة والإصلاح الاجتماعى ؟ ..

عبد الرحمن أحمد عليوة

إسكندرية

.. لو لم يولد كارل ماركس ولم يظهر فى العالم كتابه عن رأس المال لقامت الثورتان فى الصين وروسيا كما قامتا الآن : ولم يختلف منهما غير عناوين الخطط والأنظمة التى تبعت قيام الثورتين بعد الحرب اليابانية .

فالثورة الصينية والثورة الروسية كلتاهما موجة طامية من تيار دافق اندفع به التاريخ الإنسانى فى جوانب العالم المتحضر على اختلاف حضاراته ، ومرمى هذا التيار – كما هو ظاهر لأيسر نظرة – أن تتخلص الأمم من طغيان الأسر الوراثية المطلقة ، ومن عروش الحاكمين بأمر أنفسهم وهم يحيلون السلطان كله بألسنتهم إلى أمر الله .

ففى جيل واحد قامت الثورة الصينية على ملوك أسرة المانشو الملقبين بأبناء السماء . وقامت الثورة فى إيران على أسرة قاجار ، ثم قامت بعد ذلك على راجوات الهند ولم تتأخر عن موعدها إلا لأن هؤلاء الراجوات كانوا يجلسون على عروشهم فى حماية الدولة البريطانية .

---

* الأخبار فى ١٨/ ٩/ ١٩٦٣ .

وقامت الثورة فى بلاد الترك على أسرة بنى عثمان .

وقامت فى روسيا على أسرة آل رومانوف ، وفى النمسا على أسرة آل هايسبرج ، وفى ألمانيا على أسرة هو هنزلرن ، وفى أسبانيا على أسرة البوربون وفى إيطاليا على أسرة سافوا ، وفى قارتنا الأفريقية على أسرة محمد على الوراثية ، ولولا حماية الاحتلال البريطانى لذهبت هذه الأسرة قبل ذهاب غيرها بسنوات .

ومما يؤيد هذه الظاهرة فى الطرف الآخر أن الأسر الملكية المقيدة طال بها الأجل فلم تلحق فى موعدها بتلك الأسر الذاهبة ، فبقى لأصحاب العروش سلطان مقيد فى هولندة وبلجيكا وانجلترا وبلاد الشمال ، وأصبح ملوك هذه البلاد أقرب إلى الرؤساء المختارين فى حدود الحكم منهم إلى المتسلطين بحق الوراثة على الرعايا المحكومين . . ولولا ذلك لما بقى لهم أثر قائم فى وجه ذلك التيار الجارف المتدفق من أعماق التاريخ .

واتفاق هذه الظاهرة فى جيل واحد يدل على الحقيقة الكبرى التى يغفل عنها بعض المؤرخين الماديين ، وهى أن عوامل التاريخ الإنسانية أوسع من أن تنحصر فى بقعة واحدة ، وأنها لا تتوقف على الظروف الاقتصادية دون غيرها من الظروف الاجتماعية والنفسية والثقافية وسائر تلك الظروف التى يتم بها كيان الإنسان فى اجتماعه وانفراده حيث كان .

فالعقل البشرى لا يستطيع أن يتصور ألوانًا من الفوارق أشد اختلافًا وتعددًا من الفوارق الاقتصادية بين الصين وإيران وتركيا وروسيا والنمسا وألمانيا وأسبانيا وإيطاليا خلال الفترة بين أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ولكنها تتلاقى فى تيار واحد كلما رجع الأمر إلى العوامل المتشابكة فى تاريخ الإنسانية جمعاء ، لأنها أعم وأعمق وأقوى من أن تنحصر فى المسائل التى يسميها كارل ماركس بالمسائل المادية .

وبهذه النظرة إلى عوامل التاريخ كان واضحًا منذ البداءة أن الخلاف واقع لا محاولة بين الصين وروسيا السوفيتية ، وإلى ذلك أشرنا فى كتابنا (لا شيوعية ولا استعمار) قبل سبع سنوات [١] حيث نقول فى الصفحة التاسعة والستين : « إنه على

---

(١) صدر الكتاب فى طبعته الأولى فى سلسلة كتاب الهلال ١٩٥٧ وأعيدت طبعته ببيروت ١٩٧١ .

حسب النتيجة العملية تعتبر الصين على وضعها الجديد هدمًا للدعوة الشيوعية ومنافسًا شديد الخطر للدولة الروسية لا يؤمن جواره ، لأنه جوار نظيرين لا يطول العهد بالتناظر بينهما على وئام »

وإذا كان لجريان التاريخ فى مجراه هذا عبرة نستفيدها – لإدراك الحقيقه من وراء الظواهر – فليس هناك حقيقه تاريخية أوضح اليوم من إفلاس الفلسفة المادية وانتقال الخلاف عليها إلى حرب ألفاظ ومصطلحات تنفصل عن الواقع عامًا بعد عام ، بل يومًا بعد يوم .

الشعر . . قبل مهرجان الشعر*

ما رأينا عدوًّا للشعب بلغ من الظلم له والقسوة عليه والاستخفاف بعقله وذكائه بعض ما بلغه أولئك المتيمون المتلهفون الذين يتهمونه با لجهل وسوء الفهم ويزيدون على ذلك أن يسجلوا عليه دوام هذه التهمة غدًا وبعد غد إلى يوم الدين ، بغير أمل فى تبديل ولا تحويل ، وبغير احتمال بعيد أو قريب للتحسن أو التحسين.

يدعون إلى ترك الكتابة بالفصحى وتعميم الكتابة باللهجات العامية ، لأنهم يستكثرون على الشعب أن يفهم كلامًا باللغة الفصيحة ، ولو كتبه كاتبوه بلغه الصحافة التى لا فرق بين أكثرها وبين لغة السوق والطريق غير حركات الإعراب فى أواخر الكلمات ، ثم يسجلون عليه أن يظل على جهله هذا مدى السنين . ويدعون إلى ترك الوزن فى الشعر لأن الشعر الموزون لم يسلك سبيله إلى قلوب الشعب ، وقد يجعله ترك الوزن وسطًا بين الرجل والمقال المنثور.

ويدعون إلى الهبوط (بمستوى الثقافة) لأن الثقافة العالية غير مفهومة عند سواد القراء .

هذه دعوات (محبي الشعب المتيمين ، فكيف تكون دعوات الأعداء المنتقمين) ؟

هل من محبة الشعب أن يبلغ اليأس منه غايته التى لا أمل وراءها بعد عشر سنوات أو بعد عشرين سنة ؟

وهل من يضمر الأمل فى تقدم الشعب وتقدم إدراكه للثقافة واللغة بعد عشرين سنة . يملك عقله حين يشير عليه بهدم لغته وإهمال تراثه من أجل حالة عارضة تزول فى أقل من نصف حياة الجيل الواحد ، إذا قدرنا للجيل المشترك قرنًا من الزمان ؟ . .

على أن الحق الصراح الذى نلمس دلائله فى كل يوم وفى كل مكان أن شعبنا لم

---

* الأخبار فى ١٣/ ١١/ ١٩٦٣ .

يعجز عن فهم اللغة الفصحى ولم يذهب عنده كلام الكاتبين بها سدى فى الصحافة ولا فى خطب المساجد أو المحافل السياسية .

ولم يكن الشعب غريبًا عن فهم الفصحى وهى موزونة على أوزان البحور العروضية فضلا عن المنثور منها أو المكتوب بلغة الصحافة اليومية .

وقبل خمسين سنة – ولا نقول فى أيامنا هذه – كان عامة الشعب يتغنون على قوارع الطرقات بأناشيد سلامة حجازى فى الحماسة والغزل ، وأشيعها على الأفواه قصيدة الفخر على لسان صلاح الدين :

إن لم أصن بمهندى ويمينى ملكى فلست إذن صلاح الدين

وأشيعها فى الغزل قصائد شهداء الغرام وأشهرها :

أجولييت ما هذا السكوت ولم أكن لأعهد منك الصمت عنى فى قربى

وإلى اليوم نسمع فى الطرقات غناء الكبار والصغار بأبيات شوقى التى يغنيها عبد الوهاب ويقول منها :

لم أدر ماطيب العناق على الهوى حتى ترفق ساعدى فطواك

أو بأبياته الدينية التى تغنيها أم كلثوم وهى منظومة بأسلوب البردة وعلى منهجها فى المعانى والكتابات .

وما كان الوزن يومًا بالحائل بين العامة وفهم الكلام أو التعبير به عما أرادوه ، فإن الأزجال العامية كلها منظومة على أوزان البحور العروضية ، بل على أصعب من هذه البحور وأكثرها عناية بضروب الجناس والمحسّنات اللفظية ولم يحلْ وزن الزجل دون اقتدار الناظم على تسجيل الحوادث التاريخية وأسماء الأبطال المشهورين بها قبل مائة وخمسة وستين ، ولا نقول فى هذه الأيام بعد انتشار الكتابة والقراءة وامتلاء الحضر والريف بمعاهد التعليم ،

ففى سنة (١٢١٣هجرية) كانت حملة نابليون تنظم فى ملحمة يحفظها الشعب

ويذكر فيها الناظم سنين التواريخ وأسماء المجاهدين على مثال هذه الأبيات :

فى عام ثلاثة بعد العشرة والألف والمايتين أشاع الأمة
أن الفرنسيس بالمراكب صالوا فى اسكندرية بالقتال فى همة
مير اللوى إبراهيم سريعا عدى إلى أبى أيوب يريد المشورة
قال له أنا وجدى بقوة ربى أجعل عساكرهم تعود مكسورة
أما أبو مرزوق نصب فى بولاق وصحبته الباشا ورا متراس
قال للرعايا ساعدونى لله فى نصب دالمتراس ونادوا الناس

إلخ . إلخ . .

وناظم صعيدى هو الذى يتغنى لمحبوبته بلغة الوزن والجناس والكناية والتورية :

خايف أقول لا يقول له والقلب مشغول وراجف
ابقى قولى له ياقله حين توردى ع الشفايف . .

فإذا كانت صعوبة الوزن على « الشعب » هى التى تبكى عيون المتيمين المساكين إشفاقًا عليه ورحمة به ، فليتفضل واحد منهم – بدلا من إرسال حفنة حارة من الدموع – أن يدلنا على بيت واحد باللغة الفصحى أصعب وزنا وأكثر تنميقًا وتحسينًا من هذه المنظومة التى لا حجاب فيها بين القلب والقلب فى صميم الشعب ، ولا نزال نسمعها اليوم فى أقصى الصعيد كما سمعناها فى ماض بعيد ، يبلغ الخمسين من السنين أو يزيد !

وبالله عليكم يامتيمون يا « ذائبين » من الهوى والجنون !

أهو الشعب الذى تهيمون به أو هو معشوق آخر تهدرون من أجله كل شعب على الأرض ، وأوّلهم هذا الشعب الذى لا نجاح له فى هدم تراثه ولا فى تضييع لغته ولا فى فقدان الرجاء فى كل تقدم وكل ارتقاء ، إلا أن يكون هبوطًا إلى الحضيض ورجوعًا إلى الوراء ؟

قولوها كلمةً صريحةً على غير العادة منكم وممن تستترونه وراءكم ، وأجركم على

ذلك المعبود المستور ، ولا خفاء به بين السطور ولا فوق السطور !

ومن بحر الشعر فى هذا الأسبوع الذى يسبق مهرجانه يخرج لنا هذا السؤال من مولد الشعر فى فجر التاريخ هل هو سابق لمولد النثر أو كان مولد النثر سابقًا عليه ؟

يقول صاحب السؤال « عبد الصمد أحمد مجدوب » إنه سمع فى أحاديث مذاعة توكيدًا بأن « النثر سابق للشعر بالطبع . . مما يذكرنى برأى لى نشرته قبل سنوات يخالف هذا الرأى ، فيسألنى أى الرأيين الآن هو الصواب ؟ »

والصواب البديهى « بالطبع » أن الشعر هو الفن الأسبق لجميع الفنون وليس لفن الكلام المنثور دون سواه .

ولكن الذى جزم بسبق النثر « بالطبع » إنما يلتبس عليه الأمر فيحسب أن النثر مرادف للنطق بألفاظ الكلمات الجارية على كل لسان .

وليس هذا هو المقصود « بالطبع » لأننا لا نقول عن الصبى المتكلم إنه « ناثر » ولا عن المتحدثين فى أحاديث المعيشة اليومية إنهم ناثرون .

هؤلاء متكلمون أو ناطقون ، ولا يقال عنهم إنهم « ناثرون » إلا إذا انتقل الكلام إلى فن مكتوب أو مسموع ، يقرن فى التاريخ بفن الكلام المنظوم .

وينقسم « الكلام الفنى » إلى أقسامه الثلاثة : النظم والنثر والخطابة .

ولا محل للشك فى سبق الشعر با لطبع . .

لأن الإنسان تغنى با لصوت الموزون والكلام الموزون ، أو با لشعر كيف كان قبل أن تكون للكتابة النثرية قاعدة ، وقبل أن يكون للكلام الملفوظ أو المكتوب نسق يدخل فى عداد الفنون والصناعات .

وكذلك تغنى الإنسان « با لطبع » قبل أن يتطور المجتمع إلى هيئة منتظمة تستخدم فيها الخطابة ويظهر فيها الخطباء من الزعماء وغير الزعماء .

وليس مما يتصوره العقل أن تكون هناك رسالة نثرية أو خطابية سابقة لترديد الغناء ، ولو كان من قبيل ترجيع الأصداء فيما دون عالم الإنسان من عوالم الأحياء .

* * *

ومن بحر الشعر أيضًا يرد إلينا هذا السؤال الاخير فى يوميات هذا الأسبوع قبل أسبوع المهرجان .

ويقول الاستاذ « عبد المعطى على القيعى بكفر الزيات » .

« . . فى كتاب المنهاج الإعدادى فى آداب اللغة العربية للأستاذ محمد الصاوى ومحمد أحمد عبد الله أخذ المؤلفان يوازنان بين أبيات ابن الرومى :

ولى وطنى آليت ألا أبيعه وألا أرى غيرى له الدهر مالكا
عمرت به شرخ الشباب منعما بصحبة قوم أصبحوا فى ظلالكا
وحبب أوطان الرجال إليهمو مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمو عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

يوازن المؤلفان بين هذا التعبير الجميل وبين قول أحمد شوقى :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

فيقول المؤلفان ما نصه : كل من ابن الرومى وشوقى يعلى من مكانة الوطن ويشير إلى تعلق النفس به وحبها له ، إلا أن شوقى أعذب لفظًا وأوضح معنى وأقل عبارة ، فلقد أحاط فى بيت واحد بما أورده ابن الرومى فى خمسة أبيات ووصل إلى الغرض الذى قصده وزاد عليه .

« وإنقاذًا لعقول التلاميذ المساكين وعقول بعض المدرسين . . نرجو الرد على هذا الكلام فى اليوميات . . » والسيد القيعى مرجو ألا يغضب لهذه المناسبة التى يحتاج عالمنا القارئ للشعر والبلاغة إلى مناسبات كثيرة مثلها لإظهار الفرق البعيد بين من يحسنون فهم الشعر الأصيل ومن لا يحسنون من فهمه غير ما هو من ذلك القبيل .

إن الناقدين « الحصيفين » يظنان أن ابن الرومى قال أبياته فى « وطن قومى » يجمع بينه وبين الملايين من أبناء بغداد والعراق ، ولم يفطنا لقوله إنه كان « مالكا » لذلك الوطن ، ولا لقوله إن أناسًا سكنوه معه قد أصبحوا فى خدمة الأمير الذى يمدحه بأبياته .

وإنما نظم ابن الرومى هذه الأبيات فى وصف مسكن له نشأ فيه مع أهله وأوشك أن يغتصبه منه بعض جيرانه .

وفى الجزء الثالث يقول صاحب زهر الآداب : « . . وكان الناس يتشوقون إلى أوطانهم ولا يفهمون العّلة فى ذلك حتى أوضحها على بن العباس الرومى فى قصيدة لسليمان بن عبد الله بن طاهر يستعديه على رجل من التجار يعرف بابن أبى كامل كان أجبره على بيع داره واغتصبه بعض جدرها . . »

أما بيت شوقى الذى يقول فيه :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه   نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

فحصوله الذى يتغنى الناقدان الحصيفان بعذوبة لفظه ووضوح معناه أن القائل شغل عن وطنه ولم يشغل عنه فى وقت واحد ، وماذا من النسيان أكثر من الشغلان ؟ وماذا من تزكية « الوطنية » أن يحسب القائل أنه فى الخلد « غريب » وليس بذى وطن يصير إليه جميع الغرباء فى دار الفناء ؟

ليس فى هذا القول معنى واضح ولا غير واضح ، وليس الشغلان والمنازعة من عذوبة اللفظ فى شىء !

وإنه لمن المقارنة التى لا موضع لها أن يطلب من شاعر يذكر دار مسكنه أن يأتى بمعانى الشوق إلى الأوطان التى تأوى إليها ملايين السكان ، وأن يتحدث عن الدار التى يملكها وحده ولا يقبل أن يملكها أحد غيره كما يتحدث عن « مملكة » يعيش فيها مع الملايين من شركاء الأوطان . . !

ولقد يفسر هذا الوطن الخاص بمعنى الوطن العام على سبيل التوسع فى المجاز ، ولكنه لا يصح أن يفسر بهذا المعنى إذا أريدت المقارنة بين ما يقال فيه وما يقال فى الأوطان القومية . .

الصبر والكرم*

فضيلتان من أشرف فضائل النفس الإنسانية ، إن لم نقل على طريقة فيلسوف القوة (هوبس) إنهما مرجع الفضائل القوية فى الإنسان ، فهما على التحقيق لازمتان لكل خلق قوى يتصف به ويعتمد عليه عند كل عظيمة من عظائم المطالب والجهود .

ونحن فى حِلٍّ من السكوت عن الشجاعة وعلو الهمة بعد ذكر الصبر والكرم ، فلا تكون الشجاعة إلا صبرًا على الأهوال ولا يكون علّو الهمة بغير مراسٍ للشدائد واقتدار على التضحية والأريحية والسخاء .

فى عيد الفطر يحتفل المسلم بفضيلة الصبر على احتمال الحرمان المختار طوال شهر الصيام .

وفى عيد الأضحى يحتفل المسلم با لفضيلة الأخرى : وهى فضيلة (التضحية) وما ترمز إليه من معنى الفداء ومعنى البذل والعطاء .

حسن أن نذكر فى العيدين أننا نحتفل بفضيلتين . وأن ندرك أن القدرة على حرمان النفس والقدرة على الفداء هما غاية الغايات فى حساب الأيام ، وفى حساب النفوس .

وهنيئًا فى كل عام للصابرين الباذلين ، القادرين على أنفسهم فى معونة الآخرين ، وفى مواسم الدنيا والدين .

---

* الأخبار فى ٨/ ٥/ ١٩٦٣ .

هنيئًا للصابرين الباذلين
فى مواسم الدنيا والدين*

يسأل الأديب (محمد مصطفى) عن قضية السلام العالمية : هل تخدمها عقيدة (الاهمسا) التى بشر بها المهاتما غاندى فى كفاحه للإنجليز ؟

ويقول الأديب : كيف يتفق هذا مع موقف المهاتما من الحرب العالمية يوم كان يؤيد الحلفاء الديمقراطيين ويعلن الحرب على النازيين ؟ وهل كان غاندى يخالف فى موقفه هذا عقيدة الاهمسا وهى عقيدة الكفاح السلمى كما سماه ؟

والسؤال عن عقيدة الاهمسا فى قضية اليوم : قضية الأسلحة الذرية ، قديم جديد .

وقد سأله الناس فى الهند نفسها قبل الحرب العالمية بعشرات القرون .

ولابد أنهم سألوه فى هذه الآونة الأخيرة يوم استعدت الهند للحرب على حدود الصين ، واشتركت فى هذا الاستعداد كل طائفة من طوائف البراهمة والبوذيين والجينيين ، وهم طائفة غاندى التى تتقدم سائر الطوائف فى إنكار القتل وتوجب بعض شعائرها على أتباعها أن يتلثموا مخافة إيذاء الهواء . . وهو عندهم من العناصر التى لم تحرم روح الحياة ، ولعلهم مقتربون فى ذلك من أصول العربية الذى يشتق فيها كل اسم من أسماء الروح والنفس والنسمة من مادة الرياح والأنفس والنسمات .

ولكننا إذا ذكرنا أن البرهمية فى جملتها تنهى عن قتل الحيوان فمن الحق أن نذكر قبل ذلك أن الطبقة العليا فى أمة البراهمة هى طبقة المحاربين والفرسان ، تليها طبقة العلماء والكهان ، تليها طبقة التجار وأصحاب المرافق الصناعية ، تليها طبقة العبيد والمأجورين المسخرين .

---

* الأخبار فى ٨/ ٥/ ١٩٦٣ .

فالمقاتلة فى ميادين الحرب غير القتل فى إبان السلم بين أبناء الأمة الواحدة ، والمقاتلة للدفاع غير المقاتلة للعدوان .

ومن كتب البرهمية التى تسمى بكتب (الاسمريتى) Smriti منظومات ومنثورات ضافية تروى أخبار القتال وتشيد بالبطولة فى ميادين الحروب ، وهذه الكتب (الاسمريتية) تعد فى المرتبة الثانية بعد الأسفار المقدسة التى تحسب من الوحى الإلهى ولا موضع فيها للإضافة والتأويل من قبل المخلوقات .

و (الباجفاد جيتا) أشهر هذه الكتب تفتح الأبواب الواسعة للخلاص من حيرة المعتقدين بالاهمسا كلما واجهتهم ضرورات الحروب التى تسفك فيها الدماء واصطدموا فى حياتهم العملية بشرور العدوان ومعارك الخصومة التى تفرض على الآمن المسالم أن يرّد العدوان بالعدوان ويقابل الجفاء بالجفاء ، وفيها يفتى (كريشنا) تلميذه الحائر بأن يفرق بين تحريم إزهاق الحياة وبين مقاتلة النفوس التى تتقلب فى الحياة الواحدة بين جسم الإنسان فى طفولته وجسمه فى صباه وجسمه بعد ذلك فى هرمه ، وبعد موته ، ثم تنقلب بين أجسام أخرى من الأحياء الأدميين . فإن حكم النفس المتقلبه بين عوارض الاجساد يخالف حكم الروح الحى الذى يعتبر العدوان عليه عدوانًا على جوهر الحياة ولا ينظر فيه إلى أفراد الناس وأفراد الأحياء ، وإنما ينظر فيه إلى الروح الإلهى الذى بث فيهم حياته وحرم المساس بها على عباده ، وكل ما يجب على البرهمى الصادق – كما قلنا فى التعليق على (الباجفاد جيتا) إذا اتخذ حياة العمل وعرضت له مشكلة الحرب أن يحارب ويقاوم ويعرض نفسه ونفوس أعدائه لما يصيبه ويصيبهم ، وهو منزه عن الغرض مبرأ عن شهوات الطمع والأثرة ، فإذا أملى عليه الواجب أن يقاتل فهو فى خدمة الحق الإلّهى وليس فى خدمة جسده الذى يشوه له مقاصد الإله .

ومما قلناه فى ذلك التعليق أن غاندى (كان يبكت نفسه لأنه غفل عن ذلك الكتاب فى صباه ولم يطلع عليه حتى تخرج من مدارس التعليم الثانوى إلى المدارس العالية ، ولكنه افتتن به بعد الاطلاع عليه ونظر إليه نظرته إلى ذخيرة من ذخائر الثقافة الإنسانية فضلا عما يكنه له الهندى من رعاية التقديس والعبادة ، وكتب فى السادس

من أغسطس سنة ١٩٢٥ يقول : إننى أرجع إلى الباجفاد فأهتدى إلى سطر من سطوره يبعث العزاء إلى نفسى ولا ألبث أن أبتسم راضيًا بين ما يحدق بى من أحزان مطبقة .

وقال كاتبه الأمين (ماهاديف ديزاى) الذى تولى الكتابة له عدة سنوات إن كل لحظة من حياة غاندى إنما كانت محاولة مقصودة ليعيش محققا فى معيشته رسالة الباجفاد ، وإنه كان يقول عنها إنها مستشارة الذى يراجعه كلما أحس الحاجة إلى المشورة .

وإلى هذا الكتاب رجع غاندى فى موقفه بين المعسكرين عند نشوب الحرب العالمية الثانية ، ولم يكن له أختيار فى تجنيد الجيش الهندى للقتال ، ولم يكن فى هذا الموقف (جينيا) ينادى بدعوة (الاهمسا) وحسب ، ولكنه كان ينظر إلى المعركة العالمية القائمة فى العصر الحديث وإلى معارك (الباجفاد) فى تاريخ الهند القديم ، وكان يستشيرها كما قال كاتبه الخبير بمراجع آرائه ، فتشير عليه بما أشار به كريشنا على تلميذه ، ولا تنسى فى مشورتها غاندى الزعيم السياسى ولا غاندى المهاتما القديس .

تاريخ عهد الاحتلال :
مسودة تحت التبييض والتعديل*

على أكبر قدر من الإغضاء والتسامح لا يسعنا أن نعتبر رواياتنا المكتوبة عن عهد الاحتلال الأخير أكثر من « كناشة مسودة » فى حقيبة سائح مستعجل ، تجمع بين الخبر والإشاعة ، وبين الحكاية الواقعية والأسطورة الخيالية ، وبين المبالغة والانتقاص ، وبين التلفيق عن جهل وعجلة والاختلاق عن قصد وسوء نية ، وبين ما يستحق الإثبات بعد مراجعة كثيرة وما يستحق المحو والإهمال بعد مراجعة واحدة ، ولا بّد لها من إعادة بعد إعادة بعد ثالثة بعد رابعة ، .قبل أن تخرج من مكتب التحرير إلى صفاف الحروف ، ثم تعرض بعد ذلك لدور آخر من أدوار الحذف والتصحيح .

والقصة الأخيرة التى عرضنا لها فى اليوميات الماضية عن صلاة « حسين رشدى باشا وزملائه » ليست إلا مثلا واحدا من أمثال كثيرة ، لا تقل عنها فى التلفيق الواضح والحاجة الشديدة إلىالمراجعة والتحقيق .

يذكر راو فى العراق أبيات حافظ كما اثبتها الدكتور زكى مبارك فى بعض كتبه وهو يقحم اسم سعد فى الأبيات لغير مناسبة ، بل على خلاف كل مناسبة ، فينقل الأبيات على الرواية التالية :

سعد يصلى ورشدى أمـــنت بـــالله ربى
يا رب أبق فؤادا حتى يصلى الـــنبى

ولا حاجة إلى مراجعة طويلة لإظهار ما فى رواية الدكتور زكى مبارك من خطأ لا يحتمل الخلاف . فإن سعدًا لم يكن من الرؤساء الذين يدعون إلى المساجد لصلاة الجمعة مع الملك أحمد فؤاد فى صحبة حسين رشدى ، ولم تكن صلاة رشدى مع

* الأخبار فى ١٩٦٣/٣/٢ .

أحمد فؤاد أول صلاة له فى المساجد حتى يضطر إلى تعلم الفاتحة والتحيات من سعد ، ولم تكن هناك ضرورة تدعوه إلى حفظ الفاتحة والتحيات لأنه لا يجهر بهما فى صلاة الجمعة ، وقد عرف حركات الصلاة قبل ذلك عشرات المرات منذ كان يصلى مع الخديو عباس الثانى إلى أن تولى رئاسة الوزارة مرة أخرى بعد إعلان الحماية ، إلى أن دخل الوزارة مع عدلى بعد موت حسين كامل وتولية أحمد فؤاد .

ولكن الروايات عن صلاة رشدى فى المساجد لا تنتهى بهذه القصة ولا يكتفى رواة أخبارها باستجهال الرجل وعجزه عن حفظ الفاتحة والتحيات . . ولكنهم يتقولون فى هذه الأحدوثة أقاويل شتى ، سمعنا بعضها وننقل بعضها كما ورد إلينا فى إحدى رسائل اليوميات من الأديب (شوقى عطية) الطالب الحقوقى بجامعة عين شمس ، وقد سمعناها بشىء من التحريف لا يخرج بها عن فحواها المقصود .

قال الطالب الأديب مما تواتر على سمعه : « إن المرحوم حسين رشدى » حضر إحدى الصلوات بمسجد الرفاعى . . لمناسبة دينية ، فلما أقيمت الصلاة قام مع القائمين وسجد مع الساجدين ، حتى إذا حان وقت التسليم الأخير لم يذكر (السلام عليكم ورحمة الله) ولم يجد مخرجًا من حرجه إلا أن يقول : بونسوار مسيو .. يمينًا وشمالا ، وراجعه الوزير الجالس إلى جواره فأجابه : « إن الفرنسية لغة دولية ، ولا بّد أنها محترمة فى السماء كما هى فى الأرض . فهل كان رشدى على هذا الجهل بلغة بلاده ؟ . . »

ونقول للطالب الأديب : كلا : لم يكن رشدى على هذا الجهل فى معرفته با للغة العربية ، بل كان نطقه المفخم للقاف والطاء والظاء وما إليها مفارقة من المفارقات التى يتندر بها حافظ إبراهيم – أيضا – فى معرض الحديث عن المفارقات المصرية ، إذكان يقارن بين قاف رشدى ابن الترك وقاف سعد ابن الفلاحين ، وهى كما يذكر سامعوه قريبة من الكاف ، فيقول : آمنت أننا فى بلد المفارقات . . !

ولن يبلغ من جهل أحد – كائنًا من كان – بعد أن عاش فى مصر أكثر من نصف قرن أن يجهل كلمة « السلام عليكم ورحمة الله » وهى مما يسمع فى كل يوم وفى كل مكان ومن جميع الطبقات ، مئات المرات .

ومهما يبلغ من ضعف الذكاء – وقد كان حسين رشدى – من أصحاب الذكاء المتوقد ، فليس بالعسير على أحد أن يحتال با لتمتمة التى لا تسمع مع أصوات الناطقين با لتسليم ، ولا أن يفهم أن التسليم با للغة الفرنسية المسموعة ليس با لمخرج المقبول من الحرج الذى يخشاه ، بل هو الحرج كل الحرج ، إذ لا حرج على الاطلاق فى السكوت أو التمتمة والغمغمة بغير صوت مسموع .

ورواية أخرى من روايات الأبيات المنسوبة إلى حافظ ينبهنا إليها الأديب (شريف سامى) طالب الهندسة بجامعة أسيوط ، وخلاصتها أنه يتذكر (أنه قرأ هذه الأبيات بعبارة أخرى ، وأنه بالرجوع إلى هلال نوفمبر سنة ١٩٤٨ وجد النبذة التالية مكتوبة إلى جانب مقال الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى بعنوان : صديق حافظ إبراهيم ، وقد جاء فى النبذة أن جمعًا من الوزراء ذهبوا للصلاة مع الملك أحمد فؤاد فى جامع القلعة عقب المناداة باستقلال مصر فى سنة ١٩٢٢ وكان منهم أحمد مظلوم وحسين رشدى وإبراهيم فتحى فأراد حافظ إبراهيم أن يداعبهم لهذه المناسبة فقال :

مظلوم صلى ورشدى أمـــنت بـــالله ربى
وجاء فـتـحى يصلى بـغير سـيـف وضرب
يـــارب أبـق فـؤادا حتى يصلى الـلـنبى

قال الطالب الأديب : « وإنى أبعث إليكم بمقالى هذا عله يسهم فى الوصول إلى الرواية الصحيحة . . »

ونقول للطالب المهندس إن « هندسة البيت » الأول قد تقنعه بأن اسم « عدلى » أحق هنا بأن يقرن إلى اسم رشدى لأسباب كثيرة غير التنسيق الصوتى ، وأهمها أنه كان معه فى الوزارة قبل ولاية أحمد فؤاد ، وأن صلاة أحمد مظلوم الذى كان يقال عنه إنه من وزراء « الدقة القديمة » أو وزراء « الألاتركا » لم يكن فيها من الغرابة ما يدعو حافظ إلى إثبات اسمه ونسيان اسم عدلى فى هذا المقام .

وأصاب الطالب المهندس حين قال إن رواية هذه الأبيات بالصيغة التى نقلها عن

الهلال قد تسهم فى الوصول إلى الرواية الصحيحة ، فإنها على الأقل تبعد اسم سعد غاية الإبعاد فى هذه المناسبة ، وهى مناسبة إعلان الاستقلال فى سنة ١٩٢٢ ، فإن سعدًا كان على رأس المنادين بنقص هذا الاستقلال ، وكانت مناداته بنقصه سببًا لنفيه إلى جزائر سيشيل قبل إعلانه .

* * *

ومما ورد إلينا تعليقًا على قصة هذه الأبيات خطاب مفصل من الأستاذ حسن غالب رشدى سفير الجمهورية العربيةِ المتحدة سابقًا يعتب فيه على الذين يتجاهلون تاريخ والده هذا التجاهل وينسون فى سبيل النكتة سيرته الحافلة بالجد والفخار فى خدمة بلده وقيادة حكومته ، مع ما اشتهر به من النزاهة النادرة التى أجمع أصدقاؤه وخصومه على الشهادة بها والتنوية بالثناء عليها (حتى مات فقيرًا من المادة غنيًّا بما أسداه لوطنه من جليل الخدمات فدخل بذلك التاريخ من أوسع أبوابه واستحق تقدير الوطن . .)

ويشير السيد السفير السابق إلى صداقة سعد ورشدى ، ثم إلى الخصومة بينهما فيقول ، « إن الهجوم من زعيم المعارضة على رئيس الحكومة كثيرًا ما كان مدبرًا ومتفقا عليه تسهيلا لمأمورية الوزارة وتمكينًا لها من الوصول إلى أهدافها . . »

وقد كنا نود أن ننشر هذا الخطاب من « الابن البار » إنصافًا لوالده مما يفترى عليه جدًّا أو هزلا ، وقصدًا أو على غير قصد ، لولا أن صفحة اليوميات تضيق عنه ، ولولا أن هذه الإشاعات وما هو من قبيلها جميعًا ستظل بحاجة إلى التصحيح الشامل فى مقام أوسع من هذا المقام .

ولن يفوت التاريخ إنصاف الوزير رشدى فى كل ما هو من حقه ، وهو كثير ، ولكن العزاء للصابرين على أباطيل هذه الأقاويل أن علاقتها « با لقافية » التى تهذر ولا تعذر فى عرف البلد ليست مجهولة عند بنيه[1] :

---

(١) هذا الجزء من المقالة نشره العقاد فى حياته فى الجزء الأول من « يوميات » طبعة دار المعارف ص ٤٢٧ .

ربما كان أصح الأقوال فى أبيات حافظ إبراهيم أن تروى على الرواية التالية :

رشدى يصلى وعدلى أمـــنت بـــالله ربى
وجاء فتحى يصلى بـغير حرب وضرب
يـــارب ابق فؤدا حتى يصلى الـلـنبى

ونرجح هذه الرواية بعد اطلاعنا على خطاب للسيد (اللواء أحمد عونى) جاء فيه بعد تمهيد عما فى الروايات الأخرى من الافتراء :

« . . وإليك قصة من واقعنا تتلخص فى أن إبراهيم فتحى باشا كان مديرًا لأسيوط فى ذلك العهد واستدعاه الملك أحمد فؤاد ليكون وزيرًا للحربية وطلب إليه رشدى باشا أن يؤدى صلاة الجمعة فى الجامع الأزهر مع الملك فؤاد لمناسبة وجوده فى القاهرة فكانت مظاهرة أو مناظرة استرعت خاطر حافظ فقال :

رشدى يصلى وفتحى آمـــنت بـــالله ربى

إلى آخر الأبيات . .

وبعد المقابلة بين الروايات المتعددة تخلص لنا حقيقة الأبيات كما رجحناها ! وقد تكون صلاة فتحى فى الوقت الذى تولى فيه وزارة الأوقاف ، لأن وزيرها يشرف على المساجد ويدعى إلى الصلاة مع الملك لإعداد المسجد للزيارة الملكية .

واللواء « أحمد شوقى عبد الرحمن » جندى أديب من رجال السيف والقلم ، يتتبع الطرائف من الأدبين العربى والغربى ، ويساجل الأدباء المعاصرين ويروى من كلامهم ما يجهله الكثيرون من غير عارفيهم ، وقد سمع من حافظ وشوقى ومطران كما سمع من شعراء الجيل الذى نشأ فى أواخر جيلهم ، وكان مما سمعه من حافظ تلك الأبيات التى نشرناها كما رجحناها بعد المقابلة بين مختلف الروايات . وهى أبياته التى ورد فيها اسم رشدى وعدلى وقال فيها :

رشدى يصلى وعدلى آمـــنت بـــالله ربى
وجاء فتحى يصلى بـغير حرب وضرب

يـــارب أبق فؤادا حتى يصلى الـــلـنبى

وقد كتب إلينا يذكر ذلك ويصحح بعض الوقائع فى الروايات المختلفة فقال :

« أما أبيات حافظ فقد قيلت عام ١٩١٧ – ١٩١٨ إبان تقلد حسين رشدى الوزارة ، وكان بها عدلى وزيرًا للمعارف وفتحى وزيرًا للأوقاف ، وأصدق الروايات هى التى أشرتم إليها فى مقالكم . وكان لكم الفضل فى تحقيقها وفى إذاعتها ، كما فعلتم بالأبيات الثلاثة التى تداولها الرواة القلائل والتى تنبأ فيها بزوال ملك فؤاد وأسرته ، والتى كان يمكن أن تطويها عوامل النسيان لولا إحياؤكم لها بنشرها . وقد ضاعت من قبل قصيدته المشهورة فى حكم إسماعيل صدقى ، إلا النزر اليسير منها » .

أما الأبيات التى يشير إليها اللواء الأديب عن نبوءة حافظ بزوال ملك فؤاد . فقد سمعناها من حافظ بمنزلنا وكانت لها قصة من قصصه الظريفة التى يعهدها منه جلساؤه ، وقد كان من عادته أن يمهد لإلقاء ما يلقيه من ديوانه (الشفوى) بنكته عارضة تفهم منها ما وراءها . . فما كاد يجلس وهم يلهث – بعد صعوده إلى مسكنى بالطبقة الثانية ، حتى ذهب يسألنى مصطنعًا للدهشة : عجبًا . . أو لم يغيروا لك اسم شارعك ؟ . .

قلت : ولماذا يغيرونه وهو اسم تاريخى قديم له مناسبة فى هذا الطريق ؟

قال : ليسمى « شارع أحمد فؤاد » كما تسمى فى البلد شوارع أحمد فؤاد ومعاهد أحمد فؤاد ومستشفيات أحمد فؤاد وحمامات أحمد فؤاد ، ومن يدرى غدًا ؟ فقد تسمى « دورات المياه » باسم أحمد فؤاد ؟ . .

واستطرد بعد هذا التمهيد إلى لعن أحمد فؤاد ولعن آبائه وأجداده نثرًا مرسلا ، ثم قال : اسمع وقل إن شاء الله :

يامليكا برغمه يلبس التا ج ويرقى لعرشه مملوكا
إن تتمم يداك تخريب مصر فلقد مهد للخراب أبوكا
ابق شيئًا إذا مضيت ذميما عن قريب أنّى عليه بنوكا

وقد صحت نبوءته بعد وفاته ، فأتى عليه خليفته الأول وابنه الوحيد .

أما قصيدة حافظ التى نظمها فى حكم إسماعيل صدقى وأشار إليها اللواء شوقى فلا نظن أن المحفوظ منها يزيد على عشرة أبيات أو نحوها ، وهى على ما نظن تبلغ التسعين ، وقد جاءنا من الأديب مصطفى محمود مصطفى مدرس اللغة العربية بالمدارس الإعدادية تصحيح لبيت منها يقول فيه :

أما البيت الثانى فصحته :

لا هم أحى ضميره ليذوقها غصصا وتنسف نفسه الآلاما

بدلا من الأحلام . . لأن كلمة الأحلام جاءت فى نهاية بيت آخر هو :

لم يبق فينا من يمنى نفسه بودادكم فودادكم أحلام

ولا نظن أن التصحيح ينتهى بهذه الرواية وحدها ، لأننا سمعنا الأبيات بروايات مختلفة ومنها رواية هذا البيت كما يلى :

لا هم أحى ضميره ليذوقها غصصا وتقلق نومه الآلام

ونعود إلى تصحيحات اللواء شوقى عن ورود اسم فتحى فى أبيات الصلاة فنقول : إنها توافق ما رجحناه فى مناسبة ذكره فى الصلاة مع أحمد فؤاد ، وهى ولايته لوزارة الأوقاف . . وقد أضاف اللواء إلى تصحيحه لهذه المناسبة تعريفًا بالقائد العسكرى الكبير قال فيه : « إنه كان قائدًا ممتازًا تخرج من كلية المهندسخانة وكلية أركان الحرب ، وكان على كفاءة عسكرية مرموقة ، وجاء كتشنر إلى مصر لتفقد القوات الحربية على القناة - وكان فتحى يومئذ مديرًا للغربية - فدعاه كتشنر إلى مصاحبته لاستطلاع رأيه فقال فتحى كلمته المشهورة : هل يدافع جنودكم عن القناة ؟ أو تدافع القناة عن جنودكم ؟ .

وقد أشار اللواء شوقى إلى حديث العلاقة بين فتحى والملك فؤاد فذكر الكلمة التى سمعناها من مصادر متعددة ، وقد فاه بها فى محاورة عنيفة بينه وبين أحد الأمراء ، فقال

على ما نذكر : قل لقريبك إن كرسى فتحى أثبت من كرسى السلطان .

وقد يكون ذلك – أيضًا – تصحيحًا لما قيل عن اختيار فؤاد له وزيرًا للحربية برضاه .

وكل ما قيل أو يقال عن خبر الصلاة وأسماء وزرائها ، وعن خبر فتحى وعلاقته بالملك فؤاد فهو شاهد من شواهد كثيرة على حاجة التاريخ الحديث فى مصر إلى « التبييض » عدة مرات ، بعد النسخة « المسودة » التى نقرأها أو نسمعها الآن .

عصر السرعة أبطأ العصور*

عصر السرعة وصف من الأوصاف الكثيرة التى تصدق على القرن العشرين ولكن على اعتبار واحد : وهو اعتبار النظر إلى الآلات والمكنات وأعمالها السريعة با لقياس إلى الأعمال الآلية فى القرون الماضية .

اما إذا أريد به أن نصف السرعة « الحيوية » التى تقترن بوظائف البنية ونوازع النفس فهو من أكذب الأوصاف وأشدها ضلالًا عن حقائق النفس البشرية فى هذا العصر الحديث .

إن عصر الحصان والشراع أسرع من عصر الطيارة التى تسبق الصوت وعصر الصاروخ الذى يجوب الفضاء إلى أفلاك السيارات العليا .

لأن راكب الحصان يحس بالسرعة فى حركة العضلات واطراد النفس وتحفز الجسم كله أضعاف أضعاف ذلك الإحساس الذى يخالج نفس المسافر على متن الطائرة أو الصاروخ . حيث يستطيع أن ينام ملء عينيه كما ينام فى البيت على سريره . .

وأن المسافر فى الزورق الشراعى يفهم السرعة الحيوية التى لا يفهمها راكب الطائرات والصواريخ لأن ملاح الزورق وهو قابض بيمناه على حبال الشراع وقابض بيسراه على يد الدفة وناظر كل صوب إلى مهاب الريح يتحرك بجسده وإحساسه ويجاوب الحركة فى كل خفقة من خفقات الهواء وكل موجة من أمواج الماء . ويعرف كيف يملك زمام حركاته كما يملك زمام العناصر الثائرة المضطربة من حوله .

إن أسرع طيارة لا تبلغ عشر حركة الكرة الأرضية وهى دائرة حول الشمس أو سابحة مع المنظومة الشمسية بين أجواز الفضاء فى رحاب الكون الفسيح ، وقد عشنا

* الأخبار فى ١٩٦٣/٥/٢٩ .

على متن من الكرة الأرضية نجلس وننام كما نمشى ونهرول ، دون أن تدخل تلك السرعة فى حساب وظائفنا الحيوية .

وربما كانت فرصة الكسل أوفر جدًا لابن القرن العشرين من تلك الفرصة أمام أجداده وأسلافه إلى أبعد القرون ، لأنه يعفى عضلات جسمه من الحركة السريعة أو البطيئة بإدارة مفتاح صغير تحت أصابع يديه ، ولا فرق فى الوقت ولا فى الجهد بين إدارة المفتاح فى المطبعة التى تخرج مليون نسخة وإدارة المفتاح فى مطبعة أخرى ، لا تخرج من النسخ غير المئات أو الألوف .

والكاتب المخضرم بين الجيلين القديم والحديث – أنيس منصور – يعود إلى سرد عيوب الجيل الحاضر وسرد معاذيره معًا فيرجع بها كلها إلى مصدرين اثنين : عصر السرعة ، وفرط الثقة بالنفس .

والسيد أنيس – مرة أخرى – على حق فى تسمية العصر الحديث بعصر السرعة ، ولكنه – فيما نرى – لا يصل من ذلك إلى نتيجة إذا أراد أن يفسر كسل الجيل با لسرعة المفرطة فى الزمان !

والسيد أنيس محق كذلك فى قوله عن الجيل الحاضر إنه يغلو فى الثقة بنفسه ولكن بمعنى واحد :

فإذا كان معنى الثقة با لنفس فرط الدعوى أو فرط الغرور فهو كذلك ولا ريب .

ولكن الواقع أن الغرور مناقض للثقة با لنفس كلما كان مرجعه إلى التواكل وإلقاء التبعات على الآخرين .

فالمغرور هو الذى يعفى نفسه من تبعات تقصيره لأنه دائم الرضى عن نفسه ، ولكن الواثق بالنفس يحمل التبعات جميعًا ويأنف أن يعترف بنصيبه من ظروف الزمن أو تقاليد المجتمع أو عقبات المصادفة .

إن الجيل الحديث كثير الدعوى نعم . .

أما إنه عظيم الثقة بنفسه فكلّا وألف مرة كلا ، يا أستاذ أنيس . .

وإنما المصيبة أنه لا يثق بنفسه مثقال ذرة فى عصر الذرة ، ولا يثق بشىء غير

الشيطان الجديد الذى أصبحنا نحيل عليه كل وزر ونتهمه بكل جناية ونبرىء أنفسنا أمامه من كل تبعة ، ونسميه « المجتمع » ولا ندرى من هو ولا أين يكون إذا عزلناه عن كل مسئول وعن كل فرد متهم با لتقصير . .

إلا أننا لا نريد أن نحابى الجيل القديم ولا الجيل المخضرم لتقول إنهما مبرآن من عيوب جيل الزمن الأخير .

فكل عيب نلمسه من عيوب جيل اليوم قد لمسنا مثله قبل خمسين أو ستين سنة . . وغاية الفرق بين العصرين إنما يرجع إلى سبب واحد كما أسلفنا غير مرة فى غير هذه اليومية .

إنما يرجع السبب كله إلى مبلغ الشعور با لمسئولية بين الجيلين .

فلم يكن جيل الأمس يتهم المجتمع بجرائر أخطائه لأنه كان يدين بشريعة الواجب قبل أن تستفيض فى العالم كله شريعة الحقوق . .

أما اليوم فقد تبدلت أوضاع الأمور من النقيض إلى النقيض .

فقد شاعت دعوى الحقوق حتى كدنا أن نبحث عن إنسان عليه واجب واحد فلا نراه !

فإذا بقى بعد هذا مرجع آخر للدعوى فالبركة فى العقد النفسية التى كادت أن تصبح من المفاخر بعد أن كانت قديما من العلل والآفات .

ولم يبدأ حديث العقد النفسية على هذه الوتيرة يوم ظهر الأطباء النفسانيون بتحليلاتهم وتعليلاتهم عند أوائل القرن العشرين ، ولكنها بدأت « تشخيصًا » ثم صارت « تفسيرًا » ثم صارت « اعتذارًا » ثم صارت امتيازًا للمصابين على غير المصابين ، لأنهم يحملون طابع العصر وينفعلون بدواعى الانفعال فيه . . فهم إذن « تقدميون » غير رجعيين ، وهم إذن صرحاء لا يخجلون من آفاتهم ، ولا يحسبونها من نقائصهم ، لأنهم يعودون هنا فيقذفون بها على كاهل المجتمع الحاضر وكواهل الوراثة من مجتمعات القرون الأولى !

وستزول هذه الغاشية متى عرف المتواكلون المدعون عاقبة الدعوى ، وعرفوا كذلك

أن اتهام المجتمع لا يجديهم شيئًا ، وأنهم سيضطرون إلى اتهام كل مجتمع جديد كما اتهموا المجتمع القديم على غير جدوى .

ويومئذ يظفر عصر السرعة بحكم البراءة من محكمة الواقع الذى لا يرحم ويومئذ يعلم المسئول أنه مسئول على الرغم منه بالحق أو با لباطل ، وأنه ينطح الحائط والحائط لا يباليه ، لأن هذا الحائط كتلك الصخرة التى تحطمت عليها قرون الوعل .

كناطح صخرةٍ يوما ليوهنها فلم يضرها ، وأعيي قرنه الوعل

* * *

ذكريات صحفية

عبد الله النديم *

عبد الله النديم ، اسم من الأسماء التى تستعيدها الذاكرة فى مناسبات كثيرة ، كأنه اسم من اسماء الجان الصالح الذى يقال إنه سهل الحضور ، وإنه يستحضر بهمسة واحدة ، أو « بندهة » واحدة فى عرف السحرة والعرافين .

كان خطيبًا من الخطباء المعدودين ، بل كان خطيب الجمهور الأشهر فى إبّان الثورة العرابية .

وكان رائدًا من رواد الصحافة العربية بل كان الرائد الأول للصحافة الأسبوعية التى يسميها الغربيون صحافة النقد الاجتماعى ، وسماها هو صحافة التنكيت والتبكيت .

وكان مغامرا من كبار العاملين فى الجماعات السرية التى تتقن فن الاستخفاء ، وتتقن معه فن الظهور بمختلف المظاهر والألوان ، على ثبات فيه لا يتزعزع على مبادئ الدعوة الوطنية .

كان بعمامته الكبيرة – عمامة الأشراف – معدودًا من مشايخ الطرق تارة ، ومن آل البيت تارة أخرى .

وأسماؤه تتعدد فى الوقت الواحد كتعدد صفاته ومظاهره فهو تارة « عبد الله أفندى النديم » .

وهو تارة على ألسنة العامة « عبد الله النديم » .

وهو بين هذا وذاك « الأستاذ » وكفى .

وهو فى جميع الأوقات بمظهره وزيه « السيد عبد الله الحسينى » .

ومظهره هذا هو الذى كان يخيف الأجانب من وقع خطبته التى كانوا يعتقدون أنها

---

* الأخبار فى ١٩/٢/١٩٦٤ .

تشن الغارة على الأوربيين باسم الدين ، وبهذه الحجة تقرر نفيه غير مرة من القاهرة ، ومن الديار المصرية بجملتها .

كان « ماردماديوك بكثال » – مترجم القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية – يعيش فى القطر المصرى أيام الثورة العرابية ، وألف قصة عن أبناء النيل The Children of the Nile وقال عن السيد النديم بعد أن رآه فى مجلس أحد الأعيان : « . . . ولم يكن مبارك يلقى يومئذ أحدًا من زعماء الثورة غير السيد عبد الله النديم ، وهو اللاهوتى السياسى محرر الصحيفة التى تسمى الفسطاط وصاحب « الحملات » النازية على الأوربيين ، ولا يزال فى مجلسه يحرك حبات سبحته وهو مطرق العينين » .

وقد تجددت سيرته أمامنا فى العهد الأخير أيامًا متواليات ، ظهر فيها بإحدى هذه الصورة على لوحة « التليفزيون » . . وحاول العارضون لسيرته أن يمثلوه على حقيقه واحدة من حقائقه الكثيرة : وهى حقيقة الخطيب النارى فى قيادته للجمهور من مستمعيه أيام الثورة العرابية .

وصورة الرجل صحيحة كما تصح الصورة التاريخية حين تنقل إلى مسرح التمثيل ، أو حين يحل فيها الفن محل الواقع الذى لا يتأتى تمثيله بالتفصيل ، لكن الصورة الحسية ، أو النفسية التى رسمت فى أذهان المعاصرين للرجل ، بقيت فى أذهانهم ولم تنقل بعدهم إلى الأخلاف من أبناء الأجيال القليلة التى تتابعت بعد الثورة العرابية ولم نعرف نحن هذه الصورة إلا من طريق السماع والرواية ممن عاصروه ، ومنهم السيد الوالد رحمه الله ، وكان من قراء صحفه الكثيرة ، وقد أطلعت على أكثرها بين محفوظاته التى كان يعتز بها ويخفيها عن الأنظار ، لأنها كانت تثير الشبهات على من يقتنيها بعد دخول المحتلين البلاد .

ولم تكن صحيفة من تلك الصحف على شاكلة الصحف اليومية فى العصر الحاضر كما عرضت فى مناظر سيرته المصورة ، ولكنها كانت على غرار الكتب أو المجلات . وطالما ترددت سيرة النديم فى مجلس الوالد ومجلس أصدقائه ، ومنهم عالم أسوان الكبير – الشيخ أحمد الجداوى – الذى كان من زملائه فى بعض الأوقات .

كان العرابيون المثقفون يذكرون النديم ويبتسمون أبتسام العطف والإعجاب .

وكانوا يذكرونه كما يذكرون « الحاوى » البارع الذى يحسن اللعب بالنار ، أمام المسحورين من الناظرين إليه .

وكانوا يروون من كلماته التى يحكونها بألفاظها ولهجاتها ، نمطا عجيبًا من المعلومات التى تدل على حظ من المعارف العامة غير وفير ، إلا أنها كانت تتفجر من فمه إلى أسماع جمهوره فتفعل فعل السحر فى إثارة خواطره وتثبيت جأشه وإعادة الثقة إليه .

كان الساسة البريطانيون يهددون بإرسال الأسطول إلى الشواطئ المصرية فكان عبد الله النديم يعتلى منبر الخطابة ليقول لسامعيه : وماذا يصنع هذا الأسطول بين قلاع الإسكندرية ، وقلاع جزيرة قبرص وهى فى الجزيرة تصله وابلاً من النيران ، فإذا هرب منها تلقاه من قلاع الإسكندرية وابل « مثله أو أشد نكالا » .

وكان الرجل لا يبالى أين ينشر دعوته ، وأين ينصب منبره للخطابه .

فكان يرتاد الأزقة البعيدة عن الأنظار . ويغشى القهوات الحافلة بالمئات من زوارها . ويتعمد الذهاب إلى الأعراس الفاخرة التى يعلم أنها ستعمر فى المساء بالمدعوين وغير المدعوين . وروى عن المطرب المشهور « محمد عثمان » أنه كان يسأل عن سهراته فيقول : « سنسهر غدًا فى عرس فلان على تخت عبد الله النديم . . ! »

وكان من أساليبه فى تهوين خطب الأعداء أنه كان يصطحب معه الناشئين من الطلاب المجتهدين فى الخطابة . ليفاخر بهم خطباء الغرب من أمثال غامينا وغلادستون . .

وروى « أحمد شفيق باشا » طرفًا من هذه الأخبار فى مذكراته فقال فى الصفحة المائة والسابعة والأربعين (١٤٧) من الجزء الأول :

« وكثيرا ما كان الخطيب يستصحب معه بعض طلبة المدارس . وبعد خطابته يقدم أحدهم إلى الجمع ليخطب فيهم إلى جانبه ، فينبرى الطالب مثيرًا فى الحاضرين الغيرة والحمية . . . وقد شاهدت عبد الله النديم مرة يقدم فتحى أفندى زغلول الطالب بمدرسة الحقوق ليخطب فى حفلة عظيمة . وبعد أن جال بخطبته فى الس ياسة كل مجال

أمسك عبد الله النديم بذراعه وقال للحاضرين . . ألا تعجبون لما ابداه هذا التلميذ فى خطبته من العلم والبيان والتفنن فى المواضيع ؟ مع أن غلادستون خطيب انجلترا لا يتناول إلا موضوعًا واحدًا فى خطبته ؟ »

ولما احتدم القتال بين جيش عرابى والجيش الإنجليزى المغير على البلاد كان عبد الله النديم يعمل على تهوين خسائر الجيش المدافع فى خطبه ومنشوراته ، ويقابل ذلك بالمبالغة فى خسائر الأعداء ، كان يستخدم النكتة والمفارقة فى السخرية بأولئك الأعداء ، ومن أخباره التى حفظت زمنًا طويلًا بعد انتهاء المعركة . « إن الأعداء أصيبوا بمقتل كذا من الجنود والضباط . ولم تتجاوز خسارتنا إصابة حافر بغل من بغال الحمولة » .

ونعتقد نحن أن معلومات النديم لم تكن على سعة وافية ولكنها كذلك لم تكن من الضيق با لقدر الذى يدل عليه هذا التهوين وذلك التهويل ، وإنما الأرجح فى ظننا أنه كان ممن يفسرون الخديعة فى الحرب بجواز الكذب فى محاربة الأعداء المكاثرين بالعدد والعدة . وبخاصة حين تهبط الروح المعنوية من حوله . ويوازن الخطيب بين النهوض بها وبين تركها فريسة للاستسلام الذى يشيع فيها الذعر والفشل . فيختار الأسلم والأكرم من الخطبين .

ونرجح هذا الظن لأننا قرأنا أشتاتًا من مقالات النديم فى صحفه التى أصدرها من مطلع حياته الصحفية إلى يوم نفية الأخير ، فلم نجد فى مقالة منها أثرا لهذا التهويل الذى كان يستبيحة فى خطاب جمهوره كما يستباح فيما يسمونه اليوم بحروب الأعصاب ، بل كنا نجد فى تلك المقالات دلائل بينه على متابعته لحركات الجماعات فى العرب بأسمائها الأفرنجية . كحركات النهلست والسوشياليست والكومون والفوضويين . وحوادث الدول وأزمات الوزارات . . . وما من شك فى أنه كان يستغنى عن التهويل فى كتابته لأنه كان فى سعة من القدرة المطبوعة على إثارة النخوة فى نفوس قرائه . بحسن التصوير للواقع وصدق الشاهد من أبناء التاريخ .

وعلى نقيض أسلوبه فى اقناع جمهوره بقوته القاهرة وسطوته الغالبة كان همة الاكبر

عند الكتابة أن يكشف للأمة عن عيوبها ، وأن يطيل التفصيل عند التنقيب على أسباب ضعفها وتأخرها وتمكن الأجنبى من السيطرة عليها .

ولم يغفل عن ذلك فى أشد مقالاته حملة على الاستعمار الغربى ، وهى تلك المقالة الطنانة التى جعل عنوانها ولازمتها المتكررة بين الفقرات : « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » .

وهى كما يظهر من العنوان تجمع أسباب الشكوى من الغرب كما تجمع أسباب ضعف الشرقيين الذى مكن الغربيين من الغلبة عليهم وإخضاع بلادهم قهرًا .

وقد كان أبرع الصحفيين من معاصريه فى اختيار العناوين لمقالاته . حتى يكاد العنوان منها يقوم بمقال كامل ، ومن أمثلتها : « لم تقدموا وتأخرنا والخلق واحد » و « هذه يدى ، فى يد من أضعها ؟ » . و « بمن أفتدى إذا اختلفت الآراء ؟ » و « اشتات الشرق وعصبيات أوربا » و « كان ويكون » : وبجعلها عنوانًا عامًّا لمتابعة مجرى الحوادث والتعليق عليها .

وكانت له قدرة لا تجارى على إرسال جوامع الكلم ، سواء منها الجملة المفردة ، أو العبارة التى تقتبس من المقالة المطولة ، وهذه بعض أمثلة من جوامع كلماته :

« يومك كأمسك فأعد لغدك ما تخيرته » . . .

« . . أصل الدناءة دناءة الأصل . . هيبة الظالم بالسلاح ، وهيبة العادل بالصلاح . . . . لا تضيق صدرًا إلا بما لم يحل بمثلك . . أمرك بيدك فإذا جذبته مطامعك تبدد . . . إذا ألقيت السلاح تعبًا فأنت المقتول . . . من أهان ظالمًا عد من الأبرار » .

وقد كنا فى سنوات الدراسة نحفظ هذه الكلمات كما نحفظ عناوين مقالاته ، ولكن الذى نذكره فى هذه الذكريات الصحفية عنوانه الذى بدأنا به حياتنا الصحفية قبل أن نصل إلى المطبعة وهو عنوان مقاله الجامع : « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » .

كنت فى الثانية عشرة يوم قرأت هذه المقالة فعمدت إلى كراسة من كراسات الإنشاء فقطعتها على غرار مجلته « الأستاذ » واخترت لها عنوان « التلميذ » ، وافتتحتها بمقال على لسان الشرقيين يقولون فيه للغربيين :

« لوكنا مثلكم ما فعلنا فعلكم » وتمنيت أن نملك القوى ليرى الغرب أننا حين نغلبه لا تغتصب رزقة ولا نستذل أهله ولا نقول له : إنك لست مثلنا فتفعل فعلنا !

ولم يصدر من هذه الصحيفة غير أعداد ثلاثة أو أربعة ولم يبق منها إلا عدد واحد كان يحتفظ به زميلنا فى المدرسة اللواء محمود عسكر رحمه الله .

وقد أراد صهره الموسيقار الكبير محمد حسن الشجاعى أن يستعيره لى من أهله فى الريف . فلم يجده بين أوراقه من محفوظات صباه .

الدين والكمال والنعمة والتمام ! !*

« . . . وقفت طويلا أمام الآية الكريمة - (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى) - وأود أن أسأل لماذا اقترن الدين بالكمال واقترنت النعمة بالتمام ؟ . . ورجائى أن يتكرم الأستاذ مشكورًا بالبيان على صفحات الأخبار » .

محمد عبد الودود محمد

كلية العلوم - جامعة أسيوط

ونقول للطالب المجتهد إن هذه الوقفة الطويلة قد تقصر إذا ذكرنا الفرق بين عالم الروح والضمير وعالم الحياة الدنيوية . حياة النعمة والمتاع .

فعالم الروح قابل للكمال لأنه من أمر الله وهو مطلق الكمال . وعالم النعمة الدنيوية على اختلاف معانيها محدود بالعدد أو بالمقدار أو بالأوقات والأمكنة وتمامه مرتبط بالغاية التى ينتهى إليها حسابه المقدور .

وتذكرنا هذه التفرقة « بالمخلص » المنطق الذى لجأ إليه فقيدنا لطفى السيد أستاذ الجيل حين أحرجه أنصار السيادة العثمانية فقالوا إنه يرتكب جريمة الخروج على سيادة الدولة وجريمة الخيانة العظمى . بطلب الاستقلال التام عن الآستانة .

قال رحمة الله ما فحواه : إن الاستقلال التام غير الاستقلال الكامل ، ثم ضرب المثل بالطفل الذى يعتبر إنسانًا « تام التكوين » ولكنه لا يوصف بالكمال الذى لا يبلغه الإنسان كائنًا من كان .

ويذكر الشيء بالشيء ، كما يقال ، ويذكر أستاذ الجيل بأستاذ الجيل على هذا المنوال !

---

* الأخبار فى ٢٩/ ٥/ ١٩٦٣

كان رحمه الله يفرق بين تسمية الحزب السياسى بحزب الاحرار وتسميته بحزب الحريين ترجمة للحزب الليبرالى . . . لأنه يقول بحق إن الحزب المعارض للحريين ليس من العبيد ولكنه قد يوصف بأنه محافظ على التقاليد فى أنظمة الحكم ، وقد يقال عنه إنه ليس من « الحريين » الذين يدينون بتطبيق مبادئ الحرية فى حكم الشعوب ولا سيما الشعوب الأجنبية أو شعوب بلاد « المستعمرات » .

وفى هذا البيان الوجيز جواب للأديب « عبد الحكيم عبد الوهاب داهر » الطالب الحقوق بجامعة الاسكندرية ، الذى يسأل عن معنى قول الدكتور لويس عوض أن أحمد لطفى السيد كان من المؤمنين بفلسفة الديموقراطية الليبرالية ، ثم يسأل : لماذا سميت بالليبرالية ؟

ومفهوم بعدما تقدم أن الليبراليين هم الحريون ، أو هم غير المحافظين على تقاليد الحكم فى بلاد الاستعمار .

مشكلات الامتحانات *

من مشكلات الامتحانات التى لا يقع اللوم فيها على الطلبة مشكلة الإعادة فى الفرقة الدراسية مع تغير الدروس فى برنامج هذه الفرقة .

فالطالب يرسب فى بعض المواد فيضطر إلى البقاء فى فرقته سنة أخرى ليتمكن من تلك المواد بإعادة درسها وتحصيلها من جديد ، للنجاح فيها بعد رسوبه على أثر دراستها الأول مرة .

ولكن ما فائدة الاعادة إذا كان امتحانه بعد سنة فى دروس غيرها ؟

إن المادة الجديدة التى سيدرسها فى فرقته لأول مرة هى بالنسبة إليه كالمادة الجديدة التى سيدرسها بعد انتقاله إلى فرقة أرقى منها .

وقد يتفق أن تكون المادة التى ألغيت فى فرقته هى بعينها ، أو بعد التوسع فيها ، قد تقررت للدراسة على فرقة أرقى من تلك الفرقة التى يعيد فيها السنة بعد رسوبه .

والانتقال فى هذه الحالة أوجب من البقاء الذى لا إعادة فيه لتلك المادة ، إذ كان يعيد دراستها حين ينتقل إلى فرقة أرقى من فرقته الأولى .

وسواء اتفق هذا أو لم يتفق على هذه الصورة فالبرامج المتغيرة مشكلة « امتحانية » بالنسبة للراسبين والمنتقلين . . ولعلها مشكلة عامة بالنسبة إلى القواعد الصالحة للتربية والتعليم . . فمهما يكن من صلاح التغيير فى برامج الدراسة وموضوعات الامتحان فليس من الصالح قطعًا أن تتغير كل سنة ، ولا من المصالح أن يتبع نظام الإعادة مع التلاميذ الذين يرسبون ولا يعيدون دراسة المواد التى رسبوا فيها .

وخير مايتبع لاتقاء الضرر من الإعادة بغير فائدة أن تتقرر للبرامج دورات محدودة لا ينتظر الطالب ولا الأستاذ أن يطرأ عليها التعديل قبل انقضائها .

فإن حدث ما يوجب التغيير قبل انقضاء الدورة فمن الإنصاف أن يعفى الطالب من الإعادة إذا كان لا يؤدى الامتحان مرة أخرى من المادة بعينها .

---

* الأخبار فى ٢٩/٥/١٩٦٣ .

إعجابنا بالمعانى فى الشعر المترجم*

من رسالة للأديب «مصطفى محمود مصطفى» مدرس اللغة العربية يقول :

« . . أراك تعرض طائفة من الشعر الغربى وتحارب نظيره من الشعر العربى الذى يسمونه بالشعر الجديد . وهو الشعر الذى لا تلتزم فيه بحور المعروض الموروثة لنا . . فلماذا تحفل بذلك وتابى ذاك ؟ . . . وهذا مع العلم بأنى على رأيك فى محاربة هذا الشعر العربى المتجدد لخلوه من الموسيقى . ولكنى أحب أن أعرف السبب فى أنك فرقت بينهما وهما متشابهان أو هكذا يبدوان » .

وقبل بيان السبب الذى لا يحتاج إلى بيان نعود إلى قصة قد نحتاج إليها فى معرض الفكاهة كما نحتاج إليها فى معرض الذكرى التاريخية والفائدة العلمية . . فنقول ، ومن الله المغفرة للسائل والمسئول :

كانت لنا ، منذ خمسين سنة جلسة بضاحية العباسية فى فناء مدرسة أهلية ، مدرسوها كلهم من قراء الأدب وقراء الصحف وقراء المترجمات من الكتب الأوربية الحديثة .

وكانت للشعر الجديد يومئذ معركة أشد من معارك أنصاره المهازيل فى السنوات الأخيرة ، إذ كان له دعاة من طبقة الزهاوى وشكرى أو من طبقة « البكرى » محمد توفيق إذا نظرنا إلى مثانيه ومزدوجاته كأنها دعوة متجددة إلى التصرف فى وحدة القافية .

وكان من جلساء الندوة فى ضاحية العباسية مدرس ظريف من مدرسى اللغة العربية على الطراز القديم ، ينظم الشعر كما ينظم الزجل وتملكه الحيرة فى أمره وأمرنا كلما سمعنا نتحدث عن شعراء « الفرنجة » أو قرأ لنا كلامًا فى الصحف والمجلات نذكر فيه العالم

---

* الأخبار فى ١٩٦٣/٣/٢٧ .

الإنجليزى « هربرت سبنسر » أو العالم الألمانى « إيرنست هيكل » أو العالم الفرنسى « لافوازيه » ، أو غيرهم من أقطاب العلوم الطبيعية بين الأوربيين .

يقول فى دهشة ؟ . . لا يقنعها تفسير واحد ولا تفسيران :

عالم إنجليزى ؟ . . سبحان الله . . ! وهل حضر ؟ . .

ونعلم أنه يعنى : هل حضر فى حلقات الدرس بالجامع الأزهر ؟ ومن هم مشايخه الذين حضر عليهم ؟ وما هى الكتب التى حضر عليها من كتب العلم الذى لا يكون ، فى رأيه ، إلا من علوم الفقه أو الأصول ، أو الأجرومية . .؟

وكنا إذا ذكرنا شاعرًا أوربيًا سألنا أن نسمعه أبياتًا مما قال ، فنترجم له بعض الأبيات المتفرقة على سبيل المثال ، فيقول دهشًا :

ياسبحان الله ! . . ولكن هذه ليست بأبيات ؟ ! ولكن هذا ليس بشعر ؟ ولكنه كلام لا وزن له فى العروض ! . .

كان رحمه الله يحسب أن الشعر الأوربى إذا نقله الناقل إلى اللغة العربية فلا بّد أن ينتقل – هكذا بقدرة قادر – لفظًا ومعنى ووزنًا وقافية ، ولا بد أن يكون الوزن عروضيا عربيا بتفاعيله وشروطه فى البحر والقافية على قواعد الخليل ، بغير تعديل ولا تبديل .

ونقول له إن الأوزان الأوربية لا تنتقل مع الكلام بالترجمة إلى اللغة العربية ، ولا سبيل إلى وزنها بتفاعيل العروض العربية إلا إذا تعمد المترجم أن يصوغها فى هذه التفاعيل ، فلا نحس أنه أدرك ما نعنيه ولا ينفعه أن نضرب له المثل بالنثر المعقود والشعر المحلول ، لأنه يحسب أن حل الكلام المنظوم عمل مقصود وتمرين من التمرينات التى لا تجوز فى غير كلام العرب . . أما كلام الفرنجة فلا معنى فيه للحل والعقد لأنه كلام أعجمى غير مبين ! . .

ونحن نستبعد أن يكون السيد مصطفى محمود مدرس اللغة العربية بسرس الليان زميلا فى هذا الاعتقاد للسيد أحمد الموشى مدرس اللغة العربية القديم بضاحية العباسية .

ولكن يلوح لنا سن لهجته « التحقيقية البوليسية » فى محاسبتنا على ترجمة الكلام

الإنجليزى المنظوم بكلام عربى منثور أنه لم يخطر له على بال أن الكلام يكون موزونا – بل موزونًا جدًّا – فى لغة من اللغات ثم يأتى منثورًا فى ترجمته إلى لغة أخرى ، سواء كانت عربية أو أعجمية .

ولم يخطر له ، على ما يظهر ، أن حكم الشعر العربى الموزون إذا ترجم إلى اللغة الإنجليزية كحكم الشعر الإنجليزى أو الفرنسى أو اليونانى أو الفارسى أو الهندى إذا ترجم إلى لسان غير اللسان العربى بما احتواه من أحكام للشعر ومن بحور وتفاعيل .

وقد نقل من اليونانية شعر منُظوم فأصبحت ترجمته إلى الإنجليزية مقالة منثورة ، ونقلت قصائد المتنبى والمعرى وابن الفارض منثورة إلى اللغات الأجنبية كما نقلت منظومه أو موزونة بغير أوزانها العروضية فى لغة الضاد .

وكثيرًا ما ينظم الشعراء الغربيون قصائدهم بغير قافية أو بغير مقاطع موزونة على قواعد التفاعيل ، ولكن القصائد التى نقلناها فى اليوميات الأخيرة من المنظومات التى نقول إنها موزونة جدا لأن قوافيها تلتزم فى كل سطر ولا يكتفى فيها بقافية البيت بعد البيت ، وبعضها يجرى فى وزنه على قواعد الموشحات التى ينشدها الشعراء ويغنيها المغنون وتتعدد فيها القوافى مع الأشطر والفواصل ولا يكتفى فيها بإعادة القافية مع الأبيات .

فلا اختلاف ولا تفرقة فى نظرتنا إلى وزن الشعر عندنا وعند الغربيين ، ولا نزال نعجب بالمعانى العاطفية أو المعانى الوجدانية إذا قرأناها فى الكلام البليغ كائنًا ما كان . ولكننا نسميها « نثرًا » إذا كتبت بغير وزن وقافية ولا نرى عليها غضاضة فى ذلك ، لأن بلاغة النثر مطلوبة مقدورة ، بغير حاجة إلى هدم الفن العروضى وإسقاطه من الحساب ، ليقُل الناثرون أنهم شعراء ولا يرتضوا أن يقال عنهم إنهم كتاب أو أدباء .

فقد توضع للهجة العامية قواعد لا تقل فى كثرتها ولا فى صعوبتها عن قواعد النحو والصرف فى اللغة الفصحى ، إذا شاعت الكتابة بالعامية ووجب تعليم اللغة لأطفال المدارس كما وجب تعليم العامية الفرنسية والعامية الإيطالية والعامية الأسبانية ، بعد إهمال الكتابة باللغة اللاتينية .

ومصداق ذلك أمس بحث الباحثين عن معنى قولهم (سلقط وملقط) أو معنى العبارة المشهورة « دورت عليه فى سلقط وملقط فما وجدته » . . ونحن نفسر هذا المعنى بزيادة اللام فى الكلمتين كما تزاد فى (شلبك وهلضم وكلفت) وغيرها وغيرها من الكلمات الشائعة فى العامية والفصحى . ومرادهم على هذا أن البحث قد جرى عن الشيء المفقود حيث يمكن أن يسقط أو حيث يمكن أن يلقط ، فلم يعثر عليه .

ومصداق ذلك اليوم أن أمثال اللهجة العامية سوف تتسع لمحيط واسع من التأويلات والحكايات أو من الحواشى والأساطير لا تقل من نظائرها فيما نقرأه من أمثال « الميدانى » وأسبابها المختلف عليها .

فقد تلقيت فى بريد واحد ست رسائل عن أصل « سلقط وملقط » من انحاء البلاد تردد المعنى المزعوم لهاتين الكلمتين على تفسير واحد ، مما يدل على وجود المرجع الشفوى الحافل لمضارب الأمثال العامية ، فى انتظار التدوين والتبويب .

يقول السيد فتحى عبد المقصود عبد الله صاحب مكتبة بشبرا فى تفسير تلك العبارة أنها وردت أولا على لسان سيدة أعرابية كانت تحتفظ ببلاص مملوء بالعسل فأحكمت سده وخبأته فى زاوية من البيت ، واهتدى إليه ابنها ففتح فى سدادته ثقبا يكفى لإدخال غاية دقيقة يمتص بها العسل حتى فرغ البلاص وجاءت أمه بعد فراغه فعجبت لأنها وجدته غير مفتوح وغير مائل ولا عسل فيه معَ ذاك ، فصاحت : ما سال قط وما مال قط فأين ذهب العسل ؟ . . فذلك معنى قولهم : سلقط وملقط على هذا التفسير .

وفى خطاب من السيد (أحمد محمد المطيرى) با لشركة العامة لصناعة الورق بخط رشيد يتكرر هذا التفسير مع تعديل يسير ، وبعد إبدال كلمة الجرة بكلمة البلاص .

ويتكرر هذا التفسير أيضا فى خطاب من السيد فكرى عبد المجيد بكالوريوس زراعة بمنوف ، مع إبدال الإناء بالجرة والشك فيما كان فيه هل هو عسل أو سمن أو سائل آخر ؟

وكذلك يتكرر التفسير بعينه فى خطاب من السيد عبد الرحيم عبد الحميد الخواجة الموظف بمديرية التعليم بطنطا ، مع إبدال القدر بالجرة وبالبلاص . .

ويتكرر هذا التفسير أيضًا فى رسائل من السادة (إبراهيم رزق الله ، ويونس أحمداوى ، ومحمد أحمد شريف) . . ولكن السيد إبراهيم رزق الله يروى القصة على أنها حدثت لأعرابى لا لأعرابية . . وأنهما ولدان لا ولد واحد كانا يتناوبان السرقة من « الجرة الصغيرة » .

وعندنا فى جواب هذه الاسئلة حكاية أخرى نحكيها قبل التعليق على حكاية البلاص أو الجرة أو القدر أو الإناء . .

قال الراوى : إن ملكا ظالما أراد أن يحبس لقمان الحكيم على علاجه وعلاج آل بيته دون غيرهم ، نفاسة به عن الابتذال أو عن الاشتغال بعلاج الآخرين .

علم أناس بمكانه فى الحبس فحاموا حوله يصفون علة مريضهم الذى هلك أوكاد ، ولم يستطع الحكيم أن يحنث فى قسمه وأن يتعرض لغضب الملك الظالم ، فصاح من وراء الجدران : « مات العليل وما ألفت له دوا » .

قال الراوى : وفهم أهل المريض لحن الحكيم ، فكان هذا هو أصل الوصفة المشهورة عن علاج داء البطن بماء اللفت كما يفعل الكثيرون من المتطببين فى هذه الأيام !

ومن بحره . . !

نعم « من بحره » يكون ما سال قط وما مال قط تفسيرًا لسلقط وملقط كما كان « ما ألفت » مرادفا لماء اللفت فى حكمة لقمان . .

ولكننا نتسامح كثيرا قبل أن نسيغ ماء اللفت من هذا اللقمان ، وقبل أن نسيغ طعم العسل من بلاص الأعرابى أو الأعرابية .

فالمناسبة « أولا » بعيدة بين موضوع العبارتين ، وإحداهما تقال فى مقام البحث عن الشيء المفقود ، والأخرى تقال فى مقام العجب من ضياعه وهو معروف المكان .

والاختلاف بعيد بين ملقط وما مال قط ، أو بين سلقط وما سال قط . ولا أثر فى سلقط للميم ولا للميم والألف ، مع المد أو مع الاختزال .

وكيف يقال عن الجرة مثلا – ما سال أو مال بضمير المذكر ، وماذا يفعل البلاص

فى لغة الإعراب الأقدمين أو المحدثين ؟ ولماذا لا يقولون لم ينكسر ولم ينفتح وهو أقرب من الذهاب إلى المسيل أو الميلان ؟

والقصة كلها – بعد هذا – محولة إلى دعاة الكتابة باللهجة العامية ، ليستعدوا من اليوم بتسويد المدونات الطوال ، فى مئات الأقاويل من طراز هذه التفسيرات والأمثال ! !

* * *

فى إحدى مجلات البريد الخارجى الأخير صورة امرأة تركية تسمى « خانيس نينة » تقول المجلة نقلا عن الأطباء الذين شاهدوها وعالجوها أنها ولدت سنة ١٧٩٥ وأنها تتحدث عن وقائع حدثت فى حرب القرم التى نشبت بعد منتصف القرن الماضى بثلاث سنوات .

ويشك الأطباء فى تحقيقها لسنة ميلادها ، ولكنهم لا يجزمون با ستحالة بلوغ هذه السن با لقياس إلى السجلات الثابتة لتواريخ المعمرين .

فالتقرير الطبى المحفوظ بقلم وليام هارفى مكتشف الدورة الدموية يصف جثمان (توماس بار) بأنه كان فى الثانية والخمسين بعد المائة على أصح ما تكون البنية القوية ، وأنه كان خليقًا أن يعمر نصف قرن آخر لو لم يغير نظام معيشته بعد نقله إلى البلاط الملكى وإفراطه فى تناول الأطعمة التى لم يتعودها طوال حياته .

وقد أثبت روبرت دى روب De Rop فى كتابه عن مكافحة الشيخوخة حالة أخرى لرجل يسمى كرستيان داركنبرج من بلاد الشمال ، ولد سنة ١٦٢٦ ومات سنة ١٧٧٢ وتزوج بعد المائة بامرأة ماتت قبله فخطب غيرها وهو يجاوز الثلاثين بعد المائة !

وينقل دى روب من سجلات العصر الحديث قصة مشهورة عن (زارو أغا) الذى توفى سنة ١٩٣٤ وأصر على أنه ولد فى سنة ١٧٧٨ . . ولكن الطبيب الذى حقق مسيرته يشك فى سنة الميلاد ولا يشك فى أن الرجل جاوز المائة والثلاثين ، وكان على حالة حسنة من الصحة تمكنه من البقاء سنين عدة لولا أنه أهمل علاج التسمم من (الأوريمية) التى مات بها ، وقد قال طبيبه الدكتور (شكرى أجزيل) إنه كان سليم

البنية فى غير عوارض ذلك المرض ، وإن طول عمره ثابت من تحقيق أعمار أبنائه وأحفاده وقد بلغ هؤلاء أربعة وثلاثين كان منهم شيوخ عندما وافاه أجله بعد أن تزوج ثلاث عشرة مرة ، من زوجات منجبات .

والأمر الجدير با لتسجيل أن هؤلاء المعمرين جميعًا لم يملوا الحياة ، ومثلهم (نحاتيس نينة) التى تعيش الآن فى السنة الثامنة والستين من عمرها بعد المائة ، إن صحت الرواية عنها !

ترى هل كان هؤلاء المعمرون يستريحون إلى البقاء ويستطيلون الأجل لو كانوا يفكرون ، أو كانوا يعيشون وهم يتأملون فى شئونهم وشئون الأنداد المعمرين وغير المعمرين ؟

إننا لم نعرف أحدًا قارب المائة يحمد بقاءه ويستطيل أجله .

كان الدكتور فارس نمر إذا سئل : كيف صحتك يا باشا ! قال وهو متبرم متأفف : هذا أبغض سؤال إلى نفسى !

وقال عبد العزيز فهمى (باشا) للأستاذ أحمد أمين وهو يودعه ذات مساء : ادع لنا يا أستاذ !

فلما دعا له قائلا ربنا يقويك ! لم يكن أعجل منه إلى أن قال متهكمًا : يأخى اطلب شيئًا معقولا . . قل : الله يريحك . الله يسهل لك . . أما (الله يقويك) فيفتح الله يا أستاذ !

وكان لطفى السيد يخلص القول وهو يحادث أصدقاءه فى أيامه الأخيرة حين يقول : إننى لا أتمنى لمن أحب أن يبلغ التسعين !

إن البحث فى إطالة العمر الإنسانى أو فى غاية المدى الذى تدركه هذه الإطالة هو الدراسة التى فرضتها علوم الحياة على أبناء العصر الحاضر ، فماذا تفرض عليهم دراسة علوم الاجتماع وعلوم النفسيات أو (النفاسيات) ؟

لعلها ستفرض عليهم التوصية بتحديد العلم إجبارًا . . فهم أولى بالنظر من التوصية بتحديد النسل أو إطلاق مدى العمر وراء الحدود .

حق الصحافة*

فى أخبار اليوم أن محكمة طنطا الكلية قضت بمبدأ قانونى هام بخصوص جرائم النشر ، وقالت المحكمة إن للصحافة كل الحق فى نشر ما يصل إلى علمها الأكيد من الوقائع ، سواء كانت حوادث أو قضايا ، ولو تضمن النشر إساءة إلى أبطال تلك الوقائع ، وهو حق مستمد من العرف والقانون .

وموضوع الدعوى التى صدر فيها هذا المبدأ الهام ، أن ثريًّا من المحلة الكبرى – انتحرت زوجته ، وضبط المحقق أثناء التحقيق مذكرات بخطها نشرتها إحدى الصحف على حلقات ، وطلب الزوج إلزام تلك الصحيفة بدفع خمسة آلاف جنيه تعويضًا له عما أصابه فى سمعته ، فعرضت المحكمة وقائع الدعوى ثم أصدرت حكمها برفضها .

ولا ريب أن أصحاب الأقلام عامة ، وكتاب الصحف خاصة ، يرجعون بهذا المبدأ القانونى لما فيه من إطلاق الحرية لموضوعات النشر خاصة وعامة . فيما لا مساس له بحرمات الآداب والأخلاق .

وهذا على التحقيق ما تعنيه كل هيئة قضائية فيما تقرره من مبادئ القانون ، ولا حاجة بنا إلى الاطلاع على المذكرات المنشورة التى كتبتها الزوجة المنتحرة فهى بغير خلاف كلام لا يضير حرمات الأدب والعرف التى يحميها القانون ويتولى القضاء تنفيذ هذه الحماية بأحكامه فى دعاواها ، وإن كان فيه ضير على أصحاب الحوادث أو المذكرات .

وإذا اغتبطت الصحافة الشريفة بتقرير هذا المبدأ وأمثاله من مبادئ الحرية والرعاية الواجبة لحقوق الرأى العام فى كل أمة ذلك عرف أخلاق مطاع ، فمن التعجل أن يفهم أحد من تجار الفضائح فى الصحافة وسائر وسائل النشر والاذاعة أن الإباحة

---

* الأخبار فى ٥/٦/١٩٦٣ .

هنا بغير حدود يرعاها القضاء ويفرضها على كل معرض من معارض العلانية ولو فى ساحة القضاء المنزه وتحت عين القضاة الموقرين .

فلا يزال من حق القضاء أن يحرم العلانية فى الجلسات . وإن حال ذلك دون سماع الشهادات وسماع أقوال الدفاع والاتهام .

وكل ما وجبت فيه (الجلسة السرية) لسبب يمس الحياء على مسمع الجمهور الذى تتسع له قائمة المحكمة ، فالسرية فيه واجبة حيث تنتشر العلانية بأدوات الطباعة والإذاعة ، بين الألوف والملايين .

وحذار – إذن – ياجماعة الأدب المكشوف ، أو جماعة الكشف الذى لا أدب فيه !

فنون أنصاف الرجال فى الحى اللاتينى*

يسأل الطالب الأديب محمد محمد مرشدى بركات عن الدادية والشعر الدادى وهو يقول فى خطابه : « لم أستطع أن أفسر هاتين الكلمتين فى كتابين قرأتهما أخيرًا أحدهما لناقد من نقادنا والثانى للأستاذ توفيق الحكيم فى مقدمته لكتاب (ياطالع الشجرة) . . فهل لى أن ألجأ إلى سيادتكم راجيًا تفسير ذلك فى اليوميات ؟ » .

ومن حق الطالب أن يطلب التفسير لكلمات مهملة لم يبق الآن من يلفظ بها كما لفظوا بها قبل ثلاثين سنة لأنها إحدى التقاليع الخنفشارية التى يهذى بها الأمساخ من أنصاف الرجال الذين توردهم القارة الأوربية إلى الحى اللاتينى فى باريس . ويطلقون عليها فى حينها أسماء المدارس والمذاهب ودعوات التجديد ثم تنطوى بغير رجعة ويعلم من لم يكن يعلم أنها من قبيل « الموضات » العارضة التى تخلق لتموت ولا تخلق لتعيش بعد أوانها . ولا لتكون طورًا جديدًا صالحًا للبقاء يكتب له الدوام .

و « الدادية » واحدة من تلك التقاليع الكثيرة التى ظهرت باسم المستقبلية Futurism أو باسم الوحشية Fauvism أو باسم التكعيبية Cubism باسم النقطية Dotted Print أو باسم البروكزم Bruckism نسبة إلى بروك من نفايات ألمانيا ، أو بما شاكل كل هذه الأسماء الملفقة التى ذهبت حيث تذهب الحثالات المنبوذة فى عرض الطريق .

وقد كانت « الدادية » تلفيقه من كلمة دادا Dada أى حصان الأطفال وقد سمى بهذا الاسم لقرب لفظه من ألفاظ بابا وماما ودادا وكاكا التى ينطق بها الأطفال عند ابتدائهم بتعلم الكلام ، ولقد كانت لهذه التقليعة الصبيانية ضجتها بعد الحرب العالمية الأولى فراح أدعياؤها يصدرون البيانات ويلقون المحاضرات ويعرضون اللوحات ويصورون بها القطع المبعثرة من أشتات المناظر بغير صلة ولا مناسبة غير مجرد التلفيق

* الأخبار فى ١٩٦٣/٤/١٧ .

والإغراب ، ويكفى من رقاعاتها المخنثة التى تدل على خبل الجنس فى نفوس أدعيائها أنهم رسموا « الجيوكندا » آية الفن فى عصر النهضة وتحت أنفها شارب أنيق وعلى الصورة حروف ترمز إلى مدلولها على قدر المستطاع . بأنها سخنة الظهر . . ! » وقد حطم النظارة معرضها حين أقيم بمدينة كولون (سنة ١٩٢٠) إلى جانب دورة المياه بإحدى القهوات .

ولا شك أن التقليعات التى خلفتها ولا تزال مذكورة على الألسنة إلى الآن سوف تصير يومًا إلى مثل هذا المصير .

ولكن نقادنا « التقدميين » ينسون ذلك أو يجهلون ذلك » فيتصايحون فى دهشة وانزعاج برىء أو أثيم : أيمكن أن يتحدث هؤلاء الناس جميعًا بهذه الفنون المجردة دون أن تكون على حظ وافر من الروعة والجمال والإبداع ؟

نعم .ياشطار أو ياشطاطير !

يمكن جدًّا . . ويمكن غاية الإمكان ولقد أمكن أنكم أنتم – بفراستكم النافذة – تعجبون بها ولا تخجلون من التصريح بهذا الإعجاب على السماع . . فهى فن جميل . . جميل جدا . . فى غاية الجمال . . لأن الناس يقولون عنها إنها جميلة ولا يمكن أن يكون « الناس » خادعين أو مخدوعين . ؟

با لله العظيم ! !

لا و الله العظيم ياشطاطير . . ما دامت المسألة مسألة يمين ! . . فلقد حصل من قبل كثيرًا أن الناس قالوا وصاحوا وباحوا وناحوا وما استراحوا : هذا جميل . . هذا غاية الغايات فى الجمال . . ثم ينتهى به المآل إلى دورة المياه . .

* * *

من فكاهات النوادر فى الكتب العربية التى لا يقرأها نقادنا أن معلم صبيان سمع فى الطريق قائلا ينشد :

ياأم عمرو جزاك الله صالحة ردى إلى فؤادى حيثما .كانا

فهام «وهجر المنام» وبرح به الغرام ، وسئل : هل رأيت أم عمرو هذه أصلحك الله ؟ . فغضب وقال : ياسبحان الله ! ! وهل يبلغ من جمال حسناء أن يتغنى بها الشاعر فى الطريق ولا تستحق منى هذا الحب العميق ؟

ثم شوهد هذا المحب الولهان بعد أيام وهو يلبس السواد ويعلن الحداد فسألوه ماذا دهاك يرحمك الله ! قال وهو ينشج بالبكاء : لقد ماتت أم عمرو واأسفاه وواحرباه وواكرباه ؟

قالوا : ومن نعاها إليك ؟

قال : نعاها إلى الهاتف الذى سمعته فى الطريق يقول :

إذا ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

فقالوا – على ما بلغنا – صادقين مصدقين نعم . إنها لا ترجع ولا يرجع الحمار . ؟

* * *

إلا أن عشاق (أم عمرو) عندنا يسمعون بصيحات الهوى كما يسمعون بصيحات النعى ، متأخرين متمهلين فيخرجون بها بعد ذلك متعجلين مهرولين ويبيعون الماء فى حارة السقايين . . ويهتفون «الله يعوض» فى آذان مهندسى وابور المياه العطاش . المتأخرين . .

اليوم فقد أفاقوا من نومتهم ليهتفوا من الوله والهيام بواحدة من أمهات عمرو يسمونها باللامعقولية ، وهم يجهلون اسمها كما يجهلون معناها ولا يعرفون منه إلا أنه غرام صائح فى عرض الطريق !

وفى عرض الطريق أيضًا نقول لهم إن اللامعقول واللامنطقية شيئان مختلفان وأنهما «أمان لعمرو» اثنتان . وليستا بالأم الواحدة على السماع .

مثال ذلك :

نعم . . مثال ذلك فى عرض الطريق كذلك ، وعلى عجل لا يقل عن عجل التقدم السريع والتقدميين المهرولين .

أن الأب الذى يرى أن طفله يساوى ملايين الأطفال ويزيد عليهم ليس بالمنطق فيما يراه . ولكنه مفهوم ومعقول لأنه يحس بشعور الأبوة . وليس من المعقول أن يكون الأب « منطقيا » فى المساواة بين طفل واحد هو وليده وبين ملايين الأطفال من أبناء خلق الله .

ونحن المتأخرين الذين نسمع « يعوض الله » كل يوم من هؤلاء المهرولين قد كتبنا منذ عشر سنوات عن هذه « اللامنطقية » التى يسرحون بها اليوم وقد كانت الكتابة فيها إحدى البحوث التى استمع إليها مجمع اللغة العربية – الرجعى – قبل ثلاث سنوات . وفى بعضها نقول كما نشر المقال بعد ذلك فى كتاب اللغة الشاعرة منذ سنتين :

« . . ولا لبس على الإطلاق بين مذاهب الجد ومذاهب الهزل فى الآداب الغربية . فمذاهب الجد تدعو كلها إلى البناء وتقوم بالبناء فعلًا ويعيش ما تبنيه . ومذاهب الهزل لا تتحدث بشىء غير الهدم والإلغاء . فلا لون ولا شبه ولا رسم ولا قاعدة فى التصوير ، ولا لفظ ولا معنى ولا منطق ولا مدلول فى الشعر والنثر ، وإنه لمن الحظ الحسن أن تقصر هذه الدعوى عن الفنون التى ترتبط بها دواعى المعيشة والاجتماع ، فإنها لو تناولتها لسمعنا بفن المعمار الذى لا حجرات ولا جدران ولا حجارة ولا طلاء فيه ، وسمعنا بمجامع الموسيقى التى لا تميز بين الضوضاء والألحان ، ولا محل فيها للمعازف والآلات . . ومن المذاهب ما يطلق عليه اسم المستقبلية فوق الواقعية أو الذئبية . . بل منها ما يسمى بمدرسة التأتاة .

ويقول أصحابه إنهم اختاروا له هذا الاسم من أول تأتآت الطفل Da Da وتطلق أحيانًا على حصان الخشب ليسهل النطق « على ألسنة الأطفال . . »

وقبل ثلاث سنوات كذلك جاء فى ذلك البحث – المتأخر – حديث اللامنطقية حيث نقول :

« وأدخل من هذا فى باب اللامنطقية مذهب من مذاهب الزجل فى اللغة الدارجة . . يقول فيه حسن الآلاتى فى كتاب ترويح النفوس :

كسرت بطيخة رأيت العجب فى وسطها أربع مداين كبار

. . . وأحياناً يقسمون الأدوار إلى دور صاح ودور سكران أو يصوغون فيها المفارقات على ألسنة الصبيان كما يجرى على ألسنة العامة :

يا ليل ياعين معرفش أكدب الضفدعة شايلة مركب
وأبو فصاده ريسها والقط الأعور حارسها

إلى أشباه هذه اللامنطقيات .

وهى إذن قديمة . . كما يقول أبناء البلد ، ولكنهم يحبونها اليوم على السماع كما أحب سلفهم الوطان معلم الصبيان معشوقته أم عمرو قبل أن يذهب بها الحمار ، أو الأتان يحبونها اليوم على السماع ويحافظون على اسمها بين اللامنطقيات واللامعقوليات .

وتلك أم عمرو أخرى يرحمهم الله .

ويعوض الله . يعوض الله !

ذكريات صحفية*

هى ذكريات صحفية .

وهى ذكريات متفرقة بمواضعها ومواقيتها .

تبتدئ حيث تدعو إليها المناسبة . وتدعو إليها المناسبة من وحى الخبر الطارئ ، أو النادرة الطريفة ، أو الحادث الذى تتحدث به الألسنة ، أو الفكرة التى تشغل الأذهان . ونبدؤها اليوم بحديث عن نشأة الصحافة الأسبوعية ، لأن وجود الصحف الأسبوعية عامة كان أخيرًا موضوع دراسة مفصلة فى دوائر الصحافة الغربية ، وكان محور الكلام عن الصحافة الأسبوعية هو هذا السؤال عن علة وجودها ، أو عن المسوغ لطلبها وبقائها :

لماذا يبحث القارئ عن الصحيفة الأسبوعية ؟

أو بعبارة أخرى : لماذا تحمله الصحيفة الأسبوعية على طلبها والبحث عنها ، مع وجود الصحافة اليومية أو مع وجود المجلات الدورية ؟

والجواب المتفق عليه أن القارئ لا يطلب الصحيفة الأسبوعية من أجل الحوادث والأخبار ، ولا من أجل الطوارئ الدولية الكبرى ، أو الطوارئ المحلية السياسية التى تشبهها . .

لا يطلب القارئ صحيفة أسبوعية من أجل الحوادث والأخبار لأن الصحيفة اليومية تتكفل له بهذه المهمة صباح مساء ، وفى عصر الإذاعة قلما تمضى ساعة من الصباح والمساء بغير خبر ترويه محطة قريبة أو بعيدة ، وبغير نشرة من ملاحق الصحف أو طبعة خاصة تصدرها أمهات الصحف فى مواعيدها الدورية وفى غير تلك المواعيد كلما آنست الرغبة من القراء .

---

* الأخبار فى ١٩٦٤/٢/٢٩ .

ولا يطلب القارئ الصحيفة الأسبوعية من أجل الطوارئ الكبرى لأنها تشغل الأذهان فى كل ساعة ، وتتوالى التعليقات عليها من كل دائرة من دوائر الأعلام .

فإذا بقيت للصحيفة الأسبوعية مهمة إخبارية بعد ذلك فهى مهمة تأتى على هامش الحوادث والأخبار ، وترضى حب الاستطلاع الذى لا تتسع الصحف اليومية لإرضائه بجميع تفصيلاته ، وأكثرها ما يكون ذلك من قبيل القصص التاريخى والتعليقات الشخصية على تراجم العظماء والمشهورين .

فإذا لهجت الأخبار بحادثة كبرى فى قطر من الأقطار فالصحف الأسبوعية يتسع لها الوقت أيامًا لاستقصاء المعلومات عن تلك الحادثة ، وعن حياة أصحاب الأسماء البارزة التى تتردد فى أخبارها ، ويأتى موعد الصحيفة الأسبوعى والقراء متطلعون إلى بيان وافٍ عن تاريخ البلد ، وأحوال أهله وتراجم المشهورين المشتركين فى حوادثه وشيء من أسرارهم وعاداتهم ، وطرف من علاقاتهم الشخصية التى تشبع فضول المستطلع ، كما تشبع الرغبة من طالب المعرفة وغرائب الأحاديث .

ويضاف إلى أشباه هذه التفسيرات باب الدراسة الجدية للمسألة من وجهتها العلمية ودلائلها الاجتماعية ، فربما اتسعت صحف الأسبوع للإفاضة فى هذا الباب ، حيث تضيق عنه صحف اليوم مهما يبلغ من عدد صفحاتها وتعدد أبوابها . إلا أن تحيل القارئ إلى ملاحقها الخاصة ، وهى أشبه بصحافة الأسبوع .

هناك باب من الكتابة ينتظره القارئ من صحف الأسبوع ولا يبحث عنه فى صحف اليوم بعد اليوم ، وذلك هو باب المطالعة الفكاهية والطرائف الأدبية والفنية ، وأكثره من قبيل القصة والصورة الهزلية والأدب الخفيف وثرثرة المجتمع بأخبار البيوت ومسائل الأزواج والآباء والأبناء .

نعود إلى صحافتنا الأسبوعية لنسأل عن نشأتها وأسباب وجودها ونعيد سؤال السائلين فى الغرب : لماذا طلب القارئ الشرقى صحيفته الأسبوعية عند نشأتها الأولى ؟

إنه بطبيعة الحال لم يطلبها من أجل الحوادث والأخبار ، ولم يطلبها من أجل

الشروح والتفسيرات التى تأتى على هامش الحوادث والأخبار ، لأن الصحافة اليومية فى ذلك العهد كانت تتسع لهوامش حوادثها وأخبارها ، ولم يكن محصولها من حوادث العالم أو حوادث بلادها كافيًا لملء فراغها .

إنما طلب قارئنا صحيفته الأسبوعية قبل ستين أو سبعين سنة لأنها كانت تؤدى له وظيفة اجتماعية موروثة من القِدم . وهى الوظيفة التى كان يشترك فى أدائها نديم المجالس ، وشاعر الربابة وأدباتى الموالد والأسواق ، وبضاعته كلها من النكته أو القافية ، وهى تلك الفكاهة الشرقية التى لا نظير لها فى فكاهات الأمم الأخرى . وقد أوشكت اليوم أن تذهب مع المنسيات الغابرة وهى – على ما نعتقد – جديرة بالإحياء والتجديد ، وقد استحدث العصر لها مجالًا مناسبًا فى مخترعاته بين وسائل العرض والنشر والإذاعة على اختلافها لأنها لا تقل فى متعتها من المنولوجات الفكاهية ولا عن الحوار الثنائى أو الثلاثى الذى يشغل المكان الأول فى برامجنا الفكاهية . . فضلًا عن مكان « القافية » فى أدبنا الشعبى الموروث .

شغلت الصحيفة الأسبوعية مكانًا كان يشغله نديم المجالس ، وشاعر الربابة ، وأدباتى القافية :

نديم المجالس يطرف سامعيه بنوادره وأضاحيكه وقفشاته ، وشاعر الربابة ينشد سامعيه فى القهوة والساحة الشعبية قصائده فى غزوات الأبطال ونفحات « الأجواد » كما ينشدهم ما يعنيه من مدائحه وأهاجيه .

وأدباتى القافية فارس الفرسان فى هذا الميدان ، يطرق كل باب من أبواب القوافى التى لا تحصر ، لأنها تتناول كل شىء يخطر على البال .

وتدور فصول القافية عادةً بين شخصين لا ثالث لهما على مسرحها ، ولكن الباب الذى يتبادلان فيه النكات يملى عليهما امتحانًا لقدرتهما من جمهرة السامعين .

يطلبُ السامعون منهما – مثلًا – تبادل النكات فى باب « الساعات » فيذكر أحدهما شيئًا يتعلق بالساعة ويجيبه صاحبه : إيش معنى ؟ . . فيرسل عليه الأول نكتته المناسبة . فى حدود الباب ولا يجوز أن يتعداه .

ثم يأتى دور صاحبه فيقابل النكتة بمثلها ، دواليك إلى نهاية الدور .
ونختار فى هذا السياق نموذجًا مما تذكره من نكات هذه القافية بذاتها ، وقد نذكر أنها سجلت على صفحات القوالب عند شيوع الجرامفون فى بلادنا المصرية :

– ساعتك !
– ايش معنى . . .
– ساعة حيط . .

* * *

– دماغك ؟
– إيش معنى . .
– فاضية . .

* * *

– صنعتك فى الحارة !
– إيش معنى . .
– رقاص . .

* * *

– إنت فى صحبتك ؟
– إيش معنى . .
– لا تقدم ولا تؤخر . .

* * *

– لسانك ؟
– إيش معنى . . .
– عقرب . .

* * *

وهكذا وهكذا ، إلى آخر الكلمات التى تدخل فى قافية الساعات . . ولا نرى أننا نستطيع فى حديث عن ذكريات الصحافة أن ننسى هذه القافية فى مناسبة من أحرج مناسباتها فى حياتنا الصحفية ، وهى مناسبة التحية التى قوبلنا بها فى الليلة الأولى من ليالى السجن ، من جراء قضية العيب فى الذات الملكية[1] ،وهذه خلاصة تلك الذكرى كما أثبتناها فى وصف الليلة الأولى فى السجن ، من كتابنا عن « عالم السدود والقيود » . .

« . . وازدادت الضجة بعد انتهاء المراجعة ، فلم يكن للسامع أن يسمع إلا أسماء تتفاوت بها أفواه رجال ونساء ، وصرخات وأهازيج وشتائم هى عندهم فى منزلة التحيات المباركات ثم سكنت الضجة بعض الشىء وتبين من هنا وهناك نداء مفهوم ، وشرع اثنان فى قافية من القوافى المعروفة فى محافل الأعراس والموالد المصرية ، وكأنهما علما بمقدم الصحفى الطارىء على السجن فى تلك الليلة فجعلا للصحافة قسمًا من هذه المساجلات المحفوظة :

– الأولاد تنادى وراك وتقول ؟

– إيش معنى . .

– المؤيد . . المؤيد . . وهو يعنى المقيد !

* * *

– فوق راسك يا معلم على ؟

– إيش معنى . .

– المقطم . .

وهذه حقيقة واقعة وليست بمجاز لأن بناء السجن واقع فى حضن جبل المقطم . .

* * *

– الرغيف فى سقف بينكم ؟

– إيش معنى . .

---

(١) كان الأستاذ العقاد قد دخل السجن فى سنة ١٩٣٠ بتهمة العيب فى الذات الملكية .

– كوكب . .
– تطلع من هنا تقابلك فى البيت ؟
– إيش معنى . .
– الحمارة . .

وكانت « حمارة منيتى » اسم صحيفة من أشهر الصحف الأسبوعية . . وهؤلاء هم « الأدباتية » الذين ورثتهم صحف الفكاهة الأسبوعية .. بقوافيها وقفشاتها وتلقيحاتها وأبواب مدائحها وأهاجيها ، ولولا أن الكثير من هذه القوافى قد يمس السمعة فى تواريخ المعنيين بها لنقلنا منها نماذجها بنصوصها .

* * *

وقد بدأت هذه الصحف الأسبوعية حياتها الأولى على مثال محمود لا يعاب فى شرعة الصحافة ولا يخل بوظيفتها الشريفة فى الحياة الاجتماعية ، وكان نموذجها الأمثل « صحيفة التنكيت والتبكيت » لمنشئها المشهور خطيب الثورة العرابية « عبد الله النديم » .

ولكنها لم تلبث أن اختلطت بالأوشاب من طلاب الكسب فى سوق الفضائح والوشايات ، وبالغ بعضها فى الفحش والبذاء ، وتحذرت من إشاعة الفضائح المطوية إلى اختلاق الفضائح على الأبرياء منها ، وجرت على نفسها نقمة المجتمع كله ممن يعافون هذا الإسفاف وممن يقبلونه ولكنهم لا يحتملون فيه الهبوط إلى ذلك الحضيض المرذول . وجاء حكم القضاء فى إحدى قضايا هذه الصحف فدل على حكم الرأى العام عليها ، كما دل على انقضاء عهدها وضرورة الانتهاء منها لإخلاء مكانها « لصحافة أسبوعية » أصلح منها للبقاء وأقدر منها على استجابة مطالب القراء .

فى تلك القضية التى أشرنا إليها قتل صاحب الصحيفة واتهم بقتله وجيه كبير من وجهاء الصعيد ، لأن الصحيفة تعرضت لأخبار بيته وتهجمت على خاصية شأنه ، فلم تقض المحكمة على الوجيه بغير السجن ثلاث سنوات ونحسب أنه سومح فى الحكم عليه ولم يسلبه الحكم فى الجناية شيئًا من حقوقه . .

وكان هذا الحكم وأمثاله قضاء على صحافة الشتائم والفضائح ، وزاجرًا لكتابها الذين دنسوا هذه الصناعة الشريفة وأوشكوا أن يمسحوا « فن القافية » من صحيفة الفنون الشعبية ولكنه – فى الحق - فن برىء لا يعيبه أن يبتذله بعض اللصقاء بالفن والصحافة فإن الفنون جميعها عرضة لمثل هذا الابتذال . ولاتظن أن ابتذال « القافية » كان أقبح من ضروب الابتذال الذى تعرض له الشعر أو القصة أو التصوير أو التمثيل ، ممن لصق بها غريبًا عنها أو نسب إليها من غير أهلها .

فإذا رجعنا إلى فن القافية فى هذه الذكريات الصحفية فلعلنا نرجع به فى ساحات العرض عندنا . إلى مكانه بجوار فن الحوار والأحاديات « المنولوجات » فإنه فن لنا قديم ، وفيه من الفطنه وسرعة الملاحظة والالتفات إلى المشابهات وطرائف التعبير ألوان لا تقل عن تلك الألوان التى نقتبسها من مسارح الغرب وأسماره الفنية .

الداديزم . . ! *

ويحسن بنا – كما يطيب لنا – فى هذه اليوميات أن نسجل تلك المصادفات التى تصحح النظر كثيرًا إلى مكان المصادفة من معيشة كل يوم . .

ففى بريد واحد وصل إلينا الخطاب السابق عن « الدادا » ومعه فى البريد هذا الخطاب من « السيد عزيز الدلقان » با لعجوزة يسأل فيه قائلا : « إنه سؤال طالما تمنى الإجابة عليه . . . وهو أن لفظى (بابا وماما) منتشران فى العالم . . . فهل هما مشتقان من أبى وأمى باللغة العربية ؟ . . وكيف انتشرتا من هذه اللغة إلى غيرها . . !

وواضح مما تقدم أن جواب السيد الدلقان مفهوم من اشتقاق كلمة الدادية واشتقاق أمثالها من المقاطع التى ينطق بها الطفل فى محاولاته الأولى للنطق بالكلمات . وتتفق كلمة « ماما » وكلمة « مم » التى يقولها الطفل طلبًا للطعام لأنها تفيد ذلك بحركة الشفتين ، وتأتى حركة فتح الفم فى النداء على « بابا بابا » بعد ذلك ، لأن الطفل يبدأ بنداء أمه قبل نداء أبيه .

---

* الأخبار فى ١٧/٤/١٩٦٣ .

فقرتان عن كفافى *

« . . . فى حديث اليوم عن الشاعر السكندرى قسطنطين كفافى فقرتان تحتاجان إلى التوضيح ، الأولى أنه مات فى ٢٩ أبريل سنة ١٩٣٣ والثانية أنه استعان به جيش الاحتلال فى البلاد اليونانية أثناء الحرب العالمية للترجمة ونشر الدعوة فى محاربة النازيين .

« ومعروف أن الحرب العالمية الثانية قامت فى اليوم الأول أو الثانى من شهر سبتمبر سنة ١٩٣٩ . . . وسلام الله عليكم » .

محمود الشرقاوى

وقد أصاب الأستاذ الشرقاوى فى التنبيه إلى ملاحظة واحدة فى اليوميات السابقة ، وهى ورود كلمة النازيين سهوًا بدلا من كلمة الألمان ، لأن النازيين لم يكونوا هم الألمان الذين حاربهم الجمهوريون اليونان أثناء الحرب العالمية الأولى ، وإنما كان الجمهوريون يحاربون ألمانيا ويحاربون ملك اليونان الذى كان يناصرها لما بينه وبين الإمبراطور غليوم من روابط المصاهرة ، وكل ما جاء فى اليوميات فهو مستقيم على معناه المقصود مع إبدال كلمة الألمان بكلمة النازيين .

وإتمامًا للتصحيح فى تلك اليوميات نضيف هنا أننا سمعنا حديث اجتماع كفافى والروائى فورستر فى مكتب واحد من صديق للشاعر اليونانى لقيناه بالإسكندرية ، ولكننا نفهم فى مقالات فورستر التى رجعنا إليها أخيرًا أنه كان يزور صديقه الشاعر بمكتبه ولم يظهر من أخباره أنهما كانا موظفين فى عمل واحد للترجمة والدعاية .

---

* الأخبار فى ١٧/ ٤/ ١٩٦٣ .

الجلاء قبل ٤٠ سنة*

إذا كان للجهود بداية عملية سبقت هذه الأيام ، فقد بدا الجلاء فعلا سنة ١٩٢٤ .

بدأ الجلاء فعلا يوم بدأت فى مصر حياتها النيابية الحديثة .

فإن قليلا من أبناء هذا الجيل يذكرون أن جيش الاحتلال كان « بندًا » من بنود الميزانية المصرية وكانت مصر تؤدى نفقاته بأمر المستشار المالى البريطانى ، الذى كان يشهد جلسات مجلس النظار ولم تكن للأمة المصرية وسيلة لمعارضته فيما يتخذه بمشيئته أو مشيئة رؤسائه فى قصر الدوبارة من أمثال هذه القرارات .

فلما بدأت الحياة البرلمانية فى مصر ، وأصبح لها مجلس يمثلها ، ويجوز له أن يمحو ويثبت فى ميزانية الدولة كما يشاء أو كما تشاء مصر على الصحيح – تقرر يومئذ حذف الاعتماد المخصص لجيش الاحتلال ، وكان هذا القرار جرأة بالغة فى ذلك الحين ، لأن سلطان الاحتلال كان يومئذ هو المتصرف الفعّال فى مصير الوزارات ومصير المجالس النيابية ، وكان إخراج جيش الاحتلال من حساب الميزانية فى الواقع هو أول خط كسبناه فى طريق إخراجه من حساب البلاد .

وفيما عدا هذه الخطوة العملية كانت مسألة الجلاء قبل أربعين سنة ، مسألة توقع أو مسألة تقدير لما سيقع بعد حين قريب أو بعيد .

فكان المصريون جميعًا يتمنون الجلاء .

ولكن كيف كانوا يتوقعونه ؟ أو كيف كانوا ينتظرون وقوعه ! هل يقع فى حياة ذلك الجيل ؟ وهل يرونه بأعينهم أو يتركون رؤيته نصيبًا مقدورًا للأبناء والأحفاد .

إن الذى نراه اليوم حقيقة واقعة كان يقال فيه يومئذ بلسان حافظ إبراهيم :

* أخبار اليوم فى ١٩٤٧/٤/٥ .

أرى مصر والسودان والهند واحدا   بها اللورد والفيكونت يستبقان
وأكبر ظنى يوم جلائهم   ويوم نشوء الحق مقترنان

وكان حافظ ابراهيم رحمه الله شاعر القومية المصرية ، وكان ضحية الحكم الانجليزى فى السودان ثم ضحيته فى مصر بعد ذلك ، ولم يكن أحب إليه من جلاء الانجليز عن مصر والسودان ، ولا كان أحد من أبناء هذا البلد يتمناه كما تمناه .

إلا أنه من فرط الاشفاق والتوجس كان ينظر إلى ذلك الأمل المرموق فيستبعده ، ويتساءل عن موعده وفى النفس حسرات تترجم عنها تلك الأبيات .

ولما سمع منى قصيدتى التى نظمتها فى أبان الحرب العالمية الأولى – والحماية البريطانية مضروبة على مصر – وقلت فى ختامها :

وستستقل فلا تقولوا انها   صمد الهوان بها ، فلا استقلالا

قال وهو يبتسم وينظر بعينيه تلك النظرة التى يذكرها عارفوه :
« قل إن شاء الله . . » !
وقد شاء الله ، وفى مشيئته لنا متسع للمزيد .

* * *

ولم يكن حافظ ابراهيم وحيدا فى ذلك الشك الذى يساور نفسه فى أمر الجلاء . بل كان هذا الشك وأمثاله يساور نفوس الكثيرين ، ولا سيما أبناء الجيل الغابر الذين شهدوا أوائل سطوة الاحتلال .

لقد سمعوا الوعد بعد الوعد باقتراب يوم الجلاء . فمضت الأيام ولم تصدق المواعيد .

وقد عقدوا الرجاء بدولة بعد دولة فمضت الأيام والدول الكبرى تتخلى عنهم واحدة بعد واحدة . . فالمانيا التى توجه مصطفى كامل رحمه الله إلى عاهلها غليوم الثانى بالبرقية بعد البرقية لا تصغى إلى النداء . ومثلها فرنسا التى قال لها :

يافرنسا يامن رفعت البلايا عن شعوب تهزها ذكراك
ادركي مصر ان مصر بسوء وارفعي النيل من مهاوى الهلاك

فإنها لم تدرك مصر ولم تمد يدها إلى النيل ، وجاوزت السكوت إلى خذلان مصر خذلاناً صريحا فى الاتفاق بينها وبين بريطانيا العظمى ، وهو الاتفاق الذى تعاهدت فيه الدولتان سنة ١٩٠٤ على تبادل الأعضاء والمعاونة فلا فرنسا تسأل بريطانيا العظمى عن مصر ، ولا بريطانيا العظمى تسأل فرنسا عن المغرب الأقصى .

فإن أبناء هذه الديار تنسموا نسيم الفرج يوم زحفت الفيالق إلى الاستانة بقيادة الشبان من ضباط تركيا الفتاة ، لاعلان الدستور فى العاصمة العثمانية .

وأحس الانجليز بجيشان الأمل فى النفوس فأرادوا أن يعجلوه بصدمة مفاجئة تعود به إلى القرار .

فأسرع مراسل « التيمس » إلى أنور باشا بطل الثورة يسأله عن موقف العهد الجديد من المسألة المصرية .

فقال له أنور باشا وهو يخشى على العهد الجديد من كيد السياسة البريطانية .

« إن المسألة المصرية لا محل لها فى برنامج تركيا الفتاة » .

فأبرقت إليه صحيفة الدستور لصاحبها العالم الفاضل الأستاذ محمد فريد وجدى بك – وكنت يومئذ أكتب فيها – فجاء منه الرد بتصحيح لا يزيل اللبس ولا يثلج الصدور .

* * *

هذه الصدمات تلو الصدمات قد باعدت بين أناس من المصريين وبين تحقيق الرجاء فى الجلاء .

وكأنهم قالوا لأنفسهم : إن الأمر يحتاج إلى قوة أكبر من القوة البريطانية .

فمن أين تأتى هذه القوة ؟

أمن الدول الاجنبية وهى كما نراها تخذلنا وتؤيد المحتلين فى سياسة المساومات وتبادل المطامع ؟ . .

أم منا نحن وهيهات ان نبلغ من القوة فى ظل الاحتلال ذلك النصيب الموفور الذى نقهر به المحتلين ؟

إذن لا رجاء من هنا ولا من هناك فى زمن قريب ، إن لم يقولوا كذلك فى زمن بعيد .

وهذا هو موضع الخطأ البين فى التقدير .

فمسألة الجلاء ليست مسألة جيش أمام جيش ، ولا مسألة أسطول أمام أسطول ، ولكنها مسألة المصلحة البريطانية فى الاحتلال . فإذا استطعنا أن نجعل الاحتلال أشق على بريطانيا العظمى من الجلاء فقد تم الجلاء . .

كذلك ينبغى أن نذكر دائمًا أن المقاومة ليست مسألة تغليب قوة عسكرية على قوة عسكرية ، لأن الأمة التى ترفض الحكم الأجنبى وتصر على رفضه تقاوم الحكم الأجنبى انجع مقاومة ولو كان مزودًا بسلاح الدنيا كلها فى البر والبحر والهواء .

ويعلم الطبيعيون أن القدح الصغير يقاوم الضغط الجوى كله إذا امتلأ بالهواء ، وليس نصيبه من الهواء شيئا يذكر إلى جانب الهواء الذى فى الفضاء .

وكذلك مقاومة النفوس فى علم الطبيعة الإنسانية بلا اختلاف .

على أن الفكاهة تصدق أحيانًا حيث لا يصدق الجد ولا يصدق التقدير .

ففى أعقاب الحرب العالمية الأولى وقف كيرزون فى البرلمان الإنجليزى فقال مؤكدًا وهو يتكلم عن مصر : « إننا هناك وسنبقى هناك » .

قال الظرفاء يومئذ : تلك بشارة خير . فقد سمعنا من الساسة البريطان ستين وعدًا با لجلاء وهم ينوون البقاء . . فاليوم وهم يؤكدون البقاء لا شك أنهم سيخرجون !

وكان الظرفاء فى هذه المرة أدنى إلى الصدق من أصحاب التقدير والتفكير !

* * *

والآن وقد خلت القاهرة والإسكندرية من جنود الاحتلال هل تحقق كل ما نرجوه من الجلاء ؟

كلا . . لم يتحقق كل ما نرجوه . .

ولكن الذى تحقق شيء رجوناه وتطلعنا إليه . فلا يقابل بالنكد والغم بل يقابل بالغبطة والسرور .

أما الذين أرادوا أن يغموا الأمة المصرية لجلاء الإنجليز عن العاصمة المصرية فقد أثبتوا أمرًا واحدًا لا ريب فيه ، وهو أنهم يكرهون سرور الأمة ماداموا لا يحكمونها ولا يستغلونها فى حكومتهم . فلا حق لها فى السرور ولا فى الحرية إلا وهم حاكمون .

ويؤيد هذه الحقيقة أنهم هللوا وكبروا يوم احتفلوا بتسليم نقطة بوليس واحدة هى نقطة بوليس العطارين بالإسكندرية .

هللوا وكبروا لتسليم هذه النقطة مع بقاء الجيش البريطانى فى معسكرات مصطفى باشا ومعسكرات كوم الدكة ومعسكرات أبى قير .

فلماذا يحرم على هذه الأمة أن تغتبط بجلاء المحتلين عن العاصمتين وعن أرض الريف والصعيد ؟

الآن مصطفى النحاس لا يجلس على كرسى الوزارة ؟

إن هذا وحده لدليل على أن الجلاء قد حقق لمصر حظا وافرًا من الاستقلال ، ولولا ذلك لما بقى مصطفى النحاس بعيدًا عن الوزارة وقد طلبه تشرشل وإيدن وطلبه أخيرًا بيفن وهو وزير الخارجية البريطانية .

إنه إذن لكسب لا شك فيه . وإنه إذن لجدير بفرح الأمة واغتباطها . وتجديد رجائها . وقد فرحت الأمة واغتبطت . وفرح الحديد فى تماثيل أبطال الجلاء ولو تلقت التماثيل الحياة لتلقت نضرتها من تلك الأزاهير التى حبتها بها بنان الربيع . وتلقت أنفاسها من تلك الهتافات التى تصاعدت من القلوب قبل الأفواه .

أما الذين يحزنون فى يوم الجلاء وينوحون بين أفراح الأمة ، فلهم حق معلوم . ولكن لحساب أنفسهم لا لحساب المصريين .

واحدة من الألف*

الكشرنجى أو الكشرنجيج ، كلمة وردت فى الأخبار وقرأها عشرات الألوف ، فكم من هؤلاء الألوف المؤلفين فهم معناها ؟

واحد من ألف على الأكثر ، ومن فهمها غير هؤلاء فالغالب أنه عرفها بالتخمين فى سياق الكلام . . لأن الخبر الذى وردت فيه يقول : « إن المركز القومى للبحوث بالقاهرة يجرى تجاربه لإحلال حبوب الكشرنجيج والجلبان محل الفول فى صنع الأطعمة الشعبية . . وسيوفر استخدامها على الدولة مبالغ كبيرة . وسيصل على تخفيض أسعار المأكولات الشعبية .

فالكشرنجيج – إذن – نوع من الحبوب التى تؤكل كما يؤكل الفول ، وهذا كل مايفهمه معظم القراء من هذه الكلمة بالتخمين ، وهم الخاسرون بما فاتهم من العلم بها ، لأنهم لو عرفوها لوفرت عليهم كثيرًا من أسعار المأكولات كما يرى المركز القومى للبحوث فيما نقلتموه عنه .

إلا أننى أظن أن تعميم زرع الكشرنجى أو الكشرنجيج يوفر مواد الأطعمة الشعبية ولكنه لا يؤكل بالخبز كما يؤكل الفول المدمس ، وإنما يؤكل ورقه مطبوخا أو تؤكل حبوبه مسلوقة ومنقوعة كما يؤكل الترمس ، ويؤخذ للتغذية ولا يكتفى منه بالتسلية أو « للتصبير » إلى موعد الغذاء .

وطريقة الأسوانيين والنوبيين فى تحضيره أن يطبخوا ورقه مع الدقيق - أو مع مسحوق البامية – المجففة وقليل من النطرون (حجر الصودا) . . فيزاحم الملوخية فى أوانها بطعمه السائغ ونكهته المشهية . وقلما تفوتنى فى رحلتى إلى أسوان أكلة منه أو من زميلته « اللوبية » الخضراء ولو طال البحث عنها فى غير أوانها ، فلا ريب عندى فيما

* الأخبار فى ١٧/ ٨/ ١٩٥٩ .

ينتظر الكشرنجى من الرواج بعد تعميم زراعته فى الأقاليم الشمالية .

وأرى أن لهذا النبات الطيب قيمة تاريخية إلى جانب قيمته الغذائية . لأنه دليل على قدم العلاقات بين وادى النيل وأودية الأنهار الأفريقية . وأرجح أن اسم كتجانج Catjang الذى يطلقه العلماء على فصائل اللوبية التى تشبهه هو كلمة محرفة من كلمة الجشرنجى الوطنية . وقد ينسبونه إلى الكونجو Conjo Canjan للتفرقة بين أصنافه وهو شديد القرابة من نباتنا المعروف .

المذهب الجعفرى*

. . أرجو أن تتكرموا بإفادتى عن المذهب الجعفرى الذى أقره الأزهر منذ أيام .

زكى حجار أسوان

ينسب المذهب الجعفرى إلى الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضوان الله عليهم أجمعين .

وكان الإمام جعفر أعلم أبناء عصره بالعلوم الدينية والكونية . وحسبه من ذلك أنه أستاذ أبى حنيفة فى الفقه وأستاذ ابن حيان فى الكيمياء . وأنه صاحب المعرفة التى كان بعضهم يحسبها من السحر أو من علم « الجفر » . . وإنما هى كما قال معرفة الكتاب والسنة « حلالنا من كتاب الله وحرامنا منه لا نعلم الغيب الذى حجبه الله عن خلقه » .

وقد كان للإمام الصادق مذهبه فى الفقه قبل أن تختلف مذاهب الأئمة من أهل السنة أو من الشيعة ، فهو مرجع لطلاب الأصول وطلاب التوفيق .

والوجهة الغالبة على الأرجح فى مسائل النصوص والقياس أنه يجيز القياس ولا يرى الاكتفاء به حيث يحتاج الأمر إلى هداية أهل الذكر من العارفين ، وأن القياس باب لا يطرقه من لم يكن على استعداد له من العلم بحكمة الشريعة وحقائق الأحكام .

ولم يعرف بعد النبى ﷺ من هو أولى بوصف « الصدق » من هذا الإمام الجليل . فمن الخير أن يعرف مذهبه على جليته فى جامعتنا الدينية الكبرى ، لأنها أحق معهد أن يرجع إليه المسلمون لتحقيق هذه الأصول .

---

* الأخبار فى ١٧/٨/١٩٥٩ .

بيت القصيد*

نحن نقرر أن البيت الصحى هو البيت الذى تدخله الشمس ويتخلله الهواء . . وتبقى هذه الحقيقة حقيقة لا جدال فيها ولو قال لنا قائل بالحق أو بالباطل . . كلا . . لأنك أنت تسكن فى كوخ محجوب عن الشمس والهواء .

ونحن نقرر أن القصيدة وحدة الشعر ، وأن البنية العضوية لا يتغير تركيب أعضائها دون أن تفقد حياتها .

وتبقى هذه الحقيقة حقيقة لا جدال فيها ولو استطاع الدكتور محمد مندور أن يغير ترتيب الأبيات فى كل قصيدة نظمناها ، إلا إذا أضطرته الغيرة « الشوقية » أن يجعلنا معصومين من الأخطاء فكل ما صنعناه فهو الصواب الذى لا غبار عليه.

والغيرة الشوقية التى يفهمها الناس وهى طائرة هى تلك الغيرة التى تجعل الدكتور محمد مندور يصفق لمن يزعمون أننا من أنصار« بيت القصيد » بعد أربعين سنة قضيناها فى انتقاد هذا المذهب ، ولكنه يثور ويثير ويستثير حين نقدم الأبيات ونؤخرها فى إحدى القصائد الشوقية ، ثم يقسم أن التقديم والتأخير فى أبيات القصائد جائزان بل واجبان مطلوبان ، لأننا نحن انتقدناها وشوقى هو المنقود . .

ولا شيء سوى « الغيرة » الشوقية تصنع هذا الصنيع بعباد الله فيفهمها الناس وهى طائرة ، وينبغى أن يفهمها معهم الدكتور محمد مندور .

نعم . . وينبغى أن يفهم أنه يؤخر ويقدم فى أبياتنا ولا يصنع شيئًا ، لأن الإنسان يظل مخلوقًا عضويا ولو مشى على قدميه ولكن كومة الرمل لا تصبح إنسانًا لأن عاليها سافلها وسافلها عاليها فى كل ترتيب .

ياشوقيون والناس يفهمون . . لماذا هذا الغضب للقداسة فى حالة واحدة لا تنسونها ولا تقوون على كتمانها ؟ ألم يبق فى الدنيا قداسة يغار عليها غير تلك الخصلة الشوقية ؟

---

* الأخبار فى ١٧/ ٨/ ١٩٥٩ .

جنون « البطء » أخطر من جنون السرعة*

.. ولكن ماقولكم فى جنون البطء ؟ وماقولكم فى « جنون » الثقل بكل معانيه ، إن صح أن الثقل يبتلى بالجنون وهو أقل من الجنون ؟

أعلنتم الحرب على جنون السرعة أيدكم الله بروح من عنده ، وأيدكم – مع الله – كل ماشٍ وراكب وواقف فى الطريق ليرقب الماشين والراكبين .

إن السرعة المهلكة جنون متفق عليه ، وقلما ينجو المصابون به من عاقبة عدوهم وعدوانهم بأيديهم أو بأيدى القانون وأيدى شركات التأمين .

ولكن الجنون الذى يستكثر عليه الناس اسم الجنون هو تعطيل الطريق بالجمود لا بالحركة ، وبالبطء لا بالسرعة ، وبالثقل لا بالخفة ، وبالأقدام لا بالعجلات والدواليب . .

فما قولكم فى هذا الجنون – ومتى تعلنون الحرب عليه ؟ بل متى تلحقونه بقائمة الإصابات العقلية بأى اسم من الأسماء ؟

هذا السائر « المكتف بغير كتاف » والموثق بغير وثاق – ماذا تسمونه وهو يعبر الطريق فى غير الموضع المخصص للمشاة أو يعبره فى الموضع المخصص لهم كأنه فى حجرة نومه يتمطى ليرقد على الفراش ؟ . .

أمثال هذا كثيرون ، يخيل إليهم أنهم يرتكبون وزرًا إذا كلفوا أنفسهم لفتة إلى اليمين واليسار أو خطوة سريعة تيسر الحركة على المتحركين ، وفى رأيهم أن الناس وحدهم مطالبون بتدبير حركتهم فى طريقهم ، وأن تعطيل هذه الحركة من حق كل معطل يستطيع أن يسابق السلحفاة فى البطء والجمود .

ولا يفهم هذا « التحدى » الأحمق على وجه من الوجوه إلا أنه ضرب من الجنون

* الأخبار فى ١٧/٨/١٩٥٩ .

البليد تمييزًا له من الجنون العنيف ، إذ ليس من اللازم أن تكون للجنون صفة واحدة وهو هو الموصوف بأنه « فنون » .

نعم أنه « التحدى » الذى لا يفهم على وجه من الوجوه غير الإصابة العقلية لأنه لا يعقل أن يكون حسدًا من المشاة للراكبين أو من الفقراء للأغنياء .. فإن سبعين فى المائة من سائق السيارات فقراء . سواء منهم من يسوقون سيارات الأجرة أو السيارات الخاصة أو السيارات العامة .

وإذا أصيب أحد من المارة الآمنين من جراء هذا التعطيل فقد يكون الفقراء من المصابين أضعاف الأغنياء وذوى اليسار .

ولابّد من الإصابة مع تلك البلادة ، لأن السيارة التى يعترضها مجنون من مجانين البطء تضطر إلى الوقوف فجأة أو إلى الانحراف يمنة ويسرة . فتصدم من يليها ومن يحاذيها . وليس من المستطاع دائمًا أن تصنع المعجزات لاتقاء المفاجآت .

إن الناس قد تعودوا عندنا أن ينظروا إلى « العلة الشخصية » وراء كل نصيحة عامة ، فمن كان من هؤلاء يقرأ هذه الكلمة فليعلم أننى لا أملك سيارة خاصة وأننى من أكثر خلق الله سيرًا على القدمين . . فليست هناك علة شخصية وراء هذه الحملة الصغيرة على جنون البطء البليد ، وإنما هو الإنصاف بين فنون الجنون يقضى علينا بالتسوية بينها ، فلا نجرى وراء الجنون السريع لنتهمه ونسوقه إلى قفص الاتهام ، ثم ندع الجنون البليد على مهله لأننا لا نصبر على الدخول معه فى ميدان سباق . .

أدركوه هو أيضًا يرحمكم الله ، وأدركوا المصابين بشرّه بإسعاف واحد بين هذه الإسعافات التى تعد بالمئات .

الذوق الفني في بلادنا*

إن الذوق الفنى فى بلادنا لا يزال سليمًا مستقيمًا بحمد الله . ولكنه يتخطى اليوم مرحلة لا تؤمن عقباها بغير الحذر والحيطة ممن تعنيهم أمانة الفكر فى بلادهم وفى غيرها من بلاد الحضارة . لأن هذه المرحلة تتسع للدعوات السقيمة من جهات ثلاث فى وقت واحد . . جهة المصابين بالعيوب النفسية التى تصيب الناس فى أعقاب الكوارث وفى خلال الأزمات الاجتماعية ، وجملة الكسالى الذين يستسهلون الدعوى ويجدون أمامهم كثيرين من أمثالهم يستسهلون الظهور بمظاهر الفهم والدراية ولا يستعدون لها بشيء من عدة الاطلاع والخبرة والاستفادة من دروس العارفين قبلهم بما لم يعرفوه .

أما الجهة الثالثة فهى جهة الترويج لمذهب من مذاهب الهدم والانحلال يتعمد أصحابه تقويض كل بناء ، وتخريب كل عمار ، وابتذال كل قداسة ، واستباحة كل محظور .

ونحن نتفاءل بسلامة الأذواق الفنية عندنا كلما تلقينا رسالة من الرسائل المتعددة تعرب عن شعور القراء المهذبين بالنفور من تلك التلفيقات المشوهة التى يطلق عليها أدعياؤها أسماء المذاهب الجديدة فى الفنون الجميلة ، وهى كما سميناها غير مرة ضروب من الخلط القبيح لا تنتسب إلى الجمال بنّسب مشروع ولا غير مشروع ، ولا تتجاوز أن تكون « موضات » زائلة إن كان فيها رمق من الأصول الفنية ، وإلا فهى أقل وأهون من أن تسمى « بالموضة » . . لأن الموضة تصلح للظهور فى وقت من الأوقات وهذه التلفيقات « الخنفشارية » لا تصلح للظهور بها فى حالة من حالات الإنسان المتمتع بعقله وذوقه . مما اضطر أدعياءها إلى النزول عن دعوى العقل فيها والأعتراف بأنها شطط غير معقول ، ولو استطاعوا أن يجدوا لها تفسيرًا واحدًا يقبله مخلوق خارج

* الأخبار فى ٢٤/ ٤/ ١٩٦٣ .

مستشفيات المجاذيب لما اعترفوا صاغرين ، أو متبجحين ، بأنها شيء لا يعقل ولا يفهم ولكنه يحس بالوعى الباطن وراء كل وعى بين الناس يتفاهمون عليه .

وحتى هذا نعتبره منهم جرأة على الدعوى لا تلقى نصيبًا من الإصغاء عند أحد يحترم كرامة شعوره ، ولا نقول كرامة عقله ، ما دام إنكار العقل بهذه السهولة عند أولئك الأدعياء .

فالذى يحترم شعوره باطنًا أو غير باطن يعلم أن أذواق الناس فى أحس المحسوسات لا تنطلق هكذا بغير قياس وبغير غاية . وما من أحد يدعى أن ذوق الأطعمة والفواكه قضية منطقية أو رياضية أو علمية فلسفية ، ولكننا لانعرف أحدًا له نصيب من الذوق – ولا نقول نصيب من العقل – يخلط الفصولية والملوخية والعسل والخل والتفاح والباذنجان والطماطم والفجل والبصل والكراث والجزر وغيرها من ودائع سوق الخضار ، ثم يقول للناس إنها شيء يوجد فى السوق وليس بالضرورى أن يؤكل لأنه يذاق بالحس ولا يفهم بالعقول .

فالطعام الذى يضرب به المثل فى « الذوقيات » المحسوسة لا يقبل الخلط هكذا ولا يسمح لصناعة الطبخ أن تلغى كل معنى للطعام غير وعيه الباطن ولو كان مقره فى أشره المعدات وأوسخ المصارين ، والعياذ بالله من الخبث والخبائث والجنون والمجانين !

وعندنا أن رسائل القراء – غير الفنيين المتخصصين للفن – أدعى إلى التفاؤل من آراء الخبراء ذوى الدراية والاختصاص فى هذا الموضوع ، لأن أراء الخبراء قد يمازجها أثر من حكم الصناعة وتقديرات الأوضاع النقدية يسمح لكثير من السخف أن يوضع موضع النقد زمنًا قبل الحكم الأخير عليه بالسخف وإخراجه من جانب الجد إلى جانب الهزل والازدراء .

ولكننا – مع هذا – نؤمن بأن واجب الخبراء الفنيين مقدم على واجب القراء غير المختصين فى أمانة الغيرة على الذوق السليم والفكر الإنسانى الصادق ، ولأنهم هم أصحاب هذه الأمانة أمام الفن المقدس وأمام الحق والتاريخ .

ولهذا رحبنا بآراء الأساتذة المختصين الذين حادثتهم أخبار اليوم ونشرت أجوبتهم على أسئلة محررها « رءوف » .

ونود أن يتدبر الناشئون طلاب الفن كلمة الأستاذ عزازى معلم النحت الذى يقول كما قلنا كثيرًا « إن الفن السريالى بدعة ، أو شوطة ، أو موضة ستزول كما زالت موضة البرميل والشوال » .

ونود أن يطيل الناشئون تدبر الرأى الذى أبداه أستاذ التشريح الفنى الدكتور خليل مسيحة إذ يعلن أنه لا يذهب إلى معارض هذه البدع لأنها مضيعة للوقت ، ثم يقول عن الفنان السريالى « إنه فنان أنانى لأنه لا يعبر إلا عن نفسه . . »

وندع ما قاله الدكتور عن فن بيكاسو فى عرض الطريق ، فإنه وقاه الله لم يسلم من تهويشة هؤلاء الخنفشاريين حين وصف « بيكاسو » بأنه فنان كبير وأن السريالية بالنسبة إليه امتداد للتجارب وليست نتيجة لها ثم نقسم للدكتور أنه لا يستطيع أن يفسر صورة واحدة من صور ذلك الممخرق على أساس فنى قديم أو حديث ، لسبب لا حاجة إلى سبب غيره ! وهو أنها كلها دعوى على الوعى الباطن يعترف المدعون لها قبل سواهم بأنها شىء لم يخلق للفهم والإدراك ، وإنما خلق للشعور والتأويل المبهم بلغة الأحلام والأوهام .

والدكتور معذور فى هذا التحرج أمام اللغط العالمى عامًا بعد عام .

إنه لمعذور فى هذا التحرج إذا كان قد بلغ به الحرج « التقليدى » أن يقول عن « السريالى » المحلى عندنا إنه « فنان » أنانى وإنه لا يعبر إلا عن نفسه .

فن أين لهؤلاء السرياليين المحليين عندنا صفة الفنان التى يصفهم بها الدكتور ؟

ما هو الفن الذى يتعلمونه ويتعلمه من شاء مثلهم ليعبر عن نفسه أو يعبر عما شاء من نفوس خلق الله ؟

وماهو معنى هذا التعبير باللفظ أو بالإشارة أو بدلالة من دلالات الآدميين التى يصدق عليها اسم التعبير ؟

وماذا يتعلم هؤلاء السرياليون المقلدون من المعلم « بيكاسو » ليتقنوا قواعد هذا الفن المزعوم ؟

إن الدكتور مطالب بشجاعته كلها ليعبر عن نفسه حقًّا حين يعلن حكمه على الممخرق الخنفشارى . العالمى كما أعلن حكمه على صبيانه المساكين من « المعبرين » عن النفس بغير تعبير وبغير نفوس .

ونرى ، بعد هذا ، أن موضع الخطر المحظور هو الخوف من التهويلات المترددة على السماع . . فإن الخائفين من تلك التهويلات يعطون أدعياء الفنون المختلفة فى الغرب فوق ما يعطيه الأدعياء أنفسهم من حجة فى الإقناع ، فلم يقل بيكاسو يومًا إنه يعبر عن أمور قابلة للتفسير أو صادرة عن تجارب تصلح للنقل والتعليم ، وليس هو فى دعواه بأصدق من مقلد واحد بين مقلديه الذين يقول عنهم الدكتور إنهم يعبرون عن أنفسهم ولا يعبرون عن أنفس الآخرين ، فليس فى صوره كلها صورة واحدة تتخذ وسيلة للتعبير بين الادميين ، ولا يزال هو إلى اليوم ينشر صوره الشمسية ليدل على شخصه ، ولا يستغنى عنها بتعبير من تعبيراته التى لا قيمة لها بأى حساب ، إن لم تبلغ من الدلالة على ذات صاحبها مبلغ الآلة الشمسية فى أيدى عامة المصورين .

وعندنا من يجاوز بأقطاب « اللامعقول » حدودهم حين ينقل عنهم ما ينقل على مسارح التمثيل .

فليس من هؤلاء الأقطاب من هو أشهر من هو يوجين يونسكو فى بيئة المسرح وهو على ظهوره بمظهر الإمامة بين مقلديه يعلن أن فنه « إنما هو موضة وليس بفلسفة فكرية وإنه دفعة وليس ببرنامج :

A mood and not an ideology... an impulse and not a programme

وهذا هو رأيه الذى يذيعه الناشرون لمسرحياته فى أحدث طبعاتها ، ومنها طبعة بنجوين التى صدرت قبل ختام السنة الماضية (١٩٦٢) .

وقد وصلت إلى ترجمة حديث لورنس دوريل مع مجلة باريس الفرنسية وفيه يقول صاحب رباعية الإسكندرية عن كتابه الأسود : « إننى فى الواقع لا أعتبره كتابًا جيدًا ،

وأرى أن بعض أجزائه مغرقه فى فحشها ولا أعتقد أننى أعيد كتابتها كما كتبت لو أعدتها الآن . . » . . انتهى من مجلة الحوار

فإذا كانت أمانة الفن تشجع خبراءه عندنا على زجر أدعيائه المحليين فى بلادنا ، فلا نراهم محتاجين إلى شجاعة أكبر من هذه الشجاعة لمعاملة « الخواجات » بالقسطاس الذى يعاملون به أتباعهم المساكين ، إذ ليس المطلوب منهم أن ينكروا فضلا لأولئك « الخواجات » لم يسبقوهم إلى النزول عنه طائعين أو راغمين .

ليبيا ولوبيا*

« .. درجت بعض كتب التاريخ والجغرافية على تسمية بلدى « ليبيا » باسم « لوبيا » مخالفة بذلك الاستعمال الشائع لها كتابة ونطقًا . وقد ظهر فى ليبيا فى السنوات الأخيرة ما يؤيد هذا الاتجاه فى كتاب لمؤلف ليبى بعنوان « لوبيا » مستندًا إلى بعض المصادر العربية والأجنبية فى الوقت الذى دافع فيه بعض المؤرخين الليبيين عن التسمية الشائعة وعدوا غيرها مجافيًا للصواب ، فأى التسميتين أصوب .. ؟

محمد عبد السلام التريكى

دار العلوم – القاهرة

يرجع هذا الخلاف إلى نطق حرف الواى Y باللغة الإغريقية ، فإنها تنطق قريبًا من نطق الـ U بالإنجليزية أو قريبًا من الواو المكسورة أو من الياء تتبعها الواو فى لغتنا العربية .

وأقرب نطق لكلمة Lybia على الصواب عند نقلها إلى العربية هو « ليوبيا » بياء غير مشبعة وواو بعدها غير ممدودة ، وكذلك تنطق Syria إذا نقلت إلى الحروف العربية .
ومع السرعة وكثرة التداول أسقط بعضهم الواو كما فى (ليبيا) وأسقط بعضهم الياء كما فى سورية ، ويحدث هذا عند التباس الياء بالواو فى المبنى للمجهول بلغتنا العربية ، فالشائع أن يقال « بيع » للبناء على المجهول من « باع » ولكن « بوع » لغة واردة فى هذا الصيغة كما فى قول القائل : « ليت شبابا بوع فاشتريت » .
وقد حدث لاسم بلدتنا أسوان تحريف على هذا النحو ، لأنها كانت تكتب قديمًا

* الأخبار فى ١٠/ ١٠/ ١٩٦٢ .

Syne وتنطق قريبًا من « سيونيه » وهكذا ينطقها إخواننا النوبيون إلى يومنا هذا جريًا على المتواتر من نطقها القديم ولكن الشائع فى نطقها اليوم « أسوان » ويخطئ كثيرون فيكتبونها « أصوان » كما كتبت على رصيف المحطة . . لظنهم أنها مأخوذة من الصوان . .

أبو الهول*

سؤالان عن اسم أبي الهول من الطالبين الأديبين عبد الحميد عبد العال الجمال وشكرى أبو ضيف بدوى الحبيشى وكلاهما يدرس قصيدة شوقى عن أبي الهول ولا يعلم من مراجع الدرس سبب هذه التسمية .

والسبب الذى يسأل عنه الطالبان الأديبان غير معروف على وجه التحقيق ، ولكن المعروف أن التسمية قديمة بعد الفتح العربى وشيوع الكلام باللغة العربية فى وادى النيل ، وقد أشار المؤرخون إلى ذلك ولم يذكروا أصلا لهذا الاسم غير التداول على ألسنة العامة .

قال المقريزى : إنه عرف أولا باسم بلهيب .. » ويقول أهل مصر اليوم أبو الهول ، وقال القضاعى إنه هو صنم الهرمين وهو بلهوبة صنم كبير من حجارة بين الهرمين لا يظهر منه سوى رأسه فقط تسمية العامة بأبي الهول ويقال بلهيب ، ويقال إنه طلسم للرمل لئلا يغلب على إبليز الجيزة . وقال فى كتاب عجائب البنيان : وعند الأهرام رأس وعنق بارزة من الأرض فى غاية العظم تسميه الناس أبو الهول ويزعمون أن جثته مدفونة تحت الأرض ويقتضى القياس بالنسبة إلى رأسه أن يكون طوله سبعين ذراعًا فصاعدًا . . »

ويظن بعض المحدثين أن هذا الصنم سمى بأبي الهول بعد شيوع الأسطورة اليونانية عن الغول الذى كان له رأس إنسان وجسم حيوان وكان يلقى الرعب والهول فى قلوب الناس لأنه كان يسألهم سؤالاً من لم يجبه قتله لساعته .. وكان سؤاله هذا عن مخلوق يمشى على أربع ثم يمشى على اثنتين ثم يمشى على ثلاث ، وقد هلك على يد هذا الغول كثيرون عجزوا عن الإجابة ساعة سؤالهم ، إلى أن سمع الغول الجواب الصحيح من أحد

* الأخبار فى ١٤/ ١/ ١٩٦٢ .

الحكماء فقتل نفسه . . وكان هذا الجواب أن المخلوق المسئول عنه هو الإنسان لأنه يدرج على أربع فى طفولته ويمشى على رجلين إلى أيام شيخوخته ، ثم يتوكأ على العصا فى سن الشيخوخة فكانه يمشى على ثلاث .

ولم يثبت أن هذه الأسطورة شاعت فى وادى النيل بعد شيوع الكلام باللغة العربية ، ولم يكن الصنم القديم غوّلا فى عرف المصريين الأقدمين لأن عادة المزاوجة بين أجسام الحيوانات ورؤوسها قديمة جدا يرمزون بها إلى الأرباب تارة وإلى المزاوجة بين القوى الإنسانية والقوى الحيوانية تارة أخرى فمن المشكوك فيه كثيرًا أن يكون للأسطورة اليونانية المزعومة صلة باسم أبى الهول ، ولا يفوتنا أن نذكر أن الصنم على هذا الشكل نشأ فى مصر ونقلته عنها جميع أمم الشرق الأدنى وشواطئ البحر الأبيض التى عرفت فيها المزاوجة بين شكل الإنسان وشكل الحيوان ، فليست قصته الأولى مما ينقل عن بلد غير وادى النيل .

ويرجح الأستاذ سليم حسن فى كتابه الذى ألفه باللغة الإنجليزية عن أبى الهول أن هذا الاسم مصحف عن برهول أو بوهول بمعنى مكان (هول) بالمصرية القديمة .

أما كلمة « هول » فيرى الأستاذ سليم أنها مصحفه من اسم إله كنعانى يسمى هورن ، وأن عبادة هذا الإله نقلت إلى اليونان وسميت باسمه فى مصر بلدة (هورنوبوليس) التى كان سكانها من اليونان المتمصرين .

قال الأستاذ : « وقد بحث الأثريون سنوات طوالا عن موقع هورنوبوليس هذه فلم يهتدوا إليه ، إلى أن عثروا بجوار أبى الهول على الصحيفة رقم (١٦) وفيها فوق صورة الصنم هذه العبارة : « ياهور – أن – اكبت » « يا واحد هورنيا الإله العظيم » وتحت ذلك عبارة أخرى تقول : هذا قربان يهبه الملك إلى روحك ياواحد هورنيا . . هوريم – اكبت الإله العظيم » .

ثم قال الأستاذ : « إننا بحثنا عن أسماء الأماكن التى تقع بين موضع منف وموضع هليوبولس ، فأفلحت مساعينا حيث وجدنا على مسافة ميلين من أبى الهول قريتين تسمى إحداهما هارونية البحرية وتسمى الأخرى هارونية القبلية ، ولاح لنا أن الأمر

أعجب من أن يكون حقا ، ولكننا لم نلبث أن عرفنا أن الموقع قديم واستخرجنا منه حجارة منقوشة كانت فى بناء مهجور ونرجو أن يتسنى – فيما بعد – إعطاء هذا الموقع حقه من التنقيب » .

ويعتقد الأستاذ سليم من مراجعة أسماء أصحاب القرابين أنها مشتقة من إحدى لهجات اللغات السامية وهى اللهجة الكنعانية وأن عبادا لاله هرون أو هارون أو هاول أو هول هم أناس من أرض فلسطين وما جاورها أقاموا بأرض الجيزة حيث أقام فيها وفى البقاع المجاورة لها إلى جانب الصحراء أناس متتابعون من قبائل فلسطين وسيناء .

ونرى أن تحقيق الأستاذ سليم حسن هو أحدث تحقيق تاريخى يعول عليه فى استقصاء اسم أبى الهول ، ولاندرى لماذا استبعد الأستاذ أن يكون اسم الآله هورن أو هول منقوّلا من اسم الآله الفرعونى القديم (هور) أو حور الذى يسميه اليونان هورروس لأنهم لا ينطقون الحاء ، فإن شعوب الشرق الأدنى قد نقلت عن مصر عبادة الأرباب التى كانت تعبد فى منف وطيبة ومنها الإله (اتون) الذى يرجح بعض المؤرخين أنه أصل الآله (أدوناى) بالعبرية والإله (أدونيس) باليونانية ، ومنها على قول الأستاذ أحمد كمال اسم العزى المنقول من (إيزيس) وهى (عزى) فى لهجتها الفرعونية .

وأقرب هذه الفروض والتأويلات إلى القبول أن يكون معنى أبى الهول معبدهور ، وأن تكون بلهويه وبلهيب وبلهوب التى وردت فى التواريخ العربية تصحيفات سابقة لشيوع الكلام با لعربية فى وادى النيل ، ثم تحولت إلى بى الهول وأبى الهول بعد أن فهم الناس معنى لكلمة (الهول) يفسرون به ذلك الاسم القديم .

بعلبك *

« . . أود لو تفضلتم بإفادتنا عن صحة نطق (بعلبك) ، هل هو بفتح العين كما نسمعه دائمًا من السادة مذيعى القاهرة وصوت العرب أو بالسكون كما ورد فى القاموس ؟ أو يجوز فيه الأمران ؟ . . كما أرجو أن تتفضلوا بإلقاء بعض الضوء على حقيقه هذا الاسم المركب ومعناه ؟ »

أحمد على

الثانوية النسوية بالأقصر

تنطق الكلمة بفتح العين فى بعلبك نفسها وما جاورها ، ولكنها وردت بالعين الساكنة فى كتب اللغة وكتب الدين ، ومنها ترجمة العهد القديم حيث تذكر كلمة البعل بسكون العين ، وقد ترجمها بهذا الضبط أناس من حذاق العارفين بالسريانية والفينيقية القديمة ، ويرجح ضبطها على هذا النحو أن الكلمة موجودة فى اللغة العربية منذ الجاهلية ، وهى كلمة (البعل) بمعنى السيد أو الرب أو الصاحب ، ومنه بعل المرأة أى زوجها وصاحبها .

وبعلبك – اسم الموقع المشهور – مركب من لفظين كلاهما موجود فى مادته العربية ، وهما لفظ (بعل) ولفظ (بك) بمعنى المكان ، ومنه على الأرجح اسم بكة أو مكة ، لأن الميم قد تبدل (باء) فى بعض اللهجات ، ولا يزال فى الصعيد الأقصى من يقول (البكان) وهو بمعنى المكان .

على أن تحريك العين فى كلمة (بعل) نطق لا خطأ فيه ، لأن حروف الحلق قد تسكن وتحرك فى الكلمة الواحدة ، كما يقال : « شعر وشعر وتعس وتعس وفحم وفحم

* الأخبار فى ١٤/ ١/ ١٩٦٢ .

ولحن ولحن ولهب ولهب ونهر ونهر » بسكون العين والحاء والهاء فى جميع هذه الكلمات .

ونحسب أن المذيعين الذين يحاسبهم السيد (أحمد على) على السكون والفتح فى كلمة بعلبك مدينون له بالشكر والتحية ، لأن رصيدهم من الأخطاء إذا انتهى إلى مثل هذه المحاسبة فهو كسب عظيم .. !

سؤال . . من فكرى أباظة*

كتب الزميل العريق ، شيخ الصحافة العربية ، الأستاذ فكرى أباظة مقالا فتيا فنيا فى « المصور » عن الحسان النمسويات افتتحه بهذه الأسطر :

« لا أدرى – أولا – من أين جاء العرب باسم النمسا وأطلقوه على هذا البلد الأمين أوستريا بالإنجليزية ، وأوتويش بالفرنسية ، وايسترايش بالألمانية . . من أين سميناها النمسا . . عند أستاذنا الكبير العقاد الجواب »

وليس بالإنصاف من شيخنا الصحفى القانونى أن يستأثر بالمعرفة عن النمسويات ويترك لنا نحن أن نعرف الأسماء والكلمات ، ولكننا نغبط الزميل بما قسم ونقول وهو المسئول عما نقول :

إن البلاد التى يسميها الآن « النمسا » لم تشتهر باسم « اوستريا » قبل أوائل القرن العاشر ، وهو الزمن الذى استقلت فيه بحكم نفسها على عهد أمراء يابنبرج (سنة ٩٧٦) .

ويرجح أن الاسم مأخوذ من الكلمة الألمانية Ostern بمعنى الشرقية ، فهى مرادفة لإقليم زميلنا العريق بهذه التسمية ، وإنما سميت بها تمييزًا للجانب الشرقى من الجانب الغربى فى البلاد الجرمانية القديمة ، ولا يبعد مع هذا أن يكون للاسم أصل لاتينى لأنها كانت تشغل الجنوب الألمانى مقابلا للشمال السلافى القديم . . والجنوب باللغة اللاتينية يطابق كلمة أوستريا تمامًا Austria ومنه اسم القارة الاسترالية لأنها تقع إلى جنوب القارات . ثم أطلق اسم أوستريا بعد ذلك على الدولة كلها لأن إقليم أوستريا الصغير كان فى حوزة آل هايسبرج وكانت فيينا عاصمة لأمراء هذا البيت ، وهى التى أصبحت عاصمة للدولة كلها بعد اتساع حدودها .

* الأخبار فى ١٢/٩/١٩٦٢ .

أما اسم « النمسا » فقد نقلناه فى لغتنا العربية من اللغة التركية على عهد الدولة العثمانية ، ولعله منسوب إلى صقع يسمى الآن « نيمسى » أو نيكمى تقع فى بلاد التشك ، ويقارب بلدة « أوسترلتز » المشهورة بمعركتها التاريخية ، وقد اشتق اسمها واسم أوستريا من أصل واحد ، وكانت موطنًا للسكان من العنصر الجرمانى وهو يسمى إلى اليوم فى اللهجات المجرية والتشكية باسم Nemcky كما تسمى ألمانيا كلها باسم Nemecko (نمكو) فى جميع تلك اللهجات . . وإذا رجعنا بالأسم القديم إلى أصل لاتينى فهو مأخوذ من كلمة نيمس بفتح الميم Nemus بمعنى المرج أو الأرض الشجربة المعشبة ، وكذلك كان أكثر الأقاليم فى تلك الجهات .

ومن المحقق أن الترك أخذوا الاسم عن المجريين ونطقوا أسماء البلاد فى أواسط القارة الأوربية كماكان ينطقها هؤلاء وجيرانهم التشكيون . وقد حكم الترك تلك البلاد زمنًا وتقاربت لهجتهم ولهجة أبنائها لتقارب الألسنة فى أصول اللغة الطورانية فكانت التسمية المجرية أغلب على ألسنتهم من التسمية الجرمانية القوطية ، وعرفوا البلاد كلها باسم النمسا كما عرفها المجريون فى حدودها الضيقة منذ عهد بعيد .

وقد بقى اسم « النمزى » مقرونًا باسم المجر عند أبناء هذه البلاد إلى زمن قريب ، فكان المصرف المركزى يسمى بالبنك المجرى النمزى Magyar Nemzeti وهو البنك الذى أصدر بعد الحرب العالمية (سنة ١٩٤٦) ورقة مالية قيمتها رقم واحد يليه عشرون صفرًا بحساب « البنجو » بعد تدهور العملة الى درجة من البخس لم تبلغها عملة قط فى التاريخ (راجع ذخيرة المسكوكات العالمية تأليف فريد رينفيلد الذى صدر منذ سنوات) .

وخلاصة الخبر أن كلمة النمسا بنطقها هذا كلمة عربية منقولة عن التركية، منقولة عن المجرية وكان الترك يكتبونها « نمسه » أو « نمسا » وينطقونها كما تنطق الألف الممالة باللغة العربية ، وهم الآن يكتبونها تارة بحرف الـ S وتارة بحرف الـ C مع حرف E بعدها Nemse أو Nemce . . ولكن المجريين يكتبونها بحرف الـ Z ونطقه أخف من الزاى وأشد من السين .

وفى الزيارة الثانية لتلك البلاد الجميلة نود أن يستمع الزميل إلى جواب سؤاله من أفواه الحسان النمسويات ، فقد يعرفن الجواب ويسمعنه جرسًا من النغم فى الترنم بالأسماء لاتعرفه لغة القواميس . . وليست تخفى على الأستاذ شهرة بنات فيينا بنطق الألمانية التى كان الإمبراطور فردريك يقول إنه لا يستخدمها مع أحد غير حصانه . . وكان الظرفاء يعقبون عليه فيقولون : نعم . . ما لم يكن فرسًا من فيينا . !

النمسا *

وصلنا مع اسم « النمسا » إلى أن الاسم الذى اشتهرت به فى القارة الأوربية يرادف اسم « الشرقية » إقليم زميلنا الأستاذ فكرى أباظة صاحب السؤال عن مصدر كلمة « النمسا فى اللغة العربية » . . لأن « أوستن » باللغة الألمانية تعنى الشرق Estren وقد كانت أوستريا تقع إلى الشرق من بلاد القوط الأقدمين .

والظاهر أن المنافسة القديمة بين « الشراقوة » و « الصعايدة » تحول دون التسليم بهذه الغنيمة لقمة سائغة لإقليم زميلنا العريق ! فقد جاءنا خطاب مطول من « بلدينا » فى الصعيد الأقصى « السيد محمد إسماعيل رئيس رابطة أصحاب محلات كى الملابس » يقول فيه :

« إنكم قلتم إن هذا الاسم – النمسا – دخل إلى اللغة العربية من اللغة التركية وهو دخل إلى التركية من المجرية . . ولكن ياسيدى أفيد سيادتكم بأننى أنتسب إلى بلدة فى الصعيد الأقصى هى بلدة – النمسا – بمركز إسنا وتسمى أيضًا النمسة كما يطلق على المنتسب إليها اسم النميسى ، وهى موجودة منذ فتح الإسلام لمصر كما هو ثابت قبل أن تكون هناك إمبراطورية عثمانية ، فهل تتكرم ياسيدى بإيضاح ذلك كما هو واضح من سؤال شيخ الصحافة والقانون فكرى أباظة . . »

ونحن نعلم أن « النمسا » بفتح النون والميم بلدة من بلاد محافظة قنا كما قال بلدينا النميسى فى خطابه ، ولكننا لا نستطيع أن ننسب إليها النمسويين ولا أن ننسب إليها الكلمة المستعارة من لغة المجريين ، ولو فعلنا ذلك لظهر لنا من يطالبنا بنسبه أبناء « فيوم » إحدى بلاد النمسا قديمًا إلى محافظة الفيوم ، ومن يطالبنا بضم « موسكو » إلى قسم « الموسكى » بالقاهرة ، ومن يطالبنا بأشباه هذه المطالب لأشباه هذه الأسباب ،

* الأخبار فى ٢٦/٩/١٩٦٢ .

وهو باب مفتوح على جميع المصاريع لا نستطيع ولا يستطيع بلدينا النميسى أن يغلق مصراعًا منه إذا فتحناه اليوم لتدخل منه النمسويات الحسان إلى الوطن الصعيدى القديم !

والمسألة – بعد – معلقة على استفتاء يجريه زميلنا الذى فتح علينا هذه الفاتحة عند زيارته التالية للديار النسموية

فليسأل حسانه إذا شئن وإذا شاء أيهما أحب إليهن ؟ أن يخرجن من هذا الاستفتاء شرقاويات أو صعيديات من النمسا مركز إسنا محافظة قنا وجه قبلى ، فى خير وسلامة وطيب إقامة . .

ومن هذه الفاتحة التى فتحها علينا الأستاذ فكرى سامحه الله خطاب من السيد « محمد الششتاوى عبد ربه الطالب بالمعهد الزراعى العالى بكفر الشيخ » يحيطنا فيه علمًا بأن كلمة Nemzeti فى اللغة المجرية تعنى بالإنجليزية National وهذا بعيد من معنى النمسا . .

قال : « أما كلمة النمسا فى اللغة المجرية فهى تعنى Austria وهو نفس النطق الإنجليزى حيث إن Jzs فى المجرية تنطق S فأرجو من سيادتكم الإشارة إلى ذلك فى اليوميات القادمة . . »

والواضح من كلام السيد الششتاوى أن الأمر قد اشتبه عليه بين الاسم الذى يتداوله المجريون حكاية للمصطلحات « الرسمية » بعد ضم المجر والنمسا إلى دولة واحدة ، وبين الكلمة الأصلية التى توارثوها فى لغتهم قبل قيام هذه الدولة .

فنحن نقول – مثلًا – إن عاصمة النمسا والمجر تسمى « فيينا » ولا يعنى ذلك أنها كلمة أصيلة فى اللغة العربية .

وليست « أوستريا » كلمة فى اللغة المجرية ، لأن مادة الكلمة بمعنى الشرق جرمانية لا شك فيها ، وليس لها مقابل فى اللغة المجرية من هذه المادة بلفظها وحروفها ، لأن الشرق فى هذه اللغة يسمى (كلات) وليس بينه وبين اسم النمسا رابطة لغوية كما نعلم من مراجعة معجماتها .

أما اسم الجرمان فهو فى هذه المعجمات (نيميت) Nemet وهى كلمة تطلق على العناصر الجرمانية جميعًا فى الدولة النمسوية ، للتفرقة بينها وبين سلالات أخرى تجمعها الوحدة السلافونية .

وقريب من مادة Nemet مادة نيمس Nemes بمعنى النبيل ومادة نميزيت بمعنى الأمة ومادة نيمزدك بمعنى الجيل ، إلى سائر المشتقات منها بمعنى الأصالة والنسب الكريم .

والسيد الزراعى أن يذكر أن « الستلات » تتلاقى فى كثير من اللغات بين كلمات الأمم والأوطان والكلمات التى توصف بها أصول الشعوب ، وقد تذهب الاستعارة فى هذه المشتقات والصفات من المعنى إلى ما يقابله أحيانًا مقابلة النقيض للنقيض .

فالعبرانيون الأقدمون كانوا يطلقون كلمة « الأميين » من الأمة أو الأمم على الغرباء غير العبرانيين . .

ونحن نطلق كلمة « الناس » حين نتكلم عن الغرباء والأجانب الذين لا تجمعنا بهم صلة النسب والقرابة .

والفرنسيون يطلقون كلمة « فرانك » Frank على صاحب النسب الحر الصريح ويسمون أنفسهم اليوم كما يسميهم الناس فرنسيين . مع أن قبائل « الفرانك » جرمانية غلبت على البلاد المعروفة الآن باسم فرنسا ، وكانت من قبل تعرف ببلاد الغال .

وكذلك يسمى السلافيون أنفسهم بهذا الاسم وهو فى أصله كلمة بمعنى العبيد يطلقها عليهم أعداؤهم الجرمانيون .

والجرمان أيضًا كلمة بمعنى أهل الحرب يطلقها الألمان اليوم على أنفسهم وكانت من الصفات التى وصفهم بها جيرانهم الأقدمون .

ولا خلاف على أية حال فى تسمية الجرمان باسم النميس والنعيس فى جميع اللهجات المجرية والتشيكية ، كما يظهر للطالب الأديب من مراجعة المعجمات ، ومنها سرت هذه التسمية إلى ألسنة الترك العثمانيين .

* * *

وفى هذا السياق أيضًا كتب إلينا السيد ماهر حسن البطوطى بوزارة التعليم العالى

يسأل عن اسم « هنجاريا » من أين جاء مقابلا لبلاد « المجر » بهذا الاسم المشهور بين المتكلمين بالعربية ؟

وليس فى المراجع الغربية أصل محقق لكلمة « هنجاريا » ولكننا نرجح أنه كلمة منحوتة من كلمتين هما كلمة الهون Hun أحد الشعوب التتارية التى أغارت قديمًا على القارة الأوربية الشرقية ، والكلمة الأخرى هى كلمة (أوجرى) ugri وتنسب إليها لغة المجريين وأبناء فنلاندة من الشعوب الطورانية القديمة ، وقد تكون كلمة « ماأوجرى » هى أصل اسم مجيار Magyar التى عرف بها هذا الشعب فى جميع اللغات ، قبل دخوله فى عداد الشعوب التى تضمها الدولة النمسوية .

قرية أبيس*

أنشئت قرية نموذجية سميت (أبيس) . . فهلا اقترحتم إبدال اسم آخر بهذا الاسم يتفق ونهضتنا الحديثة » .

شوق عطية أحمد

كلية الحقوق - عين شمس

لست على رأى الطالب الحقوق فى ملاحظته على اسم (أبيس) لقرية من ذى الحرث والزراعة . . وفى القرآن الكريم سورة باسم سورة البقرة ، فلا حرج من اسم قرين البقرة حيث يعمل أحفاده بعد آلاف السنين .

* الأخبار فى ١١/ ١/ ١٩٦٢ .

إن هى إلا أسماء . . والله أعلم*

السيدة ألماظة وقرباها

فى إحدى هذه المقالات ذكرت صحراء « ألماظة » باسمها الشائع على الألسنة فجاءنى خطاب يعجب فيه كاتبه لهذه المجاراة ويسألنى : هل عدلت عن تصحيح هذا الاسم كما صححته قبل بضع سنوات ، أو أنك عرفت حديثًا أن هذا الاسم هو الصواب لسبب من الأسباب فماذا يكون هذا السبب ياترى ، ليشترك فيه قراء الأمس واليوم ؟

وطويت الخطاب يومئذ لأن التصحيحات الواجبة أكثر من أن تحصى أو تستدرك على الأثر ، فلو أننا تصدينا لكل خطأ نعلمه بالتصحيح لما فرغنا للسلام أو رد السلام .

وتشاء الظروف ، ولما يمضى أسبوع واحد ، أن أذكر اسم « ألماظة » مرات لأسال عن مواعيدها وأطير منها إلى أسوان بعد افتتاح خط الطيران فى هذا الشتاء ، فصدق ظنى فى طول المسافة التى قدرتها . . لا أعنى طول المسافة من مصر الجديدة إلى أسوان فإن ساعتين ونصف ساعة ليست بالزمن الطويل بالقياس إلى سفر القطار الذى يستغرق ست عشرة ساعة من الليل والنهار ، ولكننى أعنى طول مسافة التصحيح إذا ابتدأ من ألماظة وما جاورها فإنه قد يذهب بنا إلى قطب الجنوب أو قطب الشمال ، ولا انتهاء .

إن السجلات الرسمية لا تكتب « ألماظة » إلا بهذا الاسم وهذه التهجية ، ويوشك أن يصححها بعضهم بالماسة متحذلقًا كما سبقهم من قرأ من ناحية الخليج قنطرة « اللى كفر » فصححها بالذى كفر ، وما هى كما نعلم الآن جميعًا إلا قنطرة « كفر اللى » المهندس الذى بناها وضاقت اللافتة باسمه فكتب الخطاط « اللى » فوق « كفر » وسميت بعد حين « بالذى كفر » على الوجه المعلوم .

كذلك ولدت غلطة « ألماظة » وعاشت حتى طردت الصواب ولما يمض الوقت

---

* أخبار اليوم ٢٣/ ١/ ١٩٥٤ .

الكافى لنسيانه ، لأنه أقل من عشرين سنة فيما سمعناه وأدركناه !

كانت هذه الصحراء « مخزنًا » لقطارات الترام ، وكان المهندسون الإيطاليون والبلجيكيون يكتبون المخزن (ماجزا) Magazin وينادون بإرسال القطارات إلى « الماجزا » وحضور السواقين وعمال التذاكر إلى « الماجزا » وتسلمهم العمل فى الصباح من « الماجزا » وتسليمهم العهدة فى « الماجزا » فولدت « الماظة » من طريق هذا التصحيف ، ولم يشك الكثيرون بعد ذلك فى أنها مأخوذة من الألماظ لسر مجهول .

وألطف من هذا التصحيف تصحيف كلمة المنحنى الذى تستدير لديه القطارات بين مصر الجديدة وألماظة ، فإن المهندسين الإيطاليين والبلجيكيين أيضًا كانوا يسمونه الكورفة Curva بمعنى المنحنى فى أكثر اللغات الأوربية ، فصحفت الكورفة إلى الكربة إلى القربى . ووقفت عند هذه المرحلة حتى الآن .

ولكن هل تراها تقف طويلا عندها كما نعهدها ؟ وهل يضيق الخيال غدًا عن « أفنونة » من أفانين الأسماء والتعليلات !

قالوا فى بعض كتب الموسيقى أن عود الطرب ينسب إلى « الفارابى » لأن الفضل فى تجويفه وتجويد نقراته لفأر قرضه بأسنانه ، فقيل على لسانه « الفارابى » واعتقد الناس من ثم أنه منسوب إلى الفارابى الفيلسوف المشهور .

وهذا التخريج مكتوب مطبوع فى مراجع موسيقية نقرأها حتى اليوم ، فهل من البعيد أن تتحول « ألماظة » ببركة الخيال إلى ولية من أولياء الله كانت تتعبد فى هذه الصحراء وتنقطع إلى صومعتها فيها عن عباد الله ؟ وهل يصعب على الخيال أن يتمم القصة « بقربى » المزار حيث يدنو منه القصاد والزوار ، من شاسع البلدان والأقطار .

إننا لنرى ما فعلته عشرون سنة فى السجلات الرسمية ، فما الذى يستكثر على عشرين سنة أخرى فى عصر الدعوى والنسيان !

وعلى امتداد الخط من « ألماظة » إلى أسوان كم محطة تقف عندها الطيارة لو أنها خرجت فى رحلة من رحلات التصحيح على هذا المثال ؟

ألف يوم لا تكفى لوصولها إلى « الفيوم » فضلا عن أسوان وهذه إحدى

التصحيفات فى منعرج الطريق .

إلا أننا نجمع الطرفين من أقصاهما فى الشمال إلى أقصاهما فى الجنوب وندع ما بينهما لمن يشاء الرحلة فى طائرة «قشاشة»، تحسب الوقت بالسنوات ولا تحسبه بالساعات !

بين الصوان والذهب

تجمع الطرفين من طرف ألماظة إلى طرف أسوان ، وهى التى كانت إلى زمن قريب تطبع على خاتم البريد بالصاد وتكتب فى سجلات الدواوين جميعًا بالصاد ، ويقال إنها من الصوان لأن أسوان فى الحق بلد الحجر « الصوان »

أما الذين يصححونها بالسين فلا يتركهم الخطأ فى الهجاء حتى يدركهم فى التعليل ، فليست هى عندهم بالصاد من الصوان بل هى بالسين من الحزن والأسى ولماذا ياترى تأسى وتحزن ؟ . . إن الجواب لقريب على اللسان . . من الغربة وبعد المكان . . ؟

وأبو العلاء نفسه رحمة الله عليه يخطئ هذه الخطأة عامدًا أو غير عامد فيقول فى لزومياته :

أسوان أنت لِأن الركب وجهتهم أسوان ، أى عذاب دون عيذاب

وهكذا يرسم لنا رهين المحبسين خط « الخطأ » إلى جانب المشرق من البلدة المفترى عليها ، فيجمع بجامعة الجناس بين العذاب وواحة عيذاب ، ولا عذاب هناك ولا أسى . بل عيذاب من أبناء (عيذ) وأسوان من (سوين) وهى السوق عند الأقدمين !

أما خط الخطأ إلى الجنوب فلا يحتاج إلى جناس أبى العلاء ولاغيره من الشعراء لأن أفانين المؤرخين فيه أبرع من أفانين الشعراء والحكماء ومنهم أبو العلاء .

إلى الجنوب من أسوان يسمونها بلاد الكنوز ، ولا آخر للنزاع بين المؤرخين على هذه الكنوز .

فمنهم من يقول فى العصر الحديث إنها ترجمة العرب لكلمة « النوبة » بمعنى الذهب

فى اللغة الفرعونية القديمة . ولكن متى كانت الهيروغليفية من معارف العرب الأقدمين ! . . إنهم لا يسألون ولا يتكلفون جوانب السائلين .

وقال آخرون لا نوبة ولا كنوز ، بل هى منسوبة إلى كنز الدولة الذى كوفئ بهذا اللقب لاعتقاله داعية العباسيين فى الإقليم .

إلا أننا لا نستريح طويلا عند هذه المرحلة المعقولة حتى تخرج لنا الأحافير باسم يشبه هذا الاسم كان معروفًا قبل العرب وقبل العباسيين والفاطميين ، فإن بلاد كوش التى وردت فى التوراة ليست إلا النطق العبرى واليونانى لكلمة كيسيت ثم كنسيت Kenest الفرعونية ، وليس أقرب من الرحلة بين كنيست وكنزية وكنوز ، وبخاصة حين ترزق المسوغات بعد المسوغات من اسم كنز الدولة ومن مناجم الذهب أو « النوب » القديم .

وإن هى إلا أسماء . .

والله أعلم بالأسماء والمسميات .

وفى كواكب المجرة

ونحب أن نسترسل خطوة أو خطوتين ، ولكن بحساب الخيال .

إلى أين ؟

إلى نهر المجرة . . أى إلى المكان الذى يحسبون البعد بيننا وبينه بالسنوات الضوئية ، أو بملايين الملايين من السنوات الشمسية .

وهو على هذا يقع فى حساب الخيال على مدى خطوة أو خطوتين ، ويكاد قراء القصص العلمية والفلكية فى الغرب ينظرون إليه كما كان آباؤنا ينظرون إلى أخبار السياحة فى إحدى القارات .

بل يوشك أن يقع فى خيالهم أن السائح منهم يذهب إلى المطار فيسمع ه بعد النداء على قصاد القمر وقصاد المريخ وقصاد الزهرة ، ليتفضلوا بالذ طائرتهم التى ستقلع بعد هنيهة إلى وجهتها من أجواز الفضاء .

ومن الإنصاف لخيال المغرمين بهذه القصص نقول – والعهدة على الثقات – الخيال لم ينفرد فى هذا المجال بالأحلام والأوهام ، وأن العلم والعقل يشتركان فى الأمل والاحتمال ، ويزعمان رغم الثقة أن الرحلة إلى الكواكب ، وفيما بين المنظومات الفلكية ، قد دخلت فى حدود الإمكان .

ويقول (هارى هاربر) الذى اختبر الطيران خمسين سنة إن المخترعين الجديين ينتظرون اليوم أن تبلغ سرعة الطيران نحو خمسة وعشرين ألف ميل فى الساعة بعد زمن غير بعيد ، وأن الأجهزة الذرية أو أجهزة التفريغ والدفع Jet power تقترب الآن شيئا فشيئًا من تحقيق هذه الأحلام . على أن اختبار هذا الجهاز الأخير من طراز سابر Sabre قد جاوز سبعمائة ميل فى الساعة ولما يفارق الجاذبية الأرضية ، ولا تنقضى أعوام حتى تنزوى هذه السرعه بين ذكريات لطراز الطائرة والاختراع العتيق .

تيارات السماء

ولا بأس فى انتظار ذلك اليوم أن نقلع بالرحلة الفلكية على الحصان الطيار من طراز ثلاث وخمسين وأربع وخمسين .

إن حصان ألف ليلة قد وصل إلينا فى عشرة قرون ، فإذا حافظنا على النسبة بين المواصلات القديمة والمواصلات العصرية فقد نصل إلى الرحلة بين الكواكب قبل نهاية القرن العشرين . . وأربعون سنة ، أو خمسون سنة ، ليست بالشىء الكثير على الأحاديث والقصص التى يزجى بها الوقت فى انتظار ذلك المركب الموعود .

صحبتنى فى الطائرة من « ألماظة » الى أسوان أقصوصة من أقاصيص هذه الرحلات الكوكبية يسميها صاحبها تيارات الفضاء ، أو على الأصح تيارات السماء .

زمان القصة فى هذه الأيام . .

ومكانها فى كواكب نهر المجرة .

وأبطالها يحملون كثيرًا من الأسماء الشرقية العربية ، ومنها سليم وسامية وميه والشرق

وما يشبهها من أسماء الرجال والنساء والنجوم .

وهؤلاء هم سكان الكواكب التى تفصل بيننا وبينها ملايين السنين ، ويسليك كما سلانا أيها القارئ أن تعلم أن المؤلف يختار هذه الأسماء لأنه يريد أن يوقع فى الأذهان أنه يتكلم عن العوالم الغريبة فى أبعادها القصوى ، فلا يسعفه الخيال بالأسماء الصالحة لهذا الغرض إلا من جعبة الشرق الأدنى وبينه وبين الشرق الأدنى مسيرة ساعات فى الهواء ، لا فى السماء .

وقد يسليك أكثر من هذا أن تخمن كما خمنا أن المؤلف نفسه يعيش فى أمريكا ويعلم فى جامعاتها وهو من سلالة شرقية كما يدل عليه اسمه لأنه يسمى إسحاق عاصموف Asmov

ويزيدنا تسلية أن نقرأ فى القصة عبرة من عبر الأفكار العالمية التى تساور أدمغة الغربيين والشرقيين ، فإن المؤلف يقول فى بعض فصوله ما فحواه : إن الإنسان لا يسمى باسم خاص لأن عينيه سوداوان أو زرقاوان أو عسليتان ، فلماذا يسمى باسم خاص كاسم الزنجى أو الهندى الأحمر أو الآرى يلبس جلدًا ملونًا بالسواد أو البياض أو الاحمرار . . ؟

كان هذا المؤلف واقعيا أكثر من اللازم فى تلك السماوات العلوية ، لأنه جعل المعركة كلها قائمة على محصول من نوع القطن له فتلة خاصة تصلح لملابس الشتاء والصيف فى جميع الكواكب المجاورة لتلك المزرعة العلوية ، « وتوضح الخطط الظاهرة والخفية لنقل بذور النبات من كوكبه المسمى « فلوريتا » أو الوقوف على سر هذه الجودة فيه دون المحاصيل الميسورة على كواكب المجرة الأخرى ، ولا ترى فى الكواكب العلوية ما يشعرك بالخروج من أفاق الأرض إلا حين يتكلم المؤلف عن النقلة بين الكواكب كما ننتقل على الكرة الأرضية بين المشاتى والمصايف ، أو حين يتكلم عن جهاز « المس النفسانى » الذى تكفى لمسة منه لتحويل النفس من اتجاه إلى اتجاه ، ومن التفكير فى الشر إلى ترك التفكير فترة من الزمن حتى تثوب إلى الخير بالتربية والتدريب ، أو حين يتكلم عن درجات الناس كأنه يتكلم عن فصائل من الحيوان تحت التجارب

المتفرقة بينها بالوسائل العلمية ، فلا يختلط فيها العالم بالسافل ولا الممتاز بالمنقوص والمقصور . .

وقد ذكرتنى أو صافه هذه بأمنية طالما تمنيتها وتحدثت عنها وعلقت عليها الآمال فى فض جميع المشكلات الأدبية ، وهى مقاس الأذناب بين الناس على درجات ، فلا يكون الرجل حيوانًا كالحيوان الأعجم تمامًا أو على اختلاف يسير ثم يخلو من الأذناب طوالا أو قصارًا كأنه إنسان كامل الإنسانية من جميع الوجوه .

كلا . . هذا تشويش للرؤوس من جراء الحاجة إلى الأذناب على تفاوت الطباع والألباب ، ولو رزق هذا ذنبًا من قيراط وذلك ذنبًا من قيراطين أو نصف قيراط ، ورزق غيرهما ذنبًا من خمسة قراريط أو من عشرة قراريط عند اللزوم ، لاستراح الإنسان وأنصاف الإنسان وأرباع الإنسان ، واستراح معهم الحيوان على اختلاف الأشكال والألوان .

ويومئذ لا نحتاج إلى تسمية الناس حسب ألوان الجلود ، ولا نقول هذا زنجى وهذا هندى وهذا سامى وهذا آرى وهذا مغولى أصفر أو مغولى ضارب إلى البياض ، بل ينقسمون فى البلد الواحد بالمقاس الذى لا يقبل الجدال : إنسان من عيار قيراط أو من عيار قيراطين أو من غير ذنب على الإطلاق .

نعم ولا حاجة إلى اقتباس أو اختراع الغريب من الأسماء وفاقًا للغريب من الآفاق والأجواء سليم وسامية ومية من الشرق للتوفيق بين غرائب الأسماء فى الغرب وغرابتها على الكواكب القصوى فى نهر المجرة .

فإن اختلاف الأذناب يغنى من هذا الإغراب فى الأسماء والألقاب . .

وإن هى إلا أسماء . .

والله اعلم بالأسماء والمسميات .

أى والله أعلم

أى والله أعلم ، ونعود إلى الأرض لنقول كما قلنا على نهر المجرة إنه لا علم بما هو أقرب إلينا من حبل الوريد .

الله أعلم بكاتب هذه السطور هل حصل مرة أنه كتب فى صحيفة تسمى البلاغ . أوكتب مرة فى صحيفة قبلها تسمى الأفكار أو عرفه سعد يومًا وناداه باسم من الأسماء أو لقب من الألقاب ؟ .

ويجوز على هذا القياس أن نسأل : وما هو البلاغ وما هى الأفكار ومن هو سعد ومن هم الوفد وما ذلك وما هؤلاء مما يقال ويعاد فيه المقال ؟

كل ذلك قد صيره بعضهم من علم الغيوب ذهابًا مع ما يروونه من عالم الواقع المحسوس من النقائض والأساس .

سئلت كثيرًا عن تاريخ الفترة التى تم فيها الترخيص بإصدار صحيفة البلاغ وحاول فيها القصر أن يمسخ مبادئ الدستور بموافقة الوفد المصرى على عهد الوزارة النسيمية ، وسئلت أكثر من ذلك عن تاريخ هذه الفترة بعد ماكتبه الأستاذ محمد عبد القادر حمزة على أثر احتجاب البلاغ وأنكرنى فيه ذلك الإنكار الذى لا يخفى على أحد من القراء .

وليس من غرضى هنا أن أطيل فى توضيح هذه التواريخ فإنها من تلك الشروح الطوال التى نرجئها إلى مكانها إذا اتسع المقام ، ولكننى قد آليت لأذكرن ما يضع الحقيقة فى نصابها على الأقل كلما تبرع المتبرعون بنسيانها أو إهمالها على حسابنا ، ونحن نبصر ونسمع ما يعرفون عنه وما يومئون إليه .

إننا لنحمد من الأبناء أن يحفظوا عهد الوفاء للآباء ، ولكنهم يستطيعون أن يبلغوا الغاية من وفائهم دون أن يدفنوا عمل العاملين فى التراب وهو بقيد الحياة

وأظن أننا لا نلام إذا اكتفينا اليوم بإثبات حالة واقعة لا نزيد عليها حرفًا لتزكية

أنفسنا وتنبيه من ينكر وجودنا ويرمينا بالادعاء من طريق التلميح أو التصريح الذى لا يخفى علينا ولا على سوانا . .

يكفى أن أقول إن صحيفة البلاغ ظهرت بثمانية أسماء ، ثم صدرت الأوامر بإغلاقها جميعًا يوم كنا نكتب فيها ، وإننا خرجنا منها فلم تغلق يومًا واحدًا بعد ذلك إلى يوم احتجابها فى الشهر الأخير .

وكانت صحيفة «كوكب الشرق» تصدر فى أمان حتى انتقلنا إليها بعد الخروج من البلاغ ، فأغلقت بعد أيام ولم تعد إلى الظهور إلا ونحن بعيدون عنها . هذه واحدة . .

والثانية أن المرحوم عبد القادر حمزة كان مرضيًّا عنه فى تلك الفترة ، فصدر قانون الانتخاب ، ولم يذكر فيه المحامون الذين شطبت أسماؤهم بحكم من مجلس التأديب بين المحرومين حق الانتخاب ، وأنه تلقى الإنعام بالباشوية فى اليوم الذى أرسلنا فيه التأمين الانتخابى إلى خزانة المحافظة ، لكى نصبح فى حكم النواب والمرشحين الذين لا يجوز الإنعام عليهم بحكم الدستور . .

ولوشئنا لزدنا ولكننا الآن لا نزيد .

أما الذى لا ضرر من زيادته لأنه ينفع الناشئين من المتأدبين فهو نفورنا الشديد من الاعتماد فى نشأتنا الأدبية أو السياسية على ثناء هذا وتزكية ذاك من العظماء وذوى الأقدار والأسماء ، فما من كاتب فى مصر تلقى من رسائل الثناء والتزكية فوق ما تلقيناه منذ ثلاثين سنة ، ومنها رسائل سعد والمراغى وعبد العزيز فهمى ولطفى السيد وجملة من هذا الطراز ، وبعضها قد ضاع ولايزال بعضها الآخر عندنا قد ننشره بعد أن زالت عن نشره شبهة الانتفاع بالتقاريظ والتنويهات ، وكثيرًا ما حاول الطابعون والناشرون أن يقنعونا بإعلان هذه الرسائل فأبينا عليهم ذلك وأصررنا على الإباء . .

فإذا رددنا اليوم بعض ما يصيبنا من التلميح المفهوم فلا يخطرن على بال أحد أنه حرص منا على ما قاله هذا العظيم أو ذاك عنا ، فإن هؤلاء العظماء على جلالة قدرهم لدينا نملك شهادتهم لنا ولا نعلنها ، ولكنها حرمة الحقيقة نغار عليها أن تهمل أو تنسى

ونحن نفتح أعيننا وأسماعنا وفى وسعنا أن نكتب وأن نقول ثم لا يكلفنا ذلك كما رأى القراء إلا إعادة الوقائع التى هى من قبيل الأرقام والأعلام فى استغنائها عن التعليق وتوسيع الكلام .

وإن هى إلا أسماء . . و الله أعلم . . والسلام . .

منية المرشد*

« ترددت كثيرًا فى كتابة هذا الخطاب إليكم لولا أن دفعنى إليه نفر من أبناء بلدتى شاركونى الرجاء فى أن يشمل عطفكم ما به وأن يتسع صدركم للإجابة عما عن لهم ولى من استفسارات » .

ولقد قرأت فى رحلات ابن بطوطة ما يلى عن بلدتنا منية المرشد . قال : سمعت بها القاضى بالإسكندرية بالشيخ الصالح العابد المنقطع المنفق من الكون أبى عبد الله المرشدى وهو من كبار الأولياء المكاشفين . . ووصلت إلى زاوية الشيخ المذكور قبل صلاة العصر وسلمت عليه ووجدت عنده الأمير سيف الدين يلملك وهو من الخاصكية » . ثم ذكر ابن بطوطة بعد ذلك رؤيا جاءته فى المنام وكاشفه بها الشيخ المرشدى وأنبأه بأشياء معينة وقعت له فيما بعد وجاءت كما أخبره سلفًا هذا الشيخ الصالح . . والذى أود أن أسال عنه : ما هو الاسم الحقيق لبلدتنا هل هو منية المرشد كما نعرف الآن أم بنى مرشد كما ذهب ابن بطوطة أم ميت المرشد كما نقرأ فى المطبوعات الرسمية والحكومية ؟ . . ومن هم الخاصكية هؤلاء ؟ وكيف استطاع سيدنا المرشدى أن يتنبأ بأشياء هى فى عالم الغيب والغيب كما نعلم عند الله وحده » .

ومسألة الخوارق والفراسات التى أشار إليها الأديب المرشدى من المسائل المطروقة المتواترة فى رحلة ابن بطوطة يذكر طرفًا منها عن سحرة الهند والمشرق وطرفًا آخر عن النساك الصالحين فى البلاد الإسلامية ، وبعضها مما رواه عن أهل الهند قد ثبت أخيرًا أنه ضرب من المهارة مع التأثير (السحرى) الذى نسميه الآن بالتنويم المغناطيسى للأفراد أو الجماعات .

وقد ذكر ابن بطوطة أن الشيخ المرشدى كان يزود ضيوفه بالطعام من الثمرات

---

* الأخبار فى ١٩٦٣/٥/٨ .

والمآكل فى غير أوانها ، وهى خارقة سمعنا نحن بمثلها عن شيخ ناسك فى إقليم جرجا وشهدها أناس لا نشك فى صدقهم وفطنتهم ، ومنهم المتعلمون المثقفون ومن هم من الأذكياء الحصفاء وإن لم يكن لهم حظ وافر من المعارف العلمية ، وجملة هذه الخوارق شبيهة بما يقدر عليه مهرة المنومين ممن يعرضون أعمالهم فى المحافل العامة ويقول عامتهم إنهم يستعينون على هذه الأعمال بخفة الحركة مع التأثير المغناطيسى بالنظر والإشارة وتكرار الكلمات التى تفعل فعل التخدير الموقوت فى أسماع الناظرين المستغرقين فى النظر والانتظار .

وإذا كان القائمون بهذه الخوارق أناسًا جادين متعبدين فالراجح عندنا أنهم يكسبون القدرة عليها بطول الرياضة على التلقين والإيحاء ، وقد يفسر الرياضيون الذين يتعاطون رياضة (اليوجا) قدرتهم على خوارق الطبيعة بإمكان تسليط الإرادة على جسد الإنسان حتى يحتمل ما لا تطيق الأجساد احتماله بغير هذه الرياضة ، وقد يزعمون أن تسليط الإرادة على نواميس الطبيعة ممكن بعد طول المرانة عليه كما يمكن تسليطها على الجسد الإنسانى وأجساد الحيوان على العموم . . وذلك زعم لم يقم عليه البرهان العلمى ولا سند له غير أقوال أولئك الرياضيين .

على أن ابن بطوطة لم يذكر فى خبره عن أبى عبد الله المرشدى أنه شهد بعينه كراماته فى إحضار الثمرات والمآكل فى غير أوانها ولكنه قال إنه سمع عنها وهو نازل بالإسكندرية قبل لقائه الشيخ فى زاويته ، وإنما ذكر ابن بطوطة تلك الكرامة التى سميتموها علمًا بالغيب : وخلاصتها أنه رأى فى منامه رؤيا عرفها الشيخ فى اليوم التالى قبل أن يطلعه ابن بطوطة على تفصيلاتها ، وليس فى علم الشيخ بتلك الرؤيا ما يستلزم تفسيره بعلم الغيب لأنها قد تفسر بالإيحاء الذى ينتقل من فكر إلى فكر فى اليقظة والمنام .

ولكننا – على هذا – لا نرى أن العلم يستطيع الجزم باستحالة علم الغيب بإذن علام الغيوب ، لأن الحكم باستحالته لا يصح لأحد قبل الحكم القاطع بحقيقة الزمن وحقيقة المستقبل وما سيحدث فيه : هل هذا المستقبل موجود الآن ؟ أو هو معدوم

الآن ويوجد لحظة بعد لحظة ؟ وإن كان معدومًا فما هو الحد الفاصل بين لحظة عدمه ولحظة وجوده .

وإذا كان العقل البشرى لا يستطيع أن يجزم بحقيقة الزمن كله وحقيقة المستقبل المغيب عن العقول فليس له أن يحكم باستحالة الغيب ولا باستحالة نقله من علم الله إلى من يشاء من عباده ، وليس لأحد – على كل حال – أن ينكر أن النفس الإنسانية المشغولة بأمر مستقبلها قد تتصور ذلك المستقبل حلمًا قابلا للتفسير الصحيح على أسلوب شبيه بأسلوب التنجيم الذى نرجع إليه فى تفسير أحلامنا وما تبشرنا به من آمال نترقبها وتمثلها لأخلادنا الخفية على مختلف الأشكال والتعبيرات ، وما من أحد شغل نفسه بأمل من الآمال إلا تمثله فى حلمه على صورة تتقبل التحقيق كما تتقبل الخلاف والمناقضة .

أما اسم البلدة فهو فى رحلة ابن بطوطة (منية بنى مرشد) وهو فى الخطط التوفيقية (منية ابن مرشد) وهو فى الأوراق الرسمية كما ذكرتم (ميت مرشد) مختزلة كما هو ظاهر من كلمة (منية) التى يقول العارفون باللغة القبطية إنها مأخوذة من كلمة (مون) أو (مين) الفرعونية بمعنى بلدة ، وتتركب منها ومن الأعلام المنسوبة إليها عشرات من أسماء البلدان تكتب فى الأوراق (منية) وتنطق على الألسنة (ميت) كميت غمر وميت رهينة وميت سمنود وغيرها وغيرها .

أما (الخاصكية) فهم مماليك كانت لهم رتبة ممتازة ودرجات عسكرية فى قصر الإمارة أو فى الجيش كالأتابكية والسلحدارية والجمدارية (حملة السلاح وحملة الجام) وقد كانوا فى عهد المماليك برتبة مرافق ، رسلا خصوصيين للسلطان أو الأمير .

ويلاحظ أن مولد الشيخ المرشدى يحتفل به فى شهر (مسرى) مما يدل على علاقة البلدة قديمًا بمواسم الزراعة التى كانت تؤرخ بمواقيت مصر القديمة (الهيروغليفية) فيما يتعلق بالنيل .

سؤال عن عقوبة الزنى*

ومن سيرة الإمام الفقيد ننتقل إلى بعض البيان عن أحكام القرآن ، تعليقا على خطاب العالم الفاضل الأستاذ محمد محمد الدهان وكيل معهد المحلة الكبرى حيث يقول بعد التحية الإسلامية الكريمة :

« جاء فى كتابكم القيم – الفلسفة القرآنية – عند الكلام على العقوبات صفحة ٩٥ مايأتى : (أما الزنا فعقوبته على المحصنة والمحصن مائة جلدة) . ولما كان هذا الحكم مخالفًا لما قرره أهل العلم عامة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم فى جميع الأزمنة والأمكنة من أن عقوبة الزانية المحصنة والزانى المحصن الإعدام رميًا بالحجارة ، وأن عقوبة الزانى غير المحصن والزانية غير المحصنة مائة جلدة ولم يشذ عن ذلك سوى الخوارج وبعض المعتزلة فقد تخيلت أنه سقط من كلامك كلمة (غير) بين « على » و « المحصنة » وعليه يكون نظم الكلام .

إلى أن قال : « إننى أرجو أن يكون ما تخيلته صحيحًا وإلا فأرجو تصحيح الحكم حتى يكون الناس على بصيرة من أمر دينهم » .

والأستاذ الفاضل يعلم أننا ألفنا الكتاب فى الفلسفة القرآنية ووقفنا عند نص الكتاب فيما جاء من سورة النور (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) .

وهذه آية من آيات الكتاب لم يرد فيه ماينسخها ، لأن الآية تنسخها آية كما جاء فى سورة البقرة (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) .

ولقد نبهنا إلى موضوع الكتاب غير مرة فى أثناء فصوله وأعدنا التنبيه بعد إيراد

* الأخبار فى ١٨/١٢/١٩٦٣ .

عقوبة الزنا خاصة فقلنا فى هامش الطبعة الخاصة (صفحة ٨٧) :

« هذا ما ورد فى القرآن الكريم وهو موضوع هذا الكتاب – الفلسفة القرآنية – ويرجع إلى تفصيلات هذا الحكم فى كتب الأحاديث وكتب الفقه » .

وسبق مثل هذا التنبيه فى الصفحة (١١٩) من الطبعة الشعبية ، وإن كان الموضوع غنيًّا بذاته عن التنبيه .

ولا يخفى على الأستاذ الفاضل أن أحكام الكتاب لا يجوز فيها الخلاف ، ولكن روايات الأحاديث وأخبار الرواة من الأفراد وغير الأفراد قد يقع فيها خلاف كثير .

وقد جاءت الإشارة إلى حكم الجلد فى آية أخرى من قوله تعالى فى سورة النساء عن الإماء : (فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) .

ونصف عدد الجلدات مفهوم ، وعليه يدور موضوع الكلام فى كتاب الفلسفة القرآنية

بين آراء كينز فى الاصلاح
ومناقشات الفابيين فى الفكر الاشتراكى*

« قرأنا فى الأسابيع الماضية مناقشات حول الفكر الاشتراكى اختلفوا فيها حول آراء كينز فى الإصلاح وحول مناقشات الفابيين فى الفكر الاشتراكى ولم نقرأ رأيكم فى هذه الموضوعات . . فهل يجد القارئ العربى رأيكم على صفحات الأخبار ولكم الشكر والتقدير والاحترام » .

حامد زيدان

المحرر بالأخبار

يقال عن الزوبعة فى غير طائل إنها زوبعة فى فنجان ، ولكن هذه الزوبعة التى أشرتم إليها ليست بزوبعة وليس لها فنجان ، وهى أولى أن يقال فيها ماكان يقوله فقيد الجيل فى أمثالها :إنها غير ذات موضوع !

فليس فى الجماعات الاشتراكية العالمية جماعة أوضح تاريخًا وأدق تسجيلا وتدوينًا من جماعة الفابيين ، وليس فى دعوتها ولا فى أسلوبها ولا فى أعمالها وتطبيقاتها صفحة واحدة مجهولة أو مذهب واحد غير مدروس بتفصيلاته ، منذ قامت فى أواخر القرن التاسع عشر (١٨٨٤) إلى اليوم والاشتراكية معروفة الأصول والحدود بلا اختلاف وبغير لبس أو غموض .

وأهم الفوارق بينها وبين الشيوعية أنها لا تؤمن بحرب الطبقات ولا بضرورة الانقلاب الدموى لتحسين أحوال الأجراء وتعميم العدالة وتمكين الجميع من فرص المساواة .

* الأخبار فى ١٩٦٢/١٢/١٢

وربما كان أهم من ذلك أن مبادئ الجماعة تقوم على الأسس الأخلاقية قبل قيامها على الأسس المادية الاقتصادية ، ووجهتها الكبرى هى بناء المجتمع على أرفع المثل العليا فى الآداب الإنسانية ، ويرجع ذلك على الاكثر إلى قيامها على آثار الجماعة الخلقية التى كانت تسمى بجماعة « الحياة الحقة » وكان يبشر بها توماس دافيدسون المشهور .

والفابيون « تطوريون » وليسوا بالانقلابيين وعندهم أن نشر المعرفة وتأليب الأنصار من جميع الطبقات والتوسل بالوسائل الديمقراطية إلى ولاية الحكومة للمرافق العامة أصلح لتحقيق الغرض المقصود من الاشتراكية وهو منع الاستغلال والاحتكار ، والتسوية بين الناس فى فرص الأعمال والمشاركة فى إدارة الأداة الحكومية .

وإمام هذه الطائفة جون ستيوارت مل وليس لكارل ماركس إمامة فكرية أو اجتماعية بينهم ، بل هم يناقضون فلسفته المادية ولا يكلفون أنفسهم مشقة تعديلها وتنقيحها كما يفعل الماركسيون الذين اشتهروا حديثًا باسم المنقحين ، ولا يخفى أن المتصوفة الروحية المعروفة « آن بيزانت » كانت من أوائل الفابيين كما كان منهم كثير من المفكرين الروحيين غير الماديين .

وقد كان للفابيين الفضل الأول فى تأسيس حزب العمال البريطانى بعد استبطاء العمل على إقناع المحافظين والأحرار بالمبادئ التى تؤدى إلى الملكية العامة وإلغاء الاحتكار . ويعزى إلى سدنى وب وزوجته بباتريس بوتار أكبر الفضل فى التقريب بين الجماعة والمشرفين على نقابات العمال ، وقد كان سدنى وب وزوجته وبرناردشو وولز من طلائع الفابيين العاملين فى البحث ونشر الدعوة والتوفيق بين طوائف العمال ، ولهذا أرادت وزارة العمال أن ترفع برناردشو إلى رتبة من رتب النبلاء فكان جوابه على أسلوبه المعهود من التهكم والاستعلاء : إنه لا يرتضى لقبًا أقل من لقب « الدوق » ولا يقنع بهذا اللقب لو كان لقب البرنس مما يمنح لغير أفراد الأسرة المالكة . . فلا داعية – إذن – للإنعام عليه بما هو دون قدره !

واسم جماعة « الفابيين » يدل على خطتها فى الإصلاح ، لأنها استعارت اسمها من اسم القائد الرومانى «فابيوس» واتبعت فى خطتها الاجتماعية خطة هذا القائد فى حرب

هانيبال ، وكان مدار هذه الخطة كلها على المناوشة والمفاجأة والإرهاق واجتناب اللقاء مع العدو فى معركة واحدة مما يسمونه فى تاريخ الحروب بالمعركة الحاسمة وشعارهم : « إلى الساعة الملائمة فلتنتظر فإذا حانت هذه الساعة فاضرب » .

وقد ظهر دستور الفابيين فى مجموعة من المقالات سميت بالمقالات الفابية وطبعت سنة ١٨٨٩ وراجت فى البلاد الأوربية رواجًا واسعًا مطردًا إلى أن صدرت المجموعة الثانية بعد ذلك بنيف وستين سنة (١٩٥٢) .

ولم يكن فى الدستور الأخير شيء ينقض دستورها الأول ، ولكنها أعادت دراساتها ومباحثها على أضواء التطبيقات الواقعية بعد قيام الثورة الروسية وظهور التنقيحات العملية والفكرية لفلسفة كارل ماركس والمنشقين عليه ، وكان من حجتها القوية أن تجربة الخطة التى اتبعتها فعلا فى الإصلاح والبحث ونشر الدعوة كانت أوفى بتحقيق الأغراض الاشتراكية من خطط الهدم والانقلاب ، وأوفق للديمقراطية الصحيحة من التجارب الأخرى فى القارة الأوربية وسواها .

ولقد كانت الاشتراكية الفابية نصب عينى حين كتبت فى تعزيز الفلسفة الاشتراكية والرد على خصومها قبل أكثر من خمسين سنة ، ولا تزال الفابية كما بقيت إلى اليوم أقرب إلى اعتقادى من سائر الجماعات .

* * *

أما مذهب كينز فهو من مباحث الاقتصاد ولا يحسب من المذاهب الاشتراكية إلا من بعض نواحيه التى يتناول بها مسألة البطالة ومسألة الادخار ومبلغ أثره فى تعريض المجتمعات لمساوئ رأس المال وقوانينه المشهورة عن البطالة والاستهلاك والادخار وصلك العملة يمكن أن توضع عند الاشتراكيين وغير الاشتراكيين موضع التطبيق ، وليس للقواعد الأخلاقية فى مذهبه ذلك الشأن الأصيل فى قواعد الآراء الفابية .

ونظن أن الفنجان قد يسلم من الرجرجة — فضلًا عن الزوبعة — إذا احتوى جملة هذه الآراء ، إلا نقطة أو نقطتين لا تسقطان بعيدًا عن طبق الفنجان !

تعقيبات حول النمسا*

مرة أخرى نعود إلى « الخناقة » على اسم النمسا كما وصفها زميلنا محرر الأخبار فى عنوانه ليوميات الأسبوع الماضى .

ونعود إلى الخناقة لأن السيد « مراد سلامة » يسأل : لماذا تذكرون اللغة المجرية ولا تذكرون اللغة الروسية وهى أشهر اللغات السلافية ! وهل تعرفون بماذا يسمى الروسيون النمسا فى العصر الحاضر ، وبماذا كانوا يسمونها فى العصر الذى أغار فيه الترك العثمانيون على البلاد المجرية ؟

ونقول للسيد مراد سلامة – أوّلاً – للخلاص من هذه الخناقة إننا لا نعرف اللغة المجرية ولا اللغة الروسية ، وكل معرفتنا بهما وباللغات الأوربية الشرقية إنما يدور على كتابة الأبجديات فى هذه اللغات وبوسيلة الكشف فى معجماتها عن معانى الكلمات كما تقابل الكلمات الإنجليزية أو الفرنسية فى أحيان قليلة ، رجعنا إلى تحقيقها أيام المناقشة على كتابة العربية بالحروف اللاتينية وعلى أثر استشهاد بعض الزملاء بكثرة الحروف الأبجدية فى اللغة الروسية وأنها تزيد على الأربعين وتشتمل على حروف لا وجود لها فى الأبجدية العربية ولا فى الأبجديات اللاتينية .

وقد أفضى بنا بحث هذه المسألة إلى أن الحروف الزائدة فى الأبجدية الروسية الحديثة قد أخذ بعضها من العربية وبعضها من القبطية وبعضها من اللاتينية بعد تعديل طفيف فى صورتها ، وأن هذه الحروف جميعًا لم تكن بناقصة فى لهجات القبائل العربية ، بل هى مذكورة جميعًا على باب الإبدال من كل كتاب من أمهات كتب النحو أو كتب القراءات .

وللمناسبة الحاضرة – مناسبة الكلام عن أصل اسم النمسا باللغات السلافية – نقول

* الأخبار فى ١٩٦٢/١٠/٣ .

إن الروسية والمجرية تختلفان بالأبجدية إلى أبعد حدود الاختلاف ، تبعا لاختلاف القساوسة الذين قاموا بتنصير هذه الأمم قبل عدة قرون .

فالروسيون تنصروا على أيدى القساوسة البيزنطيين وهم يقيمون شعائرهم باللغة اليونانية ، ومنها نقلوا الحروف التى علموها للروس ثم زادوا عليها أكثر من خمسة حروف تنطق بالروسية ولا وجود لما يقابلها باللغات الأخرى .

أما المجر فقد تم تنصيرهم على أيدى القساوسة التابعين للكنيسة الغربية ، فعلموهم الأبجدية اللاتينية ولم يحدثوا بها تغييرًا يذكر سوى بعض علامات كعلامات الشكل بالعربية .

والروس الأقدمون يسمون النمسا كما يسميها المجر « نيميت » ولكن الحرف الأخير المقابل للتاء ينطق كما تنطق السين مدغمة بالتاء ، أى أن نيميت تنطق عندهم « نيمتسه » وقد ينطقها المجريون والتشيكيون كذلك إذا وضعوا على الحرف الأخير علامة من علامات الشكل التى تتقارب فيها حروف التاء والسين أو الدال والزاى .

فالنطقان – المجرى والروسى – متشابهان ، ولكننا رجحنا أن الترك العثمانيين أخذوا كلمة « النمسة » من المجريين لأسباب متعددة !

منها أن المجريين هم أولى الشعوب بالأخذ عنهم فى تسمية جيرانهم من السلالة الجرمانية ، لأنهم يعيشون معهم ويختلطون بهم ويخضعون قديمًا وحديثًا لدولة واحدة .

ومنها أن الترك العثمانيين أقاموا ببلاد المجر ونقلوا إليهم كما نقلوا عنهم كثيرًا من الكلمات حتى ما كان منها خاصا بأسماء الأقارب والقريبات فى البيوت .

ومنها أن القرابة بين اللغتين التركية والمجرية أشد من القرابة بين اللغتين التركية والروسية ، لأن المجرية طورانية متطورة ولكن الروسية تمتزج ببعض اللهجات الهندية الجرمانية .

ومنها أخيرًا أن المجرية تكتب بحروف لاتينية تشبه الحروف التى تكتب بها الإنجليزية فى المعجمات التى نعول عليها ، فوسيلة التحقق من ألفاظها أقرب إلينا من وسيلة التحقق

من أشكال الحروف الروسية التى ترجع ألفاظها إلى مراجع متعددة يعود بنا كل مرجع منها إلى ضابط غير الضوابط الأخرى .

ونحسب أن « خناقة » النمسا تنتهى عند هذا السؤال وتحال بقية الأسئلة عنها إلى الأستاذ فكرى أباظة بعد أن أبرأنا ذمتنا معه بجواب على قدر السؤال .

رحلة تاريخية
أو سلسلة تذاكر بأسماء المحطات*

مرة أخرى . .

وعلى سبيل المثال لا على سبيل الإحصاء . .

وفى سياق الطريق لا فى المقام الأخير

تعود المصادفات فتسوق إلينا الحجج التى تؤيد لنا ما نؤمن به ويؤمن به القراء من ضرورة النظر فى تاريخنا الحديث كله لإعادة كتابته ، أو لاعادة تذكره وفهمه قبل الشروع فى كتابته على النهج السليم . .

ولأسباب كثيرة ينبغى أن نعود إلى ذلك .

بل لجميع الأسباب التى تدعو إلى الشك فى روايات التاريخ وهى :

١ – فقدان المعلومات الصحيحة .

٢ – وتبديل المعلومات الموجودة .

٣ – ونقص القدرة على استخدام هذه المعلومات فى كتابة التاريخ الذى يصحح المعلوم ويهتدى إلى المجهول .

٤ – وانحراف القصد – عمدًا أو على غير عمد – عند كتّاب التاريخ العصرى بين المعاصرين .

وكلما خطر على البال أن الشك فى التاريخ المعاصر مقصور على المنشورات التى تتعجلها الصحف قبل اتساع الوقت للتثبت منها يتبين لنا على الأثر أن مجال الشك أوسع وأعمق مما يخطر لنا على البال لأول وهلة . فقد تطلع علينا المطبعة بين حين وحين بكتاب – محترم – يصطبغ بصبغة الدراسة العلمية فى الجامعات : فإذا به قد امتلأ

* الأخبار فى ٤/ ٩/ ١٩٦٣ .

بدواعى الشك التى تبسط العذر« للخبر المحلى » فى اللحظة الأخيرة : لأنه استنفد وقته الطويل فى المراجعة والمقارنة والتعقيب والسؤال والاستفسار ولم يسلم بعد ذلك من عثرات الخبر المحلى على عجل ، فى مطلع الطريق .

ومن تنتظر السلامة من عثرات الخبر المحلى فى اللحظة الأخيرة إن لم تنتظرها من أستاذ جامعى يؤتمن على تحقيق التاريخ عن الصحافة فى معاهد العلم العليا . .

إنه أجدر الناس أن يتجنب عثرات الزلل السريع ويتنزه عن عيوب الخبط فى العشواء ، ولكننا نأسف إذ نقول إننا لم نجد فى صحيفة سيارة متعجلة لا يتسع لها وقت البحث والمراجعة بعض ما نجده كلما قلبنا صفحة بعد صفحة من هذا الكتاب ، وقد ألفه صاحبه عن تاريخ صحيفتين معاصرتين بعد ظهورهما بأكثر من أربعين سنة : وبعد وفاة منشئ الصحيفتين بأكثر من عشرين سنة ، وبعد احتجاب آخر عدد منهما ببضع سنوات .٠

ويعلم القراء أننا نعنى بالتاريخ المذكور ذلك الكتاب الذى ألفه « دكتور عبد اللطيف حمزة أستاذ الصحافة بجامعة القاهرة » كما جاء على صفحة الغلاف وخصصه لتدريس تاريخ الصحيفتين – الأهالى والبلاغ – لطلابه المظلومين !

ولا نسهب فى شرح وجوه النقص التى حفلت بها صفحات الكتاب ، وإنما يكفى أن نقول إنك تقرأ ما يزيد على أربعمائة صفحة من القطع الكبير ثم لا تعرف منها شيئًا عن أهم الحقائق التى يطلبها من يطلب تاريخ صحيفة من الصحف : ولا يكون للكتابة عنها معنى على الإطلاق إن لم نعرف عنها تلك الحقائق بعينها قبل سواها . .

فتاريخ صحيفة من الصحف اليومية إنما هو على الجملة :

أولا : تاريخ مقوماتها السياسية أو تاريخ الكتابة التى تدل على خطتها والآراء السياسية التى تدعو إليها .

ثانيًا : تاريخ مقوماتها المادية التى تعتمد عليها فى القيام بتكاليفها ، فإن الصحيفة التى ينفق عليها حزب ذو برنامج معلوم غير الصحيفة التى تنفق عليها شركة تجارية ،

وغير الصحيفة التي تقوم على التوزيع أو تقوم على الإعلانات أو تقوم على الاشتراكات السنوية والدورية .

ثالثاً : تاريخ عوامل الظهور والاحتجاب فى حياتها ، وعوامل التعطيل والاستمرار إذا كانت الصحافة عرضة للتعطيل من جراء آرائها ، لأن هذه العوامل هى الامتحان الصحيح لعلاقتها بقرائها وعلاقتها بالسلطة القائمة ، وعلاقتها بالقضايا التى يعالجها الرأى العام وتعالجها الهيئة الحاكمة .

وكل هذه المقومات لا أثر لها فى « الدراسة التاريخية » التى استغرقت نيفاً وأربعمائة صفحة ، فلا جرم كانت أخطاء الكتاب أضعاف ما فيه من خبر صحيح ، وكانت أخباره الصحيحة « هفوات » من المؤلف على الرغم منه وعلى الرغم من قواعد التأليف التى لا تصلح أن يقوم عليها أساس غير الغلط والزيغ والانحراف عن سبيل الصواب .

علام قامت صحيفة الأهالى عند نشأتها بالإسكندرية ؟

إنها قامت لتأييد وزارة محمد سعيد باشا برأس مال مجموع من تبرعات أنصاره وأبناء بلده الإسكندريين ! وكان اعتمادها كله فى سداد نفقاتها محصول الاشتراكات السنوية التى وزعها رجال الإدارة فى عهد الوزارة السعيدية ، وأقبل عليها طلاب الحظوة عند المديرين والمأمورين من أعيان الأقاليم . .

فلما اعتزلت الوزارة السعيدية مناصب الحكم لم يبق لها مورد تعيش منه غير التعاقد على نشر الإعلانات القضائية من المحكمة المختلطة . وهى كما كانت يومئذ حكراً يستأثر به من يرسو عليه المزاد من أصحاب المطابع ، وقد حصل على امتيازها فى ذلك الحين الخواجه « بوتينه » مدير جريدة « البورص إجبسيان » وهو من زملاء الأستاذ عبد القادر حمزة فى نادى محمد على المعروف بالإسكندرية ، وأصله من جزيرة مالطة يسمى بلهجتها العربية « بوتينه » أو « أبو تينة » وصحتها إلى اللهجة الفرنسية باسم بوتينيه .

ونشبت الحرب والأهالى على علاقتها القديمة بمحمد سعيد باشا وأصحابه المساهمين فى شركتها ، وقوامها من الوجهة المالية ما تحصل عليه من نشر الإعلانات القضائية باللغة العربية : إذ لم يكن للمسيو بوتينيه صحيفة عربية يملكها .

فلما تألف الوفد المصرى كانت خطة « الأهالى » حياله هى خطة محمد سعيد حيال سعد زغلول ، وهى خطة الوزارة أمام معارضها الأكبر فى الجمعية التشريعية ، وكان من مساعيه – بموافقة الأمير عمر طوسن – أن يؤلف وفدًا آخر يشترك فيه أعضاء الحزب الوطنى برئاسة الأمير ، ثم حبطت هذه المساعى حذرًا من ثورة الرأى العام وإذعانًا من جانب الأمير طوسن لأوامر السلطان أحمد فؤاد الذى اتهمه بالسعى إلى وراثة العرش والمساومة عليها مع الإنجليز بهذه الوسيلة .

وتقررت خطة « الأهالى » من داخل قلم التحرير دون أن تستطيع الشركة « التى أصبح إشرافها على الصحيفة اسميًّا بعد نفض أيديها من تكاليفها » أن تتعرض لهذه الخطة فى تفصيلات الأخبار أو المقالات اليومية ، ولم يحاول مسيو بوتينيه أن يتدخل فى سياسة الصحيفة مرضاة للمحتلين لأنه من جهة لم يكن من المالطيين أصحاب الحظوة فى الوقت الذى جعلوا فيه جزيرة مالطة منفى للمعتقلين وأنه من جهة أخرى خشى أن تتحطم مطبعتها فى المظاهرات فيعجز عن الوفاء بشروط المحاكم المختلطة مراعاة لمواعيد الإعلانات .

قال مؤرخنا المحقق فى كلامه عن خطة الأهالى إنها بعد الإفراج عن سعد وأصحابه : « شعرت بأنها تستطيع مكاشفة الجمهور بولائها لسعد وأصحابه وسلكت فى سبيل ذلك طريقة ناجحة من طرق الصحافة وهى نشر صور وصفية لسعد ولأعضاء الوفد ، وبذلك استطاعت أن تخطب ود هذا الرجل وصحبه وأن تبدأ معهم حياة حافلة بالمحبة والإخلاص والتفانى فى خدمة القضية المصرية » .

وهذا الكلام كله خطأ فى خطأ وتصوير مناقض للصورة الصحيحة التى يدركها المؤرخ بأيسر نظرة إلى « مادة الكتابة » التى سيرت الصحيفة فى ذلك الاتجاه إلى حين . فكل ما نشرته الأهالى من الصور الوصفية والتعليقات على تأليف الوفد إنما كان بقلم كاتب هذه السطور ، وظلت خطة الأهالى هى الخطة التى تعبر عنها تلك المقالات والتعليقات طوال الوقت التى كنت فيه مطلق اليد فى الكتابة ، فلما شعرت بالتضييق على ما أكتب من المطولات أو من الأخبار القصار تركت « الأهالى » وانتقلت إلى تحرير

« الأهرام » بالقاهرة ، وقد كانت هى الصحيفة الوحيدة التى أعلنت يومئذ أنها مصرية للمصريين وسمحت للوفد بنشر بياناته وأخباره على صفحاتها .

فليست الصور الوصفية كما قال المؤرخ المحقق فاتحة حياة حافلة بالمحبة والإخلاص بين الأهالى وزعماء الوفد وأعضائه ، ولكنها كانت خطة كاتب هذه السطور إلى يوم اعتزاله العمل فيها ، ثم بدأت فى الأهالى تلك السياسة التى تعبر عنها مقالات « ما هكذا ياسعد تورد الإبل » وما جرى مجراها : وكلها حملات على الوفد ومناوشات تتردد بين الصراحة والتورية على حسب الظروف ، إلى أن تقاربت العلاقات بين محمد سعيد وسعد لاشتداد العداء بين سعيد وجماعة رشدى وعدلى وثروت ! وسائر هؤلاء الوزراء .

ولا يتسع نطاق اليوميات لبيان ظروف « المقومات » الكتابية فى صحيفة البلاغ وما سبقها من التمهيدات أو الحق بها فى أدوار تعطيل هذه الصحيفة وظهورها بأسماء أخرى . .

ولكننا نكتفى بموقفين اثنين تفترق فيهما خطة البلاغ وخطة كاتب هذه السطور افتراقًا ثابتًا يسهل الرجوع إليه ويصعب الشك فيه .

كانت وزارة نسيم باشا هى التى رخصت للبلاغ بالظهور ، وكان من المتفاهم عليه – طبعا – أن تخدم البلاغ سياسة الوزارة النسيمية فى أمر الدستور الذى طواه القصر فى انتظار الفرصة لتعديله . وأخذت عليها السبيل فى البلاغ نفسه فأعلنت الدعوة إلى تنفيذ الدستور واجتناب التعرض لأحكامه ومبادئه : وليكن تعديله بعد ذلك على أيدى النواب المنتخبين إذا وجدوا فيه موضعًا للتعديل .

أمّا الموقف الآخر فهو الموقف الذى توالى فيه تعطيل البلاغ بعد صدوره فى عشرة أيام بنحو عشرة أسماء ، ثم عاد البلاغ إلى الصدور بعد إحراجى وإخراجى منه ، وبقى منتظمًا فى صدوره عدة شهور .. واحتجبت – بدلاً منه – صحيفة كوكب الشرق التى نشرت فيها مقالاتى ثلاثة أيام متواليات ، وظلت محتجبةً طوال الوقت التى انتظم فيه صدور البلاغ .

* * *

فإذا كان تاريخ الصحيفة هو تاريخ خطتها السياسية وما وراء هذه الخطة من مقومات الكتابة والإدارة فليس بالعجيب أن يصدر كتاب المؤرخ المحقق وهو يغفل كل الغفلة عن حقائق هذه الخطة ، وينحرف هذا الانحراف عن بيان عواملها وأسبابها .

ولولا أن هذه الغفلة قد صادفت هواه كما نرى بين السطور أو على وجه السطور ، لقلنا إنه نقص فى عناصر البحث وأدواته ولا زيادة ، ولكن الغمزات التى يحيط بها صاحبنا كاتب هذه السطور كلما عرض لذكره تدل على « زيادة » فوق النقص تضاعفه وتنميه ، وهى زيادة الرغبة فى « الخطأ » مع الارتياح إليه . . ولعله يستريح الآن وسعه من الراحة ، إذا ضمن الراحة من القراء ، ومن الطلاب المظلومين ! . .

النثر كويس*

« . . قرأت المقطوعات الجميلة التى اخترتموها من ديوان الشاعر الأمريكى الذى مات أخيرا « روبرت فروست » ووددت لو عدتم إلى اختيار مقطوعات أخرى فى بعض المناسبات ، واسمحوا لى الآن أن أوجه إليكم سؤالين ، .

أولهما : ما هو المقصود بقول الشاعر فى خطابه إلى النجم « ولتكن جادة حازمة كجد النجم الراهب فى قصيدة كيتس ؟ »

والسؤال الثانى موجه إليكم خاصة لأنكم ترجمتم شعر روبرت فروست منثورًا غير منظوم ، فلماذا ترفضون الشعر الحر إذا استطعنا أن نشعر بهذه المعانى « الشعرية » العاطفية كلها فى كلام غير منظوم ؟

محب للشعرين

إن عبارة النجم الراهب قد وردت فى مقطوعة للشاعر الإنجليزى جون كيتس من آيات الشعر الغنائى – الغربى – فى آداب اللغات الأوربية جميعًا ، وهى المقطوعة التى نظمها فى رحلته من بلده إلى الشواطىء الإيطالية الدافئة للاستشفاء من مرضه المميت ، وقد أحس اليأس من شفائه فى جو بلاده واحتواه وسفينته الظلام قبل عبوره إلى شاطئ القارة القريب ، فنظر إلى أسطع نجوم السماء بين السحب وهو يائس من رؤيته مرة ثانية فى مكانه ، وخاطبه قائلا :

« أيها النجم المتألق فى سمائه

« وددت لو كنت مثلك فى ثباتك

* الأخبار فى ٢٧/٢/١٩٦٣ .

« لا فى وحدتك الرفيعة على كاهل الظلماء مفتوح الجفنين أبدًا ، يقظان العينين على الدوام

«كأنك راهب الطبيعة الحارس ترقب الأمواج فى ترتيل كترتيل المسبحين بالصلاة » .

« متطهرين بوضوئهم الخالد حول شطآن هذا العالم المعمور »

« أو محدقًا على ذلك القناع القشيب من الثلج المتطاير فوق رءوس الجبال ووجوه الغدران » .

«كلا . بل ثابتا كثباتك ولكن على صدر الحبيب الذى استدار فى بواكيره »

« أحس على الدوام موجته اللطيفة مع الأنفاس »

« يقظان على الدوام فى قلق عذب مريح »

« ساكنًا . ساكنًا . مصغيًا »

« مصغيا ، إلى خفقاته فى موجه الرتيب »

« عائشًا هكذا إلى الأبد . . أو ذاهبًا فى غيبوبة تتسرب إلى عالم الغيب » .

* * *

وهذه المقطوعة من أخريات شعر كيتس الذى بلغ القمة بين الشعراء الغنائيين فى الغرب كله ومات وهو دون السابعة والعشرين ، وكانت إجادته التى جهلها النقاد « المحترفون » إحدى العبر البالغة فى تواريخ الأدب ، لما فيها من الدلالة على المرجع الوحيد لتمييز الشعر الجيد فى كل زمن : وهو مرجع القراء النقاد « غير المحترفين » ممن لا يدعون دعوى الاحتراف ولا يغترون غرورهم باحتكار الذوق والفهم والشعور ، وقد سمى كيتس « بصريع النقاد » ولكنه لم يلق مصرعه حتى كان شعره مقياسًا جديدًا لصدق العاطفة وجمال الأسلوب .

أما السؤال عن « الشعر » المنثور كما وجهه إلينا « محب الشعرين » المتنكر فهو مردود إليه وهو أولى بجوابه .

ولنا ، بل علينا أن نسأله : إذا كان الوزن يسمح بالتعبير عن هذه المعانى والألفاظ

فلماذا نلغيه ؟ ولماذا نخسر موسيقاه التى تزيده جمالا على جمال ؟ وما الذى يبقى من كيان الشعر كله إذا احتواه النثر بلفظه ومعناه كما احتواه بتركيبه ومبناه ؟

ونود أن يفهم صاحبنا أننا لا نكره الكلام المنثور فى معانيه العاطفية الوجدانية ، ولكننا نعجب للذين يكرهون النثر هذه الكراهية فلا يطيقون أن يحسب كلامهم من المنثور الجميل ، ولا يزالون مصرين على إلغاء الشعر المنظوم وتحريمه على من يستطيعونه ولا يشكون صعوبته واستقلاله بكيانه .

وأعجب من ذلك أن يصروا على هدم الشعر وهم يزعمون أنهم قادرون عليه لا يعجزون عن نظمه ، وليس فى وسعهم أن ينكروا أن النظم فن جميل وأن ألوف الألوف من أبيات الشعر البليغ فى تراثنا الخالد قائمة عليه .

تعقيبات حول قصيدة كامل الشناوى
« لا تكذبى » *

للعالم اللغوى الفاضل الأستاذ محمد جاد الرب المفتش بوزارة التربية والتعليم تعليق على « سفحتها أشواق » أيضًا . . يقول فيه وهو يدعو للأستاذ كامل الشناوى بتمام الشفاء : إن النحاة والعروضيين « اختلفوا فى تحديد مدى الضرورة الجائزة : أهى المخالفة للفصيح حيث وقعت فى الشعر ولو كان عنها مندوحة ؟ أم هى التى تقع فى الشعر ولا مندوحة عنها ؟ وهذا الأخير هو الرأى فى نظرنا ، فإن أخذنا بالرأى الأول حملنا عليه بيت الأستاذ الشناوى . أما الآخرون فيتوقفون ولا يجيزون حيث تكون هناك مندوحة عن هذه الضرورة ، فإنه يمكن أن يكون هذا البيت مثلا :

ماذا أقول لأدمع مسفوحة شوقًا إليك

وقد سلم الوزن والمعنى بلا كلفة — إذا سمح الأستاذ الشناوى — فإن اقتضاب مد ضمير الغائبة المتصل كما جاء فى القصيدة غير مألوف فى فصيح الكلام ولا سائغ فى الذوق ، وخصوصا مثل هذا المجال العاطفى الحساس وقد يحتمل ذلك فى ضمير الغائب المتصل كما فى بيت أبى الطيب المتنبى فى بعض رواياته :

تعثرت به فى الأفواه ألسنها والبرد فى الطرق والأقلام فى الكتب

إذ قاعدة هذا الضمير أن يمد إذا تحرك ما قبله ، فإذا كان ما قبله ساكنًا فلا يمد فى مثل منه وعنه ، ولكن مخالفة قاعدته أيسر جدًّا من مخالفة ضمير الغائبة .

« على أننا نعتمد رواية (بك) لا (به) فى بيت المتنبى أو نرجحها وإن أباها

كثيرون من الرواة الذين لعلهم من حساد المتنبى . . وما رأى الأستاذ العقاد فى أمر هذين البيتين بعد ذلك » .

أرى أن تعديل الأستاذ محمد جاد الرب فيه شفاء مقبول للعلة اليسيرة فى كلمة « سفحتها » من بيت الأستاذ الشناوى ، أتم الله عليه ، وعلى بيته ، البرء من كل علة .

ولكنى أخالف الأستاذ جاد الرب فى ترجيح رواية (بلك) فى بيت المتنبى لأنها تضطرنا إلى محظور أكبر من محظور اقتضاب الضمير عند تحويل الخطاب من الغائب إلى المخاطب فى بيتين متواليين .

ومن المصادفات أن مسألة الضرورة الشعرية كانت من مباحث سلف كبير للأستاذ جاد الرب : هو الشيخ حمزة فتح الله رحمه الله ، إذ يقول فى الجزء الأول من كتابه المواهب الفتحية – صفحة ٦٠ –

« وقد اختلفوا فى الضرورة فقال الجمهور : هى ما يقع فى الشعر مما لم يقع مثله فى الكلام أى النثر . سواء اضطر إليه الشاعر أم لا . . . . وقال ابن مالك : هى ما اضطر إليه الشاعر ولم يجد عنه مندوحة أى مخلصًا ، واعترضه أبو حيان فى شرحه على التسهيل فقال : لم يفهم ابن مالك قول النحويين فى ضرورة الشعر فقال فى غير موضع : ليس هذا البيت بضرورة لأن قائله متمكن منّ أن يقول كذا . . ففهم أن الضرورة فى اصطلاحهم الالجاء إلى الشيء فقال : إنهم لا يلجئون إلى ذلك إذ يمكن أن يقولوا كذا .. فعلى زعمه لا توجد ضرورة أصلا لأنه ما من ضرورة إلا ويمكن إزالتها بنظم تركيب آخر غير ذلك التركيب ، وإنما يعنون بالضرورة أن ذلك من تراكيبهم الواقعة فى الشعر المختصة به فلا تقع فى كلامهم النثر ولا يستعملون ذلك إلا فى الشعر خاصة دون الكلام ، ولا يعنى النحويون بالضرورة أنه لا مندوحة عن النطق بهذا اللفظ وإنما يعنون ماذكرناه » .

وقد ترك الشيخ حمزة رحمة الله هؤلاء المختلفين على خلافهم . ولم يرجح رأيًا من هذه الآراء على غيره ، ولكن خليفته فى هذا العصر قد أصاب بترجيحه الرأى الذى اختاره ، وهو ترجيح لا مناص منه للفصل فى مسألة من أهم مسائل اللغة وهى مسألة

الاستشهاد على صحة القاعدة اللغوية بما ورد فى الكلام المنظوم ، فليس من المعقول أن نرفض شواهد اللغة فى الشعر العربى القديم ، لأن المحفوظ من الكلام العربى فى الشعر أكثر جدًّا من كلامهم فى الخطب أو الأمثال أو الكلام المرسل على الأفواه أو الكلام المرسل فى الصفحات ، وهو جد قليل .

فإذا أريد تعيين مواضع الاستشهاد الصحيح فى الشعر فلا مناص من استثناء الضرورات وحصر ما ورد منها وما يمكن أن يرد بعد ما تقدم ، ولا مناص من التفرقة بين ما يقوله الشاعر اضطرارًا إذا نظم ، وبين ما يقوله هو بنفسه إذا فاه بالكلام مرسلا أو غير منظوم .

الزمالك وسبب التسمية *

« ينظم التليفزيون برنامجًا بعنوان مسابقة سنة ١٩٦٢ بين محافظات الجمهورية . وفى إحدى الحلقات وفى المباراة ، بين محافظة الغربية والإسكندرية ،وجه المذيع السؤال الآتى : لماذا سمى حى الموسكى بهذا الاسم ؟

وكان من أسئلة الحلقة سؤال عن سبب تسمية حى الزمالك ، لم يأت جوابه الصحيح ولا جواب السؤال السابق من أحد الحاضرين .

وقد قال الأستاذ المذيع يومئذ عن السؤال الأول : « إن رجال الحملة الفرنسية هم الذين أطلقوا هذا الاسم « الموسكى » عندما شاهدوا المساجد الكثيرة الموجودة فى هذا الحى ، لأن كلمة (موسك) معناها جامع بالفرنسية .

وقال عن السؤال الثانى : إن الزمالك قبل أن يشملها العمران كانت تسكنها بعض العائلات السودانية وبعض الصيادين ، وكانت نساؤهم يتزين بنوع من العقود يتكون من السمالك ومفردها (سملك) وهى قطع من البوص يسقط بعضها على الأرض ويلتقطها الأطفال الصغار فيصيحون : سمالك . سمالك ! .. ومن هنا جاءت التسمية !

فما رأى سيادتكم فى الجوابين ؟ . . مع العلم بأننى قرأت فى كتاب عن القاهرة لمؤلفه الأستاذ شحاته عيسى إبراهيم أن حى الموسكى منسوب إلى (عز الدين موسك) أحد أقارب السلطان صلاح الدين ، وأن كلمة الزمالك باللغة الألبانية معناها العشش أو الخصائص المصنوعة من البوص أو القش وكانت كثيرة حول القصر الذى بنى هناك سنة ١٨٣٠ وفيها كان يسكن أناس من خدم الحاشية . فسمى القصر كما سمى الحى كله باسم الزمالك » .

أحمد محمد الرفاعى

مدرس - إسكندرية

---

* الأخبار فى ٢٧/ ٢/ ١٩٦٣

لو صح تحقيق التاريخ بلباقة التخمين لكانت تخمينات المذيع « التليفزيونى » تاريخًا محققا مقبوّلا عند طلاب المجهولات التى لا مرجع لها غير الاجتهاد فى التخمين .

فالجوامع كثيرة فى حى « الموسكى » وإطلاق الفرنسيين اسم « الجوامع » عليه بلغتهم معقول .

ولكن العثرة – هنا – أن حى الموسكى كان معروفًا بهذا الاسم قبل دخول الفرنسيين ! . .

ولو جاز أن يكون الموسكى من الـ (موسك) الفرنسية لم يكن بعيدًا أن يكون (التليفزيون) من قولهم « تلف » بمعنى مدور ، و (زيون) بمعنى المكان المشهور بهذا الاسم ، وسببه أن القادم [illegible] دار التليفزيون [illegible] أو [illegible] [illegible] زيون !

ولقد كانت [illegible] اللباقة [illegible] الجوامع الفرنسية ، ولكنها لو صحت [illegible] إن [illegible] من قولهم « [illegible] » وقولهم (لك) وأصلها أنهم [illegible] يقولون فى ذلك [illegible] « [illegible] » فأطلق عليه اسم [illegible] . .

ويجوز كذلك أن « [illegible] » مأخوذة من قولهم (زه زه) حكاية لصوت الماء وقولهم (لك . لك) حكاية لصوت الكركى وهو يطوف على الماء والزرع . وقد كانت الكراكى تنزل كثيرًا على ضفة النيل من الجانبين .

ولكن العثرة هنا أيضًا أن الكركى قديم وأن الماء أقدم منه ، ولكن اسم الحى جديد لم يعرف بهذا الاسم قبل إقامة الخصاص فيه ، وإقامة القصر على مقربة منها .

والمذيع ، بعد هذا ، يستحق التهنئة بهذه البراعة فى التخمين ، ولكنه لابد أن يتقبل التعزية لكسله عن المراجعة والتجائه إلى التخمين فى مسألة توجد لها عشرات المراجع المطبوعة أو المخطوطة على مقربة منه ، وأقربها إلى الأيدى خطط المقريزى وخطط على مبارك ، وكتاب القاهرة الذى ذكره الأستاذ المدرس صاحب السؤال وكتاب صغير لم يكد يمضى على ظهوره ثلاثة أشهر : وهو كتاب (القاهرة القديمة وأحياؤها) للدكتورة سعاد ماهر ، وفيه – نقلا عن المقريزى وعلى مبارك – أنه قد

ظهرت فى القرن الخامس عشر جزيرتان منفصلتان فى مكان الزمالك الحالية . . . وفى سنة ١٨٣٠ اقام محمد على قصرًا كبيرًا بين المزارع فى الجهة الشمالية من أرض الجزيرة واتخذه للنزهة . وقد أقيم بالقرب من القصر أخصاص وعشش عدة يصطاف فيها رجال الحاشية والحرس ، وعرفت المنطقة منذ ذلك الوقت باسم (الزمالك) . . . كلمة تركية معناها العشش المصنوعة من البوص أو القش لإقامة العسكر بدلا من الخيام » .

وعن الموسكى تقول هذه الكتب مع بعض الاختلاف بينها فى العبارة :

« عرف بذلك نسبة للأمير عز الدين موسك قريب السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب ، وهو الذى أنشأ القنطرة المعروفة بقنطرة الموسكى ، وكان خيرًا يحفظ القرآن الكريم ، ويواظب على تلاوته ، ويحب أهل العلم والصلاح » .

وإذا كان المذيع مسئولا عن سمعة البلد العلمية فى إجاباته العلمية ، وكان فى استطاعته أن يتأنى قبل إذاعة الأجوبة التى يسأل السامعين عنها ، فربما كانت « دار الإذاعة » كلها مسئولة عن إخلائها من « مكتبة » جامعة يعتمد عليها العاملون فيها ، ومن عملهم نشر المعلومات الصحيحة وتزويد السامعين بالخبر اليقين ، ولو لم يكن من أخبار الزمن الأخير .

السنبلاوين*

قرأت يوميتكم عن كلمة أسوان وأصوان بعدد ٢٧ -٩ - ٦٧ ولكن حدثت مناقشة بيني وبين زملائى عن اسم بلدتنا فهو مكتوب على المحطة (السمبلاوين) وعلى مبنى مجلس المدينة (السنبلاوين) . . . فما سبب ذلك ؟ وأيهما أصح ؟ . أفدنى أفادكم الله !

محمد صبرى الزلفى

السنبلاوين

المشكلة فى أمر بلدكم أهون من المشكلة فى أمر بلدنا ياسيد زلفى !

لأن نطق الكلمتين واحد سواء كتبت بالميم أو بالنون ، إذ لا يخفى عليك أن الباء بعد النون تجعل نطقها فى السمع كنطق الميم ، وعلى هذا يقع الخلاف فى كتابة إمبابة وإنبابة ، ونطقها واحد على كلا الحرفين .

وقد حدث مثل هذا الخلاف فى كتابة اسم « أبى سمبل » التى اشتهرت بتماثيلها المعروفة ولا يزال ذكرها يتردد بين صحف الشرق والغرب بالهجاء المختلف لمناسبة الكلام على نقل تماثيلها أو إحاطتها بما يحميها من الماء .

ولكن أبا سمبل – كأسوان – ليس بالمشكلة فى هذا الخلاف ، لأن صحة الكتابة بالميم ظاهرة إذا كان أصل الكلمة من سمبولون Symbolon اليونانية بمعنى الرمز أو الشكل أو المثال ، ولا يخطئ من يكتبها نونًا إذا ردّها إلى أصلها المركب من كلمتين ، لأن حرف النون فى اليونانية أيضًا قد يشبه الميم إذا اقترن بالباء .

أما السنبلاوين فلا سبيل إلى ترجيح صحتها بالنون إلا إذا ثبت أنها تتصل بكلمة السنبلة أو السنابل فى أصل نسبتها ، ولكنه ترجيح لا يزال بحاجة إلى التوكيد ، ولا يبعد أن يكون مرجع التسمية فى السنبلاوين كمرجعها فى أبى سنبل ، إذا ظهر أنها كانت على مقربة من آثار الهياكل والتماثيل ، وليست هى عنها ببعيد ، وسمبولون من سمبلاون جد قريب !

تاريخ قوص*

« .. نشر فى إحدى الصحف كلام عن مدينة قوص . . . وقد سمعت أنكم كان لكم مقام بها بعض الوقت فقد شجعنى هذا على أن أتقدم لكم بهذا معتقدًا أنكم تزيدوننا بيانًا عن تاريخ هذا البلد ، وإنى على الحالين شاكر .

أحمد حنفى نصار

شبرا – مصر

ليس فى بلاد وادى النيل بلد أوفى أخبارًا من قوص فى المراجع العربية ، بعد القاهرة والإسكندرية .

أما فى المراجع الأخرى فقوص هى « قيسيت » الفرعونية القديمة ، وهى باليونانية بلد أبولون رب الفنون ، لأن أبولون عند اليونان يقابل حورس الأكبر الذى يعتقد المصريون الأقدمون أنه ولد فى قوص .

والمهم فى تاريخ هذا البلد العريق أنه من أصلح بلاد العالم لتطبيق فلسفة الجغرافية الاجتماعية أو فلسفة التاريخ الجغرافى كما يسميه بعض المحدثين .

فموقع قوص على النيل ، وإزاء البحر الأحمر ، قد جعلها أقدم البلاد صلة بالبلاد العربية وما وراءها إلى بلاد الصين ، وقد اتصلت ببلاد العرب قبل الإسلام وقبل الميلاد وقبل بعثة موسى عليه السلام ، وكانت قبل الميلاد بألفى سنة مورد التجارة من عدن وسواحل الهند والصين وأفريقية الشرقية ، لأن الطريق إليها أفضل من طريق الشمال الذى كان عرضة للقلق والانقطاع من جراء التنافس الدائم بين دول فارس ودول البحر الأبيض المتوسط ، وكانت لطريقها الصحراوى مزية أخرى لكثرة المناجم فيها ومنها مناجم الحجارة النفيسة ولولاميل الفراعنة إلى سكنى البلاد التى يعمرون شواطئها الغربية

* الأخبار فى ٣/ ٨/ ١٩٥٩ .

بالمقابر الحجرية لاتخذوها عاصمتهم الأولى من أقدم الأزمنة ، ولكنهم قد اعتبروها العاصمة الثانية وظلوا يعتبرونها كذلك حتى انتقل مقر الحكم إلى الدلتا أو إلى الإسكندرية .

وقد عاد إلى « قوص » مجدها القديم فى عهد الدولة العربية ، وتعزز هذا المجد بما يضارعه أيام الحروب الصليبية ، ثم انتظمت طريق المشرق بين البحرين الأحمر والمتوسط فانزوت قوص فى حدود إقليمها وبقيت لها ثروتها الزراعية بعد ما كان لها من ثروة التجارة وثروة المناجم وثروة السلطان ومعه قبلة الأديان على مختلف العبادات ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وبين بلاد الناس . . .

إنبابة أو إمبابة*

كتبنا فى اليوميات كلمة عن تقهقر القطار بنا من « إمبابة » فجاءتنا الملاحظة التالية من الأستاذ « محمد كمال » مدرس اللغة الإنجليزية الأول يقول فيها : « إن الكلمة تكتب بالنون كما وصل إليه بحثى » ويصحب هذه الملاحظة ببحث قيم يقول فى هامشه : « يطلق العامة كلمة إمبابة بالألف المكسورة والميم على المدينة ، والاسم الصحيح هو انبابة بفتح الهمزة وسكون النون وتنطق إمبابة لأن النون تنطق ميمًا باللغة العربية إذا تلاها باء ، وهذا الاسم محرف من أنبوبة أو أنبوب ، فالأنبوب من القصب أو الرمح كلها كأنبوبة ، وكذلك السطر من الشجر والأرض المشرفة والطريق ، ونبب النبات تنبيبا صارت له أنابيب ، وكل هذا الشرح يلائم وصف هذه المدينة ، وضبطها ياقوت الحموى فى معجم البلدان بالضم » .

وقبل الجواب عن ملاحظة الأستاذ الفاضل نحمد له هذه الرغبة العلمية ونود أن يكون مثلا لخدام العلم الذين لا تشغلهم الدراسة عن تحقيق ما حولهم من تواريخ المعاهد والأقاليم .

ثم نبدى شكنا فى اشتقاق اسم المدينة من الأنبوب وتأخير تسمية هذا الموقع العريق إلى ما بعد فتح العرب للديار المصرية ولو كان الاسم عربيًّا متفقًا عليه لما نطقوا الهمزة بالفتح أو بالضم كما روى الأستاذ عن ياقوت .

ولا شك فى قدم هذا الموقع وعلاقته الأثرية بالتاريخ المصرى من أبعد العصور ويدل على ذلك أن مولد الشيخ إسماعيل المنسوب إلى هذه البلدة يقام فى موعده من الشهور المصرية المعروفة بالشهور القبطية ، وظل كذلك مضبوطًا محققًا بموعده السنوى

---

* أخبار اليوم فى ٣١/٣/١٩٥٦ .

إلى ما قبل الحرب العالمية وانتشار وباء الماشية وتأجيل المواعيد المقررة للموالد لجملة هذه الأسباب .

أما تاريخ المولد المعهود فقد كان يوافق ليلة النقطة المعروفة قديمًا بدمعة إيزيس وكان له أوانه فى الشهر الثانى لفيضان النيل نحو العاشر من شهر بئونة والسادس عشر من شهر يونيو ، وكان له موعده من الحساب الفلكى حيث تكون الشمس بين رأس التوأم المقدم ورأس المؤخر أو بين ذراعى الأسد المبسوطة والمقبوضة وهما المعروفتان فى اللغة الإنجليزية باسم Castorpollux

وليس لدينا الآن بيان محقق بأصل الاسم المصرى القديم ، ولكن البيان المحقق الذى لا شك فيه أن الاحتفال السنوى بمولد الشيخ إسماعيل سابق لزمنه وزمن الفتح العربى ، وأنه مرتبط بمواسم الفيضان ومواعيده الفلكية من أقدم الأزمان ؟ .

أسوان*

رأيت فى الأخبار – بعنوان أيهما أصح – صورة ظهر فيها عنوانان لتفتيش رى أسوان وإدارة خزان أسوان ، أحدهما كتب فيه اسم البلدة بالسين والآخر كتب فيه الاسم بالصاد كما يرى حضرات القراء ، وقرأت تحت الصورة سؤالا عن « رأى الاستاذ العقاد ابن أسوان أى العنوانين أصح وأولى بالاتباع ؟ » .

والصحفى الأديب صاحب السؤال قد أشار إلى « مشكلة هجائية » تصادفنى على رصيف المحطة كلما ذهبت إلى البلدة أو رجعت منها ، لأن الاسم مكتوب هناك بالحروف المعدنية البارزة بالصاد كما كتب على إدارة الخزان .

وقد كادت كتابتها بالصاد أن تغلب على جميع الدواوين – حتى المدرسة – منذ انتقلت إليها عاصمة الإقليم أو قبل ذلك بسنوات ، لاعتقاد الكثيرين أن الاسم مأخوذ من « الصوان » وهو الحجر الصلد الذى يكثر فى المدينة وما جاورها .

والذين اطلعوا على كتابتها الصحيحة فى كتب الأدب ومراجع التاريخ توهموا أن كلمة « أسوان » مأخوذة من « الأسى » وهو الحزن الذى يعترى النازحين إليها من بلادهم القصية فيما تصوروه !

وإلى هذا الجناس يشير ابو العلاء المعرى فى قوله من اللزوميات :

أسوان أنت ، لأن الركب وجهتهم   أسوان ، أى عذاب دون عيذاب ؟ !

ولا صحة لهذا الاشتقاق ولا لذلك الاشتقاق ، فإن اسم البلدة عرف قبل الفتح العربى بعشرات القرون ، وذكرته التوراة مرتين ، وورد مكتوبًا فى اليونانية بما يقابل نطقه العربى (سونيه) Syne بغير الألف ، وقيل إن معنى الكلمة القديم (السوق)

---

* الأخبار فى ١٨/ ١٠/ ١٩٦١ .

لأن أسوان كانت منذ فجر التاريخ سوقًا لتجارة السودان وتجارة البحر الأحمر من طريق عيذاب على حدود الصحراء .

ويقول ياقوت الحموى صاحب معجم البلدان إنه قرأ الاسم بخط أبى سعيد السكرى (سوان) بغير الهمزة ، قريبًا من نطقها القديم .

ولم تكتب أسوان بغير السين فى كل ما وردت فيه من كتب الأدب ودواوين الشعراء . ومنه قول دعبل الخزاعى الذى كان واليًا عليها :

وإن امرأ أضحت مساقط رأسه بأسوان لم يترك له الحزم معلما

ومنه قول البحترى :

وبين أسوان والعراق (زها) رعية ما يغبها نظره

ومن قول الكمال الإدفوى :

أسوان فى الأرض نصف دائرة والخير فيها والشر قد جمعا

وكل من ولد فيها ، أو نسب إليها ، من الفضلاء والمشهورين فهو مكتوب بالسين ، كما ورد فى نسبة عبد الوهاب بن أبى هاشم الأسوانى ، ونسبة الرشيد الأسوانى والمهذب الأسوانى ، وأبى يعقوب بن إدريس الأسوانى ، وقحزم بن عبد الله الأسوانى ، وفقير بن موسى الأسوانى ، وغيرهم وغيرهم كثيرون .

فلا خلاف فى أصل الكتابة بالسين ولا وجه لكتابتها بالصاد على مكتب إدارة الخزان ، إلا أن يكون العمل فى « الصوان » مرجحًا لهذا الحرف على الأسماع دون الألسنة ، لأن أبناء النوبة من الشلال إلى الجنوب ينطقونها إلى الآن بنطقها التاريخى القديم ، ولا يبدأونها بالهمزة التى تحتل أوائل الكلمات اغتصابًا ، لتعذر النطق بالساكن فى أوائل الكلمات العربية .

المرناة أو التليفزيون*

أشرنا فى يومية سابقة إلى اقتراح لزميل فى المجمع اللغوى يستحسن فيه ترجمة (التليفزيون) بالمرناء لأن (الرنو) يفيد معنى الالتفات إلى المنظر الحسن كما يفيد معنى الالتفات إلى الصوت الحسن ، مع اشتغال القلب بلهو يستهويه ويروقه ، ولم توجد فى لغات العالم كلمة واحدة تجمع خصائص هذا المخترع الحديث كما جمعتها هذه الكلمة العريقة .

ومن رسائل اليوميات يظهر لنا أن العناية بتعريب اسم هذا المخترع عامة بين أدباء القراء والمستمعين ، ومنهم من يرجح كما رجح الأستاذ سعيد أحمد البطرنى أن اقتراح اسم (المرناء) غير حديث وأن السيد الميرغنى ربما كان هو مقترح هذه التسمية قبل عشر سنوات .

ويفضل أديب بشبرا أن تسهل همزتها لأن (المرنى) أيسر نطقاً من المرناء ، مع اقتناع الكثيرين بصواب اختيار الترجمة من هذه المادة فى معجمات اللغة العربية .

ويلاحظ الأستاذ الغزالى حرب أن المعجم الوسيط الذى أصدره مجمع اللغة العربية قد نقل الكلمة الإفرنجية كما هى ولم يأخذ بترجمتها من مادة (رنا) . . وهو ماذكرناه فى كلمتنا الأولى .

ويوازن الأديب (مهنى أحمد) من بور سعيد بين المرناء والتلفاز التى اقترحها العالم الأديب الدكتور أحمد زكى ، ولكنه يفضل (المرناة) بالتاء بدل الهمزة ، ويذكر من أسباب تفضيله أن اشتقاق الفعل والمصدر منها سهل الشيوع على الألسنة ، فتقال (الترنية) بدلا من التلفزة ، ويقال رناه ورنونه بدلا من تلفزه عند استخدام الأفعال .

ويسأل الأستاذ (السيد أحمد الصردى) المدرس بدسوق بعد تلخيص يوميات

---

* الأخبار فى ١١/ ٩/ ١٩٦٣ .

قرأها فى هذا الموضوع للأستاذ (إبراهيم ناصف الوردانى) فيقول : (لقد جاءت كلمة المرناء هكذا فى يوميات سيادتكم بينما جاءت فى يوميات الأستاذ إبراهيم الوردانى هكذا (المرناة) فأيهما الصحيح ؟ وماذا يقصد الأستاذ الوردانى بقوله عنكم : ماكان أخف دمه ! . . فإن كان حسن النية فشكرًا له . وإن كان يريد غير ذلك فما أكثر خفة دمه ! . . إلخ إلخ) .

ولا أظن أن الأستاذ الصردى يطالبنى بأن أعلم شيئًا عن ذلك الأستاذ الوردانى غير ما أعلمه من جملة شأنه استدلالا على سنه من اسمه . فهو – بهذا الدليل الذى يناسبه – بعض مواليد السنة التى تداولت فيها الأفواه اسم إبراهيم ناصف الوردانى بعد حادثته المشهورة ، وعمره – إذن – يزيد على الثالثة والخمسين ، وما هو بالعمر الذى يحلّ فيه لمثله أن يعرض بضاعته فى سوق خفة الدم ، ولوكان من الدم المحفوظ فى العلب ، بعد فوات الأوان !

تلك بضاعة كاسدة من مثله ، وماكانت خفة الدم – سابقًا – بالتى تنفعه حاضرًا فى هذه السوق ، وإنما هى خفة أخرى تسول له أن يحشر نفسه برأس مال كهذا فى مسألة من مسائل اللغة أو الاختراع أو التعبير ، لم يحسن نقلها بحروف الهجاء ، ودع عنك النقل من معاجم اللغة ومراجع البيان .

ولا تزال كلمة (المرناء) تسرى مسراها حيث شاء لها القدر بين المتحدثين والمستمعين .

المرناة مرة أخرى*

فى اليومية السابقة كلمة « المرناء » بين قوسين .

وفى معاجم اللغة أن « الرنو » هو النظر إلى الشىء المعجب أو الإصغاء إلى الحديث الشائق ويقال : « رنا الرجل طرب ولهًا مع شغل قلب وغلبة هوى . . » ورنى ترنية غنى ورنى إليه حنّ ، والرناء الصوت الحسن ، والطرب .

فالمرناء – إذن – أصلح كلمة فى اللغات جميعًا – لا فى اللغة العربية وحدها – للدلالة على الآلة التى تعطينا المنظر الحسن والصوت الحسن وتعطينا معهما شغل القلب بما يلهى ويوافق الهوى . .

ومما أذكره أن زميلا لنا فى المجمع اللغوى اقترح أن توضع كلمة « المرناء » للدلالة على التليفزيون ، ولعله الدكتور أحمد عمار الذى يعمل فى تصحيح اللغة كعمله فى تصحيح الأبدان .

ولم تتفق الآراء على هذا الاقتراح ، فماذا لو عرضناه لاختيار القراء فى انتظار حظه من القبول والاستحسان .

سأفعل بإذن الله ، وسأجعل المرناء قرينًا للتليفزيون كلما ذكرت هذا أو ذاك ، ونرجو أن نلقاه بعد قليل على الأفواه والأسماع ، ولا يلقى به الحظ العاثر فى زوايا الإهمال .

---

* الأخبار فى ١٤/٨/١٩٦٣ .

بعد فترة الانتقال*

أسلم الآراء فى اعتقادى أن نعمل فى هذه الموضوع بقرار هيئة قومية يجرى انتخابها على أساس قانون عصرى يتكفل بتمثيل الأمة المصرية بجميع طبقاتها وطوائفها ، ولا يشترط فيها شرط من شروط التمييز بالثروة أو بالمركز أو بالسن ، ويصلح لعضويتها كل مصرى بلغ الخامسة والعشرين .

ومتى اجتمعت هذه الهيئة فصلت فى القواعد الآتية :

الجمهورية هل تكون رئاسية أو برلمانية ؟

الهيئة النيابية هل تكون من مجلس أو مجلسين ؟

الانتخابات هل تجرى على قاعدة عامة أو على قواعد نقابية ؟

الأحزاب هل تلغى أو يسمح بوجودها على أسس مقررة ؟

ومتى فصلت الهيئة القومية فى هذه المسائل العامة فكل ما عدا ذلك فهو من قبيل التفصيلات التنفيذية .

الناخب المصرى

والذى أعتقده بالتجربة المتكررة أن الناخب المصرى ناخب حسن إذا ارتفع عنه الضغط والإغراء .

وأحب أن أذكر هنا شيئًا لا يعرف عن مبدأ هذه التجربة المتكررة التى أتحدث عنها ، فإننى جربت الانتخابات قبل أن أبلغ الرابعة عشرة ، وكانت انتخابات الشورى فى مدينة أسوان تجرى بدار المحفوظات « الدفترخانة » التى كان والدى أمينًا لها ، فعرفت

* أخبار اليوم فى ٤/٥/١٩٥٥ .

عنها الكثير قبل الآوان مما لا يعرفه الكبار.

فإذا ارتفع الضغط عن الناخب المصرى فالهيئة التى ينتخبها صالحة للتعبير عن رأيه ، ولها قبل غيرها حق الفصل فى نظام الحكم الذى ترتضيه ، بعد زوال الضغط من سلطان الاحتلال ومن سلطان القصر ، ومن سلطان الإقطاع .

وقد جرت الانتخابات للجمعية التشريعية الأولى على مثال نتمناه الآن ، وأحاطت بالانتخابات ضروب من المناورات التى دبرتها « المعية » والوزارة ومن ورائها عميد قصر الدوبارة ، والشهادة للحق أن هذه المناورات لم يصحبها تزوير ولا ضغط عنيف ، فقاومها الرأى العام أحسن مقاومة ، ونجح سعد زغلول فى دائرتين ولم يكن يريده الخديو عباس ولا كتشنر ولا محمد سعيد رئيس الوزراء فى ذلك الحين .

وفى تقديرى

وفى تقديرى أن الهيئة القومية تحسن صنعًا إذا اختارت نظام الجمهورية الرئاسية ، ونظام النيابة القصيرة الأجل مع تحريم حلّ البرلمان ، فلا تزيد مدة مجلس النواب على ثلاث سنوات ، ولا تتألف منه الوزارة ، ولا يجوز حله بحال من الأحوال .

أما اختيار الهيئة التشريعية فى مجلس أو مجلسين فالرأى الوسط فيه أن تنتخب فى مبدأ الأمر هيئة واحدة ، ثم تختار هذه الهيئة ربع أعضائها ويضاف إليهم مثلهم للقيام بوظيفة المجلس الأعلى أو مجلس الشيوخ ، وأما الأعضاء المضافون فنصفهم يختاره مجلس الشيوخ ونصفهم تختاره الحكومة .

ولنفرض أن عدد الأعضاء فى الهيئة النيابية أربعمائة ، فهذه الهيئة تختار من أعضائها مائة ، وهؤلاء المائة يختارون خمسين عضوًا من غير النواب ويتركون اختيار الخمسين الآخرين للوزارة .

وإذا كانت هيئة المجلس الأعلى منتخبة بغير تمييز بين المصريين فلا ضرر بعد تكوينها

من تمييزها بمدة مضاعفة ، تحول دون التقلقل والاضطراب ، مع تتابع الانتخابات لمجلس النواب .

الإقطاع

وإذا زال الإقطاع ، نظامًا ، فلا ضرر من الإقطاعيين السابقين ، لأنهم كانوا يتمكنون من تسخير الناخبين بسلطان النظام ، فإذا سقط هذا النظام فليس الإقطاعيون من الشياطين وليس الفلاحون من الملائكة ، وكلهم فى تمثيل الأمة على المساواة مصريون .

وينبغى أن أقرر هنا أن رأيى فى القضاء على النظام الإقطاعى قديم يرجع إلى عشر سنين .

ولقد كنت واحدًا من أربعة أو خمسة قدموا لمجلس الشيوخ قانونًا بتحديد الملكية الزراعية .

ويذكر الدكتور هيكل – فيما أعتقد – يوم كان رئيسًا لمجلس الشيوخ أننى قلت له فى مكتبه : إن النظام الاجتماعى الذى يسمح لمثل فلان أن يفوه بمثل كلامه سيعيش طويلًا إن عاش خمس سنوات !

وبهذه العقيدة فى نظام الإقطاع أقول إن الشيطان هو النظام ، وأن المساواة واجبة بعد زواله بغير تمييز للغنى أو للفقير .

الأحزاب

وفى العالم اليوم بلاد تتعدد فيها الأحزاب ، وبلاد يتناوب فيها الحكم حزبان ، وبلاد لا تسمح بغير حزب واحد مع قيام الحياة النيابية .

والحرية الديمقراطية هى سند البلاد التى تتعدد فيها الأحزاب أو يتناوب فيها الحكم حزبان .

أما سند الحزب الواحد فيختلف على حسب اختلاف البلاد .

فالشيوعيون يقولون إن الحزب السياسى يمثل طبقة اجتماعية ولا محل لغير حزب واحد فى بلد حرم تعدد الطبقات .

والنازيون والفاشيون يقولون إن الحكومة « ذات رسالة روحية أو فكرية » وليست هيئة منعزلة تقف بين المحكومين على الحياد ، فمن حقها أن تفرض رسالتها الروحية على غيرها ، وأن تمنع قيام الهيئات التى تعارض هذه الرسالة .

وفى أسبانيا كان سند الحزب الواحد أنه يقضى على فتنة الشيوعية ، وأنه لا بدّ من حزب واحد على الحالتين ، فإما الشيوعية باستبداها وطغيانها ، وإما الحزب القائم بالحكم فى انتظار الوحدة القومية .

ومما لا شك فيه أن مساوئ الحزبية عامة فى جميع هذه النظم ، وربما كان أخطرها نظام الحزب الواحد لأنه يلغى إرادة الفرد وإرادة الأمة وإرادة الحزب نفسه فى النهاية ، أمام المكتب العام المسيطر على الإرادة الحزبية .

والمثل قريب فى روسيا الشيوعية :

إن « ستالين » قد سيطر على روسيا ربع قرن بغير شريك فى السلطان ، لأنه كان سكرتيرًا للحزب الشيوعى .

ولما مات اجتمع ثلاثة آلاف عضو فى الهيئة النيابية فأيدوا مالنكوف ، ثم اجتمعوا قبل عزل مالنكوف بأسابيع فوافقوا على ميزانيته ، واجتمعوا مرة أخرى فوافقوا على استقالته ، ولم يرتفع صوت واحد بالمخالفة أو المناقشة قبل الموافقة ، ولا تمحى إرادة الفرد وإرادة الأمة وإرادة الحزب نفسه كل هذا المحو فى بلد آخر منكوب بتعدد الأحزاب .

* * *

تعدد الأحزاب فى فرنسا

وقد نكبت فرنسا بتعدد الأحزاب ، وحدث هذا التعدد فيها اضطرارًا لظروف كثيرة ، ولكنه لم يكن مخالفًا كل المخالفة لهوى السياسة القومية ، لأن الشعور الفرنسى يتوجس خيفة من كل حزب يتغلب على جميع الأحزاب ، ولا يفرق فى ذلك بين حزب اليمين المتطرف كجماعة ديجول وحزب اليسار المتطرف كجماعة الشيوعيين .

ولا شك أن فرنسا تصاب بكثير من الخسائر المادية والأدبية من جراء التطاحن بين الأحزاب وتقلب الوزارات .

ولكنها مع ذلك قد استطاعت بعد نكبة الحزب أن تلم شعثها وتجبر كسرها ولم تستغرق فى ذلك كسرها ولم تستغرق فى ذلك وقتًا كالوقت الذى استغرقته روسيا السوفييتية .

وإذا وجبت المقارنة بين مساوئ هذا النظام ومحاسنه فلا تكون المقارنة بين فرنسا ذات الأحزاب المتعددة وانجلترا ذات الحزبين ، وإنما تكون المقارنة بين خلافات فرنسا اليوم وبين خلافاتها قبل هذه الأحزاب المتعددة .

فقد كان للخلاف فى فرنسا حلّ واحد هو الحرب الأهلية أو الثورة الدموية ، فأصبح لهذا الخلاف حل آخر فى عهد الحكومات الحزبية ، وجاءت مع هذا الحل أضراره الجسام التى لا تخفى على أحد من الفرنسيين وغير الفرنسيين ، ولكنها أضرار أهون من أضرار .

وليست الحيرة فى السياسة الوطنية بين الخير المطلق والشر المطلق فهذه حيرة لا يحار فيها أحد ، وإنما الحيرة بين ضرر وضرر ولا بدّ فى النهاية من اختيار أهون الضررين .

وما الحيلة فى الأحزاب

إن الخلاف بين الناس فى المسائل العامة طبيعة لا تزول ، ولم يحدث من قبل أن أمة سلمت من الخلاف فى شئونها المقدسة فضلا عن الشئون الدنيوية ، فالمسيحية

مذاهب ، والمذاهب كنائس والكنائس شيع وطوائف .

وعندنا في الإسلام سنة وشيعة ، وفى السنة أحناف وشوافع ومالكيون وحنابلة ، وفى الشيعة إماميون وإسماعيليون وزيديون وغلاة ومعتدلون .

وإذا قمعت هذه الخلافات فإنما تقمع بسلطة مطلقة مستمرة ، وليس استمرار السلطة المطلقة فى الأمة أهون من خلافات الأحزاب .

وربما كان اتفاق الأحزاب شرًّا من اختلافها فى بعض الأحيان ، كما كانت تتفق أو تأتلف فى عهد فاروق وفؤاد لتصبح كلها أدوات فى أيدى القصر يضرب بعضها ببعض ولا يبالى أن يقاومه واحد منها لأنه يقاومه بحزب آخر أو بجملة أحزاب .

والاختلاف على تحقيق المصلحة العامة أرحم وأنفع من الوفاق على تبادل المنافع الشخصية .

وقد كانت تجربة أحزابنا الماضية تجربة محزنة وخيمة العاقبة ، ولكننا لا ننسى الجو السياسى الذى حدثت فيه هذه التجربة ، فإنه جو السلطان الأجنبى والدسائس الملكية وعيوب الإقطاع ، فإذا تبدل هذا الجو فالأمل فى تصحيح التجربة غير ضعيف .

ولسنا نريد أن نستدعى الأحزاب استدعاء قبل أن تخلقها ظروفها الصالحة لقيامها ، ولكننا نريد أن نترك المسألة للعوامل الطبيعة فى أوانها . وأن نوازن بين سلطة مطلقة مستمرة تتصرف فى الآراء وتمنع اختلافها كما نراه ، وبين تجربة تتعلم فيها الأمة مع الزمن ، ولا تتعلم الأمم ولا الأفراد بغير تضحية وبغير خطأ يتكرر واستدراك يترقى إلى الصواب مرة بعد مرة . كما هى سنة الحياة .

والجو النيابى

على أننا نلاحظ أن الجو النيابى يتغلب على فساد الأحزاب كرهًا واضطرارًا بفضل رقابة الأمة التى تبقى منها على الدوام بقية متنبهة يحسب حسابها كل حزب وكل زعيم .

والجو النيابى فى مصر لم يفشل كما فشلت الأحزاب ، لأن المقارنة بالأرقام تثبت

الفارق الكبير فى ربع قرن من الزمن بين مصر سنة ١٩٢٠ ومصر سنة ١٩٤٥ .

فقد كان عدد الأميين أربعًا وتسعين فى المائة فهبط إلى أقل من سبعين . وكانت ميزانية الدولة عشرين مليونًا فزادت على مائتين وخمسين . وكانت مصر مثقلة بالديون ، حكومةً وشعبًا ، فأصبحت دائنة ذات حقوق تستوفيها إلى الآن .

وكانت ولا مصارف فيها ولا شركات لغير الأجانب فأصبحت مصارفها وشركاتها الكبرى فى أيدى المصريين .

وكان فى كل وزارة مستشار إنجليزى ، وفى كل مديرية مفتش إنجليزى ، وفى كل محافظة حكمدار إنجليزى ، وفى كل قسم كونستبلات من الإنجليز نفوذهم أكبر من نفوذ المأمور .

وكان فى كل محكمة عليا قاض إنجليزى ، وفى كل إدارة قضايا مفتشون من الإنجليز .

وكان سردار الجيش ومفتشه إنجليزيين ، وبعض رؤساء الفرق من الإنجليز .

ولم تكن لمصر ثقافة ولا صحافة ، فأصبحت لها دور ناشرة ودور صحفية تناظر مثيلاتها فى الأمم الأوربية والأمريكية .

ولم يكن لمصر كيان سياسى معترف به فى العالم ، فأصبحت دولة لها صوت مسموع فى السياسة الشرقية ولها صوت مسموع فى السياسة العالمية على الإجمال .

وللجو النيابى ضمان ذاتى أو « أوتوماتيكى » إذا صح هذا التعبير ، ولهذا الضمان حدود تتقاصر دونها الأيدى التى تتطاول بالبغى والإجرام . ولولا هذا الضمان لاستطاع فاروق أن يمدّ يده الأثيمة إلى الضباط الأحرار فى مكامنهم فيقضى فيهم بشريعة أسلافه ويشفى منهم ضغينة صدره ، ولا من سميع ولا مجيب .

وهذه حسنة يحسبها فاروق وأمثاله سيئة كبرى ، لأنها أطاحت به من عرشه ، ولكن الحاكم الذى يحس بإحساس الأمة ويفكر بعقلها يعتصم بها ولا يخشاها .

وإن هذا كله ليتم فى عهد الجو النيابى مع اضطراب السياسة الحزبية وتعاون

الاحتلال والاستبداد على كبح الروح الوطنية وتسخير الأمة لمطامع المستعمر ومطامع العرش ومن ورائه أذنابه الذين يخدمونه على سنة التبادل والمداراة .

ففى الجو النيابى مناعة تقاوم أمراض السياسة المصطنعة ، وسيكون الجو النيابى المقبل أسلم وأدنى إلى تحقيق الرجاء بعد خلاصة من المكائد والعراقيل ومن الفخاخ المنصوبة فى الخفاء ، ومن السدود القائمة جهرة وعلانية بغير حياء .

والخلاصة

والخلاصة أن تقرير مصير الحكم فى الأمة مسألة قومية تسأل فيها الأمة وتتوافر فى الهيئة التى تمثلها شروط النيابة الصحيحة بغير تمييز بين المصريين بشروط الثروة أو شروط المركز أو شروط الثقافة .

ولنذكر أن « التربية السياسية » مسألة تعليم اجتماعى وليست مسألة دراسة فى الكتب أو الجامعات .

فليس فى رأينا أن نميز أحدًا من طبقة متعلمة أو نبخس أحدًا لأنه من طبقة جاهلة ، ولا نحب أن نداری الحقيقة التى شهدناها فى انتخابات المهندسين والمحامين والأطباء والمعلمين ، فإنها أمثلة تثبت لنا كل الثبوت أن التربية السياسية الاجتماعية شیء وأن الاطلاع فى الكتب والمعاهد شیء آخر .

وقد ضربنا المثل لهذا قديمًا بالفارق بين الألمان والإنجليز ، فإن التعليم الجامعى والتعليم المدرسى فى ألمانيا لا يقل عن نظائره بين الإنجليز ، ومراجع التبسيط والتيسير عند الألمان أوفر من هذه المراجع عند الإنجليز ، وإنما تدرب الإنجليز منذ ثلاثة قرون على الحياة الدستورية وعلى التوازن فى الطبقات والسلطات ، ولم يعرف الألمان الاستقلال بالرأى فى محيط التربية السياسية إلا بعد الحرب العالمية الأولى ، ولهذا عظم الفارق بين الأمتين وانقادت الأمة الألمانية لساستها بغير روية ولا عزيمة فسقطت من حالق ، وأصبحت اليوم عالة على الدول وهى أحق بأن تناظرها جميعًا فى القوة والنفوذ .

كل المصريين أبناء مدرسة واحدة فى فرقة واحدة ، وكلهم محتاج إلى الخبرة التى

يكسبها بالمحاولة والمزاولة ، ولكنه يكسبها فى ميدانها ولا يكسبها فى غير هذا الميدان .

وإذا اجتمع الممثلون للمصريين جميعًا على سنة المساواة فما أشاروا به فهو صواب ، وما تعرضوا له من خطأ فهم أهل لاحتمال تبعاته والاستفادة من عظاته ، ولا عصمة بعد هذا للأمم ولا للآحاد .

فضيحة لكاتب إنجليزى . .
فى كتاب عن الإسكندرية*
كل عند العرب صابون
الدانمرك تحتفل بذكرى صديق الأطفال

بعد مواسم عيد الميلاد ورأس السنة الشمسية ، تتدفق الكتب من دور النشر والطباعة فى الغرب ، ويصعب على القراء ملاحقتها لولا أنهم قد تشعبوا وتخصصوا فأصبح لكل منهم شأن يعنيه من الكتب والكتاب ، حتى قراء القصص الذين يسبق إلى الظن أنهم طائفة واحدة قد أصبحوا فى الغرب طوائف متعددة تقبل طائفة منها على القصة التاريخية وأخرى على القصة الاجتماعية وغيرها على القصة البوليسية وغير هؤلاء جميعًا على قصص المجون والخلاعة أو قصص الإباحة والأدب المسمى بالأدب المكشوف .

ولولا ذلك لغرق القارئ عندهم كل عام ، فى طوفان من المقروءات لا قدرة له على السباحة فيه .

أما نحن فى الشرق فكل ما نملكه أمام هذا الطوفان أو هذه الطوفانات أن نرجو لبلادنا طوفانات مثلها فى زمن قريب تزخر بالقراء والمقروءات ، وأن نختار من كل بريد فى هذه الصفحات نخبة تناسب المقام ، لأنها متصلة بمصر والديار الشرقية ،أو لأنها قراءة عامة يشترك فيها القراء المختلفون من غير المتخصصين للقراءة المستقلة فى فن من الفنون .

وكشكول هذا البريد كتب ثلاثة . قصة حدثت وقائعها فى الإسكندرية وكتاب يبحث فى علم الضحك ، ودراسة صيفية يكتبها أديب من مملكة السماء السابقة ،

* أخبار اليوم فى ٢/ ٤/ ١٩٥٥ .

ليقارن فيها بين حضارة قومه وحضارة الأمريكيين ، وهو يعيش بينهم ويكتب الكتاب لهم قبل غيرهم ، لأنه مكتوب باللغة الإنجليزية !

قصة فى الإسكندرية

أما قصة الإسكندرية فعنوانها « السنة الجامعية » أو السنة الأكاديمية Academic year إذا توخينا الترجمة الحرفية .

ومؤلفها د . ح إمرايت Emright كان محاضرًا بجامعة الإسكندرية ثلاث سنوات ، وحصل منها على إجازة الدكتوراه فكان الإنجليزى الوحيد الذى حصل على هذه الإجازة من تلك الجامعة وهو الآن يدرس الأدب الإنجليزى فى جامعة كوب اليابانية ، كما جاء على غلاف الرواية .

والمكان كما هو ظاهر فى مدينة الإسكندرية .

والزمان كما هو ظاهر من حوادث الرواية حوالى سنة ١٩٤٥ وما بعدها بقليل ، لأن المؤلف يذكر فيها حوادث إضراب الشرطة والتطوع لحملة فلسطين .

وأبطال الرواية ثلاثة من المدرسين الإنجليز ، أحدهم كهل والثانى بين الشباب والكهولة ، والثالث فى مقتبل الشباب .

وتقرأ القصة فيخيل إليك أن الإسكندرية بلد لا تقع فيه العين على غير المتسولين والمرضى والنسوة المتسكعات فى الطرقات والحانات وسهرات الشراب والمجون .

وإذا تكلم المؤلف من غير ذلك وصف لنا سهرة فى بيت طبيب شرقى متفرنج ينظم الشعر بالفرنسية ويقول إنه لا يهتم بالموضوع وإنما يهتم بشىء واحد وهو الأسلوب ، ويترك الاهتمام بالموضوعات لكتاب الصحافة لأنهم لا يعرفون الأسلوب . . ! وديوان شعره مطبوع فى نسخ قليلة مختارة على ورق سميك يشبه « حشية الغانية » كما جاء على لسان أحد المدرسين الثلاثة .

أو يتكلم عن مصور فى منصب محترم فيقول إن صوره من وحى الحشيش .

أو يتكلم عن سماسرة لا تنقطع لهم صلة بعالم الفساد ، وإن اشتغلوا بالتجارة أو بالصحافة أو بالتدريس .

والحق يقال إن المؤلف قد غدل بعض العدل على غير قصد منه ، فتحدث إلينا عن أبطال الرواية حديثًا لا يشرف ولا يسر ولا يعطيهم الحق فى انتقاد خلق من الأخلاق ، على الإطلاق . . !

أحدهم وأكبرهم يسكر فى البيت وفى النادى وفى الجامعة ، ويحدث من نوادره فى السكر أن تقيم الجامعة احتفالًا عامًّا بالمركز الثقافى تهتم بتنظيمه وتعميم الدعوة إليه ويحضره وزير المعارف وطائفة من العلماء والمشتغلين بشئون التعليم ، ويندب الأستاذ للكلام فى موضوع يختاره فيختار موضوع « الجانب النفعى للتعليم والتربية » . . ثم يأتى اليوم الموعود بعد طوال الاستعداد فلا يحضر فى الساعة المعينة ولا يعتذر بكتاب ولا بحديث فى التليفون ، فيهرول إليه أحد زميليه فيلقاه فى حجرة نومه لا يعى من السكر وحول القنانى الفارغة والصحاف المبعثرة يخطب فيها ويردد آراءه بينها عن الجانب النفعى للتعليم والتربية ! . . ثم يجهد زميله بما فى وسعه لتنبيهه فيعود إليه بعض صوابه ويندفع مع الزميل إلى مكان الاجتماع فى سيارة أجرة ، ثم يرتقى المنصة فى غير دوره ويبحث عن أوراقه فإذا هو قد نسيها فى السيارة وإذا فى جيبه ظرف قديم كتب عليه مسودة قصيدة من شعره ، فيقرأها ويقلب الظرف أخيرًا ليقرأ على صفحته الأخرى عنوانه واسمه ثم يدرك غلطته فيهبط من المنصة إلى الباب مسرعًا كأنه يحاول الهرب ، ويتوقف عند الباب قليلا ليخاطب الجميع قائلا : إن كانت لديكم أسئلة فالزملاء على المنصة يتفضلون بالجواب عنها .

وهذا الأستاذ الكبير – أكبرهم – يغشى المراقص وينتقى منها راقصةً تساكنه وتستقبل ضيوفه ، وينتهى به الأمر إلى الموت قتيلا من جرائها ، لأن ثلاثة من أبناء قريتها يعلمون بمكانها فيساومونه على شرفها ويطلبون عشرين جنيها ويرضى هو بستة جنيهات ، جنيهين لكل واحد من الثلاثة . . فيطعنه أحدهم بمدية وينزف دمه فيموت قبل أن يسعفه الطبيب ، وقد كان معه أحد الزميلين من مبدأ الحوار إلى منتهاه ! . .

والمدرس الآخر يصف لنا سهرة فى بيت أحد الطلاب ، أعدها لتدخين الحشيش وأشباه ذلك من المحظورات ، فيدخن الحشيش حتى يفقد وعيه ويحاول بعد هنيهة أن يفتح عينيه ليرى الراقصة العارية فلا يطيق أن يفتح عينيه ولا أن يحرك قدميه .

ومنهم من يذهب إلى القسم ليتشفع لفتى إغريقى منهم فى قضية شيوعية ، فيغمز له الضابط بعينه ويسأل : أتراك تحب أندريا ؟ فينفى الشبهة ضاحكًا . ويعود الضابط فيقول : إن لم تكن تحبه فأنت تحب أمه أو أخته . . فيكون جوابه أن أمه عجوز وأن أخته لم تولد مع الأسف . إذ ليس له أخوات .

هؤلاء هم نقاد العالم !

ونقاد العالم فى اصطلاحنا هم أولئك الذين يحسبون أنهم خلقوا بوظيفة مفتشين على الأمم ، وعملهم فى التفتيش كله أن يخرجوا منه بمجموعة العيوب والخبائث التى تكشف عن نفسها أو تختبئ من المفتشين فى الجحور والسراديب .

ولم نعرف أحدًا قط من هؤلاء النقاد العالميين أو هؤلاء المفتشين المتطوعين إلا وجدناه « جديرًا » بالسطر الأول من القائمة ، حتى استقر فى يقيننا أن الكشافين لعيوب الأمم من هذا القبيل إنما يشتغلون بهذا الشاغل تعزية لأنفسهم من عيوبهم وشعورًا منهم بالحاجة إلى مقارنة بينهم وبين من هم على شاكلتهم ترضيهم عن مساوئهم وتوحى إليهم أنهم معذورون . . وإلا فماذا يصنعون ؟

إسكندرية مدينة عريقة كبيرة لا تحيط بها تلك الصورة التى انحصرت فيها أوصاف الرواية ، ولكن الأساتذة – نقاد العالم – قد أحاطت بهم صورهم التى رسمها لهم زميلهم فلم تدع شيئًا من محاسنهم أو مساوئهم ، فمن ياترى أحق بالخجل فى هذا الخليط من الأوصاف والأشكال ؟

* * *

علم الضحك

وفى عالم المضحكات المبكيات ، لا ضير علينا أن يدخل الضحك فى عداد العلوم ، وأن يستطيع الإنسان مع تقدم هذا العلم – أن يوصى على صنف من المضحكات بعينه ، فلا يخلط له بصنف دونه ، ولا يباع له بثمن أغلى من ثمنه المقدور له فى معايير الضحك والمضحكات .

ما القفشة ؟ وما النكتة ؟ وما العثرة ؟ وما الريكة ؟ وما المفارقة ؟ وما اللغو ؟ وما المفأجاة ؟ وما المبالغة ؟ وما الجناس بالحروف ؟ وما الجناس بالمعانى ؟ وما اللغز ؟ وما المحاكاة بالحركات ؟ وما المحاكاة بالأفكار ؟ وما هو سوء التفاهم المنفرد ، أو المتبادل ، أو المشترك بين الحاضرين ، أو المشترك بين الحاضرين والغائبين ؟

كل هذه موضوعات للضحك ، وكلها مختلفة الأسباب والتعريفات ، وكلها ذوات فوارق محدودة وإن حسبنا أحياناً أنها كصابون العرب «كله صابون ! »

ولامتسع للتعريفات والفوارق فى مقال ، ولكن النماذج الآتية أشتات من هذه الأنواع يراجعها القارئ ليختبر « درايته » من هذا العلم الجديد القديم ، ويتخذ من الضحك موضوعاً للجد ، ومن الجد موضوعاً للضحك ، إن شاء .

« إذا أصبت لم يذكرك أحد ، وإذا أخطأت ذكرك جميع الناس

« حماتى تقضى اليوم كله حزينة ، لأنها لا تملك ثروة تحرمنى منها إذا كانت حبيبتك كتاباً مفتوحاً ، وضعتها سريعاً على الرف .

عندما يهتدى الحكيم إلى الوقت المناسب للزواج يكون الأحمق أباً ينفق عليه أبناؤه .

قبل الزواج تقبل الفتاة الفتى لتربطه ، وبعد الزواج تربطة لتقبله .

إنه محدث لطيف : إنه الوحيد الذى نجوت منه .

قال لصاحبه : أخلاقى هى كل ما أنا مدين به لأمى ، وقال له صاحبه : أرسل إليها بضعة دريهمات واخلص من دينك .

لا تستمع لنصيحة ، حتى هذه النصيحة !

ولماذا يأكل الخنوص كثيرًا ؟ ليصبح خنزيرًا ؟

جلس الضابط الألمانى ، والمسافر الفرنسى ، وفتاة حسناء ، وسيدة نصف ، فى مقصورة القطار ، ودخل القطار فى نفق مظلم ، فارتفع صوت قبلة ولطمة ، وخرج القطار من النفق فإذا بالضابط الألمانى محمر العين ، وكل منهم يقول فى نفسه غير ما يقوله الآخرون .

الفتاة : عجبى لهذا الضابطَ الألمانى . . لماذا قبل العجوز ولم يقبلنى ؟

العجوز : يالها من فتاة عفيفة جريئة .

الألمانى : إن هذا الفرنسى ليس بأحمق . . إنه ظفر بالقبلة وظفرت أنا باللطمة ؟

الفرنسى : الحمد لله . قبلت ظهر يدى ولطمت الألمانى ، ولم يسألنى أحد .

وهذه نماذج من مئات فى الكتاب الذى يبلغ مائتين وخمسين صفحة ، واسمه تطبيق لما فيه ، لأنه يسمى The Humour of Humour ويصلح أن يترجم بفكاهة الفكاهة كما يصلح أن يترجم بمزيج الفكاهة أو تركيب أجزائها ، وليست تعريفاته ولا فوارقه مبرأة مما يضحك إذا شاء القارئ أن يضحك من السخف والحذلقة ، ولكنها فاتحة موفقة فى هذا النمط من دراسة الضحك ، على وجه السرعة كما يقول الشرقيون وعلى قدم السرعة كما يقول الغربيون .

أما دراسة الضحك على غير هذا النمط فهى أقدم من المؤلف ومن آباء الفلسفة الأقدمين ، لأنهم ضحكوا من تعريفات كثيرة سبقهم إليها الأولون !

بين حضارتين

وتعجبنا من كتّاب الأمريكيين والصينيين صراحة المؤلف الذى يعمل فى إحدى جامعات « الينواز » بالولايات المتحدة ويفاضل بين الحضارتين فلا يجامل القوم إلا بلباقة التعبير !

الأستاذ « هسو » صاحب هذا الكتاب عالم من علماء الأجناس الإنسانية –

انثروبولوجى – يطبق عمله على البلاد التى يعيش فيها والبلاد التى ينتمى إليها .

وخلاصة آرائه أن حضارة أمريكا تبالغ فى المسائل الجنسية كما تبالغ الحضارة الصينية فى مداراتها ، وأن الأمريكيين فرديون ولكن الصينيين عائليون ، وأن الإله عند الأمريكيين صاحب حظوة تتزاحم عليها الطوائف لأن الحضارة كلها طبيعتها الزحام والتنافس والعداء ، ولكن العبادة الصينية تتسع لجميع العباد ويتجه فيه كل متدين إلى محرابه بغير تنافس ولا زحام ويرى الأستاذ أن التعصب الدينى خلّة غير مألوفة فى الأمة الصينية وأن المذابح التى وقعت فى القرن الماضى إنما كان الباعث الأكبر عليها تنازع المبشرين وتشهير كل مذهب منهم بالمذهب الذى ينافسه ويحاول أن يصرف الصينيين عنه ، وتكلم الأستاذ « هسو » فى مواضع متفرقة من كتابه عن العلاقة بين المسلمين والبوذيين ، فقال إنهم يعيشون جميعًا فى سلام ووئام ، وأن المعارك التى نشبت بينهم لا تدور على الخلافات الدينية بل على تنازع السلطات بين الأمراء المسلمين والدولة الطامعة فى التوسع وإخضاع ولايات الأطراف .

قال : والمسلم يتزوج من الأسرة الصينية وإن كان لا يزوج بنته من رجل على غير دينها ، وتعليله لذلك أن المسلم يضمن فى بيته طهارة الطعام والشراب من المحرمات ، وليس ذلك بمضمون فى البيوت التى ينفق عليها أزواج يستبيحون ذلك الطعام أو الشراب .

ويقول الأستاذ « هسو » : إن الشيوعية لم تنتشر فى بلاده إلا لأن المستعمرين يطمعون فيها ويدسون دسائسهم بين أهلها ، وإنها عارض يزول متى زالت سيطرة الاستعمار على الأقطار الشرقية .

قال : والمبشرون على الدوام ينظرون من عل إلى الشعوب التى يدعونها إلى الإيمان بعقائدهم ، وقد عاش ابن فضلان المبشر المسلم بين الاسكندنافيين من أهل الشمال فى القرن العاشر وهم على الوثنية فقال عنهم « إنهم كالحمر المستنفرة » وإنهم قذرون متبذلون فى المسائل الجنسية ولهم عادات شهوانية فى تقديم القرابين من الضحايا البشرية .

ونظر الإنسان إلى مستقبل الإنسانية فقال إن توجيه هذا المستقبل أكبر جدًّا من طاقة الأمة الأمريكية وحدها ، وإن أمريكا نفسها لا تأمن ضياع الحرية إذا لم تتفق مع الإنسانية فى وجهة واحدة تعادل بين مشكلات الفرد وعلاقات الجماعة .

وختم الكتاب بكلمة إبراهام لنكولن التى قال فيها لقومه : « أنقذوا الإنقاذ النبيل أو تراجعوا تراجع الخسة عن الأمل الأعلى والأمل الأخير » .

صديق الأطفال والشيوخ

ووصل البريد الأخير وفيه أنباء الاستعداد فى الدوائر الأدبية ودوائر التربية – للاحتفال بذكرى هانس أندرسون أديب الدانمرك الكبير الذى اشتهر فى الغرب باسم صديق الأطفال ، ومن حقه أن يسمى كذلك بصديق الشيوخ ، لأن الطفل الذى يسر بقراءته وهو فى العاشرة أو ما بعدها بقليل يعود إلى السرور به أضعافًا مضاعفة حين يفهمه حق الفهم بعد الخمسين أو الستين .

واليوم – الثانى من شهر إبريل – هو اليوم الذى ولد فيه هذا الصديق المتنازع عليه ، أو صديق الجميع ، قبل مائة سنة فى قرية من قرى الدانمرك مجهولا فى قرية مجهولة ، فلم تدركه الشيخوخة حتى كان اسم تلك القرية من أسماء الأعلام العالمية ، وحتى أصبح من تقاليدها أن تضاء فيها المشاعل كل عام وأن يمشى فى موكبها الكبار والصغار تكريمًا للصديق المحبوب فى كل دار .

ومن الخير أن يذكر أندرسون فى الحضارة الغربية لأنه ردّ للطفولة اعتبارها وجعلها فى تلك الحضارة شيئًا محسوبًا له حساب فى المطبعة والكتاب .

ولا نعنى هنا التعليم فإن الناس علموا أطفالهم منذ ولد لهم أطفال ، ولكننا نعنى كتب المطالعة التى يقرأها الطفل باختياره كما يقرأ أبوه الكتاب الذى ينفعه أو يسليه .

والأمم الغربية آخر الأمم التى عرفت للطفولة هذا الاعتبار ، وإن كانت دعواها العريضة أنها سبقت جميع الأمم إلى المناداة بالحقوق فى البيت وفى الندوة وفى السوق .

ولغاتهم كلها – أو معظمها – شاهدة عليهم بالحقيقة التى لافرار منها .

إن الضمير الذى يشار به إلى الطفل فى اللغات الغربية هو ضمير الجماد أو الضمير الذى يشار به إلى الأشياء .

واللغة العربية – على كثرة الفروق بين ضمائر العقلاء وغير العقلاء فيها – لا تذكر الطفل إلا بالضمير الذى يذكر به الكبار من الذكور أو الإناث .

فاللغات الغربية إما أن يذكر الطفل بضمير الجماد أو تسوّى بينه وبين الجماد ، ولكننا نقول : هو الطفل وهى الطفلة ومن كان من الأطفال ، لا ما كان !

وقبل أن تؤلف كتب الحكمة على ألسنة الحيوان فى أمة من الأمم الأوربية ، كانت هذه الكتب من مطالعات الأطفال بين الشرقيين من الهند والصين إلى وادى الفرات ووادى النيل .

هذا مقياس من مقاييس الحضارة لم يذكره الأستاذ الصينى وهو يقارن بين الحضارتين .

ولكنه فى ذكرى صديق الأطفال والشيوخ أحق شىء أن يذكر للوفاء بحق الكاتب الذى كان فى هذه الخصلة شرقيًّا من الشرقيين . .

الإسلام والتطور*

ونحمد الله أننا سنحمده مرة أخرى قبل ختام هذه اليوميات لما نرى من الغيرة على العلم والدين بعد الغيرة على الفن وعلى اللغة .

يقول « السيد نجدى صبرة » إنه اطلع فى إحدى الصحف يوم ١٩ أكتوبر على كلام بعنوان أفكار سريعة يقول كاتبة إن مقدمة برنامج « عشرون سؤالا » [1] قالت :

أولا : أنه ليس للإسلام كنيسة منظمة .

ثانيا : إن الإسلام لا يتطور بسرعة ، ووجهت اللوم إلى رجال الفكر أنهم لم يطوروا الإسلام ، وهاجمت بعض النظم المنصوص عليها فى القرآن فيما يتعلق بإباحة تعدد الزوجات .

ثم يقول « السيد نجدى صبرة » إنه يستطلع الرأى فى الرد على هذه الملاحظات انصافًا للحقيقة وللدين .

وجملة الرأى المتفق عليه فى الموضوع كله ، على ما نعتقد ، أن ندوة العشرين سؤالا قد أحسنت فى اختيار مسألة الزواج للبحث فيها وإسماع جمهرة المستمعين طرفًا من مناقشات الحاضرين حولها لأن هذه المسألة من أولى المسائل بالمناقشة فى مجالس عامة يشهدها الشباب ويشتركون فى بحوثها .

ولكنها كانت جديرة بالاستعداد لها من جوانبها المتعددة ، لأنها تتشعب إلى مذاهب شتى من نواحيها التاريخية الاجتماعية ، ونواحيها الأخلاقية العاطفية ، ونواحيها الدينية التقليدية .

وإذا بحثنا من ناحيتها الدينية التقليدية فمن الواجب أن يحيط البحث بتفاصيل

---

* الأخبار فى ١٩٦٣/١٠/٣٠ .

(١) كانت تلك المقدمة السيدة ليلى رستم .

التطور الإنسانى (الانثروبولوجى) فى هذه المسألة ، وأن يضاف إلى ذلك شىء جوهرى غير النظر فى تفاصيل التطور ، لأن التطور – كما هو معلوم – يتناول المسائل التى تتعلق بالمصالح المتبدلة بين زمن وزمن وبين أمة وأمة ، ولكن الدين ينظر إلى مقصد آخر غير هذه المقاصد التى تتبدل على هوى الجماعات والأفراد ، كلما خطر لها ذلك بغير وازع غير المنفعة المتبدلة .

وذلك المقصد الآخر الذى يصاحب أدوار التطور « المصلحى » فى عقائد الدين هو مقصد الإيمان بضمير إنسانى يدين بالواجب أمام الله ، وأمام المعبود فى العقائد الدينية كيفما كان اسمه ومسماه .

فالمسيحية يوم قام فيها بين آبائها الأولين من يستحسن الزواج من امرأة واحدة لم تفعل ذلك رعاية لتطور المرأة فى مكانتها الاجتماعية ، لأن المرأة بقيت على مكانتها المعهودة قبل المسيحية إلى ما بعد ظهور المسيحية بمئات السنين ولم يزل أناس من رجال الدين والفكر إلى القرن الخامس عشر يبحثون عن خلاص المرأة وهل هى ذات روح يتعلق بها الخلاص أو هى جسد محض يهلك بعد مفارقة الحياة كما تهلك جميع الأجساد .

وإنما استحسن الرسل والآباء الأكتفاء بالزوجة الواحدة لأنه شر أهون من شر الزنى وعصمة لمن لا يصبر على شدائد الرهبانية .

وقد قال بولس الرسول فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس إنه : « حسن للرجل ألا يمس المرأة . ولكن لسبب الزنى ليكن لكل واحد امرأته ولكل واحدة رجلها » .

ثم قال : « ولكنى أقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا ، ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا لأن التزوج أصلح من التحرق » .

ولم يكن حكم التطور هو الذى قضى بإنصاف الإسلام للمرأة فقد كان العالم الإنسانى كله وظل بعد الإسلام مئات السنين ينكر على المرأة على حق من الحقوق الاجتماعية والاقتصادية ويعاملها معاملة الرقيق ، بل معاملة الحيوان الأعجم ، يوم أمر الإسلام برعاية الحقوق والواجبات فى معاملة النساء : « ولهن مثل الذى عليهن

بالمعروف » . . و « أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى » .

ولم يكن حكم الإسلام فى تعدد الزوجات خلقًا لهذا النظام فى تاريخ الأمم القديمة أو الحديثة ، ولا كان الإسلام موجبًا لتعدد الزوجات يستحسنه ويحض عليه ، لأنه نهى عن تعديد الزوجات من لا يستطيع العدل بين النساء ، وجاء بحدود لم يكن لها وجود فى دين من الأديان ، وإنما كان تعدد الزوجات فوضى بغير حدود وكان من أنبياء بنى إسرائيل من يجمع بين ألف من الزوجات والسرارى والإماء .

والأمر الذى يغفل عنه الكثيرون أن إباحة تعدد الزوجات فى الإسلام إنما هو فى حقيقته رخصة للمرأة التى تريده باختيارها وليس رخصة للرجل إذا أراد .

فمهما يكن من إرادة الرجل فهو لا يستطيع البناء بامرأة واحدة لا تختاره فضلا عن الجمع بين امرأتين أو ثلاث أو أربع على هواه .

وإذا كان قبول المرأة شرطًا واجبًا لصحة كل زواج فالرخصة إذن فى مصلحة المرأة التى تختاره وترى من أحوالها فى الأسرة أنها هى الرابحة فى هذا الاختيار .

ولقد عرفنا نحن كما عرف غيرنا أحوالا غير نادرة كانت المرأة توازن فيها بين جميع الاعتبارات فتخرج من هذه الموازنة بتفضيل تعدد الزوجات على ما عداه .

رجل كان متزوجًا من ابنة خاله مضت عليه سنوات لم يرزق فيها البنين ، وثبت بالتحليل الطبى أن زوجته هى العقيم . وقد علمنا أن الزوجة هى التى كانت تحث ابن عمتها على التزوج من امراة تنتقيها له بعلمها ، وكان ذلك خيرًا عندها من الطلاق ، أو بقاء الرجل عقيمًا مدى الحياة محرومًا من الذرية . . ولو أنها رأت غير هذا الرأى لكانت مثلا فى « الأنانية » البغيضة تهون معه كل أنانية الرجل المزواج .

وامرأة أخرى أصيبت بالشلل ولم يستطع الرجل أن يعينها بخادمة تنقطع لملازمتها ولا بخادم يصلح لمعونتها على ضروراتها ، وكان حلّ المشكلة كلها فى الرضى بتعدد الزوجات وبالجمع بينها فى البيت وبين قريبة لها تعطف عليها وتنقذها من معيشة المرأة المشلولة المطلقة بعد خروجها من بيت زوجها .

فإذا قيل إن الزواج لا يتعدد كله لأمثال هذه الأسباب فلا حيلة فى الحقوق التى

يساء استعمالها ولا رقابة عليها لغير ضمائر أصحابها ، وإذا كان فى هذه الحقوق التى يساء استعمالها ذنب لأحد من الزوجين فذنب المرأة أسوأ من ذنب الرجل الذى قبلت أن تعيش فى كنفه مع ضرتها .

أما إذا قيل إنها ضرورة الحاجة فمن ظلم الشريعة أن تحرم المرأة تدبير حاجتها وأن تفرض عليها حرمانًا أشد عليها من الحرمان الذى ترتضيه .

وللضرورات الاجتماعية والفردية حقها من رعاية الشريعة الحكيمة العادلة وبعض هذه الضرورات قد يظهر منه أن الحكم على الشرائع ومصالح الاجتماع أعظم جدًّا من أن يتسع له رأس صغير يخيل إليه أن قصص الجيب هى المطالعة الوحيدة اللازمة لفض المشكلات والإفتاء بلغه (حرام) فى تطور الأديان وشرائع الأسر والجماعات .

رسول السلام يبارز ! *

فاتنى ولم يفتنى

فاتنا أن نشهد الحفل الذى أقيم فى القاهرة تحية لذكرى الفيلسوف العظيم عمانويل كانت لانقضاء مائة وخمسين سنة على وفاته . ولكن لا يفوتنا أن نشكر الدكتور عثمان أمين لقيامه عن أدباء مصر بهذا الواجب وسداد هذا الدين الذى يستحقه الفيلسوف فى ذمة كل شرقى على الخصوص وكل مناهض لزبانية الطغيان والاستعمار .

وإنما يعزينا عن هذا السهو – فى هذه الذكرى الأخيرة – أننا سبقنا الدكتور عثمان أمين إلى قضاء هذا الدين بثلاثين سنة ، ولعلنا انفردنا يومئذ بتحية الفيلسوف العظيم فى هذه الديار ، فكتبنا عنه فصلين لانقضاء مائتى سنة على مولده سنة ١٧٢٤ وسرنا يومئذ أن يطلع عليهما الدكتور جرمانوس المستشرق المجرى فيقول : « إنه يتكلم الألمانية منذ صباه وأنه يقرأ (كانت) ويقرأ شراحه باللغة الألمانية ، ولكنه لم يفهم (كانت) بتلك اللغة كما فهمه من ذينك المقالين باللغة العربية . . » .

سابق لأوانه وفى أوانه

وخير ما يذكر به فيلسوف العصور الحديثة الأكبر أنه نشأ فى القرن الثامن عشر ولا يزال سابقًا لأوانه فى القرن العشرين ونحسب أنه سيظل سابقًا لأوانه عدة قرون .

ويقال ذلك فى المحسوسات كما يقال فى المعقولات ، فإنه قرر مكان السيارات الشمسية التى كشفت بعد تقدم التلسكوب وهو لا يعوّل على شىء غير التقدير المضبوط والحساب الدقيق .

ويظهر فضله فى هذه الفطنة النافذة متى علمنا أن الفيلسوف هيجل خليفته فى

---

* أخبار اليوم فى ٢٠/٢/ ١٩٥٤ .

الشهرة العالمية ، والذى ولد بعده بنحو أربعين سنة ، قد سخر من علماء الفلك لأنهم يبحثون عن سيارة ثامنة . . قال : ولو أنهم نظروا فى مباحث الفلسفة بعض نظرهم فى مباحث علم الهيئة لوضح لهم أن السيارات سبع ، ولا يمكن أن تكون أكثر من سبع ، ولا أقل من سبع بأى حساب .

ولم يكد كتابه الذى يقرر فيه هذه البديهية على زعمه يظهر وينتشر بين المؤمنين به ، ومنهم كارل ماركس ، حتى أعلنت المراصد الفلكية ظهور سيارة ثامنة وانتظار سيارات أخرى لم يبلغها الرصد إلى ذلك الحين ! . .

إن دقة (كانت) فى هذه المحسوسات تجاريها ، بل تسبقها ، دقته فى المعقولات ، ومنها قضية الاستعمار وقضية السلام .

فقد كان الاستعمار يومئذ يخطو فى الشرق والغرب خطواته الأولى ، وكان الحكيم يتطير من عواقبه على السلام العالمى وينبئ الناس بالحروب الكثيرة والثورات الجانحة التى تهددهم من جراء مطامع المستعمرين ، وكان اعتقاده الذى أعلنه فى بروسيا ولم يحذر عواقبه أن القضاء على الاستعمار مرهون بقيام الحكومات الجمهورية التى لا تستغل جهود الأكثرين لإشباع نهمة الأقلين .

مبارزة بسلاح البرهان

وعلى رصانته الراجحة كان أصحابه يعلمون أن إثارة موضوع الاستعمار كافية لاستدراجه إلى الكلام والإفاضة فى الشرح والتعليق ولو فى الطريق . فاتفق يومًا فى حديقة عامة أن أناسًا من أصحابه استوقفوه وفتحوا معه موضوع الحرب بين بريطانيا العظمى والثوار الأمريكيين ، فنسى نفسه وحمل على الدولة البريطانية حملة شعواء وانتصر لكل أمة من أمم الشرق والغرب تطمع فيها دول الاستعمار .

وإنه لينطلق فى هذه الحملة العنيفة إذا برجل قوى ينحنى أمامه ويدعوه إلى المبارزة .

وسأله الفيلسوف : ولم ياصاح ؟

قال الرجل : لأننى إنجليزى ، وأنت منذ ساعة تهين بلادى على مسمع من هؤلاء .

ولا ننسى أن الفيلسوف الذى كان يقتحم الأخطار الكبار بشجاعته الأدبية لم تكن له قدرة كهذه القدرة فى مبارزات السلاح ، ولم يعرف السلاح قط فى حياته التى قضاها بين المعاهد والمكتبات ، وكان هذا المارد الفكرى قزمًا ضئيلا لا تزيد قامته على خمسة أقدام ، وقلما تقوى رجلاه على حمله برأسه الكبير.

ولكنه لم يتلجلج ولم يتلعثم أمام دعوة المبارزة ، وقال له إنه يختار سلاحه ويبارزه بسلاح البرهان . . لأنه هو السلاح الذى وقعت به الإهانة ، أو وقع به العدوان !

وغنى عن القول أن صاحبنا قد اختار سلاحه وهو عارف بقوته فيه ، فلم يلبث خصمه أن اعترف بالهزيمة وطاب له حديثه فاسترسل معه فيه ، ولم يشعر بنفسه إلا وهو على مقربة من مسكن الفيلسوف ، والفيلسوف يدعوه إلى زيارته ! فكانت هذه الزيارة فاتحة الصداقة الطويلة بين الخصمين !

فى أوانه بالسنة واليوم

ومن المصادفات التى تتفق كثيرًا فى سير نوادر العبقريين أن هذا الحكيم العظيم الذى يقال عنه بحق إنه سابق لأوانه فى علمه وتفكيره قد كان مرهونًا بوقت معلوم فى رسالته الفكرية ، وكاد هذا الوقت المعلوم أن ينطبق على أيام عمله بالسنة واليوم ، فلو تقدم قليلًا أو تأخر قليلًا لضاع فى الظلمات وذهب اسمه بين غمار المنسيين والمجهولين .

قال شوبنهور : « إن عمانويل كانت كان الجوهرة العليا فى تاج فردريك الكبير فما كان لمثل (كانت) أن يعمل أستاذًا بمرتب من الدولة فى ظل حكومة أخرى من حكومات الكرة الأرضية ثم يؤذن له بما قاله فى كتبه عن الملوك ، ولو أنه تقدم قليلًا أو تأخر قليلًا لما كان عندنا ذلك الشخص المسمى باسم عمانويل كانت ، ويندر أن يكون الحكام من الرجال العظام ، فإذا بلغ من عظمتهم أن يدركوا عظمة الآخرين فهم جدراء بالحمد من بنى الإنسان » .

وقد حدث فعلا بعد موت فردريك الكبير أن ابنه غضب على الفيلسوف ونقم عليه

جرأته فى آرائه ومعتقداته ، ولكن الفيلسوف كان قد فرغ من أهم كتبه وأدى أمانته وافيةً لتلاميذه ومريديه ، وكان قد شاخ وبلغ السبعين وأحب الإخلاد إلى الراحة ، فكّف عن الكتابة المثيرة واعتذر بطرفة من طرف المعاذير لا نذكر لها نظيرًا غير اعتذار فرنسيس باكون من نوع آخر ، قبل ذلك بنحو مائتى سنة . .

فأما كانت فقد كان عذره أن كلامه غامض لا يفهمه أحد من عامة القراء فلا خوف منه عليهم ، ولم يكذب كانت فى هذا الاعتذار ، بل لعله بالغ فى الاعتدال حين قال إن عامة القراء وحدهم هم الذين لا يفهمونه . . وإنه ليعلم أن صديقه « هرتز » من طبقة المفكرين قد أعاد إليه كتابه قبل أن يتمه ، وقال إنه يعيده إليه قبل أن يذهب به إلى المارستان !

أما اعتذار فرنسيس باكون فقد كان تحفة أخرى من تحف الأعذار الغريبة ، لأن هذا الفيلسوف – إمام الفلسفة التجريبية – كان كبيرًا للقضاة فاتهم بالرشوة فلم ينكرها ، ولكنه قال إنه كان يتقبل الهدايا من الخصمين ليقاوم الزيغ والانحراف ، ويضطر إلى الحكم بينهما بالإنصاف !

ولم تكن توبة نصوحًا من جانب رسول السلام والمسالمة ، فقد عاد إلى الكتابة عن الثورات والأخلاق فلم يقلع عنها إلا وقد علت به السن وأطبق الخرف على ذلك الدماغ الضخم وودع الحياة وهو لا يعلم أنه يودعها ويستقبل ما وراءها . ومن سخرية المقادير أن ذلك الرأس القوى الذى حاول أن يحيط بما بعد الحياة والموت ، قد مات وهو لا يعلم أنه يموت !

قزم آخر جبار

والقزم الآخر الذى نعنيه هو المهاتما غاندى أو القزم الضئيل والروح العظيم . وقد كتبنا فى الأسبوع الماضى عن صيام الأستاذ فريد وجدى واقتصاره فى طعامه على النبات ، فكتب إلينا من يسأل : هل كان يقفو أثر غاندى فى هذه الفلسفة

النباتية ؟ وكيف يحرم الأستاذ وجدى ما أحل الله من الطعام وهو متدين مؤمن بالإسلام ؟

ولا نتوسع فى المسألة من جانب الدين فهناك من هو أولى منا بالكلام فى الفتاوى الدينية ، ولكننا نحيل السائل على الحوار بين أبى العلاء المعرى وداعى الدعاة فى هذه المسألة ، ونزيد عليه أن الحلال لا يستلزم الوجوب ، وأن الرجل الذى يكتفى بزوجة واحدة لا ينقص الدين لأن تعدد الزوجات مباح !

ونحن نعلم أن الأستاذ فريد وجدى لم يقصر طعامه على النبات محاكاة لغاندى ، لأن اسم غاندى لم يعرف فى مصر قبل أربعين سنة وليست النباتية فى مذهب غاندى وفى مذهب وجدى بالشيء الواحد ، فإن المذاهب البرهمية تحرم أكل الحيوان لقولها بعودة الروح إلى الأجسام الحيوانية ، وأما الأستاذ وجدى فقد كان يقصر طعامه على النبات رياضة ورحمة واعتقادًا منه بموافقته لصحته وعمله ، ورأيه فى هذا يتابعه عليه الكثيرون .

والفيل وابن عرس

ويعرض كاتب الخطاب لقوة الجسد وضخامته وعلاقة اللحوم بهذه القوة وهذه الضخامة ، ونظنه قد اطلع على تاريخ غاندى وعلم منه أنه خالف دينه فى شبابه وأقدم على أكل اللحوم من باب الوطنية والرغبة فى مقاومة السيطرة الاجنبية ، إذ كان إخوانه الشبان يعتقدون أن قوة الإنجليز وطول قامتهم مستمدة من غذاء اللحوم ، وأن الهنود قصار مهزولون لانقطاعهم إلى أكل النبات ونقص الغذاء فى طعامهم منذ عهد قديم ، وفى هذا المعنى نظموا أبياتًا باللغة الإنجليزية ترجمناها إلى هذه الأبيات العربية يوم كتبنا سيرة المهاتما أو الروح العظيم :

انظر إلى ابن انجلترا ... منتصرًا مظفرا
يسطو على الهندى ... والهندى يشكو القصرا
لأكله اللحوم طال ... واستطال وازدرى

ولا نتوسع أيضًا فى علاقة اللحم والنبات بالقوة والضخامة ، فيكفى أن نشير إلى الفيل وهو من أضخم الحيوانات ولا يأكل غير النبات ، وأن نشير إلى ابن عرس وهو من أصغر الحيوانات وشهوة الافتراس والولوغ فى الدم عنده أقوى الشهوات .

وأعجب العجب أن شبان الهند قد فاتهم مثل الفيل وابن عرس وهم أقرب الأمم إلى هذا المثل وأحق الناس أن يذكروه ، ولعلها البطون قد غلبت فى هذه المحنة على الرءوس .

ومن بحره

والضمير فى هذه المرة عائد على سلاح البرهان الذى تقدمت قصته فى مبارزات الفيلسوف ، عدو الحرب والاستعمار .

ولا حرب مادام فى الوسط مقياس فاصل من البرهان الصحيح ، وبخاصة حين يكون البرهان قائمًا على حساب الإحصاء وأرقام التاريخ .

إن الأستاذ الشناوى يحدثنا عن الأدباء الذين سألوه عن الحرب بين العقاد وسلامة موسى ، ويعقب على موضوع السؤال ملخصًا ماكتبه الأستاذ سلامة موسى حيث يقول : « إن الفساد يوجد أيضًا فى الأمم التى يختلط فيها الجنسان ولكن شتان بين أمة يتخصص فيها أذكى شعرائها فى الفحش والشذوذ وبين أمة يؤلف فيها شاعر من شعرائها قصة أو بيتًا من الشعر فى هذا المعنى » .

ثم يستطرد الأستاذ الشناوى فيبرأ إلى الله من صب البنزين على النار ويكتفى بأن يذكر « الأستاذ سلامة موسى بأن شذوذ أوسكار وايلد أحدث من الفضائح والمآسى فى لندن ما لم يحدثه شذوذ أبى نواس فى بغداد وقد انتهى شذوذ أوسكار وايلد بقضية سجن فيها سنتين » .

ونعود إلى حساب الإحصاء وارقام التواريخ .

فالأستاذ سلامة موسى يحسب أن مجون أبى نواس قد استغرق كل شعره أو أكثره فيخطئ فى عدد الصفحات وفى عدد الأبيات .

لأن ديوان أبى نواس مشتمل على تسعة أبواب هى أبواب المديح والرثاء والهجاء والعتاب والزهد والطرد والخمريات والغزل والنقائض مع الشعراء ولم يكن مجونه إلا جزءًا من بابى الغزل والخمريات .

وقضية أوسكار وايلد لم تنته بسجنه كما قال الشناوى بل جرّت ذيولها إلى أيام الحرب العالمية وشغلت الخافقين بالقضية التى عرفت فى انجلترا باسم قضية الكتاب الأسود ، وبقيت فى ألمانيا النازية وغيرها من الاقطار الأوربية .

الكتاب الأسود

أما قضية الكتاب الأسود فقد كان الباعث عليها تمثيل رواية « شلومة » التى مثلت فى باريس وبرلين قبل أن تمثل فى البلاد الإنجليزية ، وكان تمثيلها محظورًا على المسارح العامة فمثلتها جماعة المسرح المخصوص وقصرت حضورها على المشتركين فى الجماعة .

وهنا انبرى بمبرتون Pemberton عضو مجلس النواب وصاحب صحيفة « الساهر » فحمل على هذه الجماعة وقال إنهم فئة من سبعة وأربعين ألفًا موصومين بالشذوذ الجنسى ومنبثين فى المراكز وفى دوائر المجتمع على اختلافها ، وأسماؤهم جميعًا محصورة فى سجل محفوظ عند إدارة المخابرات الألمانية يستخدمونه فى التهديد والاطلاع على الأسرار ، وخص بمبرتون بحملته فتاة راقصة مشتركة فى جماعة المسرح المخصوص ، تتطوع لتمثيل دور شلومة وتستبيح فى تمثيله ما لا يستباح على المسارح الإنجليزية !

ثم ساقته هذه الفتاة إلى المحكمة ، ودافع بمبرتون عن نفسه فدل على نسخة الكتاب الأسود التى وصلت أخبارها إليه ، وزعم أنها منقولة من الكتاب الأصيل ومودعة عند الأمير وليام فيد Vied الألبانى الذى كان ملكًا لألبانيا أثناء الحرب العالمية الأولى .

وأخطر ما فى القضية أن بمبرتون جاء بشهودة الذين اطلعوا على الكتاب إلى المحكمة فذكروا بعض الأسماء التى اطلعوا عليها فى الكتاب ومنها اسم القاضى دارلنج Darling الجالس لمحاكمته ، وأسماء أناس من الوزراء والقادة .

ولما وصل الشاهد إلى سرد الأسماء قاطعة القاضى وأمره بالسكوت وقال له فى حدة وغضب : « إننى لم أعترض أقل اعتراض على تصريحك باسمى فى هذا الصدد ، ولكننى أصر على حماية الغائبين عن الجلسة » .

ودعى للشهادة فى هذه القضية لورد الفريد دوجلاس عشيق أوسكار وايلد الذى كان يومًا من الأيام موظفًا بالوكالة البريطانية بالقاهرة ، فسئل عن ترجمته للمسرحية الفرنسية إلى الإنجليزية فكانت شهادته وتعقيبات المعقبين عليها وصمة لا حاجة بنا إلى تفصيلها ، ولكنها هى وما شابهها مما هو أقذر من كل مجونيات أبى نواس مدونة فى تقارير النفسانيين ، وبعضهم علماء مختصون يرتفعون بنسبة الشواذ فى ألمانيا نفسها — حيث يحفظ الكتاب الأسود — إلى أكثر من عشرة فى كل مائة ، ويرد فى هذه التقارير أسماء غليوم وبيلوف وطائفة من زعماء النازيين .

وقد سئل المحلفون عن رأيهم فى بمبرتون هل هو مذنب أو غير مذنب فاتفقوا بعد اجتماع قصير على أنه غير مذنب ، واضطر القاضى دارلنج إلى إعلان براءته ، وهى براءة لا يخفى ما تدل عليه .

ثم عاش بمبرتون إلى أن توفى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بسنتين ، فعاد الحديث عن القضية لهذه المناسبة وضمنها مونتجمرى هيد من رجال القانون والبرلمان كتابًا خاصًّا عن القضايا التى غيرت القانون .

فليست فضائح لندن وبرلين وباريس ونيوريوك بأهون من فضائح بغداد ، وليس الراقصون بالليل والنهار بأشرف ممن لا يرقصون ، وليس إحصاء الكتاب الأسود فى عاصمة واحدة بأقل من إحصاء الديوان النواسى وما احتواه من القصائد والأبيات .

وتهميشات

وننتقل إلى الهامش فنقول « أولا » إنها سواء كانت حربًا أو غير حرب فماذا يضير الأستاذ سلامة منها ؟ . . إنه لخليق أن يوقن بالتطوع لمؤازرته من أولئك الذين يعنيهم العقاد جدا ، أو يعنيهم جدا جدا ، فيقولون الأرض كلما قال السماء ، ويقولون اليسار

كلما قال اليمين ، ويقولون لعنه الله كلما قال حياه الله !

وواحد منهم على ما تظن يخصنا بعنايته فى اختيار الصور . ونطمئنه على ذخيرته فنؤكد له أن عندنا صورًا لنا نحفظها « أشوه » من كل صورة فى يديه ، فإذا نفذت الصور التى عنده فلا يخف ولا يحزن ، فإن الصور التى عندنا فى الخدمة حين يشاء !

ونقول « ثانيًا » بعد انتقالنا إلى الهامش إن صديقنا الأستاذ الشناوى يتواضع حين يذكر المعارك القلمية وينسى حصته المباركة فيها .

قال فيما قال : « وقامت معركة عنيفة بين الأستاذين الكبيرين عبد القادر حمزة فى البلاغ ومحمد توفيق دياب فى الجهاد » .

ونسى أن يقول : « وكان الأستاذ الشناوى يتناول التليفون ليتحدث لحظة إلى الأستاذ أنطون الجميل فى الأهرام ويتحدث بعدها لحظة إلى الأستاذ دياب ويتحدث بعدهما أو قبلهما إلى الأستاذ عبد القادر حمزة ، ويعمل جهده فى هذه المحادثات الفنية للتهدئة والتوسيط واستدراج حفنى محمود رحمه الله إلى الوساطة بين الخصوم .

وانه نسى فى جميع هذه المحادثات أن يذكر اسمه مستترًا بأسماء غيره وغيرهم ، ومبالغا ثمة فى التواضع ونكران الذات .

وهى حصة ينساها الأستاذ الشناوى ولا يصح أن ينساها التاريخ . وعلى فكرة . . نعم على فكرة لا ننسى أيضًا كلما ذكرت عجائب المصادفات ، وينبغى أن نذكرها لنذكر دائمًا أن المصادفة تأتى بالخوارق فى كثير من المناسبات .

إن الأستاذ الشناوى يكتب يومية الثلاثاء عن الحروب القلميةفيقول فيها ما قال عن حرب البلاغ والجهاد .

ثم يكتب بعدها على الأثر يومية الأربعاء عن تشابه الأصوات .

فياللعجب . . هل لتشابه الأصوات يد فى إحدى هذه المناسبات؟ . .

الله أعلم ، ومن الناس من يعلمون وينسيهم التواضع نصيبهم المأثور فيما يكتبون

تغيير البديهيات وعقل الإنسان*

« .. سؤال ما برح يتردد فى خاطرى علكم تجيبون عليه فى يومياتكم وهو : هل يمكن أن تتغير البديهات بتغير عقل الإنسان وتغير الكون الذى يحيط به ؟ وهل يمكن أن تؤدى نفس المقدمات إلى نتائج مخالفة بالنسبة لعقل بشرى وفى كون غير هذا الكون ؟ أم أن البديهات نشأت فى وجود مطلق لا يتأثر بشىء ؟ . . إننى فى حيرة من هذا الأمر وأرجو أن تتفضلوا بإبداء رأيكم مشكورين » .

نصار محمد عبد الله البدراوى

مدرسة البدارى الثانوية

. . من الخير أن يكون للفكر حقه فى أذهان شبابنا المتعلمين فى زمن يوشك أن يقصر الدنيا كلها على عمل الحواس الجسدية وأن يحرم العقل البشرى كل مسوغات وجوده فيما عدا المأكول والمشروب أو فيما عدا المعدودات بحساب النقود ودفاتر الربح والخسارة .

ويطيب لنا أن نحسب الكلام عن البديهات بابًا من أبواب هذه اليوميات فنقول للسيد نصار إن البديهيات التى تنشأ فى الوجود المطلق لا تتغير ولا تختلف ولا يمكن أن تختلف ، لأن الاختلاف إنما يحصل بين المعقول الكثيرة ، وليس العقل المطلق بقابل للتعدد والمخالفة .

ولكن أين نحن عن هذا الوجود المطلق الذى لا يختلف ولا يقبل الاختلاف ؟ إن وجودنا البشرى محدود ، وإن إدراك الإنسان لكل ما فى هذا الكون محدود ، وكل بديهية بالنسبة للعقل البشرى فهى بديهية له على حسب إدراكه ، وليس من اللازم أن تكون بديهية له إذا تغير ذلك الإدراك .

---

* الأخبار فى ١٤/٣/١٩٦٢

ونحن نقول مثلا إن وجود الإنسان فى مكانين فى زمن واحد مستحيل ، وفى العلم الرياضى المعترف به : إن الخط الهندسى مجموعة نقط ونحسبها بديهية من البديهات التى لا ريب فيها ، ولكن هل يبقى لهذه البديهية حكمها إذا تغير إدراكنا للإنسان وللزمن وللمكان ؟ وهل يبقى لهذه البديهية حكمها إذا أدركنا الحقائق فى الابد المطلق ولم ندركها فى الزمن المحدود وفى المكان المحدود ؟

ونحن نقول إن الواحد والواحد اثنان ، ولكن ما هو الواحد بالنسبة إلى غيره ؟ وما هو الواحد المطلق بغير نسبة إلى شىء ؟

ونحن نقول فى العلم الرياضى المعترف به : إن الخط الهندسى مجموعة نقط هندسية متصلة ، ولكننا نقول فى هذا العلم نفسه إن النقطة شىء بغير طول ولا عرض ولا امتداد ؟ فكيف يمكن أن يمتد الخط من شىء معدوم الامتداد ؟

هذا مستحيل فى عقولنا ، ولكننا نجعله ممكنًا – بل بديهيًّا – على فرض واحد ، وهو أن إدراكنا للمكان الرياضى غير إدراكنا للمكان بالعقل والإحساس ، ويسرى على جميع البديهيات كلما اختلفت أمامنا بديهيتان مسلمتان .

وما دام العقل البشرى محدودًا فمن البديهى إذن أن يكون إدراكه مرتبطًا بحدوده ، وأن يكون عرضه للتغيير كلما تغيرت تلك الحدود .

والوسيلة الوحيدة التى نستطيع أن نحقق بها معنى مطلقًا هى أن ننفى ما عداه .

فإذا عرفنا صفةً ناقصةً محدودة وسئلنا : وما هى الصفة الكاملة بغير حدود ؟ . . جاز لنا أن نقول : « هى ما ليس كذلك » . . ونحن فى أمان .

الفرقليط *

« .... الفرقليط اسم اعترضنى فى أكثر من مناسبة ، وقرأته فى بعض الكتب ولكنها لم تأت بالتفسير الواضح له وسألت عن معناه ، فقال البعض إن المقصود به هو الرسول محمد ﷺ ، وقال البعض الآخر إنه هو القدوس ، ولذا أرسل إلى سيادتكم مستفسرًا وأكون شاكرًا إذا تفضلتم بنشر هذه الحقيقة فى يومياتكم بالأخبار .

محمد ثروت عبد الحافظ

مصنع السكر - كوم امبو

هذه الكلمة وردت فى الترجمة اليونانية لإنجيل يوحنا ، وكانت تكتب فى الإنجيل فرقليطس Paracletos مع نطق الباء الثقيلة (فاء) كما هى العادة فى نطق الحروف اليونانية ، ولكن الفرقليطس قد تكتب أيضًا بهجاء آخر وهو : Periclytos بمعنى يكاد أن يكون ترجمة لكلمة « محمود » أو « أحمد » العربية ، ويرى بعض المفسرين لهذا أن الذى ورد فى إنجيل يوحنا هو المقصود بقوله تعالى فى القرآن الكريم : (وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقًا لما بين يدى من التوراة ومبشرًا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) .

ويقول ابن هشام : إن الكلمة التى نطق بها السيد المسيح هى الكلمة السريانية « منحمنا » وهى قريبة من مادة الحمد ومن مادة المناح أو العزاء ، ومن كلمة المناحة فى اللغة العربية لإجماع التعزية كما يرى بعض الشراح .

أما الكلمة اليونانية بكسر الفاء ، فقد ترجمت بمعنى المعزى تارة وبمعنى المدافع تارة أخرى ، ورفعت الكلمة اليونانية من الترجمات الحديثة إلى اللغة الإنجليزية ووضعت كلمة المعزى Comforter فى مكانها .

---

* الأخبار فى ١١/ ١٠/ ١٩٦١ .

ويقول العلامة يوسف على القاضى الهندى الذى ترجم القرآن إلى اللغة الإنجليزية إن الكلمة تشير إلى النبى محمد ولو ترجمناها بمعنى المعزى لأنه عليه السلام قد أرسل رحمةً وبشيرًا للعالمين كما جاء فى غير موضع من القرآن الكريم ، وله على ورود النبوءات ببعثة النبى شواهد كثيرة من كتب العهد القديم والعهد الجديد لا يتسع المقام لتفصيلها ، وتراجع فى هامش تفسيره كما تراجع فى الهوامش والتفسيرات التى نشرها بعض المترجمين من علماء الهند المسلمين .

لماذا لا نفرض ضريبة على قراءة الكتب بالإعارة*

أشرنا فى يوميات الأسبوع الماضى إلى خبر من أخبار النشر والطباعة عن عدد النسخ التى وزعت من ترجمة العهد الجديد إلى اللغة الإنجليزية ، وهى مليونان وخمسمائة ألف نسخة بيعت فى أقل من أربعة أشهر.

وفى الكتب السنوية التى وصلت أخيرًا إلى القاهرة بيانات كثيرة عن حركة النشر والقراءة فى البلاد الغربية ، قد تحسن المقارنة بينها وبين ما يقابلها عندنا الآن وما ينتظر لها من التطور فى المستقبل القريب ، وبخاصة ما يتعلق منها باتساع حركة القراءة وتداول الكتب بين أيدى قرائها بالوسائل المختلفة.

جاء فى أحد هذه البيانات أن عدد الكتب التى استعيرت من مكتبات انجلترا العامة والمكتبات التجارية المخصصة للإعارة قد بلغ نحو أربعمائة وخمسين مليون نسخة فى إحدى السنوات الأخيرة.

ويرى جماعة المؤلفين – ومعهم جماعة الطابعين والناشرين – أن انتشار حركة الإعارة بهذه النسبة الهائلة خطر على حقوق الطبع والتأليف ، لأن الملحوظ أن نسبة البيع تنقص بمقدار الزيادة فى نسبة الإعارة ، وأن الإحصاءات الرسمية قد أثبتت أن خمسة وسبعين فى المائة من المؤلفين يقل دخلهم السنوى عن ألف جنيه وهو إجحاف بحقوقهم التى ينتظر أن تتضاعف إذا تقررت للإعارة ضريبة متصاعدة على حسب الزيادة بالألوف أو الملايين ، وقد ينتفع بهذه الضريبة فى تحسين أحوال المؤلفين الذين يستحقون إعانة السن أو إعانة العجز عن العمل ، كما يمكن أن ينتفع بها فى نقص ضرائب التأليف وإعفاء بعض المؤلفات من ضرائب المهنة أو الإيراد.

---

* الأخبار فى ١١/ ١٠/ ١٩٦١.

وحجة المطالبين بفرض الضرائب على نسبة الإعارة أن القانون يسمح بتحصيل حقوق التأليف للموسيقيين والمغنين الذين تسمع ألحانهم وأغانيهم فى الندوات العامة وأن البلاد الإسكندنافية قد سبقت أمم الجنوب إلى فرض الضرائب على دور الإعارة لمصلحة المؤلفين .

ونذكر من سوابق نظام الإعارة عندنا أن صاحب مجلة « المقتطف » تلقى فى إحدى السنين عدة طلبات من الأندية الريفية يسأله مرسلوها أن ينزل لها عن الاشتراك وأن يخصص لبعضها أكثر من نسخة واحدة ، فكان جوابه المعقول لتلك الطلبات أن النادى أولى من المشترك الفرد بسداد قيمة الاشتراك مضاعفة للنسخة الواحدة ، لأن أعضاءه كثيرون وقراءتهم للنسخة الواحدة تحرم المجلة اشتراك عشرات من القراء المتفرقين .

ووجهة النظر التى نظر إليها صاحب المقتطف صحيحة تؤيدها حقوق المؤلفين كما يؤيدها الراغبون فى نشر المؤلفات ، ولكننا نود أن نقول : إننا لم نؤيد هذه الوجهة لأمر يعنينا فى الكتب التى نؤلفها لأن هذه الكتب تطلب من الناشرين ولا تطلب منا ، وقد نجيب الطلبات التى تتيسر لنا كلها وجدت عندنا النسخ الكافية من تلك الكتب ، فلا يعتب علينا الذين ينشئون المكتبات الحديثة ويفتحون أندية المطالعة إذا تعذر علينا أن نلبى طلباتهم بعض الأحيان ، فإننا لا نملك أن نتصرف فى حقوق الناشرين ولا نتسلم من الكتاب الذى يطبعه الناشر غير نسخ محدودة للإهداء تعد على أصابع اليدين .

إتقان شيء من الأشياء
لا يمنع الإلمام بغيره*

« .... بينما كنت أتصفح كتاب فيض الخاطر لأستاذنا الجليل المرحوم الدكتور أحمد أمين أثار اهتمامى قوله فى الجزء الأول ما خلاصته إنه يمكننا أن نجنى أطيب الثمار لو استطعنا إخراج الثقافة العربية الإسلامية فى ثوب جديد على نمط ما يكتب الغربيون ولكن بروح إسلامى فنحيي آثار الأولين بأسلوب الآخرين ، وبذلك يكون فى استطاعتنا إيجاد الحلقة المفقودة وهى تذوق الثقافتين والاغتراف من المنهلين وإخراج علم وفلسفة غذيت بما للعرب والإسلام من ثقافة . ولكنى أردد ألا أتعجل الحكم بصحة هذا الرأى حتى أعرف رأيكم الخاص ، فقد يكون هناك شيء بين سطور هذا الرأى يخفى علينا ، أو قد يكون لك وجهة نظر فيما يتعلق بهذا الموضوع الذى نحن بصدده . فنرجو من سيادتك تبسيط ما يتعلق بذلك فى يومياتك بالأخبار . ولكم منا جزيل الشكر . . إلخ » .

أحمد عبد القادر سعيد

طالب بتجارة قصر العيني

إن تعميم الثقافة هو مذهب أصحاب الرأى الراجح من المفكرين فى السنوات الأخيرة ، ولا نقول فى العصر الحديث كله ، لأن أبناء هذا العصر فى مطلعه قضوا زمنًا غير قصير وهم يذهبون مذهب « التخصص » فى التعليم والتربية ويستحسنون أن يتفرغ العالم أو الأديب لفن من فنون المعرفة يستوفيه غاية الاستيفاء ولا يتلفت لغيره ، لأنه بهذا التفرغ يتقن معرفة واحدةً وينتفع بها كما ينفع غيره جهد المستطاع من المنفعة ،

---

* الأخبار فى ١١/ ١٠/ ١٩٦١ .

ولكنه يعجز عن إتقان المعارف جميعًا إذا تفرقت عنايته بينها ووزع أوقاته فى تحصيلها وتطبيقها .

كلام معقول فى ظاهره . . ولكنه على رأى المفكرين فى السنوات الأخيرة ، بعد التجارب الكثيرة غير معقول ولا مطابق للفهم الصحيح ولا للنتيجة العملية .

أوّلاً : لأن إتقان شىء من الأشياء لا يمنع الإلمام بغيره ولا يصح أن يقتل طبيعة التشوق إلى المعرفة عامة ، وهى طبيعة العقل الإنسانى فى أحسن حالاته .

ثانيًا : لأن إتقان علم من العلوم لا يتأتى مع الاقتصار عليه والانحصار فيه ، كما أن البيت الواحد لا يعرف بالانحصار بين جدرانه وإغلاق الأبواب عليها ، ولابد من معرفة البيوت الكثيرة للتحقق من صفات أحسن البيوت وتدبير أفضل الشروط للسكن المريح .

ثالثًا : لأن المطلوب بالتعليم والتربية هو إعداد إنسان كامل للفهم والتجاوب مع الحياة الإنسانية ، وإنما الإنسان المتخصص فى الواقع نصف إنسان أو ربع إنسان أو جزء من إنسان كبر أو صغر ، ومثله كما قال نيتشه الموسيقى الذى لا يشتغل بفن غير فنه كمثل الأذن الكبيرة يسعى بها رجل صغير يستتر تحتها ولا يحمل حاسة من حواس البصر أو الذوق أو اللمس أو الشم سواها .

رابعًا : لأننا اليوم فى عصر العلاقات العالمية بل العلاقات الكونية التى تشغل الإنسان المعاصر كل يوم بأخبار الكواكب فى السماوات وأخبار الأمم بين أرجاء الكرة الأرضية ، فلا يحسن الحياة فى هذا الزمن من ينزوى إلى العمل أو المرسم أو المكتب ولا يدرى بدنياه وراء تلك الزاوية التى يعكف عليها ولا يخرج منها .

خامسًا : لأن التربية ليست عملية عقل يتقن علما واحدًا أو صناعة واحدة كيفما كانت وسائل إتقانها ، ولكنها عملية مقصودة لتنمية العقل والروح والضمير والخيال والذوق والجسم وكل ملكة إنسانية نافعة من الوجهة الاقتصادية أو غير نافعة على الإطلاق إلا لتحقيق الحياة لذاتها ، فإننا لا نعنى بأبصارنا لمجرد الفائدة الاقتصادية التى

تجنيها منها ، ولكننا نعنى بها لنبصر ونرى ، ولا تهمنا الفائدة الاقتصادية نفسها إن لم تكن محققة لوظيفة من وظائف الحياة .

هذه هى خلاصة الآراء الأخيرة فى مذهب التربية المثلى ، وقد أثير البحث فيه منذ سنتين بين المفكرين الغربيين على نطاق واسع للمقابلة بين الثقافة العلمية الصناعية والثقافة الأدبية الفنية ، وأراد الباحثون – كما قالوا – أن يقيموا بين الثقافتين قنطرة مفتوحة العبور الدائم والانتقال من إحدى الضفتين إلى الأخرى ، ولم يريدوا بهذا البحث أن يخلطوا بين الثقافتين خلطًا يحول دون التخصص لإحداهما ، وإن كان التخصص المغلق مما يؤدى إلى مرض عقلى كمرض الفصام أو انقسام الشخصية ، وإن لم يكن محسوبًا من الأمراض فى عرف الأطباء .

وما يقال عن الثقافتين العلمية والأدبية يجوز أن يقال عن الثقافتين الشرقية والغربية ، أو الثقافتين السلفية والعصرية ، فإن القنطرة التى تفتح للعبور من إحداهما إلى الأخرى وتنقذ العقل والروح من آفة الانقطاع بينهما ضرورية فى هذا الزمن الذى يرفض الانحصار وينزع دائمًا إلى التوسع والانطلاق .

وقد كان الأستاذ أحمد أمين نفسه رحمه الله عليه مثلا للتوسط بين الثقافتين على نوع من التوسط المأثور ، لأن مدرسة القضاء الشرعى التى تخرج منها كانت بمثابة القنطرة بين ثقافة السلف ، وثقافة العصر الحاضر ، وكذلك كان زملاؤه الذين عرفناهم من علماء مدرسة القضاء الشرعى فإنهم يحسبون اليوم من خيرة المثقفين على المذهب الأمثل بعد الحرب العالمية الأولى ، وكلهم حجة ناهضة على وجوب التوسع فى بناء تلك القنطرة أو القناطر الكثيرة ، حسب « المساحة » الفكرية التى تشغلها الأفكار والأذواق .

وكل ما كنت ألاحظه على زميلنا الأستاذ أحمد أمين رحمة الله عليه أنه كان كثير الوثب على الضفة الأخرى ، كالريفى الذى « يتمدن » فيسبق أهل المدينة فى عاداتها وتقاليدها ويدل بذلك على « الريفية » أكثر من دلالة الريفى الذى لم يفارق قريته إلى خارجها .

وكنت أجاوره أحيانًا بمجمع اللغة ولا تنقطع المناقشة الخاصة بينى وبينه فيما أحسبه من التطرف حول مسألة الإعراب ومسألة المرأة ومسألة الحرية الفردية والحرية الاجتماعية .

ولحقته ذات مرة بالملاحظة على كلامه عن المرأة فى ترجمته لحياته ، فقال رحمه الله ضاحكا : هذه قفشة فى الصميم وقال مرة أخرى بأسلوبه الفكاهى : ياعينى علينا . . نحن معشر المتفرجين !

وكل هذا الخلاف حول حدود القنطرة لا يمنعنا أن نتفق على وجوب إقامتها وفتحها للعبور على سنة حركات المرور ، كمايأتى فى اليومية التالية

أصل اسم العقاد*

يسأل السيد (أحمد الطايع محمد) بقرية منيحة من قرى كوم أمبو .

لماذا سميت أسرتكم أو جدكم باسم (العقاد . . .) إننى عندما ناقشت صديق المطيرى الذى يكتب لكم أحيانًا عن سر تسميته قال : إن المطيرى مشتقة من المطر . وذلك لأن جدًّا له من قبائل العبابدة الذين يتجرون فى قوافل الجمال . . كان فى الصحراء فوجد بئرا فأراد أن يخرج منها ماء ، فلما رآه زملاؤه قالوا إنه جعل الماء كالمطر . . ومن هنا جاءت كلمة المطيرى .

فهل هناك أصل لكلمة العقاد . . ؟ وبخاصة لأن أسماء القبائل بأسوان ترتبط بأساطير يتناقلها الرواة جيلا عن جيل .

* * *

ونقول للسيد المنيحى إن لقب العقاد ليس له أسطورة بين أساطير أصول الألقاب ، غير أنه كان يتردد بين العقاد والصراف فترة قصيرة من الوقت ، لأن جدى (إبراهيم) كان أمينا للخزانة ببلدة إسنا يوم كانت لها مديرية مستقلة عن قنا وأسوان ، وقبل أن ينتقل إلى أسوان مركز المحافظة التى سميت يومئذ بمحافظة الحدود وتولى والدى أمانة المحفوظات فيها ، ولكن لقب الصراف لم يكن يعرف أو يتداول فى غير الديوان بين زملاء جدى الذين كانوا ينادونه بلقب الوظيفة ويغلبونه فى دائرة العمل على لقب العقاد .

أما هذا اللقب – لقب العقاد – فقد أطلق لأول مرة على جدى الأول أو جد جدى مصطفى ، الذى كان يعمل فى صناعة الحرير بدمياط ثم انتقل منها إلى المحلة الكبرى قبل نحو مائة وخمسين سنة .

---

* الأخبار فى ١٩٦٠/١٢/٦ .

وكاد لقب (حلمى) فى أوائل صباى أن يحل محل العقاد بمدرسة أسوان الابتدائية يوم انتظمت فى سنتها الأولى ، فإن نظار المدارس كان يطلب منهم لذلك العهد أن يلقبوا التلاميذ الجدد بلقب من الألقاب التركية التى كانت شائعة يوم ذاك ، من قبيل حلمى وحسنى وصبرى وقدرى وفهمى وعلوى إلى أمثالها التى لا تزال مقرونة بأسماء المعروفين من أبناء تلك الحقبة ، وقد كتب اسمى (عباس حلمى) هكذا بسجلات المدرسة نحو ثلاثة أشهر متابعة لاسم الخديو عباس حلمى الثانى ، ولكننى كنت أتجاهل هذا الاسم عند النداء عليه ووافقنى والدى على تجاهله حين شكانى الناظر إليه ، فتم تعديله بعد حلول موعد القسط الثانى من المصروفات التى كانت تدفع كل ثلاثة أشهر ، ولم أكن فى الحق أدرك المعنى السياسى لنفورى من هذه التسمية لأنها فوق مايدركه طفل فى الثامنة من عمره ، ولكننى كنت أنفر من إسقاط اسم أبى ومن نسبتى إلى لقب لا أعرف شيئا عنه ، وكأننى كنت أسأل نفسى : هل هناك أحد اسمه حلمى يفضلون نسبتى إليه على نسبتى إلى أبى وأهلى ؟

وهذه – إن شاء السيد المنيحى – إحدى أساطير اسم العقاد أو اسم (عباس حلمى) سابقًا جدًّا على هذا الاعتبار .

سليمة بحمد الله ! *

يقول المتنبي :

أنام ملء جفونى عن شواردها   ويسهر الخلق جراها ويختصم

فهل يعد كلام المتنبي هذا جميلا . . وهل يكون شعرًا حسنًا ذلك الشعر الذى يسهر الخلق ويختصمون فيه . . ؟ أحسب أن المتنبي يقصد شيئًا آخر غير ما يلوح من ظاهر لفظه ، فماذا يقصد ؟ وكيف يحمد هذا القول من الشاعر الحكيم . . ؟

زكي محمد بدوى

مدرسة بورسعيد

الاختصام فى الشعر

ليت كل الشعراء يستطيعون أن يقولوا عن أدبهم ما قاله المتنبي بحق عن أدبه وعن سيرورته بين الناس واختلاف تقديرهم له وفهمهم لمعانية .

فليس بين مصائب الجنس البشرى بلاء أشد عليهم ضررًا وأسوأ مغبةً من بلاء الركود فى الافكار والأذواق وقلة العناية بما يقال إلى جانب الموافقة أو إلى جانب الإفكار ، ويسرى على قضايا الفنون والأذواق هنا ما يسرى على قضايا العقائد والضمائر . فإن عالم الحق والخير كعالم الجمال والذوق يعاب فيهما الركود والراحة كما يعاب فيهما الكسل والجمود .

والسيد المسيح – رسول السلام – هو الذى وبخ تلاميذه وسامعيه حين خطر لهم أن السلام الذى أراده يبطل الخلاف بين الخير والشر ويعفيهم من الجهاد بينهم وبين أعدائهم ومعارضيهم ، فقال لهم مستنكرًا : أتظنون أننى جئت لألقى سلامًا على

* الأخبار فى ٦/ ١٢/ ١٩٦١ .

الأرض . . ؟ ثم قال : كلا . . بل انقسامًا . . لأنه سيكون من الآن خمسة فى بيت واحد منقسمين . ثلاثة على اثنين ، واثنان على ثلاثة . ينقسم الأب عن الابن ، والابن على الأب ، والأم على البنت والبنت على الأم . والحماة على كنتها والكنة على حماتها » .

ولا يضير الشاعر الحكيم أن تكون له قدوة بالسيد المسيح ، وإن كان الأنقسام الذى يعنيه الشاعر انقسامًا فى عالم الذوق والفن ، والانقسام الذى عاناه رسول السلام انقسام فى عالم العقيدة والضمير . .

وربما أراد المتنبى أن الناس يختلفون على تقديره ، وأنه هو لا يبالى هذا الاختلاف فيما يعنيه من أمر نفسه ، فلنعلم إذن أنهم لا يختلفون على تقدير القائل إلا إذا اختلفوا على تقدير القول وتقدير المقصد وتقدير التعبير ، وكل أولئك مما يستحق الخلاف ، ولعله مما يجب عليه الخلاف ويمتنع فيه الاتفاق ، لأنه مجال تتعدد فيه وجهات النظر وتتعدد فيه مضامين المعانى والكلمات ، وتتسع فيه آفاق الفهم والشعور كما ينبغى أن تتسع آفاق الحياة ، ولو ضاقت هذه الآفاق بالأحياء لكان الاتفاق عليها أيسر وأدنى ، ولكنه اتفاق خير منه كل خلاف .

وأرانى ألمح من سؤال السيد البدوى أنه يحسب الشعر الجميل موضوعا لا تختلف فيه الآراء ، سواء كان هذا الجمال فى التعبير أو التفكير ، وفى بلاغة الكلم أو بلاغة المدلول ، فإذا كان هذا ما يعنيه فإن الجمال الشعرى أن يكون فى مقاييسه أوضح وأقرب إلى التفاهم عليه وعلى قيمته من جمال الجواهر الكريمة وهى معروضة فى السوقَ أو على صدور الحسان ، وكم على هذه الجواهر من خلاف فى تقدير الثمن أو فى صياغة الحلية أو فى تفضيل بعضها على بعض بين حين وحين على حسب الحلية أو على حسب اللابسين واللابسات أو على حسب الموعد والمناسبة ، أو على حسب أطوار المزاج بغير مقياس معروف أو مقدار موصوف .

وماذا على المتنبى من اللوم فيما قال وقد صدق القول فى زمانه وفيما بعد زمانه إلى اليوم . . ؟

وربما كان هذا السؤال بعض الدليل بعد ألف سنة على صدقه فى ذلك المقال !

حسابى مع القراء *

فى هذه اليومية حساب (شخصى) بينى وبين أصدقائنا القراء على مسائل شتى ، لها جانبها العام الذى يبيح لى أن أعرض لها فى اليوميات .

إحدى هذه المسائل تتناول أخطاء الأدباء ، ويقول صاحب السؤال السيد محمد محمد مرشدى بركات إنه قرأ لبعض النقاد كلامًا يعيب فيه على الخطباء والكتاب أنهم يخطئون أحيانًا ، ولكنه يعذر الخطيب لأن وقته لا يتسع للمراجعة وهو يرتجل كلامه كما يتسع لكاتب المقال ومؤلف الكتاب . ومن أخطاء الكتّاب أن العقاد يقول فى صفحة (٣٤) من كتاب فلاسفة الحكم « ومنهم باريتو وميشل اللذين كتبنا عنهما فى هذه الرسالة » .

ومن تلك الأخطاء أن الدكتور طه حسين يقول فى صفحة (١٩٤) من كتابه مرآة الإسلام : « لننتقل الآن إلى الأصل الثانى من أصول الإسلام وهى السنة » والصحة : وهو السنة ، لأن الأصل مذكر .

والذى أوافق الأديب صاحب السؤال عليه أن اجتناب الخطأ واجب على جميع المسئولين عن طبع المقال أو الكتاب ، وأنه من الواجب على الناقد أيضا أن يعرف مكان الخطأ المنتقد من عمل الإملاء أو عمل التصحيح المطبعى أو عمل المراجعة أو عمل السهو العارض لبعض المسئولين أو لهم أجمعين ويخطئ الناقد إذا حسب على المؤلف أنه يجهل حكم الإعراب لأنه يقول اللذين ولم يقل اللذان .

ولست أرى أن التخريج المقبول يضيق (بالأصل هى السنة) فى الكلام المنسوب إلى الدكتور طه حسين ، لأن السنة على أية حال أصل وليست أصلة بتاء التأنيث ، وقد يقال – مثلا – إن المعدة بيت الداء وإن الحمية رأس الدواء ، ويعود القائل فيذكر أن

* الأخبار فى ١٩٦١/١٢/٦ .

بيت الداء هى المعدة وأن رأس الدواء هى الحمية ، بالاشارة إلى المعنى المنطوى فى الرأس والبيت ، كما يقال بعض النساء جميلات .

ولا أدرى – فيما يرجع إلى كتاب فلاسفة الحكم – من المسئول عن وضع اللذين فى موضع اللذان . . فإن لم يكن من سهو الصف أو التصحيح أو المراجعة فهو على التحقيق أظهر فى قواعد النحو من أن يكون جهلا بقاعدة التثنية بالياء والنون أو بالألف والنون ، ويشكر الناقد إذا اعتبره سهوًا يجتنب على أية حال ، ولكنه يعفينا من هذا الشكر إذا أخطأ فحسبه من جهل الكاتب بموضع اللذين أو اللذان . . !

* * *

ويعجب الأستاذ إحسان بكر المحرر بجريدة الأهرام لأن صاحب العبقريات يكتب عن الجنس ويقدم الأربعين بحثًا جنسيًّا عن الشهوة الجنسية . ويرسل الأستاذ بكر مع خطابه إعلانًا عن كتاب لا نسميه لنعلن عنه ، ولكننا نذكر منه أن المعلن يسميه باقة زهور ويطلب من القارئ أن يقدرها لأنها من ينبوع الهند ومن تقديم الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد .

وموضع العجب فيما نرى أن تجوز حيلة هذا الإعلان على الزميل الصحفى ، وهو أحق من المخدوعين بأمثال هذه الاعلانات بالشك فى حقيقتها ، بل بتكذيبها بغير شك فى تلك الحقيقة ، وربما كانت مراجعة الشرطة إذا كان فى تلك البحوث المزعومة ما يحرمه القانون أولى من مراجعتنا والتعجل بتوجيه الملامة إلى كاتب العبقريات ، لأنه يتبذل بقلمه فى أمثال هذه المحظورات .

لست أريد المقارنة
التى تثير الغيرة بين بنات حواء*

« طالعنا فى إحدى المجلات رأيا لكم فى الأدب النسائى ونستأذنكم فى السؤال عن بعض ما استغلق علينا ولكم الشكر. فقد ذكرتم فى هذا الحديث الكاتبة السورية كوليت خورى بخير كثير ولم تذكروا أديبات أخريات كنتم تذكرونهن بالخير ومنهن على سبيل المثال (صوفى عبد الله) التى يعرفها الجميع تلميذة بارة فى مقدمة تلاميذكم وكتبتم عنها منذ سنوات فى مجلة المصور أنها النابغة الموهوبة التى تعيش فى بيئة العبقرية بين أكبر من فى بيتها وأصغر من فيه . . فهل تغير رأيكم الآن أنها غير جديرة بالتنوية إذا ذكرت مؤلفة (أيام معه) أم هو من قبيل إغفال الأب الحديث عن أبنائه المقربين وبناته البارات . . !

« ليتكم تتكرمون علينا بما يرفع هذا اللبس ويعرفنا بحقيقة ما ورد فى ذلك الحديث » . .

سعيد أيوب

جامعة عين شمس

لم يكن حديثًا بالمعنى المقصود من الأحاديث الصحفية ذلك المقال الذى أشار إليه الطالب الأديب .

ولكنه كان رأيًا من جملة آراء فى الأدب النسائى دار عليها الكلام فى مجلس من المجالس التى اصطلح إخواننا على تسميتها بندوة يوم الجمعة فى مصر الجديدة ، وقد نشر كاتب المقال مابدا له أن يختاره من تلك الآراء وأغفل بقيتها . وهى كثيرة لم تنحصر فى بعض الأديبات دون غيرهن من كاتبات القصة فى هذا الجيل، وقد كنت أنوه على

* الأخبار فى ٦/ ١٢/ ١٩٦١ .

الدوام بأديباتنا اللائى يحرصن على تصحيح اللغة ويقل الخطأ الشائع بين أصحاب الأقلام فيما يكتبنه من الروايات الطوال أو الحكايات القصار ، ولم يتغير رأيى فى أدب الكاتبة المجيدة (صوفى عبد الله) لأنها تزداد وتتقدم فى مزاياها اللغوية والفنية بين رواية ورواية وبين سنة وسنة ، فلا تزال روايتها الأخيرة أسبق فى اللغة والفن مما سبقها زمنًا وترتيب صدور ، وليس بين كاتباتنا من هى أقل خطأ منها ولا أسلم أسلوبًا من أسلوبها فى رواياتها السابقة أو اللاحقة ، ويرجحها على غيرها أن صحة الأسلوب عندها تقترن بها مزية الصدق فى شرح القضايا الاجتماعية أو المشكلات النفسية ، فليس فيما قرأت من قصصها مشكلة نسوية لاهية أو قضية اجتماعية واهية ، ولكنها كلها من حقائق الحياة التى يعالجها المصلحون الاجتماعيون والأطباء النفسانيون .

ولست أريد المقارنة التى تثير الغيرة الأبدية بين بنات حواء من الكاتبات وغير الكاتبات ، ولكنى أقول إن كوليت تنظر إلى الحياة بمنظار الفرجة فى ميادين السباق ومعارض الأزياء ، وإن صوفى تنظر إلى الحياة من نافذة البيت فى حجرة المكتبة ، ولا محل للتنافس الذى يثير الغيرة النسوية بين هذين الموقفين .

الشعراء وكوكب الجوزاء*

« ... لماذا اتخذ الشعراء برج الجوزاء بالذات ليتمثلوا به فى أشعارهم ؟ فإننا نجد اسم هذا الكوكب أو هذا البرج ظاهرًا فى قصائدهم فى جميع العصور دون الكواكب الأخرى . . . »

أبو الفضل فهمى حسين

السيدة زنيب - مصر

إن العرب قد عرفوا النجوم بالمشاهدة قبل معرفتهم إياها بتقسيم البروج الفلكية ، لأنهم كانوا يستدلون بها فى سرى الليل . كما كانوا يستدلون بها على أوان المرعى ومواقيت الفصول .

والجوزاء أظهر هذه النجوم بمكانها ولمعانها ، لأنها تتوسط الفلك الظاهر ، كما يدل عليها اسمها ، وهو الجوزاء ومعناه النجم الذى يظهر فى جوز السماء أو وسط السماء ، حيث يكون (المجاز) الأكبر النجوم .

ولما نقل العرب علومهم الفلكية من البابليين ، ثم من اليونان ، نقلوا برج الجوزاء فرسموه فى صورة طاووسين ، لأنهم تمثلوا فيه الزهو والخيلاء ، ولم يرسموه توأمين كما رسمه اليونان ولا جديين كما رسمه المصريون الأقدمون .

وعرفت له خصائصه المزعومة فى التنجيم ، وهى خصائص كثيرة يتعلق بعضها بالعشق والألفة لازدواج صورته واقتران كل شطر منها بالآخر ، ويتعلق بعضها بالنجاح والتوفيق فى الأعمال . ويتعلق احيانًا بالخصب والرخاء لأن الشمس تحل فيه بين أواسط الربيع وأواسط الصيف ، وهو موسم من أطيب المواسم فى البلاد العربية يرقبونه فى البادية كما يرقبونه فى الحاضرة ، ويبالغ فى تعظيمه جماعة المنجمين من أبناء الأمم التى

* الأخبار فى ٢٠/١٢/١٩٦١ .

لا يصلح لها هذا الموسم كما يصلح للبلاد العربية وبلاد المناطق المعتدلة أو الحارة . لأن هؤلاء المنجمين نقلوا خصائصه عن الشرق وربطوا به طوالع شتى يترقبها الرجال والنساء والشبان والشيوخ ، لعلاقتها (التنجيمية) بالحب والزواج والحمل والولادة والمغامرة فى الصفقات والتفاؤل بالتوفيق والتجانس بين مطالع هذا البرج على حسب صورته فى السماء . . وتستغرق الكتابة عن هذا البرج أحياناً فى تقاويم المنجمين الأوربيين باسمه المشهور عندهم Gemina أضعاف ما تستغرقه كتابتهم عن البروج الأخرى التنجيمية ، إذ يوجد بين خصائصه المزعومة شيء يعنى كل طائفة من الناس وكل فئة من فئاتهم على تفاوت الأعمار والأعمال ، خلافاً للبروج الأخرى التى تعنى فريقاً من طلاب الطوالع وقلما تعنى طلابها الآخرين ، ولا يخطر على البال أن العلوم الطبيعية التى شاعت بين الغربيين عصمتهم من تضليل هذه السخافات البالية ، لأننا فى الشرق لا نحتفل بها بعض احتفال القوم بالكتب التى يؤلفونها فى موضوعاتها والتقاويم السنوية التى تصدر كل عام فى مثل هذا الموعد من السنة قبل ابتداء العام الجديد ، والمكاتب التى تفتح للاستشارة وتتوارد عليها الأسئلة عن « مشروعات » التجارة والزراعة والزواج والطلاق بل مشروعات السياسة ومعارك الأحزاب ومراهناتها على الانتخابات فى غير قليل من الأحوال .

ولكن الجوزاء لم تنفرد بهذه المكانة عند شعرائنا بعد شيوع الثقافة الفلكية والرياضية على عهد الدولة العباسية والدول التى قامت بعدها من أقصى العالم الإسلامى إلى أقصاه ، ومنه بلاد الفرس والهند والروم . . فقد كان الشعراء المثقفون يذكرون الكواكب والبروج أحياناً بأسمائها اليونانية أو الفارسية وخصائصها المشهورة بين الفلكيين والمنجمين ، كما قال أبو نواس وهو يذكر المشترى باسمه العربى واسمه اليونانى ويذكر المريخ باسمه الفارسى وبرجه العربى :

صورة المشترى لدى بيت نور الليـ ـل والشمس أنت عند انتصاب
ليس زاويش حين سار أمام الحوت والبدر إذ هوى لانصباب
منك أسخى بما تشح به الأنفس عند انتقاص در الحلاب

لا و « بهرام » تستقل به العقرب بالليل زائغا فى الحساب

أو كما قال ابن الرومى عن (عطارد) وهو عند اليونان رب الفنون :

أبونا عند نسبتنا أبوهم عطارد السماوى المكان

أو كما قال المعرى وهو ضرير كان يعرف مواقيت الفلك بحسابه الدقيق :

وقالوا بدا (المشترى) فى الظلا م فياليت شعرى ماذا اشترى

أو كما قال من قران المشترى وزحل فى برج الحوت :

قران المشترى زحلا يرجى لإيقاظ النواظر من كراها

أو كما قال وهو يعلم مكان زحل من فلك المنظومة الشمسية :

زحل أشرف الكواكب دارًا من لقاء الردى على ميعاد

ويقول الطغرائى وهو يعلم مثل هذا العلم عن مكان الشمس فى دارة الحمل ، وهى أول دارة فى منطقة البروج :

لو كان فى شرف المأوى بلوغ منى لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

وهذا وأمثاله يملأ الصفحات من أقوال شعرائنا الذين أخذوا عن ثقافة عصورهم ما يتقاصر دونه حتى اليوم هؤلاء الأدعياء الذين يحسبون الحكاية كلها حكاية سفاهة وجعجعة وقلة أدب ، وهم يشيرون إلى أولئك الشعراء مترفعين متبخترين ، لا لشىء يسمى الثقافة إلا أن تكون قراءة بضع قصص يلتقى العاشق فيها والعاشقة فى مخادع الفجور . . وإلا أن تكون قراءة بضع تهريجات لمن يخلطون بين الرأى والتهريج .

ومهما يكن من ولع الشعراء العرب بالجوزاء ، عن مشاهدة أو عن علم بتقسيم الفلك ، فالواقع أن هذا الكوكب لا يطغى بنصيبه الموفور على غيره من الأفلاك السماوية ، إذا نظرنا إلى الأفلاك التى يسمى بها الناس كالثريا وزهرة وفرقد وقمر وهلال ، ولم يسم باسم الجوزاء من النساء غير قليل .

مات « الطيف الملاكم »*

منذ ست وثلاثين سنة أنظر إلى هذه الصورة كلما دخلت إلى مكتبي بالمنزل ، لأنها معلقة هناك فى مواجهة الداخل من الباب .

وفى شهر فبراير من سنة ١٩٢٧ كتبت مقالى الأسبوعى لصحيفة البلاغ الأدبية[1] فوصفت فيه صورة « هذه الفتاة الحزينة على قبر صديقها الفقيد » وذكرت فيه المناسبة الأولى التى هدتنى إليها بمتحف الفن للأستاذ شعبان زكى بالمطرية « بين ودائع كثيرة لصاحبها الأستاذ محمد حسن الذى يتم دراسة التصوير الآن فى المعاهد الإيطالية » .

كان الفنان الكبير يومئذ فى مقتبل الشباب ، وكانت هذه الصورة خيالا أطاف به فى بعض رؤياه ، فنقله من عالم الأحلام إلى عالم الفنون ، وأثبته هناك حياة فنية خالدة لا تموت .

ورأى الفنان يومئذ انه فارق الحياة . وأنه ووری فى رمسه ثم أحس وهو فى الرمس أن خطيبته تتقدم إليه متئدة فى خطاها لترفع فوق تابوت الضريح إكليلا من الأزهار بديلا من إكليل الزفاف ، ثم تحنى رأسها واقفة فى مكانها ساهيةً عن موقفها ، كأنها تلبث فيه ابدًا لو تركت هناك .

ووافقت الصورة معنى من المعانى كان يشغلنى فى ذلك الحين ، فأذن لى الاستاذ الفنان فى نقلها إلى مكتبى ريثما يعود صاحبها بعد إتمام دراسته ، فتعاد إليه .

ولكن الفنان الكبير شاء له كرمه بعد عودته فرأى – على نفاسة ذكرى الصورة

---

* الأخبار فى ٢٠/١٢/١٩٦١ .

(١) يراجع المقال بصحيفة البلاغ ٢٨ فبراير ١٩٢٧ وساعات بين الكتب للعقاد طبعة بيروت صفحة ٨٠ وما بعدها .

عنده – أن بقاءها لدى أولى من بقائها لديه .

ومضت عشرات السنين على تلك الذكرى والصورة الجميلة تذكرنى بمصورها القدير ، وتذكرنى به حيًّا خالدًا لايقبل الموت ، لأنه أخرج الموت بتلك الصورة من عالم الحقيقة إلى عالم الفن أو عالم الخيال ، فلم أكد أصدق نعى هذا الدفين فى الصورة منذ نيف وثلاثين سنة ، حين علمت اليوم أنه قد فارق الحياة .

مات محمد حسن !

ياعجبًا . . لقد وهمت أن فنه يعفيه من هذا القضاء ، بعد أن أصبح خبرًا معادًا أنظر إليه مئات المرات ، ثم أبرح الدار فأرى الحى الخالد بقيد الحياة .

مات محمد حسن ، ولم أره قط إلا رأيت إنسانًا حيًّا يمتلىء بالحياة ، ولم أتذكره قط إلا تذكرت أن الموت قد استحال بمعجزة فنه ظلًّا من الظلال .

ومن الذكريات الفاجعة لهذه الصورة أنها تذكرنا باسم كانوا يطلقونه عليه بعد شيوع قصتها ، وهو اسم « الطيف الملاكم » . . !

لقد كان الفقيد الكبير – لامتلائه بالحياة – يحسن غير الفن الجميل فنًّا يسمونه الفن النبيل فى اصطلاح الأوربيين . . وهو فن الملاكمة !

ويستحكم الخلاف يومًا بينه وبين بعض زملائه بمعهد الفن الجميل فيدعوه إلى مكتبه ويقول له بالإيجاز : لا وقت عندنا ياصاح لطلب التحقيق وطلب العقوبة وانتظار الفصل فى الخلاف ثم انتظار المراجعة فى الجزاء . . ويشمر عن ساعده ويفتتح الحلبة بلكمة أو لكمتين صاح بعدهما الزميل مستغيثًا ومعتذرًا ومسلمًا بالهزيمة ، فانفض الخلاف . .

ولم يزل ذلك الزميل – المنهزم المسلم – يقول من حين إلى حين بين الجد والمزاح : ما أوجعها من لكمات تلك التى يتلقاها الأحياء من قبضة ذلك الطيف الخارج إلى الدنيا من أعماق الضريح .

وكان آخر لقائى للطيف الخالد بمصيف الإسكندرية وهو يدعونى إلى زيارة متحفه الموكول إلى إشرافه ورعايته .

أما ذكراه فلا آخر لها قبل وفاته ولا بعد وفاته رحمه الله . لأننى سأذكره كلما نظرت أمامى إلى تلك الصورة ، وكلما أحسسنا جميعًا بالفراغ الذى يتركه بعده فى عالم الفن الجميل ، وإنه لفراغ عظيم إلى زمن طويل .

ذهب الطربوش ! *

الآن أدهشنا « الدكتور إمام إبراهيم أحمد » بعد أن أراد أن يدهشنا فى المرة الأولى فأخطأه الهدف .

أراد أن يدهشنا بخبر عن « اراتستين » وهو لا يعلم أن العلامة الفلكى القديم « بلدينا » على وجه من الوجوه ، وأننا جلسنا حيث كان يجلس ونظرنا على التحقيق إلى مساقط الأشعة الشمسية حيث كان ينظر إليها ، وسمعنا بقصته قبل أربعين سنة وكتبنا عنه قبل ثلاثين سنة ، وتتبعنا ما يقال عنه وعن نظريته فليس فيها ما يدهشنا فى هذا الزمن الذى لا ندرى هل تقل فيه المدهشات أو تكثر ، وهل تنقص أو تزيد .

أما الآن فالدكتور الفاضل يعوض ما فاته ويدهشنا على غير قصد منه ، دهشة تستحق تعب السطور التى كتبها والتى نكتبها فى الإشادة بها والإشارة إليها .

قلنا فى تعقيبنا على كلام الدكتور « وإنما يرصد اللون الأحمر فى المريخ وفى غيره ليعلم منه مقدار المسافات التى تبتعد بها كواكب المجرة إذا اختلف لونها وضربت قليلاً إلى الاحمرار » .

فعلق الدكتور على ذلك قائلا : « لعل الأستاذ الكبير يقصد ما يسمى Doppler Shift وهى تغير موضع خطوط الطيف نحو المنطقة الحمراء فى الطيف والتى يمكن منها حساب السرعة التى يبتعد بها النجم ولا يجعله يضرب قليلا ولا كثيرًا إلى الأحمرار : أم لعله يقصد تغير لون النجم إلى الأحمرار بتأثير مواد ما بين النجوم Interstellar Matter ولكن هذه الدراسة لا تصل بنا إلى استنتاج السرعة التى يبتعد بها النجم » .

* الأخبار فى ٢٢/ ١٠/ ١٩٥٥ .

وكله مدهش

وكل ما قاله الدكتور فى هذا التعليق مدهش حقا لأنه ينفى أمورًا مقررةً فى كتب الثقات من الرياضيين والفلكيين ، وعليهم نقول فيما نذكره عن هذه الملاحظات .

فاللون الأحمر يتزايد كلما ابتعد النجم أو كلما أسرع مبتعدًا عنها ، ونحن ننقل له سطرين بنصهما الإنجليزى من الصفحة التاسعة والتسعين من كتاب طبيعة الكون لمؤلفه فريد هويل Hoyle حيث يقول :

Infact, by measuring the degree of the reddening we can deduce the speed with which a body is raceding.

وترجمتها الحرفية : « نحن فى الواقع بقياس درجة الأحمرار نستطيع أن نستخرج السرعة التى يتراجع بها الجرم عنا » .

وقد وضح الأستاذ هويل ما يعنيه فقال : « ولعلك لاحظت أن الصفارة فى القطار المقبل لها حدة صوتية أعلى من الصفارة فى القطار المدبر . . فالنور الذى يصدر من مصدر متحرك له هذه الخاصة بعينها ، فحدة النور تهبط أو كما نقول عادة تحمر كلما كان المصدر يتحرك مبتعدًا عنا ، ونحن نلاحظ أن النور من المجرة يحمر وأن درجة الأحمرار تزداد على نسبة ابتعاد المسافة عنا » .

فإذا لم يكن معنى هذا أن الكوكب يضرب إلى اللون الأحمر فماذا يكون معناه ؟

ولقد كررنا أن الكتب التى نقرأها فى مسائل الفلك هى الكتب الموضوعة لغير المختصين ، ولكن لا يفهم من ذلك أن الذين كتبوها غير مختصين بعلومها لأن الواقع أنهم جميعًا من أكثر المختصين اختصاصًا بما يكتبون فيه .

والأستاذ هويل يدرس علومه فى كامبردج ويقوم بالرصد أحيانًا فى أكبر المراصد العالمية وهو مرصد مونت بالومارPalomar ويؤلف فى هذه الموضوعات خاصة ومنها كتابه فى طبيعة الكون وكتابه فى المباحث الجديدة عن طبيعيات الشمس وكتابه عن حدود علم الفلك ، ورسائله القيمة التى يقرأها فى المعاهد الرياضية الفلكية وتلقى كل عناية واحترام .

والملاحظة التى ينفيها الدكتور إمام منشورة فى كتاب بلغ من ذيوعه أنه صدر فى ثلاث طبعات ، وأنه كان موضوع التعليقات الإذاعية والصحفية والتقريظات من كبار العلماء .

أما احمرار لون النجم بتأثير المواد المنبثة فى أجواز الفضاء فلم يكن مما قصدناه فى مقالنا السابق ولكننا ندهش لقول الأستاذ « إن هذه الدراسة لا تصل بنا إلى استنتاج السرعة التى يبتعد بها النجم » .

لأن هذا الغبار Dust المنبث فى الفضاء يمكن أن تعرف مواضعه ويمكن لذلك أن تعرف لحظة دخول الكوكب فيه ولحظة خروجه منه ، وتقاس بذلك سرعته كما تقاس سرعة كل كوكب فى الفضاء بالنسبة إلى المواقع التى يعبرها .

وهنا أيضًا نعتمد على مصدر من مصادر الثقات التى يكتبها المختصون لغير المختصين ، بل هذا المصدر الذى نعنيه مكتوب للمختصين بأسلوب نفهمه نحن ويفهمه من لم يتفرغوا للدراسة الفلكية ونعنى به مبحث الأستاذ كاهن Kahn فى العدد الرابع والثلاثين من مجلة أخبار العلوم إذ يتكلم عن مواد ما بين النجوم Interstellar Material ومن علامات الألوان بالنسبة إليها فيقول إن اللون الأزرق أسرع زوالا من اللون الأحمر ، وإن هذا ولا شك وسيلة من وسائل الاستنتاج لا يلزم أن تكون وسيلة مباشرة ولكنها مؤدية إلى النتيجة من طريق غير بعيد .

ونعود فنقول إن الدكتور كاهن مختص بمراقبة المواد التى تتخلل الفضاء بين النجوم ويدرس الفلك بجامعة مانشستر ويشترك مع كبار الأساتذة الإنجليز والألمان وآخرهم الأستاذ أورت Oart بليدن Leiden وهو مرجع للعلماء فى هذه البحوث .

وبعد فالذى نود أن يعلمه الدكتور الفاضل أننا لا نقرأ هذه الدراسات لنكون فلكيين أو رياضيين ، ولكنه يستطيع أن يوقن كل اليقين أننا لا نبيح لأنفسنا أن نخط كلمة فيها ما لم نكن معتمدين فيها على مراجعها ، والتبعة بعد ذلك على المراجع إن كانت هناك تبعة ، ولكنها إذن تبعة ، لا يسلم منها الإنسان .

* * *

ومن قزل نجم ننتقل إلى قزل باش أما « قزل نجم » فهو المريخ .

وأما « قزل باش » فهو الرأس الأحمر باللغة التركية ، وهو استطراد لقصة الطربوش فى المقال السابق ، لأن هذا الغطاء الأحمر للرءوس لا يريد أن يحتجب عن الأعين بسلام .

قلنا فى الأسبوع الماضى أن الترك العثمانيين أخذوا الطربوش من اليونان ، وانه الآن يفارق الرءوس بعد أن تركه اليونان والعثمانيون وأوشكنا أن نتركه نحن المصريين .

فكتب إلينا السيد « حسن نصرت » يقول . إن الترك عرفوا غطاء الرأس الأحمر من غير اليونان ، وإن طائفة منهم فى آسيا الصغرى تلبسه وتسمى من اجل ذلك « قزل باش » وإن الطربوش باق إلى اليوم بين المسلمين فى بلاد البلقان وما جاورها .

والسيد « نصرت » لم يخطئ حين قال إن الترك اتخذوا غطاء أحمر للرأس غير الطربوش .

ولكن الفرق بعيد جدا بين « القزل باش » والطربوش اليونانى على أنواعه . لأن « القزل باش » يطلق على أصحاب طريقة دينية تلبس العمامة الحمراء ذات العذبات الاثنى عشر وتعتقد أنها عمامة الإمام على بن أبى طالب عليه السلام وأن العذبات فيها إشارة إلى الأئمة الاثنى عشر من ذريته ، ولم يلبس هذه العمامة أحد من سلاطين الترك العثمانيين ، بل لبسها على نقيض ذلك شاهات الفرس الصفويون لأنهم من الشيعة على خلاف الترك العثمانيين فإنهم سنيون وبينهم وبين القائلين بالإمامة الاثنى عشرية أو الإمامة على إطلاقها خلاف شديد .

وهذه الطريقة الدينية تنطوى على أسرار تكتمها ولا توافق السنة ولا الشيعة فى عقائدها وشعائرها ، ومنهم من يصوم الأيام الأولى من المحرم – أول السنة الهجرية – ولا يصوم شهر رمضان ، ودعواتهم التى يرتلونها فى الأناشيد تتردد فيها أسماء على وعيسى وموسى وداود ، وكأنهم يميلون إلى التوحيد بين الأديان وإن كانوا لا يعلنون ذلك لغير « الواصلين » .

ولم يخطئ السيد « نصرت » أيضًا حين قال إن الطربوش باق بعد زواله من البلاد

التركية وأوشك زواله من البلاد المصرية ، لأنه أصبح شعارًا مميزًا للمسلمين البلقانيين . يلبسونه فى مواسمهم وأعيادهم ولا يلبسون القلبق أو القبعة ، ونذكر مما كتبته القصاصة الإنجليزية ربيكا ويست Rebecca West فى رحلة البلقان أن مسلمى الصرب كانوا يتعمدون لبس الطرابيش أثناء زيارة رئيس الجمهورية التركية لبلادهم ولا يقابلونه بالهتاف ولا بالتحية ، كأنهم يستنكرون منه أن يخلع هذا الشعار ولا يلبسه اكرامًا لهم أثناء هذه الزيارات الرسمية « القومية » .

وفى أفريقية الوسطى

على أننا نذكر الآن أن الطربوش لا يزال معدودًا فى الطليعة بين أغطية الرأس التى يحتفل بها أبناء أوغندة وأفريقية الوسطى ، وقد ذكرنا ذلك يوم مرور « الكاباكا » أى ملك بوغاندة بمطار ألماظة ، فإنه يلبس الطربوش أحيانًا كما يلبسه جنوده الوطنيون ، وقد تختلف ألوانه بعض الاختلاف فلا تنحصر فى اللون الاحمر كطرابيشنا المصرية ، ولكنه فى قالبه وشكله طربوش مصرى لا تختلف فيه عينان .

هل لابد من غطاء رأس ؟

والحق إنه سؤال لابدّ أن نوجهه إلى أنفسنا بعد مارأيناه من خاتمة عهد الطربوش .

فهل نترك الطربوش ولا نخلفه « بغطاء رأس » على الإطلاق ؟ وهل يبقى فريق منا بالعمامة وفريق منا عراة الرءوس بغير شارة قومية لغير المعممين ؟

لقد كان الباحثون فى توحيد الزى يتجهون فى بحثهم وجهة غير صحيحة إذ يظنون أن الأوربيين موحدون فى غطاء الرأس وأننا نحن المصريين خاصةً غير موحدين .

فتسمية الغطاء على الرأس بين الأوربيين باسم واحد – وهو القبعة – لا يعنى أنهم متفقون فى زى واحد ، فإن الفرق ما بين قبعة وقبعة أبعد من الفرق بين غطاء الرأس فى الهند وغطاء الرأس فى قطر من الأقطار الأوربية ، وإذا نظرنا إلى القبعة بأشكالها وألوانها والأنسجة أو الجلود التى تصنع منها فقد يجتمع منها مائة شكل أو تزيد ، ولكننا إذا

حصرنا أغطية الرأس المصرية لم تختلف هذا الاختلاف ، ولم يكن منها – عدا العمامة والطاقية – إلا طربوش واحد بلونه وشكله ونسيجه متشابهًا على جميع الرءوس .

فسألة التوحيد فى غطاء الرأس عندنا ليست بالمشكلة التى نبالغ فيها بالقياس إلى أغطية الرأس عند غيرنا .

ولكن الأوربيين يخلعون القبعة فى الطريق وفى محل العمل وفى البيوت ويحسبونها مع ذلك « غطاء للرأس » لا يزال على هذا الاعتبار كما كان قبل القرن العشرين .

أما نحن فنخلع الطربوش ولا نتخذ لنا غطاء قوميا للرأس يحل فى محله أو نتمثل به قوميين بغطائنا الخاص كما يتمثل الأوربيون « مقبعين » سواء لبسوا القبعات أو حملوها فى اليد أو تركوها فى البيوت .

ولا اعتراض لنا على زى من الأزياء يقع عليه الاختيار بلا تفرقة بين الطربوش والطاقية واللبدة والعمامة . ولكن كيف ياترى يقع هذا الاختيار ؟

إننا نغتبط بحرية الفرد فى ملابسه أمام قيود المجتمع التى لم يكن لها معنى فى العصور الماضية .

ولكن الانتقال من تلك القيود إلى الفوضى التى تلغى وحدة المجتمع لا تؤمن عقباه على الحياة الاجتماعية فى الشئون الجدية التى تتماسك عليها بقية الأمة .

والشعائر والرموز حقيقة لا ننساها ولا نستطيع أن ننساها ، فإن المجتمع الذى لايذكرنا بوجوده وحقوقه بشىء يواجه النظر والخيال يسهل نسيانه فى غير هذه الظواهر التى يظن لأول وهلة أنها ليست ذات بال .

وقبل أن نقول ذهب الطربوش يجب أن نتحسس جوانب رءوسنا لنعلم ماذا نضع عليها فى مكان الطربوش ؟

أسئلة وأجوبة*

* لماذا زعم روسو أن له خمسة أبناء ؟
* وفاء للطربوش بعد أن تنكرت له الرؤوس . .

لابد من الإجابة عن بعض الأسئلة التى ترد إلينا ، ويقترح أصحابها أن نجيب عنها فى هذه الصحيفة .

ولابدّ فى الحقيقة من الإجابه عنها جميعًا لو كان ذلك ممكنًا وكانت كلها صالحة للكتابة عنها فى صحيفة سيارة .

فإذا تعذرت الإجابة عن كل رسالة . فما هى الرسائل التى لا تتعذر الإجابة عنها ؟ وكيف نختارها ؟

هل هى الرسائل التى ترجع إلى موضوعات نشرت فى مقالاتنا بأخبار اليوم ؟

هل هى الموضوعات العامة على إطلاقها ؟

هل هى الموضوعات الخاصة التى قد تهم أشخاصًا كثيرين فتتدخل بذلك فى عداد الموضوعات العامة ؟

أرى أن الاستثناء هنا أيسر من الاختيار ، فإذا وقعت يدى على جملة من هذه الأسئلة فالذى لا يصلح للإجابة عنه فى صحيفة سيارة يستثنى وكل ما عداه خليق أن يجاب عنه بغير ترتيب للتواريخ أو الموضوعات .

وعلى هذا النحو نختار الأسئلة التالية ونرجو أن تكون مثلا للموضوعات التى يتناولها البحث فى الصحف والمجلات .

---

* أخبار اليوم فى ٢٩/ ١٠/ ١٩٥٥ .

١ – أولاد روسو

يقول الأستاذ إدوار منسى :

« قرأت اعترافات جان جاك روسو وعرفت فى سياقها أنه أنجب خمسة أطفال أودعهم جميعًا ملاجئ اللقطاء وهم بعد أطفال رضع . وقد تصرف هذا التصرف كما يقول مدفوعًا بدافعين أولها أنه كان يريد أن ينهج منهج أفلاطون كما ورد فى كتاب الجمهورية أى أن الطفل ملك للدولة . وثانيهما أنه يجنبهم الشقاء الذى عاش فيه من تشريد وحرمان .

ثم قرأت أخيرًا كتاب ستفان زفايج الذى قال فيه إن هذه الصراحة تدعو إلى الشبهة وإن الأرجح أنه لم يكن له أطفال على الإطلاق لعجزه عن الأبوة !

فهل نصدق اعترافات روسو أو نصدق زفايج ؟ وإذا صدقنا زفايج فإلى أى مصدر استند فى قوله ؟ إذ لم يذكر فى حديثه أى مصدر وهو لذلك قد تركنى فى ارتباك وشك » .

وشعورى منذ قرأت اعترافات روسو أنها اعترافات لا يعول عليها وأن جانب القصة فيها أغلب من جانب التاريخ .

ولما قرأت رأى زفايج شعرت أنه أقرب إلى المعقول وهو – أى المعقول – مرجعنا الفصل فى هذه الظنون .

فروسو لا يتكلم بأسانيد ، وزفايج مثله لا يتكلم بأسانيد ولا يستطيع أن يرجع إلى الأسانيد الواقعية أو الكتابية فى مسألة كمسألة اللقطاء مضى عليها عدة أجيال .

وبعيد عن العقل أن والدًا يصرّ على نبذ خمسة أطفال من أبنائه واحدًا بعد واحد ، لسبب كالذى ذكره عن جمهورية أفلاطون وهى لا تجعل ملاجئ اللقاء فى حكم الدولة المسئولة عن تربية الأبناء أجمعين .

وكذلك يبعد عن العقل أن ينبذهم أبوهم ليجنبهم الشقاء وهو لا يدرى مصيرهم فى ملاجئ اللقطاء .

ومثل هذه الفكرة التى يتعلل بها روسو لا توصف إلا بأنها نزوة من النزوات التى ترد على الخاطر ثم تزول . فلا يعقل أن تبقى بضع سنوات على ثبات وإصرار كلما ولد له طفل جديد .

وزفايج يعتقد أن روسو لفق على نفسه هذه الفرية لأنه كان ناقص الرجولة وكان يريد بهذه الفرية أن يثبت لنفسه رجولة تنجب الأبناء بهذه الوفرة ، ثم يلتمس للتصرف فيهم هذا التصرف عذرًا من أعذار الفلاسفة والحكماء ، فهو إذن رجل وهو إذن فيلسوف .

والمسألة ، بعد ، موازنة بين معقولين لا بين طائفتين من الأسانيد .. ومن المعروف عن روسو بعد هذا أنه كان من زمرة « الهستيريين » الذين يعيشون بهذه الأوهام ، وليست هذه القصة بالقصة الوحيدة التى تستوقف النظر بين اعترافات كما يرى الأديب صاحب الخطاب ، لو شاء أن يعيد النظر فيها ليحصى على كاتبها نزواته وجنوحه إلى الإغراب والتلفيق .

٢ – الفن والعمل

وقال السيد أحمد محمد أحمد – معاون أشغال بلدية الإسكندرية :

« إننى فى مشكلة كالأخطبوط لست أدرى بأى أذرعها أبدأ ، ولذلك أردت أن تساعدنى ياسيدى على صفحات الصحف وأن تتكرم بمساعدة أديب ناشىء هو على أية حال فى منزلة الابن الروحى منك .

« .. تقدمت فى مسابقة .. وطلبت الالتحاق بوظيفة كتابية ثم عينت لوظيفة معاون أشغال طريق . وظيفة تتصل بالجمهور اتصالاً وثيقا وتريد موظفا متين الأعصاب لا يرهقه ما تفرضه عليه هذه الوظيفة من أعباء .. ولما كنت مرهف الأعصاب ذا طبيعة أدبية تميل إلى الأدب والكتابة فقد عانيت الكثير لأستمر فى العمل .. وليس فى طبيعتى الكسل فهل أكون ضحية العمل ؟ » .

وأقول للأديب الناشئ إن « التسامى » هو طبيعة الفن أو طبيعة الفنون على أنواعها .

فالمفهوم أن الإنسانية تلجأ إلى الفن للتسامى بالحياة من الواقع المكروه إلى الجمال المحبوب .

والسيد أحمد محمد أحمد – أديب يعالج القصة . ففى استطاعته ومن طبيعة فنه أن يواجه الجمهور الذى يعمل معه كما يواجه « شخصيات فنية » تحتاج إلى الاستطلاع والتصوير ، فلا يصدمه العمل الثقيل من أحدهم بما يسوءه ، بل ينظر إليه كأنه خامة معدة لصورة مسرحية أو قصصية أو فرصة للفهم والتحليل .

وسيبدأ الأديب الناشئ بهذه البداءة كأنه يتخيل ويحتال على ذهنه وشعوره ، ولكنه لا يلبث أن يعلم أنه جاد فى تصوره غير محتاج إلى تكلف الحيلة للتسوية بينه وبين طبيعته .

وسيرى فى هذه المحاولة أيضا منهجا من مناهج التطور التى يجريها الفنان على طبيعته بين الارادة المقصودة وبين تطويع الضرورة للارادة ، ولا شك أنه سيحمد العاقبة على كل حال ، لأنه لن يجد لتكوين ذهنه ووجدانه وخياله وسيلة أنفع من هذه الوسيلة وأقرب إلى متناول يديه .

٣ – ذكريات العظماء

وكتب الأستاذ « محمود الشرقاوى » من رسالة يقول فى ختامها :

« مرت فى أواخر السنة الماضية ذكرى مرور مائة وخمسين سنة على مولد الجبرتى ولولا عدة مقالات كتبتها عنه فى الأهرام والأخبار ومقال كتبه الصديق الأستاذ راشد رستم ، ولولا كتابى الذى صدر عنه وأجازه المجمع لما أحس بهذه الذكرى أحد .

« أما يرى الأستاذ الكبير أن الجبرتى جدير بمنزلة كريمة غير هذه المنزلة من الجحود والنكران »

أعتقد أن مقالاً من قلم الأستاذ العقاد كفيل بالتنبيه إلى ذكرى هذا المصرى العظيم

الذى كان أول الخصوم وأقوى الخصوم لمحمد على ..

وفى اعتقادنا أن الأستاذين الشرقاوى ورستم نهضا بفرض كفاية كما يقول رجال الشريعة ، ولهما من الأمة العربية حق الشكر على هذا الصنيع الجميل .

ولكننا نأسف إذ نقول إن « الجبرتى » لم ينفرد بهذه « المزية » من الجحود والنكران بين المشغولين بالتاريخ والثقافة .

فقد مرت ذكريات لمحمد عبده ومحمود سامى البارودى وقاسم أمين وحافظ إبراهيم ، ولم يلتفت إليها .

وقد وصل إلى ظنى أن هذا الإهمال « مزية » بالقياس إلى الذكريات الشائعة .

فالظاهر أن النابهين الذاهبين لا يذكرون بيننا لأقدارهم أو لآثارهم . وإنما يذكر منهم من يذكر لصفات مشابهة ينفس بها الذاكرون عن هواياتهم ، وتبحث عن هؤلاء الذاكرين أحياناً فلا ترى بينهم من له رأى الأدب او الثقافة أو التاريخ ، لأنهم لايحفلون بالأكثرين من ذوى الفضل فى آدابنا وفى ثقافتنا وفى تاريخنا . كأنهم غير مصريين وغير مذكورين .

ومن العزاء دائماً لأمثال الأستاذ الشرقاوى أن يذكر قول البطل الرومانى القديم : « لأن يسأل السائلون لماذا لايقام له تمثال خير من أن يقال لماذا أقيم له التمثال » ..

٤ – الطربوش مرة أخرى

وسؤال من السيد « منير أحمد » يقول فيه إن الأوربيين يسمون الطربوش « فز أو فاز » فمن أين جاءت هذه التسمية وليست هى تركية ولا يونانية ؟

والمعروف أن اسم الطربوش باللغات الأوربية مأخوذ من كلمة « فاس » المدينة المراكشية المشهورة . وقد يكون فى ذلك تعزيز لرأينا على سبيل الترجيح لا على سبيل التوكيد . وهو انتقال الطربوش من اليونان مباشرة إلى أفريقية الشمالية ، ولولا أن الطربوش لم يذكر – على مانعلم – فى تاريخ المغرب قبل اتصال المغاربة بالترك العثمانيين

لرجح القول بأن أبناء أفريقية الشمالية نقلوه من اليونان والجزر التى كان لهم بسكانها اتصال قديم .

أما لباس سلاطين الترك قبل الطربوش فهو « التلبند » أو العمامة على شكل الزهرة المعروفة فى اللغات الأوروبية باسم « التليب » وقد سميت الزهرة بهذا الاسم لأنها تشبه شكل العمامة السلطانية ، وليس التليب Tulip إلا تصحيفاً للتلبند بمعنى عصابة الرأس كما كان يلبسها السلاطين العثمانيون .

أحسبنى قد وجدت زميلاً يحافظ على صحبة الطربوش بعد أن تنكرت له جميع الرءوس .

فقد كتب إلى القانونى المحقق الاستاذ « عبده حسن الزيات المحامى » يتفاءل بمستقبل الطربوش ويقول بعد سطور من خطابه : « قرأت قولكم فى ختام المقال : والشعائر والرموز حقيقة لا ننساها ولا نستطيع أن ننساها فإن المجتمع الذى لا يذكرنا بوجوده وحقوقه بشىء يواجه النظر والخيال يسهل نسيانه فى غير هذه الظواهر التى يظن لأول وهلة أنها ليست بذات بال »..

ثم يقول من ذكريات التاريخ الوطنى القريب : « تداعت المعانى فى نفسى ورأيتنى أصغى إلى قول الزعيم الخالد سعد أن ارتداءه الطربوش قد نفعه فى منفاه بسيشل لأن الملاحين المسلمين لم يكادوا يلمحون الطربوش حتى احتفوا به وبصحبه كل الأحتفاء .

وقال الأستاذ الزيات : « ولست أنفى احتمالاً قد يضعف هذا الاستشهاد واعنى أن يكون سعد قد ذكر الطربوش تقية لشبهة التعاظم والتحدث عن شخصة .. ومع ذلك لا يجنى هذا الاحتمال على القضية فى ذاتها وهى القضية التى وضعتموها فى إطارها الحق » .

ثم ختم القانونى الفاضل رسالته الأدبية التاريخية قائلا : « وإذا كان الحديث يذكر بالحديث فإن كلام سعد هذا يذكرنى بنداء رسمى أصدره ممهوراً بإمضائه حين شاعت ضدّ الطربوش دعوة قوية منذ حوالى ثلاثين عاماً فدافع عنه وألقى بصنجته فى كفته فرجحت ثم شالت بل زالت كفة المهاجمين .

وعلى كل احتمال أقول إن أسباب سعد للمحافظة على الطربوش هى أسبابى الصحية والتاريخية ، فقد كان رحمه الله يلبس الطاقية إذا خلع الطربوش كما كنت ألبس « البيريه » إذا خلعته ، ولم أزل أتلفع بالكوفية كما كان يتلفع بها .

فمهما يكن من احتمال أو سبب فالشعار الذى اختاره بين خالعيه ولابسيه « الطربوش إلى النهاية » !

ويسرنى أن أظفر بزميل أعتد به فى هذا الوفاء أو الثبات ، وهو القانونى الوطنى الأديب الأستاذ عبده حسن الزيات .

٥ – الفرصة لا تضيع

وكتب الأديب الأستاذ « محمد حسن عبدالواحد حجازى المدرس بعزبة حسن صالح بالزقازيق يسأل عن فرصة الأديب فى الاطلاع بعد تمهيد قال فيه :

« قرأت كثيرًا من كتبكم القيمة والتى تحوى آراء لها وزنها ولها قيمتها وخرجت من ذلك كله بنتيجة واحدة وهى أن هذه الذخائر مدرسة يجب علينا نحن الشبان أن ننهل من مناهلها العذاب إن كنا حقا نريد أن نكون للأدب خالقين مجددين .

« لقد عاقتنى الحرب على حدود بلادنا ان تتوافر لى حياة رتيبة منظمة أستطيع فيها أن أطلع اطلاعًا يمكننى من أن أشق طريقى بين أدباء الشباب ،وما أن انتهت مدة خدمتى العسكرية حتى تلفتّ ذات اليمين وذات اليسار باحثًا عن الرجل الذى يستطيع أن يوجهنى الوجهة الحقة .. فلم أجد غير سيادتكم فهل يتكرم أستاذنا الفاضل بإسداء النصح لنا ثم بالاطلاع على إنتاجنا » ؟

وبعد .. فإن خطتى فيما انشره من رسائل الأدباء أن أحذف منها مايخصنى ولكننى خالفت هذه الخطة فى نشر ماتقدم لأن جوابى مرتبط به معلق عليه ، ولأننى أردت أن أنقل أسلوب الكاتب بنصه ، لأنه أسلوب يدل على نضج واستعداد يبشران بنجاح كبير .

إننى أقدر أن كاتب الخطاب بين الخامسة والعشرين والثلاثين ، وأقول له بعد ذلك

إننى أستطيع أن أعتبر نفسى مبتدئا فى الاستعداد للحياة الأدبية من هذه السن وما بعدها ، لأننى بدأت القراءة والكتابة قبل هذه السن حقا ولكن الذى قرأته بعدها لايقل عن أربعة أضعاف ما قرأته قبلها ، والمؤلفات التى صدرت لى قبل هذه السن كتابان أو ثلاثة ، وقد بلغ ماصدر بعدها الستين أو يزيد .

وكل ما أحذر منه الكاتب الأديب بدعة « التفانين » أو التقاليع التى يهذر بها من لا يعقلونها ولا يحسنون نقلها عن أصحاب هذه البدع الهزيلة فى الديار الأوربية ، فما من بدعة منها نشأت قبل عشرين سنة وبقى لها اليوم أثر يذكر ، وكل ما أنكره هؤلاء الأدعياء على من قبلهم باق خالد « محترم » بين أهله على خلاف مالفقوه من التفانين والتقاليع .

والكلمة الأولى والأخيرة فى كل وصية نافعة : « كن مبتدئا على الدوام ولا تحسبن نفسك منتهيا فى يوم من الأيام » .

٦ – الأحاديث والكتب

ولعلى لا أتخطى حدود العموميات إذا كتبت هذه الأسطر التالية لأريح بعض أصحاب الرسائل من الكتابة إلى فى مسألة لا جواب لى عنها غير جواب واحد وهو الاعتذار بصيغة واحدة .

يكتب إلى بعض الأدباء أحيانًا ليسألونى عن حديث من أحاديث الإذاعة فاتهم فى أوانه ، ويكتب إلى غيرهم يطلبون نسخًا من مؤلفاتى لإنشاء مكتبة عامة تابعة لبعض المعاهد أو بعض المجالس والهيئات المحلية .

ولا مناص لى من الاعتذار فى الحالتين فإننى لا أحتفظ بمسودات لأحاديثى ولا لمقالاتى الصحفية ، وقد دعا الأمر إلى نسخ حديث طلبته جماعة التسلح الخلقى فرجوت موظفًا فاضلاً فى دار الإذاعة أن يتولى الإشراف على نقله بالآلة الكاتبة وإرساله إليهم ، وليس فى الوسع أن يعاد ذلك لكل حديث مطلوب .

أما المساهمة بمؤلفاتى لإنشاء المكتبات العامة فليس أحب إلى منه ، وربما حرمت

نفسى أحياناً من النسخ القليلة الباقية لدى لأننى أعلم ان طبعتها تعاد فى وقت قريب ولكن هذه المؤلفات جميعا يطبعها الناشرون ولا يصل إلى منها غير النسخ المعدودة للهدايا وللمراجعة وإعادة الطبع فى حينها وقد أجبت ما أستطعت أن أجيبه ولم يبق لدى بقية أرسلها وأستغنى عنها ، ولولا ذلك لسرنى أن تحتوى كل مكتبة حديثة شيئًا من هذه المؤلفات .

الإسكندرية أربعة .. والقاهرة اثنتان*

ويظهر أن المصادفة شاءت أن يكون لليوميات فى هذا الأسبوع نصيب من السؤال عن أسماء البلدان غير قليل .

فقد تقلينا من الأستاذ « عوض الحوفى – المدرس بدمنهور » خطابًا يقول فيه :

« قرأت فى كتاب الأستاذ محمد زكى عبد القادر عن صور أوربا وأمريكا أنه توجد فى واشنطن مدينة صغيرة تسمى الإسكندرية ، وأنه توجد بعض المدن تسمى بأسماء المدن القديمة ، ولكنه قال إنه لم يعثر على تعليل فى المراجع التى قرأها لهذه الظاهرة ، فهل لى أن أسألكم عن رأيكم عن علة وجود تلك الأسماء فى تلك المناطق » ؟

والواقع أن الظاهرة التى لاحظها الأستاذ محمد زكى عبد القادر شائعة جدًّا فى بلاد العالم الجديد ، فإن فيها أربع بلاد باسم الإسكندرية ، وبلدتين باسم القاهرة ، عدا البلاد التى تكررت أسماؤها هناك من غير البلاد المصرية ، ولا نستغرب هذه الظاهرة عند الأمم المهاجرة على الخصوص إلى أرض تسمى بأرض العالم الجديد ، فإنها إذا اضطرت إلى خلق أسماء البلاد الجديدة لم تجد بدًّا من استعارة أسماء من العالم القديم ، وقد تدفع اللبس بين الأسماء المتشابهة بإضافة وصف « الجديدة » إلى اسم البلدة كما فعلوا فى أسماء نيويورك ونيو أمستردام ونيو برن ونيو جرسى ونيو برنسويك ، ومعناها كلها يورك الجديدة وأمستردام الجديدة وبرن الجديدة وجرسى الجديدة ، وبرنسويك الجديدة ، وغيرها كثير فى أسماء البلدان والأنهار والخلجان .

ويفعلون هذا إذا كان فى العالم الجديد مهاجرون كثيرون من الأمم الهولندية والالمانية والأنجليزية والأوربية على العموم فأما إذا كان المهاجرون قليلين أو غير موجودين فلا حاجة إلى دفع اللبس باسم الإسكندرية الجديدة أو القاهرة الجديدة ، إذ لا يوجد

* الأخبار فى ١/١١/١٩٦١ .

هناك من يلتبس عليهم اسم إسكندريتهم بالإسكندرية الأخرى .

وقد تكررت هذه الظاهرة قديمًا وحديثًا فى العالم القديم . ففيها نيودلهى الهندية بمعنى دلهى الجديدة ، وفيها طرابلس الشام وطرابلس الليبية ، وفيها الإسكندرية والإسكندرونة بمعنى الإسكندرية الصغيرة ، وفى ضاحية مصر الجديدة التى يكثر فيها سكان البلاد المتعددة شوارع بأسماء المدن المصرية من الوجهين البحرى والقبلى تعيد إلينا هذه الظاهرة فى نطاقها المحدود .

البربرية *

« . . لا زال بعض الجهلة ينسبوننا نحن أهل النوبة إلى البربرية مع أننا أبعد الناس عن هذه الصفة التى ترجع إلى الشعوب المتأخرة . فأرجو أن تتفضلوا ببيان أصل كلمة بربرى ومعناها ، وهل هى لاتينية أو عربية ، وما أسباب إطلاق هذه الصفة علينا ظلمًا ، إذ أننا لسنا من الشعوب المتأخرة ولسنا من أهل المغرب ولسنا من سكان مدينة بربر بالسودان ؟

محمد وديدى

بمصلحة الميكانيكا والكهرباء

الكلمة فى أصلها يونانية كان الإغريق يطلقونها على كل من لا يفهمون لغاتهم من الآسيويين والأفريقيين والأوربيين أمثالهم سكان بلاد الغال والراجح أنها من « البربرة » التى تدل على الأصوات غير المفهومة . .

وإذا كان لها أصل لاتينى – وهو غير بعيد – فربما كانت له علاقة بكلمة بارب أو بار Barb-Bar ولها علاقة بمعنى الحد الفاصل أو النهاية الحاجزة بين موضعين ، ومنها اللحية لأنها الحد الدائر حول الوجه ، ومن الجائز – إذا كانت الكلمة لاتينية – أنها أطلقت على قبائل بلاد الغال ، لأنهم كانوا يرسلون لحاهم وكان أكثر جنودهم ملتحين .

ولكن معنى الحد ظاهر فى إطلاق كلمة بربر على الشعوب التى تسكن الحدود بين بلاد الحضارة وبلاد الهمج الذين لم يقتربوا من جهات المدنية .

لكن الاستعمال قد حصر معنى هذه الكلمة فى الاختلاف باللغة وفى اللهجات

* الأخبار فى ١/١١/١٩٦١ .

اللغوية التى تتسم بالخشونة وتلحق من أجل ذلك بلغات الأمم غير المفهومة ، ولهذا أطلقوها بعد القرن السادس عشر على الأساليب الجافية التى يعوزها الصقل وتنكرها قواعد البلاغة .

وقد استعملها بريسكوت للدلالة على الأمم الأمريكية التى لم تكن تفهم الأسبانية ولا الإنجليزية ، فكان يسمى دولة المكسيك ودولة البيرو وسائر الدول فى أمريكا الوسطى بالدول « البربرية » .

وكان اليونان الذين وصلوا إلى السودان يسمون الشعوب التى تعاقدوا معها بحلف « البقط » شعوبا بربرية ، أى شعوبا تتكلم بلغة غير اليونانية وغير اللغة الشائعة إلى شمال الشلالات وكلمة « البقط » إنما هى كلمة Pact منقولة إلى العربية بعد دخول الإسلام إلى البلاد .

وقد وردت الكلمة فى كتب العهد الجديد من رسالة بولس الرسول الأول إلى أهل كورنثوس فجاءت فى الترجمة اليونانية « بربرية ».وبقيب بهذا اللفظ فى الترجمة الإنجليزية على عهد الملك جيمس ، وعاد أصحاب الترجمة المنقحة حديثا فترجموها بأجنبية Foreigner ثم ترجمت أخيرًا فى الترجمة الإنجليزية الشعبية مفسرة بالذى يتكلم الهراء . Telling nonsense

أما الترجمة العربية فقد وردت فيها بالعبارة الآتية : « فإن كنت لا أعرف قوة اللغة أكون عند المتكلم أعجميًّا والمتكلم أعجميا عندى » .

وقد دخل الغرب إلى شمال أفريقية وهى تسمى بربارى باللاتينية واليونانية مع اختلاف اللفظ قليلًا بين اللغتين ، ودخلوا بلاد النوبة وهى تسمى على ألسنة العامة بمثل هذه التسمية حيث يمنع التفاهم بلغة واحدة .

والواضح أن الكلمة اللاتينية القديمة لم تكن تطلق على جنس من الأجناس ولكنها كانت تعنى اختلاف اللغة أو اختلاف الحضارة .

وإذا كان لأصل الكلمة علاقة بمعنى الحدود فربما كان هذا سببًا لإطلاقها قديمًا على بلاد الحدود الجنوبية ، وربما كان اسم مدينة بربر نفسها مقصودًا بهذا المعنى ، لأنها

كانت فى وقت من الأوقات على موقع الحد الفاصل بين مصر الجنوبية والدولة الأثيوبية .

والمعروف أن كتب التاريخ العربى تسمى البلاد إلى جنوب الشلال الأوّل ببلاد النوبة ، ولكن إطلاق اسم البرابرة عليها خطأ يجرى على ألسنة العامة من بقايا اليونانية أو اللاتينية القديمة ، ومثله فى الخطأ أن أبناء الصعيد الأقصى يسمون أبناء جرجا وأسوان بالبحاروة أى أبناء البلاد البحرية ، وإن كان بينها وبين حدود البحر شوط بعيد .

ويرى السيد الوديدى أن الأوربيين أنفسهم قد أصبحوا يعدلون عن كلمة البربرية إلى كلمة الأجنبية للدلالة على العجمة أو اختلاف الحضارة ، فليس اسم البربرية اليوم صالحًا للدلالة على أمة من الأمم التى كانت تطلق عليها ، وليس هو بصالح للدلالة على النوبيين إذا كان المقصود به معنى المجافاة للمدنية ، لأن المشاهد من أخلاق النوبيين وعاداتهم أنهم أقدر من غيرهم على نظام الحياة المدنية ، وحسبهم بذلك شاهدًا أنهم فى خلاف سنوات قليلة يستطيعون تعمير مساكنهم حيثما انتقلوا بعد تعلية الخزان ، ونجاحهم فى مراحل التعليم يطرد على نسبة نادرة بين تلاميذ مدارسنا فى الجنوب والشمال ، فلا تصدق البربرية كما وضعها الأقدمون على سكان بلاد النوبة بوصف من الأوصاف .

علامة انحطاط الحضارة الأوربية
فى القرن العشرين*

إذا التمس المؤرخون فى المستقبل علامة واحدةً – مختصرة – على انحطاط الحضارة الأوربية فى القرن العشرين فهذه العلامة تتلخص فى اسم الرجل المنسوب إلى فن التصوير (بابلو بيكاسو) الذى يبلغ الثمانين فى هذا الأسبوع ويحتفل به لهذه المناسبة ضحايا الخبائث التى يمثلها فى هذه الحضارة المنحلة : وهى الجهل والمسخ والإباحية .

إنه يمثل الجهل لأنه يلغط وأمثاله باسم الوعى الباطن وهو لا يعرف شيئًا عن الوعى الباطن غير حروف اسمه على الورق ، لأنه يتوهم أن الوعى الباطن خلق اليوم فى الناس ولم يكن موجودًا يوم كان الأعلام الأفذاذ من أعاظم الفنانين يصورون الوجوه ويصورون معها النفوس بما أودعته من الوعى الباطن والظاهر وما تجلوه للعيان من ملامح الخير والشر وآيات القدرة أو الجمال . وأن هذا الوعى وضحاياه المساكين لينطقون بهذه الكلمة التى لا يفهمونها – كلمة الوعى الباطن – وهم يظنون أنها اكتشفت فى الزمن الأخير لكى تلغى الوعى الظاهر وتبطل النظر والسمع والحس كله ، وتجعل الناس عميًا لا يبصرون مايبصرون وصمًّا لا يسمعون مايسمعون !

وهو يمثل المسخ لأنه ينقل التصوير من فن جميل إلى فن تشويه وتدنيس ، ويرضى بذلك لوثة الجنون التى تشتد فى المصابين بها فيطيب لهم أن يتمرغوا فى القذر وينقلبوا فى النفايات ، وتبتدئ فى أدوارها الأولى فتظهر فى هذه الأخلاط المشوهة وتلك الأوضاع المعكوسة وتلك الفوضى التى لا يعرف لها معنى ولا يستقيم لها قياس .

وهو يمثل الإباحية لأنه عنوان العجز عن ضبط النفس وكبح الشهوات وهو داء الأدواء فى الحضارة الأوربية يفشو بين المهزوزين من أهلها فلا يخجلون منه فى عصر

* الأخبار فى ١/ ١١/ ١٩٦١ .

الحرية كما يقولون ، وقديمًا كان أمثالهم يحسون هذا العجز فيخجلون منه ويحاولون إصلاحه أو يحاولون ستره إن لم يصلحوه ، لأن القيم الأخلاقية والفكرية كان لها سطانها الذى يعرفون مخافته إن لم يعرفوا الحياء منه .

وإذا فشا داء الإباحية فى الحضارة فمظهره فى عالم الأخلاق نبذ الأدب والمباهاة بالتبذل والفجور ، ومظهره فى عالم الفن (الجميل) هذا المروق من القواعد وهذا التبذل فى الأذواق .

والمضحك فى أمر هذه « البيكاسية » أن الذى ينشرها اليوم ويحفظ للناس « مقدساتها » المختارة هو المصور « الشمس » دافيد دنكان !

مصور الأشكال العيانية هو الذى ينقل للناس مقدسات الفن الذى يلغى العيان ويلغى معه كل صورة محسوسة !

عجيب هذا أو غير عجيب ؟ !

عجيب إذا سمعنا تبشير المبشرين بإسقاط الحس الظاهر والانفراد بالحس الباطن فى كل منظور ومسموع وملموس ، على شرطهم أولا وهو شرط التشوية والتلويث ، لأن الوعى الباطن – على شرطهم – مرفوض إذا اعتدل واستقام ورأيناه كما نرى بالعيون أو عقلناه كما نعقل بالأفهام . . !

ولكنه غير عجيب إذا سمعنا الوعى الباطن كما يسمع حقا من بواطن الفنان اللبق ومصوره الشمسى الأريب ..

فإن المصور الشمسى الأريب على حق حين يعلن عن الفن الذى يخلى له الميدان ويجعل التصوير كله حرفة محتكرة للمكنات الفتوغرافية .

أما الفنان اللبق فهو لا يستطيع بالريشة أن ينقل مقدسات محرابه إلى الناظرين بأعينهم فى البلاد البعيدة ، فلا غنى له عن المكنة الراسمة والمكنة الطابعة فى عملية الترويج والإعلان عن البضاعة المكنونة ، وراء الأوعية والبواطن والأستار .

وتطبيقًا لهذه القاعدة نرى أن ملامح « بيكاسو » فى المجموعة الشمسية هى الملامح الظاهرية العيانية التى يتراءى لها خلق الله ليعرفهم الناس ، فهو هنا « آدمى » كالآدميين

الذين يشوههم بعبقريته فلا يميزهم أحد من الباذنجانة ، أو الكرنبه ، أو الرأس الذى ربعه رأس خروف وربعه رأس طاووس وربعه مصراع دولاب وربعه الباقى فنجال مكسور .

لماذا ؟

ألا يستطيع الفنان « اللبق » أن يرسم نفسه من وعيه الباطن ليعرفه الناس بأوعيتهم الباطنة ؟

لماذا يحتاج إلى الصور الشمسية ليعرفه الناس بوجهه وعبقريته حين يريد فى الثمانين أن يذكروه ويمجدوه ؟

إن السؤال هنا محوّل إلى الوعى الباطن لنسمع الجواب عنه من الفنان اللبق أو من المصور الشمسى الأريب !

ولا بّد من أسئلة كثيرة نضيفها إلى ذلك السؤال فى انتظار الجواب من عالم العيان أو عالم الأسرار .

هذه الصورة « الخنفشارية » من أين لهم أن الناس يرونها فى وعيهم الباطن كما يرونها بالعيون ؟

ومن أين لهم أنها تنتقل على هذا الوضع ظاهرًا وباطنًا ولا تنقلب فى الطريق إلى صورة ثالثة لا يعلمها إلاّ الله غير صورة اليقظة وصورة المنام .

ولماذا يجب أن نرى الإنسان باذنجانة ولا نعود فنرى الباذنجانة – باطنًا – على صورة صاروخ أو قذيفة ميجاتون أو سلطانية خشاف !

يادون بابلو . . !

ياباطن الأباطين . . !

تهنئتنا لك فى الثمانين أنك عشت إلى زمان تجد فيه من يهنئونك ببلوغ الثمانين ، ولو كان الزمن قد تقدم بك – كما أنت – إلى عصور الوعى الصحيح لأعادوك إلى عالم وعيك الباطن ربع خروف وربع طاووس وربع مصراع وربع فنجال مكسور ، ولما اجتمع منك جزء على جزء يهتدى إليه بصر اليقظة أو بصر المنام .

كليوباترة . . تحيا*

بعد ألفى سنة تعود كليوبترة وتستأنف إثارة المشكلات فى المدينة الخالدة أو المدينة المقدسة ، وتثبت أنها لاتزال أهلاً للاختلاف عليها وهى فى عالم الظلام .

كان جمال كليوبترة – ولو فى الظاهر – هو علة القتال العنيف الذى نشب بين أغسطس ومارك أنطونى القائدين الرومانيين الكبيرين ، لأن مارك أنطونى طلق زوجته « أكتافيا » أخت أغسطس وأهانها لغرامه بحية النيل كما كانوا يسمونها .

وقبل ذلك كانت كليوبترة منار الخلاف بين يوليوس قيصر وحزب كبير فى مجلس الشيوخ يأبى أن يؤيدها فى نزاعها مع أخيها مطاوعة لأهواء قيصر ومن هذه الأهواء غرامه بكليوبترة وهى فى نحو العشرين !

أما خلاف اليوم فلا شأن له بالسياسة ولا بالحرب ، ولا شأن له « بشخصى كليوبترة ولا بجسدها » .

خلاف اليوم على التمثال بعد زوال الأصل الأصيل بأكثر من ألفى عام . على تل من التلال السبعة التى تقول لنا الأساطير إن المدينة الخالدة مقامة عليها يرتفع تمثال « فينوس » أو الزهرة ربة الجمال فى مذهب الأقدمين .

ويتوالى النقاد والمؤرخون عصرًا بعد عصر وهم يسمونها زهرة « الاسكيلين » نسبة إلى التل المشهور .

ثم يأتى فى هذه الأيام مؤرخ إيطالى فينكر ماتعارف عليه الأوائل وأجمعوا عليه ، ويقول إن التمثال لم ينصب للربة السماوية فينوس ، وإنما نصب للربة الأرضية كليوبترة حية النيل ، وواحد من براهينه الكثيرة على ذلك أنها تضع بجانبها حية لم تكن مما يوضع إلى جانب ربة الجمال .

* الأخبار فى ٧/٩/١٩٥٥ .

ويطلع المؤرخ الحفرى جورجيو جلينى Gullini على آراء هذا المؤرخ فيرفضها بكلمة واحدة :

مستحيل : مستحيل :

مستحيل لماذا ؟ . . لأن التمثال « أبرد » من أن يكون صورة لكليوبترة التى تشع الحرارة من تاريخها بعد ألفى سنة .

رأى مع الآراء

والحقيقة أن التمثال لا يشبه التماثيل التى أقيمت لفينوس فى العصور القديمة ، مع اختلاف الملامح بينها فى الوجه والنظرة .

لكننا لا نظن هذا الاختلاف فى الشبه كافيًا لتحويل التمثال من صورة لفينوس إلى صورة لسليلة البطالسة ، فإن صانع التماثيل يختار نماذجه وفاقًا لذوقه وتقديره ، ولا يتفق أن تتشابه النماذج على تباعد البلدان والأزمنة ، وتعدد المشارب والأذواق .

أما الذى يشككنا فى نسبة التمثال إلى « فينوس » فهو سن التمثال لا ملامح التمثال .

فإن الأقدمين لم يتعودوا أن يمثلوا ربة الجمال فى صورة البنت النامية التى لم تستوف بغد سواء الأنوثة الناضجة ، ولكنهم مثلوها دائمًا فى صورة امرأة بين الخامسة والعشرين والثلاثين ، ولولا حرصهم على بروز النهدين لتأخروا بها عن هذه السن بضع سنوات .

كانت باردة فعلا

وأما الأستاذ جلينى المؤرخ الحفرى الذى استبعد أن يكون التمثال لكليوبترة لأنه « أبرد » من أن يمثلها فهو مأخوذ بالإشاعات عن هذه المرأة التى غلبت فيها الأقاويل على الحقائق الكامنة وراء جميع الإشاعات .

إنه يظن أن حية النيل كانت شعلة من الغرائز الجنسية لا تفرغ من التهالك على اللذات والتصدى لأهواء الرجال ، ولهذا خطر له أن الرخام البارد خليق أن ينقل للناظر

قبسا من حرارتها المتوهجة ، وإلا فهو تمثال لغيرها وإن كانت غيرها « الباردة » فى نظره ربة للجمال .

إلا أن كليوبترة فى الحق لم تكن على هذه الصورة التى انعكست عليها من غرام عشاقها الكثيرين .

لقد كانت « باردة » فعلا وكانت تلعب بالعقول ولا يلعب بعقلها أحد . وكان الرومان يخافونها ويحسبون أنها هى الملكة التى تذهب بمجد دولتهم كما جاء فى نبوءات العرافين والكهان ، وقال المؤرخ القدير الدكتور تارن Tarn إن الدولة الرومانية لم تتنزل عن كبريائها قط لتحسب حسابًا لعدو من أعدائها غير إنسانين اثنين : هما هنيبال وكليوبترة !

وفى رأى بعض المؤرخين المعاصرين أن كليوبترة أعظم حاكم قام فى مصر من دولة البطالسة ، وإنها عملت برأسها قبل أن تعمل بقلبها فى علاقاتها السياسية أو علاقاتها بقيصر وأنطونى وأوغسطس ولم تكن مغلوبة على هواها فى علاقة من تلك العلاقات .

والذنب على كليو

والذنب على « كليو » فى أكثر هذه الإشاعات .

و « كليو » كما نعلم هى عروس التاريخ والملاحم بين عرائس الفنون والعلوم . واسم كليوبترة قريب من اسم هذه العروس كما هو ظاهر من نطق حروفه . ولكنها على هذه القرابة اللفظية لم تسعد من التاريخ بالكلمة الصادقة ، ولم يكن نصيبها منه أو أكثر نصيبها منه ، إلا حفنة من الأكاذيب .

لؤلؤة لا تذوب

وأول هذه الأكاذيب فى علاقاتها بالقائد أنطونى – كما زعموا – وضعت لؤلوة نفيسة فى قدح الشراب فذابت وشربتها لأنها لا تقنع بالرحيق شرابًا « لصحته » كما تقول الآن ، ولا تضمن على الكأس الأولى التى تشربها معه بألوف الدنانير .

وفى وسعك اليوم أن تعلم أنها أكذوبة لم تحصل ولا تحصل الآن . لأن الخل – وهو أقوى حامض يستطاع شرابه – لا يذيب اللآلئ الغالية ولا الرخيصة ، فإذا كان المشروب أقوى من الخل كثيرًا فما هو بصالح للشراب ، وما هو بمعروف بين الخمور التى تعاطاها الأقدمون أو يتعاطاها المحدثون .

والحمامات

ومن أكاذيب « كليو » عن كليوبترة أنها تركت المعركة فى « أكتيوم » ولاذت بالخليج الأزرق فى مرسى مطروح لتنعم مع عشيقها أنطونى بسهرات الطرب والغرام :

ومنذ أسبوعين نقلنا كلامًا عن هذا الخليج من كتاب الرحلة التى قام بها الفتيات الثلاث فى الصحراء الغربية ، فلا يزال الناس يتخيلون أن الخليج الأزرق أو « اللاجون » فى مرسى مطروح حمام من حمامات كليوبترة لا يصلح لغير ليالى العشاق .

واللاجون حقًّا « حمام » يغرى بخلق الأحاجى والخيالات ولابد له فى الوهم من عشاق ومن هالات ومن فواجع كفواجع العشاق التقليديين ، الذين يستحقون من الطبيعة أن تدبر لهم مكانًا للسباحة وللغرق أخيرًا كهذا المكان !

رأيت البحر الأبيض فى بيروت ويافا وبور سعيد والإسكندرية واالسلوم ، فلم أر ماءً من أمواهه يشبه ماء هذا اللاجون فى الصفار الذى يكاد ينافس الضياء .

فكيف يكون فى مصر غرام كغرام كليوبترة ولا يتصل فى خبر من أخباره بهذا الصفاء السماوى ، لولا أنه فوق الماء ؟

لكنه الحاصل فى أرجح الأخبار .

فإن كليوبترة لم تترك « اكتيوم » إلا بعد اليأس من النصر الأخير ، وعادت إلى قصرها فى مريوط ولم ترجع إلى مرسى مطروح . لأنها أرادت أن تتلق الخبر على بعد من الإسكندرية لكيلا يعلم الشعب وحاشية القصر مصير المعركة من مظهر الرسول الذى يحمل أخبار الهزيمة ، فإذا أيقنت بالهزيمة الأخيرة أدركت الموقف بتدبيرها الأخير ، إن كان ثمة تدبير .

فلما علمت بهزيمة الأسطول عادت بسفينتها بين الرقص والغناء ومعازف الموسيقى تسبقها بأصواتها إلى مدى بعيد ، وغلب الظنون أنها انتصرت فى المعركة وأنها تعود فى هذه الزفة عودة الظافرين . وخطر لها أنها تستطيع بعد هذا كله أن تجمع أسطولها فى البحر الأحمر وأن تنقل السفن بطريق النيل إلى خليج السويس . فأطبقت المصائب تباعًا بانسداد طريق القناة بين النيل والبحر الأحمر وانقطاع الماء فيها موضعًا بعد موضع . وجاءت الأنباء من سورية بخذلان الجيوش لأنطونى وانفضاض الفرق الموالية له وللدولة المصرية وانضمامها إلى الاعداء . وأيقنت أنها لن تساوم أغسطس بعد هذا مساومة الأنداد ، فلا مصير لها إذن إلا أن تقاد فى موكب النصر فرجة للمتفرجين بالمدينة الخالدة ، أو تبخع نفسها بيديها وتفوت على غريمها هذا الحلم الجميل .

وقد اختارت الحية لتنجو بسمها الزعاف من هذه المهانة . وعنيت بتربية هذه الحية وتدريبها كأنها تعنى بتربية قط وديع أو طائر برىء ، وظهر « برود » تفكيرها فى هذا الاختيار الذى صبرت عليه سنوات ، لأن « الحية » من رموز الملك والحكمة وزينة التاج عند ملوك مصر الأقدمين .

وما أكثر حماماتها

ويكاد كل أثر على الماء يحسب حمامًا لكليوباترة فى عرف الأثريين المرتجلين .

ويسرى هذا الخاطر من شواطىء البحر الأبيض والمتوسط إلى سواحل النيل فى أسوان .

فهناك يرى السائح إلى اليوم بنية أمام ديوان المديرية يسأل عنها فيقال له إنها « حمام كليوبترة » . . وكل ما يعلم عنها على التحقيق أنها بنيت فى العهد الرومانى ودخل عليها فى العهد العربى بعض التعديل .

هذا ما يعلم عنها على التحقيق .

أما ما يعلم عنها فى باب الطرائف والفكاهات فكثير . ومنه تصحيف اسم كليوبترة أو « كلوبطرة » على لسان رجل من أبناء أسوان فى الجيل الماضى كان من أقدر خلق الله

على تصحيف الألفاظ بغير فهم لمعناها .

وكان مصدر ولعه بالتصحيف أنه كان يحفظ القرآن حرفًا حرفًا ويعتقد أنه يحتوى على كلمة ينطق بها لسان إنسان ، ثم استطرد من ذلك إلى اعتقاد مثله فى اللغة العربية ، فهى فى عرفه تشتمل على جميع الكلمات فى جميع اللغات ، لأنها اللغة التى تكلم بها آدم عليه السلام ، وتعلم بها الأسماء .

كان يقال له : أفى القرآن مليم ؟

فيقول على الأثر : نعم . . « فالتقمه الحوت وهو مليم » .

ويقال له : أفى القرآن نيكلة ؟

فيقول على الأثر : نعم . . « نكال الآخرة والأولى » .

ويسألونه : أبواخر كوك موجودة في القرآن ؟

فيجيب لتوه : نعم « وتركوك قائما » .

ويسألونه : أفيه ذكر للبشارية ، وهم قبيلة صحراوية تلق رحالها فى خلاء المدينة .

فلا يلبث أن يجيب : يابشرى هذا غلام .

ويأتى جوابه على حسب حالاته ، فإذا كان راضيًا أمنًا فالجواب كما تقدم ، وإن كان غاضبًا مرتابًا فيمن يسأله كان جوابه أوّلا : نعم يازنديق . . نعم يامنافق . . أى والله ياكافر . أى والله يا « ضلالى » أو ياخبيث ، أو يا ابن . .

ويسأله أولاد الحلال يومًا : هل كان آدم عليه السلام يعرف «كلوبطرة » ؟

فيقول : وكيف لا يعرفها ياأولاد الحرام وهى من صلبه واسمها واحد من الأسماء إنها « قلوب طرية » . . طمس الله على أبصاركم وبصائركم .

وما أقرب كلوبطرة من قلوب طرية فى مسمع الأذن . وفى تخريجات المؤرخين والقصاصين ! !

إبرة كليوبترة

على أن التاريخ لم يفلت عياره فى خبر من أخبار كليوبترة المسكينة كما أفلت عياره فى تسمية الأنصاب التى تعرف بالمسلات .

فى لندن وفى نيويورك تشاهد مسلتان نقلتا من مصر قبل نحو ثمانين سنة وعرفت كلتاهما باسم إبرة كليوبترة .

وكليوبترة براء من الاسم والمسمى . فإن المسلتين أقيمتا فى عهد تحوتمس الثالث ، ولا شأن بهما لكليوبترة على الإطلاق .

وأما التسمية فهى من بدائع العادة الذهنية المعروفة بتداعى الخواطر والمشابهات . نظر المصريون إلى هذه الأنصاب فسموها بالمسلات تشبيها لها بالأبرة الكبيرة التى تخاط بها الأنسجة الغليظة ، ثم جاء الأوربيون فترجموا الكلمة ترجمة حرفية باسم Needle .

وتقترن الإبرة دائمًا بامرأة ، فمن تكون المرأة التى تقترن هذه الإبرة باسمها ؟ كليوبترة ولا سواها !

لأن المسلة من آثار مصر والغربيون لا يعرفون امرأة مصرية من عهد تلك الآثار غير كليوبترة !

وما أعظمها من ماردة سحيقة تلك التى تلعب بمسلة تحوتمس بين أصابعها ؟

وأنف كليوبترة أخيرًا

وأخيرا خرجت كليوبترة من أساطير التاريخ وخرافاته إلى فلسفة التاريخ فى لبابها ، فكثيرًا مانسمع اليوم أن أنف كليوبترة لو طال نصف قيراط لتغير مجرى التاريخ .

والقائلون بهذا يريدون أن الصغائر الشخصية قد يكون لها من الآثار فى الحوادث العظمى مايحيط بالدول والأمم لأنه يعمل عمله فى الحروب والمنازعات .

وأصحاب هذا « الشعار التاريخى » خاصة يريدون أن مارك أنطونى ماكان ليشغف

هذا الشغف بالفاتنة المصرية لو كان لها أنف تنفر منه الأنظار .

ولا نخالهم إلا على صواب .

فلا شك أن سلوك « مارك أنطونى » كان يختلف كثيرًا لو لم يكن مشغولا بغرام كليوبترة ، وأن نفوذه بين الجيوش الرومانية كان يتوقف على ذلك السلوك ، فلا يتخلى عنه من تخلى ، ولا يكون فى مصر حين ينبغى أن يكون فى سورية .

وأنف كليوبترة ولا ريب قوة فعالة فى ذلك السلوك وفى كل ماترتب عليه .

ولكن ماذا تصنع المسكينة وماذا يصنع أنفها حين يقضى التاريخ قضاءه الأخير فى القلوب والعقول والملوك والملكات .

يجرى إلى مستقره وأنف المسكينة فى الرغام .

تعليق ! *

تسلمت اليوم رسالتين من طريق دار الأخبار تعليقًا على اليوميات الماضية.

يقول صاحب إحدى الرسالتين الأستاذ وهيب سليمان عوض بروض الفرج:

« . . لى الشرف أن أحيط علم سيادتكم بأن شنودة أو بالأحرى الأنبا شنودة الذى رسم كاهنا بالمجمع المقدس بافسس لم يكن فى الحقيقة من أخميم ولكنه من جزيرة شندويل وإذا أردتم معرفة الحقيقة فلى الشرف أن أطلع سيادتكم على ذلك.

وتعليق على هذه الرسالة أن الانبا شنودة قد اشتهر باسم شنودة الاخميمى وجاء فى تاريخ الأمة القبطية أنه ولد على ميل أو ميلين من بندر أخميم للشمال الغربى، ورجح مترجم الكتاب أنها ناحية الصوامعة.

والتبس الأمر على كرزون مؤلف كتاب الأديرة فى شرق البحر الأبيض فكاد يزعم أنه منسوب إلى ولىّ من الأولياء المسلمين.

فإذا كان الأستاذ وهيب قد اطلع على مرجع وثيق يزيل اللبس فى أمر هذا التاريخ فنحن نرحب به ونشكره على تحقيقه ولا يمنع هذا أن الأنبا شنودة يذكر باسم « شنودة الأخميمى » لاشتهار أخميم فى الزمن القديم وإقامته زمنًا فى جوارها.

أما الرسالة الأخرى فصاحبها « م. إبراهيم » يذكر ما أشرنا إليه من زيارة العذراء والسيد المسيح لمكان الدير المحرق ثم يذكر تعليقنا إذ نقول « لابدّ له من مرجع يعتمد عليه ».

ثم يسألنا بما معناه: هل تحتاج الرواية إلى مراجعة ؟

ونقول: نعم . . يحتاج الأمر إلى مصدر من مصادر الكنيسة المصرية لأنها أحق الكنائس باستقصاء المراجع فى هذا الموضوع.

---

* الأخبار فى ١٠/ ١٠/ ١٩٥٥.

أما المخطوطات التى حفظتها مكتبة الفاتيكان ولم تفصل فى أمرها من وجهة التحقيق التاريخى فهى تقول إن الأسرة المقدسة وصلت إلى قسقام – أى جبل القوصية – حيث أقيم الدير المحرق ، ولم نطلع نحن على هذه المخطوطات ولكننا أطلعنا على بحث عنها للعالم القبطى الأستاذ « جرجس فيلتاؤوس عوض » بمجلة الكرمة .

ولابد أن يكون صاحب المقام الدينى الذى تحدث عن زيارة السيد المسيح لمكان الدير قد اعتمد على مرجع يعول عليه ، غير هذا المرجع الذى تأخر تدوينه عدة قرون بعد الميلاد .

مبدأ التوازن ! *

كان إسماعيل صدقى باشا رحمه الله يقول لمن يناقشونه فى آرائه الفلسطينية ماذا يصنع مليون أو مليونان مع أربعين مليونا ؟

وأذكر أننى قلت له يومًا بمجلس الشيوخ إن الصهيونية العالمية والظروف الدولية قد جعلتهم يوجهون سياسة الولايات المتحدة فى مسألة إسرائيل على الأقل . وليس فى الولايات المتحدة أكثر من خمسة ملايين بين مائة وعشرين مليونًا فلماذا يهون خطبهم فى هذه البلاد ونحن نعلم أنهم يعملون ومن ورائهم الاستعمار وعداوة الشرق والعرب والإسلام ؟

والحق أن محاباة إسرائيل قد بلغت بساسة الغرب حدًّا لا يوصف إلا بأنه احتقار للعقل البشرى وقلة اكتراث لكل اعتبار يقدره الناظرون إلى العواقب ، بغير هوى دخيل يذهل صاحبه عن الصواب .

ماهذا التوازن الذى أصبحنا نقرأ عنه فى مسألة الأسلحة ؟ وبأى مقياس من مقاييس التوازن يطلب من المصريين أن يقيسوا ضرورات الدفاع بل ضرورات الحياة ؟

لا معنى للتوازن المطلوب إلاّ أن تكون إسرائيل وحدها مساوية فى السلاح لجميع الأمم العربية .

فأى مخلوق فى الشرق يستطيع أن يقبل لأمته هذه المهانة الأبدية إلى غير نهاية ؟

فإن لم يكن التوازن المطلوب بهذا المعنى فمعناه الآخر شر وأدهى ، ومطالبة العرب بقبوله لا يقال عنه إلا أنه ضرب من الذهول عن كل ممكن مستطاع .

معناه الآخر أن يتفرق العرب باختيارهم لتكون إسرائيل وحدها كفئًا لهم متفرقين

---

* الأخبار فى ١٠/١٠/١٩٥٥ .

وأن توازنهم إسرائيل لأنهم مفروض عليهم أن يتشتتوا أمامها فى كل رأى وفى كل عمل .

أى إنسان يملك صوابه يظن أن مبدأ التوازن هذا صالح لأن تدين به مصر وتدين به الأمم العربية وتدين معه بحسن النية من جانب العاسة الغربيين ؟

أى إنسان يملك صوابه يطلب من أربعين أو خمسين مليونًا أن يوطنوا أنفسهم إلى الأبد على قوة لن تزيد يومًا على قوة إسرائيل ؟

وإذا كان وجود إسرائيل يكلف العالم كل هذه التضحية فكيف يراد بالعرب أن يجعلوا أنفسهم هذه الضحية باختيارهم ؟

وإنه لمن البديهى أن المطلوب فى الكفاءة الحربية مطلوب كذلك فى الكفاءة السلمية فعلى أمم العرب إذن أن تظل أبدًا محرومة من الصناعة والتجارة كى تستطيع إسرائيل أن تعيش بينهم بصناعتها وتجارتها ولا يستطيعوا أن يقابلوا قوتها الاقتصادية بمثلها .

عندنا فى الصعيد مثل يقول : « صاح به : ثم لأذبحك . . فقال له : يا أخى هذا كلام يطير النوم . . »

يا غرب . . يأيها العالم الذى يريد من هذه الأمم الشرقية المنكودة أن تطمئن إليه ولا تطمئن إلى الكتلة الشرقية . . يا أيها الناس : لا تطلبوا منا أن ننام وأنتم تطيرون النوم من عيوننا ، واحترموا عقولكم وعقول خلق الله فى الشرق والغرب إن كنتم تحتقرون عقولنا .

واتزنوا قبل أن تفرضوا التوازن على عباد الله !

الأديب المجهول ! *

على شوقى فى ذمة الله .

من يعرف صاحب هذا الاسم فى هذه الآونة ؟ . . يعرفه نخبة من الفضلاء يعلمون أنه أحق بالشهرة الأدبية من كثيرين ، وأنه يضارع فى حق الشهرة الأدبية أشهر المشهورين .

شريف العصر الحاضر كما كنا نسميه .

لأنه كان نموذجًا صادقًا للشريف الرضى فى الجزالة والفصاحة والفقه باللغة مع أصالة المعنى واستقامة الشعور .

كان من ندوة ديوان الأوقاف يوم كان هذا الديوان مجمعًا أدبيًا يعمل فيه محمد المويلحى وعبد العزيز البشرى وأحمد الكاشف وعبد الحليم المصرى وحسين الجمل ومحمود عماد .

وكنا نلقاه فى الديوان صباحًا ونلقاه فى المساء على القهوة التى كنا نسميها قهوة جمال الدين بجوار مصلحة البريد .

وقد كانت من قبل ملتقى جمال الدين الأفغانى ومريديه ، وكان اختياره لها مصادفةً لأنها كانت تتقن صنع النرجيلة وانتقاء تبغها ، وكان هو من مدخنيها المدمنين .

وكذلك كان على شوقى رحمة الله .

فإذا التقينا فى « قهوة جمال الدين » فما شئت من نادرة طريفة أو شاهد بليغ أو مناشدة للشعر الحديث والقديم تملأ الصفحات لو عنينا بتدوينها فى حينها .

وكان رحمة الله من أصحاب المزاج الضاحك ينطوى على الحزن أحيانًا فيخفيه

---

* الأخبار فى ٢/٧/١٩٥٦ .

ولا يبديه ، فإذا لمحناه على أساريره سألناه سؤال الصديق فأجاب ببيت من شعره جواب الصديق :

لكنها عبرة نهنهتها زمنًا طمت فقلت لها مستيئسًا بينى

وشعره كله من هذه الطبقة فى الجزالة والأصالة ، ينظمه ولا يعنى بنشره فى الصحف ولا فى الدواوين المجموعة ، ولعله قد ترك منه مئات القصائد والمقطوعات لم يحفل بإسماعها لغير الخاصة من الأصدقاء والزملاء .

قرأنا والمازنى ديوان ابن الرومى وهو ثالثنا ، فعارضنا قصيدته النونية بقصائدنا الثلاث من الوزن والقافية ، وألححنا عليه فى نشر قصيدته فمضى الوقت بين الوعد والتسويف ولم يصبر على نسخها لنحفظها . .

وهكذا كان رحمه الله ينظم ويقرأ ويراجع ويحقق لنفسه أو لصحبه ، ولا يبالى أن يسمع أحدًا أو يسمعه أحد من قراء الشعر المنثور ، ولولا قصائد معدودة كنا نقنعه بنشرها فى « الجريدة » لما ظهر له بيت واحد فى صحيفة مطبوعة .

ونحسب أن الزهد فى النشر خليقة موروثة من ذويه ، فإننا لم نقرأ نعيه فى صحيفة ولم نعلم به إلا من صديقنا وصديقه عماد[1] .

ألهمهم الله أجمل العزاء فى فقيدهم الكريم ، ولعلهم يذكرون أن فقيدهم فقيد الأدب العربى كله ، فلا يبخلون على قراء العربية بآثاره الحسان ، فإنها لمن أجدر آثار العصر بالبقاء بين مأثورات لغة الضاد .

---

(١) هو الشاعر المرحوم محمود عماد . .

فى اللغة . . *

من دواعى الغبطة أن يغار على اللغة العربية وتراكيبها علماؤنا الرياضيون فى الوقت الذى ينحى فيه على اللغة أناس ينتمون إلى الكتابة ويحترفونها .

ومن هذه الغيرة سؤال تلقيته أمس من مهندسى شركة للتجارة والمقاولات فى طنطا يقول كاتبه المهندس الفاضل إنه اختلف مع حضرات زملائه « فى المدلول اللغوى » لهذه العبارة :

« تزويد وتركيب مواسير الحديد المجلفن والقطع اللازمة لها بالأقطار المبينة على الرسم بما فيها العداد الأفقى تحت الأرض وبطول ٥ متر » .

فهل بطول ٥ متر تعود على العداد الأفقى تحت الأرض والمواسير الحديد المجلفن والقطع اللازمة لها بالأقطار المبينة على الرسم .

وأبدا بيان رأى اللغويين فى مسألة مشابهة لهذه المسألة وهى إعادة الضمير على الاسم .

فإن المتفق عليه أن يعود الضمير على أقرب الأسماء إليه إلا إذا امتنع اللبس فلا موجب للتقيد بهذا القيد ، ويمتنع اللبس إذا كان الضمير – مثلا – من ضمائر الجمع والاسم القريب منه مفرد ، أو كان ضميرًا للمؤنث والاسم القريب إليه مذكر ، أو كان المعنى مفهومًا بالقرينة كما فى العبارة التالية : « إن صاحب الحانوت فى البلد يسأل عن ولده وأخيه » فلا لبس هنا فى المقصود بالضمير .

والقرينة فى العبارة التى سأل عنها السيد المهندس متروكة للمختصين الذين يعلمون مطابقة الأقيسة للشروط ، ولكننى على قدر ما أفهم من السياق اللغوى أرجح أن قياس « ٥ متر » لو كان مقصورًا على العداد الأفقى تحت الأرض لاستقام المعنى بغير حاجة إلى

---

* الأخبار فى ٢/ ٧/ ١٩٥٦ .

واو العطف حين نقول « والعداد الأفقى بطول ٥ متر » .

ولا يمتنع – لغة – مع هذا أن يكون ما بعد واو العطف عامًّا غير مخصص باسم واحد .

وإذا كان المرجع للقرينة المرجحة فالرأى فيها لحضرات المهندسين وليس لمن يشتغلون باللغة فى هذا المقام إلا أن يشكروهم على تحرى الدقة اللغوية فى مسائل الهندسة والبناء ، وكل هذا من قبيل تصحيح البناء والتركيب .

مالانرتضيه أولى بالرضا مما نتمناه ! *

« . . .أليس من الغريب أمر هذه الحياة وتصاريفها ، . . فى أوائل الشباب تكون مرتباتنا أو مواردنا قليلة صغيرة على الرغم من أن فترة الشباب تدعو إلى الانطلاق والمرح واللهو وما يتكلفه ذلك من أموال ! . ويحدث النقيض حين تأتى الأموال فى آخر العمر عند مرحلة الشيخوخة وهى سن الرزانة والوقار والمرض والضعف ، فيحول كل ذلك دون اللهو والسرور ولا تكون للمال فائدة أو متاع . . أليس هذا تناقضًا فى أمور هذه الحياة ! »

سمير ناجى بشاى

إسكندرية

« . .خير ما أصنع فى جواب هذا السؤال وأمثاله أن أطلع أخانا « سمير ناجى » على « سر المهنة » عندى فى جميع هذه المشكلات التى يكثر فيها التعديل والاقتراح بين بنى آدم وقضاء المقادير.

سر المهنة كله أن أسأل نفسى عن البديل المقترح الذى نختاره إذا ملكنا الاختيار ؟ هل يكون وافيًا بالغرض مانعًا للشكوى إذا كان ؟

من التناقض فى رأى الأستاذ سمير أن يكون شباب ولا مال وأن يأتى المال بعد انقضاء الشباب .

فالأمر الذى لا تناقض فيه إذن ولا غرابة ولا داعية للكشوى أن تجرى سنة الحياة على خلاف ذلك ، وأن ينقسم عمر الإنسان إلى قسمين متناقضين فى كل شىء : قسم

---

* الأخبار فى ١٢/ ١٠/ ١٩٦٠ .

يتوافر فيه الشباب والمتعة والمال ، وقسم يخلو من كل شيء غير الضعف والفقر والحرمان .

هذه هي الدنيا التي نطلبها ونحسبها موفقة سوية سليمة من آفات التناقض والغرابة .

ولكن هذه الدنيا بعد نظرة واحدة . ستكون ولا شك أسوأ من الدنيا المتناقضة فى رأينا بالنسبة إلى الشباب ، قبل أن ننتقل إلى الحديث عن الشيخوخة .

ففي هذه الدنيا التي نحسبها مبرأة من التناقض والغرابة ينبغي أن تنتهي الحياة مع انتهاء الشباب ويزول كل معنى للعمر الذى لا شيء فيه غير العجز والفقر والحرمان .

وفى هذه الدنيا المبرأة من التناقض والغرابة يخلو الشباب من حافز العمل والاجتهاد وهو فى إبان سن العمل والاجتهاد . فإنه يستطيع متعة العيش بجميع أسبابها فلا تعوزه الصحة ولا المال ولا الفرصة المواتية ، ولا يبالى المصير ،بعد انقضاء الفرصة لأنها ختام العمر المطلوب .

وفى هذه الدنيا المبرأة من التناقض والغرابة تبطل قيمة العمل وقيمة التجربة وقيمة الحكمة ، لأن العمل فضول لا لزوم له ، والتجربة نتيجة لا تأتى بغير عمل ، وحكمة الأعمال والتجارب هى والجهل فى هذه الحالة سواء .

وفى هذه الدنيا المبرأة من التناقض والغرابة يعود الأستاذ سمير فيطلب التناقض والغرابة لأنه سيرى أنهما مقبولان بغير تعديل ، وأننا – كما يقول المتصوفة ، ويصدقون فى كثير من الأحيان – « لو علمنا الغيب لاخترنا الواقع »

كان أناتول فرانس يقول فى شيخوخته مافحواه : إنه لو ملك مناه لتمنى أن تبدأ الحياة بالشيخوخة وتنتهى بالشباب ثم تنتهى الحياة كلها فى نوبة من نوبات الحب تغمر الحبيبين بالنشوة فلا يفيقان .

ولو أجيبت أمنية الشيخ الحكيم المتأنى لما اختلفت النتيجة . بينها وبين أمنية الشاب العجول المتوثب .

تری من أين جاءت النشوة لنوبات الحب ؟

إنما جاءتها النشوة من فرط الحياة أو القدرة على إعطاء الحياة ، فإذا ابتلى الخلائق

بالحب الذى يعطى الموت ولا يحيى أحدًا بعده فهل تبقى له تلك النشوة وهل يبقى له طعم المتعة والسرور ؟

فيها قول واحد ولا أقول فيها قولان ، وبخاصة بعد انتهاء الحياة بمتاعب الشيخوخة وانتقال الحى من الشيخوخة إلى شباب نشوته موت عقيم ! ليس فى الإمكان أبدع مما كان .

حكمة إن لم توافقنا فى كل حين فهى أولى بالموافقة من أن يقال : «كل ما كان أسوأ مافى الإمكان» .

كلا . ليس هذا بصحيح ، وأصح منه أن بعض مافى الدنيا لا نرتضيه ولكنه أولى بالرضا من كل ما نتمناه .

الزى الجامعى فى الجامعات*

« ... يبحثون هنا عن توحيد الزى الجامعى فى الإسكندرية وفى القطر كله . . ألا ترى يا أستاذى أن تقييد الطالب الجامعى بزى مخصوص ينافى فكرة الاستقلال الجامعى الذى يجب أن تمتاز به الدراسة الجامعية . . إلخ إلخ » .

جامعى إسكندرى

ليس نظام الزى الجامعى ، فيما أرى ، مناقضًا لفكرة الاستقلال الدراسى ، وليست فوضى الأزياء بالتى تحقق للطالب استقلاله فى تفكيره أو للجامعة استقلالها فى برامج دراستها ، فقد تكون الفوضى أعدى أعداء الاستقلال وقد يكون النظام عونًا على الاستقلال بل مظهرًا من مظاهره التى تبدو للعيان .

ومن الواجب أن تكون الجامعة « شخصيةً مستقلةً » بزيها ونظامها وأن يكون شعور الطالب نحوها كشعوره نحو الأسرة التى ينتمى إليها ويحافظ على مكانتها ويغار على اسمها ويستحى أن يعمل عملًا يخل بهذا الاسم أو يجعله دون أمثاله من الأسماء فى مجتمع العلم والثقافة .

ومن آثار الشعور بهذه « الشخصية » أو بهذه الأسرة ذلك التنافس بين الجامعات فيما تشتهر به من خصائصها وتصطبغ به من طابع يلازمها ويميزها بين نظائرها . . وفى هذا المجال نسمع الأفانين من ألوان المفاخر والمنافسات ، بين جامعة تفخر بأنها تاريخية وعريقة وأخرى تفخر بأنها عصرية وحديثة وثالثة يقال عنها إنها امتازت بنوابغ الفلسفة ورابعة أو خامسة أو عاشرة يقال عنها إنها تمتاز بنوابغ الأدب أو نوابغ العلم أو نوابغ الاختراع أو بالروح الرياضية أو بإعداد طلابها للمناصب السياسية ومناصب القيادة الاجتماعية على إجمالها .

---

* الأخبار فى ١٢/١٠/١٩٦٠ .

وحبذا الغيرة بين الطلاب والجامعات على هذه المزايا والصفات . ففى ذلك فليتنافس المتنافسون ، وسبيل هذا التنافس أن تتم للجامعة شارتها ومعالم وجودها الماثلة للعيان ، مع مثولها للفكر والوجدان ، فلا يضير استقلالها أن تستقل بزيها بل هذا هو مظهر الاستقلال محسوسًا لمن يراه .

ويفضل استقلال كل جامعة بزيها تَحقيقًا لهذه الغاية ، لأن تعميم الزى لجامعات القطر كله لا يحقق معنى « الشخصية » ولا معنى الأسرة العلمية التى تبث فى النفس شعور الانتساب ، وشعور التنافس المحمود والغيرة المنشودة بين الجامعات والطلاب .

موجة من الإباحية تجتاح العالم ! *
٢٧ ألف أم بلا زواج . . فى السويد

نشرت « الأخبار » منذ أيام خبرًا عن تحقيقات الشرطة والقضاء فى جامعة ابردين باسكتلندة لأن طائفة « من الطلاب والطالبات دأبوا على إقامة حفلات فاضحة يدعون إليها ممرضات أحد المستشفيات ويمضون الليل يحتسون الخمر . . وأن كل الفتيات اللاتى يترددن عليها فى سن الثامنة عشرة أو أقل . . وقال أحد المواطنين فى الشكوى التى تقدم بها إنه شاهد كل شىء يطير فى الهواء بما فى ذلك ملابس الطلبة والطالبات . . »

وفى السويد

ومنذ سنوات يتحدث السائحون العائدون من البلاد الشمالية عن غرائب الأطوار الجنسية فى بلاد السويد ، ويقول « دافيد براون » مراسل التايم فى البريد الأخير بعنوان الخطيئة والسويد : « إن الاحصاءات تدل على وجود سبعة وعشرين ألف أم على الأقل بغير زواج ، وأن المواليد فى السنة تبلغ مائة وعشرة آلاف لا تقل نسبة الأبناء غير الشرعيين منهم عن العشر ، وأن نحو خمسة آلاف امرأة متزوجة وغير متزوجة يدخلن المستشفيات كل سنة للإجهاض » .

وبعد أن تكلم عن إباحة الإجهاض فى السويد وأن رجال الكنيسة يستطيعون الاحتجاج على هذه الحالة لأن الكنيسة فى السويد مصلحة حكومية تنفق عليها الدولة ، ذكر اسم مفتشة مدرسية باسمها – وهى أو تيسين جنسن – وقال إنها تتولى الإشراف على تعليم المسائل الجنسية بالمدارس وإنها تجول فى أنحاء البلاد بالقطار

* أخبار اليوم فى ٧/٥/١٩٥٥ .

والسيارة لأداء هذه المهمة ، ولا تدارى شيئًا من المبادئ التى تقررها أمام التلاميذ والتلميذات عن العلاقات الجنسية .

قال : سألت السيدة أوتيسين جنسن عما تعلمه الشبان والشابات . فقالت : « إننى أقول لهم إن الشيء المهم فى المسألة أن يتحققوا من الحب ، وأن البنت لا حرج عليها من الاتصال بالشاب على أن يكون بينهما حب متبادل قبل ذلك » .

وسألها الكاتب : « أنت إذن لا تنصحين بالانتظار إلى أن تنعقد بينهما رابطة الزواج ؟ »

قال : فنظرت إلى نظرةً ساخرةً وكررت بعض عبارات منقطعة ثم قالت : « إن آباءهم وأمهاتهم يعلمون كل شيء ، وما الفائدة من الجهد فى تغيير الطبيعة ؟ »

فعدت أسألها دهشًا : « أتنصحين لهم بذلك فى المدرسة ؟ »

قال : فضحكت المفتشة ويضحك معها الحاضرون ونظروا إلى يتعجبون ويتساءلون : ألعلك متدين ؟

ولم يسكت صاحبنا بل عاد يسأل : أيستطيع ولد أو بنت فى نحو السابعة عشرة أن يفرق بين الحب والدفعة الغريزية ؟

فأجابت قائلة : نعم . إنهم يستطيعون أن يعرفوا الحب . . إنهم يعرفون الحب الصحيح . .

ووافقها جميع الحاضرين .

وفى روسيا

وقد كتبنا فى إحدى مقالاتنا هذه – منذ أسابيع – عن تلك الصرخة التى انبعثت من ديوان التعليم فى روسيا السوفيتية ورددتها الصحف وتبعتها حركة من حركات التفتيش الواسعة فى مدارس الذكور والإناث ، واستلزمت أن تعدل الحكومة هناك عن موقفها من الآباء والامهات ، فأباحت لهم بل أوجبت عليهم أن يراقبوا مسلك أبنائهم وبناتهم وأن يكونوا على استعداد لمحاسبتهم عليه ، بعد أن كانت رقابة الأب على

مسلك فتاة أو فتاته معدودة من « التقاليد » الرجعية التى لا تحسن بالمجتمع المتقدم المتحرر ، وبعد أن كان الآباء والأمهات يخافون عاقبة التشديد على الأبناء والبنات ، لكيلا تتجه إليهم شبهة الرجعية أو يتعرضوا لاتهام أبنائهم إياهم بمعاداة النظام القائم ومناصرة العهد القديم ، وكثيرًا ما يستعان هناك بالأبناء للتجسس على الآباء والمعلمين .

ومن آثار هذه الحملة مطاردة المعربدين والتشهير بهم فى الصحف الهزلية ، وكثرة الصور الخليعة والرسائل المبتذلة وغيرها من المنوعات التى يعثر بها المراقبون وهم ينقبون عن الممنوعات عامة فى دواليب الشبان والشابات وفى الأندية التى يترددون عليها ، وقد هال ولاة الأمر كثرة ما فيها من دلائل المجون والانحراف .

وفى أمريكا

ولم يفرغ الحديث بعد عن تقرير كنسى فى الولايات المتحدة والكتب التى تتابعت على أثر ظهوره تعقيبًا عليه وتصحيحًا له وتوكيدًا لبعض ما جاء فيه بالإحصاءات والبينات .

وتفيض صفحات التقرير والكتب التالية له بالإحصاءات الحسابية عن اللقطاء والانحراف بين الرجال والنساء ، وعن أحوال الزواج والطلاق التى تدعو إلى الرقابة الحكومية أو الاجتماعية ، وتدل على نقص فى العرف أو القانون .

وفى فرنسا

وحديث « الوجودية » الإباحية فى فرنسا لا ينقطع منذ سنوات بعد الحرب العظمى على الخصوص . فمن ناحية تروج الوجودية التى تستبيح كل شىء ، ومن ناحية أخرى تقاومها الوجودية التى تعتصم بالرياضة الروحية والجسدية ، وتنكر الإباحة إنكارها لخطر جائح من أخطار التدهور والانحلال .

وفى انجلترا

ولم تضعف بعد فى انجلترا تلك الحملة التى بدأت منذ السنة الماضية على أثر قرار السياسيين المتهمين بالجاسوسية وبالشذوذ ، ومعها حملة على الرقابة المشددة فى مراجعة القصص والصور المتحركة ، وهى الرقابة التى يلجأ إليها المجتمع الإنجليزى كلما أحس أن الحرية بلغت حدّ الإباحة ، وإن الإباحة تكشف عن آفة أو آفات .

أهو ارتداد إلى الحيوانية ؟

وأول مايسمع من تفسير هذا الفساد أنه نكسة فى طبيعة الإنسان ترتد به إلى الحيوانية .

وهى كلمة تلقى جزافًا ولا يكلف القائلون بها أنفسهم أن ينظروا نظرة واحدة عن أطوار الحيوان فى العلاقات الجنسية .

فالحيوان لا يبتذل هذه العلاقة ولا يتخذها وسيلة من وسائل اللهو واللذة ، وليست علاقته الجنسية شغلا شاغلا له فى غير أوقاتها ومواسمها ، ولا يشاهد فى حياة الحيوان الوحشى أو الحيوان المستأنس أنه يستخدم الغريزة الجنسية فى شىء غير بقاء النوع ، فلا تنظر الإناث الحوامل إلى الذكور ولا تنظرالذكور إليها ، ولو كان ذلك فى الموسم المحدود .

أهى نكسة إلى الهمجية ؟

ويسمع كذلك تفسير آخر من هذا القبيل ، وهو تفسير الإباحة بالنكسة إلى الهمجية .

وهذا التفسير كذلك التفسير متعجل متعسف يلقى جزافًا بغير نظر إلى الواقع ، وإلى معناه .

فقد تكون الجماعات الهمجية خلوًا من آداب الجنس التى جاءت بها الديانات

العالمية أو جرت عليها العادة فى المجتمعات المتحضرة ، ولكن القول بانطلاق العلاقات الجنسية بين الهمج من جميع القيود كلام مرسل لا يستند إلى الواقع بل يناقضه فى كثير من الأحوال ، إذ ليس أكثر بين الهمج من المحظورات أو « التابوات » taboes التى تتعلق بالجنس والزواج ، وإذا نظرنا إلى القيود على عمومها فربما كانت القيود الجنسية فى المجتمع الهمجى أكثر عددًا من هذه القيود فى المجتمعات المتحضرة ، وإن كانت قيودًا من قبيل شعائر السحر والكهانة ولم تكن من قيود الأخلاق والآداب كما نعرفها فى العقائد الدينية ووصايا الحكماء .

وليس بالصحيح على أية حال أن الإباحة فى الحضارة الغربية ارتداد إلى الهمجية أو نكسة من المجتمع إلى الوراء .

هل هى تقدم ؟

وأعجب من هذه التعليلات تعليل الإباحة بالتقدم والانطلاق من القيود التى يجمد عليها المتأخرون من أتباع العقائد البالية والموروثة القديمة .

فقبل مائتى سنة عرف الناس فى فرنسا حالة كهذه الحالة ، واضطرت الدولة وأهل الخير من المحسنين إلى زيادة الأقاوات التى تمنحها الأديرة والملاجىء المعدة لتربية اللقطاء وظهر أن الأمهات الشرعيات يسلمن أبناءهن للمرضعات الريفيات لأنهن مشغولات بحياة اللهو والأناقة فى المراقص والأندية ، وكان من المناظر المألوفة فى ذلك العهد – قبل الثورة الفرنسية – أن ترى المرأة الريفية عائدة من باريس وفى كل حضن من حضنيها طفل رضيع يربيه أبواه بالأجرة ، لأن أمه تعدّ الرضاعة عملًا خشنًا لا تقبله « الأناقة » ولا يرضى عنه ذوق « الجمال » والزينة فى العلية المختارة .

وقبل ألفى سنة شاعت هذه المفاسد فى الدولة الرومانية ووصفها شعراؤهم من أمثال الشاعر الهجاء جوفينال ، وكان لها أثر قوى فى ردّ الفعل العنيف الذى انتهى باحتقار الجسد وتعذيبه وإسلامه للدود والحشرات وصاحبه بقيد الحياة ، ولم يكن شيوع

المسيحية قبل نهاية الدولة الرومانية إلا احتجاجًا على التبذل بالشهوات والاستغراق فى لذات الحس والمجون .

أهى قضية اجتماعية ؟

ومن البديهى أن يقال إن القضية كلها آفة اجتماعية تتم على سقوط المجتمع وانهدام القواعد التى يقوم عليها .

ومن تحصيل الحاصل أن يقال إن القضية التى تحصل فى المجتمع قضية اجتماعية ، فكل قضية من هذا القبيل فهى قضية اجتماعية بلا خلاف ، ولا يحسبن القائل بهذا أنه قال شيئًا يزيد على تفسير الماء بالماء .

كأننا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء !

وأفادكم الله أيها المائيون ، وأفادكم الله معهم أيها الاجتماعيون !

أما إذا أريد بالاجتماعية أنها خاصة بالظواهر الاقتصادية أو برأس المال أو بالفلوس على العموم أو بفلسفة الديمقراطية بصفة خاصة – فهذه هى الأقوال التى تحتاج إلى الأناة الطويلة والتوقف الشديد .

إن المجتمعات لتختلف أكبر اختلاف بين سكوتلندة والسويد وروسيا وأمريكا وفرنسا وانجلترا وغيرها من الأقذار التى طغت عليها تلك الموجة أو ذلك الطوفان .

إن الشبان والشابات الذين يتهتكون ويعربدون فى روسيا قد ولدوا بعض سقوط رأس المال فى بلادهم بنحو عشرين سنة ، وإن رأس المال أنجح ما يكون فى الديار الأمريكية ، وإن فرنسا التى داستها جيوش الألمان وشقيت بالهزيمة سنوات غير انجلترا التى لم تطأ أرضها قدم أجنبية ظافرة ، وغير الولايات المتحدة التى تبعثر الأموال باليمين والشمال .

فلوس ؟ لا .

ليست الحكاية حكاية فلوس ، ولكنها حكاية نفوس ، وليست العلة الاجتماعية فى هذه « المجتمعات » كافة إلا طريقًا إلى العلة النفسية أو طريقًا منها .

فأما أنها حكاية اقتصاد فكّلا ثم كّلا ثم ألف مرة كّلا كما كان يقول خطباء « الحزب الوطنى » فى الزمن القديم .

لا هى حكاية اقتصاد ولا هى حكاية فلوس ، ولكنها حكاية ضمائر أو حكاية نفوس .

الحكاية أن الإيمان « بالمثل الأعلى » مفقود فى كل هذه الأمم ، وتلك هى الجامعة الوحيدة التى تشملها قاطبة على اختلاف الرواج والكساد ، وعلى اختلاف النصر والهزيمة ، وعلى اختلاف الحرية والاستبداد ، وعلى اختلاف التقدم والتأخر فى العلم والحضارة .

إن الإنسان إذا آمن بالمثل الأعلى ، وعرف لحياته معنى يعلق به آماله ، هانت عليه لذّات الجسد ، بل هانت عليه الحياة الجسدية برمتها ، فلم يشغل بها أمله ولم يقصر عليها عمله ، ولم يعطها فوق ماتسحقه من عنايته ومجهوده .

والحضارة المادية فى الغرب قد أفلست وفقدت معناها ، وتجسم فيها هذا الإفلاس فى حالتين متشابهتين كل التشابه وإن ظهر عليهما أنهما مختلفتان أبعد اختلاف . .

كلتا الحالتين هما التهافت على اللذات الجسدية وكثرة حوادث الانتحار ، وكلتاهما عرض لمرض واحد : وهو فقدان معنى الحياة !

ولو لم يكن ذلك التهافت على اللذات الجسدية عرضا من أعراض المرض الوبيل لما اقترن بكثرة الفرار من الحياة وكثرة الإقبال على الموت ، أو لما اقترن بكثرة حوادث الانتحار .

وابن عم الانتحار الإدمان : إدمان السكر وإدمان المخدرات وما إليها ، لأنه غيبوبه عن الحس تشبه الموت .

والحضارة المادية لم تفلس لعّلة واحدة ، ولم يفقد الغربيون معنى الحياة من خَطب واحد ، ولكنها علل كثيرة وخطوب شتّى ، ومعظمها يتكرر مع الزمن ولا ينشأ فى هذا العصر لأول مرة ، فإنه تكرر فى أعقاب الدولة الكسروية والدولة البابلية ودول الفراعنة من أقدم عصورها ، ولا تنقضى دولة منها إلا ظهرت بعدها ديانة قوية بمثابة العلاج

لآفاتها وبلاياها ، وهكذا يرتبط تاريخ الأديان بتاريخ الحضارات المتداعية والدول المتهدمة والإفراط فى شهوات الجسد ومطالبه من قوة ولذة وثروة إلى فتور وغيبوبة وانحلال .

وقلة أدب

وعلى إفلاس الغرب فى حياته الوجدانية لا يخلو الأمر من قلة أدب فى أجياله الناشئة التى تلقب أنفسها بالأجيال المتحررة .

والتحرر لا يفعل كل هذا ، وإنما يفعله سوء الأدب وسوء النشأة وسوء القدوة التى يقتدى بها الناشىء عامدًا أو غير عامد ، ويستفيد منها بالتعليم والتلقين ، أو يستفيد منها بالإيحاء والانتماء إلى « جو واحد » من أجواء الحياة الوجدانية .

نعم هى قلة أدب ولا شك ، أيًّا كان المسئول عن هذه النقيصة من السابقين أو من اللاحقين .

إن الحرية لا تصنع كل هذا ، ولا تحضّ عليه ولا على استحسانه ، وهذه شهوات الطعام لا تقيدها الأديان والعقائد كما تقيد العلاقات بين الجنسين أو كما تقيد روابط النسل والزواج ، فهل يبيح لنا ذلك أن نمضى على رؤوسنا نعرض شراهتنا ونتطفل على الموائد مما عندنا وعند غيرنا ونتقى ألوان الطعام والشراب فى كل موعد وعلى غير نظام ؟

إن إباحة الشىء لا تسوغ قلة الذوق أو قلة الأدب فيه ، وللطعام آدابه وتقاليده فلماذا تكون شهوات الجنس معفاة من الآداب والتقاليد وهى التى تتعدانا إلى غيرنا ويجنى فيها الخطأ على أرواح الأجنة والمنبوذين من اللقطاء ؟

من قلة أدب وقلة ذوق على كل حال .

ودواء هذا الغرور

ودواء هذا الغرور من ناحيته هذه – ونعنى بها ناحية الأدب السيئ – أن نرجع إلى مصدر هذا الغرور الوخيم .

مصدره أن الأجيال الناشئة – التى تسمى أنفسها بالأجيال المتحررة تتخيل أنها تعرف مالم يعرفه الأولون .

والحقيقة أنها أجهل ما خلق الله من أجيال إلى الآن ، ولا نغالى أقل مغالاة فى تقرير هذه الحقيقة ، فإنما يكون الجهل بالقياس إلى المعرفة المطلوبة ، وقد كانت المعرفة المطلوبة فى الأجيال العابرة قليلة ولكنها كافية ، وكان الإلمام بشىء من التشريع والتاريخ ونظام الدواوين كل ما تتطلبه الحياة العامة أو الحياة العالمية قبل ثلاثة قرون ، فإما اليوم فالمعرفة اللازمة لفهم المعضلات الاجتماعية والنفسية أضعاف أضعاف تلك المعرفة ، ومن الجهل المطبق أن يقال إن الاجيال الناشئة أعرف بزمانها من تلك الأجيال الغابرة ، فقد كانوا يعرفون كل شىء يحتاجون إليه ولا يقال هذا ولا بعض هذا عن ناشئ ، من أجيال العصر الحديث التى يركبها الغرور ، فلا تدرى مقادر ما تجهل مما هى فى حاجة إليه .

ونحمد الله أن الشرق بنجوة إلى الآن من عقابيل تلك الأمراض التى تتلخص فى « إفلاس الحضارة ! »

ولكنه لا ينجو طويًلا إن لم يعتبر بما يراه ، وإن لم يحذر كل الحذر من عقباه .

تقييم وتقويم *

« ... ترددت فى الأيام الأخيرة كلمة تقييم أسهم بعض الشركات ... وقد رجعت إلى مختار الصحاح والمصباح المنير فوجدت أنه يقال (قوم) السلعة أى قدر لها ثمنا أو قوم الشيء أى جعله مستقيما ، وأكون لكم شاكرًا إذا تفضلتم بإيضاح الأمر فى اليوميات حتى لا يشيع الخطأ ، إن كان فى الكلمة خطأ يصح العدول عنه .

محمد بهاء الدين الألفى

طالب بهندسة القاهرة

إحدى علامات الخير التى نغتبط بتسجيلها فى هذه اليوميات أن تجيء هذه الملاحظة من مهندسنا الشاب اللغوى بارك الله فيه ، فإن عناية طلاب الرياضة بتصحيح اللغة ظاهرة طيبة فى عالم الثقافة العصرية يرجى منها الخير الكثير.

أذكر أننى قبل خمسين سنة كنت موظفًا بوزارة الأوقاف فراجعت مهندسها الكبير محمود فهمى (باشا) فى إشارة له على مذكرة مرفوعة إلى المجلس الأعلى يقول فيها (لم كان هذا معروضًا . ... إلخ إلخ) ... فلما اقترحت عليه أن يكتب (لم يكن) بدلا من (لم كان) نظر إلى متفرسًا وقال فى شيء من الحدة والعجب : هل أنت من الحزب الوطنى ؟ .. كأنه يحسب هذا التدقيق (تطرفًا) فى الكتابة كتطرف الحزب الوطنى فى مطالبه السياسية .

والسيد بهاء الدين خليق أن يحمد الله لأنه لم يصحح كلمة التقييم للمهندس القديم ، وإلا لكان الحزب الوطنى معتدلا غاية الاعتدال بالقياس إلى هذا التطرف من التقييم إلى التقويم .

ومهندسنا الشاب على صواب فى تصحيحه ، لأن التقويم من مادة قام الواوية ،

---

* الأخبار فى ٣١/ ١/ ١٩٦٢ .

ولا تخرجها من هذه المادة كلمة (قيمة) بالياء لأن الياء هنا (واو) مقلوبة لكسر ما قبلها على حسب القاعدة المطردة فى أمثال هذه الصيغة ، فإن (قيمة) هى (قومة) بكسر القاف كما يجب فى وزن (فعلة) بكسر الفاء ، وإنما تنطق واوها ياء للتخفيف .

إلا أن بعض الفضلاء من كبار الموظفين بوزراة المعارف بدا لهم أن يفرقوا بين التقويم الذى قد يلتبس بمعنى الاستقامة أو بمعنى حساب السنين وبين تقدير القيمة ، فاستخدموا كلمة (التقييم) لتقدير قيم الشهادات الأجنبية عندالمقارنة بينها وبين الشهادات أو الدرجات التى تمنحها المدارس المصرية ودرجوا على استخدام هذه الكلمة مع علمهم بالقاعدة الصرفية ، ذهابا مع قاعدة أخرى تلاحظ أحيانا فى قواعد الصرف وتقضى بإجازة المخالفة لدفع اللبس فى بعض الأحوال ، ومن ذاك نسبة الجزائرى إلى الجمع حيث لا تجوز النسبة إلى غير المفرد ، أو نسبة المدائنى إلى المدائن لدفع اللبس بينها وبين المدنى المنسوب إلى المدينة ، وهى ممنوعة لغير هذه الضرورة .

وفى رأينا ورأى الكثرة من زملائنا بمجمع اللغة العربية أن اللبس بين كلمتى التقويم والتقييم مدفوع بسياق الجملة كلها فى موضعها ، فلا يلتبس على القارئ معنى تقويم السلع أو تقويم أسهم الشركات ، ولا يصعب تداول هذا المعنى وشيوعه على الألسنة والأقلام بكثرة الاستعمال .

سفحتها ! *

« .. اختلفنا فى القصيدة التى يغنيها عبد الوهاب للشاعر كامل الشناوى هل هى من الشعر الذى يسمونه اليوم بالشعر الحر؟ أو هى شعر موزون قائم على عمود الشعر المقبول عند العروضيين؟ وبعضنا يقول إنها لا تستقيم على وزن بحر واحد فى أبياتها وإشطرها ومنها المكسور كقوله :

مـــاذا أقول لأدمـع سفحتها أشواقى إليك

فما رأيكم فى هذا الخلاف مع ما هو معروف عنكم من المحافظة على التراث العربى فى الشعر وبلاغه الكلم؟ ..

حسن هجرس

بور سعيد

هذه القصيدة من الشعر الموزون وليست من الشعر الذى لا وزن له ولا قافية ، إن صح أن يسمى هذا شعرًا فى اللغة العربية أو فى لغة من لغات الحضارة ، ولكن الوزن فى القصيدة يجرى على طريقة الموشحات مع التصرف فى تفاعيل الأشطر والأغصان على أسلوب غير مطرد فى جميع مقطوعاتها ... وليس للموشحات ، كما هو معلوم ، وزن واحد يلتزمه جميع الناظمين فيها ، لأنها قابلة للتصرف على قواعده التى تدخله فى باب النظم ولا تخرج به إلى الفوضى التى لا تقبلها طبيعة الفنون .

أما البيت الذى خصصتموه بالذكر وقلتم إن بعضكم يرى فيه كسرًا فى كلمة « سفحتها » فالعروضيون لا يسمون هذا كسرًا ولكنهم يعتبرونه علة من علل الضرورات الشعرية أو عيبًا من عيوب التفاعل يترخصون فيه ، بمقدار ، على حسب موقعه من

---

* الأخبار فى ٢٧/ ٢/ ١٩٦٣ .

الذوق أو من المخالفة للقاعدة مع إمكان موافقتها .

وقد أجاز العروضيون فى الشعر مّد المقصور وقصر الممدود وإشباع الحركة وفك الإدغام والفصل بين المعطوفات وتقديم المعطوف وتنوين الممنوع من الصرف وعكسه وترخيم بعض أسماء الموصول ، إلى أشباه ذلك من ضرورات النظم المشهورة .

وربما كان الصحيح أن العروضيين لا يجيزون كل هذه الضرورات ولكنهم يقولون إنها مما يلجأ اليه الشاعر اضطرارًا ولا يلجأ إليها الكاتب أو المتحدث ، لأنهما فى غير حاجة إليها .

وأحسنها ماكان يجوز للشاعر كما يجوز للناثر فى بعض الأحوال ، كتذكير المؤنث عمدًا للمداراة والتورية ، وقد يلجأ إلى ذلك بعض المتحدثين بالفصحى وغير الفصحى فى لهجتنا العامية ، كمايقول أبناء البلد عندنا فى تعريضهم بخطاب الأنثى : ياحلو .. ياجميل ! يا أنت .. وهم لا يعجزون عن النطق بالتأنيث فى سائر كلامهم ، ولكنهم يقصدون ذلك فى خطابهم للأنثى كأنهم يدارون عن السامعين أنهم يقصدونها ، وهى مداراة « مصطلح عليها » فى لغة التدليل والمناجاة .

أما الضرورة فى كلمة « سفحتها » فهى اقتضاب حركة الألف والاقتصار على فتحة الهاء كأنها غير متبوعة بحركة ممدودة ، وقد يقع الشعراء المجيدون فى شبيه ذلك وإن لم يكن مثله تمامًا ، كقول المتنبى فى قصيدة من أجود شعره ، وهى قصيدته فى رثاء أخت سيف الدولة إذ يقول :

طوى الجزيرة حتى جاءنى نبأ فزعت فيه بآمالى إلى الكذب

ثم يقول

تعثرت به فى الأفواه ألسنها والبرد فى الطرق ، والأقلام فى الكتب

فإن الهاء فى كلمة « به » تظهر عليها حركة الكسر ولكنها غير مشبعة ولا محذوفًا ما بعدها من الحركات .

والإشباع – على أى قول من هذه الأقوال – أفصح وأجمل ، حتى لقد اختار

بعض الرواة أن يروى البيت هكذا فى بعض النسخ :

تعثرت بك فى الأفواه السنها والبرد فى الطرق ، والأقلام فى الكتب

وإن تكن رواية يأباها الكثيرون .....

على أننى أرى – من وجهة الذوق الشخصى – أن الشاعر خليق أن يتجاوز حدّ البحث عما يجوز وما لا يجوز لأن صناعته صناعة جمال وليست صناعة فائدة وكفاف يغنى فيها ما ينفع عما يجمل ويروق ، وقد يجوز فى لبس « الشغل » أن يغنى المشبك عن الزر والعروة ، ولكنه شىء لا يبحث فيه من يلبس هندام العرس ويحتفل بكسوة الزينة .

ولا أذكر أننى أبحث لنفسى فيما أنظم ضرورة من الضرورات المباحة فى عرف العروضيين ، وإن لم يكن حكم اللغة فيها موافقًا لحكم العروض .

لماذا بكى تشرشل*

الموسيقار الذى تظاهر ببيع قيثارته

الرقم المقدس : ٧

ترد إلينا أسئلة مختلفة ، تعقيبًا على بعض مقالاتنا أو من قبيل الاستفسار عن شيء فى موضوع المقالات أو فى غير موضوعها ، ونحب أن نتجاوب الفكرة بيننا وبين حضرات القراء حول هذه الأسئلة ، وبخاصة ما نحسبه منها أسئلة نموذجية يهتم بها أكثر من قارئ واحد ، ولا تعتبر من المسائل الخاصة المقصورة على صاحبها .

وهذه أمثلة من تلك الأسئلة :

العبقرية لغز

خطاب مطول يتضمن عدة أسئلة عن تشرشل لمناسبة الكلمة التى كتبتها المضيفة العالمية « الزا مكسويل » فى كتابها الحديث « تزوجت العالم » .. ويتلخص الخطاب المطول فى هذه الأسئلة الثلاثة :

١ - كيف تجهل الأم ولدها حتى تؤكد أم تشرشل أنه لن يكون رئيسًا للوزارة ، مع ما هو معلوم من فطنة المرأة لمزايا الرجال ولو لم تكن بينها وبينهم قرابة ؟

٢ - ما هذا الضعف الذى حل على تشرشل عند ترك الوزارة مع تهويله بالقوة وجعجعته بالشّدة والقسوة ؟

٣ - ما رأينا فى كفاية تشرشل وشخصه ؟

أما أن الأم تجهل عبقرية ابنها فمن أسبابه أن العبقرية لغز قد يجهله صاحبه نفسه أو يجهل الموضوع الذى خلقت له عبقريته وعبقرية سواه .

* أخبار اليوم فى ١٦/ ٤/ ١٩٥٥ .

ومنذ أسبوعين كنا نتكلم عن هانس اندرسن الذى احتفل العالم الأدبى بانقضاء مائة وخمسين سنة على مولده ، وكان هو يجهل ما خلق له إلى يوم وفاته .

فكان يتطلع إلى الرقص والغناء والتمثيل ، ثم سدت فى وجهه أبواب تلك الفنون فتركها على كره منه وانصرف إلى التأليف ، ولكنه – حتى فى التأليف – لم يكن يعرف أفضل مؤلفاته وهى نوادر الأطفال وخرافات الأمثال ، فظل يحسب هذه النوادر والخرافات من نوافل العمل ويخص المسرح والقصة بالجانب الأكبر من وقته وعنايته ، فذهبت أعماله جميعًا ولم يذكره العالم بغير تلك النوافل و « الزيادات » !

أما بكاء تشرشل فمن الواجب أن ينبهنا إلى حقيقة مجهولة عند الأكثرين ، وهى أن البكاء لا ينم على الضعف فى جميع الحالات ، وأن الأقوياء قد يبكون حيث لا يبكى الضعفاء .

وقل ماشئت فى تشرشل إلا أنه ضعيف ، فإن الرجل الذى نهض بأعباء الحرب العالمية لا يعدّ من الضعفاء ، وليس من الوزن الصحيح للرجال وللأمور أن نجهل حقيقتهم ، لأن جهل الحقيقة عيب فينا نحن وليس بعيب فى أولئك المجهولين .

ومنذ فترة وجيزة كنا نقرأ فى كتاب « ولتر هنرى تومسون » الذى كان مسئولا عن حراسة تشرشل فقرأنا فيه أنه بكى حين أسندت إليه رئاسة الوزارة فى أيام الحرب العالمية الأولى ، وأنه وقف بعد عودته من قصر بكنجهام هنيهة ثم فاضت عيناه بالدموع ، ثم نشط للمهمة التى وكلت إليه حتى بلغ بها الغاية كما استطاع ، وقد استطاع ولا شك ما لا يستطيعه الأكثرون .

ولقد رأينا سعد زغلول يبكى مرات فى مواقف شتى كلها مواقف انتصار أو حنان .

وتأويل هذا البكاء من الأقوياء فى رأينا أنه المنصرف الطبيعى لجيشان القوى واضطراب الدوافع فى صدورهم ، فلا ينفس عنها إلا الدموع .

ورأينا فى سياسة تشرشل لا حاجة به إلى بيان .

إنه صهيونى استعمارى وليس فى الدنيا شىء أبغض إلينا من الصهيونية والاستعمار .

أما رأينا فى كفايته فيغنينا عن شرحه سؤال واحد وهو : ألا يتمنى القارئ المصرى أن يكون بين المصريين عشرات من أمثال تشرشل يخدمون بلادهم كما خدم هو بلاده الإنجليزية ؟

إنه عظيم إنجليزى فلا ينتظر منه أن يخدم مصر وينسى أمته ودولته ، ولو كان عظيمًا مصريًّا وخدم انجلترا ونسى بلاده لاستحق اللعنة منّا والاحتقار من الإنجليز ، ولما صح فيه بأى لسان أن يقال عنه إنه عظيم .

كريزلر الغريب

وصاحب السؤال عن كريزلر الموسيقار الكبير يستغرب أن يعطى عازف القيثارة خمسة آلاف ريال أجرًا له على سهرة واحدة ، ويستغرب منه أن ينزل عن آلاف الفرنكات من أجل كلمة يردّ بها على سيدة متصلفة ، ويسألنا مزيدًا من البيان عن هذا الرجل الغريب .

والنادرة التى نقلناها عن كتاب « تزوجت العالم » لم تنفرد بها الزا مكسويل مؤلفة الكتاب ، بل قرأناها فى كتاب آخر ألفه جران Grun الموسيقى الناقد الفنان عن كبار الموسيقيين فى حياتهم الخاصة ، مع اختلاف فى تقدير الفرنكات والريالات .

ولا نستغرب هذه النادرة من كريزلر لأنه معروف بالسرعة العصبية والكرامة إلى حد المغالاة ، وقد كتب عنه سير هنرى وود فى كتابه « حياتنا الموسيقية » فقال :

« إننى أعلم أن كل ما قمت به من توجيه الفرقة إنما كان مجاوبة طبيعية لملكة الأداء الرفيعة عند كريزلر ، فإن قراءته لدوره قراءة صافية ، منظمة ، ووقاره فى غير كلفة حين يعزف أدواره إنما هو صدى لوقاره الأبى فى مسلكه وسيرته » .

وهنرى وود قائل هذا الكلام موسيقى كبير من الفنانين القلائل الذين أنعمت عليهم دولتهم بألقاب النبلاء اعترافًا بقدرهم فى عالم الفن الجميل .

والرجل – نعنى كريزلر – معروف بسخائه وقلة اكتراثه للمال ، فهو يربح الكثير وينفق الكثير ، ومما ينفقه قسط غير قليل لإعانة المعوزين والمنكوبين من الموسيقيين ،

وله ملجأ كبير فى فيينا يأوى إليه العجزة وذوو العالة والفاقة من أبناء فنه ، وينفق غير ذلك على الفقراء وأبناء السبيل .

وهو على هذه الكرامة والاريحية مشهور بحب الدعابة أو بحب « النكتة العملية » كما يسميها الغربيون ، وقد تعرضه هذه الدعايات للمتاعب الكثيرة فلا يقلع عنها ويعود إليها كلما أغرته المناسبة بواحدة منها .

وهو أشد مايكون عبثًا بزمرة المرابين الذين يستغلون حاجة الفنان المسكين فلا يرحمونه ولا يجودون عليه بالقروض أو بالرهون إلاّ بالثمن الذى يرهقه ويثقل عليه .

كان فى حفلة من حفلاته بمدينة أمستردام ، ومر فى طريقه عائدًا على حانوت من حوانيت الرهون التى يلجا إليها أهل الفن لرهن أدواتهم ومصنوعاتهم من أجل دريهمات يتبلغون بها إلى ساعة الفرج ، وقد تضيع الأداة عليهم قبل أن يدركهم الفرج المنظور .

وخطر له أن يعبث بصاحب الحانوت ، فعرج عليه وأراه قيثارته وسأله وهو يتمسكن ويتضرع : بكم تشترى هذه القيثارة ؟

فاستمهله الخبيث لحظةً ثم عاد إليه يساومه وكريزلر يداعبه بالأخذ والعطاء على جهل منه بما ينويه ، وما هى إلا لحظات حتى أحيط كريزلر بالجند من يمينه وشماله ، وأشار إليهم صاحب الحانوت ساخرًا : « هذا الرجل لص سرق قيثارة كريزلر وجاء إلىّ يساومنى على شرائها . . »

فأخذ الجند بذراعيه ، واجتذبوه ليقودوه إلى ديوان الشرطة ، فصاح بهم : على رسلكم . أنا كريزلر صاحب القيثارة !

ولسوء حظه كان الشرطة على علم بالحفلة التى يندر أن تقام حفلة مثلها فى المدينة ، فقال له أحدهم بلهجة العارف المنتصر : أعلينا يجوز هذا الكلام أيها اللص ؟ إن كريزلر الآن فى حفلته على مدى خطوات من هذا المكان !

ولولا أنه استطاع أن يقنعهم « بشخصيته » لما نجا من السجن ساعات على الأقل ، ريثما يسعفه بعض عارفيه .

وليس فى وسعنا أن نزيد القارئ تعريفًا بمكانة الرجل الموسيقية من جانبها الفنى

العميق ، ولكننا نعرف عنه أنه ولد فى مدينة فيينا سنة ١٨٧٥ وتعلم فى معهدها الموسيقى الكبير ، ثم انتقل به أبواه إلى باريس حيث أتم تعليمه ، وظهر نبوغه مبكرًا فلم يكن يجاوز الثالثة عشرة حين أقام حفله الأول بمدينة نيويورك .

ومن آثاره فى الموسيقى الحديثة أنه جعل للعزف المفرد Solo شأنًا لم يكن له قبل ظهوره واشتهاره ، وأنه عودّ كثيرًا من الموسيقين أن يركزوا اللحن فى آلة واحدة بين الآلات التى تجتمع فى الفرقة الصغيرة Concerto وجنح إلى أسلوب القرن الثامن عشر بعض الشىء فى طريقة التوزيع بين الآلات ، ومنها ما يتعلق بأدوار « الأوبريت » أى الملحنات المسرحية الصغار ، وعلى هذا يعتبرونه مجددًا أقرب إلى المحافظة أو محافظًا أقرب إلى التجديد ، وله فضل مأثور على الموسيقيين الروس الذين ضاقت بهم بلادهم ، فهو يعينهم على الاستقلال بآرائهم الفنية ويوصى عليهم فى معاهد الغرب ومحافله ، ولا يقصر معونته على عازفى القيثارة بل يعم بها كل عازف من الأرغن والبيان إلى البوق والمزمار .

صدمة لا عقدة

والسؤال التالى نموذج للشكايات التى يسميها أصحابها « عقدة » نفسية ولا وجه فى رأينا لتسميتها بالعقدة لأنها معروفة الأسباب ، وإنما العقدة وليدة العلة المجهولة التى يجهلها المصاب بها أو يغالط نفسه فيها ، إن عرفها قبل التغلب عليها .

أما الشكايات التى يعرف أصحابها دخائلها وأسبابها فهى صدمات نفسية يقابلها المصاب بها وجهًا لوجه ولا يهرب منها .

قال صاحب الخطاب : « قرأت فى يوميات الأخبار عن العقد النفسية وتأثيرها الكبير . .

« . . أنا فى السادسة والعشرين أعمل بقالا مع حصولى على التوجيهية منذ ثمانى سنوات ، وسبب شقائى وبؤسى فى الحياة أن بصرى ضعيف جدًّا منعنى من دخول الجامعة ولم أقبل فى الوظائف ففتح والدى لى دكانًا للبقالة على جهلى السوق . . ووقعت فى شرك وموظفين بالمصالح الحكومية وحينما شكوتهم صعب على التنفيذ على مرتباتهم

وأثاثهم لأنه ملك السيدة فخسرت بذلك الشيء الكثير.. وأنا أكتب هذه السطور أنظر إلى من كانوا وكنت أولهم فأرى الدكتور والمهندس والمحامى والمعيد بالجامعة فأشعر بشيء من القنوط .. ولم يكتف الدهر بذلك بل خلقت برأس طويل ضيق وجبهة عريضة ، مما يجعلنى سخرية الكبير والصغير.. وأنا أحب التنكيت وأحب الانخراط فى سلك الجماعة وأحب الجهاد والكفاح ولكن كيف لى ذلك وأنا أوثر الوحدة غصبًا .. ولماذا أوجدنى الله فى السعير وهو العادل الرحيم .. »

وأود أن أمهد للجواب بقصة صغيرة أذكرها ويذكرها معى كثيرون من زملائنا فى مدرسة أسوان .

فتح السودان واحتاجت الحكومة إلى موظفين لم تشترط فيهم شرطًا أكبر من معرفة القراءة والحساب وقليل من اللغة الإنجليزية . فذهب إلى الوظائف أخوان لنا لم يصبروا على إتمام الدراسة وحسبناهم نحن محرومين منساقين بحكم الضرورة إلى اقتضاب مرحلة التعليم ، ولما وصلوا إلى السودان قبلت الحكومة السودانية بعضهم وتخلف بعضهم الآخر برغبته للاشتغال بالتجارة ، ثم خرجت أنا من المدرسة ولم أتابع الدراسة كما كنت أتمنى ، فحسبت نفسى كذلك من المحرومين المضطرين .

وكانت النتيجة كمايلى :

الذين انتظموا فى وظائف السودان بلغوا سن المعاش ومعاشهم أكبر من معاش زملائهم الذين أثروا الوظائف فى مصر بعد إتمام الدراسة العليا .

والذين اشتغلوا بالتجارة أصبح منهم « أصحاب ملايين » معروفون فى مصر والسودان ، محوطون بالجاه والثروة والصدارة فى المجتمع ، وكلهم جدّ فى عمله ولم يقبل عليه آسفًا على ما فات .

ولا أحدثك عن نفسى بأكثر من كلمة وجيزة : وهى أننى لا أتمنى نصيب أحد ممن كنت أحسبهم مجدودين موفقين ، وكنت أحسب نفسى بالقياس إليهم فى عداد المحرومين المضطرين .

أكبر الظن ياصاحبى أن شعورك بالخيبة قد حملك على المبالغة فيما فاتك من مستقبل

أمثالك ، فتقبل عملك مقبلا عليه بكل عزيمتك ولا تشطر همتك شطرين بالأسف على ما فات والتردد فى المصير.

ولا تبالغ فى تجسيم سوء الحظ ، لأنك أسعد حظًّا من الذين يعثرون مثل عثرتك ولا يجدون أبا يتولاهم برعايته ويفتح لهم أبواب المستقبل من جانب كلما سدت أمامهم من جانب مفتوح .

وإذا كنت تحب التنكيت كما قلت فاتخذ من النكتة سلاحًا تذود به عن نفسك ، واذكر حكمة الحكيم القائل : من يضحك من نفسه لا يضحك منه أحد .

خذها يسيرة ولا تأخذها عسيرة ، ووازن بين الحظ السيىء والحظ الحسن فى أمرك ولا تنظر إلى مايعجزك بل أنظر إلى ما تستطيع ، ولا تنس أن كثيرين من ذوى الملاحة والوسامة والمظهر واللقب يطلبون الكثير ويعجزون عنه ، ويملكون الحلوى ولا يدفعون عنها الذباب ولا يستريحون من السم الدسم ، ولا من « عسر الهضم » على أهون احتمال !

وقبل كل شيء : اذكر أنها صدمة نفس وليست بعقدة نفس تلك التى تشكوها ، فإذا بالعقدة قد انحلت وإذا بالصدمة التى تلقاها وجهًا لوجه إحدى صدمات الحياة التى لا يسلم منها إنسان .

عدد سبعة

ومن الأستاذ المهندس بتفتيش الغرب « أحمد عبد الوهاب » سؤال عن العدد ٧ يقول فيه بعد توطئة وجيزة :

« لعلكم لاحظتم خلال اطلاعاتكم أن العدد (٧) له ميزة خاصة ، ولعلكم تعرفون كذلك أن أحدًا من الغربيين قد لاحظ ذلك . فأرجو الكتابة عن وجوديات العدد وميزاته ، ومن أمثلتها أن الطيف سبعة ألوان منظورة ولا غير ، وإن كان هناك مثلا فوق البنفسجي وتحت الحمراء إلا أنها فوق مستوى الإدراك العادى ، وهذه المسألة تصلح لأن تكون مقالا فى صحيفة .. والسلام عليكم ورحمة الله » .

نقول : إن اهتمام المهندس الفاضل بخصائص الأعداد لا غرابة فيه ، إذ كان أقدم الفلاسفة الرياضيين يهتم بهذه الخصائص ويقرن بينها وبين كشوفه الرياضية ومعادلاته الهندسية والحسابية .

كان فيثاغوراس يعتقد أن العدد (٧) مقدس لأنه مجموع ثلاثة وأربعة ، وكلاهما عدد رمزى فى رأيه يشير إلى سر من الأسرار .

فالثلاثة تمثل البداية والوسط والنهاية ، والاربعة تمثل الجهات الأربع . ويقول فيثاغوراس ان اسم الله Tetrard رباعى الحروف ، ومن المصادفات ان اسم الله فى جميع اللغات القديمة يتألف من حروف أربعة ، ومنها زيوس Zeus باليونانية وجوف Jove باللاتينية وديفا Deva بالسنسكريتية ، ويهوا J hva بالعبرية ، ويطرد هذا العدد فى اللغات الحديثة مثل ديو Dieu بالفرنسية وجوت Gött بالألمانية ولورد Lord بالإنجليزية والله بالعربية .

والاعتقاد فى « السبعة » عام شائع بين جميع الأمم شرقية وغربية ، ومن ذلك العمود السباعى الذى كان فى لندن يواجه الشوارع السبعة ويسمى من أجل ذلك بالمزاول السبع ، وقيل فيه إنه طلسم حارس المدينة ، ولا تنس عجائب الدنيا السبع ولا القسم على النعاج السبع بين إبراهيم وابيمالك ، ولا الخطايا السبع وهى الكبرياء والغضب والحسد والشهوة والنهم والطمع والكسل ، ولا المدن السبع التى تنازعت مولد هوميروس ولا الجزيرة ذات المدن السبع فى الأساطير الأسبانية .

والأغلب على أعتقادنا أن الأصل فى تعظيم « السبعة » راجع إلى خطأ الأقدمين فى حساب السيارات ، فقد حسبوا منها الشمس والقمر ولم يحسبوا الأرض ، ولما صحح الفلكيون المحدثون هذا الخطأ وقع الفيلسوف الكبير « هيجل » فى خطأ آخر وظهر كتابه الذى ينعى فيه على الرياضيين أنهم يجهلون الفلسفة ويتخيلون أن عدد السيارات يمكن أن يكون غير « سبع » لا تزيد ولا تنقص ، ولم يصدر الكتاب حتى كان سيار « بلوطس » قد كشف وتبعته سيارات أخرى تعد بالمئات ، وإلى اليوم تسمى أيام الأسبوع عند الأوربيين بأسماء السيارات على الحساب القديم .

إلا أن هذا كله لا يمنع أن نعد من السبعات ظواهر كثيرة فى الطبيعة وفيما وراء الطبيعة ، ومنها ألوان الطيف التى أشار إليها الأستاذ المهندس ، ولكننا كذلك نجد الخمسة معدودة فى أمثال هذه الظواهر كالأصابع الخمس والقارات الخمس والمحيطات الخمسة والصلوات الخمس ، وغير هذه الظواهر وغير هذه الأعداد ، وليس للإنسان أن يعلم من هذه الأمور غير حقائقها البينة فأمّا الغيب فلا يعلمه إلا الله .

عندما يتحدث أعداء الإنسانية عن الإنسانية ! !*

كانت حجة الدفاع عن « ايشمان » قويةً من حيث المبدأ ، لأنه واجه المحكمة الصهيونية ببطلان المحاكمة من وجوه كثيرة ، أولها وأظهرها أن إسرائيل لم يكن لها وجود حين وقعت الجرائم التى تنسب إلى ايشمان ، وأن التشريع الذى يقضى به فى أمره لا يدينه ولا يسرى عليه ، فإذا جازت محاكمته فإنما تجوز فى ألمانيا حيث وقعت الجرائم ، أو فى الأرجنتين حيث كان يقيم عند اعتقاله ، أو أمام المحاكم الدولية التى يتقرر إنشاؤها لأمثال هذه المحاكمات ، وقد توقفت محاكم (نورمبرج) ولم يتحدد تأليفها بعد الفراغ من قضاياها .

أما جواب الاتهام الصهيونى على هذه الحجة القوية فخلاصته أن جرائم (ايشمان) تسلكه فى زمرة أعداء الإنسانية كالقراصنة والنخاسين أى تجار الرقيق ، والمهربين الدوليين الذين يجوز القبض عليهم فى كل مكان .

والمغالطة ظاهرة فى هذا التلفيق ، لأن جواز اعتقال هؤلاء المجرمين لا يعنى أن تتخطى الدولة حدود غيرها لكى تعتقلهم خلسةً ، ولا يخوّلها حق الحكم فى جرائم وقعت وهى لم توجد ولم يكن لها كيان معترف به فى العلاقات الدولية .

لكن المهم فى المسألة شيء غير هذه المساجلات الفقهية ، المهم هو تلك « العقلية » التى تتشابه عند كل جماعة تدعى أنها شعب الله المختار . فإن الذين طاردوا الصهيونيين فى ألمانيا واضطهدوهم قد جعلوا حجتهم الكبرى أن الصهيونيين أعداء الإنسانية ، وأن الأريين – وهم الشعب المختار بين بنى الإنسان – أحق خلق الله بتطهير الإنسانية من هذه الطغمة المدسوسة عليها .

ولو أراد النازيون أن يؤيدوا حجتهم هذه بالأسانيد الدامغة لما احتاجوا إلى البحث

---

* الأخبار فى ١٩٦١/٤/٢٦ .

الطويل عنها ، لأنهم يجدون تلك الأسانيد فى العقيدة التى يعلنها الصهيونيون ولا يكتمونها ، وهى أثبت من كل ما يثبت على ايشمان من جرائمه الظاهرة أو الخفية .

فالصهيونيون يعتقدون أنهم هم وحدهم « الأمة المختارة » التى سخرت لها أمم العالمين ، ويسمون الإنسانية كلها باسم « الجوييم » أى الأمم الهمل فى غير رعاية الله ، يحق لهم أن يعاملوها معاملة الأجنبى الدخيل وأن يستبيحوا عند معاملتها كل ما لا يستباح فى شريعتهم بينهم وبين أنفسهم ، ونصوص هذه الدعوى الأثيمة مسجلة فى كل كتاب من كتبهم التى يدينون بها ويستندون إليها .

وتاريخ الصهيونية من مبدئه إلى اليوم هو تاريخ طائفة شاذة تعتزل الناس حيث نزلت وتقيم فى « الغيتو » أى المدينة الخاصة بهم معزولة عن الأحياء العامرة على اتساعها .

وقد خرج الصهيونيون قديمًا من كل وطن نشئوا فيه أو رحلوا إليه : كانوا فى جزيرة العرب فخرجوا منها إلى وادى النهرين ، ثم خرجوا من وادى النهرين إلى شمال العراق ، ثم رحلوا إلى كنعان ، ورحلوا من كنعان إلى وادى النيل ، ورحلوا من وادى النيل إلى فلسطين ، وتشتتوا من فلسطين إلى أرجاء الأرض فكان مصيرهم الطرد أو الهجرة من كل وطن وصلوا إليه .

ويتساوى أن تكون الصهيونية هى التى طردت نفسها أو يكون أبناء البلاد هم الذين طردوها ، فكل ما يتغير فى القصة أن الصهيونية « عدو الإنسانية » أو أن الإنسانية « عدو الصهيونية » ولا فرق فى النهاية بين العداوتين .

سألنى صحفى صهيونى كان يلقى دروس التاريخ الدينى فى جامعاتهم :

ما رأيك فى موقف النازيين من اليهود ؟

قلت : اسمع يا أستاذ ..

إنك معلم تاريخ ودين ، وتعلم أنكم شعب الله المختار فى الزمن القديم كما تقولون ، وتعلم أن النازيين كما يقولون هم شعب الله المختار فى الزمن الحديث ، فالله وحده هو الذى يقضى بينكم بالحق ، وهو الذى يختار بينكم كما يريد .

إن إيشمان يحاول عبثًا أن يدفع عن نفسه دعاوى القوم ، لأنهم حرموا عليه أول حق من حقوق المتهم وهو استدعاء الشهود ممن حضروا الوقائع المنسوبة إليه ، ولم يقبلوا التصريح بضمان حرية الشهود فى العودة إلى بلادهم ولا التصريح بإعفائهم من المحاكمة أمام القضاء الصهيونى كما يحاكم ايشمان الآن .

فالدفاع إذن عبث وأمل باطل ، ولكن ايشمان يستطيع أن يتقدم باعتراف واحد : وهو أنه رجل من « الجوييم » . يشاركه فى التهمة أناس يبلغون فى الكرة الأرضية نحو ثلاثة آلاف مليون . . وعلى المحكمة الصهيونية أن تقول بعد ذلك ، ما هو الفرق فى عداوة الإنسانية بينه وبين الآدميين جميعًا فوق ظهر الكرة الأرضية على مذهب الصهيونيين ؟ !

هل يكره الإنسان الرجوع إلى الشباب*

سؤال عن الحكمة الواقعية فى شعر أبى الطيب المتنبى ، واعتراض على هذه الحكمة فى مثل قوله :

خَلقت ألوفًا لو رُددت إلى الصبا لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

ويقول الطالب الأديب « فاروق عبد الوهاب عوضين » بحقوق القاهرة

« هل يكره الإنسان الرجوع إلى الشباب ؟ وهل هناك نظرية فلسفية يقول بها من يكرهون العوده إليه ؟ » .

ونقول للطالب الحقوق : إن نقاد الواقعية فى شعر المتنبى يخطئون كثيرًا إذا اعتمدوا فى نقدهم على هذا البيت ومايشبهه فى الدلالة على الواقع .

فإن المتنبى لم يقل إنه يكره العودة إلى الشباب وإنه لا يتمنى هذه العودة إذا وجد السبيل إليها ، وكل ما قاله إنه يعود إليه ويفارق المشيب ليعود إليه ، ولكنه يفارقه باكيًا عند فراقه ، ولولا ذلك لما كان هناك موضع لذكر البكاء .

فلو كان المتنبى يأبى أن يعود إلى الشباب لما بكى عند فراق الشيب ، لأن هذا الفراق لا يحصل ولا يتبعه بكاء أو ابتسام .

ولكنه يستوجب على نفسه حق الوفاء ، للشيب الذى عاشره ولو كان يفارقه للقاء ما يحبه ويهواه ، وليس هذا بالمستغرب فى مواقف التوديع بين البلد الذى نحن فيه والبلد الذى نسافر إليه ، ولعل الطالب الأديب قد شهد هذه المواقف مرات على محطات

* الأخبار فى ٢٦/ ٤/ ١٩٦١ .

السكك الحديدية ، فإنها لا تخلو من مسافر يبكى وهو يعود إلى بلده المحبوب ، لأنه يفارق أصحابًا أنسوا به وأنس بهم ، فلهم عليه حق الوفاء .

إن الواقعية فى حكمة المتنبي أصدق من « الواقعية » فى كلام نقاده ، لأنهم يفهمون الواقع كما يتخيله أصحاب « المدارس الفنية » أو أصحاب العناوين المذهبية ، وأكثره خيال .

جمال الدين وتطور النشوء والارتقاء*

« .... كتبتم عن رأى السيد جمال الدين الأفغانى فيما يختص بنظرية النشوء والارتقاء ثم عقبتم بقولكم : وهكذا ظن السيد جمال الدين أن مذهبًا كمذهب النشوء والارتقاء يناقش ويفند بهذه السهولة فيعيي صاحبه عن الجواب ... ولكن العذر واضح للسيد فى عزوب التفصيلات عنه لأنها كانت يومئذ تعزب عن الغربيين . . » .

« وكان واضحًا أنكم قد عرضتم ما قد يوحى إلينا برأيكم .. فلا يسعنى فى هذا المقام إلا أن أطمع فى معرفة رأيكم فى هذه النظرية ..إلخ .

محمد مسعود محمد

كلية الحقوق – جامعة الإسكندرية

يظهر – كما لاحظت فى بعض اليوميات السابقة – أن الاهتمام بمذهب النشوء قد تجدد عندنا كما تجدد فى الغرب بعد الاحتفال بانقضاء مائة سنة على صدور كتاب « أصل الأنواع » . فإن الأسئلة عنه خلال الأسابيع الأخيرة تتوالى من جهات كثيرة بين المشتغلين بمثل هذا المذهب من المثقفين ، وأكثرها يسألنى عن رأيى فيه ورأيى فى أقوال المعترضين عليه .

أما رأيى فى « مذهب النشوء » فخلاصته أنه « نظرية » لم تبلغ بعد مبلغ الحقائق العلمية ، ولكن الذين يبطلونها باسم الدين يتعجلون ويكررون الخطأ الذى وقع فيه المتعجلون يوم ادعوا على الدين أنه يحرم القول بأن الأرض « كرة » وأنها تدور حول الشمس ، والدين براء مما ادعوه عليه .

إن العلم لم يثبت نظرية النشوء فى أصل الأنواع ، لأن القائلين به لم يدلونا على

---

* الأخبار فى ٢٦/ ٤/ ١٩٦١ .

حيوان واحد قد تحول من نوع إلى نوع بفعل الانتخاب الطبيعى ، ولكن هذا التحول قد يثبت غدًا بتجربة من تجارب علم الجينات أو الناسلات Genetics فلا يصح أن نقحم الدين فى الجزم بشىء لا يزال بين الثبوت والبطلان .

والقرآن الكريم يوجب علينا أن نؤمن بأن الإنسان مخلوق من طين ، وهكذا يجب أن نعتقد بلا خلاف ، ولكن القرآن يعلمنا أنه خلق « من سلالة من طين » ولا يغلق الباب على البحث الذى يفسر هذه السلالة بما يوافق الدين والعلم على السواء .

ولا ننس أن النشوء فى اعتقاد أكبر علمائه يعزز حكمة الخالق كما قال العلامة « الفريد والاس » شريك داروين فى نظرياته عن الأنواع وعن الانتخاب الطبيعى وغيره من أركان هذا المذاهب الواسع .. ولا ننس أن داروين نفسه لا يقول بتسلسل الإنسان من القرد كما شاع على الأفواه ، وكل ما قاله إن الإنسان والإحياء العليا متسلسلون من أرومة واحدة بعد التطور والارتقاء ، وقد خالفه شريكه « والاس » مع هذا فقال بأن الانتخاب الطبيعى لا يصدق على الإنسان وإن نظام الكون لا ينفى المعجزات وخوارق العادات لأن الخليقة كلها إعجاز وتدبير يخفى على العقول .

* * *

ولمن شاء أن يرفض مذهب النشوء لأنه لم يتقرر بالمشاهدة ولا بالتجربة العلمية ، ولكن فقدان الدليل شىء والقول بأن الدليل قائم على إنكاره شىء آخر بعيد كل البعد عن مجرد الإحجام والتردد ، وليس من الرعاية للدين أن نعرضه للنفى والاثبات فى أمور نصيب فيها أو نخطئ ونعلم فيها أونجهل. ولاتزال خفاياها فى غيب الله.. فقد كفى ماجناه المتعجلون باسم الدين حين زلزلوا عقائد الناس بإنكار المحسوسات وتكذيب دوران الأرض أو تكذيب نسبة الطاعون إلى الجراثيم أو تكذيب حساب الأفلاك بالأيام والساعات ، فإن هؤلاء « الأصدقاء الجهلاء » أضر على الدين من أعدائه الألداء .

* * *

أمراض اجتماعية جديدة*

« .. انتشر فى الشرق مرضان من أخطر الأمراض الاجتماعية وهما النفاق الفردى والاجتماعى وحب المال الذى طغى على حياة معظمنا فأدى بنا إلى هاوية سحيقة من المادية والأنانية وكاد يقضى على القوى الروحية فينا ، فما أسباب هذين المرضين وماذا ترى لعلاجهما » ؟

ابراهيم سيد سليمان المنصورى

منية النصر - دقهلية

لا أحب أن يكون الجواب على هذا السؤال « محولا على ما قبله » من آفة الانحصار فى الذات ، لأن المفيد فى المسألة هنا أن نعرف حقًّا أن النفاق وحب المال « مرضان » فى هذا العصر وليست غاية الأمر فيهما أنهما عادتان أو خلقان من الأخلاق التى تذم بين أمثالها من الأخلاق المعيبة ..

من قديم الزمن كان الناس ينافقون ويحبون المال ، ولكنهما عادتان مفهومتان عند الرجوع بهما إلى نشأتهما الأولى ، لأن مجاراة الجماعة كانت فرضًا على الفرد لا مهرب له منه من قبل تقرير الحقوق الشخصية وقبل البحث فى مزاياها ومآخذها ، فلم تكن مجاراة الفرد للجماعة نفاقًا بمعنى هذه الكلمة الذى فهم بعد ذلك ، ولكنه كان بمثابة إعطاء ذى الحق حقه أو حقوقه كلها ، إذ لم تكن للفرد حقوق إلى جانب حقوق الجماعة عند ظهور هذا « النفاق » للمرة الأولى .

كذلك كان حب المال عادة مفهومةً لأن صاحب المال كان قبل ذلك صاحب السلطان ، وكان - إذا جمع المال والسلطان - جمع كل شىء تهواه النفوس ويستطاع شراؤه بالثمن أو الحصول عليه بالقوة .

---

* الأخبار فى ١٩٦١/٤/٥ .

ثم أصبحت العادة المفهومة عادةً تقليديةً ، ثم أصبحت مطلوبةً لأنها تعيد متبع كسائر التقاليد .

وإلى هنا بقيت العادة فى حدودها ولم تنتقل إلى دور « المرض » النفسانى الذى يحتاج حقًّا إلى علاج كعلاج الأمراض وطب كطب المستشفيات على الواسع أو على الضيق ، حين نرسم حدود تلك المستشفيات .

علامة المرض فى خلق من الأخلاق أن أسبابه المفهومة لا تكفى لتعليله .

فالخوف من الماء مفهوم إذا كان على قدر الخوف من الغرق ، ولكنه إذا انقلب إلى خوف من كل ماء غزير لسبب أو غير سبب فهو المرض الذى يحتاج إلى العلاج .

والخوف من الظلام مفهوم إذا كان خوفًا من شىء مخبوء يغطيه الظلام ، ولكنه مرض إذا لم يكن فى الظلام شىء مستور يخاف . وكان على التحقيق خلوًّا من كل داع إلى الخوف .

ولا شك أن النفاق مرض إذا كان مجاراة للجماعة لا توجبه المصلحة العامة ، وهو كذلك مرض إذا كان جبنًا لا يقتضيه الحذر المفهوم ، وإنه لمرض أشدّ من هذا وذاك إذا وقع فيه المرء وهو يعلم حقوقه الشخصية ويعلم ماهى الحقوق التى تجب للجماعة ولا ينبغى أن تزيد عليها .

والمرض بالمال أظهر فى هذا العصر من المرض بالنفاق ، لأن أسباب طلبه لا يفسرها مقدار الحاجة إليه ، وما من إنسان فى هذا الزمن يتهافت على طلب الثروة العريضة وهو محتاج إليها ، لأن الزيادة على المقدار الكافى للضروريات والكماليات المفهومة تتضاعف أعباؤها وهمومها فى العصر الحاضر وتنتقل بصاحبها من القدرة إلى العجز ومن الراحة إلى التعب ومن السيطرة على التكاليف إلى الخضوع للتكاليف .

هذان مرضان لا شك فيهما فما هو العلاج الذى لا شك فيه ؟ لاشك عندنا فى فائدة العلاج الحاسم لداء النفاق من طريق العلم بالحقوق الشخصية .

ولا شك عندنا فى فائدة العلاج الحاسم لداء الطمع من طريق التقارب بين الطبقات الاجتماعية ، وهو علاج حاصل يمضى إلى غايته فى عصرنا هذا ولا مناص من وصوله إليها . ولا فائدة من الثروة العريضة – حتى من باب الولع بالمظهر والوجاهة – ما دام أغنى الأغنياء قريبًا فى متعته ونفوذه من أفقر الفقراء .

بعد يوم ! *

بعد يوم نحتفل فى مصر بذكرى ميلاد الدنيا ، ونفرحها بشبابها .. لأن بعضهم يقول إن عمرها بعد غد لا يزيد على سبعة آلاف سنة .. فى حين أن العارفين بهذه العجوز المتصابية يقولون إن سبعة آلاف مليون سنة أقل من سنها عندالرضاع .

والبحث فى الأصول متعب على كل حال ، وفرحة الدنيا بشبابها تسرها وتسر أبناءها ، ولا تسوء أحدًا .

فليكن عمرها بعد غد ما يكون . سبعة آلاف سنة ، أو سبعة آلاف مليون سنة ، أو سبعة وبعدها أصفار لا تنتهى ، أو سبعة وقبلها أصفار بلا أول يعرف ولا آخر يوصف ..

ليكن عمرها بعد غد ما يكون ، فهى قد ولدت بالسلامة ، وهى تذكر لنا مولدها بعلامات ، وعلى حسب هذه العلامات نعرف يوم الميلاد بغير تعداد .

من علامات الميلاد شمس تعتدل وأرض تنبت الثمر والبقول ، وطير تمرح وحيوان يسرح ، وإنسان بينها يمشى على قدمين ، وليس يهمه أن يمشى بهما إلى أى مكان .

شمس تعتدل قبل كل شىء .. !

وشمس تعتدل قبل كل شىء معناها فى عرف الأقدمين نهار وليل مستويان .

وهذه أول علامة ، فهل هى صادقة ؟

لا نظن .. أو هى غير صادقة على التحقيق ، وتلك بعض العلامات على كذب الدنيا فى مسألة العمر ، وغيرها من العلامات كثير .

قالوا إن الدنيا خلقت معتدلة ثم أعوجت باختيارها ، فاختلف النهار والليل وهذا أول اختلاف ، ثم جعل النهار ينقص والليل يزداد حتى بلغا غايتهما من النقص

---

* أخبار اليوم فى ١٩٥٤/٤/٢٤ .

والازدياد فى مولد الشمس الجديد آخر العام .

أما بعد غد – يوم شم النسيم – فبينه وبين ذكرى ميلاد الدنيا أربعة وثلاثون يوما ، أى أكثر من أربعة أسابيع .

لماذا ياترى هذا التأخر فى القيام بواجب الاحتفال بتلك الذكرى السعيدة ؟

السبب مرة أخرى هو الاختلاف .

أى اختلاف ؟ أهو فى هذه المرة اختلاف الليل والنهار ؟ .. كلا وألف مرة كلاّ . بل هو اختلاف أبناء آدم وحواء ، واختلاف أتباع موسى وأتباع عيسى من جهة ، ثم اختلاف اتباع عيسى من بعض الجهات .

إن اتباع موسى وأتباع عيسى لاينبغى أن يحتفلوا بعيد الفصح فى يوم واحد ، فلابدّ من تقديم أو تأخير .

وبعد تعطيل العيد عشرات السنين فى القرون الأولى بقى من بقى على الموعد القديم واتفق من اتفق على موعد جديد وهو يوم الاثنين الأول ، بعد يوم الأحد الأول ، بعد القمر الأول ، بعد يوم الاعتدال !

ولا يظن المتعجلون أن الحكاية بهذه السهولة التى يتصورونها ، وأن ذوى العقول وذوى الأيدى قصروا فى بذل الجهد الجهيد للتوفيق والتوحيد .

إن عصبة الأمم على جلالة قدرها عالجت هذه المشكلة قبل ثلاثين سنة – أو بالضبط فى سنة ١٩٢٥ – وحاولت أن تثبت عيد الفصح فى يوم واحد يحتفل به العالم كله ، فعجزت عن هذا التوحيد كما عجزت عن كل توحيد ، وانتقلت إلى رحمة الله قبل أن تثبت ميلاد الدنيا من جديد .

وظن البرلمان الإنجليزى بجلالة قدره أنه مستطيع ما لم تستطعه عصبة الأمم بجلالة قدرها ، فظل ثلاث سنوات يبحث هذه المشكلة إلى سنة ١٩٢٨ .. ثم قرر الاحتفال بالعيد-يوم الأحد الأول ، بعد يوم السبت الأول ، من شهر إبريل .

وإلى الآن لم يعمل أحد بذلك القرار .

يوم كانت الدنيا دنيانا

على أن أبناء مصر – يوم كانت الدنيا دنياهم يحتفلون بميلادها على هواهم – كان لهم يوم لا يتغير لعيد الربيع وعيد الاعتدال ، وكان أبناء الدنيا جميعًا يحتفلون معهم بذلك العيد فى موعد فلكى واحد ، وكان من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب يسمى على اسم الزهرة ربة الجمال والحسن والاعتدال ، وما اسمه اليوم عند أبناء أوربا الوسطى وأبناء أوربا الغربية ؟

اسمه « ايستر » من الاسم الجرمانى القديم Eostre من اسم الزهرة « اشتار » أو عشتار ، وهو اسم النجم عندهم فى أكثر اللغات ، فهل هو إلا عارية من الشرق الذى يعيرونه ويعيّرونه الآن !

والحق على الدنيا بعد كل هذا ..

لقد جربتنا الدنيا قديمًا فوحدناها ووحدنا عيد ميلادها ، وفرحناها بشبابها ..

فلتجرب اليوم من تختارهم ، وتقبل عليهم ، وتبيض لهم على الوتد كما يقال ..

فإنهم فرّقوها ومزقوها وحسبوا عمرها بملايين السنين ، بل بملايين الملايين . . تستاهل

فإن كان قد ساروها الندم بعض الشيء فطريق الشرق معروف ، والعود أحمد ، ولو بعد ألوف وألوف !

شم النسيم فى الشتاء

والخطب مع هذا هين إذا وقف عند هذا الاختلاف بين قمر وقمر ، وبين أسبوع وأسبوع ، وغاية فرقه أو فروقه لا تزيد على أسابيع . .

أما الخوف الأكبر فهو أن نترك شم النسيم يزحف ويزحف حتى نحتفل به فى الشتاء .

ولا حمص أخضر يومئذ ، ولا حنطة فى الحقل ، ولا حملان من مواليد الحول فى الربيع ..

إن الهرم الأكبر بجوانبه الأربعة نحو الجهات الأربع يدل على أن المصريين أيضًا قد عرفوا هذا الخطر قديمًا فحسبوا الوقت وحسبوا مواعيد الفصول وحسبوا اتجاه الفلك إلى الشرق والغرب والشمال والجنوب ، وخرجوا من ذلك بتصحيح دقيق يعودون إليه ثم يعودون إليه على توالى القرون .

بعد ألوف السنين

أما نحن أبناء العصر الحديث فإن دام بنا الإهمال على هذا المنوال فسوف يحتفل – من سوف يحتفلون بشم النسيم – فى إبان الشتاء ..

واحسبها على أصابعك أيها القارئ اللبيب . .

السنة الشمسية ثلاثمائة وخمسة وستون يومًا وخمس ساعات وثمان وأربعين دقيقة وست وأربعين ثانية لا تنقص ولا تزيد . .

والسنة على حساب التقويم ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وست ساعات . .

فالفرق بينهما إحدى عشرة دقيقة وأربع عشرة ثانية . .

اجمعها واحسبها واضربها تجد أنها تفرق يوماً كل مائة وثمان وعشرين سنة . .

فإذا دام الحال على هذا المنوال ألف سنة بعد ألف سنة فلا « ملانة » ولا بصل ولا قمح للطعام فى حقول الشتاء . .

ولا شم نسيم على الطراز القديم . .

إن بقى نسيم

والعزاء الوحيد يومئذ – إن صح أنه عزاء – أن شم النسيم سوف يأتى بغير نسيم ، وبغير أنوف تشم النسيم . .

ما وظيفة القذيفة الذرية أن لم تعمل هذه العملة وتنقل هذا اليوم السعيد إلى يوم سعيد آخر . .

ما هى وظيفة القذيفة الذرية إن لم تخرجها وتجعل عاليها سافلها وتحول ذكرى ميلاد الدنيا إلى ذكرى وفاتها يرحمها الله أو يلعنها الله . .

وإذا لعنها الله فيوم وفاتها عيد سعيد ، لعله أسعد من يوم ميلادها القديم أو الجديد . .

فى كل يوم نسمع عن الذرة التى تحطم إذا انفلقت ، أو نسمع عن الذرة التى تحطم إذا التحمت ، وقد نسمع غداً عن الذرة التى تحطم وهى مفلوقة وتحطم وهى ملحومة ، وكم عنصرا عندنا فى الطبيعة الدنيوية ؟ . . لقد كادت تبلغ المائة مطبوعة ومصنوعة ، وكل منها يشتمل على ذرات ، وليست ذرة بأحسن من ذرة . . وليس أحد بأحسن من أحد !

فإذا انطلقت الذرات مفتخرة بعناصرها معتزةً بجواهرها ، وتسابقت فى التحطيم والتهشيم من هيروشيم إلى ألف هيروشيم ، فنعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وقل من الآن يا رحمن يا رحيم ، على هذا العالم « المرحوم » من جديد وقديم . .

وبعد قرون وقرون . . يحتفلون بشم النسيم ، ولكنه احتفال أرواح بذكرى الوفاة ، وليس احتفالا بالميلاد على هذا التقويم أو ذلك التقويم ، وفوق كل ذى علم عليم !

والأطباق الطائرة

وكأنما هذه العناصر الأرضية لا تكفى باللازم كله حتى تعان عليه بجنود من السماء على طبق ، أو على أطباق !

وتقول لنا أخبارنا الصحفية إن « فريقًا من علماء نيوزيلندة وزملائهم فى القارات ينتظرون اليوم الخامس والعشرين من شهر يونيو المقبل بصبر ناقد .. ويتوقعون وصول فريق من سكان المريخ فى الأطباق الطائرة زوارًا لكوكبنا المتواضع وأنهم ليشعرون بخيبة أمل كبيرة إذا لم تصل هذه الأطباق حاملة سكان المريخ ..

يقول رئيس الجماعة : إن الأطباق الطائرة تأتى عادة من المريخ ، وأن المريخ فى الخامس والعشرين من يونيو المقبل سيكون فى اتجاه الأرض مباشرةً وعلى خط مستقيم معها ومع الشمس ولا تزيد المسافة بينه وبين الأرض على أربعين مليونًا من الأميال ونحو نصف مليون .. أما إذا لم تصل هذه الأطباق فى الموعد المنظور فموعدها إذن سبتمبر ١٩٥٦ .. إذ لا تزيد المسافة بينهما يومئذ على خمسة وثلاثين مليونًا ونحو نصف المليون ..

مشيناها خُطًا كُتبت علينا ومن كُتبت عليه خُطًا مشاها

ولكن « المضروب واع »

فى يوم كيوم شم النسيم المقبل : خرجنا إلى الريف وقضينا الصباح فى الحقول ، وأمر مضيفنا بإعداد الطعام فى الحقل ، فأشرفت على الطبخ والتحضير فتاة فلاحة يصحبها والدها الصغير لا يزيد عمره على ثلاث سنوات ..

ونوديت الفتاة من جانب الغيط المجاور فأسرعت إلى تلبية النداء وتركت ولدها الصغير إلى جانب النار ، فجعلنا نصيح بها « خديه معك » فإن بقاءه إلى جانب النار غير مأمون .

ولم تكترث الفتاة أقل أكتراث ، بل جعلت تقول وهى منصرفة إلى موضع النداء : لا تخافوا عليه : « المضروب واعى » ..

وانطبع هذا المنظر فى ذاكرتى ، لأننى لم أزل أنظر إلى ناحية الطفل حتى عادت إليه أمه ، وثبت حقًّا أن « المضروب واع » بغير كلام . لأنه على تحويمه حول قدر الطعام لم يقترب من النار أكثر من بضع أقدام ..

وأخشى أن أقول .. أو على الأصح أرجو أن أقول إن نوعنا البشرى – حفظه الله – مضروب واعٍ كذلك المضروب بين إغراء الطعام والخوف من النار ..

لقد عرف هذا المضروب سر النار من أيام سكنى الكهوف ، وسر النار مع حفظ النسبة لا يقل عن سر الذرة فى أخطاره ومنافعه وأضراره ، وها هو ذا يحمى نفسه من

خطر النار عشرات الألوف من السنين ، ولو شاء لاحترقت بها الديار وهلك بها الديارون ..

وأغلب الظن أن « المضروب » سينجو من هذه النار الحديثة وينتفع بها فى أمور لا تخطر الآن على بال ..

أكبر الظن أنه سينتفع بها فى كبح البهيمية التى تلبس لباس الوحشية فى هذا العصر المخيف ، وأنه سيعلم بها أصحاب العدد الكثير قيمتهم إذا تطاولوا بها على أصحاب الرأى والنفع والتدبير ..

أما أطباق المريخ فسوف يطول انتظارها بعديونيو هذه السنة وبعد سبتمبر سنة ١٩٥٦ ..

فقد جربنا تسكع هذه الوفود العلوية بين أجواز الفضاء قبل الآن ، ويخيل إلينا أنها تنوى وتعدل منذ أجيال ، أو يخيل إلينا أنها تستقبل الأرض ثم تقترب منها ، ثم تلمح ما فيها عن كثب فتعود أدراجها وتيمم ناحية أخرى من المنظومة الشمسية أو ما يحسن فى عينيها من المناظيم ..

منذ خمسة وعشرين قرنًا تحدث النبى حزقيل عن هذه الأطباق حيث قال فى الإصحاح الأول من سفره : « وإذا بكرة واحدة على الأرض بجانب الحيوانات بأوجهها الأربعة .. منظر البكرات وصنعتها كمنظر الزمرد ،وللأربع شكل واحد وصنعتها كأنها كانت بكرة وسط بكرة » ..

وعاد إلى ذكر هذه البكرات فى الإصحاح العاشر فقال : « بكرة واحدة بجانب الكروب الواحد وبكرة أخرى بجانب الكروب الأخر . ومنظر البكرات كشبه حجر الزمرد ، ومنظرهن شكل واحد للأربع ، كأنه كان بكرة وسط بكرة » .

وقد صح ما قاله حزقيل عن الخسوفات والكسوفات بحساب الفلك ، وصحيح ما قاله عن البكرات وعن شكلها وعن لونها ، لأنها ظاهرة تكررت فى أزمنة كثيرة ومنها زماننا هذا على أصدق ما قيل من أوصافها ، بعيدًا عن التهويل والتشويق والتشويش ..

وقد كان من أنبياء العهد القديم أنفسهم من يحذر قومه من تفسير هذه الظواهر على

غير وجهها كما قال أرميا فى إصحاحه العاشر : « لا تتعلموا طريق الأمم ومن آيات السماء لا ترتعبوا . لأن الأمم ترتعب منها .. »

وليس أكثر من هذه الظواهر التى رواها بلينى الطبيعى ورواها الطبيعيون والمؤرخون بعده إلى القرون الوسطى وما بعد القرون الوسطى ، ومنها ما يشبه هذه الأطباق أو تلك البكرات ، ومنها ظهور الأسهم والحراب والسيوف كأنها سراب السماء ، ومنها ظهور شمسين أو ثلاث شموس فى وقت واحد ، وقد رآها بلينى وتحدث عمن رأوها واعترف بعجزه عن تفسيرها على وجه مقبول .

وقد أحصى المؤرخون منذ القرن السابع عشر ألواناً من هذه الظواهر فى أنحاء القارة الأوربية ، ولا تزال الكرة الأرضية بمأمن من طوارق تلك النذر إلى هذه السنة بعد منتصف القرن العشرين ..

أما فى العصر الحديث فقد أحصى العالم الفلكى (دونالد منزيل) أستاذ الظواهر الجوية بجامعة هارفاد أمثلة متفرقة من هذه الظواهر التى تشبه الكرات أحياناً وتشبه الأطباق أحياناً أخرى ، ونقل منها صوراً ونماذج مما شوهد فى بحار اليابان وكوريا ومما شاهده ركاب الطيارات وركاب السفن ، وقد سجلوا مشاهداتهم فى المجلات والكتب قبل القرن الحاضر ، ولا يزالون يسجلونها لتحقيقها وتفسير أسبابها ، كما يسجلونها لتزويد الناس بالمخاوف المشتهاة ، وهى على ما يظهر مشتهاة متمناة ، يجدون منها الكثير حقًّا وفعلًا فلا يقنعون بها ولا يغنيهم ذلك عن اختراعها والإضافة إليها من صنع الوهم وتلفيق الخيال .

ولتكن تلك الأطباق الطائرة ما تكون ..

لتكن إذن رسلا متسكعة فى أجواز الفضاء ، تغتنم فرصة الانطلاق من المريخ أو الزهرة لتطوف الكون كله قبل أن تبلغ محطة الوصول على الكرة الأرضية ..

ولتكن فرجة سماوية من قبيل النيازك والصواريخ ، يتشاغل بها سكان الفلك الأعلى جادّين أو لاعبين ..

ولتكن على أسوأ الظنون نذرًا تتوعّد سكان الأرض بغارة من الأعداء أو بنقمة من القضاء . .

إنها كيفما كانت ليست بالخطر المستعجل ولا من البدع المخيف ولا من طوارئ الزمن الجديدة عليه ..

وإن الخطر الذى تبدو طوالعه فى القرن السادس قبل الميلاد ثم يأتى القرن العشرون وهو باق حيث كان وكما كان – لمستطيع أن يبقى بعد اليوم عدة قرون ، ولواجد فى القرن الأربعين من يقول : هكذا كانوا يخافون قبل خمسة آلاف سنة ، وهكذا كانوا يخافون فى عصر القذيفة الذرية ، وهكذا نخاف اليوم ، أو لا نخاف !

والمضروب واع . .

والمضروب « ردّ شقاء » ..

والمضروب يجب أن يفزع كما يفزع الأطفال ، وهم يعرفون من يفزعهم ويستعيدونه اللعبة وأعينهم مفتوحة فى الظلام ، وفى النور ..

يوم من أيام الحياة

ولنترك مرصد المستقبل يطلع لنا شم النسيم فى الصيف أو فى الشتاء . ولنرجع إلى ماضيه لنذكر بحق أنه يوم من أيام الحياة :

منذ أكثر من ثلاثين سنة دعانا صاحب مكتبة من أبناء الحى الحسينى إلى شم النسيم فى علوة الدراسة ، وقال إنها مصطاف الصالحين ، وإنها إذا راق الجو فيها لم يكن له نظير ، وإذا تغير وتكدر فهو كذلك فى كل مكان ..

وكان ظريفًا حقًّا صاحبنا صاحب المكتبة ..

كنت مع الأستاذين المازنى والسندوبى ، وكنا نمر ببرج « الظفر » فنقول : هكذا تنقلب التواريخ فى مصر ، فما أبعد الشقة بين برج الظفر كما كان بالأمس وبين « البرج الزفر » كما يسمونه اليوم ..

فقال صاحب المكتبة : خلوه « زفر » هذا النهار ، فمائدتكم بعد ساعة كلها زفر :

فسيخ وطعمية وحباش وبصل وكل ما تشتهون من هذا القبيل .. !

ولولا أننا أتينا على تلك المائدة فعلا لما صدقنا أننا فعلناها وأقدمنا على تلك المجازفة ..

وكذلك أثبتنا لأنفسنا أننا كنا فى يوم من أيام الحياة ..

إن لنا أصدقاء مشغولين على الدوام بتنظيم الوجبات على حسب المواد وخصائص الغذاء .. مقدار كذا من مولدات الحرارة ومقدار كذا من مولدات اللحم والشحم والعظام ، ومقدار كذا من فيتامينات الأبجدية جمعاء : ياء ودال وسين ، وغيرها من ودائع الأنابيب والعلب والمعاجين ..

وحسن ولاريب تنظيم الطعام على حسب مطالب الأجسام ، ولكن الذى أخالفهم فيه أن البنية الحية ينبغى أن تبقى بنية حية مع كل نظام وعلى كل طعام ، وأول خصائص البنية الحية أنها تعوض النقص وتقاوم الضرر وتحتال على توجيه الزيادة إلى النفع والسلامة ، فإذا كنا نعطيها كل شىء فى كل يوم بمقدار لا يزيد ولا ينقص فقد خرجت من عداد الأحياء ودخلت فى عداد الآلات ، وأصبحت بعد زمن قد تعودت أن تتلقى لوازمها وفقدت مزية التعويض والتمثيل وتدارك النقص وتصريف الزيادة ..

فلا بد للحياة من مزايا الحياة ..

لابد نعم من التنظيم والتقسيم ولكن على هذا الشرط بعدكل نظام ومع كل طعام ، وهو شرط الاعتماد على البنية الحية من آن إلى آن ..

لقد كان شم النسيم على تلك المائدة يومًا من أيام الحياة ولا جرم ، فقد كانت الحياة وحدها تعمل بغير قيد ولا رقابة ، وتغلبت وحدها على نصائح الطب وتصنيف الوجبة و « الريجيم » .. وحبذا الفضل فى ذلك لشم النسيم ..

صور الأنبياء واللوحة البيضاء*

اطلعنا فى المجلات الأمريكية على مقال للأسقف «سدنى لنيار» أحد رؤساء الدين – بمدينة نيويورك كتبه لصحيفة نيويورك هرالد تربيون عن المناظر الدينية وصور الأنبياء والقديسين التى تعرض على اللوحة البيضاء ، ويظن الكثير من قرائنا أن الاعتراض عليها «عصبية إسلامية» ينفرد بها رجال الدين الإسلامى أو أنصار العرف التقليدى من عامة المسلمين ..

وليس مقال الأسقف لينار بأوّل مقال من قبيله فى هذا الموضوع ، ولكننا أحببنا أن نشير إليه الآن لآننا نتلقى أخيرًا بعض الأسئلة عن عرض صورة الذات النبوية وصور الخلفاء الراشدين بين الصور المتحركة التى تحتويها الروايات وفصول التاريخ ، ونريد أن نقول بهذه المناسبة إن رجال الدين المسيحى ، فى البلاد التى اشتهرت بأنها بلاد البدع والتفانين الحديثة ينكرون الإغراق فى تسليط الفن على موضوعات القداسة والعبادة ، رعاية على الأقل لحكم الذوق فى الفصل بين معارض الفنون ومعارض العبادات ، وقد يمنع «الذوق» أن يغض التمثيل من مهابة القداسة كما يمنع الذوق أن يجور الجامدون باسم القداسة على مسرح التمثيل ..

ومن المسلّمات – فيما نعتقد – أن نحتفظ للذوات الدينية بحقها من القداسة والمهابة ونمنع كل مايغض من قداستها ومهابتها فى نفوس المؤمنين بها ، فإذا لم تكن هناك غضاضة تناقض شعور التقديس والإجلال فلا حرج ولا امتناع ، ولاتكفى هنا سلامة النيات . لأن الصور المتحركة تتخطى النيات الخفية إلى عالم المنظور المسموع ، وتختلط بالأقوال والمواقف التى تبدر من الممثل على غير قصد منه ، لأنه يملك ما هو قادر عليه من البراعة الفنية ولا يملك مايفوق حدود هذه البراعة من محاكاة العظمة بما يناسب

* الأخبار فى ١٦/ ٨/ ١٩٦١ .

كل مقام ، وكثيرا ما تكون هذه المقامات فوق إدراك الفنان ولا يكون قصاراها أنها فوق قدرته الفنية . .

والذى نعرفه بالتجربة مما شاهدناه على المسرح أو على اللوحة البيضاء أن أدوار القداسة وأدوار العظمة التى تقاربها ، لم تظفر بمن يقدر عليها من ممثليها المخلصين الراغبين فى تنزيه صورها من عوارض النقص والابتذال . .

وقد خذلتهم ملكاتهم فى تمثيل رجل عظيم كصلاح الدين لا يرتفع عند المسلمين ولا عند غير المسلمين إلى مقام الأنبياء ولا إلى مقام الخلفاء الراشدين . .

وهكذا تنتقل بنا هذه القضية من سؤال السائل : هل يجوز التمثيل ؟ إلى سؤال لازم قبل ذلك وهو : هل يستطاع ؟

إن الخلاف – فيما نرى – قليل بعد الاتفاق على استطاعة تصوير القداسة فى صور لا تغض منها ولا تجوز على مهابتها ، ولا محل للسؤال عما يجوز إذا كنا لم تفرغ بعد من السؤال عما يستطاع . .

كلمة القرش*

تناقشنا فى أصل كلمة « القرش » فقال بعضهم إنها من مادة « قرش » وهى جمع الشىء من هنا وهناك بعضه إلى بعض ، أو من التقريش والقرش وهى السعى لطلب الرزق والكسب للعيال كما جاء فى المعجمات .

فإذا صح هذا فلماذا انفردت هذه العملة بهذه التسمية من اللغة العربية ؟ وماهو معنى قطع العملة الأخرى بهذه اللغة أو اللغات التى استعيرت منها ؟

أحمد زايد عبد الله

الإسكندرية

كلمة قرش لم تعرف بمعنى هذه العملة المتداولة قبل أيام الدول العثمانية ، وقبل الاتصال بين البلاد العربية وغيرها من الأقطار التى كانت تعاملها فى شئون التجارة الهندية والشرقية ، سواء على شواطئ البحر المتوسط أو على شواطئ القارة الأوربية الغربية .

وقد عرفنا فى بلادنا إلى زمن قريب أصنافاً من العملة كانت مقبولةً فى بلاد الدولة العثمانية بين القارات الثلاث ، ومنها البندقى والمجر والبنتو والريال القشلة (من الكاسل أو القلعة) والريال الشينكو (فى عدد خمسة) والميدى فى اللغة التونسية بمعنى النصف ، أى نصف القطعة الفضية الصغيرة .

أما قطع النقود التى لا يزال أكثرها باقياً بأسمائه – وإن تغيرت قيمته مع تغير المعاملات الدولية والوطنية – فأسماؤها كلها أجنبية معروفة بمعانيها فى لغاتها إلى اليوم .

فالجنيه – مثلا – مأخوذ من اسم بلاد غينيا ، لأنه صنع لأول مرة فى القرن السابع عشر من ذهب كان يستخرج من مناجم تلك البلاد ، وكانت قيمته عشرين شلنًا ثم

---

* الأخبار فى ١٦/ ٨/ ١٩٦١ .

زيدت هذه القيمة إلى واحد وعشرين شلنًا على مايظهر لمضاهاة القطعة الذهبية فى أسواق غير أسواق الجزر البريطانية .

والريال مأخوذ من اللغة الأسبانية نقلًا عن اللاتينية ، ومعناه بتلك اللغة الملكى أو السلطانى Regal ثم تحولت الجيم إلى ياء كما تتحول فى أكثر الكلمات الأسبانية المنقولة عن لغة اللاتين .

والقرش مأخوذ من كلمة جرمانية بمعنى الكبير ، ويطلقونها أحيانًا على « الدستة » لاشتماله على اثنتى عشرة قطعة صغيرة ، وأصله بتلك اللغة « جروشن » Groschen نقلت إلى البولونية فنطقوها « جروشى » وتسربت بهذا اللفظ إلى ألسنة الترك وعملاء البندقية وجنوه وغيرها من أقاليم إيطاليا التى كانت تتجر مع النمسا وألمانيا ومعنا منذ القرن السابع عشر ، ومن لفظ جروش تحول إلى جرش ثم تحول فى الكتابة إلى قرش كما تكتب الآن ، فلا علاقة له بمادة القرش والتقريش فى معجماتنا ، ولم يعرف من قبل بمعنى العملة مستعارًا من هذه المادة على لسان أمة عربية .

والمليم كلمة فرنسية بمعنى جزء من ألف Millieme أطلقت على العملة المعروفة بعد أن قدر الجنيه بمائة قرش وقدر القرش بعشرة مليمات ، وكان هذا المليم يساوى أربع « بارات » وهى جمع بارة التركية بمعنى نقد أو فلوس ، ولعلها من Pris الفرنسية ، وهى مادة تشتق منها كلمات القيمة والثمن والمكافأة والقبض والتناول وغيرها مما يترادف مع معانى النقود ، وترجع إليها كلمة البريزة العربية ، وهى فى الوجه البحرى تساوى عشرة قروش وفى الصعيد تساوى نصف مليم وتقارب كلمة « بارا » التركية باللفظ والمقدار .

وبعض العملة عندنا ينسب إلى المعدن الذى يصك منه ، كالنيكلة ، والبرنزة والفضة ، وكانت تساوى ربع مليم !

وقد أشار السيد زايد فى خطابه – بعد الأسطر التى نقلناها – إلى مسألة فقر اللغة وغناها فى اختيار أسماء العملة التى نتداولها ، فنقول للسيد إن اللغة العربية لم تكن لتعجز فى القديم والحديث عن تدبير كلمات بمعنى الكلمات الأجنبية سواء بالنسبة أو الوصف أو

الاستعارة لإطلاقها على النقود ، وكان المتكلمون باللغة العربية يستطيعون أن يسموا الجنيه باسم « الغانى » والريال باسم السلطانى أو الأميرى ، والقرش باسم الكبير والمليم باسم الالنى كما فعل المتكلمون باللغات الأجنبية ، بل كان فى استطاعتهم أن يتوسعوا فى معانى الفلوس والمثاقيل والسكة والوزن لتقسيم القطع وحسبان عددها فى كل عملة مصطلح على قيمتها .

فليست المسألة الآن ولا من قبل مسألة فقر أو غنى فى ألفاظ اللغة ومعانيها ، ولكنها مسألة السبق إلى سك العملة وتداولها بين الأسواق العالمية ، وقديمًا كانت الأمم تتعامل بالدينار والدرهم وأولها لاتينى من كلمة عشرة وثانيهما يونانى من كلمة درخم بمعنى قبض أو تناول ، ولم يكن الاصطلاح على كلمة تنسب إلى العشرة بالأمر العسير على لغة الضاد ، ولا كانت مادة القبض والتناول مغلقة على العربى المستعير منها كما استعار منها اليونانى وجاراه الرومانى والفارسى والجرمانى وغيرهم من أبناء القرون الخالية ، ولوأخذنا بالمقاصّة بيننا وبين أبناء اللغات العالمية لاستردنا من معجماتهم أضعاف مايستردونه من معجماتنا فى باب المعاملات وحدها ، فلا يحق لهم أن يدينونا بالجنيهات والريالات إلا إذا دايناهم بالبنك والحوالة والرزق ، بل بأرقام العدد نفسها وبالصفر فى حساب مابعد العشرات والمئات ، وسينتهى الأمر بيننا وبينهم إلى حساب « امسح ونمسح » بغير حاجة إلى السؤال والمطال ، وليس بالغارم من يدين كما يدان فى هذا المجال .

شجرة خالدة !!!*

فى سنة ١٧٤٠ كتب القس « دانهاور » من ستراسبورج يعجب من شجرة عيد الميلاد قائلاً : « إنه بين الصغائر التى يشغل بها الناس أوقاتهم فى عيد الميلاد بدلا من اشتغالهم بكلمات الله أنهم يقيمون فى بيوتهم شجرة من فروع التنوب يزينونها بالعرائس والحلوى السكرية ويهزونها لتساقط ثمراتها . ولا أدرى من أين جاءت هذه العادة فهى عادة صبيانية كان خيرًا منها أن يتعود الأطفال أن يتعلقوا بدوحة الروح السيد المسيح » .

والقس الفاضل صادق فى قوله إن هذه العادة لم تكن من تقاليد المسيحية الأولى ، ولكنها من العادات التى احتفظ بها أبناء الشرق والوسط فى القارة الأوربية ونقلوها إلى حفلات عيد الميلاد لأنها تجرى مع حفلات رأس السنة فى موسم واحد .

أما أصلها القديم فهو سابق لميلاد السيد المسيح بأكثر من ألفى سنة ، وأول ما عرف من تاريخها أن البابليين الأقدمين كانوا يسمونها شجرة الحياة ويقولون إنها تحمل أوراق العمر فى رأس كل سنة ، فمن اخضرت ورقته كتبت له الحياة طول السنة ومن ذبلت ورقته وآذنت بالسقوط فهو ميت فى يوم من أيامها .

وسرت هذه العادة من الشرق إلى البلاد الأوربية الشرقية ، فالبلاد الوسطى ، وجعلوا يحتفلون بالشجرة ويختارون لها الورق من الأشجار التى تحتفظ بخضرتها طول العام أو أكثره ، ومنها البقس والتنوب واللبلاب وشرابه الراعى والزرنب واللارقس وما إليها ، وعندهم أن اللون الأخضر تخافه شياطين الجدب والموت لأنها تألف ألوان الجدب والقحط والذبول .

وهكذا يتفاءلون بالشجرة الخضراء ويمثلون بها شجرة الحياة .

---

* أخبار اليوم فى ٢٤/ ٤/ ١٩٥٤ .

وعيد الميلاد

وقد حدث الاحتفال بعيد الميلاد نفسه بعد عدة قرون من مولد السيد المسيح ، وكان الحكيم المصرى المسيحى الكبير « أوريجين » ينادى إلى سنة ٢٤٥ بالتحذير من البحث فيه وينعى على الباحثين أنهم « يحسبونه ميلاد ملك أرضى كفرعون من فراعنة وادى النيل » .

وكان كلمنت الإسكندرى قبل أوريجين يكتب متهكمًا فيقول : « هناك من يحملهم الفضول فلا يقنعون بتوقيت السنة التى ولد فيها مخلصنا بل يحاولون توقيت اليوم ويزعمون أنه ولد فى الثامن والعشرين من شهر أغسطس ، أو فى الخامس والعشرين من شهر بشنس ، نحو العشرين من شهر مايو ، ويقول القس الكبير فى موضع آخر أن أناسًا من هؤلاء يزعمون إنه ولد فى الرابع والعشرين أو الخامس والعشرين من شهر برمودة .. أى حوالى التاسع عشر والعشرين من شهر إبريل » .

وقد كان الحكيمان الكبيران بعيدى النظر فى الواقع ، لأن القس الروسى ديونسيوس الملقب بالصغير لم يحفل بهذه التحذيرات فوقع فى الخطأ الذى لا شك فيه وقرر أن السيد المسيح ولد سنة ٧٥٣ حسب التقويم الرومانى المحسوب من تاريخ بناء مدينة رومة ، ولا شك فى مناقضة هذا التاريخ لما جاء فى نص إنجيل لوقا ، الذى يذكر لنا أن السيد المسيح ولد فى عهد الملك هيرود وقد مات الملك هيرود خلال شهر مارس سنة ٧٥٠ حسب التقويم الرومانى ، فلا أقل من خطأ ثلاث سنوات فى حساب ديونسيوس الصغير .

وإلى سنة ١٦٥١ كان البرلمان الإنجليزى على عهد المتطهرين يحرم الاحتفال بعيد الميلاد يوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر ويعقد جلساته عمدًا فى ذلك اليوم ، لأن المتريبين الذين كانوا يؤلهون النور تعودوا أن يحتفلوا به فى انجلترا ابتهاجًا بغلبة النور

على الظلام ، إذ كان موعد الانتقال الشتوى ومبدأ زيادة النهار ونقصان الليل .

ولقد كان الآباء المسيحيون الأولون يتوخون الحكمة فلا يحرمون حفلات الوثنيين الطبيعية فى مواسمها بل يحولونها إلى أعياد بريئة تبطل فيها المحرمات جهد الطاقة ، وقد كتب القديس جريجورى إلى القديس أغسطين ينصح له باجتناب الحظر والتحريم كلما أمكن تحويل المحافل والقرابين من عبادة الشيطان إلى عبادة الله .

أما اختلاف الكنائس فى توقيت عيد الميلاد فمرجعه إلى اجتهاد كل منها فى تفسير النصوص التى تعتمدها وتؤثرها على غيرها ، وليس فيها نصوص من أقوال المؤرخين ولكنها كلها من مراجع المجتهدين فى المقارنة والتفسر .

لقد ولد السيد المسيح على كل حال

ولقد كان مولده مولد الهداية والسلام .

وما أحوج العالم إلى الهداية والسلام وفى هذه الأيام .

فليهنأ العالم بالمولد المبارك حيث كان ، ولينتهج فيه منهج صاحبه إن كان فيه بقية من خير وصلاح ، وبقية من إيمان بغير المال والسلاح !

من رجعات الماضى

نشأنا ونحن نسمع بدعة العصر المعادة على حساب الأقدمين .

فكل قديم منتقد أو محتاج إلى الأعتذار والتصحيح .

وأول ما انتقدناه حيث نشأنا بأسوان أن المبانى فيها محصورة فى المرتفعات والهضاب ، وأن سهولها المنبسطة متروكة بغير بناء .

ونذكر من التقاليد الحسنة التى كانت ترعاها مدرسة أسوان أنها كانت تجمع الفصول المتقدمة بعد انتهاء الدراسة يوم الخميس للمناقشة فى المسائل العامة وإلقاء الملاحظات والإجابة عنها فى حينها أو تأجيلها إلى اجتماع آخر .

وكان من هذه الملاحظات العامة ذات يوم ملاحظتان حول بناء المدينة ، أو سؤالان ينتظران الجواب .

وفحوى السؤال الأول : لماذا ترك الأسوانيون البناء بالحجارة على كثرتها وفضلوا عليها البناء باللبن أو الطوب الأخضر كما يسمون الطوب من غير القرميد الأحمر ؟

وفحوى السؤال الثانى : لماذا ترك الاسوانيون السهول والبطاح وجشموا أنفسهم نقل أدوات البناء إلى المرتفعات والهضاب ؟

أما السؤال الأول فقد كان جوابه يسيرًا أو كان الإشكال فيه أقل من الجواب ، فلم يعسر على بعض الطلاب أن يفسر تفضيل الطوب الأخضر بقلة الحاجة إلى الصخور فى بناء البيوت ، إذ كانت السماء صحوًا والمطر نادرًا وتكاليف الطوب الأخضر أهون من تكاليف كسر الصخور المحببة وتسويتها وصقلها ورفعها عدة أذرع على ارتفاع الجدران .

وأما السؤال الثانى فقد تضاربت فيه الأقوال ، وأذكر أن الرأى الذى اختاره الأساتذه والطلاب فى النهاية يتلخص فى مسألة التحصين والامتناع بالهضاب من غارات النوبة والبجاة التى كانت تعاود البلد من دروبه الجنوبية والشرقية وكادت تعاوده فى أيام الدراويش .

وكان التفسير على هذا الوجه مرضيًا مقبولا بضع سنوات ، إذ لم يكن هناك تفسير أولى منه بالرضا والقبول .

ثم هجم السيل سنة من السنين بعد انقطاع عدة سنوات ، وعاود الهجوم كرة أو كرتين فى السنوات التالية ، ومنها سنة حضرته فيها بأسوان وهى سنة الانتخاب الأول للبرلمان (١٩٢٣) .

شهدت من دفعة هذا السيل ما لم يكن يخطر لى ببال ، ورأيت قضبان السكك الحديدية مقتلعة ملتوية مقذوفة على مسافة من الطريق ، وتتبعت مجامع السيل فى الصحراء الشرقية فرأيت الصخور التى اندفعت أمامه وهو منحدر متدفق فكان منها ما يوزن بالقناطير أو بالأطنان .

وأبناء أسوان مشهورون بالقدرة المرتجلة على التشبيه المحكم ، فلما ذهبت إلى البطاح التى أقيمت عليها العمائر الجديدة لم أجد لها أثرًا فى طريق السيل ، ولقيت المدير — الأستاذ عثمان فهمى — واقفا هناك يسأل : كيف زالت هذه العمائر العالية ؟

قال أحدالواقفين وهو لا يقصد الهزل فى ذلك الموقف المزعج ، « ذابت كقمع السكر » !

وهبطت من هنالك إلى ساحل الغلال الذى يمون أسوان والإقليم الجنوبى كله ، فألفيت على مدى البصر فراغًا محزنا فى موضع تلك الآكام من القمح والذرة والشعير والفول والحلبة وغيرها من الغلال ، وسمعت أصحابها المنكوبين أول من يتندر بها تندر الفجيعة ، ويقول لسائليه : إنها ستوزع النابت والحلبة المزروعة من أسوان إلى أسيوط !

لقد كان السيل الجارف جوابًا طال تأجيله لانتقاد الأقدمين الذين اختاروا المرتفعات والهضاب يقيمون عليها المساكن ويفضلونها على السهول والبطاح.

ولقد أفادنا ذلك الجواب المفحم ترددًا كثيرًا قبل توجيه النقد الجزاف إلى الأجيال الصامتة فى ماضيها العتيق ، فقد يكون من الحماقة الكبرى أن نستسهل وصفها بالحماقة بغير بينه ، وخير لنا أن ننصفها قبل أن ينصفها المستقبل بصدمة من صدماته على مثال ذلك السيل الجارف ، وربما تعرض العالم لكثير من هذه الأجوبة المسكتة لأنه تعجل بالجواب الثرثار على حساب الأقدمين.

والذى أعلمه أن الحيطة متخذة على منحدرات السيل بمدينة أسوان وإن لم تكن على ما أحسب كل الحيطة اللازمة .

ولكن الحوادث . فيما أعلم عن إقليم قنا [1] ، لم تدع قط إلى اتخاذ مثل هذه الحيطة بمدينة قنا على الخصوص ، لأن السيول التى كانت تنحدر على مقربة منها لم تبلغ مبلغ الخطر ، ولم تأت أخطار السيل فى هذه السنة إلا مفاجأة بغير حساب .

إن الفجيعة مؤلمة ، وواجب الأمة كلها حيال هذه الفجيعة غير مجهول ، ولكننا نود أن نسأل السؤال الذى لا يأتى جوابه من غير المختصين فى طبقات الأرض وهندسة المياه :

ما دلالة هذه السيول فى بعض الصحراء ! وما هو موضع المقابلة بينها وبين المياه

---

(١) اشارة إلى السيل الذى جرف مدينة قنا فى عام ١٩٥٤ .

الجوفية حيث لا تتدفق هذه السيول على وجه الأرض ؟ وكيف السبيل إلى الانتفاع بهذه القوة المنحدرة وهذه القوة الكامنة منذ مئات السنين ؟

أما السبيل إلى اتقائها فنحسبه أيسر وأسرع من سبيل الانتفاع والارتفاق ، ورب نذير من هذه الظواهر الفاجعة أنفع من بشير.

بقايا البريد

بقيت أشتات من مخلفات بريد العام ، وبقيت من السنة كلها أيام معدودات .

وليس فى الاشتات الباقية رسلتان فى موضوع واحد إلا الرسائل الخمس التى أتناولها فيما يلى ، فإنها تكاد تكون نسخة منقولة من رسالة واحدة .

إن المؤلف هو المصدر المعقول الذى يرجع إليه فى طلب الكتاب إذا كان هو الذى يتولى طبع كتبه وتوزيعها ، ولكنه آخر من يرجع إليه فى هذا الطلب إذا كان الطبع والتوزيع موكولين إلى الناشرين فلا يوجد عند المؤلف فى هذه الحالة غير نسخ قلائل لإعادة الطبع والمراجعة ، أو للهدايا الأدبية إذا لم يكن قد مضى على صدور الكتاب وقت طويل .

وكثيرًا ما ترد إلىّ الرسائل فى طلب نسخ من مؤلفاتى للمكتبات أو للقراء الذين لا يجدونها قريبة منهم ، فكلما اتسع الوقت أجبت معتذرًا أو أرسلت مع الجواب ما أجده لدى غير محتاج إليه ..

ولا أذيع سرًّا إذا قلت إن أوفق الأوقات عندى للإجابة على هذه الرسائل هو وقت الراحة بعد الفراغ من تأليف كتاب وقبل الشروع فى تأليف كتاب آخر ، ولا يعلم هذا الوقت أحد غيرى ، فليس فى المسألة إذن سر يذاع . وجاءنى فى الأسابيع الأخيرة خطاب من طالبة فى نهاية المرحلة الثانوية بمدارس الإسكندرية تطلب فيه كتابًا بحثت عنه بمكتبات الإسكندرية فلم تجده ، وتطلب مع الكتاب « بعض النصائح من نصائحكم المفيدة للشباب » .

وصدقت الآنسة فيما قالت عن الكتاب الذى بحثت عنه فلم تجده بمكتبات

الإسكندرية ، فقد أخبرنى أصحاب المكتبات بذلك ورجونى أن أبلغ الناشر ليودعه عندهم أو يبيعهم إياه بالشروط المتفق عليها .

فأرسلت الكتاب وأرسلت معه النصيحة .

ولم ينقض أسبوع واحد حتى كان عندى خمس رسائل من خمس طالبات بالإسكندرية يطلبن الكتاب ويطلبن النصيحة مع الكتاب .

رسالة من محرم بك تقول صاحبتها : « إننى قرأت كل مااستطعت من كتبك الكثيرة ولكننى لم أقرها كلها ولذلك فقد قررت أن أبعث إليك بهذا الخطاب لترسل إلى هذين الطلبين وأولها « إحدى » – هكذا – الكتب الأدبية ولن أحدد لك هذا الكتاب .. والطلب الثانى إرسال بعض نصائح أدبية التى تفيدنى فى حياتى هذه.. » .

ورسالة من المكس تقول صاحبتها : « قرأت لك ماأقدر على شرائه .. وأرجو أن ترسل إلى كتاب كذا – وهو نفس الكتاب الذى طلب أوّلا – مع أحسن كتاب تفضله أنت بذوقك باعتبارى فتاة تكون لدى منه منفعة فى اللغة الإنجليزية . والرجا منك إرسال النصائح أوّلا والكتابين فى أقرب فرصة » .

ورسالة من مدرسة نبوية موسى تقول صاحبتها : « قرأت لحضرتكم مقالات كثيرة فى الصحف وسمعت لكم أحاديث كثيرة فى المذياع فأعجبت بها أشد الإعجاب وأردت أن أقرأ لك أى كتاب ولكن للأسف لم أحظ بقراءة أى كتاب لسيادتكم فسألت عن اسم أى كتاب من مؤلفاتكم فقيل إنه كتاب كذا – المتقدم – فأرجوك أن ترسله لى بهذا العنوان .. »

ورسالة من رأس التين وأخرى من كرموز ، كأنهما نسخة واحدة فى هذا المعنى ، وكلها مرقومة بتواريخ متقاربة .

وشاهدى فى الاعتذار عن تلبية هذه الطلبات مكتبة الأنجلو المصرية ، فإننى اشتريت منها نسخًا من مؤلفى هذا لاحتفظ ببعضها وأرسل إحداها ، ريثما يعاد طبع الكتاب كله لقرب نفاده .

فأرجو أن يلقى هذا الاعتذار قبوّلا عند الآنسات الأديبات .

أما النصيحة المطلوبة مع الكتب فأظن أنها تسوق نفسها الآن إلى قلمى بغير عناء ، فإذا نصحت للآنسات « ألا يكررن الوسيلة الوحيدة فى موضوع واحد ووقت واحد ، فهى نصيحة مجربة تفيد فى أوقات كثيرة على التحقيق » .

ومما يساق إلينا بغير عناء ، لهذه المناسبة ، أننى تلقيت من مدرسة ثانوية بالإسكندرية خطابًا فى موضوع كهذا الموضوع وعن كتاب غير هذا الكتاب ، فأرسلته إلى طالبة ولخصت له رأيى فيما سأل عنه ، فمضى نحو شهر لم يردنى منه رد ، ثم جاءنى الرد بالاعتذار عن التأخير لسبب يرجع إلى التبليغ عن الطرد وتسليم إخطار البريد ، ولم تتبع رسالة الطالب رسائل أخرى من زملائه الطلاب .

ألا يكون فى هذا شىء من الدلالة على بعض الفوارق بين الجنسين فى هذه السن دون العشرين !

أحسبه لا يخلو من دلالة ، وأحسب أن الدلالة التى يمكن أن تفهم منه أن الشبان فى هذه السن يتنافسون أو يتغايرون بعمل ما يخالف وينفرد ، وأن الشابات يتنافسن أو يتغايرن بالحصول على المزية الواحدة ، وإنها لظاهرة عامة فى جميع الفوارق البينة بين الجنسين .

لا أريد أن أقول إننى سأحتفظ بعناوين الآنسات لأرسل إليهن الكتاب بعد إعادة طبعه ، إننى أرجو لهن التقدم من التعليم الثانوى إلى ما فوقه فى زمن قريب .

ولكننى أقول إننى أهنئهن سلفًا بما سيقرأن من أمثاله ومما هو أفضل وأجدى ، وكم فى الدنيا من كتب يطلع عليها ، ومن أوقات للاطلاع !

أول حديث .. فهل هو أول حادث ؟*

كنت دون العشرين يوم زرت العالم الراحل « محمد فريد وجدى » فى منزله بحى السيدة زينب .

وكنت أعمل معه فى صحيفة الدستور وهو أول عمل لى فى الصحافة . فلما أغلقت الصحيفة ذهبت إلى بلدتى أسوان متوعكا لأستشفى وأستريح ، وعكف هو على بيته يتمم تصانيفه ويتابع بحوثه فى الروح وما وراء المادة .

ثم عدت إلى القاهرة فرأيت من الواجب اللازم أن أزور الرجل الذى حمدت من أخلاقه ما لم أحمده من أحد ، فقصدت إليه ومعى كتاب كنت أطالعه فى رحلتى الخلوية .

وكان أثر السقم باديًا على وجهى ، فلما رأى الكتاب معى سألنى.،أين كنت تقرأ فيه ؟ ففتحت له الصفحة وقلت له أننى أقلب صفحاته أثناء رياضتى اليومية ، وقد نصح لى الطبيب بارتياد الخلوات فى الهواء الطلق ، فاصطحبت هذا الكتاب لتزجية الفراغ .!

قال : ولم لا ترتاد الخلوات بغير كتاب ؟ ثم أطال تحذيرى من الإفراط فى المطالعة ولاسيما المطالعة العسرة ، فشكرت له نصيحته ، ثم قلت : وما الفائدة ؟ كلها سنة أو سنتان وتنتهى هذه الحياة التى لا خير فيها .

وكانت هذه عقيدتى فيما دون العشرين ، فأرسلت من أسوان صفحات من مفكراتى وتعليقاتى إلى القاضى الفاضل لأستاذ عبد الفتاح منصور وكان لا يزال طالبا بالحقوق ، ورجوته أن ينشرها إذا حمّ الأجل على سبيل الذكرى ، ثم طبعتها بعد ذلك باسم خلاصة اليومية .

* أخبار اليوم فى ١٣/ ٢/ ١٩٥٤

ونظر إلى الاستاذ وجدى مليًّا حين سمع منى تلك الكلمة اليائسة ، وعلم من لهجتى أننى أجدّ فيما أقول ، وأعتقد ما أقول ، فتناول من يدى الكتاب وفتحة على صفحته الأولى البيضاء ، ثم ناولنيه وهو يقول : تسمح أن تكتب ما أملى عليك !

لو كان الكتاب عندى اليوم لنقلت ما أملاه بحرفه ، ولكنه ذهب مع غيره من الكتب التى ضاعت منى فى قلاقل السفر والانتقال ، وهذه خلاصة ما قاله فى ذلك اليوم :

« أوصانى الأستاذ وجدى أن أعتدل فى القراءة والجهد فقلت له : وما الفائدة ؟ كلها سنة أو سنتان وتنتهى هذه الحياة التى لا خير فيها ، فأنبانى أننى واهم وانني سأعرف هذا الوهم كلما فتحت الكتاب على هذه السطور بعد سنتين وبعد عشرين سنة ! »

وبقى الكتاب عندى أكثر من عشرين سنة ، فكنت إذا زرته خلال هذه المدة ذكرته بنصيحته فضحك وقال متفكرًا : ما أكثر الأوهام التى نعيش بها وما أكثر الأوهام التى نعيش بعدها ! . . وأزيد أحيانًا فأقول : وما أكثر الأوهام التى تقتلنا ..

رجل شريف

هذا الرجل توفى فى الأسبوع الماضى ولم أعلم بنبأ وفاته إلا من تعليق الكاتب النابه الأستاذ كامل الشناوى ، ولو وفته صحافتنا لقالت غير مسرفة ولا غالية أن الصحافة المصرية لم تعرف كاتبًا بلغ مبلغه من الزهد فى المنافع وتغليب الواجب على كل منفعة ، ولو جرّ عليه الخراب والهزيمة .

ولا أعدد مواقفه فى هذه الفضيلة فهى كثيرة ، ولكننى أكتفى منها بموقفين عرضا له ، وهو فى أشد الحاجة إلى المال ، والصحيفة مهددة بالإفلاس السريع .

كان عضوًا فى مجلس الحزب الوطنى فاعترض على مصطفى كامل لأنه اقترح على الحزب أن يوجه خطابًا إلى وزير الخارجية البريطانية ، ورأى ان يوجه الحزب هذا الخطاب إلى وزارات الدول جميعًا كى لا يكون فى التخصيص شبه اعتراف لانجلترا بصفة ممتازة فى البلاد المصرية .

وأصر مصطفى كامل على رأيه وجاراه الحزب على ذلك ، فبسط فريد وجدى مسألة هذا الخلاف وكتب مقالا أو مقالين يؤيد بهما وجهة نظره ، فانصرف اتباع الحزب عن الصحيفة وعرضت مسائل أخرى بعد ذلك أغضبت الخديو وطائفة من رجال الدين ، فكسدت الصحيفة ومنيت بالبوار . . وحول هذا الوقت ، حدث الانقلاب الدستورى فى الدولة العثمانية واحتاج حزب تركيا الفتاة إلى « لسان حال عربى » لكاتب مشهور فى العالم الاسلامى من غير تصريح بالدعوة إلى الجامعة الإسلامية التى اشتهر السلطان عبد الحيمد بالدعوة إليها ، وأرسل الحزب وسطاءه إلى الأستاذ وجدى يساومه على مبلغ شهرى (لعله ألف جنيه) ويرجوه أن يحذف من صدر الصحيفة شعارها المثبت تحت عنوانها وهو (لسان حال الجامعة الإسلامية) وله أن يكتب فى الدفاع عنها مايشاء بغير صيغتها الظاهرة .

فرفض الأستاذ وجدى هذه المعونة وهو مثقل بالديون ، لأنه يأبى التوجيه ويشفق أن يوجه إلى غير مايعنيه ، وإن لم يكن فى جوهر السياسة خلاف .

وغضب الخديو فى تلك الأيام على السيد توفيق البكرى لمنعه أصحاب الطرق الصوفية من السير مع ركب المحمل على حسب العادة المرعية فى ذلك الاحتفال ، فتصدى الأستاذ وجدى لتأييد السيد توفيق وحمد له تعطيل هذه البدع ، وأحب السيد توفيق أن يكافئ الصحيفة على حسب المألوف فأرسل « اشتراكه » مع من يسأل عن أحوالها المالية .. فكان الجواب « إيصالا » بقيمة الاشتراك وردًّا لبقية المبلغ وشكرًا مقتضبًا يحول دون الاسترسال فيما وراء الاشتراك والسؤال .

ولم تمض أسابيع حتى عجزت الصحيفة عن شراء الورق ، وثقلت عليها الديون وكان فى وسع الأستاذ وجدى أن يغلقها ويدع ما فيها من آلات الطباعة لسداد ديونها ، ولكنه قبل أن يغلقها دعا إليه تاجر الورق واتفق معه على سعر كل كتاب من كتبه ، فهبط ثمن الكتاب الذى كان يباع بمائة قرش إلى نحو عشرة قروش . وعلى هذا الاتفاق أعطى كل دائن وكل موظف نسخًا من تلك الكتب التى كان قد طبعها لحسابه ، واشترط عليه أن يسلم حامليها جميع أثمانها نقدًا بغير تسويف ، ثم أعلن إغلاق الدستور

بعد الاطئنان على سداد كل مليم مستحق للموظفين والعمال .

وظل بقية أيامه عاكفًا على أعماله التى لا تضطلع بها الجماعات عندنا ، ومنها دائرة معارف ومعجم وسيط وتفسير للقرآن ومقامات متفرقة من قبيل القصص التى يسوق فيها المواعظ والدراسات سياق الخيال .

ولقد راض نفسه على الصوم الطويل نيفًا وأربعين سنة ، فقنع بالطعام من النبات وجعل نفسه فى بيته ضيفًا على الضيوف ، يشاركه فى الطعام كل محتاج إليه ..

مثل نادر للعالم العامل فى خلقه واجتهاده وأمانته ، ومثل كذلك فيما يصيب أمثاله بيننا نحن الشرقيين .. وقد تساءل الأستاذ الشناوى عن هذا العالم الفيلسوف صاحب الخلق الكريم كيف يموت فلا يشعر به أحد ! هل لأننا لا نقدر العلم والفلسفة والخلق ؟ أم ترانا لن نشعر بفقده لكثرة ماعندنا من علماء وفلاسفة وأصحاب أخلاق ! »

وفى الأسبوع الماضى كتبت عن سومرست موم ، فقلت إننى كنت حائرًا كيف يحتفل قومه ببلوغه الثمانين ؟ إنهم لا يحبون تبجيله ولكنهم يستحيل عليهم أن يهملوه ..

أما عندنا فى الشرق فلا داعى للحيرة لأن المشكلة محلولة على أهون الوجوه وأهون الوجوه هو الإهمال !

الحديث الأول

ولو وقف الأمر عند الإهمال لهان ، ولكنه يتعداه أحيانًا إلى شهوة الإنكار والانتقاص ، فعندنا بحمد الله الذى لا يحمد على المكروه سواه ولع شديد بتصديق كل خبر يعاب به العظماء . وقد نصدق هذا الخبر بغير بينة وبغير تفكير ويأتينا معه خبر معزز بالبراهين واضح كالشمس فى كبد السماء فلا نقبله ولا نزال نحجب النظر عمدًا عن الالتفات إليه ، لأنه يمس حقيرًا نعظمه بالباطل ولا نريد أن نصدق أنه حقير .

وقصة الحديث الأول مع أحد الوزراء فى الصحافة المصرية تدور على خليقة من هذه الخلائق التى نحمد الله عليها لأنه هو المحمود على كل مكروه .

إن الأستاذ الشناوى يشير فى تأبينه للعالم الفقيد إلى سابقة مأثورة تذكر لصحيفة

الدستور ، وهى نشرها أوّل حديث مع وزير مصرى فى عهد الاحتلال أو عهد قيصر قصر الدوبارة !

ذلك الحديث فى الحق تاريخ عهد خطير من عهود الصحافة والوزارة ، إذ لم يكن للوزير فى عهد الاحتلال أن يصرح برأى له شئون وزارته بل لم يكن صاحب رأى يذاع ولا كان بينه وبين الرأى العام من صلة تحتمل المراجعة والاطلاع من الطرفين .

وقد كان مجرد نشره تكذيبًا قاطعًا لمن كانوا يحملون يومئذ على سعد ويدعون فيما أدعوه أن خطبته فى الجمعية العمومية كتبت له بقلم المستشار .. وترجمها له المفتشون العارفون باللغة الإنجليزية فى ديوان الوزارة .

كلام لا يصدق على علاته فى مستشفى المجاذيب ، ولكنه مع الأسف الشديد وجد بيننا من يصدقه ويردده ومن يكتبه حتى الآن كأنه من حقائق التاريخ .

وكنت أعلم أن الحملة كلها اختلاق ، لأننى أعلم من إخوانى بمدرسة المعلمين مبلغ اهتمام سعد بتعجيل التعليم باللغة العربية وتخريج المدرسين وإرسال البعثات لتعميم هذا التعليم .

وكنت بالإيجاز من مدرسة محمد عبده وسعد زغلول فى الوطنية التى تنادى بمبدأ مصر للمصريين ، وكان الفضل فى ذلك « للبيئة المحلية » التى نشأت فيها ودرجت بين ظهرانيها وأنا أقرأ واسمع عن الثورة العرابية ، وكانت قضية من قضايا الصعيد قد زادتنا تعريفًا بعظمة محمد عبده وعظمة سعد لأننا نحيط بتفصيلاتها فى بيوتنا ، فاستكثرت أن تبلغ القحة ببعض الشانئين أن ينكروا على سعد كل فضل حتى الذى لا سبيل إلى إنكاره : وهو القدرة على الكلام والدفاع .

نعم ، وأشفقت فى الوقت نفسه على صاحب الدستور أن يتورط فى خلاف مع حزبه فوق ورطته ، فتعمدت أن يكون الردّ على تلك الأراجيف بحديث من سعد تبطل فيه كل لجاجة ، ويعتبر صدوره حادثًا فى الصحافة تشكر عليه صحيفة الدستور ولا تلام ..

وقد ظهر الحديث ..

وقد علم القراء جميعًا أن سرّ الحملة كلها خيبة أمل فى وظيفة وغرام « بالقفش » قد يغلب الطبيعة المصرية على أمرها حتى فى الخطير العظيم من الأمور.

النكتة المصرية

وبعد نحو عشرين سنة كنت أستمع إلى سعد فى حديث من أحاديثه الخاصة عن الوزارة الزيورية ..

كان سعد يقول وهو بين الحنق والابتسام : ماذا نصنع للنكتة المصرية جزاها الله ،.. إن المصرى لا يغضب مادام يستطيع أن يضحك وأن يطلق على خصمه قذائف النكات والقفشات ، ولولا ذلك لما تحولت السياسة عندنا إلى مهزلة ضاحكة فى عهد هذه الوزارة ، لأن رئيسها يضحك ويغرى بالضحك من يشاء.

وأذكر أننى قابلت بين سعد وخليفته فى عظمة الشخصية فاتخذت النكتة المصرية مقياسًا لهذه المقابلة.

إن العظمة الصحيحة فى مصر لا تصاب بالنكتة بل تردها إلى مرسلها كما ترتد الكرة عن الطور الراسخ إلى صدر من يرميها عليه.

قالوا عن سعد إنه « الألعبان »

وقالوا عن بيت الأمة إنه « البعكوكة ».

فإذا بصاحب النكتة هو الألعبان وإذا بالبعكوكة هى الندوة التى يجلس فيها ..

أما النكات التى أطلقها المطلقون على خليفته فلم ترجع واحدة منها إلى صدور رماتها ، بل استقرت جميعًا عند الهدف المقصود !

من بحره

والضمير هنا يعود إلى بحر النكتة وشهوة الافتراء فى الخصومة والتشهير..

والذكريات هنا تربط بين الماضى والحاضر برباط وثيق ، وطرفها من هنا فى هذه الأيام ، وطرفها من هناك بعد تأسيس المجمع اللغوى بسنة أو سنتين..

فى تلك الأيام زارنى الأساتذة أحمد السكندرى وكرد على رحمهما الله ، والاستاذ عبد القادر المغربى أطال الله بقاءه ..

وكانت « زيارة مجمعية » خلاصة حديثها أن هؤلاء العلماء الأجلاء يشعرون بمكانى خاليًا فى ذلك المجمع ، ويتمنون لو يمتلئ فى وقت قريب .

فشكرت لهم هذا الشعور ، وشكرونى لأننى لم أحارب المجمع من أجل هذا الإغفال .

أما الذين حاربوا المجمع يومئذ لأنهم اغفلوا مثل هذا الاغفال فكثيرون . ومن هؤلاء الكثيرين خرجت إشاعة « العرعور » بمعنى الوزير وإشاعة « الشاطر والمشطور والطازج بينهما » بمعنى السندويتش ، وإشاعة الترجمة التى لا تستثنى مصطلحًا واحدًا من مصطلحات العلوم والفنون .

ويرجع مرجوعنا للنكتة الطائشة جزاها الله .

ثم يرجع مرجوعنا إلى شهوة الافتراء قاتلها الله .

فلولا النكتة ولولا شهوة الافتراء لما صدق أحد هذا الهراء ، فليس من المعقول أن مجمعًا عربيًّا يلغى كلمة الوزير وهى من كلمات القرآن الكريم ، وليس فى أوراق المجمع أثر لغير الشطيرة فى ترجمة السندويتش ، ومن الغفلة أن يصدق المصدقون جمود المجمع على الترجمة فى جميع المصطلحات ، فإن قرارات المجمع صريحة فى إجازة التعريب وإجازة الترجمة حيث يصلح كلاهما ، وقد تحسب الكلمات التى نقلها من اللغات الأجنبية بالألوف . وكل ماتصرّف فيه أنه يجريها على الصيغة العربية فى قواعد النطق والاشتقاق .

ولكنها النكتة وشهوة الافتراء قاتلها الله .

وإنه ليبلغ من ضعف العقول أمام هذه وتلك أنهما تصلان إلى البلاط الملكى وأن يفاجأ رئيس المجمع « توفيق رفعت » بمن يناديه وهو داخل على ساحة العرش : أهلا بالعرعور ..

ولم يكن هذا الهازل الماجن غير الجالس على العرش فى ذلك الحين فاروق ..

واليوم يتجدد السبب وتتجدد النكتة ويتجدد الافتراء ..

واليوم يقال إن أعضاء المجمع يضعون الجوائز ليوزعوها على أنفسهم وعلى الموظفين ، ويقال إن المجمع جامد لا يسمح بدخول كلمة أجنبية على اللغة العربية ، ويقال إن الكلمة الواحده فى المجمع تكلفنا كذا من الجنيهات .

وكل مايقال من هذا القبيل هراء .

فلا نصيب للأعضاء فى الجوائز ، وليس العضو أن يشترك فى مباراة قط إلا على هذا الشرط الصراح ، ولم يحدث أن الأعضاء اشتركوا علي هذا الشرط فى موضوع غير موضوع تيسير الكتابة العربية ، وهو من أمس الموضوعات بوظيفة المجمع وأعضائه .

أما موظفوه فشأنهم كشأن غيرهم من الموظفين ، ولا ذنب لهم فيحرمون الجائزة إذا استحقوها ، وقد نال أحدهم جائزة من نحو عشرين جائزة ، ونال من وزارة المعارف جائزة الدولة وليس التحكيم فيها من عمل المجمع « المفترى عليه » .

أما تكاليف الكلمة فمن شاء أن يقول إن الكلمة فى كل لغة من لغات العالم تكلف الأمة عشرة آلاف جنيه فما هو بمبالغ فى تقديره ، لأن المعجمات وكتب النحو والصرف ودراسات اللغويين ومباحث المقابلة بين اللغات وما شابهها من المباحث فى كل لسان إنما هى جميعها خدمة لغوية متصلة منذ عشرات القرون ، وسوف تتصل من يومنا هذا إلى آخر الزمان .

ماذا تكلف الكلمة اللاتينية مثلا فى مباحث الأصول الإنجليزية والفرنسية والأسبانية ؟

من شاء فليقل إنها تكلف عشرة آلاف جنيه .

ومن شاء فليقل إن كلفتها لا تبلغ جزءًا من عشرة آلاف جزء من المليم . لأنها توضع لفائدة الف مليون إنسان فى الأجيال المتعاقبة والأقطار المتباعدة ، فالواحد منهم لا ينفق على تصحيح تلك الكلمة جزءًا من عشرة آلاف من المليم .

وما هى الحكاية بعد كل هذا ؟

الحكاية أن طامعًا فى العضوية خاب مطمعه ، أومتطلعًا إلى جائزة لم يظفر بها وظفر

بها أديب ينفس عليه ، أوكارهًا للغة العربية الفصحى لأنه من أنصار الابتذال فى كل شيء ، أوكارهًا لها لأنه متعصب حاقد على لغة القرآن ، أو لأنه يهزل ويلغط بالنكات والقفشات .

ولا نقول حسدًا للأعضاء على جزاء ، فإن نصيب العضو من المكافأة قلما يكفى لمصاريف المواصلات .

وهذه هى الحقيقة . .

حقيقة سهلة تلجم وتقطع الألسنة ، فلا يظن المفترون أن السهولة كلها فى التضليل والافتراء ، وأنهم يفرضون مطامعهم على الناس فلا حيلة للناس معهم إذن إلا أن تستجاب وتعنو لها الرقاب .

وليس بأول حادث

وبعد ، فإن كان الإهمال الذى نعاه الأستاذ الشناوى على الناسين أو المنكرين حادثًا عجيبًا ، فما هو بأوّل حادث ولا بآخر حادث ، وليته ينتهى بالإهمال ولا يتخطاه إلى شهوة البخس والانتقاص ، فهى والعياذ بالله من شهوات بعضنا أومن بعض شهواتنا ، وأثرها على الهمم والجهود بيننا جدّ وبيل .

فى إحدى ساحات جامعة نيويورك ، رواق للأعلام المشهورين من خدام بلادهم فى ميادين الأدب والعلم والفن والسياسة والاجتماع ، تختارهم لجنة من مائة علم مشهور ، ويشترط فى انتخابهم أن تنقضى على وفاة العلم المختار خمس وعشرون سنة ، ويزداد عليهم من تتفق الآراء على ترشيحه كل خمس سنوات .

وقد تم عددهم ثلاثة وثمانين عند منتصف القرن العشرين ، وأقيم لكل منهم تمثال نصفى أو لوحة تذكارية ، تعرف الناظر بعمله الذى استحق من أجله التخليد .

ترى لوكان عندنا رواق كهذا ماذا يصيبه بين الأمس والغد وإلى أى مصير يصير فى كل خمس سنوات .

أمر واحد مضمون كل الضمان . .

يتحطم منه ربع لوحاته وتماثيله على الأقل كل فترة من هذه الفترات ، ويترك منه مايترك على قواعده كسلا من عناء التحطيم .

ليست شخصية*

نعم هى ليست شخصية وليست بالخاصة ، لأنه تدور حول التأليف والمؤلفات ، وكل ماكان كذلك ففيه جانب عام لا يخص أحدًا ، وقد يعم المؤلفين كما يعم القراء ..

ثم هى أسئلة ليست بالشخصية ولا بالخاصة لأننى أتلقى مثلها بين آونة وأخرى ولا أذكر شهرًا مضى فى السنوات الأخيرة لم أتلق فيه أسئلة من قبيلها إن لم تكن بألفاظها وعباراتها فبأغراضها وموضوعاتها ، ولا تكون الشخصيات ولا الخصوصيات من هذا القبيل ..

وإنها كذلك ليست من الشخصيات ولا الخصوصيات لسبب غير هذا وذاك . فإنها من المسائل التى لا أشعر فى نفسى بالحرج فى الإجابة عنها ، وقد عهدتنى شديد النفرة من كل ما يمس دخائلى وشئونى التى لا علاقة لها بغيرى أو لا علاقة لها بجمهرة الناس .

فهى عموميات من جوانب شتى ، وفيها أسئلة يسألها القارئ الذى يطالع الكتب ويكتفى بمطالعتها والقارئ الذى يتهيأ للتأليف اليوم أو بعد حين والقارئ الذى يحب أن يعرف الأحوال والسير والتراجم ، وهذه بعض ما يعرف منها ومن شئون دنياه ودينها .

من الأردن

ولا نذكر الخطاب كله فإن ثناءه قد يخصنى ولا يعمّ أحدًا غيرى ، ولكننى أذكر منه الأسئلة موجزة مقصورة على موضوعات التأليف ، وأجيب عنها فيما تشمله هذه الموضوعات .

يقول الأديب « زياد أبو خلد » بمدرسة المطران الثانوية فى قدس الأردن :

---

* أخبار اليوم فى ١٥/ ٥/ ١٩٥٤ .

١ – كم كان عمرك عندما بدأت الكتابة ؟

٢ – ماذا كانت ظروفك المادية عندما كنت صغيرًا تتعطش إلى قراءة الأدب إن كنت لا تملك النقود الكافية لشراء كتبك ؟

وفى حالة كونها ضعيفة هل تدلنى كيف وفرت لنفسك غذاءً أدبيا مهد لك أن تبلغ ما بلغته من فن الكتابة ؟

٣ – إننى متعطش لأن أعرف أساليبك الخاصة فى الكتابة والتأليف .

٤ – كم كتابًا ألفت إلى الآن ؟

٥ – ماهو اسم أول كتاب ألفته فى شبابك وكيف كنت تشعر وأنت تقدم على عالم التأليف لأول مرة .

٦ – ماهى النصيحة التى توجهها إلى أنا الفقير الطموح إلى خوض عالم التأليف ؟

تلك هى الأسئلة ، وهذه أجوبتها بترتيبها :

كنت فى السادسة عشرة

أما سنى عندما بدأت الكتابة فقد كانت حوالى السادسة عشرة ، وقد كانت أول كتابة نشرت لى فى الصحف مقالة فى صحيفة الظاهر التى كان يصدرها الأستاذ « أبو شادى المحامى » ثم كتبت إلى الصحف نثرًا وشعرًا ومنها قصيدة فى اللواء ودعت بها لورد كرومر ولا أذكر منها إلا أننى قلت فيها ما معناه « إن الشهور التسعة التى مضت بعد حادث دنشواى هى أشهر الحمل التى تمخضت فيها الليالى عن سقوطك وخروجك من هذه الديار » .

وكتبت فى هذا الوقت مقالاً بالجريدة التى كان يقوم على تحريرها علامتنا الأستاذ أحمد لطفى السيد وموضوعها « رق القرن العشرين » وأعنى به الاستخدام والتوظف ، وكان هذا هو شعورى بالوظيفة الحكومية فى تلك الأيام وعليه صممت إلى أن جاوزت الشباب .

وإنما أذكر هنا سن الكتابة للنشر والطبع ، أما الكتابة لغير هذا الغرض فقد بدأتها

قبل ذلك بسنوات ، ومنها موضوعات الإنشاء فى المدرسة ، وقد يكون فى الإشارة إليها شىء يهم الناشئ المتطلع إلى التأليف لأنه يعلم منه مبلغ فعل التشجيع حين يتلقاه الناشئون من ذوى مكانة ملحوظة فى العلم والحياة العامة ..

كانت المفاضلة بين شيئين هى المحور الغالب على موضوعات الإنشاء فى أيامى بمدرسة أسوان ، أيهما أفضل المال أو العلم ؟ الذهب أو الحديد ؟ الصيف أو الشتاء ؟ الرأى أو الشجاعة ؟ السيف أو القلم ؟ الحرب أو السلم ؟ .. إلى أشباه هذه المفاضلات ..

وكان من عادتى أن أختار أضعف الجانبين حتى اخترت الجهل مرةً فى مفاضلة بينه وبين العلم ؟ .. وكان لنا أستاذ فاضل – هو الشيخ فخر الدين محمد – يحمد هذا الاختيار على أن يكون من قبيل مرانة القلم ، ويعرض كراستى على كبار الزوار بين ما كان يعرضه من كراسات التلاميذ ، فلما زارنا الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ذات شتاء أراه الكراسة فتصفحها باسمًا وناقشنى فى بعض مفاضلاتها ، ثم التفت إلى الأستاذ وقال ما أذكره بحروفه : « ما أجدر هذا أن يكون كاتبًا بعد » .

ونطق « بعد » بضم الدال غير واقف على السكون ، ولم أزل أذكر ذلك حتى عللت به وقوف زعيمنا « سعد زغلول » على أواخر الكلمات محركة غير ساكنة ، وقلت إنها « مدرسة واحدة » تحرص على تحريك أواخر الكلمات أنفةً من الهرب على حدّ قول القائلين : « سَكّن تسلم » .. فهم لا يهربون من الحقيقة ولا يحرصون على السلامة .

وأبالغ إذا قلت إن كلمة الأستاذ الأمام هى دون غيرها التى حفزتنى إلى الكتابة ، ولكنها كانت لا ريب حافزًا قويًّا بين الحوافز الكبرى ، وجاءت بعد عزيمة سابقة فأعانتها ودفعت عنها عوارض التردد والإحجام .

بين بين ..

أما ظروفى المادية « عندما كنت صغيرًا أتعطش إلى قراءة الأدب » فلم تكن ظروف ثراء مهما تقتصد فى حدود الثراء ، ولكنها كذلك لم تكن ظروف ضنك وفاقة ولا ظروف شعور بالحاجة إلى الضروريات .

كان أبى وأخى الأكبر موظفين يعيشان فى بيت واحد ، وكان مرتبهما معًا بضعة عشر جنيهًا وهو مقدار لم يكن بالقليل فى ذلك الحين ، وكنت الطفل الوحيد بالمنزل إلى أن ولدت أختى فلم تكن فى تربيتها كلفة ، لأن تعليم البنات فى أسوان لم يكن معروفًا قبل نموها إلى سن التلمذة .

فنشأت أحسب أننى غير محتاج وأننى أجد من راحة المعيشة ما لا يجده الكثيرون من زملائى ..

مكتبة بخمسين قرشا

على أن الرزق الذى يتيسر للضروريات لا يتيسر لشراء الكتب عن سعة وأحمد الله أن شراء الكتب عن سعة لم يكن لازمًا فى أيام صباى للاطلاع على أوائل المعرفة الأدبية ، بل على المعرفة الأدبية فى مراحلها المتقدمة .

فلا أحسب أن المكتبة التى اشتريتها بنقودى فى صباى زاد ثمنها على خمسين قرشا أو نحو الخمسين . كان الكتاب من الطبعة الأزهرية يباع بقرشين أو ثلاثة قروش ويشتمل أحيانًا على ثلاثة كتب بين المتن والحاشية والتذييل .

وكانت هذه الكتب تباع فى دكان إلى جانب المدرسة مع أصناف العطارة والحبوب ولوازم أهل الريف ، ومنها ما كان يرتفع إلى خمسة قروش أو إلى عشرة قروش كالمقامات والدواوين .

ولم يكن « مصروفى » يزيد على خمسة مليمات فى اليوم إلا ليدرك خمسة قروش فى الأسبوع ، أتسلمها كل يوم خميس فلا أشترى بها مأكولًا أو فاكهة ولا أذهب بها إلى ملعب البهلوان إن كان بالمدينة ملعب منها ، وهى لا تقيم فيها بل تزورها غبًّا كل بضعة شهور .

فإذا كان معى ثمن الكتاب اشتريته لساعته ، وإلا أعطيت العطار قرشين بعد قرشين حتى يتم الثمن المطلوب .

وبهذه الطريقة قرأت العقد الفريد وثمرات الأوراق والمستطرف والكشكول والمخلاة

ومقامات الحريرى وبعض الدواوين .

ولم تكلفنى المكتبة التى اشتريتها كما قلت إلاّ أقل من جنيه واحد ، وقد يزيد ثمنها على نصف الجنيه بقليل .

لكنها بعض من كل

لكن هذه الكتب هى مقتنياتى التى اشتريتها بنقودى فى أسوان ، ولم تكن هى كل ما قرأته فى فترة التلمذة وما بعدها ، بل كانت لى وسائل إلى كتب أخرى من غير طريق الشراء .

فقد كان أبى يقرأ كتب الفرائض والعبادات وبعض كتب التاريخ ولا سيما تاريخ السيرة النبوية وتراجم الأولياء والصالحين . ومع هذه الكتب كنت أجد عنده مجموعة كبيرة من إعداد صحيفة الأستاذ وصحيفة الطائف لعبد الله النديم وصحيفة العروة الوثقى لجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده .

وكان أخوالى يقرأون كتب التصوف والادب الدينى ولا سيما كتب الغزالى ومحيى الدين بن عربى وطائفة من المتصوفة المتأخرين .

ولم تكن مكتبة المدرسة مفتوحة يومئذ للتلاميذ ولا كان فيها من كتب الأساتذة ما يملأ رفين أو ثلاثة رفوف من دولاب ، وكانت مجلة المقتطف إحدى المجلات التى تصل إليها من وزارة المعارف العمومية ، فأذن لى الناظر فى التردد عليها والاستعارة منها والاعتماد عليها فى تحضير المناظرات والمطارحات ..

وساعدنى ، من المصادفات التى لا تيسر فى كل حين ، أن أسوان كانت يومئذ مرتادًا لمئات السائحين كل شتاء ، وكان فيها فندقان كبيران وفنادق أخرى دونها فى العظم والوجاهة تزدحم جميعًا بالسائحين من أقطار العالم ، فتعودنا أن نرى فيها كل شتاء مكتبات عامرة بالمراجع التاريخية والقصص والصحف والمجلات الأدبية والفكاهية ، ولم يكن من العسير علينا أن نحصل على بعضها بالثمن المستطاع ، بل كان يتفق أحيانًا أن يزور مدرستنا أناس من علية السائحين ومعهم أبناؤهم وبناتهم يطلبون عنواناتنا لتبادل

الرسائل ويبعثون إلينا بالهدايا من الكتب التى تعجبهم ويقدرون أنها تعجبنا ، ولا أنسى أحد السائحين – وكان إنجليزيًّا مسلمًا يسمى ماجور ديكسون – يوم جاءنى منه بعد عودته إلى بلاده كتابان : أحدهما ترجمة القرآن والآخر كتاب كارليل عن الثورة الفرنسية .. وهو الوحيد الذى اختار لى هذا الاختيار ولا أزال أذكره كلما توسعت فى القراءة فعلمت أنها تقوم فى الأغلب الأعم على هذين القطبين من المطالعة ، أصول العقائد وفلسفة الثورات الاجتماعية من وجهة نظر البطولة والأبطال .

هذه الندرة فى الكتب التى تيسرت فى أيام التلمذة ومابعدها علمتنى دستورًا للمطالعة أدين به إلى الآن وخلاصته أن كتابًا تقرأه ثلاث مرات أنفع من ثلاثة كتب تقرأ كلا منها مرة واحدة .

النظام والترتيب

أما أسلوبى الخاص فى الكتابة فخلاصته كلمتان : النظام والترتيب .

إذا نويت أن أضع كتاب تمت النية أو الفكرة على أربع مراحل : مرحلة المذاكرة ، ومرحلة التقسيم ، ومرحلة المراجع ، ومرحلة التنفيذ .

ومرحلة المذاكرة أو عرض الذكريات تستغرق من أسبوع إلى عشرة أيام تنقضى فى تذكر المعلومات والأفكار التى يقوم عليها الكتاب ، وأحاول فيها أن أستجمع كل خبر أو رأى أو سند يتصل بالموضوع فيما علمت عنه قبل الآن من طريق المطالعة أو التأمل والدراسة .

وتأتى بعد ذلك مرحلة التقسيم ، وأعنى به تقسيم الكتاب إلى أبواب وفصول ، فإذا تقررت أبوابه وفصوله جعلت لكل منها « ظرفًا » أو ملفًّا وكتبت عليه رقمه على حسب الترتيب ، وجمعتها كلها فى ملف كبير بالعنوان الذى اخترته للكتاب .

ومرحلة المراجع تأتى بعد مرحلة التقسيم ، وهى تتلخص فى تصفح الكتب التى أرجع إليها على عجل ، وكلما مرت بى مسألة داخلة فى التأليف قيدتها على ورقة وذكرت فى الورقة رقم الصفحة واسم الكتاب ووضعتها فى الظرف المرقوم فإذا فرغت من تصفح

المراجع ووضعت أوراق كل فصل فى ظرفه أو ملفه بدأت مرحلة التنفيذ وهى أسهل المراحل على الإجمال .

وأتناول الفصول على حسب نشاطى لها وقبول ذهنى للكتابة فيها فيتفق أحيانًا أن أكتب الفصل الرابع قبل الثانى وأن أدع مقدمة الكتاب إلى ما بعد الفراغ من ختامه ، ثم اقرأ الكتاب على التتابع حسب وضعه الأخير لأربط بين حلقاته بترتيب الفصول ، ويندر جدًّا أن أغير شيئًا فيه لالحاق بعضه ببعض ومتابعة الفصول السابقة والفصول التالية ، فإن كل فكرة فيه مستقلة بقوامها متروك لها الحيز الذى يحتويها . .

ذلك أسلوب الكتابة فى المؤلفات ، أما أسلوب الكتابة فى المقالات والفصول المتفرقة فعلى هذا النسق مع ملاحظة الفارق الضرورى بين المقالة والكتاب ، فإذا بدأت كتابة المقال كانت كل فكرة فيه ماثلة أمامى من السطر الأول إلى السطر الأخير ، ولا تعرض لى أثناء الكتابة فكرة لم تكن مقصودة من بدايتها محسوبًا لها حسابها إلى نهايتها ، وغاية ما يعرض أثناء الكتابة مما لم أكن أقدره وأرتبه مع سياق التعبير أو التمثيل أو الشرح بين الإيجاز والتفصيل ، وإنى لأعلم أن أناسًا من الكتّاب يبدأون مقالاتهم ويمضون معها حيث تمضى بهم إلى ختامها ، ومنهم من يأتى بالحسن الجيد على هذا الأسلوب ، ولكننى أحسب الكاتب كغارس الشجرة ، ولا أعرف أن غارسًا يضع فى الأرض غرسه وهو لا يدرى ثمرته بعد شهور أو بعد سنوات ، وفرق بين العناية بالشجرة حتى تجود ثمرتها فى النهاية وبين الزرع الذى يعثر به السائح فى المجاهل على حسب الاتفاق .

وإذا أرسل الكاتب قلمه ليقول ما يعن له عفو الساعة فليس معنى ذلك أنه يكتب شيئًا لا يقصده ولا يستوحيه من تجاربه السابقة وخواطره الناضجة وإنما معناه أنه يكيل من خواطره جزافًا بغير نسق معلوم ، وكلٌّ وما يختار فى نقل خواطره من حيز الفكر إلى صفحات القرطاس .

ستون أو تزيد

والكتب التى تعمدت تأليفها أو جمعت فصولها المتفرقة بعنوان واحد قد زادت فى هذه السنة على الستين ، ولو ضمت إليها الفصول المنشورة فى المجلات والصحف مما لم يجمع حتى الآن لزادت عشرين أخرى أو ثلاثين .

والقاعدة التى أتوخاها فى تأليف الجديد أن أضع جديدًا مادمت قادرًا على العمل المستحدث ، وأن أظهر من القديم مرة أخرى مايستدعيه طلب قرائه أو مايشعر قراء الكتاب الجديد أنه فاتهم الاطلاع عليه فى أوانه ، فيعاد إلى الظهور كأنه متمم للعمل الجديد . وقد عبر لى صاحب مكتبة ظريف تعبيرًا لبقًا عن الكتب التى نفدت ويطلبها منه القراء .

سألنى مرات عن كتب نفدت لم أجدها عندى وأحلته على بعض المكتبات التى أظنها محتفظة بنسخ منها ، فلما عاودنى بعد البحث عنها قلت له وفيم هذا الإلحاح فى طلب القديم ؟ أليس فى مؤلفات السنوات الأخيرة غنى عنه ؟

قال ضاحكًا : كلا .. إنهم يريدون صورتك فى شبابك !

وكان لبقًا حقًّا فى جوابه ، فإن قارئ اليوم الذى يتتبع للمؤلف كتابًا ظهر قبل عشرين سنة يخيل إليه أن ذلك الكتاب أحدث مما يقراه له اليوم ولا ينظر إليه كأنه أقدم منه ، وأوفق مايعبّر به عن هذا الفارق أنه كالفارق بين الصورة الأخيرة وبين الصورة الأولى فى سن الشاب ، فلا ريب أن الصورة الأخيرة أصدق وأدل على صاحبها ، ولكن صورةالشباب « أحدث » منها عند ترتيب السن فى الواقع وفى الخيال !

أولها كان آخرها

ويسألنى الطالب الأديب عن أول كتاب كتبته فى شبابى فيسرنى أن أجيبه عن ذلك الكتاب خاصة لأنه جواب يبطل اليأس وينقص المخاوف التى تساور المؤلف الشاب أمام الغيب المجهول .

كنت أظن حين طبعت كتابى الأول أنه هو الأول والأخير ، وكنت قد مرضت دون العشرين فخطر لى أننى لا أعيش حتى أتوفر على تأليف الكتب ، وسافرت إلى بلدتى أسوان وأنا على هذا الاعتقاد الذى كان يبدو لى جازمًا حاسمًا فى تلك الايام ، وكان من عادتى أن أدون ملاحظاتى ومنظوماتى فى مفكرة جيبية ، فأرسلت هذه المفكرة إلى صديق بالقاهرة وأوصيته أن ينشرها تذكارًا لصاحبها ، ثم طبعت أنا هذه المفكرة بعد سنة أو سنتين ، وأضفت إليها وحذفت منها وسميتها « خلاصة اليومية » .

تلك كتابى الأول الذى كنت أظن كذلك أنه كتابى الأخير..

وشعورى به عند صدوره سهل التصور ، فإنه كان أشبه بشهادة ميلاد وضعها القدر فى موضع شهادة وفاة ، فكان خطأ كالصواب أو صوابا كالخطأ نحمد الله على جميع الأحوال .

نصيحتك من كلامك

وسؤال الختام : « ماهى النصيحة التى توجهها لى أنا الفقير الطموح إلى خوض عالم التأليف ؟ » وأرى أن السائل قد أجاب نفسه خير جواب فى جملة من خطابه يقول فيها :

« لقد صرت أرى فى واجهات المكاتب الكتب العديدة التى تحمل اسمك فأنتهد أسفًا على الزمن الذى حرمنى هذه الكنوز ، لكننى لم أيأس لأن الشباب لا يعرف اليأس . . »

عدم المعرفة هذا هو أكبر معرفة لازمة للشباب » .

إن الشباب الذى «لا يعرف » اليأس يعرف أسباب النجاح جميعًا ويثبت لنفسه وللدنيا أنه أهل للنجاح » .

أجهل اليأس جهلاً تامًا وانتظر كل معرفة صالحة فى أوانها بعد هذا الجهل النفيس .

فإذا بقيت معرفة أخرى تضاف إلى هذا الجهل النفيس فتلك هى طلب الأدب للأدب لا للشهرة ولا للخلود نفسه ، وهو أمل الآمال فى مطلع الحياة ، وفى ختام الحياة .

ولقد يصعب على الشاب أن يستخف بالشهرة كما يصعب عليه أن يستخف بالخلود ، ولكنه خليق أن يذكر أن الشهرة فى الحياة وبعد الممات لا تأتى إلى الإنسان لأنه يطلبها بل تأتى إليه لأنه يستحقها ويعمل ما يؤهله لبلوغها ، فإذا اعتقد ذلك فسيان عنده أن يهتم بها أو يهملها ، ولعله خير له أن يهملها لأنه فى هذه الحالة لن يؤدى لها ثمن الاهتمام والطلب والخوف من إنكار هذا والرجاء فى اعتراف ذاك .

وودت والله لو أستطيع أن أهدى إلى كل طالب ما يريده من كتبى ومن غيرها ، وربما فعلت ذلك كلما استطعت ، ولكننى لا أستطيعه فى كل حين لأننى لا أطبع كتبى ولا تكفى نسخ الهدايا لكل طالب ، وليس يحق لى أن أطلب من الناشرين أكثر من نسخ الهدايا التى اصطلح عليها العرف بين النشر والتأليف .

والجيل الحاضر — فيما أخال — أسعد حظًّا من أجيال مضت فى أمر الكتب والقدرة على مطالعتها ، لأن المكتبات العامة تغنى الآن بعض الغناء فى أكثر البلدان ، ولم يكن لها قبل العصر الحاضر وجود فى غير عاصمة أو عاصمتين فى كل قطر كبير .

روح الإنسان فى صراع الجبابرة*

قيل لستالين مرة إن هذا القرار يغضب البابا ، فتبسم مستهزئًا وسأل محدثه : وكم فرقة حربية عند البابا ؟

وستالين رجل ماكر حصيف كما ثبت من سيرة حياته قبل الحكم وبعده ولكنه لم يثبت قط سعة الأفق وبعد النظر كما أثبت المكر والحصافة . وربما جاء الزلل أحيانًا من إسرافه فى الثقة بدهائه واتهام الناس جميعًا بالاحتيال عليه . فقد ورد فى مذكرات تشرشل أنهم أبلغوه أنباء الاستعداد الألمانى للهجوم على روسيا قبل ابتداء الهجوم بعدة أسابيع ، فهز كتفيه ساخرًا كمن يقول : وعلينا نحن هذه الألاعيب ؟ ثم عرف أنها ليست فى هذه المرة بالألاعيب ! كما ظنها ، ولكن بعد فوات الأوان !

أما كلمته عن الفرق الحربية التى يجردها البابا على خصومه فهى من « نصاحة » الماديين المعهودة التى تخيل إليهم أن الدنيا كلها مادة فى مادة ، وأنها لا محل فيها لقوة أدبية أو روحية تعمل بغير المال والسلاح .

وقد عرف غلطته هنا كما عرف غلطته فى قصة الغزو النازية ، وتململ كثيرًا من ضربات « الفرق » التى يملكها البابا ، وحاول غير مرة أن يصحح تلك الغلطة ويعمد إلى خطة المساومة والمداراة ، ولكنه فارق الدنيا وهو لا يدرى على التحقيق ما يصنعه فى هذا الميدان : ميدان الصراع بين الجبابرة على روح الإنسان .

ومن مصادر هذه القوة

وليس من طبيعة العقلية المادية الإباحية أن تفطن لحقائق الواقع بسهولة ، لأنها تنظر دائمًا إلى نصف السبب وتترك النصف الآخر مهملًا ، أو محجوبًا عن النظر .

---

* أخبار اليوم فى ٢٥/٦/١٩٥٥ .

ولكن ستالين لو استطاع أن يتأمل قليلا بعقل غير عقله لأدرك أنه هو وشركاءه مصدر جانب كبير من جوانب القوة التى تعمل بها البابوية منذ عشرين سنة بصفة خاصة .

فقد صدمت كنائس الدين جميعًا صدمات عنيفة منذ أواسط القرن الماضى إلى أوائل القرن الحاضر ، فإذا كانت قد خلصت من بعض هذه الصدمات الآن فالفضل فى ذلك لشىء عملته هى وشىء عملته حماقة الخصوم من الماديين والشيوعيين والإباحيين ، وكثيرًا ما نجحت هيئات الدين فى الغرب لأن أبناء الغرب أشفقوا من الوقوع فى الهاوية التى تفتحها تحت أقدامهم مذاهب الفوضى والبهيمية ، ومدّوا أيديهم إلى كل خصم يقاومها ويقدر على مقاومتها بالوسائل المنظمة ، وفى الطليعة هيئات الدين .

إن شعار الأسبان اليوم « فرانكو نعم . . شيوعية لا . . »

Franco si Communistu no

فلولا بشاعة البهيمية التى شاهدها الأسبان من الشيوعيين حين انطلقوا يهدمون الأديرة ومدارسها ويهتكون أعراض الراهبات والتلميذات فيها لما قام فرانكو ولا استقر بعد قيامه هذه السنوات .

بل لولا هذه البشاعة البهيمية التى لم تبلغ هذا المبلغ فى إيطاليا بعد الحرب العالمية الأولى لما قام موسولينى ولا استقر إلى حيث انتهى به المطاف بعد الحرب العالمية الثانية ، ولولا حماقة الضدّين المتقاتلين – الشيوعية والفاشية – لما أمكن أن يتألف فى البلاد الإيطالية حزب كحزب الديموقراطيين المسيحيين وان ينال هذا العدد من الأصوات وهذا العدد من الكراسى النيابية ، مع سوء الحال فى الأمة الإيطالية وشيوع الضنك والتذمر بين فقرائها وأوساطها .

حماقة الماديين الشيوعيين هى مصدر من مصادر « الفرق » التى يملكها الباب اليوم ، ولكنها ليست بالمصدر الوحيد .

ليست بالمصدر الوحيد

نعم . لأن القوة السلبية قد تعمل كثيرًا ولكنها تعمر طويلًا ولا تغنى فى جميع الأحوال من القوة الفعالة عند اتساع الميدان واختلاف وسائل النضال .

وفى اعتقادنا نحن أن سياسة الفاتيكان منذ سنوات هى أقدر السياسات المعروفة فى صراع الجبابرة الذى نشهده الآن .

ولا بدّ لهذه السياسة من القدرة الفائقة ، لأنها لا تواجه موقفًا واحدًا يخلو من العقد والنقائض أو يخلو من المزالق والعثرات .

وخذ لذلك مثلًا موقفها من الشيوعية فى روسيا الكبرى ، معقل الشيوعيين الذى ترتكن إليه سائر المعاقل .

إن الكنيسة تقاوم الشيوعية لأنها تقاوم المادية ، ولكن الدولة الشيوعية تحارب الكنيسة الشرقية ، وهى على نزاع قديم مع البابوية .. ويضاف إلى ذلك أن كتلة الغرب التى تحارب كتلة الشيوعيين فى ميادين السياسة مؤلفة من الأمريكيين والإنجليز ، وهم على الأكثر تابعون للمذاهب البروتستانتية .

وهنا موضع البراعة والقدرة فى توجيه الخطط بين هذه العقد والنقائض ومراقبتها من قريب أمتع من كل مراقبة يستمتع بها الناظرون إلى ميادين الصراع .

وأصلح ما فى هذه الحركة أن رؤساء الكنيسة صححوا كثيرًا من آرائهم وواجهوا الحياة العصرية بما تقتضيه ، فمن همهم اليوم ألا يقصروا الكنيسة على أداء الصلاة ، وأن يكون محل العبارة محورًا لكل نشاط مطلوب فى الحياة الحديثة ، فلا يخلو من مدرسة وملعب للرياضة ومكتبة ودار للصور المتحركة وندوة للمفكرين فى الشئون الثقافية والشئون العامة ، وقد أطلعنا فى السنوات الأخيرة على كتب فى مذهب التطور ومذاهب الفلاسفة الأقدمين والمحدثين لم يكتب فى الغرب ما هو أوفى منها وأدنى إلى الروح العلمية ، وكلها من تواليف العلماء المتدينين .

وألحقت بالأسقفيات فى العواصم الكبرى فرق من القساوسة الشبان تسمى « بالفرق

الطائرة » لأنها تركب الدراجة البخارية وتبادر إلى كل اجتماع مفاجئ يعقده الشيوعيون ودعاة الإنكار على العموم وتدخل الاجتماع بكل ما يتسلح به القس المتعلم من أساليب المناقشة والحوار والصبر على صدمات العنف والبذاء ، وفوقها عدة أخرى من أسرار المأجورين والمدجلين على الجماهير باسم الغيرة على الفقراء والمحرومين ، ويواجه بها الداعية أمام المخدوعين فيه ، فتهبط به فى أعينهم إلى الحضيض .

وهذه بعض الأسلحة الماضية فى صراع الجبابرة اليوم على روح الإنسان فى الديار الغربية .

ولا تنس فضل الأكاذيب

ونعود كرة أخرى إلى فضل الخصوم فى مساعدة الهيئات الدينية ، وأخصها الفاتيكان لأنه الهيئة التى لها نظام محكم لم يجمع بعد لهيئة تناظرها .

فإن الدعاة الذين ينشرون أخبار الفاتيكان ويشهرون بها لا يكلفون القارئ مشقة كبيرة للشك فيها أو للجزم ببطلانها ولو أنهم صدقوا لوجدوا الكثير مما يقال .

ونحن فى الشرق نقرأ ما يخصنا فنقيس عليه ما يخص غيرنا ونعلم من هذا وذاك مبلغ التعويل على الأكاذيب أو الأخلاط الهزيلة فى هذه الدعايات .

فمن الكتب التى صدرت فى هذه السنوات كتاب ألفه الإيطالى البرازيلى أفرومنهاتان Avro Manhattan سماه السيطرة الكاثوليكية والحرية العالمية وبسط الكلام فى بعض صفحاته على ما سماه « تعبئة البابا للأمم الإسلامية » فقال :

« إن تعبئة الفاتيكان للعالم الإسلامى قد بلغت ذروتها سنة ١٩٥٠ حين أعلن صلاح الدين وزير الخارجية المصرية أن مصر والفاتيكان قد تبادلا المفاوضات السرية للاتفاق على تكوين جبهة متحدة أمام الشيوعية . وفى السنة التالية ذهب عزام باشا إلى رومة حيث قضى أسبوعاً لقى فيه البابا وبعض العلية من أقطاب الفاتيكان وتحدث من محطة الإذاعة بالعاصمة الإيطالية قائلا : إن الوقت قد حان للتعاون بيننا — أمة وملة — لإحياء التراث المشترك وتكوين جبهة متحدة من الإسلام والمسيحية تناضل الشيوعية ،

وقد وضعت الدبلوماسية الفاتيكانية أسس المشاركة بين العالم الكاثوليكي والعالم الإسلامي ببراعة واقتدار ، ولم تزل هذه الأسس تتوطد منذ سنتي ١٩٥١ و ١٩٥٢ على الخصوص مع اختلاف العوارض والأطوار إلى يومنا هذا . وإن الإسلام لقوة كامنة مخيفة سياسة واعتقادًا ، فكل من ملكها ولو فى جزء منها يستطيع أن يشهر بيديه سلاحًا يثير المشاكل الاجتماعية والسياسية فى مواقع هامة من وجهة الاستحكام العالمية ، تمتد من مراكش الأسبانية الفرنسية إلى مصر إلى إيران إلى باكستان إلى أندونيسيا ، بل إلى قلب الاتحاد السوفيتى نفسه حيث يقيم خمسة وعشرون مليون مسلم ، وإلى قلب الصين حيث يقيم خمسون مليونًا آخرون .. »

وهذا نموذج من نماذج الدعايات التى يشنها الخصوم فتنفع حيث لا ينفع دفاع الأنصار .

ليست إلا مناسبة

وليست حوداث « الأرجنتين » التى ساقتنا إلى الكلام على صراع الجبابرة فى العالم إلا مناسبة للتنبيه إلى هذا الموضوع الجلل الذى يحزننا أن نقول إن الكثيرين منا فى الشرق لا يسمعون منه إلا الصدى المبهم من بعيد ولايبصرون منه إلا الطلاء الذى يحجب عنا كل بواطنه وخوافيه . فحوادث الأرجنتين من وجهتها السياسية العارضة لا تعنينا فى هذا المقال ، ولكن حوادث الأرجنتين من وجهتها السياسية أيضًا تدل على اتساع حومة الصراع على روح الإنسان فى العصر الحاضر ، لأن القائمين بالأمر هناك يستندون إلى عقيدة روحيّة من وحى تفكيرهم وشعورهم يحاولون أن يطبعوا بها الأمة الأرجنتينية وأن يجعلوها قدوة للأمم الأخرى أو كوكبًا تهتدى به المشارق والمغارب كما يقول زعماء الحكم والحركة الفكرية ، وهم يسمون عقيدتهم هذه عقيدة « الإحقاق » أو وضع الأمور فى نصابها ويريدون بها كما هو ظاهر من لفظها أن يعطى كل أحد حقه وأن يعطى كل شىء حقه وأن تعطى كل طائفة حقّها ، وأن يكون للديانة حقّها بين هذه الحقوق .

ولا يهمنا هنا من المصيب ومن المخطئ فى التنافس على هذه العقيدة بين سلطان الدولة وسلطان الكنيسة ، ولكن الحقيقة الواضحة أن الفاتيكان لم يجد هذا الصدى فى الأرجنتين لولا أن الناس هناك يحذرون خطرًا يتقونه بكل وسيلة حاضرة ، وليس أقرب إليهم من الوسيلة المنظمة التى يشرف عليها الفاتيكان .

ونحن فى الشرق

ونحن فى الشرق لا نعيش بمعزل عن هذا الميدان الواسع ميدان الصراع بين الجبابرة على روح الإنسان .

إن مئات الملايين من الشرقيين هدف ماثل لا يغيب من أعين الجبابرة الغارقين اليوم فى حومة هذا الصراع .

ويقينًا أن المادية الحيوانية لا تلق فى آسيا وأفريقية قوة أقدر على مقاومتها فى عقر دارها من قوة الإسلام .

الإسلام فى آسيا وأفريقية أقوى من الفاتيكان وأقوى من الشيوعية وأقوى من الاستعمار .

ولكنها قوة كامنة لا تبلغ غايتها من الأثر الفعال إلا بعد تنظيم واستعداد ويقظة دائمة للميدان الذى تساق إليه كرها إن لم تدخله عن قصد وتدبير .

وربما كانت مهمة الفاتيكان أهون من مهمة الإسلام فى صراع الجبابرة على روح الإنسان ، لأنه يقاوم الشيوعية ويقاوم الاستعمار ، ولا يزال عرضة للعدوان منهما معًا إلى اليوم الفصل ، ولعله غير بعيد .

وإن الأقطاب المحنكين من أحبار المسيحية فى كل مذهب وكل كنيسة ليدركون مبلغ الحاجة الملحة إلى التعاون بين الإسلام والمسيحية على مقاومة الفتنة المادية بأنواعها ، ولا تفوت هذه الحقيقة أحدًا من المخلصين فى خدمة العقيدة والغيورين على إنقاذ روح الإنسان من هاوية المادية البهيمية ، وهى كذلك لا تفوت غير المخلصين

لأنهم يعرفونها ويتعمدون سترها والمغالطة فيها .. وبعضهم ولا شك من المأجورين للشيوعيين أو للصهيونيين .

من هؤلاء المأجورين نفر كتبوا ذلك الكتاب الذى رفعوه إلى رئيس الجمهورية الأمريكية يقترحون فيه حل القضية الفلسطينية عاجلا بإرغام المسلمين والعرب أجمعين على الصلح الذى تمليه عصابة إسرائيل .

ومنهم مأجور يؤلف الكتاب بعد الكتاب لينذر الغرب كله بالخطر الداهم الذى يترقبه من جانب الإسلام ، وينادى الأوربيين والأمريكيين فى صراخ كصراخ الهوس المتشنج أن الإسلام أخطر من الشيوعية لأنها عارض يزول ، ومن الخطر الأصغر لأنه زال بعد انهيار دولة الميكادو ودولة ابن السماء ، ومن الدول المعادية لأنها تتقاتل على السيادة لا على روح الإنسان ، وأما الإسلام وحده فهو « التحدّى » الأكبر أو المناجزة الكبرى كما سمّاه فى عنوان كتابه الأخير ، Challenge of Islam

وخاتمة المطاف

وخاتمة المطاف أن صراع الجبابرة على روح الإنسان لا يهدأ طرفة عين فى الآونة الحاضرة ، ولا نحصرهم جميعًا إذا أشرنا منهم إلى قوة الكتلة الشرقية وقوة الكتلة الغربية وقوة الفاتيكان ، فهناك كتلة الصهيونية العالمية عاملة فى كل ميدان يتصارع فيه هؤلاء ، ولكنها لا تنظر إلى روح الإنسان لحظة إذا سلم لها جيب الإنسان .

وليس أمامنا فى الشرق إلاّ أن نختار بين أمرين : أن نصبح غنيمة الصراع ولا نصيب لنا فيه ، أو نصبح قوة من قواه تأمن كل كيانها وتنهض برسالتها فى مصير العالم .

أما موقف المتفرج على ميدان الصراع فليس له مكان واحد فى العالم بما رحب ..

ليس من البر.. الصيام فى السياسة*

أسئلة تلقيتها وفيها جوابها لأنها لا تحتمل غير جواب واحد فيما تعلم ، وموضوعها الصيام أو الإضراب عن الطعام تحقيقًا لغرض من الأغراض السياسية أو الأغراض العامة على الإجمال .

ونعيدها أسئلة يجيب عنها من خاطبنا ليعلم أنها جميعًا لا تحتمل غير جواب واحد ليس فيه قولان .

فهل يجوز فى بلد متمدن أن يترك إنسان يهلك نفسه أو يعرضها للتلف على ملأ من الناس دون إسعاف ؟

لا أحسب أن أحدًا يقول بذلك كائنًا ما كان رأيه فى السبب الذى من أجله يحصل الإضراب عن الطعام .

فمن الواجب بغير خلاف أن يعمل كل مايستطاع لدفع الخطر بالإقناع أو بالإسعاف .

والسؤال الآخر فيما نظن له جواب واحد ، وليس فى جوابه قولان . .

وهو : هل يجوز أن نفرض الآراء على الناس بهذه الوسيلة ، أى وسيلة الصيام إلى أن يعمل بتلك الآراء ؟

إنها ولا شك غير جائزة ، وغير ممكنة ، وغير ديمقراطية ، ونرجع إلى السؤال الذى يتضمن الجواب فنسأل مثلا :

ما العمل إذا دخلت المرأة البرلمان وهددت بالصيام لحمل المجلس على إجازه قانون ترفضه الكثرة الغالبة ؟

---

* أخبار اليوم فى ٣٠/٣/١٩٥٤ .

وما العمل إذا أضربت نائبة لتنفيذ هذا القانون وأضربت نائبة أخرى لرفضه وتعطيله ؟

وما العمل إذا عمد فريق من النساء المؤيدات ، وفريق من النساء المعارضات إلى الإضراب فى وقت واحد ؟

بل ما العمل إذا لجأت طائفة من الصبيان أبناء الخامسة عشرة أو مادونها إلى المطالبة بحق النيابة واستخدموا هذا السلاح فى الإقناع أو الإكراه ؟

بل ماذا يكون رأى المطالبات بالحقوق السياسة إذا اجتمعت طائفة من الدينيين أو غير الدينيين وأنذرت بالصيام حتى الموت إذا استجيبت تلك الحقوق ؟

ليست هذه الوسائل من الديمقراطية ولا من « البرلمانية » فى شيء ، وليست هى من الوسائل التى تنبت لمن يتوسل بها أنه صالح للحياة البرلمانية ، ونحسب أن كاتب الخطاب يعفينا بعد هذه الأسئلة من الجواب .

ونحن نكتب هذه الكلمات من وجهة عامة ولا نقصرها على حالة من الحالات الخاصة أو الموقوته ، ومن رأينا أن « الصيام السياسى » جائز لغرض واحد معقول : وهو لفت النظر إلى قضية لا تلقى حقها من الالتفات ، سواء كان صاحبها على صواب أو على خطأ ، فإذا التفت إليها المعرضون عنها وجب أن يكون هذا الالتفات نهاية الصيام ولا يزاد على ذلك إلى حد الإكراه على القبول أو الإكراه على الرفض ، أو الإكراه لأية نتيجة من النتائج فإنه لمن حق الناس أن يرفضوا الإذعان للإكراه كائنة ماكانت وسائل الاضطرار إلى الإذعان .

لو كنت أفهم

ومن التسليات الممتعة عندى – كما قلت فى مقال سابق – أن أقرأ كلامًا من شيوعى أو متشيع يتكلم بالدليل والبرهان ، ويصطنع لهجة العلم و « الحيدة العلمية » فى الشتيمة والبذاء .

وأنا فى هذه الأيام وافر الحظ من هذه التسليات ، لا يمر يوم دون أن أفتح فى

البريد خطابًا أو خطابين من هؤلاء الأصدقاء الذين يحرصون على تسليتنا جهدهم فلا نحرم قراءنا حق المشاركة فى هذه التسلية ، ولا نستأثر لأنفسنا بكل نصيب منها .

مخلوق من هذه المخلوقات يكتب إلى عن صاحبهم الصهيونى فيقول ما فحواه : « لو كنت تفهم معنى كلمة شيوعى لما اتهمت أهرنبرج بالصهيونية ، لأن الشيوعى يسوى بين الأديان جميعًا فلا فضل عنده لليهود على المسلمين أو النصارى .... »

ويخيل إلى قارئ الخطاب أن صاحبه يتمزق من السخط لخفاء هذه الحقيقة الناطقة التى لا تحتاج إلى إيضاح .

أما نحن فعذرنا فى الحق أننا لا نفهم وشفاعتنا فى سوء الفهم أننا نشبه فيه ستالين ، وتلاميذه المخلصين أو غير المخلصين .

فلو كان ستالين وتلاميذه يفهمون لما ساقوا إلى المحكمة أحدًا من الشيوعيين ولما أتهموهم بخيانة الشعب وخدمة ألمانيا أو الحلفاء ، لأن معنى الشيوعية البسيط أنها عصمة من خيانة الشعب ومن خدمة النازية والبرجوازية والانحلالية أو الارتباطية أو ماشئت من هذه النسبية .

أليس أولئك المتهمون شيوعيين ؟

بلى . فكيف لا يفهم ستالين أنهم شيوعيون ؟

الحمد لله على أية حال لأنه لا يفهم .. فقد وجدنا على الأقل إخوانًا لنا فى سوء الفهم نتشفع بهم عند مولانا المخلوق الفهيم .

ومخلوق آخر يصيح بنا : إن كنت تنكر على كتاب الروس أنهم لم يؤلفوا قصة عن نكبة فلسطين ، فلماذا لم تؤلف أنت هذه القصة ؟ .. ثم يخجل تواضعنا فيقول . وأنت كما زعموا كاتب كبير ...

وأنا كما زعموا كاتب كبير أو صغير ، ولكننى لست كاتب قصص ولست ممن يستخدمون القصة فى الدعوة إلى قضية من القضايا ، ولم أزعم ذلك ولم يزعمه أحد فى يوم من الأيام .

وهنا نعود إلى ضرب المثل بالسادة الأعزاء من أمثال ستالين ولينين وشترين وكل رفيق أمين ...

إنهم جميعًا كتبوا فلم يكتبوا قصة فى الدعوة إلى الشيوعية أو التشهير بالقيصرية .

فماذا نقول ياترى ؟ أنقول إنها خيانة برجوازية رأسمالية استعمارية انتهازية إلى آخر هذه النسبية .

معاذ الله ... لا نقول ذلك . ولكننا نقول إن المخلوق الآخر « شيوعى وكفى » ... ومعنى أنه شيوعى غنى عن البيان والتفصيل .

ومخلوق ثالث يقول لنا إننا لم نخدم الصهيونية لأن الصهيونية لم تحفل باستئجارنا لخدمتها . ولو أنها فعلت لبعنا لها مصر والعرب أجمعين أكتعين أبصعين ..

فما رأى المخلوق الثالث فى « الإيجار » الذى يسيل له لعابه لو ظفر بعشر معشاره من سادته الصهيونيين ؟

أسمع منا هذه الحكاية أيها المخلوق ، ثم أطلب لنا الزيادة على هذا الأجر من سادتك الصهيونيين .

إننا لفى نادى يافا البحرى ذات يوم إذ جاءنا فنان ذو لحية ولمة فتقدم لنا بالتحية وعرفنا بنفسه ودعانا إلى مرسمه ، أو مفنه ، فى شارع اللنبى بتل أبيب ، ومعنا رهط من الإذاعيين .

وذهبنا إلى المرسم فماذا رأينا ؟

رأينا نماذج حية فى حجرات ثلاث أوأربع ....

نماذج حية ... أتسمع ؟ بل معذرة اليك ، فقد يكون الأولى بنا أن نسألك : أتبصر ؟ أترى ؟ أتفتح عينيك ! أتتأمل ؟ أتفهم ؟ ..

هذه شقراء من ألمانيا . وهذه سمراء فى رومانيا . وهذه طويلة من الشمال . وهذه هيفاء من الجنوب ...

تلك هى أساليب سادتك الصهيونيين التى تعرفها ولا يجهلها أحد . فما بهم من ضنانة بالاستئجار والاستعطاف على أية صورة وبأى ثمن ، وماكان الصهيونيون ليأنفوا

من استئجار أو استدراج لأى أحد ، ومن أجرائهم من هو أصغر شأنًا من كاتب هذه السطور .

ولا نطيل عليك الانتظار لتعلم كيف استأجرونا ثم كيف عملنا بهذا الإيجار ..

فنى أيام رحلتنا لفلسطين كنا نكتب إلى صحيفة « الكتلة » ولم تكن فى مصر صحيفه أخرى تكتب لنا كل مانريد .

أرجع إليها فى تلك الايام ، وفى انتظار خطابك التالى نرجو أن تزيدنا من بذاءتك قليلًا ، إن كانت الزيادة فيها مما يرام .

تسلية وفائدة

ولتكن تسلية وفائدة ...

أما التسلية فهذه « عينات » منها قد نعمنا به وشاركنا القراء فى نعمتها ، ونخالهم لا يكرهون المزيد منها .

وأما الفائدة فهى أن ندخل أصحابنا هؤلاء « معمل النفسانيات » لعلنا نستطلع لهم علة هذا الداء الذى اختصوا به فى كل مايكتبون ، ونعنى به داء الأدب السيئ والاتهام السريع .

فرب ناشئ تلمح من كلامه أنه لم يكد يبلغ العشرين ، وترى من أسلوبه أنه جاهل بدروسه لا يسلم سطر يكتبه من الخطأ الذى لا يقع فيه تلميذ فى سنواته الأولى ، ثم يكتب إلى رجل فى سن أبيه وله على الأقل نصيب من المعرفة والدراية أكبر من نصيبه ، فلا يراجع نفسه أن يستطيل عليه بالسباب والاتهام ، وأيسره الخيانة والغش وقلة الفهم والجهل والدجل والبهتان ، ولا تكفيه تهمة واحدة حتى تكون التهم عنده عشرين أو ثلاثين مجتمعات ، وإلا فلا ...

ورب غافل يبلغ من قلة تمييزه ألا يفهم أن تسمية إنسان « بالشيوعى » ليست عصمة من الأخطاء والعيوب ، ويبلغ من قلة تمييزه ألا يفهم ذلك من مئات المحاكمات

التى يتهم فيها الشيوعيون الأصلاء ، ثم تكون « قلة الفهم » أول مايخطر على باله أن يتهم به سواه .

ما علة هذا فى كلمات معدودات ؟

علته أن الشيوعية هى أفيون الشعوب .

أفيون الشعوب

وليس من الضرورى أن تكون أفيونًا صينيا أو من مادة الأفيون ، إذ هى مركبة من مادة التخدير التى تفعل فعل المخدرات والمسكرات ، على تنوع العناصر والأجزاء .

ما هو « أخص الخصائص » فى عملية السكر أوالتخدير؟

أخصها إسقاط المسئولية والاجتراء على الناس بالسباب والاستعلاء عليه بالأوهام .

وهذه هى الخاصة المتكررة فى كل شيوعى مهما يكن نصيبه من العلم أو المكانة أو خبرة الزمن أو الكفاية فى أى باب .

أول ماينم على سكر السكران أن يستبيح من الأمور مالا يستباح ، وأن ينطلق بالسباب ويتحدى به الأعلياء والأدنياء .

وهذه هى مزية الشيوعية عند كل ملوث مشوه الطبع والعقل ، متهم فى نظر نفسه قبل أن يتهمه عارفوه .

إن كان خائبا ضائعًا فهل هو ملوم مسئول ؟

حاشاه أن يلام على شىء من الأشياء ، فإنما اللوم كله على المجتمعات الفاسدة ، وما هو إلا ضحية المجتمع إن كان به عيب أو فساد .

وإن كان منحلا فالمجتمع هو أصل الانحلال ، أو كان ساقط الخلق فهو إذن من « التقدميين » المتحللين من قيود الأخلاق البرجوازية الانتهازية الابتزازية الأوتوازية إلى آخر كل هية .

هو بالإيجاز غير مسئول وغير ملوم ، بل هو أكثر من ذلك : هو « تقدمى » لأنه ساقط الخلق بذىء النفس واللسان .

أليس هذا أفيونًا من « الصنف » الذى يحسد عليه المهربون ويستحق عنه من يقتنيه عقوبة التأبيد ؟

والاتهام ماأسهله ، وأثبته على ألسنة الشيوعيين . فإن الناس جميعًا نصابون غشاشون مستغلون جملة واحدة بغير بينة ولا مراجعة.. هذا بحكم المذهب الأصيل ولا لزوم للتفصيل .

إن المساكين يقولون عن الأديان إنها هى أفيون الشعوب ، وماكان هذا الوصف موافقًا قط للأديان التى يتهمونها ، فإن الأديان تقيم المسئولية ولا تسقطها ، وتستحضر للناس فكرة المحاسبة والجزاء وتكلفهم مغالبة الهوى والغريزة ، وليس شىء من ذلك بالذى يصدق عليه وصف الأفيون .

إنما الأفيون من أجود صنف ، أو من ألعن الأصناف ، هو الذى يعفى شاربه من كل لوم ويبيح له كل محظور ويزين له النقص والخزى والعيب ، لأنه يسوّل له اتهام من يشاء بالنقائض والمخازى والعيوب .

وهذه هى الشيوعية بعينها : أفيون الأفايين وهى لا تعلم ، وتلك علامة أخرى على جودة الصنف اللعين !

ونحن نستغلكم

نعم نستغلكم ونلعب بكم .

فمن الاستغلال أن نتخذكم موضوعًا لمقالاتنا وفصولنا ونستعين بكم على صناعتنا .

ومن اللعب بكم أن نثير فيكم الحسد وليس أعمق من الطبيعة الحاسدة فى نفس الشيوعى ، فإنما يخرب الدنيا حسدًا لذوى النعمة والمزية فيها ، ولا يعنيه بؤس البائسين من أهلها مقدار قطمير .

إن شئنا أن نمنع رسائلكم التى تتحفوننا بها قلنا لكم إننا نستغلها فى صناعتنا ونستفيد منها .

وإن شئنا أن نطير صوابكم ونستكثر من تحياتكم ونستمتع كل يوم بخطابين أو ثلاثة

منكم فبعض ما وصفناه من مناظر تل أبيب يسيل لعابكم ويطير صوابكم ويذهل ألبابكم ، وما أهونها على الذهول من ألباب .

الكتّاب الكبار « المزعومون » لهم هذا الحظ « المزعوم » فى إسرائيل « المزعومة » .. فاحسدوهم إذن ما استطعتم يامعاشر « غير المزعومين » .

ولا تنسوا أننا قوم مستغلون .

ولا تنسوا كذلك أنكم إذا احتجتم إلى هدف صالح للحسد فنحن مستعدون . ولكن لا تنسوا كذلك أننا لن نقنع من الحسد بالدون ، فاجتهدوا غاية اجتهادكم ، وإلا فأنتم حتى فى الحسد خائبون .. !

بعد اللفظ والمعنى

وهذه هى رسالة من غير هذا القبيل ، صاحبها يبرأ إلى الله من أصحابنا هؤلاء ، ولكنه يستفسر وله حق الاستفسار .

يرى كاتب الرسالة أنه لمح فى كلام بعضهم عن « مضمون » الكتابة ظلا من الحقيقة يحتاج إلى التنوير ، فربما كان للعبارة أثر غير أثر اللفظ ومعناه فى المعجمات ، وربما كان فحوى العبارة شيئًا غير حروف مفرداتها ودلالة المعانى التى تنطوى فى تلك المفردات .

وهذا رأى شرحناه قريبًا فى كتاب « الله » ومقالات بين الكتب والناس أثناء الكلام على مذهب « الهولزم » ومدرسة الجشتالت فى علم النفس ، ولا نتوسع فى شرحه هنا لأنه أولى بالشرح فى موضعه ، ولكننا نقول إجمالاً إن « الكل » لا يفهم من أجزائه متفرقة ، وإننا حين ننظر إلى كلمة مكتوبة نقرأها صورة واحدة ولا نقرؤها حرفًا حرفًا أثناء النظرة العابرة ، ولهذا تتشابه التوقيعات والإمضاءات مع أنها تختلف فى جميع الحروف .

إلا أننا لا نخل بمقتضيات المقام إذا أعدنا هنا سطورًا بهذا المعنى نشرناها فى الصحف قبل ثلاثين سنة ، وقرأها الناس فى الصحف وعلقوا عليها ورددنا على

تعليقاتهم فى مناسبات شتى ، فليست هى من معضلات الفلسفة ولا من الرطانة المغلقة . وهذا ما قلناه يومئذ وأعدنا نشره فى كتاب المراجعات من الصفحة السابعة والتسعين .

قلنا فى تلك الصفحة تعليقًا على أبيات شعرية : « .. لسنا نحسب الفضل فى استحسانها للحروف والكلمات كما يحسبون ، فإن فى الشعر شيئًا غير الألفاظ والمعانى الذهنية وهو الصور الخيالية وماتنطوى عليه من دواعى الشعور .. وأبيات هاتين القطعتين حافلة بتلك الصور التى تتوارد على الخيال كما تتوارد المناظر للعين فى الصور المتحركة ، فيكاد القارئ ينسى كلماتها وحروفها وهو ينشدها لما يستشفه فيها من الأخيلة المتلاحقة ومايصحبها من الخواطر الحية المتساوقة ولو أن الأبيات الأولى نقلت إلى اللوحة لملأت فراغًا من الشريط المصور لا يملأه أضعافها من قصائد المعانى وقصص الوقائع .. » .

ثم قلنا بعد شرح الأبيات : « وليس ذلك كله بالبداهة لفظًا بحتًا وكلامًا سهلا خلا من كل معانى الجمال إلا حلاوة السهولة التى فتن بها أناتول فرانس وأمثاله من فلاسفة الأندية الناعسة والكراسى الوثيرة والجمال الذى يشترى هو الناظرين ولا يشتريه الناظرون . وفحوى ما تقدم أن الصور الخيالية والمعانى الذهنية هى الأصل فى جمال الأساليب فى الأدب والفنون .. »

فقبل ثلاثين سنة كان قراؤنا يفهمون من كلامنا أن « المضمون » غير اللفظ ومعناه فى المعجم ، ويعرفون أننا نكره البلاغة النائمة والجمال الوثير ونستنهض العقول إلى الحركة والحياة .

صحونا آخر الليل

وهذه حكاية عمرها أقدم من ثلاثين سنة ، ولكنها تفرض نفسها علينا اليوم لأنها لم تكن تعلم أن نوم أهل الكهف كرامة تتجدد فى هذا الزمان بألسنة الأيقاظ الأحياء .... فى سبيل الحياة .

قالوا إن رجلا أصم يغشاه النوم فى المجالس لأنه لا يسمع حديثها ، فذهب مع

صاحب له إلى محفل غناء وأوصاه أن يغمزه كلما طرب وأن يوقظه إذا نام ولكنه نام فغمزوه أو لكزوه ليوقظوه . فهب من نومته يصيح بالمغنى ويستعيذ ، ويتأوه لما يسمع ... ولا من مسمع ولا سميع .

صح النوم يا « مضمون ! »

وصح النوم ألطف ما يقال لمن يتخلف عن الركب ثلاثين سنة ، ثم يلهث ليدرك « قطار المستقبل » أو قطار التجديد قبل فوات الأوان .

وجوه .. اختفت*

١ – أحمد ماهر

نشأت وأنا أسمع الثناء على « محمد ماهر بك » والد الدكتور أحمد ماهر . لأن والدى كان معاونًا للإدارة بأسوان يوم كان « ماهر بك » وكيلاً لمحافظة الحدود .

وصفوة الأخبار التى سمعتها عنه تتجمع فى كلمتين هما « استقلال الرأى » مع الرؤساء ، على خلاف المحافظين ووكلاء المحافظات الذين كانوا يرتجفون فرقًا أمام كلمة يفوه بها أصغر الرؤساء الإنجليز ، وفى الزمن الذى كانت فيه كلمة الموظف الإنجليزى الكبير تذل أمير البلاد .

ومن أخباره أنه كان فى أسوان يوم تدفقت عليها جموع الأسرى من الدراويش المهزومين ، وكانت أوامر القاهرة تقضى بإبقائهم بين الشلال وأسوان إلى « أن تصدر أوامر أخرى .. » فتحدى وكيل المحافظة أوامر الدواوين وقرر « ترحيلهم » إلى القاهرة ، وهرول إليه المأمورون والمعاونون يذكرونه بالأوامر المشددة من الداخلية ، فلم يزد على أن قال : الداخلية مجنونة ! من أين أتى لهؤلاء جميعًا بالمساكن والمآكل فى « بلدى ؟ .. » ثم نادى بالنواتية وصاح بهم : حلوا قلوعكم وسافروا .. إن رأيت واحدًا منكم غدًا هنا جلدته علانية فى سوق الخميس ، وهو يوم السوق الاقليمية بأسوان .

لا جرم ينتقل هذا الخلق بالوراثة إلى الزعيم الديمقراطى الأوحد فى مصر ، ولكنه يرثه وراثة العقل المتصرف فيبنى عليه خلائقه الديمقراطية كلها ، وكل خلائق الديمقراطية بغير استقلال الرأى أصفار على الشمال .

رأيت الدكتور ماهر ، قبل أن يلى الوزارة يجلس مع رهط من الأمراء والنبلاء

---

* أخبار اليوم فى ١٩٥٤/١١/١٣ .

وطائفة من السفراء الأجانب : فرأيته يساوى نفسه بهم تمام المساواة ولكن مع هذه الملاحظة : أنه لم يكن يشعر قط بأنه يتعمد هذه المساواة ، وإنما كانت تأتى فى معاملته عفوًا كأنها هى المعاملة الطبيعية دون سواها .

ورأيته بعد أن تولى رئاسة الوزارة يجلس فى قهوة بالميرا بمصر الجديدة فرأيته يخاطب الخدم والباعة وزوار القهوة صغارًا وكبارًا مخاطبة المساواة كذلك ، ولكن مع الملاحظة بعينها : أنه لم يكن يبدو عليه قط أنه يتعمد النزول إليهم عن تواضع ومجاملة ، ولكنها هى المعاملة الطبيعية دون سواها . .

وهذه هى الديمقراطية التى تعودنا أن نصف بها الناس فى معاملاتهم اليوم ومعاشرتهم للرؤساء والمرؤوسين .

ولكن الديمقراطية ليس كلها معاشرة وآداب سلوك ، بل هى فى صميمها مبادئ وآراء وقواعد تفكير وأخلاق ، وأهم عناصرها التى لا غنى عنها للسياسى الديمقراطى براعة برلمانية واستقلال رأى وسماحة وتفكير واحترام لحقوق الآخرين ، وقد كانت هذه الصفات جميعًا من شمائل أحمد ماهر الفطرية ، كأنما خلق الرجل ديمقراطيًا بالتفصيل .

استقل برأيه حتى مع سعد زغلول .

ومن سعد زغلول عند أحمد ماهر ؟

إنه يرتفع عنده فوق مقام الإعجاب إلى مقام التقديس والتمجيد ، ويناقشه سعد زغلول مرة فى منصة الرئاسة فى مجلس النواب فيقول له بأعلى صوته : إن أردت أن تناقشنى فانزل إلى القاعة وناقشنى مناقشة نائب لنائب ... فابتسم سعد وعلم أن شبلا من أشباله يتكلم ، وباركه وحياه .

ولما تولى رئاسة الوزارة واعتقد فاروق أن الفرصة سانحة لتسخير الوزارة على هواه فى تقسيم الدوائر الانتخابية أحس أن أحمد ماهر صامت لا يجيب ، فسأله : وإلا فما رأيك يا دكتور ؟.. قال الدكتور بلهجة جافية : إننا نخدم البلد والعرش فى الحكم

ح الحكم على السواء !

وكانت سماحته مع الآخرين تدهشنى لأنها قد جاوزت حدودها كما أراها .

فنى ليلة من ليالى الحفاوة بالجامعة العربية فى قصر عابدين جلست فى الردهة ولم أدخل إلى غرفة المائدة ، وخرج الدكتور يدخن فجلس إلى جانبى وافتتح الكلام سائلا : كيف الحال ؟ فانتهزتها فرصة سانحة وقلت :

والله ياباشا إن الحال لعلى مايرومه النحاسيون .

ففهم ما أريد ، وكان النحاسيون قد أفرطوا غاية الإفراط فى حملات التشنيع والافتراء ، فقال وقلت فى هذا الموضوع ، ثم تكلم كأنما يستسمح ويلتمس لنفسه عذرًا : يافلان .. وإن هذه الخصومات لابدّ أن تنتهى يومًا لنبدأ فى حياة دستورية سليمة ، وإذا كانت الحكومة القائمة تنكل بخصومها على الدوام دارت بنا الدورة إلى غير قرار ، فلنبدأ نحن ولا ننتظر الابتداء منهم ، ولا بدّ أن يخجلوا من أنفسهم أو يخجلهم الرأى العام .

والعاقبة مايعرفه القراء .. ؟

أما البراعة البرلمانية فالإجماع منعقد على رئاسته المثالية لمجلس النواب ، وإذا كان فى الحكم أو فى المعارضة سمعته متكلمًا فسمعت من فمه أقوى حجج الخصوم وأوضحها ، ثم سمعت من فمه أقوى الردود عليها وأصدقها .

وخطب يومًا خطبته التى استغرقت ستّ ساعات ، فملك على النواب أسماعهم بحسن سرده وسلاسة بيانه ، ونهض أحد معارضيه يستأذن فى رفع الجلسة للاستراحة ، فقال الدكتور :

أشكرك .. إننى لم أتعب ..

قال السيد على المنزلاوى : لكننا نحن نريد أن نخرج من القاعة قليلاً يادكتور .

قال الدكتور : تفضل إن شئت غير مطرود .. ولا لوم عليك ..

قال المنزلاوى : ليس هذا ما أعنيه .. إننا نريد أن نخرج ولا يفوتنا الاستماع إليك .

وكذلك كانت قدرته فى مساجلاته البرلمانية .

ومات تلك الميتة الفاجعة فى دار البرلمان .. !

٢ – النقراشى

خادم من خدام الوطن المصرى فرد ، فذ ، بغير نظير .

وما عنيت أنه أعظم من عرفناه فى خدمة الوطن ، وإنما عنيت انه كان – طيب الله ذكراه – مجموعة من المزايا والملكات والأخلاق لا يسهل تعليلها بالبواعث التى تفسر بها جهود العاملين فى السياسة الوطنية ..

إن أناسًا من الزعماء ينسون مصالحهم فى سبيل شهرتهم السياسية ، ولكن النقراشى رحمه الله كان ينسى مصالحه وشهرته فى سبيل الواجب .. وأى واجب ؟ إنه الواجب كما يدين به نفسه لا كما يدينه به أحد ، وكثيرًا مايكون واجبًا غير مفروض عليه ، وكثيرًا مايؤديه ولا يعلم أحد أنه قد أداه .

ونحن فى مصر قد تعودنا أن نقسم الفضائل والصفات قسمين ، ونناقض بينهما من غير ضرورة ولا نقيضة فى الواقع .

فإذا شهدنا لرجل بالشجاعة والصراحة فلا بدّ أن نقول فيه بعد ذلك إنه قليل الدهاء والخبرة .

وإذا شهدنا له بالنزاهة قلنا إنه ضعيف التصرف محدود الذكاء .

وقد كانت نزاهة النقراشى فوق كل مثال ، فوجب على هذا القياس أن يرمى بضعف التصرف وقصور التفكير .

وينسى هؤلاء القائلون أو المتقولون أن النقراشى هو صاحب صفقات الاسترلينى الذى عجز عنها أقطاب الاقتصاد ، وأن الحصار البريطانى ضرب على القطن المصرى فى عهده فقابله بتصريف القطن فى أسواق لم تكن مفتوحة له قبل ذلك ، وباع محصول السنة ومخزون السنة الماضية بأحسن الأسعار ، وأنه نجح فى المعادلة بين أبواب الميزانية فى أحرج السنوات ، ونجح فى هذه المحاولة العسيرة دون أن يهمل مشروعات التعمير والإصلاح ، وأنه صنع ذلك بين حوادث قضية فلسطين وأزمات القضية القومية

ومناورات هيئة الأمم ودسائس القصر والأحزاب وعبث المفسدين من العصابات والإرهابيين .

وما عرفت زعيمًا مصريًا غير النقراشي خالفت رأيه وسمعت منه اقناعًا يثنيني عن هذه المخالفة بالدليل الراجح والبينة الخالصة ، ولا استثناء فى ذلك لسعد زغلول .

كلا ! ليست النزاهة كل مايعظم به النقراشي فى تقدير هذا الوطن ، فلو لم يكن نزيهًا لكان له فى كفايات العقل والرأى مايغنيه .

٣ - إسماعيل صدقى

كنت فى الإسكندرية يوم وفاة هذا السياسى المصرى الضليع ، ولم أعلم بالخبر إلا فى المساء وأنا أتمشى من المنزل إلى الكرنيش ، وأذكر جيدًا لأننى أذكر المفاجأة التى فوجئت بها حين رأيت المصابيح مضاءة فى الشارع الكبير ، فقد سبق إلى وعيى — ولا أقول سبق إلى فكرى — أن الكرنيش ينبغى أن يبدو فى تلك الليلة حزينًا على الرجل الذى مهده وبناه .

وهكذا فارق إسماعيل صدقى دنياه بعد أن وفقه الله إلى مسح الغبار الذى علق بسمعته زمانًا من جراء المصادمة بينه وبين سواد الأمة ، ومن جراء الانتقاص حينًا بعد حين من حقوقها الدستورية .

وكان إسماعيل صدقى فى حياته كلها عاملا كفؤًا حيث عمل ، وسياسيًّا من أصحاب الأدوار التى يلجأ إليها دعاة « النظام » فى الملمات ، وكانت أدواته الهامة لهذه الأدوار ثالوثًا من العزيمة والجلد وسرعة الخاطر ، وهى الثالوث الذى تتساند عليه الكفاءة لكل دور سياسى من هذا القبيل .

وواحد من خواطره السريعة ذلك الخاطر الذى عنّ له يوم علم أن عمال العنابر سيعتصمون بمصانعهم ويستعدون بالماء الغالى للدفاع عن أنفسهم أو الهجوم على من يحاصرهم ، فإنه فى لمحة واحده أمر بقطع الماء عن المصانع ، وكفاهم الله شر القتال .

وخاطر آخر من خواطره السريعة ذلك الخاطر الذى عنّ له يوم أصرّ النحاس وبعض صحبه على السفر إلى الأقاليم للدعاية والتنديد بالحكومة القائمة ، فإنه لم يزد فى اللحظة الأخيرة على الأمر بتحويل القطار إلى خط العباسية ، حيث يقضى اليوم فى الصحراء .

أما كفاءته فى الإدارة وحزمه فى ضبط الأمور فقد كادت أن تكون وظيفة عضوية من وظائف بنيته وتفكيره .

ولا يُنسى له فى تاريخ الخدمة العامة ذلك الجهد الذى بذله فى إحياء الصناعة الوطنية وثابر عليه مدى حياته .

ولا ينسى له آخر عمله فى السياسة المصرية وهو يجود بنفسه فى باريس ، فإن خطابه إلى فاروق وثيقة من وثائق العهد تبقى عنواناً لشىء واحد وهو غباء فاروق ، ودليلاً على أمر واحد وهو حكم القضاء . فلو كان فاروق ممن يتبعون النصيحة لنجا بهذه النصائح وأمثالها ، ولكن الله أراد به ما هو أهله وأراد لهذا البلد النجاة منه ومن جرثومته فأعماه وأطغاه .

وأذكر لإسماعيل صدقى – من جانبى الشخصى – أنه على لدده فى الخصومة لم يكن ممن يحملون الحقد والضغينة ، فقد وجهت إليه أشدّ الحملات وأعنفها ثلاثين سنة ، ثم كتبت مقالى عن معاهدة صدقى بيفن فأرسل إلى فى اليوم التالى ملف المفاوضات بجميع تفصيلاته ، وحادثنى بالتليفون مرات بعد اعتكافه فى الزيتون ليسألنى عن الرأى فى بعض التطورات ، وكنت ألقاه قبل ذلك فى خلال الأعمال البرلمانية فلا أحس منه أثرًا لحقدٍ دفين .

٤ – الشيخ المراغى

إذا وجد بعد الشيخ محمد عبده من استحق لقب الأستاذ الإمام فهو الشيخ مصطفى المراغى أحسن الله إليه .

كان من أعلام هذه المدرسة الحرة ، وكانت له شجاعة الرأى فيما يخالف الرأى

الشائع والعرف المصطلح عليه ، وكان من ذوى الحزم والأصالة فى إدارة الجامع الأزهر ، يوم اشتجرت حوله منازع السياسة وتشعبت فيه دسائس القصر ومراميه .

وكان صفا متقدمًا بين دعاة التجديد والنهضة الدينية ، ولكننا وجدناه شديد المحافظة فى بعض الآراء ، ومنها رأى بعض المفسرين فى مفردات القرآن التى يقولون إنها فارسية أو أعجمية فإنه لم يكن يسيغ هذا الرأى ويرى خلافًا له أن ماتحدث به العرب فهو عربى ولا عبرة بوروده على ألسنة الأعاجم .

ومن المسائل التى كان فيها شديد المحافظة مسألة البحث فى اللغة العامية للوقوف على قواعدها ، فإنه رحمه الله كان يرى فى هذا البحث « تقعيدًا » للعامية وتمكينًا لها ، وقد يؤدى ذلك إلى خلق لغة ذات قواعد وأصول إلى جانب اللغة الفصحى .

كان وقورًا ولكنه كان يضاعف وقاره ولا يكتفى بما عنده منه . وأحسبه يخفى بهذا التزمت ميلا إلى الفكاهة قلمًا يتبسّط فيه .

سمعت منه أبيات حافظ التى لفقها على لسان « شعرور » من المشايخ وأنشدها الأستاذ الإمام فى مرضه ليسرى عنه ، وأولها :

الحمد لله طاب الشيخ مولانا محمد عبده قد كان عيانا

وسمعت عنه قصة الحفاظ المنقطعين لإحسان رجل كريم من أهل السودان يواليهم بعطاياه ، فألفاهم يدعون الله أن يرزقه ليحسن إليهم . قال : ولم لاتدعون الله أن يرزقكم أنتم بدلا من هذه « اللفة » ؟ فقالوا : ماعودنا الله ذلك ، ونحن نسأله ماجرت به عادته .. !

وقد كان حافظ يروى عنه حبّه للفكاهة ويشبهه فى ذلك بالأستاذ الإمام . وأظن أن الشيخ المراغى على تمكنه من العلوم الدينية قد خلق للسياسة وتنظيم الإدارة ، فلو حولته الظروف إليهما لما كان له فيهما من ضريب .

٥ – الشيخ مصطفى عبد الرازق

قال بعض الجامعيين يقارن بين ثلاثة من أساتذة الجامعة هم طه حسين وأحمد أمين ومصطفى عبد الرازق . « إن طه حسين يتقدم ويترك النصوص وراءه ، وإن أحمد أمين يتقدم مع النصوص فى صف واحد ، وأن مصطفى عبد الرازق يتوارى ويقدم النصوص » .

وهذا صحيح فى كل ما يتعلق بأعمال الشيخ مصطفى رحمه الله . فإن حياءه يغلبه فى جميع هذه الأعمال فيعمل ويبدو لك أنه لا يعمل ويقول ويخيل إليك أنه لا يقول .

وليس بالصحيح أنه لا يبدى رأيا . فإنك لتلمس رأيه حتى فى عرض الآراء والاكتفاء بتنسيقها ، ولا تقرأ له بحثًا إلا عرفت جملة مايقال فيه وعرفت منه موضع الترجيح والتحقيق .

ومن لاحظه فى لجنة من اللجان الأدبية بالمجمع لاحظ منه لباقةً لطيفةً فى إدارة المناقشة وتخليصها من العثرات ، وكأنما يسوق الحديث إلى حيث ينبغى أن يساق ويوحى برأيه قبل أن ينتهى البحث إليه .

رأيته بعد عودته من فرنسا لأول مرة فى دار البيان ، ودارت بينى وبينه مناقشة حول مسألة المرأة ، عرفت منها أنه يبلغ بالخلاف منتصف الطريق ولا يغلو فيه ، ثم رأيته بعد ذلك مرات فى البرلمان وفى المجمع وفى مجلس الآنسة مى ، فرأيته على سمت الوقار والسكينة من مطلع الشباب إلى أوج الكهولة ، ولم تغير منه الحوادث ولا السنون .

٦ – عبد العزيز فهمى

فى اليوم الثالث بعد وفاة هذا العالم القاضى الأمين دق جرس الباب عندى وجاءنى قريب من ذوية يعيد إلىّ كتابًا عن الحروف الهجائية فى لغات العالم كنت أعرته إياه على أثر المناقشة فى مسألة الكتابة بالحروف اللاتينية ، ومضى على تاريخ الإعارة أربع سنوات ، ولكنه لم ينس الكتاب فى لحظاته الأخيرة وشغل نفسه بالتوصية عليه حيث

يشغل المرء عن كل شاغل بين المرض والموت .

هذه الحادثة الصغيرة خلاصة « عبد العزيز فهمى » كله فى أمانته ودقته وحضور ذهنه .

وكانت هذه الأمانة منه حديث الزملاء فى المجمع اللغوى ، فقد كنا نتلقى مئات الكتب فى مسابقات تيسير النحو وتيسير الكتابة وغيرها من المسابقات ، وكنا نحكم على الكتب بنماذج من فصولها وصفحاتها ، ثم يأتى عبد العزيز فهمى ومعه الكتب التى عهدت إليه فإذا هى مقروءة صفحة صفحة سطرًا سطرًا وعلى هوامشها تعليقات بخطه حيث يتسع الفراغ للتعليق كأنها قضية من قضايا الحياة والموت ، ونعود فنراجع معه هذه الصفحات ونعرض عليه آراءنا فيما قرأناه ، فلم يتفق مرة أنه أجاز بطريقته كتابًا رفضناه بطريقتنا ، ولكنه يمضى بعد ذلك على طريقته الأولى فلا يعدل عنها مهما تكلفه فى الشيخوخة العالية من عناء .

مواقفه فى القضية الوطنية مشهودة فى أخطر الأوقات ، منها موقفه وهو نقيب للمحامين مع المستشارين الإنجليز فى مسألة الامتيازات وتوحيد القضاء ، ومنها موقفه مع السلطان فؤاد قبيل تأليف الوفد برياسة سعد زغلول .

ولكنه – ولا غضاضة عليه – لم يخلق للحركات الشعبية والمآزق السياسية ، ولو أخلاه الزمن منها لخلصت جهوده الرفيعة للفقة والقضاء .

يتتبع بعضهم أقواله عن خصومه بعد ذهاب السنين فيحسبها من الحقد أو البغضاء ، ولكننا نحسب أن ثورة الطبع وحماسة النفس وطوية الحقد لا تجتمع فى سريرة واحدة ، ومايسمى هنا حقدًا إنما هو ثورة عصبية لم تهدأ ، وشتان شعور الحقد وهذا الشعور .

ولو كان ما فى نفسه رحمة الله حقدًا لعرفنا له مساعى فى النقمة والثأر وشفاء الغليل على ديدن أصحاب الحقود ، ولكننا لا نعلم أنه سعى يومًا للنقمة من إنسان يسخط عليه ، وفى ذلك توكيد لما قدمناه من التفرقة بين الحقد وثورة الأعصاب .

ولقد كانت هذه الأعصاب اليقظى قوام الحيوية فى عبد العزيز فهمى ، فمن عرف فضائله فليقبلها كلها أو يتركها كلها ، وتركها جناية وقبولها كسب عظيم .

٧ – حفنى محمود

لو عرفت « مقالب » حفنى محمود فى سبيل التوفيق والتدبير لغمرت مقالبه التى كان يبتلى بها عباد الله لتزجية الفراغ .

كانت خفة روحه تشفع له عند أقسى الخصوم فى أقسى أوقات الخصومة ، فكان يزور النقراشي وماهرًا والنحاس فى أيام اليد الحديدية ، وكان يغشى دار البلاغ يوم كانت البلاغ والسياسة كالحصنين المتقاتلين لا يتراميان بغير النار والحديد .

واستطاع بهذه الخفة أن يعمل عملا مشكورًا للتوفيق بين سعد والأحرار الدستوريين والوقوف فى وجه القصر على عهد فؤاد .

واستطاع – مما أذكره شخصيًا – أن يجمع بينى وبين أناس لم أكن أطيق أن أراهم رأى العين .

وتستعاد اليوم نوادر حفنى فلا تعاد منها نادرة لهذه المقالب البريئة ، كأنه كان يحسبها حقا من المقالب التى يخفيها ويبالغ فى كتمانها لتسرى فى مسراها .

وسمعت الأستاذ أحمد عبد الغفار ينادى فى دار الرئيس محمد محمود رحمه الله ليلة تأليفه الوزارة : أين حفنى ؟ .. إن كان محبوسًا هنا فى إحدى الحجرات فنى الأمر شيء ، والوزارة تؤلف الآن ولا كلام !

وكان الأستاذ عبد الغفار ، يمزح أو يرد لحفنى بعض جمائله . وإلا فقد كانت يد حفنى أسرع الأيدى إلى العمل النافع ذلك المساء .

ولقد صاحب الإخوان هذا الفيلسوف الساخر فلم يسمعوا منه حديثًا فى غير النوادر والأشعار وفكاهات المجالس والأسمار ، فيخيل إليهم أنه فارغ لها غارق فى عبابها ، ولو اطلعوا على الخفايا لما أطلعوا على طوية قط وعت من أسرار مصر فى تلك الحقبة ما وعاه حفنى محمود ، وإنه لينطلق بها لاهيا كأنها مقالب الدعابة يزجى بها الفراغ .

وكنت أعلم من أحاديثه أنه يطلع على كتب التصوف ، فلما ذهبت أعزيه فى ابنه الذى فجع بفقده قبيل وفاته ولم أجد خيرًا من حكمة التصوف استرعيه بها إلى الحديث

إلى السلوى ، فصحَّ تقديرى وحمدت لذلك الخاطر أنه أعاننى على قضاء برهة مع الوالد المفجوع فى حكمة محيى الدين والغزالى وعزاء هذه الأرواح الكبيرة فى الحياة ، وما بعد الحياة ولم تخذله الذاكرة فى تلك المحنة الساحقة ، فطفق يعيد الأبيات تلو الأبيات والكلمة الجامعة فى أثر الكلم الجوامع ، وسكت ثم عاد يقول وكأنما يحدث نفسه :

آه ... ألم الثكل شديد فى الكبر .

ولكننى أحسست أنها آهة طيعة راضتها العبرة بعد آهات كالشواظ والدخان .

لو سلمت نفس رضية ساخرة من ضربات الزمن لسلمت نفس حفنى محمود ، وهيهات !

٨ – نجيب الريحانى

لما أبلغنى الصديق أحمد علام نعى الريحانى كان يعلم أنه يبادر إلى واجب يعرفه الفنان ، حين يعزى فى ذلك المصاب محبًّا للفنون .

قال الصديق : يعز على أن أبلغك نعيًا يسوؤك ، ولكنه خبر لا يقبل الإمهال .. مات الريحانى !

وبعد هنيهة من الصمت أجبته معزيًا ثم قلت : والعزاء الأكبر أنه أدى واجبه واستراح .

وإنما بادر الأستاذ علام بتعزيتى لأنه يعلم أن « الريحانى » كان صاحب المسرح الوحيد الذى شهدت تمثيله فى جميع أدواره ومعظم رواياته ، ولم أجلس مع الريحانى غير مرات معدودات بعضها فى مسرحه وبعضها فى أحد الأندية القريبة منه ، وجلسة منها فى إحدى ندوات دار الهلال مع الأساتذة بديع خيرى وتيمور وعبد الحق ، حيث دار الحديث على الفكاهة والفكاهيين ، وخير ما أحببته من سجاياه فى تلك الجلسات أنه لم يكن يحتكر الفكاهة على عادة بعض المشهورين بالنكتة وسرعة الجواب ، فإنه على احترافه لهذه الصناعة كان أحق باحتكار الضحك فى مجلسه لو جرى على عرف

القوم المعهود ، ولكننى لم أعرف أحدًا أسرع منه إلى الضحك الذى ينبعث من أعماق قلبه لكل نكتة تصيبه أو تصيب غيره من الحاضرين والغائبين .

أما على المسرح فقد كان يحتكره وحده ولا حيلة له فيما قضاه الجمهور .

وكان الريحانى يشغل المسرح متكلمًا ومشيرًا وصامتًا ومصغيًا لمن له دور الكلام أمامه ، فكان التفات الجمهور إليه فى صمته وإصغائه يسبق كل التفات إلى سواه . وهذا هو الاحتكار المحمود ..

٩ – انطون الجميل

قلت عن الجميل مرة إنه أصبر خلق الله على خلق الله .

وعرفت ذلك من عدة زمالات جمعت بينى وبينه : زمالة الصحافة وزمالة مجلس الشيوخ وزمالة خطاب العرش وزمالة المجمع اللغوى وزمالة الأدب ، فلم يفارقه الصبر يومًا إلا اليوم الذى فارق فيه مجلس الشيوخ محتجًا على إهانة لحقته . فسعى إليه فى أثرها معتذرون كثيرون ، منهم رئيس الوزراء .

وآية الآيات على صبره أنه كان يجلس إلى مكتبه بالأهرام فيقرأ كل ورقة ويرد على كل تليفون ، ويجيب من يسألونه من الجلساء ، ولا تنقضى سهرة دون أن يطرفهم فيها بمثل نادر أو بيت من الشعر البليغ فى مناسبته ، أو ترجمة لكلمة مأثورة من كلمات الأدباء الفرنسيين ، وكان له اطلاع وافٍ على أجود ماكتبوه .

يتقى الصدمة جهده ، ويخيل إليك أن يجس الصفحات بيمينه ليرفع منها كل حرف بارز أو عبارة نابية ، ويؤثر السهولة والدعة اشفاقًا من العنف لا إشفاقًا من التعب وشواغل العمل ، وفلسفته فى الحياة أنها عقبات يتخطاها ولا يصادمها ، إلا أن يدفع إلى الصدام دفعًا فيندفع إليه غير مريد .

وكان من صبره أنه يصبر على زميل ثقيل السمع يعود إلى الكلمة التى فرغ منها القول ثم يعاود الإعادة كرة بعد كرة ، فلما سألته بعد تكرار الإعادة والمعاودة : وماذا يصنع صاحبك هذا بالبوق الكبير الذى يضعه على أذنه ؟

قال : إن المصيبة كلها من هذا البوق ! إنه يسمعه « غلط » ولكنه لم يكن مع هذا يبدى له أنه يتبرم بهذا الغلط أو يلاحظه عليه .

كان حقًّا أصبر خلق الله على خلق الله .

١٠ – خليل مطران

شاعر القطرين ..

لقب صادق اشتهر به خليل مطران ولم تكن فيه مبالغة من مبالغات اللعب بالألفاظ كغيره من الألقاب التى شاعت فى أيامه ، فليس فى العالم العربى شاعر يمثل النهضة الأدبية فى مصر والشام معًا كما مثلها خليل مطران بين الربع الأخير من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين .

ويمكن أن يقال على وجه من الوجوه إنه كان شاعر المشرق والمغرب فى تلك الفترة ، لأنه أخذ من الغرب ولم يتفرنج حتى يهمل الفصاحة العربية ، وأخذ من الشرق ولم يجمد حتى يهمل التجديد فى معارض القصيد .

واتخذ نموذجًا من شعر لامرتين ودى موسيه ولم يتخذ منه كنزًا خفيًّا يلوذ به ليختلس منه أو يسطو عليه ، واستقام على الطريقة صحيح اللغة نقى الأسلوب جميل التشبيه متزن الخيال ، وكل مازاد به على من قبله وتعهده بالترقية والتحسين لمن بعده فهو من فضله على أدب القطرين .

ومنزلة الخليل المتفق عليها فى الأدب العربى الحديث صحيحة لا يكثر فيها الخطأ ولا تجوز فيها المغالطة .

إلا موضعا واحدًا يلزمنا نحن أن نصححه لأنه يمسنا ويخصنا ونحن أعلم به من سوانا .

ذلك أننا نعرف بين زمرة الناقدين أو المتنقدين أناسًا لا يبالون أن يغدقوا الثناء مدرارًا على كائن من كان ماداموا يغدقونه على حساب العقاد وزملائه فى دعوتهم الأدبية .

وهؤلاء يحبون أن يزعموا أن العقاد وزملاءه تعلموا التجديد من كلام الخليل ولا معابة فى هذا الزعم لو صح ، ولكنه باطل من أسخف الأباطيل .

فنى العهد الذى ظهر فيه مطران كنا نحن نقرأ البحترى وابن الرومى والمتنبى والمعرى والشريف الرضى وغيرهم من أعلام الأدب العربى ، وكنا نقرأ فحول الشعراء وفطاحل النقاد من الغربيين باللغة الإنجليزية أو مترجمين إليها ، فلم تكن طريق التجديد مقفلة أمامنا حتى نلجأ إليها من طريق المطران ، وربما صح أن المطران قرأ ما كتبناه فاتخذ منه معيارًا جديدًا لما يختاره ، وتحول من ثمة إلى أدب شكسبير .

والمنزلة الصحيحة التى تبوأها المطران لا تفتقر إلى هذه الدعوى الباطلة ، فحسبه أنه فتح فتحه الجديد فى الوصف وتصوير الخوالج النفسية ونظم الشعر على وحدة القصيدة وحسن التصرف فى الأوزان .

حسب ذلك ليستقل بمنزلته الملحوظة فى الأدب العربى الحديث .

١١ – زعيمتا النهضة النسائية

صفية زغلول وهدى شعراوى

إحداهما تنافس الأخرى فى أعباء الزعامة النسائية .

وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ، ولتتنافس المتنافسات .

كانتا زميلتين تعملان فى جماعة واحدة ، وكان شعراوى يعمل مع سعد فى الوفد الأولى ، فلما انفصلنا لم تتبدد القوة بل تشعبت على طريقين وتضاعفت فى كل طريق : فالسيدة صفية لزعامة النهضة الوطنية ، والسيدة هدى لزعامة النهضة الاجتماعية ، فكان التنافس هنا أنفع من التعاون والوئام . .

دلائل العظمة فى سعد لا تحصى . ولكن وفاء السيدة صفية له فى حياته وبعد مماته من أولها إن لم يكن أولها فى جملتها . فلولا عظمة الزوجين لما دام بينهما هذا الوفاء ولا رابطة بينهما من ذرية ولا تقارب بينهما فى البيئة والنشأة . ولا تناسب يومئذ بين نشأة الريف ونشاط المدينة على النمط التركى بين أبناء الطبقة الحاكمة .

عظمة صفية هى التى ساندت عظمة سعد . وكلتاهما آية ناطقة بما كان بينهما من

مودة وإعزاز واحترام .

ومما يشهد لشعراوى أنه الرجل الصعيدى المحافظ الذى عاونته ربة بيت تعرف كل مالها من حقوق وتطلبها لبنات جنسها المحرومات منها .

ولقد عشنا حتى رأينا ماتفعله المرأة فى هدم الزعامات بل هدم العروش .

فمن إنصاف المرأة أن نقول إن الوفد المصرى بقى بعد سعد سبع سنوات ملتئمًا متحدًا قويًّا بفضل السيدة صفية قبل كل فضل سواه .

ومن إنصافها أن نقول إن قصر شعراوى توطد بعد موته بفضل « ربة البيت » الساهرة عليه وعلى البيت المصرى فى الوطن كله . فليكن فى هذه الحسنات مايذهب فى عالم المرأة بتلك السيئات .

رأيت السيدة صفية ولا بقية فى نفسى للمزيد من تعظيم سعد العظيم . فكانت هى ذلك المزيد .

ورأيت السيدة هدى فى ندوة « مىّ » وفى دار الاتحاد النسائى فرأيت فى الندوة وفى الدار ملء النفوس والأبصار .

رحمة الله عليهن أجمعين .

ورحمة الله سابغة على الأموات والأحياء .

١٢ - المازنى

وماذا أقول عن المازنى الصديق وعن المازنى الأديب ؟

إن بغته الموت قد فغرت فى دنيانا هاوية خلتها لا تمتلئ مدى الحياة . وأنظر اليوم إلى نفسى فلا أرى فيها فراغًا فى موضع ملاء . بل أحس المازنى معى حيث كان ، ويعتلى بى هذا الشعور حتى لهممت منذ أشهر أن أصعد إلى داره لألقاه . كما كنت أفعل كلما عبرت بمنزله وطال العهد على لقائه .

ذلك مكان الصديق فى نفس صديق ..

أما مكانه فى الأدب العربى فنحن بحمد الله الذى لا يحمد على المكروه سواه قد تعودنا ألا نستفيد من مكان ملاء ولا من مكان خلاء .

ولقد كان المازنى بيننا وكان فى الوسع أن يستفاد منه فى بعض ما يحسنه ، وأن ننتفع على الأقل بعبقريته فى الترجمة فننقل إلى لغتنا ذخيرة من لغات العالم كأنما كتبت فيها ولم تكتب فى غيرها .

فلم نفعل ..

وفى وسعنا اليوم أن نستفيد من تراثه خير ما يستفاد منه ، فإن أسلوبه العربى هو الحكم الفصل بين الدعوة إلى العامية والدعوة إلى الفصحى ، لأنه يقترب بمفرداته وكلماته غاية الاقتراب من العامية ، ثم يبقى بتراكيبه ومناهجه فى طبقة من الفصاحة كطبقة الجاحظ والأصفهانى وعبد الحميد .

ومثل هذا التوفيق حل سليم بين الدعوتين . فهل نستفيد منه ؟ وهل ننشر ذلك التراث الصالح لنذكر به ما ينبغى أن نذكره من قرابة العامية والفصحى ؟

إن فعلنا فنحن الرابحون . وإن لم نفعل فلا خسارة على المازنى فى الخالدين .

عبقرية صلاح الدين الأيوبى*

يقول السيد (عبد الحافظ عسل) فى رسالته إن القراء يترقبون بين العبقريات التى كتبناها عبقرية عن البطل صلاح الدين الأيوبى ، ويسأل : لماذا لا تطالعنا بعبقرية عنه لما له من المكانة بين الشرق والغرب ؟

والسؤال فى موضعه عندنا وعند قراء التراجم والسير التى نسميها بالعبقريات ولهذا تلقيناه غير مرة قبل الآن ، ونحسب أننا ستلقاه بعد الآن مرات .

وقد يتضح وجه المعذرة من ناحية عامة فى صعوبة الإحاطة بتراجم عظمائنا الأولين الذين يشملهم وصف العظمة ووصف العبقرية ، فإنهم كثيرون – بحمد الله – لا تتيسر الإحاطة بهم لمؤلف واحد على وتيرة واحدة ، ولكن هذه المعذرة – من الناحية العامة – ليست كل ما نعتذر به حين يتجه إلينا مثل ذلك السؤال .

فلعنا نكشف للسائلين شيئًا من سر الصنعة حين نقول إننا نفضل الابتداء بالعبقريات التي لم تلق نصيبها من التقدير أو التى تختلف فى النظر إلى أعمالها مقاييس عصرها ومقاييس العصر الحديث ، ويجب – من أجل هذا – أن نعرفها عظمة وافرة العبقرية بمقاييس المتأخرين من الشرقيين والغربيين .

ومن عجيب المصادفات أننى تلقيت السؤال عن عبقرية صلاح الدين وقد وصل إلى فى اليوم نفسه بريدى العربى وفيه مقال لى مكتوب منذ ثلاثة أشهر لقافلة الزيت عن طريقتى فى اختيار الموضوع لمؤلفاتى حيث أقول :

« إن القاعدة فى اختيار ترجمة ما للكتابة فيها أن تكون كتابتها لازمة لإبراز حق ضائع أو حقيقة مجهولة » ثم يستطرد بى التمثيل إلى ذكر صلاح الدين دون غيره فأقول : « ولست أجد فى نفسى باعثًا قويا للكتابة عن العظماء الذين اتفقت لهم الفرصة

---

* الأخبار فى ١٣/٦/١٩٦٢ .

والعظمة معًا فاستحقوا المجد الذى نالوه ولكن بشىء من المبالغة العاطفية أو مبالغة الظروف ومناسبات الحوادث . ولهذا أفضل الكتابة عن عبقرية خالد على الكتابة عن عبقرية صلاح الدين ، لأن إنصاف صلاح الدين لا يحتاج إلى مزيد .

وقد خطر لى يوم كتبت ذلك المقال أن هذه القاعدة غير واضحة – على الأقل – بالنسبة إلى (عبقرية محمد) وهى أول ما كتبت من هذه العبقريات ، ولكنها فى الواقع هى التطبيق الصحيح لهذه السنة وإلى هذه الغاية ، لأننى قصدت كتابة (العبقرية المحمدية) بالأسلوب الذى يوضح عظمتها لمن يدين بعقيدتها ومن يدين بغيرها من العقائد على السواء .. « فهى عظمة القداسة التى تعلو على إنصاف المنصفين وافتراء المفترين . ولكننى كتبتها للقارئ – الإنسان – الذى تضطره مقاييس الإنسانية العليا إلى تعظيم نبى الإسلام ، وتوخيت فى بيان خلائقه وأعماله أن تسقط عذر الخلاف فى الدين لمن يحجم عن تقدير تلك العظمة جهلا منه بدين الإسلام أو بتاريخ النبوة الإسلامية ، ولم أشأ أن أجعل الاعتراف بها موقوفًا على صفة يدين بها المسلم لأنه مسلم ويرفضها المخالف لأنه يرفضها بحكم العقيدة الدينية » .

وربما كان فى هذا التوضيح الوجيز رد على الذين استغربوا أن يكون الكتاب قليل الشواهد من الآيات والاحاديث ومن المصادر الدينية الإسلامية على الخصوص ، فإن هذا الذى استغربوه – أو انتقدوه – هو مزية الكتابة لهذه الغاية وليست موضع النقد فيها .

وممن خفيت عليهم هذه الغاية من خطر له أن تسمية الكتاب « عبقرية محمد » تسمية لا تناسب موضوع الترجمة للنبى عليه السلام ، ولا وجه لهذا الخاطر غير التعجل وقلة الالتفات إلى موضوع الترجمة وغايتها ، فإن المؤمن بالنبوة المحمدية قد يكتب عن (بلاغة محمد) وعن حكمة محمد ، وعن شجاعة محمد ، وعن كل منقبة من المناقب التى اتصف بها عليه السلام ، بل هكذا ينبغى أن يكتب عناوينه حين يترجم لهذه العظمة ، لأن المناقب النفسية والخلقية هى محور البحث عند الكلام عن خصائص كل

نبي بين سائر الانبياء . فإن النبوة تجمعهم كافة مع تعدد الخصائص وتعدد الرسالات على حسب الأقدار والأعمال .

* * *

وتعود إلى عظمائنا الذين نسأل عن عبقرياتهم بين حين وحين . فنقول إن الوقت يضيق باستيفاء الكتابة عنهم فى سلسلة من العبقريات على منهاج العبقريات التى ظهرت حتى الآن ، ولكننا قد نستطيع أن نقرن بين الكثيرين منهم فى مجموعة واحدة تغنى بالجوهر المجمل عن التفصيل المطول . وهى – كما لا يخفى – لا تكفى لإشباع البحث فى تلك السير ، ولكنها كافية لتحقيق غرض واحد : وهو تطبيق الدراسات النفسية والمقاييس العصرية على نماذج العظمة فى تاريخنا القديم والحديث ، وعندنا من هذه النماذج كثيرون تتجلى عبقرياتهم بين أعظم العبقريات فى جميع الأمم ، إذا قيست بهذه المقاييس وتناولها البحث على منوال هذه الدراسات ..

بن غوريون .. وبن جوريون ! *

يقول السيد أحمد محمد المطيرى بالمؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر : « أنه ينتابه أحيانًا شعور بالغيظ وهو يقرأ فى لغتنا العربية كلمات متعددة غير متفق على حروفها ، ومنها على سبيل المثال - لا على سبيل الحصر - كلمات الكونغو والكونجو أو تاجور وتاغور ، أو بن غوريون وبن جوريون ، أو كامو وكامى ، وجوته وجيته .. فهل هناك أصل لهذا الخلاف فى نطق الجيم والغين بين أساطين اللغة ؟ أو هو ولع مستورد من قبيل الولع بباغيس بدلا من باريس » .

والخلاف هنا فى نطق الجيم والغين لم يخلقه أساطين اللغة ولم يخلقه الولع باللجهة « الباغيسية » . وأنه أصيل فى « الأبجديات » العالمية من جميع اللغات بلا استثناء اللغات السامية التى تزيد حروفها الأبجدية عادة على نظائرها من اللغات الأخرى .

فاللغة العبرية - وهى لغة سامية - يكتب فيها حرف الجيم وحرف الغين بصورة واحدة مع حذف النقطة فى كتابة الغين ؟ لأن هذا الحرف لم يكن موجودًا فى كتابتها فاستعاروا له أقرب الحروف إلى نقطه بعد اختلاط العبريين بالشعوب الأخرى .

واللغة اليونانية - وهى من اللغات الهندية الجرمانية - ينطق فيها الحرف الثالث من حروفها الإبجدية بين الجيم والغين ، فيقال (ألفا - بيتا - جا) كما يقال (ألفا - بيتا غما) لأن (أبجد) العربية هى بعينها (أبجد) اليونانية بعد استعارة اليونان كتابتهم من كتابتنا ، ولكنهم يخرجون الحرف ملتبسًا غير صريح بين المخرجين .

واللغة العربية نفسها يكتب فيها حرف الجيم على صورة واحدة وينطق على مخارج مختلفة .

فالقاهرى ينطقها كما ينطق الصعيدى حرف القاف .

والصعيدى فى أكثر الأقاليم ينطقها مع قليل من التعطيش .

* الأخبار فى ١٣/ ٦/ ١٩٦٢ .

والصعيدى من بعض البلاد فى إقليم جرجا ينطقها كما ينطق الدال .

والدمشق ينطقها مع التعطيش الشديد كأنها وسط بين الظاء ، والشين ، ويرى بعض اللغويين أنهما فى الاصل حرفان لا حرف واحد . لأن الجيم - بتعطيش خفيف - حرف قمرى تظهر معه اللام عند التعريف بالألف واللام ، ولكنها حرف شمسى مع التعطيش الشديد .

وإذا نقلت الجيم من الكلمات الأجنبية فهى تنقل تارة من حرف G وتنقل تارة أخرى من حرف J . . فتلحق بالغين تارة وبالجيم القاهرية تارة أخرى وبالجيم الدمشقية فى غير هاتين الحالتين .

فالمشكلة فى طبيعة الحرف نفسه لا فى اختيار أساطين اللغة أو عشاق الحذلقة (الباغيسية) .

وقد بحث المجمع اللغوى هذه المشكلة وعرض لبعض المقترحات التى يصح أن تنتهى إلى قرار متفق عليه ، ومنها وضع علامة على الكاف كما توضع فى اللغة الفارسية أو زيادة النقط على الجيم للتمييز بين درجات التعطيش .

أما كتابة كامى وجيته وتارة بالياء وتارة بالواو فمرجعها إلى نطق الحرف الفرنسى وسطًا بين الياء والواو .. وشبيه بهذا نطقنا للألف فى بعض الأقاليم كأنها قريبة من الياء ، أو نطقنا لاسم مثل اسم (فوزى) مفتوح الفاء أو مضمومها مع التوسط بين درجات الضم والفتح أو الكسر فى وقت واحد . ومثلها أن الفعل يبنى للمجهول على بيع أحيانًا وعلى (بوع) فى لغة ضعيفة . كما يقولون فى الشواهد النحوية : ليت شبابًا بوع فاشتريت ..

وليس فى كل ذلك شىء يستعصى على التفاهم مع بقاء الخلاف أو تقريبه بالاستعمال على وجه متفق عليه .

الهجوم على محمد عبده*

مما يسرنا أن ننوه به فى هذه اليوميات كثرة الرسائل التى تلقيناها ردا على سؤال الأستاذ (الغزالى حرب) وبيانًا لموقف سعد زغلول من تعليم اللغة العربية . وهو وفاء نحمده لإخواننا من أبناء هذه الأمة . ولكننا نحسبهم عرفوا مبدأنا فى تقدير عظمائنا . فلا نرتضى لهم أن نزج بهم فى قفص الاتهام ونتطلب الدفاع عنهم كلما قيل عنهم ما يقال بغير دليل .

وقد كتب إلينا الأستاذ « عمر الدسوقى » رسالة من هذه الرسائل قال فيها بعد ديباجة موجهة إلينا نشكره عليها : إنه اعتمد على خطاب سعد فى الجمعية العمومية .. ! وهو الخطاب الذى استهله سعد بتبصير الأمة بما يخشى من المحتلين فى الدواوين التى يشرفون عليها ويستطيعون أن يمنعوا تعيين الطلاب المتخرجين من مدارسنا فى وظائفها . ثم عقب قائلا : « وكل ما يمكنكم أن ترغبوه منى . وما يمكننى أن أشتغل به وأقدمه خدمة لوطنى ، هو السعى فى تذليل تلك الصعوبة المادية وهو ما عقدت النية عليه من توسيع نطاق مدارس المعلمين والإرساليات إلى أوربا وتحسين حال موظفى المدارس حتى يمكن وجود عدد كاف يتولى التعليم باللغة العربية كما أرغب وترغبون ، وإننى إذا وفقت لتحقيق هذه الأمور الثلاثة خدمت بلادى خدمة جليلة » .

وقد ألف الأستاذ عمر كتابه بعد تحقيق هذه الوعود ، وبعد أن عمل سعد فعلا على إنشاء قلم الترجمة وإجراء المرتبات على طلاب المعلمين وإرسال البعوث إلى المعاهد الأوربية ، وتعيين الوطنيين فى وظائف التعليم التى كانت حكرًا للإنجليز ، وتقرير عشرة آلاف جنيه إعانة للجامعة الأهلية على تخريج الأساتذة المتخصصين لتدريس العلوم الحديثة باللغة العربية ، وغير ذلك من التدابير التى وعد بها وأنجزها كما وعد وزيادة ، فما

* الأخبار فى ٢٣/ ١١/ ١٩٦٠ .

بال الأستاذ عمر يكتفى بالوعد ولا يلحقه بالإنجاز وكلاهما سابق لتأليف الكتاب ؟

وأعجب من ذلك أن يستخف المؤلف برجل عظيم القدر قليل النظير فى نهضتنا الوطنية كالأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله ، فيقول عنه إن مصاحبته كانت تطفئ جذوة الوطنية فى قلوب أصحابه فلم تظهر لسعد زغلول ولا لحافظ إبراهيم « وطنية » قبل وفاته ..

ومثل هذا يقال بلا حرج ولا تردد عن أستاذ الوطنية الذى علّم صفوة هذا البلد القومية الصادقة ونادى بمبدئها الصحيح مبدأ « مصر للمصريين » يوم كانت السيادة العثمانية قبلة كثير من المتخبطين بالدعوة الوطنية على غير هدى ، وكان من واجب المؤلف أن يعلم أن الاستاذ الامام هو أول من طالب المحتلين بإسناد مناصب الوزارة إلى الوطنيين الفلاحين ، وأبلغ ذلك إلى الوكالة البريطانية بوساطة المستشرق الايرلندى « ويلفرد سكاون بلنت » سنة ١٨٩١ قبل أن يرتفع صوت واحد من أصوات دعاة الأحزاب فى الصحافة أو الخطابة ، بل كان من واجب المؤلف أن يذكر أن الشيخ محمد عبده كان منفيًّا خارج بلاده وكان رجوعه إلى بلاده رهنًا بأمر المحتلين ، ولكنه سئل فى المنفى – باعتباره رجلًا من رجال الدين – عما ينبغى أن تعمله الدولة البريطانية لكسب مودة العالم الإسلامى فكان جوابه كجواب أستاذه جمال الدين : اخرجوا من وادى النيل .

فإذا كان الأستاذ عمر يعلم ذلك ويمس هذا الإمام الجليل فى وطنيته مع علمه به فهو وزر جسيم ، وإذا جهل تاريخ الرجل وتاريخ عصره وتصدى للكتابة عنه فهو اجتراء على ذمة التاريخ وعلى أقدار العظماء من رجالنا يلام عليه وتلزمه المعذرة منه بالتصحيح والتوضيح .

وإن الأستاذ الدسوقى ليحمد ربه لو استطاع أن يذكر من خدمته لوطنه بعض ما أسداه إلى هذا الوطن تلميذ من تلاميذ الإمام الكثيرين ، ولعله لا يدرى أن المصلحين من أبناء أمم الشرق يدينون بنهضتهم ويعترفون بهذا الدين لهذا « المحمد عبده » الذى يغمزه فى وطنيته .. وتاريخ الإصلاح فى أندونسيا وباكستان ناطق بلسان أهله

بذلك الفضل العميم ، فماذا يقول أبناء المشرق عن أبناء هذا البلد إذا كان رأى السيد عمر هو مبلغ الوفاء عندهم لعظمائه المعدودين ؟

نحمد الله أنه رأى السيد عمر وكفى . وأنه رأى لا يرتضيه منه من يعتد برضاه .

حياة اللغة*

ولا نبتعد بالنقلة حين نستطرد من ذكرى أقطاب اللغة إلى سؤال عن اللغة أو سؤالين .. وفى كل سؤال عن اللغة علامة خير ، لأنها علامة على حياتها فى نفوس السائلين عنها من أبنائها ، ولا حياة اللغة من اللغات بغير هذه الحياة .

يقول الأستاذ « أحمد عبد الحليم – مدرس متقاعد » إنهم يستعملون تبسيط الإجراءات ويريدون بذلك تسهيلها وتيسيرها ، والتبسيط هو التوسيع وقد يكون فيه من التصعيب ما لا يطاق .

ويقول السيد « أحمد حنفى القوصى بشركة بادوقا بالقاهرة » ، إنه كثيرًا ما يقرأ لبعض كبار الكتاب قولهم « لعلنى » والقرآن الكريم يقول على لسان موسى عليه السلام :

– إنى أنست نارًا لعلّى آتيكم منها بقبس – وفى موضع آخر : ياهامان ابن لى صرحًا لعلى أبلغ الاسباب .. فهل هناك خطأ فى استعمال أولئك الكتاب ؟ .. إلخ .

أما « تبسيط الإجراءات » فله وجه مقبول من مجاز اللغة على ما نرى . لأن البسط هو النشر أو المد ويقابلهما الطى أو القبض ، ولا يلزم من الشىء المنشور أو الممدود أن يكون واسعًا أو مطولا ، إذ كل ما يلزم منه أن يكون غير مطوى وغير مقبوض ، وأن يكون مكشوفًا للنظر فلا تخفى منه خافية على من يريد أن يعرفه ، فهو أيسر علمًا بهذه الصفة من المطويات والمقبوضات لأنها على التحقيق أصعب على الناظر إليها مما تقع عليه العين منقبضًا أو مطويًّا عن الأنظار .

ونيسرها يا أستاذ عبد الحليم ييسرها لنا الله .. !

أما « لعلّنى » فلا خطأ فيها لأن « العلّ » من الحروف التى تشبه الفعل وتلحق بها

---

* الأخبار فى ٢٣/ ١١/ ١٩٦٠ .

نون الوقاية ، وقد تحذف لامها الأولى فيقال « علّ » بدلا من لعلّ .. وقد تحذف نون الوقاية كما وردت فى القرآن الكريم ، ولا خطأ فى صورة من هذه الصور ، ولكن السيد حنفى مشكور على غيرته اللغوية لأنها أجمل بالقارئ العربى من مباهاة بعض الأغرار والأوشاب ، يجهل الخطأ والصواب ، والكسل عن السؤال والجواب !

خسارة المجمع اللغوى*

كان صاحب الفضيلة الشيخ إبراهيم حمروش بقيةً صالحةً من بقايا المدرسة الإمامية التى استفادت من قدوة أستاذها الشيخ محمد عبده فى العناية بعلوم اللغة والأدب والحكمة إلى جانب العناية بعلوم الفقه والشريعة.

كان الأستاذ الإمام يعنى بالأدب واللغة فيدرس نهج البلاغة ومقامات البديع ويعنى بالفلسفة الإسلامية فيكتب رسالة التوحيد ويعلق على «العقائد العضدية» ويهدى طلابه إلى أسرار حكمة الغزالى فى مطولاته ومختصراته، ويعنى بالفقه والشريعة فيلقى دروسه فى تفسير القرآن الكريم ويكتب تقريراته الوافية فى إصلاح المحاكم الشرعية.

وبهذه القدوة العالية كان تلاميذه الأوائل يقتدون ويهتدون، ومنهم فقيد اللغة والفقه الأستاذ حمروش شيخ الأزهر الأسبق وعضو مجمع اللغة العربية، الذى فقده العالم العربى والعالم الإسلامى، منذ أيام.

كان عجبًا فى سرعة الشاهد من الشعر والنثر على خاطره وعلى لسانه، وكل من شواهده فى جلسة قريبة من جلسات لجنة الأصول بالمجمع أن بعض الزملاء تذاكروا شروط السن فسمعنا الشيخ –كعادته– عند حضور الشاهد يهمس ببيت التميمى الذى يقول فيه:

وإن امرأ قد سار خمسين حجة إلى منهل من ورده لقريب

وهو بيت يكثر فيه تبديل العدد على حسب المناسبة، فصاحب البيت يقول «خمسين حجة» وبديع الزمان فى مقامته الأهوازية يقول: «عشرين حجة» والشيخ

* الأخبار فى ٢٣/ ١١/ ١٩٦٠.

حمروش يرويها أوّلا « ستين حجة » ثم يذكر أنه جاوزها فيصلح وزن الشطرة على الثمانين ، ويعود قائلا :

وإن امرأ يسعى ثمانين حجة   إلى منهل من ورده لقريب

وهكذا كنا نسمع منه الشواهد الحاضرة حين يستشهد بها فى موضعها من الدلالة على الأحكام اللغوية ، ثم يتصرف فيها – متبسطًا – على حسب الحالة الحاضرة كما كان يقول .

ولم يكن من المتشددين فى استناده إلى أقوال الشعراء والرواة ، فإنه كان على خلاف علماء اللغة الذين يقفون بالحجة عند أقوال المخضرمين – يتوسع فيستشهد أحيانًا بأقوال العباسيين من أمثال بشار وأبى نواس ، بل يستشهد أحيانًا بأقوال المولدين المتأخرين إذا درجت فى مدارج الاستعمال الشائع ، ويظرف غاية الظرف حين تسمعه فى وقاره وسمته يروى بيتًا لأبى نواس أو لبشار لا يتحرج فيه هذا ولا ذاك ، ولا يبالى الشيخ لغوهما إذا كان فيه حجة « اللغويين » .. وقد ينطقها أحيانا بفتح اللام من « اللغو » لا من « اللغة » تفكّها منه على حسب المقام .

وكثيرًا ما كان يعزز حجة « النحوى » بحجة الفقيه « المنطيق » .

وكثيرًا ما كان يسأل عن مقابل الكلمة باللغات الأجنبية ليعضها فى موضعها من المعنى والتركيب ، ولا نذكر أنه حصر رأيه قط فى أفق ضيق من التقليد أو التقييد ، ولكنه كان مثلا للعالم السلفى الذى يرعى حق القديم ولا ينسى فى غيرته عليه حق الجديد .

ويتفق قبل يوم من وفاته أن ينعى إلى المجمع عضو آخر من أقدم أعضائه ومن أركانه القلائل فى مسائل اللغات السامية ومواضع المقابلة بينها وبين اللغة العربية : وهو العالم المتمكن الحاخام « حاييم ناحوم » حبر الطائفة الإسرائيلية بوادى النيل . وقد كان معجمًا حيًّا لتلك اللغات ، نسأله عن مقابل الكلمة العربية أو الافرنجية منها فيجيب

على الأثر كأنه ينظر فى كتاب لا يحتاج عند مراجعته إلى تقليب فى صفحات [١] .

وربما كانت مراجع هذا العالم فى التاريخ الحديث عدلا مساويًا لمراجعه فى مسائل اللغة السامية ، لأنه كان سفيرًا للسلطان عبد الحميد إلى الولايات المتحدة قبل عهد الدستور ، ثم عضوًا لمجلس الأعيان بعد إعلان الدستور منذ نيف وخمسين سنة ، فإذا نشرت مذكراته عن هذه الحقبة لم يكن لها نظير فيما نعهده من مراجعها المعروفة ، لأنها تحوى من دخائل السياسة ما ليس يعلمه مثله أحد من رجال الدول والأديان .

إن فقد هذين العضوين فى يومين متواليين خسارةً كبيرةً على المجمع وعلى اللغة وعلى الثقافة فى جملتها ، وإنهما ليختلفان اختلافًا واسعًا فى مجال خدمتها وتجديد علومها ودراساتها ، ولكنهما يعززان معًا حجة القائلين بفضل الدراسة الدينية على الدراسة اللغوية من قديم الزمن ، ولا يزال هذا الفضل مرجو المدد والزيادة عندنا وعند غيرنا من أبناء الديانات الكتابية الثلاث ، وكلها شرقية المراجع عند البحث عن الأصول .

---

(١) ألقى العقاد كلمة المجمع فى حفل تأبينه . ومن شاء المزيد عنه فليراجع تلك الكلمة بمجلة مجمع اللغة العربية جـ ١٥ .

من أعظم المسلمين بعد نبي الإسلام ؟*

من الأقوال التي تتردد بين علماء الغرب المشتغلين بالدراسات الإسلامية أن حجة الإسلام أبا حامد الغزالي رحمه الله أكبر مسلم في العالم كله ظهر بعد محمد صلوات الله عليه .

ولا يقصد هؤلاء العلماء أن يعقدوا المقارنة بين الإمام الغزالي وعظماء الإسلام من رؤساء الدول وقادة الشعوب ومديري الممالك والأوطان ، فإن المقارنة لا تنعقد بين أعمال التفكير والتذكير وأعمال الفتح والحماية وتدبير شئون الجماعات ، ولكنهم يرفعون مقام الإمام الغزالي في منازل الهداية الروحية إلى منزلة تقارب منزلة الرسالة النبوية في بابها ، لولا أن منزلة الوحي لا تدرك بالإرادة ، والاجتهاد ، أو كما قيل في تعظيم قدر جلال الدين الرومي أنه لم يكن نبيًّا ولكن كان له كتاب . ويريدون بذلك أن كتابه يكاد أن يلحقه بالدعاة الإلهيين لولا أنه لا يوحى إليه .

واعتقادنا في الإمام الغزالي أنه كما وصفوه وإن جاز الخلاف في المفاضلة بينه وبين أقرانه من أئمة الإسلام ، ولكننا نذكر الأسماء التي ترد في مورد المناظر عند ذكر الإمام الغزالي فلا نرى أحدًا يفوقه بل لا نرى أحدًا يساويه في جميع مزاياه وهي مزية العقل المقتدر والنفس المنزهة والاستقامة الخلقية وصلاح المتصوف الزاهد وعبادة التقي البصير ، فما من قرين يدركه في جميع هذه الصفات وإن كان من القرناء من يدركه في بعضها على تفاوت في سائر الصفات .

ونحسب أن الخلاف لا ينقطع على مثل هذا التفاوت إذا انتقلنا من القرون الإسلامية الأولى إلى القرن الثالث عشر للهجرة ولكننا نستطيع أن نعيد قول القائلين في الغزالي بالنسبة إلى رجل يضارعه بين المحدثين ، فنقول عن الأستاذ الإمام الشيخ محمد

---

* الأخبار في ١١/ ١٢/ ١٩٦٣ .

عبده إنه أعظم مسلم بعد نبى الإسلام فى هذا العصر الحديث ، ثم لا تنتظر أن يذكر المخالفون اسمًا آخر وهو أولى من اسم محمد عبده بالذكر فى هذا المقام .

ولهذا نغتبط جد الاغتباط بأن تكون سيرته موضوع الدراسة هذا العام لطلاب الفرقة النهائية فى المدارس الثانوية ، ولسنا نغتبط هذا الاغتباط لأننا نرجو لطلاب هذه المدارس كلهم مستقبلا كمستقبل الأستاذ الإمام بين رجال الدين ، فليست هذه بالأمنية المختارة لكل طالب .. ولا هى بالأمنية المختارة للعالم الإسلامى وهو لا يحتاج إلى مثل هذا العدد من رجال دينه ، وإنما نغتبط بذلك لأن القدوة بخلائق هذا الرجل العظيم كافية لتزويد هذه الأمة بأصلح العاملين فى مجال الدنيا ومجال الدين على السواء ، ولم يكن لمحمد عبده رحمه الله فضيلة أبرز وأقوى من هذه الفضيلة المثلى : وهى إقامة الإصلاح الدينى على أساس سليم من إصلاح التفكير وإصلاح الكفاية للعمل فى الحياة كيفما كان ، وأدعى من ذلك إلى الغبطة أننا نراجع الرسائل التى ترد إلينا من الطلاب المستفسرين عن بعض المسائل اللغوية والثقافية فى كتابنا عن الأستاذ الإمام فلا نرى فيها ذلك القصور الذهنى الذى كنا نلمسه فى أسئلة الطلاب قبل سنوات عن مسائل اللغة والتاريخ فى كتاب عبقرية عمر ، ولا نحسب أن أسلوب التعليم الذى يرجع إليه ذلك القصور قد تغير كثيرًا خلال هذه السنوات ، ولكن التغير الذى طرأ على موقف بعض المعلمين خلالها قد ينشأ من اعتقادهم أن سيرة محمد عبده تعرض عليهم اليوم موضوعًا لم يطلعوا من قبل على جميع تفصيلاته ، ولم يزل حكم التاريخ فيه يسمح بالمزيد من المعرفة ، وإن كان طالب المزيد فيها عارفًا بتواريخ الصحابة والخلفاء ، ولا سيما تاريخ عمر بن الخطاب رضوان الله .

وبين أيدينا طائفة من الأسئلة نختار منها شيئًا فشيئًا ما تتسع له هذه اليوميات ، ونبدأ بهذه الأسئلة الثلاثة من « محمود سامى عبد اللطيف » بمدرسة الملك الكامل الثانوية بالمنصورة ومن « أحمد موفق محمد إبراهيم جاد الله » بمدرسة إسكندرية الثانوية ، ومن (ج . ع . أ) طالب ثانوى بالقاهرة .

يقول الأديب محمود سامى :

« .. فى الفصل الذى بعنوان – مع الثورة العرابية – نجد سيادتكم تمجدون أعمال الإمام محمد عبده ومواقفه الحميدة تجاه الاستعمار وتجاه الثورة العرابية . ثم اختتمتم سيادتكم الفصل بأن هناك أخطاء للإمام محمد عبده ولكنها أخطاء لا تضر . والمرجو من سيادتكم توضيح هذه الأخطاء لأننا معرضون للسؤال عن هذه الفقرة » .

وجواب هذا السؤال قد يجده الطالب الاديب مجملا فى الفصل نفسه ، ولكننا نزيدة إيضاحًا بالتفرقة بين نوعين من الأخطاء فى مواقف المصلحين من الثورات التى يشتركون فيها أو يحضرونها :

أحد النوعين هو من قبيل الأخطاء التقديرية التى لا تعاب على الأخلاق ولا على التفكير لأنها ترجع إلى اختلاف وجهات النظر التى تتعدد بين الناس ولا حرج من تعددها ، لأن الاتفاق فى وجهات النظر مستحيل .

والنوع الآخر من الأخطاء يعاب على صاحبه لأنه يرجع إلى سوء النية أو النفاق أو تقديم المطامع الخاصّة على المصالح العامة التى نشبت من أجلها الثورة .

ولم تكن أخطاء محمد عبده فى مواقفه من رجال الثورة مما يعاب ، لأنها ترجع إلى اختلاف التقدير بين العقول .

إن الثورات المفاجئة سيل جائح ربما دفع راكبه على الرغم منه إلى الخطأ الجسيم وهو مضطر إليه عاجز من أجتنابه لأنه عاجز عن تحويل مجرى السيل .

ولكن أعمال الإصلاح المنتظم أشبه شيء بهندسة الأنهار والجسور التى يضبطها المهندس الخبير بإقامة القناطر وبناء السدود وتقسيم المواعيد على حساب مقدور لا يخشى أن يختل فى يديه وهو عارف بما يعمله وبما ينشأ من كل عمل من هذه الأعمال .

ومحمد عبده قد صحب الثورة العرابية بعقلية المهندس الذى يريد توجيه السيل فى مجرى أمين لا خطر منه على البلاد ، وهو يخطأ فى التقدير لا حيلة له فيه لأنه مضطر إليه بحكم طبيعته وطبيعة تفكيره واتجاه مقاصده ، وربما كان مخالفوه مضطرين أيضا إلى مسلكهم لأنهم ركبوا الدولاب المندفع ولم يكن له زمام يقبضون عليه ، وإذا كانوا

مسئولين بعض الشيء لأنهم لم يحسبوا حساب العواقب قبل التورط فيها فهم معذورون بعض العذر كذلك لأن هذه العواقب لا تظهر كلها فى مبدأ الطريق ، ولا يسلم أعداء الثورة – وهم المستبدون والمستعمرون – من حصتهم الكبرى من المسئولية الأخيرة فى خلق المشكلات التى تخلف الحساب وتدفع بالثوار فى كل خطوة إلى مأزق جديد.

وقد كانت للمشتركين فى الثورة العرابية أخطاء معيبة كأخطاء المنافقين الذين يقابلونها بوجهين متعارضين عن ضعف منهم أو عن رغبة فى استغلال الموقف لمصلحتهم أو عن جهل بمقاصد الثوار ومقاصد المستعمرين ، وهذه هى الأخطاء الأخلاقية التى سلمت منها ذمة الأستاذ الإمام ، فكان اختلافه مع أكثر الزعماء العرابيين مبرءا من البواعث الشخصية فى جميع الأحوال.

* * *

ويقول الأديب « أحمد موفق محمد جاد الله » :

« لقد استرعى انتباهى أثناء دراستى لكتابكم – الإمام محمد عبده – ورود كلمة شغلان بصفحة ٢٥٨ طبعة وزارة التربية والتعليم ، ونظرًا لأن هذه الكلمة لم تصادفنى من قبل أثناء مطالعاتى فى كتب الأدب العربى فقد تحفزت للبحث عنها فى معاجم اللغة العربية فلم أهتد إليها .. وإننى أكون شاكرًا لو تفضلتم بإفادتنا عن المصدر اللغوى لهذه الكلمة ».

والذى قاله الطالب الأديب من خلوّ المعاجم من مصدر « شغل » على وزن « فعلان » بضم الفاء صحيح .

ولكن المعاجم قد أهملت مصادر كثيرة على هذا الوزن لا شك فى ورودها على ألسنة العرب لأنها بقيت فى بعض الأسماء الشائعة كأسماء عثمان وقزمان وسفيان ، وليس فى مادة عثم وقزم وسفى مصادر ذكرتها المعاجم على وزن فعلان.

ووضع المصدر على هذا الوزن ضرورة لاغنى عنها لأن كلمة « شغل » لا تؤدى المعنى الذى نفهمه من كلمة الشغلان بزيادة معناها مع زيادة مبناها . ولهذا تعود الكتّاب والمتكلمون أن يتبعوا كلمة الشغل بوصف الشاغل فيقولون مثلا إن « فلانًا » فى

شغل شاغل بهذا الأمر لأداء المعنى الذى تؤديه كلمة شغلان فى أذهان السامعين .

ومثل هذا يجرى فى استخدام كلمة عمران مصدر الفعل « عمر » وهى غير مذكورة فى المعاجم ، ولكننا إذا تكلمنا عن علم « العمران » لم تنفعنا كلمة العمر أو العمارة لأداء الغرض المقصود بدراسة المسائل « العمرانية » .

وليس للمعاجم أن تتحكم فى الأقلام والألسنة بإحصاءاتها الناقصة أو الكاملة لأن كلمة « المعجم » نفسها لم ترد على لسان العرب الجاهليين بمعناها الشائع اليوم ولا بمعنى يقاربه ، ولو تحكمت إحصاءات المعاجم فى تصرف الكتّاب والمتكلمين بالألفاظ على حسب الصيغة العربية بقيت « المعاجم » نفسها بغير اسم مشتق يدلّ عليها .

ولقد وجدت المصادر على وزن فعل وفعلان فى وقت واحد وكان وزن فعلان أدل على المعنى من الوزن الثلاثى ، كما فى كلمات شكر وشكران . وقرب وقربان ، وخسر وخسران ، وكفر وكفران ، وهجر وهجران ، وفرق وفرقان إلى كثير من أمثال هذه المصادر المتكررة لزيادة المعنى بزيادة المبنى .

فإذا كانت كلمة الشغل لاتؤدى معنى الشغلان فلا حرج من استخدام المصدر على وزن فعلان مادام الوزن لا يخالف القواعد العربية والصيغ المصرفية وبخاصة حين نذكر أن المصادر من هذا الوزن لم تذكر كلها فى المعجمات .

* * *

ويقول الطالب الأديب « ج . ع . أ » إن معلمهم الذى يشرح لهم كتاب محمد عبده لا يدرى أى الرجلين أعظم وأنفع للعالم الإسلامى : محمد عبده أو أستاذه جمال الدين ، وأن المعلم لا يريد أن يطرق هذا الموضوع ولا يراه لازمًا لفهم دروس الكتاب .

وربما كان معلم الطالب على حق فى تحرّجه من طرق هذا الباب على سبيل المفاضلة ، لأنه لا يريد الإساءة إلى أحد الرجلين العظيمين فى سبيل الثناء على صاحبه ، وكلاهما يأبى الإساءة لأخيه .

وأولى من هذه المفاضلة التى تنتهى إلى التصغير أو التكبير أن نقابل بينهما مقابلة تبدى

لنا الفارق بين المنهجين والاختلاف بين طبيعة العبقريتين ، ولا صعوبة فى إظهار الفارق الذى لا غضاضة فيه على أحد منهما ، فإن السيد جمال الدين خلق بطبيعة الداعى المنبّه الذى استعد بمزاجه وتربيته لإيقاظ الهمم وتحريك الخواطر ، وملك من عدّة الحماسة والحركة ما يغنيه فى سعيه وأسباب نشاطه ، ورزق محمد عبده نصيبًا موفورًا من القدرة على الدعوة والتنبيه ولكنه استعد لعمله – بعد عمل أستاذه – بطبيعة المصلح المعلم وعدّتها غير الحماسة والحركة عدة الحزم والعزيمة والصبر الجميل مع القدرة على احتماله ، وقد كان كلاهما متممًا لصاحبه فى أوانه ، فلم يكن من مصلحة الدعوة أن يبدأ جمال الدين بطبيعة المعلم المصلح قبل إيقاظ الهمم لطلب الإصلاح ، ولم يكن من مصلحة هذه الدعوة كذلك أن يستمر محمد عبده بعد استاذه فى دور الإثارة وحماسة الحركة بعد أن تمهدت الطريق لتقرير مبادئ التعليم والإصلاح .

وكلا الرجلين – بعد هذا – أفضل من صاحبه فى دوره الذى اختاره ، واختارته له أحوال الزمن ، إن كان لابدّ من المفاضلة والتفضيل .

كتب العباقرة لا تهطل كالمطر*

توفيق الحكيم فى الفصل الأخير من مسرحية إيزيس

اتهم الإمام محمد عبده بالكفر بسبب المرأة !

ماهى الحركة الفكرية ؟

إنها ليست مطرًا من كتب الوحى العبقرى الخالد الذى يبقى على العصور ، فإننا لا نعرف حركةً فكريةً فى التاريخ تركت لنا أكثر من بضعة كتب معدودة على الأصابع لم تبلغ قط أن تعد بالعشرات .

وهذا عصر النهضة كله فى الغرب كم بلغ من عدد الكتب التى أورثها الأعقاب واستحق بها أن يسمى عصر النهضة أو عصر التقدم ؟

لا تزيد هذه الكتب على عشرتين أو ثلاث عشرات ، ألفها أصحابها فى حقبة من الزمن تتراوح بين سبعين سنة ومائة أو مائة وعشرين .

ويصدق هذا على نهضاتنا الشرقية فى عهد العباسيين أو الفاطميين ، فإن آثارها الخالدة تحسب على أصابع اليدين ولا تحسب بالعشرات والمئات ، وقد بدأت النهضة وانتهت واستغرقت بين بدايتها ونهايتها جيلين أو ثلاثة أجيال ولم تخلف بعدها غير تلك الآثار المعدودات .

إن كتب الوحى العبقرى الخالدة لا تهطل على الأرض أمطارًا غزارًا بغير عدد ، ولكنها فلتات من الظواهر السماوية لا تطلع على الأمطار إلا فى الحين بعد الحين ، وهذه جملتها الباقية فى تاريخ الإنسانية كله لا تبلغ أن تحسب بالمئات فى جميع اللغات .

فالذين ينكرون الحركة الفكرية فى مصر لأنها لا تطلع لهم بثمرة من ثمرات الوحى الخالدة إنما يهذرون بما لا يعرفون ، وإنما يطلبون شيئًا لم يطلب قط فى عصر من عصور

---

* أخبار اليوم فى ٢٨/ ٢/١٩٥٦ .

النهضات فضلا عن سائر العصور ، وكل ما يفهم من كلام هؤلاء الهاذرين أنهم يصدرون من جهل أو حقد أو قصر ذيل كما يقول أبناء البلد ، ويؤيد هذه الصفة أو هذه الصفات فيهم أنهم عقماء العقول والقرائح لا يثمرون ولا يبصرون ما يثمره الآخرون .

ويكفى للحركة الفكرية أن تصدر منها المؤلفات فى مختلف الموضوعات ، ثم يبقى منها ما يبقى فى ذمة الخلود باختيار الزمن الذى يحمل بين يديه أصدق الموازين ، وقلما يتسرب إليه الخطأ فى وزن العصور أو آثار العصور .

وعلى هذا يمكن أن يقال إن الحركة الفكرية فى مصر حقيقة لا شك فيها ، لأنها تبرز لنا كل أسبوع طائفة منوعةً من المؤلفات يقرأها المئات والألوف ، وبين يدى اليوم أكثر من ثلاثين كتابًا تفضل مؤلفوها بإهدائها إلىّ وقرأت منها ما سأكتب عنه فى هذا المقال وأنوى أن أتابع قراءتها كلما استطعت ، وعسى أن أستطيع .

وهذه الكتب غير نظائرها التى لم تصل إلىّ ، وغير الكتب التى تعتبر من النشرات الدورية ، أو من المقررات المدرسية ، وهى أضعاف أضعاف .

ولا أحسبنى أدل على تنوع هذه الكتب بأكثر من دليل المصادفة فى قراءتها .

فإننى قرأت منها قصة مسرحية لأديب مشهور ، وكتابًا عن رائد الفكر الحديث لأستاذ جامعى ، وكتابًا عن المرأة لعالم أزهرى ، وكتابًا عن البيان والبلاغة لعالم من دار العلوم ، وكتابًا عن تاريخ الشعب فى كفاحه لأديب مشغول بتاريخ العصر الحديث .

والقصة المسرحية هى قصة « إيزيس » للأستاذ توفيق الحكيم .

وكتاب رائد الفكر الحديث هو سيرة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده للدكتور عثمان أمين .

وكتاب العالم الأزهرى هو كتاب « المرأة فى الإسلام » للأستاذ كمال أحمد عون .

وكتاب العالم من دار العلوم هو كتاب « البيان العربى » للدكتور بدوى طبانة .

وكتاب التاريخ الحديث هو كتاب « كفاح الشعب » للأستاذ محمد أمين حسونة .

وعلينا أن نؤدى لكل كتاب من هذه الكتب حقّه فى كلمة موجزة على حسب المقام .

إيزيس

فقصة إيزيس عرض جديد للأسطورة المصرية القديمة جمع فيه الأستاذ الحكيم مشكلات الحكم ومشكلات الرأى ومشكلات الأخلاق فى سطور معدودة على أسلوبه الشائق من الحوارّ والتعليق .

مشكلة الحكم بين من يخدم المحكومين ومن يستخدم المحكومين .

ومشكلة الرأى بين من يتحرى المثل الأعلى فى حكمته ومن يتحرى الحكمة كما يمليها الواقع أو يمليها الأمل فى النجاح .

ومشكلة الأخلاق بين المثالية والنفعية أو بين منفعة الإنسان لنفسه ومنفعته للآخرين .

وقد كان الأستاذ الحكيم على أحسنه فى أكثر الفصول ، ولكنه لم يكن كذلك فى الفصل الآخير ، لأنه أسقط فيه الطاغية طيفون بحركة كحركة اللاعب الذى يحمل الشاه عنوةً من رقعة الشطرنج ليقذف به فى الصندوق ، ولم يسقطه لأنه قيل له « كش الشاه » فمات ولم تكن له حيلة فى النجاة .

ومما نلاحظ على الفصل الأخير أن المؤلف وكل تهدئة الشعب إلى شيخ البلد المكروه دون أن تكون له سلطة محمية ، لأنه كان ينازع أميره المهدد بالخلع ، ودون أن تكون له سلطة من المحبة والثقة لأنه متهم بين سامعيه بالإجماع .

ومن العبارات التى لا تجرى مجرى الكلام المألوف أن يقول غلام عن زميله : « صديقى فلان » .. فإننا لا نسمع طفلا يستخدم كلمة « الصداقة » فى الكلام عن زميل .

ومن تلك العبارات عبارة الطبيعى وغير الطبيعى بمعنى المعقول المألوف والمخالف للمعقول والمألوف ، فإن استخدام هذه الكلمات بهذا المعنى غريب فى عصر الأساطير.

وقد ختم الأستاذ الحكيم قصته بخلاصات موجزة فى سطور قليلة تصلح كل خلاصة منها موضوعًا لمجلد وافٍ أو مجلدات ، وإن خلاصة واحدة من هذه الخلاصات لتدل على سائرها ولا تغنى القارئ عن مراجعتها فى جملتها وهى الخلاصة المركزة فى هذا السؤال :

« هل الاهداف السماوية لا تتحقق على الأرض بين البشر إلا بالطرق البشرية ! »

رائد الفكر المصرى

أما رائد الفكر المصرى فهو عنوان كتاب الدكتور عثمان أمين عن الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله.

وهذا الكتاب ولا ريب أوسع ترجمة تحليلية كتبت للأستاذ الإمام وفَّى بها المؤلف الفاضل حق الشكر والتقدير لذلك الرجل العظيم فى ذكراه ، لمناسبة انقضاء خمسين سنة على وفاته . ولم يبالغ الأستاذ عثمان أمين فى تقدير الرجل حين سماه برائد الفكر المصرى ، لأنه فى الحق رائد الفكر فى الشرق الاسلامى كله ، وإليه تنسب « النهضة الاندنيسية » التى انتهت بتحرير تلك الأمة الكبيرة من الاستعمار ، وتلاميذه فى الصين والهند وآسيا الشرقية الجنوبية يشهدون بفصله ويرددون ذكراه ، ونسمع ترديد تلك الذكرى مروية عنهم فى كتب الرحالين الغربيين الذين يكتبون اليوم عن الشعوب الآسيوية ، وقلما ينقضى موسم من مواسم النشر عندهم على غير كتاب فى هذا الموضوع .

ونحن نعتقد أن أثر الأستاذ الإمام فى النهضة الفكرية أوسع جدًّا مما يبدو على ظاهر التاريخ ، فإن الرأى السابق إلى الظن أن إمامًا دينيًّا يلقى دروسه فى الأزهر إنما يحسب له فضله فى هذا المجال ولا يزيد عليه ، ولكنه فى الواقع صاحب الفضل على أدب العصر كله بمدارسه المختلفة من مدرسة حافظ إبراهيم والمنفلوطى إلى مدرسة المازنى وكاتب هذه السطور ، وأذكره أننى قرأت له واستفدت منه ولم أجاوز الخامسة عشرة

يوم كان الرجل هدفًا لحملة المأجورين الذين اتهموه بالزندقة والإلحاد .. واذكر أن سيرة الأستاذ الإمام كانت من أوائل السير التى تعارفنا عليها يوم تمّ التعارف بيننا وبين زميلنا المازنى رحمه الله .

والجديد فى ترجمة الدكتور عثمان أمين أنه استعان بمطالعاته الفلسفية على استقصاء فلسفة الإمام والمقابلة بينها وبين مذاهب الحكماء المتقدمين ، وأن عناية الدكتور عثمان بهذا الرائد العظيم لهى أية أخرى على عموم أثره بين مدارس الفكر الحديث من كل وجهة وكل نشأة ، لأنه لمح ذلك النور المنبثق من مطلعه الأزهرى ، وهو من تلاميذ الجامعة العصرية وأساتذتها المعدودين .

المرأة فى الإسلام

ولعلنا لا نعتسف النسبة إذا قلنا إن كتاب « المرأة فى الإسلام » أثر من آثار الإصلاح الذى تصدى له الأستاذ الإمام وأصابه من جرأته ما أصابه من عنت الجامدين والجاهلين ، وأوله الاتهام بالكفر والمروق .

فمؤلف هذا الكتاب الأستاذ « كمال أحمد عون » عالم من علماء النهضة الأزهرية الحديثة ونموذج للعالم المسلم كما أراده الأستاذ الإمام أن يكون .

ونحسبه قد سلك المنهج الأمثل الذى يتفتح أمام المصلح الدينى فى عصرنا الحاضر . وهو إقامة الدليل من الكتاب والسنة على أن الإسلام لا يعرقل المصلحين ولا يقيم العقبات فى طريق المسلم الذى يجارى العصر فى علومه ومعارفه ويريد أن ينتفع بالحياة الحديثة على أصحها وأوفقها للفرد والجماعة .

وزبدة الرأى الذى انتهى إليه الأستاذ – كما جاء فى الصفحة المائة والخامسة والستين – أن أحدًا من فقهاء الدين لا يقول « بأن المرأة ممنوعة من إبداء رأيها أو توجيه النصح للحاكمين أو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر متى كانت عالمة بما تقول ، وفى الكتاب الكريم : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) .

فإذا كان هناك خلاف على تطبيق الحقوق السياسية التى تتولاها المرأة فرجعه إلى اختلاف النظر فيما هو من المصلحة وما ليس من المصلحة . على حسب الأحوال والبيئات التى يجرى فيها تطبيق تلك الحقوق .

ولا نخال بعد هذا أن الأمر يدعونا إلى المفاضلة بين كفايات الرجل وكفايات المرأة لولاية الشئون العامة .

فالمسألة كما أبديناها وأعدناها مسألة توزيع العمل بين الجنسين لا مسألة الموازنة بينهما وإعطاء الدرجات لهما فى امتحان الكفايات .

ومما لا نزاع فيه أن المرأة أصلح ماتكون لتدبير البيت وتربية الناشئة وإعداد الجيل القادم وقيادة المستقبل من هذا الطريق ، وهو عمل عظيم لا يقل عن عمل الرجل فى جلالة شأنه وحاجة النوع الإنسانى إليه .

نعم إن ظروف الحياة الحديثة قد ألجأت المرأة أحيانًا إلى المزاحمة فى الحياة العامة باختيارها أو على كره منها ، ولكنه خلل فى النظام الاجتماعى الحديث ينبغى أن نصلحه ولا يجوز أن نقيم المستقبل على أساسه ، فإن مايقام على الخلل فى الوقت الحاضر يختل لا محالة بعد حين ويتفاقم الخطر منه حين لا جدوى ولا أمل فى تداركه واتقاء عقباه .

ولقد كان من خلل الحياة الحديثة أنها ألجأت الأطفال إلى العمل فى المصانع والأسواق ، فلم نجعل هذا الخلل أساسًا لتربية الناشئة ولم نزل نمنعه ونحاول إغناء الناشئة عنه ممن يحتاجون إليه جهدالمستطاع .

وهكذا ينبغى أن نصلح الخلل الذى يخرج المرأة من دارها ويقصيها عن « مملكتها » المفضلة لديها لو ملكت زمام أمورها .

ومن مزايا الدين الإسلامى فى حكمته الاجتماعية أنه يعاون على الإصلاح الذى يؤدى إلى إقرار المرأة فى مقرها الأمين ولا يعوقه بحكم من أحكامه أو تقليد من تقاليده .

إن كتاب « المرأة فى الإسلام » لكفيل ببيان الحجة لمن أرادها من المصلحين الذين يؤثرون خدمة المجتمع الحديث مع التزام حدود العقيدة الروحية ، لأنها مساك كل مجتمع قديم .

البيان العربى

والكتاب الرابع الذى يتسع هذا المقال لإجمال الرأى فيه هو كتاب « البيان العربى » كما شرحه الدكتور بدوى طبانة مدرس البلاغة والنقد الأدبى بكلية دار العلوم.

وقد أشار مؤلفه فى مقدمته إلى منهجه بعد الإحاطة بآراء الأقدمين فقال: « لم أقف عند حدودهم وتقسيماتهم بل درستها دراستين: دراسة تاريخية تتبع كل فن منها من أقدم وقت تنبهت الأفكار إليه، إلى غاية ما استقر عليه فى أذهان المتأخرين وما صورته كتبهم، ودراسة أخرى فنية تعالج كل فن من فنون البيان علاجًا أدبيًّا نقديًّا تدرس جدواه وقيمته .. ».

ونحب أن نقول بعد ما ألممنا به من فصول هذا الكتاب: إن دراسة البيان العربى تستقيم من الناحية المنطقية والناحية الذوقية كما تستقيم من الناحية التاريخية والناحية الأدبية، وقد كانت عناية المؤلف الفاضل بالجانب التاريخى الأدبى أوفى من عنايته بالمقياس المنطقى والمقياس الذوقى اللذين يتخللان كل نقد أدبى سبقنا إليه أئمة البلاغة منذ القرن الثالث الهجرى إلى الآن، ومنهم من يغلب عليه المقياس المنطقى حتى فى الأسماء والمصطلحات، ومنهم من يغلب عليه تحكيم الذوق والاجتهاد فى ضبط قواعده حيثما استطاع التوفيق بين القواعد والأذواق.

وما البلاغة العربية بشىء إن لم تكن بلاغةً منطقيةً ذوقيةً فيما كتبه البلغاء وفيما استخلصه نقاد البلاغة من الأصول والأقسام ولا يزال الباب مفتوحًا لدراسة علوم البيان والبديع والمعانى فى اللغة العربية على ركنيها الأصليين من المنطق المحدود والذوق الذى ليست له حدود، ولكنه لا يقبل الشذوذ المطلق عن تلك الحدود، لأنها حدود تفرق بين أبواب البلاغة وليست بقيود تعوق السالك فيها إلى منافذها المبسوطة أمام القرائح والملكات.

كفاح الشعب

ونختم هذه المجموعة من آثار الحركة الفكرية فى مصر بكتاب عن تاريخها الحديث سماه مؤلفه الأديب الأستاذ « محمد أمين حسونة » بكفاح الشعب .

وأصاب فى هذه التسمية أوكان عند موعدها من بيان تاريخ هذا الكفاح منذ القرن السابع عشر إلى اليوم .

أدار المؤلف الباحث جزأه الأول على « الوعى القومى » وأدار الجزء الثانى منه على « الوعى الثورى » وجاء فى كلا الجزءين بمعلومات محققة لم يسبقه مؤرخ إلى نشر الكثير منها ، إذ كان بعضها « المهم » مطويًّا فى أضابير القصور الملكية لم يتكشف للبحث والمراجعة إلا بعد زوال الدولة وإباحة الاطلاع على خفايا تلك الأضابير.

وربما كان فى تعليقات الأستاذ حسونة على الوثائق والحوادث ما يختلف الرأى عليه ، ولكن هذه التعليقات مع وثائقها وحوادثها لازمة لذوى الآراء المختلفة عند إعادة النظر فى الحكم على إبطال الحوادث وأسرار البواعث الشخصية والقومية ، أيام محمد على وأيام توفيق ولى الأمر عند نشوب الثورة العرابية على الخصوص .

ونرى أن المؤلف قد أحسن توقيت التاريخ العصرى حيث بدأ بنهاية عهد المماليك ، لأن الحوادث التى تتابعت بعد ذلك هى التى دخلت فى أطوار تكوين الأمة السياسى والاجتماعى منذ الاحتلال الفرنسى إلى الاحتلال البريطانى ، وفى كل طور من هذه الأطوار يضيف المؤلف صفحة جديدة من الوثائق المطوية أو أسلوب العرض والتحليل ، وسيعرف القارئ العصرى لغة جديدةً ولا شك من مصطلحات هذه الفترة لا يفهمها اليوم غير الذين أطلعوا عليها فى مصادرها .. فمن العسير على قارئ العصر أن يفهم أن الإمرارية تعنى ديوان المرور وأن الانجرارية تعنى ديوان النقل النهرى وأن البصاص تعنى البوليس السرى وأن الجوربجى تعنى العمدة وأن الروزنامجى تقابل مدير مصلحة الضرائب وأن الشاهبندر تقابل رئيس الغرفة التجارية وأن خوجة باشى

تقابل المدرس الأول .. إلى بقية المصطلحات التى أثبتها المؤلف – مع ترجمتها – فى صدر الكتاب ، لأنها أحوج إلى الترجمة من مصطلحات اللغات الأجنبية فى هذا الزمن !

وبعد ....

وبعد فهذه خمسة كتب من التى تتألف منها الحركات الفكرية فى كل أمة قديمة أو حديثة ، لأنها تجمع العمل الفنى والترجمة التحليلية والبحث فى العقيدة والاجتماع ونقد البلاغة وتاريخ العصر . وهى لا تكثر فى بلد ثم يقال إنه خلو من الحركة الفكرية كما يقول الصياحون الذين لا يحسنون من ضروب الإنتاج غير الصياح بهذا الإنكار .

ونحن نقول إن هذه المؤلفات تكثر فى مصر لأن الكتب الخمسة التى أجملنا الكلام عنها يصحبها خمسة وعشرون كتابًا غيرها مما وصل إلينا ، وقد يصحبها مثل هذا العدد من الكتب التى لم تصل إلينا أو لم نعلم بصدورها .

ومن الإنصاف أن يقال إن الحركة الفكرية موجودة كما توجد فى كل زمن ، إذ هى لا تكون فى عهد من العهود مطرًا يهطل بالوحى الخالد فى كل كتاب .

وفى الختام

ثم نقضى حق الإنصاف كله فنقول إن الحركة الفكرية عندنا « تتحرك » على الأكثر فى المناهج المطروقة والمسالك المعبدة وقليلا ما تتحرك لفتح الطريق المغلق واقتحام الفجاج القصيّة أو المجهولة .

ولكننا لا نذكر هذا إلا وجب علينا أن نذكر ماينساه الصياحون المنكرون ، حين يصبحون ويمسون بين الإنكار وإعادة الإنكار وما ينكرون إلا الحقيقة البينة فى وضح النهار .

برميل النفاية .. والأدب الواقعى*

دفاع .. عن الفسيخ

كتب إلينا حضرة المهندس الزراعى « الأستاذ فرحات هلالى » يقول – تعليقا على رأينا فى الأدب الشعبى – إنه لا يفهم الأدب الشعبى بالمعنى الذى يريده بعضهم ، لأن القراء عندنا يقرأون لجميع الكتاب ، ثم استطرد إلى السؤال عن رأينا فى الإسلام والشيوعية مما لا يتسع المقام لتفصيله وقد نعود إليه فى مثال آخر ؟ ثم ختم خطابه قائلا :

« وسؤال أخير عن الأدب الطبيعى والأدب الواقعى : هل اللغة فقط هى جوهر الخلاف كما يقول بعضهم ؟ إن كان كذلك فالأدب الطبيعى يعتبر امتدادًا للتراث وحافظًا لكل مقومات الأدب ، وإننى أقرأ الأدب الواقعى ولكننى أطرب كثيرًا حين أقرأ الأدب الطبيعى ... »

ورأينا فى سؤال المهندس الأديب أن تقسيم الأدب إلى مدارس ومذاهب عمل من أعمال الناقد أو مؤرخ الآداب ، ولكنه ليس بعمل من أعمال الخلق والإبداع ولا يجوز أن يتحكم فى توجيه القرائح إلا من باب التمييز بين المحاسن والمآخذ على اختلاف المدارس والدعوات .

ولهذا تنشأ مدارس النقد بعد نشأة المدارس الأدبية ، ويبتدئ هذا من عهد أرسطو وشعراء اليونان ، فإنه كتب عن قواعد الشعر بعد عصرهم بنحو خمسين سنة ، وكذلك حدث فى الأدب العربى القديم فلم يظهر النقاد إلا بعد ظهور الشعراء فى الجاهلية ثم ظهور الشعراء المخضرمين ، ويصدق هذا على الأدب الأوربى الحديث كما يصدق على أدب اليونان والعرب الأقدمين . فلا تأتى مدارس النقد والتقسيم إلا مسبوقة

---

* أخبار اليوم فى ٢٦/ ٥/ ١٩٥٦

بمدارس الشعراء والأدباء ، ولا يجوز تقييد القريحة المنتجة بالبرامج التى يفرضها النقاد ومؤرخوا الآداب إلا للتبصرة بما يستحسن وما يعاب ثم تعمل القريحة عملها منطلقةً حرةً من القيود والبرامج والحدود .

ويتفق فى كثير من الأحوال أن تبدأ المدارس منفصلة ثم تختلط على أصحابها قبل أن تختلط على غيرهم فلا تسهل التفرقة بينها بعلامة خاصة لا تشترك فيها مدرستان أو أكثر من مدرستين .

ونتخذ المثل من المدرستين اللتين أشار إليهما المهندس الفاضل وهما المدرسة الواقعية والمدرسة الطبيعية .

فالأصل السابق فى تاريخ الظهور هو المدرسة الواقعية Realism ثم جاءت المدرسة الطبيعية فرعا منها وتخصيصا لبعض ملامحها العامة .

والواضح من التسمية أن المدرسة الواقعية ضد الخيالية أو المثالية .

وأن المدرسة الطبيعية Naturalism هى ضدّ الصناعية والفنية أو ضدّ التكلف والحذلقات بالمحسنات وأساليب الصقل والتجميل .

وعلى هذا يكون الكاتب واقعيا مخالفًا للمثاليين والخياليين ولا يكون من اللازم أن ينكر جمال الأسلوب وقواعد البلاغة والاناقة الفنية .

وعلى هذا أيضًا يكون الكاتب طبيعيًّا ولا يلزم من ذلك أن ينكر الواقعية ويخالف رأى القائلين بها فى اجتناب النزعات المثالية والخيالية .

ثم مضت على ظهور المدرسة الطبيعية بضع سنوات واختلط الحابل بالنابل فلم يعرف أحد بعد ذلك ما هى الحدود التى تميز بين المدرستين . لأن المدرستين معًا تتلاقيان فى حب الإسفاف والهبوط بالمعانى الإنسانية إلى الأدنى فالأدنى كأنهما فى سبق إلى هاوية الدمامة والابتذال .

فلا واقعية عندهم ولا طبيعية إلا إذا تعلقت بوصف الحقائر والخسائس ومواطن الخطة والابتذال ، وخرجت المدرستان بذلك عن الواقعية والطبيعية كما تفهمان عن اللفظ والمعنى على السواء .

إن الكاتب الذى يدخل إلى المنزل فيصف حجرة الاستقبال وتحف الآنية لهو كاتب واقعى أو طبيعي بغير مراء ، ولكن جماعة الواقعيين والطبيعيين يحسبون أنهم لا يكونون كذلك إلا إذا خصوا بالوصف برميل النفاية وما هو أقذر من برميل النفاية ، ويفعلون فعل الصراصير والذباب ولا يفعلون فعل الفراش أو فعل النحل . وهى طبيعة واقعية لم تخلقها « فبريقة » من فبريقات الصناعة ولم تعمل فى خلقها يد غير يد الإله .

ومهما يكن من صدق التصنيف والتقسيم فهما عملان نافعان فى اجتناب العيوب وقلما ينفعان فى خلق الملكة المبدعة والقريحة المثمرة عند من لا ملكة عنده ولا قريحة ولا قدرة على إخراج البدائع والثمرات ، ولا توجد مدرسة واحدة تتشابه فى تجويد الثمرات الفنية بإردائها أو بالشروط التى تمليها على أتباعها ، وإنما تستطيع شيئًا واحدًا وهو اجتناب العيوب التى تنكرها بطبعها واستعدادها فلا تقع فيها عادة ولا تقع فيها من باب أولى بعد الانتباه إليها .

ولقد وجد التقسيم والتصنيف قديمًا فى منازل الشمس والقمر والثوابت والسيارات ، فهل هناك حقا منازل من هذا القبيل تعرفها الشمس ويعرفها القمر وتستقر فيها الثوابت والسيارات أو تدور ؟

كلا ... ليس فى السماء مكان يسمى برج الأسد ولا مكان يسمى برج الجدى أو برج العقرب ، وليس هناك غير علامات نراقبها نحن ولا تراقبها النجوم والسيارات . وهكذا تنقسم مدارس الآداب والفنون فى مرصاد النقد والتاريخ ولكن الذين يخلقون الآداب والفنون لا يعرفونها ولا يصدرون عنها فيما يعملون وما يبتدعون .

وخلاصة هذا كله أن التقسيمات والتصنيفات من عمل النقد والتاريخ وليست من عمل الخلق والابتكار ، والناس قد ينتفعون بعلم الأجناس البشرية فى تمييز المحاسن والعيوب ، ولكنهم لا يلدون أبناءهم لأنهم يقرأون علم الأجناس البشرية أو علم المواليد بما يختاره له علماؤه من الأسماء والعناوين .

شم النسيم والبصل

وها نحن أولئك لا نأبى أن نحسب من الواقعيين أو من الطبيعيين حيث يصح هذا الحساب ، لأننا ننتقل من أبراج السماء ومذاهب الأدب إلى البصل والفسيخ .

كتب إلينا العالم الكيمى الدكتور ناشد سيفين من الإسكندرية يقول تعقيبا على ماكتبناه عن شم النسيم :

« .. وهذا العيد كما قلتم هو عيد رأس السنة وعادة شم البصل عند القيام من النوم فى صباح ذلك اليوم هى للتذكير بهذا ، وهو تقليد مأخوذ من عادة لا تزال باقيةً فى الريف إلى أيامنا . وهى أن يشم الطفل البصل عند ولادته لتنبيهه بماله من رائحة نفاذة . غير أن الناس الآن لجهلهم الغاية من هذا التقليد وسببه صاروا لا يكتفون بشمه بل يأكلونه ، ولكى يجعلوا أكله مستساغًا أضافوا إليه الفسيخ فصار طعامهم المفضل فى يوم شم النسيم .. ولقد كان عيد رأس السنة يقام طبعًا لأسطورة عن الآله تقول إنه غضب على الناس فى الزمان القديم لعصيانهم فسلط عليهم مهلكًا على هيئة أنثى الأسد فأمعن فى الناس تقتيلا حتى تغطت الأرض بالدم واصطبغ النهر بلونه ثم عفا الإله عن الذين اختارهم ليكونوا شعبه فأرسل هاتور بحيلة تنفذها وهى أن تأمر النساء أن يصنعن من الشعير خمرًا ويمزجنها بعصير العنب الأحمر ليكون منه شراب مسكر بلون الدم ثم يسكبنه فى الفجر قبل بزوغ الشمس فى الأماكن التى اجتازها المهلك فيحسب أنه دم أعداء الإله ... وأمر الإله أن يعتبر هذا اليوم أول الأيام ويقام فيه العيد باسم هاتور وتشرب الخمر التى بلون الدم لذكرى الخلاص ، واعتياد الناس الخروج مبكرين فى يوم شم النسيم إلى الأماكن الخلوية ومعهم شراب العنب والأشربة الأخرى المصنوعة من الشعير هو بقية تقاليد كانت عند الأقدمين .. وقد أخرج بنو إسرائيل من مصر فى شهر أبيب ، وفى الشهر الثالث أى فى توت الذى يقع فيه رأس السنة المصرية هفت نفوس القوم وهم فى برية بسيناء إلى مباهج ذلك العيد وطلبوا أن يصنع لهم تمثال

عجل – وكانت هاتور ترسم على صورة بقرة – ثم نادوا غداً عيد للرب ، وبكروا من الغد فجلسوا للأكل والشرب .. ولنذكر أن اليهود جعلوا شهر أبيب فصحاً لهم يحتفلون به فى الرابع عشر من شهر نيسان وهو يوافق إبريل بحسب التقويم الغربى .. ولست فى حاجة بعد ذلك لأن أبين لسيادتكم أن قوم إسرائيل ذكروا الضربات ومنها تحويل الماء إلى دم على منوال القصة المصرية ليكون لهم عيداعلى شاكلة عيد هاتور .. »

* * *

ونحن ننشر ما اتسع له المقام من خطاب العالم الكيمى الباحث الدكتور سيفين شاكرين له دراسته التاريخية لنستخلص منها ماينبغى أن يخلص للقراء العصريين من أبناء مصر : وهو ضرورة العودة إلى كتابة قصة الخروج – خروج بنى إسرائيل – من الوجهة المصرية التى هى فى الحق وجهة التاريخ الصحيح .

فالواقع – من القرائن التاريخية – أن بنى إسرائيل الذين خرجوا مع موسى عليه السلام لأسباب دينية قليلون جدا بالقياس إلى جميع أسباط إسرائيل ، ولهذا كان منهم من يقول له – كما جاء فى العهد القديم – من الذى ولاك علينا وخولك حق القضاء بيننا ؟

ولم تكن جمهرة القوم ممن ينكرون العقائد المصرية ولا كان علماء المصريين ممن يجهلون التوحيد ، بل كانوا موحدين كما قال أبو التاريخ هيرودوت .

ولكنها كانت فترة إرتداد بعد شيوع الوحدانية كما يؤخذ من تاريخ عصر إخناتون ، وخرج القليلون مع موسى عليه السلام.لأسباب دينية وخرج الآخرون كراهة للعمل اليدوى الذى سخرهم فيه أمراء الشمال ، وبقيت جملتهم على التقاليد المصرية فى الأعياد والشعائر والقرابين ، ومنها الاحتفال بعيد الربيع الذى سموه عيد الخروج ، ومنها أناشيد الصلاة التى ينظمونها على قواعد النظم الفرعونى مع أنهم ساميون .

البصل والفيتامين

إلا أننا نخالف الدكتور سيفين فى مسألة من مسائل الكيمياء أو تاريخ الكيمياء . فإن تقديس البصل وارتباطه بالولادة والحياة تقليد مصرى قديم يدل على عراقة هذه الأمة فيما نحسبه اليوم من أحدث المعلومات ، وهو معلوماتنا عن الفيتامينات والهرمونات .

فالمصريون كانوا يقدسون من الخضر أصنافاً ثلاثة لعلها أغنى الخضر بالفيتامينات وهى البصل والخس والثوم .

فالبصل – وهو مأخوذ من الاسم المصرى بسرو – قربان محبوب فى الشعائر الفرعونية ، وتوجد له صورة بين القرابين المقدسة إلى جوار الباب الكبير بمعبد القرنة ، ويدخل فى شعائر الاحتفال بالربيع ، لأنه مع البيض من رموز الحياة والولادة .

والثوم يقدسونه ، ويختلط الأمر على الشاعر الرومانى الهجاء جوفينال فيقول متبرماً : ماذا أصنع بين قوم يعبدون الثوم ؟

والخس يسمى عندهم « عفت » ويوصف بالحشيش المقدس كما جاء فى ورقة العلامة « إيبرز » عالم المصريات المشهور ، هو من القرابين المستحبة عند إله النسل ، وله خاصة تساعد فى اصطلاحنا العصرى على توليد الهرمونات .

فالمصريون الأقدمون كانوا يعرفون هذه النباتات بخصائصها ويقرنون بينها وبين شعائر الأعياد فى مناسباتها ، وأكلهم للفسيخ عادة قديمة لعلها تجددت وشاعت بعد الإقبال عليه رغبة فى المشهيات على أثر الصيام الطويل .

وليس بالفسيخ – فى الواقع – من عيب .. وإنما العيب فى أكله مع النشويات وفى الإفراط منه والإكثار من شرب الماء عليه ، ولا أكتم الكيمى الفاضل أننى أصنعه أحياناً فى منزلى ولا أشكو منه كما يشكو الذين يسيئون أكله .. لأنه من أحسن الأطعمة وأغناها بمادة الغذاء .

أما قصة الشراب الأحمر فإننى أحيل الدكتور سيفين إلى خلاصتها التى نقشت على جدران الحجرة الخاصة فى هيكل سيتى الأول الذى بنى قبل خروج بنى إسرائيل من الديار المصرية ، وأحيله كذلك إلى كتابنا عن إبليس لأننا أجملنا فيه هذه القصة ثم عقبنا على إجمالها بالعبارة التالية :

« وتروى قصة النقمة من البشر على روايات شتّى يكثر فيها التناقض على ما هو مألوف فى الأساطير الأولى ، فأشدها وأصرمها هذه القصة التى نقشت على هيكل الملك الذى يهمه أن يبالغ فى بطش الأرباب ومصير العصاة ، وأقربها إلى الرفق تلك الروايات التى تقول إن الأرباب راجعوا الإله الأكبر وراح بعضهم يصبغ جسمه بالأصباغ الحمراء ليحكى بها لون الدم ويزعم للأرباب الساخطين أنه قد أريق منه ما يكفى للزجر والعقاب ... »

وربما كان أحدث الآراء فى تفسير هذه الظاهرة كما حدثت لأول مرة قبل وجود بنى إسرائيل فى مصر أن نجمًا مذنبًا عبر بوادى النيل فامتزجت غازاته بالنيل فاحمر لونه وفسد ماؤه وكثرت حشراته وأصيب الناس بالأوبئة وطفا بعض الماء على وجه الأرض فأصاب الزرع وأتلف الثمرات وعم القحط بعد ذلك ، وأصبحت القصة نموذجًا لما أتى بعدها من قصص العقاب أو قصص الضربات والنكبات .

وأيًا كان تفصيل القصة فللتاريخ المصرى القديم كلمة فيها لم يقلها بعد ، وأكثرها مخالف لكلمات بنى إسرائيل ومن تبعهم من رواة القال والقيل .

بين ستالين .. وتفسير القرآن الكريم *

من طرفين متقابلين جاءتنا رسائل التعليق على ماكتبناه فى اليوميات عن غباء ستالين بعد الانقلاب الفكرى الذى أعرب عنه أعوانه بالأمس وخلفاؤه ونقاده اليوم ، وتحدثوا فيها قالوه عن مساوئه وجرائمه ودلائل خطله وسوء رأيه ، ومنها أنه رفض الإصغاء لكل خبر وثيق عن الأهبة النازية التى كانت تلوح للأعين جهرة ولا غرض لها غير الهجوم على بلاد الروس .

من أحد الطرفين رسائل ثناء مشكور لأننا عودنا قراءنا أن نطالعهم بالحقائق المحجوبة قبل انكشافها وثبوتها للمكابرين بسنوات كثيرة .

وكذلك كشفنا عن حقيقة هتلر وموسلينى وعن مصيرهما منذ بضع وعشرين سنة يوم كان العارفون والغافلون معًا يشيدون بالفاشية والنازية ولا يستكثرون عليهما معجزة من المعجزات .

وكاتب إحدى الرسائل يذكرنا مع الثناء الذى نشكره عليه بقولنا عن ستالين قبل أكثر من عشر سنين أنه قيصر روسيا وأن سطوة آل رومانوف جميعًا لا تذكر إلى جانب السطوة التى يجمعها ستالين بين يديه ، وأن قياصرة روسيا لم يقتلوا من ثوار الشيوعية نصف من قتلهم ستالين مرضاةً لكبريائه وجبروته ومحافظة على طغيانه واستبداده .

وهذا الذى قلناه عن ستالين وأخويه هتلر وموسلينى محفوظ متواتر يسرنا أن يذكره من يذكرنا به ومانسيناه ، ولكننا تعودنا النسيان والتناسى من الرؤوس الكلية فى هذا الشرق المنكوب فسرنا أن نجد من يذكره ولا ينساه .

---

* أخبار اليوم فى ١٩٥٦/٤/١٤ .

البقرة التي وقعت

أما الطرف الآخر من المعلّقين فها هنا بعض مايقول مع الاستطراد والتذييل والتهويل. يقول أحدهم مبتدئًا خطابه بالمثل القائل: «لما تقع البقرة تكثر سكاكينها».

ثم يقول: «دهشت وذهلت أن يكتب قلمك هذا العنوان – غباء ستالين.. !»

«وأنا أقبل إنسانيًّا وأخلاقيا أن تكتب عن ستالين كتابًا تتحدث فيه عن عبقرية ستالين ثم تتناول هذه العبقرية من كل نواحيها حيث تجد مجالا خصبًا تتحدث فيه عن الخبث والدهاء والتواء التفكير والغباء، وتجد فى هذا الحديث فرصة لتضع ستالين فى الميزان كما فعلت مرة مع الصديق القديم هتلر، أما فى كلمات سريعة من يوميات صحيفة يومية معروفة الاتجاهات الإنسانية والسياسية تتحدث عن غباء ستالين.. فهذه جرأة على الحق وعلى الذوق وعلى قواعد الإتيكيت الإنسانى العام، وليس من السهولة تناول ميت بهذه الطريقة المبتذلة التى لا تعتمد على كرم..»

ثم يقول نصير الحق والذوق: «إننى لا أريد أن أدافع عن ستالين وعن دفاعه المجيد عن الحريات والديمقراطية، وكلنا يذكر معركة ستالينجراد وقيادة الشعب الروسى تحت قيادة هذا الغبى..»

ويلى ذلك كلام كثير يغنى عنه مانشرناه، ولم ننشره إلا لأنه يدل على «العقلية» التى تتسع للإعجاب بمخلوق خبيث ينضح بالإجرام والسوء والنذالة مثل «البطل» ستالين!

فالمسألة «أوّلاً» ليست مسألة بقرة وقعت وكثرت سكاكينها، لأن ستالين لم يمت اليوم ولا قبل شهر ولا قبل سنة، ولكنه مات وانقضى على موته زمن يسمح بالإصغاء لحكم التاريخ عليه، إن كان للتاريخ زمن يمتنع عليه النطق ويخرسه ستالين فيه وهو ميت كما أخرسه وهو بقيد الحياة.

والمسألة – بعد هذا – ليست مسألة « إتيكيت » أو مسألة تقليد من تقاليد الجنازات.

إن الحكم على أساليب ستالين إنما هو حكم على مصير الإنسانية فى مشارق الأرض ومغاربها ، ومن سكت عن بيان الخطر من اتباع هذه الأساليب فإنما هو مجرم فى حق الملايين من الآدميين ، ومجرم فى حق العدل والصدق وأمانة الرأى والنصيحة الواجبة للأحياء.

والمسألة – من وجهة أخرى – لا محل فيها لهذا الإتيكيت « الجنائزى » بالنظر إلى ستالين على التخصيص ، إن كان فيها محل له بالنظر إلى سواه.

لقد سابق نصير الحريات عشرات من « أبطال » الثورة الشيوعية إلى الموت وسجل عليهم فى حياتهم وبعد موتهم أقبح الصفات وأشنع التهم وأقذر الأقاويل ، وعاش ستالين بعد قتلهم سنوات لا يذكرهم خلالها أحد إلا بأخبث ما يقال عن الأحياء والأموات . ووقعت البقرة مائة مرة وانطلقت السكاكين تعمل فى جثتها ألوفًا بعد ألوف بأمر ستالين وتحت خطر الشبهة المميتة على من يسكتون ولا يمشون على النغمة فى زفة التشهير والتحقير.

فهل الفرق كله فى هذه القضية أن ستالين أمكنته الفرصة فقضى عليهم ، وأنهم لم يتمكنوا من هذه الفرصة فلم يقضوا عليه ؟ وهل تتوقف موازين التاريخ على هذا الفارق الذى يتكرر فى حياة ستالين وحياة موسلينى وحياة هتلر وأشباههم من الطغاة ؟ وهل قال الناس اليوم فى جرائم ستالين شيئًا يذكر بالقياس إلى ما قاله عن زعماء الشيوعية المقتولين غيلة أو بأحكام من القضاة الذين يحكمون عليه اليوم بما حكموا به أمس على ضحاياه ؟ أليس فى جماعة المنقلبين اليوم على ستالين قضاة كانوا يحكمون على بوخارين وشركائه ويوجبون عليهم كل ما أصابهم من التشهير والتحقير؟

إن العقلية التى « يصعب » عليها وصف ستالين بما يستحقه لا يستكثر عليها أن تنحرف إلى أبعد الحدود ، ومن هذا الانحراف أن يقال عن ستالين إنه كان نصيرًا

للحريات والديمقراطيات وماكان لأقرب المقربين إليه حرية العطاس بغير إذن الطاغية الأثيم .

ووارحمتاه لهتلر المسكين إلى جانب هذا البطل المدافع عن الحريات !

أى انحراف ؟ أى عوج ؟ أى مسخ ؟ أى تشويه يبتلى به العقل البشرى أقبح من هذا الانحراف وهذا العوج وهذا المسخ وهذا التشويه ؟

ستالين الغبى

« قلى حاجة ثانية » يأخانا عن بطلك غير الدفاع عن الحرية والديمقراطية .

وقلها فى كل مقام إلا مقام الدفاع عن ستالينجراد ، ولولا غباء ستالين لما وقعت المخالفة بين بطل الحرية وبين هتلر الذى اعتدى عليه ، ولولا غباء ستالين لما وقعت الحرب العظمى ولا اجترأ هتلر على خوض معارك القتال وهو خائف على حدوده من الشرق والشمال .

ولم يكن مطلوبا من هذا « الغبى » علم الغيب ليعلم العاقبة من وراء المحالفة مع النازيين ، فإننا لا ندعى علم الغيب وما أدعيناه يوم كتبنا على أثر تلك المحالفة أن الحرب القريبة حتم بين الدولتين .

وأيًا كان القول فى البقرة وسكاكينها فهو قول لا يتجه إلينا اليوم لأننا قلنا بالأمس كل ما يقال فى هذه الأيام ، وقلنا مثله وأشدّ منه عن أناس كانوا يعتدون بالقتل العاجل على من يخالفهم فى هذه البلاد .

ولكننا نتناول دماغ الرجل الحريص على الأدب « الجنائزى » لنديره إلى باطنه ونريه بعينيه أنه لا يغضب لكرم ولا ذوق ولا مروءة ، وإنما يغضب لباعث من بواعث الحقد يتمثله فى صورة ستالين ويعز عليه أن تصاب تلك الصورة بما يمسح قداستها لأنها – إذا زالت عنها القداسة – حبست حقده أن يجرى فى مجراه وردته حقدًا مكشوفًا لا أكثر ولا أقل ، بدلا من القداسة التى يكسبها من هالات المجد حول تاج ستالين وعرش ستالين وقيصرية ستالين .

إن ستالين ينبغى أن يظل مقدسًا معبودًا ليظل الحقد فضيلة عند المعجبين به والمتمثلين فيه لكل رذيلة يخافون ملامحها ويسترونها بتمجيد « أقنومها » المرفوع فوق الرؤوس .

وهذه هى خبيئة الغضب فى نفس الغاضب « للبطل الشهيد المظلوم » لعنة الله عليه حيث كان .

أما الكرم والنخوة والذوق فما يعرف منها غير حروفها المعكوسة من يذكرها فى مقام الغيرة على ستالين ، قاتل الملايين وقامع الملايين ، ومبتذل الحق والعدل والكرامة وحرمات النفس البشرية أجمعين ، وبشهادة من ؟ بشهادة أقرب المقربين ، وشهادة الواقع وهو أصدق من المقربين وغير المقربين .

كلمة فى الطريق

وقبل أن ننتقل من رسائل الراضين والساخطين حول ما يكتب عن ستالين نود أن نقول إننا نتقبل جميع الرسائل التى ترد إلينا فى موضوعات هذه المقالات ، وأننا نجيب عنها أو نعقب عليها جميعًا لو استطعنا ولكننا لا نستطيع ، فلا بدّ إذن من الاختيار بينها وتقديم طائفة منها على غيرها .

وإذا وجب أن نختار فليس أحق باختيارنا واختيار القراء من الرسائل التى تدعونا إلى الكلام عن فكرة عامة أو شخصية هامة أو مسألة من مسائل الأدب والثقافة .

وعلى هذا الأساس نختار هذه الرسائل الثلاث لأنها تتراوح بين موضوعات عامة لا تخصنا وإن ذكرنا الذاكرون فيها ، وهى موضوعات الدراسة النفسية والعقيدة وتفسير القرآن والتناقض فى الكتابة .

علم النفس السرى

وأول هذه الرسائل ، تاريخًا ، رسالة من الطالب الأديب « محمد على هدبة » بجامعة عين شمس قسم اللغة العربية .

يقول الطالب الأديب بعد تمهيد :

« .. قرأت فى مقال بمجلة الآداب البيروتية للأستاذ عبد المحسن طه بدر فى موضوع التجربة والأدب أن الأستاذ العقاد يقول فى إحدى مقالاته .. إن الحديث عن جوانب الضعف فى النفس الإنسانية يعتبر ميوعةً ومنافيا للرجولة .. وهذا ما جعل أدبه رغم ثورته العقلية على القديم وجموده أشبه بالأطر المنطقية الجامدة التى تجمد الحياة فى نفوس الشخصيات التى يتناولها .. »

قال الطالب الأديب بعد تعليق مختصر : « فأرجو الوقوف على حقيقة هذه التجربة ومتى تكون ناجحة فى محيط الأدب والمجتمع .... »

ولم أطلع على مقال المجلة الذى أشار إليه الطالب الأديب ، ولكننى أرى مما نقله منه أن كاتبه قد نسب إلىّ قولا لم أقله ، لأننى لم أزعم ولا أزعم أن الحديث عن الضعف ميوعة منافية للرجولة ، وإنما أقول إن الذين يحصرون عنايتهم بالنفس الإنسانية فى هذه الناحية ينمّون عن نفوس مدخولة لا تنظر إلى نفس الإنسان على حقيقتها ، ولا تسلم من الآفات التى تشغلها .

ونحسب أن صاحب المقال لم يطلع على كتاب واحد مما كتبناه فى التراجم والعبقريات على التخصيص . أو أنه اطلع على هذه التراجم والعبقريات ولكنه يظن أن الإنسان لا يحق له أن يتمتع بنفس بشرية إلا إذا كان الحديث عنه حديثًا عن نفس ممسوخة فى رجل خليع أو امرأة خليعة ، تلعب بهما الشهوات فيثيران الحياة فى العروق ولا يجمدانها على حدّ قوله عن التجربة ...

وإذا كانت تراجم الأنبياء والعظماء والعباقرة لا تحسب من الحياة التى تحرك النفوس فأى شىء تكون حركة الحياة ؟ ألعل هذه الحياة تجمد ولا تتحرك إن لم تكن حركة فى مخدع من مخادع الشهوات أو مرقص من مراقص السهرات ، أو معاقرة بين هاك وهات ، وما أشبه الهاك والهات ؟

وكفى مصابًا للأدب وتجاربه فى زماننا هذا أن يتصدى فيه للنقد والكتابة من يحكم على قيمته الأدبية بنفسه ولا يحتاج منا إلى حكم عليه .

إنه يحكم على نفسه بأنه كاتب ناقد ولكنه لا يحسن أن يكون قارئا من عشرين أو ثلاثين ألف قارئ يقبلون على تلك التراجم والسير ويشعرون بحياتها .. ولا يجمدون عندها ، وهؤلاء القراء الذين لم يبلغ كاتبنا الناقد مبلغهم من الفهم القويم والإحساس الصادق لا يتهمون بحب التسلية ولا بالثرثرة السطحية ، لأنهم يقرأون ما يحسبه كاتبنا الناقد جمودًا لا تسلية فيه !

ونظن أن الكلمة الوحيدة التي يحتاج إليها كاتبنا الناقد أو ناقدنا الكاتب هي كلمة « اقرأ » ياشاطر وافهم ، إن قرأت ، ولا تتوهم أن الكتابة سهلت حتى أصبح من أدواتها الكافية قلم مكسور وصفحة ملوثة بحديث الشهوات و « حركة الحياة » كما يتحرك لها « الأحياء » بين جدران الخلوات !

القراءة على البعد

والرسالة التالية من الآنسة « فوزية فهمي » بمستشفى المنيرة تسأل فيها عما ذكرته في كتاب « الله » عن الشعور على البعد ومعرفة الأخبار بملامسة بعض الأدوات ، وتقول الآنسة الأديبة إنها تشاهد العجائب ممن يدعون قراءة الخفايا بهذه الوسائل ، ثم تسأل : هل هناك شياطين يستخدمها أناس معينون أو هناك علم لقراءة الأخبار من طريق لمس المناديل وغيرها ؟

ولا ريب أن الآنسة صاحبة الخطاب لا تنتظر منا أن نحكم على تجربة لم نشاهدها وإنما تنتظر منا أن نذكر مشاهداتنا في هذه التجارب وما نعتقده من حقيقتها .

وخلاصة مشاهداتنا جميعًا أننا لم نصادف حتى اليوم تجربةً واحدةً من هذا القبيل نؤمن بصدقها ونجزم بصحة دلالتها ولكننا نعلم كذلك أن الذي ينفي المعرفة على البعد ، أو الشعور على البعد ، لا يستند إلى دليل قاطع من العلم أو المنطق يبطل هذه المعارف ويقطع باستحالتها .

وعلينا — أمام الدعاوى المتكررة — أن نفرق بين أمرين مختلفين .

علينا أن نفرق بين الأدلة التى تدعو إلى النفى القاطع والأدلة التى تدعو إلى التصديق باليقين .

فإذا امتنع النفى بدليل قاطع فلا يكفى ذلك للتصديق بغير دليل وثيق لا شك فيه .

إن المحسوسات المسموعة بالآذان أو المنظورة بالأعين تنتقل اليوم على مدى الألوف من الفراسخ والأميال ، فليس من الممتنع عقلا أن تنتقل محسوسات العقل والبصيرة على أمثال هذه المسافات .

نعم ليس هذا بالممتنع عقلا ، ثم لا نزيد .

أما أنه ثابت عقلا فتلك خطوة أخرى لا ندعى أننا أدركناها ولكننا لا نمنع أن يدركها سوانا .

تفسير القرآن

وكتب الأستاذ « محمود بن الشريف » المدرس بالإبراهيمية الثانوية خلاصة لمحاضرة ألقاها الدكتور عبد الحليم محمود أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين تكلم فيها عن تفسير القرآن الكريم وقال فيها على رواية الأستاذ محمود : « إن الدكتور عبد الحليم نفى الكمال والإحاطة عن كل هاتيك التفاسير ودعا إلى رأى جديد به تتحقق أمثل طريقة للتفسير يتلخص فى وجوب التخصص ، بمعنى أن الأطباء والفلكيين وعلماء الاجتماع ورجال القانون والتشريع والأخصائيين النفسيين يتناول كل منهم بالتحليل والتفصيل والتفسير آيات الكتاب التى تتفق مع تخصصه فتخرج كل هذه الجهود تفسيرًا يكون أدنى إلى الصواب » .

قال الأستاذ فى ختام رسالته : أكون شاكرًا لو تعرضتم لهذه الآراء بما هى أهل له من النقد والتمحيص .

ورأينا فى اقتراح الدكتور عبد الحليم محمود أنه أصلح ما يكون إذا كان المطلوب تأليف موسوعة عن القرآن الكريم ، أو تأليف « دائرة معارف قرآنية » تحيط بجميع المعلومات التى وردت فى الكتاب إشارة إليها .

أما التفسير فلا يحتاج إلى كل هذه الإحاطة ، لأن المقصود بالتفسير أن يفهم المسلم كتابه على الوجه الأوفق لدينه ، ولا يلزم فى كل مسلم – ليكون مسلمًا – أن يحيط بالفلك والطب والرياضة والتاريخ وسائر المعارف البشرية التى يشير إليها كتابه ، فإنه إذا طلب الدين فحسبه ما يعلمه المسلم من الكتاب على دراية وهداية ، وإذا طلب العلم فإنه يتعلم الفلك والطب ، والرياضة ، والتاريخ فى معاهدها ولا يتخصص لها من مطالعة كتب التفسير .

وعندنا – مع هذا – أن الأوان قد آن لتأليف الموسوعة القرآنية على أوفاها ، لأن الموسوعات التى وضعت لكتب الأديان مستفيضة فى لغات الحضارة ، فلا يحسن بنا أن نترك مكانها خاويًا فى لغة القرآن .

تناقض ولا تناقض

والرسالة الأخيرة فحواها أننى ناقضت نفسى فيما كتبته منذ أسبوعين حيث قلت بصدد الكلام عن أباطيل الشيوعيين إننى أكتب منذ أربعين سنة ، وقلت فى العدد نفسه بصدد الكلام عن المدارس الأدبية إننى أكتب من خمسين سنة ..

وهذا تناقض كما يقول الأديب « عزت مصطفى » .

وهذا ليس بتناقض كما نقول نحن ويقول معنا القراء جميعًا بعد الاطلاع على سطرين اثنين .

منذ أربعين سنة ظهرت الشيوعية ونحن لم نكتب عنها قبل ظهورها ، ولكننا نكتب عن الأدب قبل ذلك بعشر سنين .

خالصين ، ولا الضالين ! ! ..

حسن القاياتى *

توفى السيد حسن القاياتى رحمة الله عليه .

كان زميلا من زملاء « النادى » بباب الخلق قبل زمالة المجمع اللغوى بأربعين سنة ، وكان هناك يلفت النظر بجلسته « الملمومة » وأناقته المحتشمة ، ولا ينسى وقار حسبه لحظة واحدة ، بين النكتة اللاذعة والأحاديث التى يتبادل فيها الصحب على غير رضاه ، ومارأيته أعار النكتة من التحية أكثر من ابتسامة عابرة أو ضحكة وجيزة ثم يعود على صمته أو رواية المختار من الشعر والنادرة ، وقليلاً ماكان يروى شعره لغير من يسأله الرواية من خاصة إخوانه .. فكل ماسمعته منه لا يزيد على أبيات بعد أبيات .

ولقد كان مذهبه فى الشعر على ماأحسب أنه أسرى مروءة الدنى وأدنى مروءة السرى ، ولكنى أرجو ألا يكون هذا المذهب صارفًا لأسرته عن تزويد المكتبة العربية بما يجتمع لها من محفوظاته ومأثوراته ، فإنها ولا شك جديرة بالتسجيل والاطلاع .

* * *

* الأخبار فى ٢٨/ ١٠/ ١٩٥٧ .

صناعة البراكين*

يوم الاثنين الأسبق اهتزت أحياء فى القاهرة بزلزال لم يستغرق – فيما شعرنا به – أكثر من ثلاث ثوان وكدنا نحسبه من الزلازل الصناعية التى تردد الكلام عنها فى السنتين الأخيرتين ؛ لأنه قصير المدة خفيف الحركة .. محصور الاتجاه ، كما نقرأ فى أوصاف الزلازل الصناعية .

وينبغى فى هذا العصر – ألا يطير القمريون زهوًا وتيهًا لأنهم يصنعون القميرات أو النجيمات ، بأن علماء الزلازل يتجهون بنا إلى أعمق أعماق الأرض ليرونا هناك صناعة كانت من قبل محتكرة للطبيعة فأصبحت اليوم من هوايات الإنسان الهينة ، ومن صناعة الزلازل والبراكين !

هذه الهواية أصبحت اليوم ممكنةً ونافعةً ، لأن الزلازل ترسل خلال الأرض موجات تدل ، بأصدائها وخطوطها فى المراسم الكهربائية ، على المعادن والمواد الخفية التى تتخللها . ولكن الزلزال الطبيعى يفاجئ الناس فلا يستعدون له بالرصد فى موضعه وفى موعده ، وقد يعم نطاقًا واسعًا فيخرج من متناول الأرصاد والآلات الراسمة المجهزة فى أماكنها ، فلا بد إذن من زلزلة صناعية – تحت الطلب – لتحقيق الكشوف المقصودة على استعداد ومعرفة بحدودها .

وقد اشتهر بمباحث الزلازل الصناعية فى العهد الأخير عالم كبير فى جامعة سدنى باستراليا : هو الأستاذ كيث إدوارد بولين : واختار مباحثه فى تلك الجهات لاتساع قارتهم لتجارب الزلازل ورقة القشرة الأرضية عند المحيط الهادى بالقياس إلى قشرة الأرض فى القارات الكبرى ، ولا يزال معولة حتى الآن على الطاقة الذرية فى إرسال القذائف إلى جوف الأرض لإثارة كوامنها والكشف عن كوامنها عند اضطرابها .

* الأخبار فى ٢٨/ ١٠/ ١٩٥٧ .

حتى الزلازل والبراكين لا تخلو من فائدة ولا يكف عنها الطلب ، ساعة اللزوم .

ولعلها تلزم غدًا كما يلزم المصل الذى يدخل الجسم ليعوده على بعض الجراثيم ، فيتدرب الناس على الزلزلة الصناعية حينًا بعد حين ، ليتعودوا أخواتها الكبار ويستهينوا بمفاجآتها على غير انتظار .. !

والحمد لله على زمان يطلب فيه الزلزال والبركان ويصنعان فيه بعلم من الإنسان .

مقالب شويكار*

منذ كتبت كلمتى فى «آخر ساعة» عن خطبة مصطفى كامل للأميرة السابقة شويكار – لم تنقطع الرسائل التى تردنى بالتعليق أو الاستفسار أو الاعتراض وما إليه، ومعظم هذه الرسائل لا جواب عليه، وكثير منها أجابت عنه آخر ساعة فى تعليقاتها على الكلمة التى ذكرتها، ولكن الطريف منها حقا رسائل متوالية تصل من سيد يقيم بالإسكندرية واسع الاطلاع على شئون الأميرات والأمراء، لم يشأ أن يعلن اسمه ولم أشأ أن أغفل تفسيره للإشاعات التى راجت عن خطبة الزعيم للأميرة السابقة، فإن السيد المطلع يقول إن «ذوق» الأميرة السابقة فى اختيار الأزواج يظهر من النظر إلى أزواجها المتتابعين جميعًا وهم رءوف ثابت باشا وسيف الله يسرى باشا وإلهامى حسين باشا، وهم من طراز فى التكوين غير طراز الزعيم المرهف النحيل.

قال السيد المطلع: والأرجح أن القصة كلها مقلب من مقالب شويكار لأنها كانت – كأبناء أسرتها جميعًا – مولعة بالمقالب الأميرية، التى تتشاغل بها على حساب خلق الله.

ومن لطائف صاحب الرسائل أنه ذكر تلك المقالب باسمها الفرنسى Amusements Princiers ثم قال: «وفى وسع زميلكم العبقرى توفيق الحكيم فيلسوف العروبة الناهضة أن يشرح لكم الترجمة الصحيحة لتلك التسمية الفرنسية لأن ضعفى فى لغة سيبويه لا يسمح لى بهذه المهمة».

وقد أطلعت الأستاذ الحكيم على الرسالة وهنأته بهذه الثقة بدرايته فى فن المقالب على أنواعها.. فتنحى عن مهمة الشرح المحالة إليه.. وقال: أنتم أدرى!

---

* الأخبار فى ١٤/ ١٠/ ١٩٥٧.

ولو اطلع السيد الإسكندرى على الحقيقة لعلم أن زميلنا الحكيم كثيرًا ما وقع فريسة لهذه المقالب «الأميرية» ولا يزال عرضة لها من أمراء المقالب بعد زوال الإمارة .

ولكننا نخشى أن يصر السيد السكندرى على ترشيح الأستاذ الحكيم لشرح الكلمة الفرنسية متى علم – كم يعلم الآن – أنه استوفى المعرفة علمًا وعملا وتجربة ولغة بهذه المقالب على أيدى أمرائها ، من غير طائفة الأمراء .

القمر الروسى *

لا جديد تحت القمر..

ولا لوم على العامى الذى يحسب أن القمر الصناعى مشاركة لله فى قدرته ، لأنه اختراع يحوم فى السماء على ظنه ، ولا اعتراض عنده على ألف اختراع أغرب منه ، لو أنها تمشى فى الأرض ولا تعلو فى الأفق الذى يسميه السماء !

هذا العامى لا لوم عليه ولا غرابة فى خلطه بين المقررات العلمية والأعاجيب إنما اللوم على أناس يكتبون باسم العلم ويحاولون أن يزفوا هذا القمر الصناعى للناس فى موكب المعجزات وخوارق الطبيعة ، ويتحدثون عنه كأنه مفاجاة مذهلة فى موعده وفى صناعته وفى سر نجاحه ، قبل أن يتحقق لهم مصير هذا النجاح .

فالواقع أن هذا القمر الروسى قد تأخر عن موعده شهرين . وأن هذا التأخير قد أعلن قبل اليوم عند افتتاح المؤتمر الجغرافى العالمى فى شهر يوليه السابق . فقال الأستاذ يفجينى فيدروف Yeugeny Fedorov إن القمر المنتظر لا يرجى أن ينطلق فى شهر أغسطس كما كان مقدورًا له ، وأنه سيتأخر إلى موعد قريب . وكان معلومًا يومئذ من تصريحات مكتب المباحث البحرية فى الولايات المتحدة أن قمرهم لن ينطلق قبل السنة المقبلة ، وربما تأخر إلى ختام السنة على حسب الترتيب المرسوم .

كذلك لا يرجع التقديم والتأخير هنا إلى مسألة الوقود السائل الذى يستخدم بدلا من الوقود الجاف . فإن استخدام الوقود الجاف فى الصواريخ التى تطلق القمر أمر مفروغ منه منذ سنوات ، وأمامى الآن وصف لموضع هذا الوقود منشور فى العمود الثانى من صفحة ٥٧٠ من تقويم الدنيا ، وهو تقويم صدر فى ختام السنة الماضية ، ومضى على ظهوره الآن أكثر من عشرة شهور .

---

* الأخبار فى ١٤/ ١٠/ ١٩٥٧ .

ولا يستغرب أحد من العلماء أن توجد على الأرض أقمار صناعية ، بل منهم – كما قلنا فى الأخبار منذ سنتين من يرجح أن الأقمار المعارضة أى التى تطلع من الغرب إلى الشرق ، وفى جو المريخ وجو زحل هى أقمار صناعية رفعها سكان الكواكب العليا منذ عهد بعيد لتنظيم حركة الثلوج القطبية أو حركة المدّ والجزر حيث يوجد الماء على بعض التقديرات ، وقد يراد بها موازنة الأقمار التى تجرى مع الكوكبين فى موضع الشروق والغروب .

والدهشة العلمية مستحبة فى الجديد والقديم من الأمور ، ولكنها الدهشة على بصيرة ومعرفة بريئة فى التهويل والدعاية.وليس من أمانة العلم أن نخلط بين القدرة المالية والقدرة العلمية فى تيسير هذه المخترعات ، فليس فى ميزانيات انجلترا وفرنسا وبلجيكا وايطاليا وألمانيا وممالك الشمال اعتمادات مالية لتجربة الأقمار الصناعية ولا يقول أحد إن علماء هذه البلاد يجهلون من نظريات العلم مايعرفه علماء الروس والامريكيين ، وسنرى غدًا كيف يتخذون القمر الروسى فى أمريكا ذريعة لطلب المزيد من الاعتمادات المالية لمصالح الدفاع ، فلا داعية للخلط بين القدرة على إنفاق المال والقدرة على إتقان المخترعات فى شأن الأقمار أو غيرها من المصنوعات ، ولولا أن هذه الأقمار صناعية تتولاها الدول ولا تتولاها الشركات التى تعمل للتجارة والكسب لوجد القمر الصناعى وانطلق فى الفضاء قبل سنوات .

قليلاً إذن من الدهشة العامية وكثيرًا من الدهشة العلمية التى تعرف العجب لأنها تعرف الحقيقة لالأنها تجهلها ، فلا فرق فى الدهشة العمياء بين من يحسب القمر الصناعى مشاركة لقدرة الله وبين من ينفخ له الأبواق ويدق حوله الطبول فى موكب الخوارق والمعجزات .

بين جيلين*

السيد أنيس منصور أحد كتاب الجيل المخضرم « الذين يكبرونها فى دماغ » من يسميهم بالجيل الجديد كلما قالوا عنهم أنهم جيل غير مفهوم وأنهم جيل جرىء لا يعرف الخوف والاحترام وأن هذا الوصف يصدق على شباب هذا العصر ويشمل الملايين منهم بلا استثناء .

فالذى نعتقده أن الجيل الذى يعنونه بتلك الصفة شرذمة محصورة فى طائفة من الممسوخين الذين ابتلوا بتشويه الأخلاق والعقول لا يزيد عددهم فى الأمة المصرية على نصف عشر الشبان الذين يحق للكاتب أن يقول عنهم إنهم جيل الشباب فى هذا الزمان .

فالكثرة الغالبة من هؤلاء الشبان أناس ذوو استقامة وجد يعرفون الاحترام ويطلبونه لأنفسهم ولا ينسونه مع ذويهم ولا مع ذويه .

أما الشرذمة التى لا تعرف الخوف والاحترام من ناشئة هذا العصر فهى قلة محصورة سبقتها قلة مثلها بين الأجيال الماضية بما يوافق نسبتها فى العدد وفى الظروف .

ولعلهم لا يعرفون الاحترام حقًّا ، ولكن القول بأنهم لا يعرفون الخوف تصوير مبالغ فيه بل مناقض للحس والعيان ، فليس أجبن من هذه الشرذمة التى لا تعرف الاحترام إذا لمحت طرف العصا من بعيد ولو كانت عصا من جريد .. وكل مصيبتهم أنهم فقدوا الوازع ولم يشعروا به فوق رءوسهم كما احتاجوا إليه . وهاتوا لهم الوازع — ولو من بعيد — وانظروا كيف يتسابقون إلى الجحور هربًا من عصاه .

لقد كان الجيل الماضى جريئًا حقا لأنه كان يتقدم إلى « مسئولية » الحياة فى الخامسة عشرة ليعمل ويؤسس الأسرة ويغامر فى أسباب المعيشة ، وقد كان جيل الأمس — حتى

* الأخبار فى ٣٠/ ٩/ ١٩٥٧ .

فى باب الرياضة التى تحسب من بدع العصر الحاضر – أشد إقدامًا من هؤلاء الذين يقال عنهم إنهم لا يعرفون الاحترام .

ونقيس المقارنة بين الجيلين على ما نعلمه من أمر جيلنا ، فنذكر مثلا واحدًا من عشرات الأمثال ونقول للسيد أنيس ومن يرى رأيه إننا كنا فيما دون العاشرة نقتحم نهر النيل فى إبان الفيضان لنلهو بالسباحة أو التجديف ، وما يدريك ما فيضان النيل فى أسوان ؟ إنه بحر لجى يبلغ عرضه ألفى متر وتتخلله ثلاث جزر وتسبح فيه التماسيح وما هو أخطر من التماسيح وهو السمك الرعاد ، ويضطرب فوق الشلال بأمواج كأنها التلال .

فلا تكبروها فى دماغ هؤلاء الممسوخين فإنهم لا ينتفخون جهلا بضرب من الغرور كما ينتفخون حين يقال لهم إنهم لغز يحير العقول وإنهم غير مفهومين وغير « عاديين » وغير آدميين كسائر خلق الله من الأدميين .

لا ياأخانا السيد أنيس : إن مرضاك هؤلاء مفهومون ، بل مفهومون جدًّا من فروع الرءوس إلى كواحل الاقدام ، وليس على المجتمع المصرى أن يتعب قلمًا واحدًا فى أمرهم إذا استطاع أن يتعب عصاه .. ولا حاجة إلى عصا من حديد . تكفيهم عصا من جريد .. !

جامعاتنا *

لنا جامعات ضخام الأسماء والذكريات والآمال :

جامعة الإسكندرية ، وما ظنك باسم يذكرك بالجامعة التى رفعت منار الثقافة فى المشرق والمغرب قبل الميلاد .. ؟

وجامعة عين شمس ، وما ظنك بجامعة يحسبون من تلاميذها موسى الكليم وأفلاطون الحكيم وبنتاؤر شاعر النيل القديم ؟

وجامعة أسيوط ، وما ظنك باسم يذكرك بإمام الأفلاطونية الحديثة ، وكل ما تفرع عليها من المدارس الفلسفية ؟

وغدًا ، أو بعد غد ، جامعة دمياط التى تذكرك بمعاهدة الثقافة الإسلامية قبل الجامع الأزهر ، وغدًا أو بعد غد جامعة أسوان التى تذكرك « بالمدرسة » حيث كان يجلس للتعليم والمحاضرة والفتيا نحو « أربعمائة راكب بغلة » كما قيل فى تاريخ علماء الصعيد .

ومن اليوم أصبحت جامعة العاصمة الثانية ندًّا قويًّا لجامعة العاصمة الأولى ، ومنافسًا فى المضمار لا يؤمن معه قرار .

وحبذا اليوم الذى تنطلق فيه هذه المنافسات الجامعية كما انطلقت فى بلاد الجامعات الكبرى من أمم الحضارة الحديثة ، فإن هذه الأمم قد استفادت ولا تزال تستفيد من هذه المنافسات فى ميادين العلم والرياضة والحياة الاجتماعية .. وهذه هى الميادين التى يتنافس فيها المتنافسون ، ويربح فيها السابقون واللاحقون ، والذين لا يسبقون ولا يلحقون ، ولكنهم يتفرجون !

---

* الأخبار فى ١٩/٨/١٩٥٧ .

وتقويم جامعة الإسكندرية الذى فرغت من تصفحه الساعة عنوان لهذا المركز الوطيد الذى تستقر فيه الجامعة الحديثة العتيقة ، وإشارة إلى السباق المنتظر بعد حين ، أو السباق الذى بدأ منه الشوط الأول بين مصر والإسكندرية وأوشك أن يتلاقى فيه الأوّل والأخير فى بداءة المسير.

وستأتى بعده أشواط بعد أشواط كلما أسفر الزمن عن نظير بعد نظير.

إلا أننا لا نذكر جامعة الإسكندرية وننسى الميناء « الشرقية » والميناء « الغربية » .

فإننا نسمع هذه الأسماء من الأفواه ولا نلتفت إليها ، ولكنها إذا صدرت فى سجل جامعة نرجع إليها بتحقيق الأسماء ولا سيما أسماء مواقع المدينة ، فلا بدّ عندها من وقفة على عجل أو على مهل ، ولو وقفة عابر طريق ..

إن « الميناء » مذكر وليس بمؤنث ، وهو من أسماء المكان كالمرسى والمطار ، وإنما جاءت الشبهة من الهمزة الأخيرة التى تشبه همزة « الحسناء » والبيضاء والسمراء ، وماكل « آء » محسوبة فى زمرة النساء ... !

أما صاحب الخريطة الجامعية فلعله كتب كما سمع ألف مرة عن الميناء الشرقية والغربية ، ولا شرقية هناك ولا غربية ، ولكنها شرقى وغربى فى انتظار تصحيح الجنس ، وقد صححته الجامعة أحيانًا فى مشارحها الطبية .. !

الشهرة والتاريخ*

ومن قبيل الشهرة التى تطغى على التاريخ كما تطغى على اللغة شهرة « الأفغانى » وجمال الدين .

من من القراء يعرف جمال الدين « الأسد آبادى » إذا سمعه بغير تعليق أو توضيح ؟

إن بحثنا منسوبًا إلى ابن شقيقة جمال الدين « ميرزا لطف الله خان » يقرر لنا أن « الأفغانى » جمال الدين خطأ .. وأن الصواب « الأسد آبادى » جمال الدين .

ويستغرق البحث قرابة مائتى صفحة تشتمل على وثائق مفصلة وقرائن معقولة وأقوال يشهد بها بعض الأحياء ، مؤدّاها جميعًا أن المصلح العظيم من « أسد آباد » بايران وليس من « أسد آباد » ببلاد الأفغان .

وهذا كلام قيل قبل اليوم وذكرت له أسبابه فى غير موضع من تراجم المصلح العظيم ، ولكننا لم نقرأه بهذا التفصيل فى بحث مطول كالبحث الذى كتبه ميرزا لطف الله خان .

ولا نقول إن هذا البحث الجديد يبطل الخلاف فى هذا الموضوع المطروق ، ولكننا نقول إنه يضيف إليه أشتاتًا من الأسانيد لا يهملها الباحث ولا تترك بغير متابعة واستقصاء .

وإننى لأخرج من قراءة البحث وأنا لا أزال أبحث فى ضميرى عن « الأفغانى » الذى سيثبت أنه ليس بأفغانى ، أن الاسد آبادى الذى لا يعرف إلا بنسبته إلى الأفغان ، ولو تحقق كل ما قرره لطف الله خان .

على أننى أعود فأقول إن برهانًا أقوى من كل برهان يظل بحاجة إلى التصحيح بعد كل وثيقة وكل شهادة ، وذلك هو برهان الملامح فى وجه جمال الدين .

---

* الأخبار فى ١٩/٨/١٩٥٧ .

فمن نظر إلى ملامح العينين والوجنتين فى صور جمال الدين لم يسعه أن يبتعد به عن نسب قريب من الهند ولكنه غير خالص « للدم » الهندى فى جملته ، وكأنه من سلالة عربية امتزجت بنسب هندى من طريق المصاهرة الحديثة ، ولا يمنع هذا أن يتنقل أسلافه بين حدود إيران وحدود الأفغان كما حدث فى تاريخ كثير من أعلام الإسلام بعد الدولة الغزنوية على الخصوص .

وعندنا أن دلالة الملامح ستبقى بعد كل دلالة فى انتظار الكلمة الفاصلة ، ولو تعذر اثباتها بغير النظر والتخمين .

ومن الذى ينظر – مثلاً – إلى وجه نابليون بونابرت ويشك فى أنه إيطالى صميم ؟ هل نعلم ذلك لأننا نعلم أنه من جزيرة كورسيكا الايطالية كلّا .. فقد نشأ فى كورسيكا فرنسيون لا شبه بينهم وبين الإيطاليين ، ولكننا نعلمه من الملامح التى تدركها العين كما تدرك الشبه بين الخطوط وتوقن من الفارق فيها بين كلمة وكلمة ، وربما تعذر توضيح وجوه الشبه على نمط يمنع كل خلاف ، ولكنها تبقى هنالك تلح علينا فى طلب التوضيح ..

وسيثبت ما يثبت عن المكان الذى ولد فيه المصلح العظيم . ولكننا ننظر إلى ملامحه آخر الأمر فنقول : هنا ملامح تتكلم ، وهنا كلام يجب أن يفهم ، ولا بدّ من الإصغاء إليه ، ولو أفضى بنا الإصغاء إلى السكوت .

الإسماعيلية والباطنية*

لم تفرغ اللجنة التى قيل انها تجتمع منذ وفاة « أغا خان » لإبداء الرأى فى عقيدة الطائفة الإسماعيلية ومكانها من عقائد أهل السنة أو فرق الشيعة بين المسلمين.

وسمعت أمس أنهم يتحدثون عن الإسماعيلية والباطنية كأنهما مذهب واحد ، وهذا باب من أبواب الزلل لن ينتهى إلى صواب.

فمن الوجب أن نعلم « أوّلاً » أن الباطنية ليست بالمذهب الذى يدين به أحد ويقول عن نفسه إذا سئل إنه من « الباطنيين ».

إنما العقائد الباطنية مجموعة من الآراء والشعائر يتهم بها أناس من أبناء الفرق المختلفة وتجرى التهمة بها على ألسنة خصومهم الذين يعرفون ما يقولون أو يرجمون به رجم الظنون ..

وقد اتهم أناس من الإسماعيليين أو الفاطميين أو الإماميين بأنهم باطنيون ، وصدقت التهمة أحيانًا وكذبت فى أكثر الأحايين ، ولكن الإسماعيلى لا يكون باطنيًا لأنه ينتمى إلى الإمام إسماعيل ، وإنما يكون كذلك لأنه يتستر بعنوان من العناوين كائنًا ماكان.

ومن مفارقات الزمن أن تدور الأيام ، و يأتى اليوم الذى ينظر فيه جماعة من الأزهر فى حقيقة المذهب الإسماعيلى ، وصحة إـ الإسماعيليين.

إن الذى بنى الجامع الأزهر هو إمام الإسماعيلية الأكبر ، وإليه ينسب الإسماعيليون اليوم فى جميع أقطار الأرض ومنهم « أغا خان » .. وإن كان الأصح أن أغا خان من ذرية حسن بن الصباح ، وأن انتسابه للبيت النبوى إنما هو من « بنوة » الروح كما يقولون .. !

---

* الأخبار فى ١٩/٨/١٩٥٧

مات لطفى السيد*

أصبحت اليوم على نبأ من أنباء الوفاة لا تتكرر نظائره فى الجيل الواحد مرات. لأنه ينعى إلى عالم الفكر والمعرفة فى الأمة العربية بقية الأسبقين من أساتذة الجيل ورواد الأجيال المقبلة ! بقية جمال الدين ومحمد عبده وسعد زغلول وقاسم أمين.

إنه ينعى أستاذ الجيل.

إنه ينعى « أحمد لطفى السيد » ... علم الأعلام الباقية فى الصحافة والقانون والحكمة والإحسان والعلم والتعليم.

حياة مباركة كان مداها فى الهداية والتوجيه أطول أمدا وأبقى أثرًا من مداها فى السنين، وتظل آثارها الباقيات بالقدوة الصالحة أعمق وأخلد من آثارها على صفحات الأوراق، وخلاصتها – إذا استطيع أن تتخلص فى الكلمات المعدودات : فكر مستقل، ومنطق مستقيم، وضمير حر، وأمانة فى العمل والقول، وقلب سليم.

ولكن تاريخ لطفى السيد لا يكتب فى كلمات ولا فى سطور ولا فى صفحات.

إنه تاريخ الأسفار التى تحفظ للزمن سجل النهضة الوطنية، والحرية الفكرية، والدعوة الديمقراطية والعمل بالمبدأ ما استطيع، والإيمان به فى جميع الأحوال.

وسيوفّيه الغد حقّه كما وفّاه يومه الحاضر، بين تلاميذه ومريديه والمقتدين به والمنتمين إليه، وإن فى الغد لمتسعًا للمزيد من هذا الوفاء : وفاء لم يظفر بمثله إمام من أئمة الفكر فى عالم الأحياء.

وبوركت ذكراه من مفارق لا يفارقه الحب والولاء والتبجيل. ومن راحل عنا بجثمانه الزائل لا يرحل عنا ولا عن أخلافنا بروحه الحى الذى لا يزول. ولكنه مقيم أبد الآبدين فى محراب الخالدين.

---

* الأخبار فى ٦/ ٣/ ١٩٦٣.

أستاذ الجيل بين عهدين*

أمس شيعت القاهرة جثمان لطفى السيد محرر الجريدة ومحامى ضحايا دنشواى . كأول ما عرفناه وسمعنا باسمه ، ورئيس المجمع اللغوى وأستاذ الجيل ، كآخر العهد به فى هذا العام .

وشهدنا موكب الجنازة الموقر المحزون فذكرنا قول أبى العتاهية :

وكانت فى حياتك لى عظات   وأنت اليوم أوعظ منك حيّا

فلو تقدم الأجل بالفقيد إلى أيام تحريره للجريدة لكان للجنازة مشهد غير هذا المشهد ، ولعلها لم تجاوز أن تكون جنازة زميل صحفى كبير ينتمى إلى أسرة كريمة مرعية النسب والجوار .

فقد كان خصوم الفقيد كثيرين بين أنصار السيادة العثمانية ، ومنهم أناس يحسبون أنفسهم من غلاة الوطنيين المتطرفين .

وكان له خصوم مثلهم فى الكثرة بين أنصار القصر وجمهرة الجامدين على القديم وأعداء التقدم والتغيير .

وكان الجاهلون بمواهبه أكثر عددًا من العارفين بتلك المواهب بين أصدقائه وزملائه المقربين .

وكانت الخصومات السياسية والحزبية على أشدها وأعنفها ، ولا يقع اللوم فى هذه الخصومات كلها على خصومه ، ولا يقع اللوم كله عليه .

وعبرة الزمن فى تشييع الفقيد الذى عرف له كل قدره فى أخريات حياته أننا نتعلم من موكب الجنازة المهيب كم تتبدل المقاييس والقيم بين جيل وجيل ، وكم تتبدل الشعوب فى نظرتها إلى المبادئ الوطنية والمراسم الاجتماعية ، وكم تحتمل العظمة نفسها

---

* الأخبار فى ١٣/٣/١٩٦٣ .

من طوارئ الزمن مع تتابع المواقف واختلاف النظر واتساع المجال للتعريف بما فى العظيم من ملكة مجهولة ومسلك غير معهود وقدرة على التدارك والاستدراك وولاية الأعمال بعد الأعمال ، أو اتصال العلاقات العامة بعد انقطاع أو انقطاعها بعد اتصال .

ومضت ستون سنة بعد عصر الجريدة ، وهى – أى الجريدة – بذاتها فتح مبين فى عالم الرأى والوطنية والثقافة ، ورسالة معدودة من رسائل الصحافة المتوفرة على مهمة التوجيه والتعليم ، ولكنها – على كل ما اضطلعت به من هذه المهمة – لم تكن أفضل ختام ولا أتم معرض للتعريف بملكات الفقيد الجليل .

وإن السنين الستين بعد عصر الجريدة لهى حسب ذلك الفقيد الجليل من ذخيرة وافية بأسباب التقدير الصادق والوزن الصحيح فى ميزان الأنصار والخصوم بل فى ميزان الموافقين له فى الرأى والشعور والمخالفين لرأيه وشعوره ، لأنه رحمه الله لم يكن يطلب الصداقة فى غير الرأى والشعور ، ولم تكن له خصومة تحجر على رأى المخالف أو تجرح شعورًا لمن يدين بالرعاية والأنصاف .

وانطوت فى ظلال الموت كل صورة من صور تلك الحياة المباركة غير صورة الأب المعلم والحكيم المرشد الرشيد ، وقد تبوأ بين أبناء الجيل الذى رحل عنه مكانة الأستاذ لكهوله وشبانه ، فهو بحق معلم المعلمين وأستاذ الجيل .

كتب قاسم أمين فى مذكراته الخاصة بعد أن شهد جنازة مصطفى كامل إنه لمس قلب مصر يخفق خفقة الأحياء فى تلك الجنازة ، ولم يعهد له من قبل خفقة كهذه فى غير فجيعة دنشواى .

ولقد لمسنا فى تشييع الجيل لأستاذه عقل مصر يعبر فى صمته وسكينته تعبيره الذى يقول بأبلغ بيان : إن فى مصر حياة فكرية ، وإن هذا الميت الراحل حى يعيش فى الأفكار كما يعيش فى القلوب .

رحمه الله من معلم هاد ، ورحمه الله من أب محبوب

عملية غسيل المخ*

« وخطابى سؤال عن موضوع عملية غسيل المخ منذ سمعنا عن عمليات غسيل المخ التى قيل إنها أجريت لبعض من اشتركوا فى إفشاء أسرار القنبلة الذرية والحرب العالمية. فما هى هذه العملية؟ وما هى أغراضها؟ هل هى بمثابة بذر بذور مثل عليا جديدة وقيم إنسانية لهؤلاء الأفراد لا تمت بصلة إلى ماضيهم .. ؟ أو هى تفريغ للنفوس عما حوت من مبادئ وقيم وآمال وآلام لتخرج منها كما يخرج الطفل من بطن أمه على ما يقال ؟

وختامًا أحب أن نتلقى إجابة عن ذلك على صفحات جريدتنا المفضلة الأخبار » ....

مدحت عبد الحميد

تجارة القاهرة

غسيل المخ هو اصطلاح حديث لعملية قديمة من أقدم ما عرف فى تاريخ الوعظ الدينى والاجتماعى ، وقوامه كما هو معلوم على دعامتين متلازمتين ، وهما الوعد والوعيد ، أو الترغيب والترهيب.

والغرض منه هو تحطيم المقاومة فى العقل الذى يراد غسله وتحويله من المقاومة إلى الاستسلام التام ، شيئًا فشيئًا أو دفعة واحدة إذا كان التحول الفجائى من المستطاع.

ووسيلته فى كل حال ، هى تسليط العوامل النفسية بين إثارة الخوف وإثارة الأمل فى ضمير الشخص المقصود ، وإلقائه على التوالى فى حالة من الاضطراب تسلمه إلى الحيرة التى لا مخرج له منها بغير التسليم.

وقديما كانت هذه هى وسيلة الوعاظ الدينيين من عهد العقائد البدائية إلى أحدث العهود ، مع اختلاف الأساليب كلما ارتفعت العقائد من السذاجة إلى التهذيب.

---

* الأخبار فى ٦/٣/١٩٦٢.

فمنذ مئات السنين عرفت وسائل التخويف بالعذاب السرمدى والغضب الإلهى والنذر المرهوبة ، كما عرفت وسائل التشويق إلى النعيم المقيم والسعادة الأبدية والرضوان العميم .

ولا يزال الكهان فى العقائد البدائية إلى اليوم يتوسلون بإرهاق المتعبدين وإنهاك أجسادهم بالرقص العنيف والهياج المتلهب لقيادتهم إلى حالة من الإعياء الشديد يمهدون بها لحالة الاستسلام والتصديق أو حالة الإصغاء والإيمان بكل مايلقى على أسماعهم من الوصايا والأوامر والدعوات .

فهذه العملية — عملية غسيل المخ — قديمة جدًّا فى تاريخ الوعظ ونقل الأفكار وسوق الموعوظين إلى التسليم والطاعة العمياء .

والجديد فيها هو الاستفادة من المعارف الحديثة والتجارب المتكررة لتنظيم أساليب الإقناع على القواعد العلمية والدراسات السيكولوجية المحققة وكان الأقدمون يستخدمون بعض العقاقير للتخدير أحيانًا وللتهييج والإثارة أحيانًا أخرى ، فاستفاد المحدثون من تحليل هذه العقاقير وعرفوا منها ما لم يكن معروفًا فى العصور القديمة ، وأضافوا إليها الاستعانة بالجراحة المتقدمة لإجراء العمليات فى أجزاء من الدماغ لها علاقة بالأعصاب التى تتلقى المؤثرات وتنقلها إلى الدماغ وتحرك فيها دوافع العمل والسكون أو تميل بها إلى وجهة الرضى والمطاوعة أو وجهة المقاومة والنفور .

ومما يساعد القائمين بعمليات غسيل المخ فى العصر الحديث شيوع الدعوات العامة التى تتلاقى وسائلها بوسائل القائمين بتلك العمليات ، وقد يساعدهم كذلك أن شيوع بعض الدعوات يزعزع بعض الدعوات الأخرى ، فلا يحتاج القائم بالعملية إلى جهد كبير إلى التشكيك فى العقائد وإضعاف الثقة بها وتهيئة النفس للحيرة التى تقودها إلى الاستسلام .

بين أسلوب ماركس وابن عبد القدوس*

فى رسالة للأستاذ الغزالى حرب المدرس الأول للغة العربية بدار المعلمين فى بنها يقول الأستاذ موجهًا الخطاب إلى كاتب هذه اليوميات :

« ... قلتم فى يومياتكم إن الموضوع الذى نال به كارل ماركس شهادة الدكتوراه بالمراسلة كان بحثًا من بحوث الأدب اليونانى لا بحثًا علميًّا بالمعنى المصطلح عليه فى عصرنا ، والذى أعلمه من قراءاتى القليلة أن موضوع رسالته كان دفاعًا عن أبيقور وردًّا على هيجل .. أفلا يرى الأستاذ العقاد أن مثل هذا قد يوصف بأنه بحث علمى أو بحث فلسفى ؟ » .

ثم ينتقل الأستاذ إلى السؤال عن قصيدة للشاعر الحكيم صالح بن عبد القدوس فيقول :

« وقلتم فى يومياتكم أن صالح بن عبد القدوس هو حكيم الشعراء فى عصره ثم أوردتم من شعره أبياتًا أوردها مؤلفو النقد والبلاغة لتلاميذ شهادة الدراسة الثانوية ثم قالوا معقبين عليها بما نصه : إننا لا نستجيب لها ولا نتأثر بها لأن الشاعر عرضها عرضًا ذهنيا ولم يربطها بتجارب معينة تهيىء وجداننا لها من ناحية وتعينه هو على نظمها فى أسلوب شعرى موفق من ناحية أخرى » .

ثم يختم الأستاذ الغزالى أسئلته بسؤال عن أسلوب ابن عبد القدوس فى هذه الأبيات « هل هو أسلوب شعرى موفق أو غير موفق .. ولماذا ؟ »

وقبل الكلام على أسلوب كارل ماركس وأسلوب ابن عبد القدوس نود أن نقول للأستاذ الغزالى كلمة عابرة عن أسلوبه هو فى المناقضة كما عرفناه من رسائله الكثيرة ، وله أن يراجع – لتمام العلم بهذا الأسلوب – تاريخ طائفة القرائين « أحبار » بنى اسرائيل

* الأخبار فى ١٧/ ١٠/١٩٦٢ .

الذين كانوا يقرأون أسفار التوراة والتلمود ليبحثوا فى كل نقطة على كل حرف من كل كلمة موضعًا للمناقضة يفتحون به بابا من أبواب الخلاف ، وقلما يلتفتون بعد ذلك إلى مائة موضع من مواضع الموافقة إلى جانب ثقب الإبرة الذى فتحوه بأيديهم للاعتراض ، المستغنى عنه ! والأستاذ الغزالى إذا قرأ ذلك التاريخ جدير أن ينهج فى اعتراضاته أسلوبًا غير ذلك الأسلوب ، لأنه لا يحب – طبعًا – أن تكون له قدوة بالقرائين الأقدمين ولو كانوا موسومين بسمة الأحبار .

إذا كان كارل ماركس كتب بحثه فى الدفاع عن أبيقور فماذا فى ذلك من المناقضة لقولنا أنه موضوع « أدبى » وليس بموضوع علمى كما حددنا العلم تحديدًا لا التباس فيه ، وقلنا إنه هو العلم بمعناه المصطلح عليه فى عصرنا هذا : عصر القرن العشرين ؟

وإذا كان موضوع أبيقور موضوع فلسفة يونانية فهل ثقافة الفلسفة عندهم علم بالمعنى المصطلح عليه فى القرن العشرين ؟ أو هى ثقافة أدبية مما يصدق عليه أنه بحث من بحوث الأدب فى كل اصطلاح .

إننا عرّفنا رسالته بأنها بحث من بحوث الأدب وليست بحثًا من بحوث العلم العصرى ، وليس فى هذا منفذ لثقب الإبرة الذى فتش عنه السيد « حرب » فوجده كما وصفه أو لم يجده فى الحقيقة ، لأنه غير موجود .

أما إذا كان السيد حرب مخالفًا لرأى مؤلفى النقد والبلاغة فى شعر ابن عبد القدوس فلماذا لا يعارضهم بما يراه ؟ ولماذا يسألنى عن آرائى التى يستطيع أن يعرفها من كل كتاب لى فى موضوع النقد والبلاغة ؟

إن الموضوع العقلى البحت هو الموضوع الذى نستريح إليه بعقولنا – دون شعورنا – كما نستريح إلى حل مسألة رياضية أو نتيجة تجربة علمية ، ولكننا إذا قرأنا كلامًا فاسترحنا إليه لأننا نلمس فيه الصدق المريح من مقلقات الخوف والأمل ومزعجات الشك والتردد ووساوس الأخلاق والعادات وبواعث الاضطراب فى الحس أو فى باطن

النفس فذلك الكلام الذى نستريح إليه شعر شعر شعر بالتثليث لا باللفظ المفرد الذى يحتاج إلى هذا التوكيد .

وهذا هو مجمل آرائنا فى نقد الحكمة الشعرية ، وعلى الأستاذ حرب بعد ذلك أن يبحث هو عن ثقب إبرته المفقودة ، ولكن على طريقة غير طريقة القرائين !

مأساة الإنسان فى العصر الحديث*

فى خطاب من القانونى الفاضل الأستاذ خالد أحمد سلام وكيل نيابة شبراخيت يقول الأستاذ إنه قد « ترددت فى الأوساط الأدبية ، وخاصة عند من يسمون بكتاب الطليعة عبارة مأساة الإنسان فى العصر الحديث .. فهل لكم أن تلقوا الضوء على هذه الفكرة على صفحات جريدة الأخبار ؟ » .

ونظن أن الرجوع إلى نشأة المأساة فى أقدم عصورها كاف لإلقاء الضوء على مايسمى اليوم بمأساة الإنسان العصرى أو مأساة الضمير الإنسانى فى العصر الحاضر .

وربما كان محور المأساة الأكبر فى أقدم عصورها أن الإنسان طريد القدر الذى لا يرحم من يتحداه ، وعندهم أن الإنسان يتحدى القدر إذا طمح إلى مساواة الآلهة بالعلم أو القدرة أو السعادة ، وأنه يستحق منها الغضب الذى يلاحقه بالنقمة ويغلق عليه أبواب النجاة كلما أجترأ على حرماتها وعلى حدود التقديس والخشوع فى عبادتها ورعاية أحكامها ، وقد يلاحق الغضب من الإله الأكبر ربا من الأرباب إذا تواطأ مع الإنسان وعلّمه ليس ينبغى أن يعلمه غير الأرباب كما حدث لبرومثيوس حين علّم الإنسان سر النار ومايحيط به من أسرار القوة والصناعة .

وقد صار الإنسان الحديث إلى موقف مع القدر يثير الحيرة فى أمر مصيره بين القوى الكونية الطبيعية أو القوى الاجتماعية السياسية وهو يجترئ كل يوم على سر من أسرار الخلق أو قانون من قوانين العرف الصارم الذى لا يرحم من يتحداه ولا يرتضى منه أن يخرج عليه ويتطلب لنفسه من الحرية ماتأباه عليه تقاليد العصور وآداب الأولين والآخرين .

وكلما وصل الإنسان إلى مخترع جديد أو طالب لنفسه بحق جديد من حقوق الحرية

---

* الأخبار فى ١٨/ ١٢/ ١٩٦٣ .

فى وجه الجماعة أحاطت به الحيرة فى مصيره مع هذه القوى التى يوشك أن ترديه وأن تفلت من بين يديه كما يفلت المارد الحبيس من القمقم الذى انكشفت طلاسمه لمن لا يقدر عليها .

وقد تمثلت مأساة الضمير الإنسانى فى حيرته بين القوى الكونية وبين عقائده الأولى فى السلطان الإلهى المتصرف بها والمسيطر عليها وبين شكوك المرتابين من عباد المادة فى مصدر هذه القوى الكونية وفى كل علاقة لها بعالم الغيب من عند الله ..

وإذا تحول الإنسان من الكون إلى نفسه تمثلت للإنسان الفرد حيرته بين حدود ضميره وحدود السلطان القاهر من القوى الاجتماعية التى يغلبه بها قضاء الجماهير من أبناء نوعه ، وفيها نقائض لا تحصى بين مطالب الماضى ومطالب الحاضر ومطالب المستقبل الذى لا فرار من التوفيق بين الإنسان وبين مطالبه قبل الوصول إليه ، بل فيها نقائض بينه وبين وجدانه كلما نازعته الآراء والأهواء من معنى الخير إلى معنى الشر فى كل عمل من أعمال معيشته ومعيشة العاملين معه من حوله .

وكل أولئك من شأنه أن يدفع بضمير الإنسان من حيرة إلى حيرة بين الدوافع والجواذب وبين المغريات والمحظورات ، وبعض أولئك خليق أن نسميه بالمأساة فى انتظار الفصل الأخير .

أما هذا الفصل الأخير فهو غيب يدركه من ينتهى إليه أو يدركه قبل أوانه من يسبقه بطمأنينة الثقة والتسليم : ثقة الرجاء وتسليم الإيمان ..

بين المنفعة والضرر*

تعقيبًا على بعض الأمثال السائرة يسأل الأستاذ المهندس الزراعى فكرى عبد المجيد :

« هل يعنى هذا أن كل شيء غير ضار لابدّ أن يكون نافعًا ؟ .. أو أن قصور فهمنا للحياة هو الذى يحدد هذا النفع أو الضرر .. ؟ » .

ومجمل القول فى أمر المنافع والمضار بالنسبة للإنسان أنه ما من نافع لا يضر وما من ضار لاينفع ، وإنما تختلف مواقع النفع والضرر باختلاف المقدار أو اختلاف التركيب أو اختلاف الغاية أو اختلاف وسائل الاستعمال لبلوغ تلك الغاية .

فالماء والنار أنفع الأشياء للناس ، ولكن الماء يغرق والنار تحرق ، وقد يكون الإغراق كما يكون الإحراق سبيلا إلى النفع فى أغراض القتال ، يحمد المنتصر عقباه ويشقى من جرائه المهزوم .

واللبن أسوغ الأطعمة لكل حى فى أحواج أوقاته إلى الغذاء الذى لابدّ منه لتكوين الأجسام وإنمائها ، وهو وقت الرضاعة .

ولكنه يعمل عمل السم فى أجواف بعض الناس وهم مصابون بالحساسية التى قد تعتريهم بعد سن الرضاعة .

والغذاء الصالح لا غنى عنه للأصحاء ، ولكنه فى بعض حالات المرض يودى بحياة المريض ، وقد يغذيه ويشفيه فى تلك الحالة بعض السموم .

والهواء نفس الحياة ، ولكنه إذا وصل إلى الجنين غير ممثل فى بطن أمه قضى عليه .

ولا يعنى هذا أننا لا نستطيع أن نقسم صفات النافع وصفات الضار فيما يعرض لنا

---

* الأخبار فى ١٩٦٣/١١/٦ .

من عوارض الحياة ، ولكننا نستطيع ذلك فى مجمل الحالات ونستطيع كذلك أن نعرف مواضع الاستثناء بعد هذا الإجمال .

وبعبارة أخرى نستطيع أن نقول : (هذا الشىء نافع إلا فى بعض حالاته) ثم نستطيع أن نحصر تلك الحالات على قدر نصيبنا من المعرفة بها ، وقل أن نقدر على استقصائها جميعًا فى وقت من الأوقات .

تلك طبيعة الكائن الفانى حيث كان فى الأرض أو فى السماء .

أما الكائن « السرمدى » فالكلام عن النفع المطلق أو الضرر المطلق بالنسبة إليه من لغو الفضول .

الفرق بين البيروقراطية والبرجوازية*

فى خطاب من الأمين العام المساعد « محمود عبد اللطيف عبد العال » يقول السيد المحترم « إنه فى أثناء اجتماع لجنة الاتحاد الاشتراكى بوحدة ديوان المحافظة قام الجدل بين أعضاء اللجنة فى أصل مدلول كلمتى البيروقراطية والبرجوازية وتضاربت فى تفسير هاتين الكلمتين الآراء .. وقد قرر المجتمعون الكتابة إلى سيادتكم لتوضيح أصل هاتين الكلمتين ومدلولها ومن هم الفئات والأشخاص الذين يطلق عليهم كل لفظ منهما بالنسبة لمجتمعنا فى الجمهورية العربية المتحدة وبالنسبة للدول الأخرى » ..

ومن الواضح أن السؤال لا يقصد به بيان المعنى « القاموسى » لهاتين الكلمتين ، لأنه معنى مطروق فى جميع القواميس اللغوية ، وإنما المقصود هو المعنى الذى يراد فى الاصطلاح الاجتماعى والسياسى . تستخدم الكلمتان لهذا الغرض ويختلف مدلول كل منهما على حسب العرف والنظر فى المواطن التى يطلقان فيها .

وهنا يحتاج بعض علماء السياسة إلى تفصيل غرضهم من الكلمة فيما يتناولونه من مباحث الكتب والدراسات من ناحيتها العلمية ، وعلى هذه السنة جرى المفكر الاجتماعى الكبير جيمس ميل فى كتابه عن عناصر الاقتصاد السياسى ، فلم يبحث فى موضوع طائفة اجتماعية إلا شفع ذلك بتعريفها العام ثم تعريفها كما يعنيه ، وقد قال فى تعريف الطبقة البرجوازية أنها « فى انجلترا طبقة العموم ، وفى فرنسا الطبقة الثالثة Artisans قبل الثورة ، وفى القارة الأوربية إجمالا سلالة أصحاب الحرف Tiers Etat على العموم » والذى يعنيه جيمس ميل بطبقة العموم فى انجلترا Commons هم جملة المرشحين للانتخاب بمجلس النواب دون مجلس اللوردات أو الأعيان ، مع استثناء العمال والأجراء فإنهم يدخلون فى طبقة الأيدى العاملة وأصحاب

---

* الأخبار فى ٦/ ١١/ ١٩٦٣ .

الأجور والمرتبات اليومية أوالمحدودة من صغار الموظفين .

أما الطبقة الثالثة فى فرنسا فهى وسط بين النبلاء والذين يطلق عليهم لقب الجنتلمان وبين الفلاحين سواء من الزارعين بأيديهم أو المشتغلين بالزراعة من غير الملاك الإقطاعيين .

وأصل كلمة « البرجوازية » نسبة إلى « البورج » أو المدينة ، ولكنها لا تطلق على جميع سكان المدن بل على طائفة الأغنياء وأصحاب رؤوس الأموال والميسورين الذين ظهروا على عهد الصناعة والمعاملات التجارية العالمية منافسين لأصحاب القلاع والقصور من أعيان الاقاليم الإقطاعيين ، ثم لحق بهم فى الاصطلاح كل من يعيش من غير طريق التأجير « اليومى » ولوكان يعمل بأجرة كما يعمل الطبيب والمهندس والمدرس ورئيس المصلحة والديوان ومن هو فى طبقته الاجتماعية .. فشملت كلمة البرجوازية طبقة أصحاب المصانع والشركات وأصحاب المتاجر والدكاكين ومن يعرفون بأبناء الطبقة التى تأتى وسطًا بين النبلاء من جهة والأجراء من جهة أخرى .

ويوشك أن تشمل البرجوازية عندنا كل من عدا العمال والفلاحين حتى أصحاب الألقاب وحملة الرتب والنياشين ، لأن « الباشوات والبكوات » المصريين لم تكن لهم سيادة « الباشوات والبكوات » من الترك وأعوان الأسرة الخديوية ، وإنما كانت ألقابهم رتبًا « شرفية » بالمقياس إلى الرتب « العملية » التى استأثر بها الرؤساء « العثمانيون » غير المصريين .

فالباشا المصرى عندنا لا يقابل اللورد الإنجليزى ولا الكونت الفرنسى ، ولكنه يقابل الوجيه الأوربى الذى يكسب ثروته من التجارة والصناعة ، وقد يملك الأرض بالشراء لا بالوراثة المتوالية ، فإن وارثى الضياع الواسعة جيلا بعد جيل من الوطنيين هم أقرب إلى طبقة الإقطاعيين فى البلاد الأجنبية .

ويراد بالبرجوازية من الوجهة الأخلاقية ذلك العرف الذى يغلب على أهله التشبث بالمظاهر والتقاليد والميل إلى محاكاة من يزيدون عليهم فى الثروة والجاه ، ولو بذلوا فى سبيل هذه « الوجاهة » أضعاف مايبذلونه فى المصالح والضروريات .

أما « البيروقراطية » فأصلها من كلمة « بيرو » Bureau أى مائدة الكتابة .. والبيروقراطيون هم الموظفون الذين يجلسون على تلك المكاتب ويتبعون إجراءاتها المرسومة بغير تصرف ولا مراعاة لاختلاف الظروف والمناسبات .

ويؤخذ على « البيروقراطية » عادة فى جميع الأمم أنها تتشبث بالخطط « الشكلية » وتحتمها فى موضعها وغير موضعها ، وإن ترتب عليها تعطيل العمل المقصود .. وربما نجم عنها تضييع المصلحة فى سبيل الأوضاع والتقاليد .

ومن أمثلتها فى فرنسا ما قرأناه مرة فى مقال فكاهى عن آفة الروتين « الدواوينى » فى تنفيذ اللوائح والمنشورات ومراعاة « التعليمات » الدورية فى مكاتب الحكومة .

وخلاصة القصة أن وزارة المالية هناك أصدرت أمرًا بإلزام أرباب المعاشات الذين يعيشون فى الريف أن يقدموا لخزانة البندر إشهادًا من عمدة القرية يثبت فيه أنهم بقيد الحياة فى الشهر الذى يقبضون معاشه ، وحدث أن موظفًا قديمًا تأخر عن الذهاب إلى البندر شهرًا ثم ذهب إليه فى الشهر الذى يليه ومعه إشهاد عن هذا الشهر دون الشهر الماضى .. فرفض أمين الخزانة صرف معاشه عن الشهرين حتى يبرز الدليل على أنه كان « بقيد الحياة » فى الشهر الذى لم يحضر فيه .

وعندنا من هذه « البيروقراطيات » ضروب من التعليمات نكتفى منها بهذه « البيروقراطية » فى مصلحة البريد :

فالذى يرسل خطابًا مسجلا يطلب منه أن يقرر على غلافه بتوقيعه « أن الخطاب خال من النقود والأوراق المالية » .

وهذه هى البيروقراطية بعينها إذا كان « معنى » البيروقراطية وضع الإجراءات التنفيذية بغير معنى !

فإن الخطاب إذا كان خاليًا من أوراق النقد ، فلا نتيجة لتقرير هذه الحقيقة على غلافه ، لا من باب التعويض ولا من باب الإهمال .

أما إذا احتوى الخطاب شيئًا من أوراق النقد وما إليها فمافائدة النص على خلوه منها فى كلام يوقعه مرسل الخطاب ؟

فائدته الوحيدة هى حماية السارق من العقاب وإسقاط حق المسروق فى المطالبة بماله الذى قرر بخطه وتوقيعه أنه غير موجود !

ونظن أن كلمة العرف « الدواوينى » هى أصلح الكلمات العربية الشائعة على الألسنة لمقابلة الكلمة الأوربية « بيروقراطية » بكل معانيها التى تقصد للتهكم والانتقاد .

إمام التوفيق والتقريب*
« الشيخ محمود شلتوت »

كنا نكتب فى يوميات الأسبوع الماضى عن الشيخ « محمد عبده » ونحن لانعلم أن القدر يملى علينا بعد يوم واحد نعى خليفة من أكبر خلفاء الأستاذ المصلح العظيم ومريد من أقدر مريديه على المثابرة فى عمله والمضى على سنته ، وهو فقيد الإسلام والعلم شيخ الجامع الأزهر الأستاذ محمود شلتوت طيب الله ثراه وخلد فى زمرة الصالحين المصلحين سيرته وذكراه .

وقد كان الفقيد الجليل ممن نهضوا بأمانة الإصلاح بعد أستاذه وأستاذ نخبة المصلحين من بعده فى شئون الدين والدنيا ، وإلى ذلك أشرنا فى سيرة الأستاذ الإمام حيث نقول : « تلفتت الأمة بعد وفاته فلم تجد بين المتقدمين للقيادة من هو أقدر على قيادتها وتسديد خطاها وتقرير مطالبها من زمرة الفقيد وخيرة أشياعه وتلاميذه ومريديه ، لا فرق فى ذلك بين شئون الدنيا وشئون الدين . وحسب القارئ ما يمكن حصره فى الشئون الدينية التى تتصل بالجامع الأزهر ومعاهد التعليم على منهجه ، فلم يكن أظهر بين مشايخه وأقطابه من الشيخ محمد شاكر والشيخ مصطفى المراغى والشيخ مصطفى عبدالرازق والشيخ إبراهيم حمروش والشيخ محمود شلتوت ، وكلهم من مريديه المؤمنين برسالته وغيرهم كثيرون مثلهم وإن لم يحضروا كلهم على يديه ..

وقد كان الشيخ شلتوت أحد النخبة الممتازة من مشايخ الجامع الأزهر الذين التقينا بهم فى مجمع اللغة العربية ، وقد أوشك المجمع أن يضم إليه كل مشايخ الأزهر فى هذا الجيل ، وهم الائمة الأجلاء مصطفى المراغى ومصطفى عبدالرازق والخضر حسين وإبراهيم حمروش ومحمود شلتوت فقيدنا اليوم . لولا أن الشيخ عبدالمجيد سليم أوحى

* الأخبار فى ١٩٦٣/١٢/١٨ .

إليه حبّ الاعتكاف أن يتنحى عن العمل فى المجمع لأنه فقيه وليس بصاحب لغة كما قال ، لاجتمع المشايخ الكبار فيه بلا استثناء ، وقد تمّ له ذلك بعد انتخاب عضوه الجديد الشيخ عبد الرحمن تاج أبقاه الله ونفع به لغة الكتاب وشريعة الكتاب .

ولكل من هؤلاء المشايخ الكبار مكانته فى العلم وقدرته على العمل فى خدمته وخدمة دينه على سنة الإصلاح والتقدم ، ومنهم إلى جانب عرفانه بالدين من كانت له خبرته فى الإدارة أو إحاطته بالفلسفة والدراسات الفكرية أو غيرته فى مقاومة البدع الاجنبية ، أو مشاركته فى الأدب وعلوم البيان .. فأما الشيخ شلتوت رحمه الله فقد كانت رسالته أوفق رسالة لمن يتولى مشيخة الأزهر فى زمانه . وهو الزمان الذى حق فيه لهذا العهد الخالد أن يصبح فى العالم الإسلامى كعبته العلمية مع كعبته المقدسة فى مكة المكرمة ، وتلك هى رسالة التقريب بين المذاهب وتقدير مواضع الخلاف بينها بقدرها الصحيح الذى يتنزه مع العلم والإخلاص وشجاعة الرأى عن جمود التقليد وغلو المحافظة بغير وعى ولا دراية ، والذى لا يمنعه عرفان الحق لإمام المذهب أن يعرف للمخالفين بعده حقهم فى التعقيب عليه والموازنة بين صوابه وما ليس بصواب بعد عصره أو فى إبان عصره عن خطأ لا عصمة منه لإنسان .

ولقد أعان الشيخ على هذه الرسالة أنه تعلم دروس الدين على نظام التعليم القويم الذى جاهد أستاذه الإمام جهاد الجبابرة لتقريره فى الأزهر وتغليبه على نظامه العتيق . إن صح أن يقال فيه إنه نظام . !

وكانت العلوم العقلية . وهى علوم تمكن صاحبها من الاجتهاد واستقلال الرأى ، أبرز الدراسات المنتظمة فى معهد الإسكندرية الذى ابتدأ فيه دروسه وذلك هو المنهج الذى تممه شيخه « محمد شاكر » حين تولى الإشراف عليه ، وفضيلته — كما لا يخفى — هو شارح « إيساغوجى » فى المنطق وأوّل المنظمين للقضاء بمحاكم السودان على هداية الصالح من المذاهب جميعًا دون التعصب لمذهب منها على سواه .

ولقد كان يسعدنا الوقت فى الفترات بين مواعيد اللجان أحيانا أن نستمع إلى رأى الشيخ فى خلافات الائمة فلا نذكر أننا سمعنا من شيخ من شيوخ الدين رأيًا خيرا من

هذه الآراء فيما اتفق لها من حرية الفكر ومن حسن الأدب فى تقدير السلف الصالح ، من خالفه منهم ومن وافقه على سواء .

لا جرم كان من بشائر الأمل أن ينهض بمشيخة الأزهر فى الزمن الذى تفتحت فيه الطرق بين البلاد الإسلامية بعد أن تحررت من الطغيان الأجنبى عليها ، وبين هذا المعهد الذى لا معهد فى العالم الإسلامى أولى منه بضم الشمل وتقريب مسافة الخلف بين المسلم والمسلم ، حينما كان فى أقاصى البلدان .

ومن عرف الإمام الفقيد عرف أنه قد تزود لهذه الرسالة بزاد غير علمه العربى وشجاعته الصادقة ، وهو زاد القلب الطيب والسجية الكريمة تجمع الخصوم على الألفة والثقة كما تجمع الأصحاب والأنصار ، ولعله – بانطلاق فكره من قيود التقاليد قد نفذ ببصيرته إلى أسرار البلاغة فى القرآن الكريم . فكان هذا النفاذ المستقيم إلى ينبوع الفرائض والأحكام قد ترفع عن حواجز الخلاف إلى الأفق الذى تزول فيه هذه الحواجز العارضة بين ذوى العقول وبين العدول ، وهى بطبيعتها ألصق بالأرض من أن تصعد إلى آفاق الوحى السماوى والفكر الطليق .

ومن أقواله التى نذكرها « إن القرآن معجز بما هو به قرآن » ويعنى ذلك نسقه الذى ينتظم ألفاظه ومعانيه ويوحى من مضامينها بما ليس فى مفردات الكلم ولا فى أجزائه التى يقتضيها الإعراب فى كل عبارة .. فليست الكلمة الواحدة هى محل الإعجاز وليس محل الإعجاز هو الكلمتين أو الكلمات الثلاث التى تتم بها جملة الفعل والفاعل أو المبتدأ والخبر أو الجار والمجرور ، ولكنه نسق رقيق يتخطى لوازم العلاقة بين الألفاظ فى النحو والصرف إلى لوازم العلاقة بين المعنى والوجدان ، وبين الوحى والبصيرة ، مما لا تدركه ولا تبلغ إليه بلاغة الإنسان .

وبهذه البصيرة المتفتحة تسنى له أن يفهم « القرآن » كتابًا للمسلمين جميعًا يرجعون إليه فيرجعون إلى مصدر واحد يبطل فيه الخلاف ، أو يختلف فيه المختلفون ولكن كما يختلف العقل الواحد بينه وبين نفسه فى وجهات نظره بين حين وحين وبين اعتبار واعتبار .

ولئن ذهب الإمام الفقيد ولم يعقب بعده برنامجًا مفصلا لمناهجه فى الإصلاح ووجهته إلى التقريب بين الوجهات والمذاهب لقد بسط رأيه فى « وظيفة الأزهر » وقد عمل وعلم وأعقب المثال الذى يتبع على هدى وبصيرة ، والذى يهتدى به من عمل معه ومن تعلم على يديه ، ومن يقدر على مجاراته فى اجتهاده والزيادة عليه بما يتهيأ لهم من الوسائل ولم يتهيأ له فى حياته ، وإنهم لكثيرون بعون الله ، وإنهم لمرجوون للعوض عنه ولإنجاز مانواه ، يجزيهم الله وإياه .

نشيد إخناتون والمزامير*
هل تأثر أحدهما بالآخر ! !

« .. درج المؤرخون على عقد مقارنة بين ما جاء فى نشيد إخناتون وبين ما جاء بالمزمور الرابع بعد المائة من مزامير داود ، فهل معنى هذا أن أحدهما تأثر بالآخر أو أن الأمر مجرد توارد أفكار ؟ »

محمد عبد الحليم أحمد نور الدين

آداب القاهرة - قسم آثار

من المحقق أن العبرانيين وفدوا إلى مصر وأقاموا فيها منذ عهد إبراهيم عليه السلام ، وأنهم مازالوا إلى عهد موسى عليه السلام يرجعون إلى العبادات المصرية ، ولو كانت على غير سنة التوحيد كما فعلوا حين طلبوا العودة إلى عبادة العجل والرجعة إلى الديار المصرية على ما هو مشهور فى كتب التاريخ والأسفار الدينية .

والسؤال هنا عن المزامير التى وردت فى كتاب العهد القديم ، وقد نقلت إلى ذلك الكتاب بعد نظم إخناتون لنشيده فى صلوات التوحيد بأكثر من ثلاث قرون .. فلا شك فيما هو الأسبق بين النشيدين ، ولكن « أرثر ويجال » مؤرخ المصريات المعروف يرجع إلى التاريخ القديم قبل أيام إخناتون ويظن أن آتون وآتوم إنما هما تصحيف لاسم « أدوناى » بمعنى السيد أو الإله فى اللغة العبرية ، وأن إخناتون ورث آراءه من أمه الاسيوية ! .. وذلك وهم سيق إليه ويجال لتشابه الأسماء مع الاختلاف البعيد بين صفات أتوم وصفات أدوناى ، فإن أتوم من أقدم الارباب المصرية فى معابد رع ، وقد جاء فى الفقرة الرابعة عشرة من القسم الأول فى كتاب الموتى على لسانه : « أنا آتوم منفردًا فى نون ، وأتارع حيث ينزع مع الفجر ليبسط يديه على الدنيا التى خلقها »

---

* الأخبار فى ٢٦/ ٩/ ١٩٦٢ .

ولا شبه بينه وبين أدوناى وأدونيس فى صيغته اليونانية ، لأن أدونيس رب الربيع والغرام ولا شىء من ذلك فى خصائص آتوم الذى يبدو على مثال الكهول ذوى اللحى ويتقلد مفاتح الحكم والحكمة ويرجع إلى مبدأ الخليقة حيث لا شىء غير الماء والظلام .

فإذا كانت المقارنة بين المزامير على رواية العهد القديم وبين أناشيد إخناتون فلا محل للخلاف فيمن هو السابق منهما ومن هو اللاحق بعده ، وقد كانت دعوة التوحيد فى أناشيد إخناتون فترة من فترات العقائد المنزهة لحقت بها فترات طويلة من الردة بين رعايا الفراعنة الأقدمين أبناء وادى النيل وأبناء إسرائيل .

مذهب داروين*

. . . بمناسبة الحديث عن الإنسان فى القرآن دار الحديث بينى وبين صديق أديب عن مذهب داروين وروى الصديق أبياتًا مطلعها :

عاش فى الغاب القرد دهرًا طويلاً قبلَ أن يلتقى إلى الرقى سبيلا

وقال عنها إنها لأبى العلاء المعرى بدليل قول المعرى :

والذى حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

ورفض أن يذعن حين قلت له إن القصيدة لشاعر العراق الزهاوى بعنوان سليل القرد ، فأجمعنا على أن نسألكم عن القصيدة وعن رأى المعرى والزهاوى فى مذهب النشوء والارتقاء .. » .

أحمد الطايع محمد

منيحة كوم امبو

. . . إن قول المعرى عن الحيوان إنه مستحدث من جماد لا يلزم منه القول بمذهب داروين لأنه قد يصدق على خلق الإنسان من الطين أو خلق الأحياء من الماء ، فلا يخالف القول بالخلق المباشر الذى يقول به غير النشوئيين .

وللمعرى أبيات كثيرة تشبه فى معناها نظريات النشوئيين كقوله بتنازع البقاء :

ولا يرى حيوان لا يكون له فوق البسيطة أعداء وحساد

وقوله فى تسليح الحيوان بالأعضاء واستعداد البنية الذى يساعده فى ذلك النزاع .

وما جعلت لأسود العرين أظافير إلا ابتغاء الظفر

أو قوله :

ولو ذهبت عينا هزبر مساور لما راع ضأنا فى المراتع أو سربا

* الأخبار فى ٢٥/١٠/١٩٦١ .

أو كقوله فى غريزة حب البقاء :

أرى حيوان الأرض يرهب حتفه ويفزعه رعد ويرهبه برق

ولكن القصيدة التى ذكرتموها لا يمكن أن تنسب إلى الشاعر قبل العصر الحديث لأن الكلام عن علاقة التطور بسكنى القرد للغابات وانتقاله من التسلق إلى المشى مذهب حديث لم يعرف قبل القرن التاسع عشر.

وفى هذه القصيدة بيت يذكر فيه الشاعر رأى نيتشه فى الإنسان المترقى على سنة التطور ، أو السبرمان باسمه الإنجليزى ، حيث يقول :

وسيأتى باسم السبرمان نسل هو أرقى منهم وأهدى سبيلا

فإذا كان صديقكم لم يطلع على القصيدة فى ديوان الزهاوى فالاطلاع على هذه الأبيات فيها كاف لنسبتها إلى أحد الشعراء المتأخرين وامتناع نسبتها إلى أبى العلاء.

ويكاد نظم القصيدة أن يخصصها بالشاعر الزهاوى ولو لم يطلع عليها القارئ فى ديوانه . لأنه ينمّ على طريقته فى تفعيلات البحر الخفيف إذ يجعل مستفعلن بدل متفعلن كما لاحظ صديقنا الاستاذ خليفة التونسى ، مع التسكين والتحريك المختلف أحيانًا فى بعض الأسباب والأوتاد.

وقد كنت أعجب لتكرار هذا التجوز فى جميع قصائده حتى سمعته ينشدها على طريقة الإنشاد الفارسى فعلمت أن الإنشاد هو الذى يدارى عن أذنه وقع التفاعيل المختلة ، ولا يبعد أن يكون إنشاد الشعر على طريقة من هذه الطرق هو الذى كان يدارى ما فيه من الخلل عن آذان فحول الشعراء الجاهليين كما قال أبو العلاء :

وقد يخطىء الرأى الفتى وهو حازم كما اختل فى وزن القريض عبيد

يعنى عبيد بن الأبرص صاحب المعلقة المعروفة . ولم يكن بالوحيد فى اختلال الوزن بل كان امرؤ القيس وغيره يشاركونه فى شىء منه . ولم يكد يسلم منه غير الشعراء الذين نظموا الشعر بعد عصر الإنشاد والحداء.

شفيق غربال فى ذمة التاريخ*

فى ذمة التاريخ شفيق غربال ، فقدته الثقافة العربية علمًا من أعلام التربية والتاريخ يقل نظراؤه بيننا على كثرة المربين والمؤرخين .

كان رحمه الله مربيًا معلمًا فى حياته الخاصة ، حين يكون أكثر شغل المربين فى المدرسة ، وأكثر شغل المؤرخين فى صفحات الكتاب .

وكان شعاره المطبوع فى التربية وفى التاريخ .. الاستقلال

ونعنى بشعاره المطبوع أنه الشعار الذى يميل إليه بفطرته ومزاجه ، وإن لم يعلنه كما يعلن الشعار المستفاد من الدراسة أو الرأى المدعوم بالدليل .

وكاد أن يكون هذا الاستقلال بالفكر عزلة عن الناس ، لولا أنه ، رحمه الله ، لم يكن يتعمد العزلة كما لم يكن يتعمد الاختلاط بمن يعرف أو لا يعرف من الصحاب والغرباء ...

كان من مبدئه المستقل فى التربية ربما رأى طفله العزيز عليه يهم بالحركة الخطرة فيظهر التغاضى عنه ، ليجرب الخطر بنفسه ، ولينهى نفسه عن العودة إليه بغير حاجة إلى سماع النهى من أبيه أو معلمه .

وكان من مبدئه المستقل فى التاريخ أنه كان على إجلاله لأستاذه العلامة (توينبى) قلما يتقيد بنظراته العامة إلى عوامل التاريخ الإنسانى وغاياته وعوارض القوة والضعف فى أمم الماضى وجماعاته ، بل كان له وصفه لكل حادث من الحوادث الكبرى على حدة . وتعليله لكل نتيجة من النتائج الباقية على نحو يستقل به على سائر التعليلات ، إن رأى ضرورة لهذه التعليلات .. وقليلا ماكان يشعر بالاضطرار إليها اكتفاءً بالوصف العلمى عن التفسير الفلسفى ، أو اعتمادًا على جمع الظواهر المشهودة جنبًا إلى جنب ،

* الأخبار فى ١٩٦١/١٠/٢٥ .

بدلا من اقتحام الأسرار الخفية على المجهول.

وكان حذره من الهجوم على الباطل يوشك أن يكون تهيّبًا للحقيقة وقناعة منها بجانب الأمان. وهذه هى صيغة الاستقلال فى طبيعته التى كانت تأبى عليه الاقتحام إلى هذا الجانب أو إلى ذاك.

واشتغل المؤرخ المربى باللغة من قبل اختياره لمجمع اللغة العربية ، فلما أضاف اللغة إلى دراساته المحبوبة كانت دراسته لكل كلمة أشبه شىء بالبحث عن تاريخها أو مناسباتها التاريخية. وكان بحثه عن كل مناسبة من هذه المناسبات أشبه شىء بالتحضير لدرس من دروس التربية والتعليم.

كان للتاريخ من فكره القويم حظ عظيم ، وإن من حقه على التاريخ أن يكون له حظه العظيم بين صفحاته وآثاره ، وهذا هو الجزاء الحق الذى يتولاه خاصته وذووه وتلاميذه ومريدوه ، وهم بحمد الله كثيرون يستطيعون – وفاءً له وللتاريخ الذى أحبه وأحبوه – أن يمدوا فى علمه بالاجتهاد فى جميع آثاره واستقصاء المطبوع والمخطوط من كتبه وأوراقه ، وكلها منتظر نافع ، وكلهم قادر على أداء هذه الامانة والوفاء بهذا الواجب. عسى أن يكون فيه بعض العوض عن عمله الذى انقطع ، ولكنه لم يضع فى ذمة الزمن ، وفى ذمة الله.

أخوال النبي عليه السلام*

« .. جاء في يوميات الأخبار في ردكم على المستفهم عن أخوال النبي عليه الصلاة والسلام أن جده لأمه لم ينجب ذكورًا وأن كتب السير لم تذكر ذلك ، وإني أستأذن سيادتكم في عرض ما أعرف عن هذا الموضوع . فقد قرأت في كتاب محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لأبي القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني مانصه : « يروى أن الأسود بن وهب خال رسول الله استأذن عليه فبسط له رداءه فقال الأسود : حسبي أن أجلس على ما أنت عليه ، فقال النبي ﷺ : اجلس فإن الخال والد ، ومن هذا نعلم أن للرسول عليه السلام خالاً اسمه الأسود بن وهب ، والسلام عليكم ورحمة الله ... » .

عبد الحميد حسن محمود

مدرس

إننا لم نقل إن جد النبي عليه السلام لم ينجب ذكورًا ولكننا قلنا بهذا النص إن « المفهوم من القول بأن والد السيدة آمنة قد مات عنها . أنه لم يمت عن أحد غيرها من البنين والبنات » .

أما رواية الراغب الأصبهاني فهي تذكر الأسود بن وهب ، وهكذا ورد الخبر عن الأسود في أنساب قريش لأبي عبد الله المصعب الزبيري : « من ولد عبد مناف بن زهرة الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة » .

فليس هو ابن وهب على هذه الرواية ولكنه ابن عبد يغوث بن وهب ولم يثبت أن أباه مات عنه مع السيدة آمنة والدة النبي صلوات الله عليه .

ولا تدل أخبار الأسود هذا على أنه كان موضع الحفاوة من النبي ، لأنه كان من

* الأخبار في ١٨/ ١١/ ١٩٦١ .

المستهزئين . ويروى عنه صاحب الأنساب وغيره « أن جبريل حنى ظهره ورسول الله ﷺ ينظر فقال رسول الله ﷺ : خالى خالى . فقال جبريل : دعه عنك ، فمات الأسود » .

وعن روايات الراغب الأصبهانى يسألنا – فى هذا البريد – الأستاذ عبد الرحيم الشهاوى من قلين بمحافظة كفر الشيخ : كيف نوفق بين ما روى فى هذا الكتاب من حديث منسوب إلى رسول الله : لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا خير له من أن يمتلئ شعرًا ، وبين قول الرسول إن من الشعر لحكمة ؟

وكلنا نعلم أنه عليه الصلاة والسلام كان له شاعره حسان بن ثابت ، وأن الإمام الشافعى كان شاعرًا ، وأن الكثيرين من أجلاء الصحابة كانوا ينظمون الشعر وإن لم يحسبوا من الشعراء .

ونقول للأستاذ الشهاوى إننا لا نصحح الكثير مما ورد فى محاضرات الأدباء من الأحاديث ، وإن ماورد فى هذا الكتاب قد ورد فى غيره من كتب الروايات المقبولة وغير المقبولة . وليس من العسير دفع التناقض الظاهر بين الروايات إذا صحت بهذه النصوص ، فإن كلمة (الشعر) قد تقال ولا يلزم منها أن تطلق على جميع الشعر بل على شعر معهود منه تدل عليه المناسبة ويصدق عليه التحريم ، ولا تناقض فى هذه الحالة بين قوله صلوات الله عليه « إن من الشعر لحكمة » وبين سائر الأحاديث المروية فى كراهة الشعر ، فإن قوله : إن فى الشعر لحكمة ، معناه بالبداهة : إن من الشعر لحكمة ، ومعناه بالبداهة بعد ذلك أن نعلم أن الشعر المنهى عنه هو الشعر الذى يناقض الحكمة ويدعو إلى الخطل والسفه ، وفى الآية القرآنية التى استهل بها الأصبهانى شواهده وأشار إليها الأستاذ صاحب الخطاب بيان فاصل لشعر الغواية وشعر الهداية إذ تقول الآية الكريمة : (والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل وادٍ يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ماظلموا وسيعلم الذين ظلموا أىَّ منقلب ينقلبون . . » .

فلا موجب إذن للحيرة بين مختلف الروايات عن الأحاديث الخاصة بالشعر فإن

الحدّ الفاصل بين الشعر المكروه والشعر المباح واضح من الآية القرآنية وضوحه من الأحاديث النبوية ، فكل ما سلك بأصحابه سبيل الظلم والغواية ، وهام بهم فى كل واد على غير هدى فهو مستنكر معيب ، وكل من قال صالحًا وعمل صالحًا وتاب عن الظلم فلا جناح عليه ، ولعل الشعر الذى يمتلئ الجوف قيحًا خير من الامتلاء منه هو الشعر الذى كان معهودًا قبل توبة من تاب وقبل الذين ذكروا الله وانتصروا من بعد ما ظلموا .. فلم يكن من العمل الصالح ولا من القول الحكيم .

فوائد القراءة .. ! *

« .. أيهما أكثر فائدة : التفرغ لقراءة كتاب واحد بعينه ، أو توزيع الوقت بين عدة كتب ؟ ولا يخفى أن قراءة عدة كتب من مزاياها اتقاء الملل ومنع تسربه إلى النفس بسرعة .. »

محمد فوزى عبد المقصود

كلية الحقوق – جامعة القاهرة

(كلاهما) .. أفضل عندى من سؤال (أيهما ؟ هذا أو ذاك) .. فإن سؤال : (أيهما ؟ هذا أو ذاك) قد يدل على قناعة الاكتفاء بالقليل. وقد يصرف الذهن عن الإحاطة بالمسائل من نواحيها الكثيرة. وقد يدل على سهولة الحيرة فى غير موجب للحيرة ، مع قليل من الصبر عن التأمل فى شتى المزايا ومختلف الفروض والاحتمالات ..

وفى سؤال الحقوقى الأديب يسهل جدا أن نعرف مزية العودة إلى الكتاب الواحد ومزية التنويع وتوزيع الوقت بين كتب متعددة.

ففى إعادة القراءة تمكين وتقرير ، وفيها كذلك تنويع واستطلاع للجديد يعوضنا عن متعة التغيير والانتقال من مطالعة إلى مطالعة ، لأننا نفهم من الكتاب الواحد كلما عدنا إلى قراءته وجوها من المعنى لم نفهمها عند القراءة الأولى ، على حسب اختلاف الظروف بين أوقات القراءات ، وعلى حسب اختلافنا نحن بين أطوار النمو والخبرة ، وليس أمتع لعقولنا من أن نراقب أنفسنا ونحس الفوارق بين أطوار تقدمها واتساع أفقها ، وليس أنفع لها من أن تدرك تأثير الظروف فى خواطرنا بين السهولة والعسر وبين القبول والإنكار وبين التفاؤل والتشاؤم ، وبين إحساسنا بقوة الدليل الذى كنا نستضعفه أو ضعف الدليل كنا نصدقه ونسرع إلى قبوله ، فإن فى ذلك كله دفعًا للملل

---

* الأخبار فى ١٨/١١/١٩٦١.

السريع لا يقل عن التنويع والتوزيع ، إذ ليس اطلاعنا على عقلنا فى خمس حالات مختلفة أقل متاعًا وفائدة من اطلاعنا على عقول خمسة أناس مختلفين لأول وهلة ، وقد يكون الاختلاف بينها أيسر من ذلك بعد إعادة النظر والمراجعة .

أما تنويع القراءة فله مزيته التى ذكرها الطالب الحقوقى الأديب ، ولكن هذه المزية الأولى تزداد ظهورًا كلما عاودنا النظر فى الفوارق بين تلك الكتب فى موضوعاتها وأساليبها وأطوار مؤلفيها ، وقد نعدّ الكتب التى تصفحناها مرة واحدة كالوجوه التى نلمحها مرة واحدة على عرض الطريق : غرباء يظلون غرباء مدى الحياة ، ولكننا لا نحسبهم من المعارف والأصدقاء بل لا نحسبهم من (العملاء) المفضلين الذى تمر بهم ويمرون بنا على غير تعارف وصداقة ، ولكننا نترقب رؤيتهم حينًا بعد حين ..

أيهما ؟ ...

كلاهما وتمرا على رأى الجعدى الكريم الظريف ، وهو رأى فى مآزق التردد بين مسالك الحياة ، يفض لنا كثيرًا من المشكلات .

لغويات . . !*

جاء فى بعض يومياتكم « .. لعل صاحبة القضية الحقة من بنات حواء تسكت ولا تتكلم وكلمة الحق مصدر تستعمل هنا صفة ويلزم إفراد اللفظ وتذكيره كما قال ابن مالك فى الألفية :

ونعتوا بمصدر كثيرًا والتزموا الإفراد والتذكيرا

ولست أريد بهذا الكلام تسقطا للأخطاء وإنما دفعنى إلى الكتابة إليكم رغبتى فى الاستفادة والمعرفة ، فربما كان هناك رأى يجيز هذا الاستعمال أو ربما كان هناك خطأ مطبعى غير مقصود . ونحن كثيرا ما نلاقى العنت من السادة المفتشين لاستعمال الطلاب هذه الألفاظ الدائرة على أقلام الكتاب ، مثل مشاريع ، ومفاهيم ، ومواضيع ، والرصيف واللافتة .. إلى آخر هذه القائمة الطويلة ..

فوزى محمد حباتر

مدرس بدار المعلمين بأسوان

بغير مناقشة « الألفية » تصح كلمة الحقة لأنها – كالحق – مصدر لفعل حق تثبته المعجمات اللغوية .

فإذا سلمنا أن المصدر يأبى الجمع فى موضع الصفة على حالة من الحالات فالحقة جائزة حيث استعملناها كما تجوز كلمة « الحق » بلا خوف .

ولكن المصدر يجمع فى غير موضع الصفة على جميع الأقوال إذا تنوعت معانيه ، وقد جمعوا الفضل على أفضال وهم يجمعون المجد فى العصر الحاضر على أمجاد إذا أرادوا بها مجد الآباء مجد الأجداد ومجد الفتوح ومجد العلوم ومجد الأخلاق ، وغير ذلك من الأمجاد .

* الأخبار فى ١٩٦١/١١/١٥ .

والفتوح التى ذكرناها هنا وذكرها مئات المؤرخين والشعراء من قبلنا هى أيضًا جمع المصدر فتح « فتحًا » قد جاز فيها الجمع حين جاز التعداد.

فإذا صح جمع المصدر على هذا المعنى فقد بقى أن نطالب من يمنعون جمعه فى موضع الصفة بالدليل من شواهد البلغاء والعرب المتقدمين. ولا ندرى كيف جاءهم الشاهد الذى يبنون عليه المنع كما قال صاحب الألفية؟

هل حدث أن المتقدمين استعملوه ثم جاء من يمنعه على المتقدم الأول؟

هل تكون الحجة أن كلام المتقدمين خلا من جمع المصدر وتأنيثه فأصبح خلو الكلام منه حجةً على تحريمه؟

إن القرآن الكريم قد خلا من كلمات كثيرة صحيحة غاية الصحة ولا يعتبر ذلك شاهدًا على وجوب اجتنابها.

ولسنا نخالف النحاة فى تصور معنى المصدر الذى لا يقبل الجمع لأنه غير الحدث المتكرر، فهذا تصدر دقيق لمصدر الفعل يدلّ على حالة عقلية ولا يدل على أحداث قابلة للتكرار، ولكن الحالة نفسها تجمع إذا تنوعت، والصفة تخرج الكلمة من معنى المصدرية إلى المعانى التى يجوز فيها اتباع الموصوف على « حالاته ».

وقد يكون لصلاح اللفظ حكمة فى الإجازة والمنع حسب مجراه على الألسنة، فلا يصح فى جميع الكلمات مايصح فى بعضها على القياس، ولكن التصرف الذى لا ينكره اللفظ السائغ ولا المعنى المعقول بابٌ سمحٌ تتسع معه القاعدة دون أن يخرج بها الاتساع عن حدّ اللغة المحمود، وليست المرأة الحقة بأصعب لفظًا من المرأة العدلة، وهى تجوز.

ولأن مفتشيكم لمشكورون على تحرى الصحيح والتحذير من المخالفة التى لا حاجة إليها، ولكنهم إذا لم يقبلوا التوسع فى ذلك الحدّ المعقول فعليهم أن يراجعوا كلمة « التفتيش » نفسه ليجيزوا بقاءهم « مفتشين » أو ينظروا فى اختيار اسم آخر أوفق لعملهم من اسم التفتيش..

أمانة الضمير فى الأدب والفن*

من المصادفات التى لا تنسى فى صدد الكلام على أحد من الروائيين - أننا كنا فى هذا الأسبوع نعرض فى لجنة خاصة بنشر التراث الإنسانى أسماء أعلام الفكر والأدب الذين يترجمون أو يلخصون فى اللغة العربية . فكان اسم الزعيم الأديب الفيلسوف الإيطالى (ماتسينى) فى مقدمة الأسماء التى وقع عليها الاختيار وفرغ البحث من إسنادها إلى من يتولاها .

ويتفق فى الأسبوع نفسه أن يجرى البحث . بالمجمع اللغوى ، فى كتابة الأعلام الأجنبية فيظهر اسم ماتسينى على رأس هذه الأعلام ، لأن حرف الزاى Z المشددة باللغة الايطالية ينطق أحياناً كما تنطق (التاء والسين) عندنا وينطق فى جهات أخرى من البلاد الإيطالية كما تنطق (الدال والزاى) وفاقاً لقواعد المخارج اللفظية فى علم الصوت .

واليوم نقرأ فى صحفنا أن الكاتب الإيطالى (اجناسيو سيلونى) يبرح القاهرة إلى الأقصر وأسوان فى رحلة من رحلات موسم الشتاء .

وسيلونى هو تلميذ ماتسينى فى مبادئ الإصلاح والوطنية وشئون السياسة الدولية ، وهو الأديب الإيطالى الذى اختارته سلسلة الأفكار الحية عن ماتسينى باللغة الإنجليزية ، بين طائفة من هؤلاء الأعلام (العالميين) أمثال تولستوى وجفرسون وكارل ماركس وفولتير .

ونحسب أن هذه المصادفات مما يلاحظ فى صدد الكتابة عن أديب مشهور بين أدباء القصة فى العصر الحاضر. لأن العرف قد جرى من زمن طويل على انتقاد المصادفات فى حوادث الروايات واعتبارها دليلا على التلفيق ومخالفة الواقع فى سرد

* الأخبار فى ١٧/ ١/ ١٩٦٢ .

الحوادث الطبيعية أو الاجتماعية وبالغوا بعد المبالغة حتى كادوا يعتقدون أن المصادفات لها محل فى وقائع الحياة وليس لها محل فى روايات المؤلفين ومخترعات الخيال .. ! وقد أصبح فريق آخر من النقاد يردون على هذه المبالغة بمثلها فيقولون عن الروايات التى تكثر فيها المصادفات : إنها واقعية أكثر من اللازم ..

وقوام الأمرين – على هذا – أن يتغلب المؤلف الروائى على هذا الوسواس ، فلا يختلق المصادفات اختلاقا ولا يحذرها إذا جاءته فى طريقه ، خوفا من اتهامه بالاختلاق ..

وقد تنبهت إلى مصادفات ماتسينى فى هذا الأسبوع لأننى عرفت الكاتب الإيطالى من طريق كتابه عن أستاذه الجليل قبل أن أعرفه من طريق رواياته وحكاياته القصيرة ، ولا يزال مثال ماتسينى فى تقديرى مقياسًا لأصحاب الأقلام وأصحاب الأفكار والأعمال على العموم ، فليس فى وسع مفكر يكبر أمانة الفكر والخلق أن يستخف برسالة ماتسينى فى جهاده الإنسانى أو الوطنى أو جهاده للأدب والمعرفة ، وليس فى وسع العقل الزائف أن يفهم جوانب العظمة فى عمل من أعماله ، لأنها تكلفه (ضد طباعه) وتقتلع منه جذور كبريائه وغروره .

كان كارليل صاحب كتاب البطولة والأبطال يقول إنه إذا ذكر معنى (الشهيد) وأراد أن يرى له مصدقًا من أصحابه الذين رآهم فى حياته لم يخطر له مثال غير مثال (ماتسينى) فى إيمانه بالمثل العليا وصبره الطويل على خيبة الأمل فيها ..

وكان موسولينى من الطرف الآخر يوافق كارليل على اعتبار ماتسينى من الشهداء ويسميه بالقديس (جيوسبى) أو القديس يوسف .. ولكنه يفعل ذلك لأنه يستهزئ بالشهداء ويلحقهم بالبلهاء ، ولا يفعله لأنه يقدس روح البطولة فى الشهيد كما يقدسها مؤلف الأبطال .

وسيلونى – تلميذ الشهيد – يعجب بأستاذه ويغتفر له نقائضه فى سبيل إيمانه وجهاده ، ولكنه يتعزى بتلك النقائض بين السطور ولا يريد أن يكشف عزاءه للقارئ وهو يسوق غرائب أستاذه بين الإعجاب والعزاء ، والاعتذار .

فالكاتب الإيطالى الحديث يدين بقانون الأخلاق كما كان يدين به أستاذه الشهيد ، ويدين بالعقيدة الإلهية التى لا تعرف لها معبدًا غير معبد المحبة والواجب وحقوق الولاء للإنسانية جمعاء ويقيس الولاء لكل عقيدة من العقائد بمقياس الأخلاق الخالصة قبل كل مقياس ، فإذا آمن (بما لقيصر وما لله) قال : نعم ، ولكن قيصر ليس له شيء إن لم يكن قوامه فضائل الأخلاق .

ولهذه الخصلة الكريمة فى التلميذ البار الأمين كانت المذاهب الاجتماعية عنده تبعًا للأخلاق الإنسانية ، ولم تكن هذه الأخلاق تبعًا عنده لدعوة المذاهب كيفما كان نصيبها لديه من الولاء والتصديق .. وقد دان ببعض المذاهب يوم كان أتباعها يدعون إليها فى الخفاء ويتعرضون من جرائها للظلم والاضطهاد ، فلما رفع عنها الحجر وانقلب الداعون إليها من التمرد على الظلم إلى ظلم الآخرين ، ومن الصبر على الاضطهاد إلى اضطهاد الأبرياء ، أنكر أعمالها وعرف مواضع الخطأ ومواضع الشر والضغينة فى مبادئها ، وأعلن براءته من أحزاب السياسة وأحزاب الاجتماع بلا استثناء ، وعاش منذ ثلاثين سنة بلا نصير من أصحاب الآراء ، وإن كان ينصر أحيانًا من يعاديه فى سبيل الأحزاب والدعوات .

وللرجل حظ من قسمة الشهداء بالرغم منه ، لأنه على إعجابه بماتسينى يأبى أن يسلكه أحد فى مسالك القديسين على طريقة موسولينى الذى قدس أستاذه باللسان ، إيثارًا لأسلوب التقديس المعكوس على أسلوب الاستهزاء الصريح .

ومن حظ الشهداء فى حياة سيلونى أنه تلقى السخط من اليمين واليسار ، وجهلته بلاده يوم كان يشن الغارة على طغاتها فى منفاه ، فاشتهرت مؤلفاته بين الأوربيين قبل أن تشتهر بين الإيطاليين ، فلما عاد إلى وطنه بعد الحرب العالمية الثانية وقفت شهرته على حدود الماضى المهجور ، لأنها قامت على حملة من حملات الجهاد والثورة على طغيان الفاشية فات أوانها منذ سنين .

وبالرغم منه ، كذلك ، بدأت حياته بداءة الشهداء ، لأنه شهد فى موطنه مصرع أمه وخمسة من إخوته فى الزلزال وهو يناهز الخامسة عشرة ، ثم انتزع منه أخوه الوحيد

الذى بقى له من أسرته وعاونه فى بوادر كفاحه للفاشية وأنصارها ، فلم يلبث أن علم أنه أودع السجن ومنع عنه القوت وساموه الخضوع لدعوتهم فقابل التعذيب والإكراه بالتحدث والإصرار . فما زالوا به ذات يوم يوسعونه ضربًا ويعاودون سؤاله وتبكيته بين لحظة ولحظة حتى فارق الحياة تحت العصى والسياط .

وقد ذكرت أننى عرفت سيلونى من كتابه عن (ماتسينى) قبل اطلاعى على شيء من رواياته الطوال أو حكاياته القصار ، ثم ألممت بأطراف شتى من فنه القصصى فحمدت منه ذلك الصدق الذى يحمده قراء رسائله وفصوله فى النقد الاجتماعى ، وتلك البساطة التى تندر فى أساليب الرواة المعاصرين لاشتغال أذهانهم بالتحليل المقتحم والدعاية المسخرة لأغراض المذاهب بين السطور أو على وجه السطور ، ولكن سيلونى الناقد الاجتماعى لا يزال فى تقديرى صاحب المكانة الفضلى والكفة الراجحة على (سيلونى) الروايات والاقاصيص والحكايات ، ولعل التفضيل هنا لموضوع على موضوع وليس القدرة على مقدرة . لأن عشاق الفن الروائى يرفعون آثار سيلونى القصصى إلى منزلة أدبية لا تعلوها منزلة قصاص غربى من أساتذة هذا الفن بين الحربيين العالميتين .

ويحق لعشاق الفن الروائى أن يرتفعوا به إلى هذه المنزلة بلا مراء .. فقد استطاع بأسلوبه البسيط ما لم يستطعه أكثر الرواة المشهورين بغير التكليف الملحوظ لاعتساف المناسبات وخلط الوصف التحليلى أو خلط الحيل (البوليسية) بمواقف التشويق والتعليق فإن سيلونى يعطى القارئ (شخوصًا) إنسانية مفهومة لنا كما نفهم الناس فى الحياة اليومية بغير حاجة إلى إحالتهم على معامل التحليل ، ويمثل كل نموذج إنسانى من نماذج الريف فلا نفتقد منهم واحدًا نذكره حين نذكر القرية أو البلدة الصغيرة ، وليس فى رواية من روايات العصر فلاح أو شيخ بلد أو قسيس أو موظف من زمرة الموظفين المحليين أو فتاة متمدنة أو شيخة من الدقة القديمة يتمثلون للقارئ فى صور أصدق وأقرب من صورهم التى يمثلها لنا مؤلف (الخبز والخمر) أو (فونتامارا) أو (حفنة من تمر العليق) أو (سر لوقا) أو (البذرة تحت الثلوج) .. ولكن دون أن يشعر

القارئ أن مؤلفه الصادق الخبير بنفوس أبطاله وبطلاته قد سمع باسم فرويد أو شرلوك هولمز أو أرسين لوبين .

وسيظل للرجل فضله الأول فى هذه الأمانة التى لا يزيد أفراد طائفتها على أصابع اليدين بين مشاهير القصاصين الغربيين ، ونعنى بها أمانة الضمير وهو يأنف للعقل الإنسانى أن تستعبده دعوة المذهب أو فرصة المكسب أو المبالاة بمرضاة الأنصار ونكاية الخصوم واصطناع الأحزاب والأولياء ..

* * *

من علامات الخير أن يكثر الحديث عن حقائق الفن الجميل ، وأن تشيع الآراء فى (النقد الفنى) بين قراء الصحافة العصرية فلا تنعزل (صناعة) القراءة الصحفية عن صناعة النظر فى الصور والاستماع إلى الموسيقى أو صناعة الإقبال على الستار الأبيض ومسرح التمثيل .

ومن بريد اليوميات — بعد الكلمة التى كتبناها عن بيكاسو وأضرابه — نعرف بعض الشواهد على شيوع تلك الآراء بين جمهور الصحافة (بالاشتراك) مع جمهور الفن الجميل .. !

* * *

يسأل الأديب خميس سعيد بآداب الإسكندرية : هل من العناء الضائع تعريف الأدب على صورة تؤدى إلى قبول مدرسة من الأدب وإنكار مدرسه أخرى ، كما قلتم عن الفن فى كتابكم عن أفيون الشعوب .

ويسأل الأستاذ سعيد القصبى بأسيوط : وماهو الرأى الصواب فى قول الدكتور لويس عوض إن الأدب الاشتراكى يحيط به خطران : خطر عبادة الفرد وخطر عبادة الجماعة ، أو خطر الفن للفن وخطر الفن للأهداف المرسومة ؟

ويسأل الأديب على عيد على بكلية التجارة جامعة عين شمس : أيهما السابق فى الحياة الإنسانية والنشأة التاريخية : ظهور الفنون أو ظهور العلوم ؟

ويسأل السيد (عبد ربه الجنيد) : هل الفنون المستقبلية سابقة لأوانها أو هى بدعة غريبة عن الفنون ؟

ونرى أن الإجابة بالمبادئ المجملة تغنى عن التفصيلات فى كل سؤال لخصناه فيما تقدم وأكتفينا به اضطرارًا عن غيره من الأسئلة التى تشبهه أو تنضوى فيه .

ومن المبادئ التى تؤمن بها فى الفنون الجميلة :

١ - أن الأدب الصادق - كالفن الصادق - لا يستطيع بإرادته أو بغير إرادته أن ينفصل عن الحياة الاجتماعية التى ينشأ بين ظهرانيها .

فليس بين الأمثلة التى يضربونها لأدب البرج العاجى مثل أظهر عندهم من وصف الشاعر للوردة .. ولكن الشاعر الذى يصف الوردة لا يسكن البرج العاجى فى البلد الذى ينفق فيه (المجلس المحلى) حصة من الميزانية لغرس الحدائق والأشجار على قوارع الطرقات ، وكل من الشاعر والمجلس المحلى يسكنان فى الدور الأرضى من المجتمع ، إن لم نقل فى (البدرون) حيث تغوص جذوز الأشجار والرياحين .

٢ - وليس هناك فن للفن - إذن - ولا فن للشاعر وسامعه دون سواه ، ولا استثناء فى ذلك لقصيدة الشاعر فى الغزل أو فى المدح أو فى الهجاء ، لأنه قصيدة الغزل معيار لمكانة المرأة فى الأمة والبيت ، ومعيار لعاطفة العاشق والمعشوقة ومعيار للذوق الذى ينم على الأخلاق . ودلالة المديح والهجاء على الأخلاق المطلوبة فى المجتمع والمنبوذة فيه أظهر وأقوى من دلالة الأوصاف التى تصطبغ بها أشكال الشخوص الخيالية فى الروايات .

٣ - أن فنون المستقبلين وغيرهم من أصحاب المدارس المستحدثة باسم التجديد تستحق البقاء فى الحاضر وفى المستقبل وفى كل زمن إذا كانت تطورًا للفنون والآداب يجرى على سنة التطور فى جميع الأحياء ، ولكن مستحيل مع إلغاء القواعد الفنية كل الإلغاء ، لأن الكائن الحى لا يتطور بإلغاء قوامه وهدم بنيانه بل يتطور بامتداد الحياة والإنشاء لذلك القوام وذلك الإحياء .

٤ - وأن تعريف الأدب الصحيح لا يبطل مدرسةً واحدةً من مدارسه الكثيرة

ولكن الشرط الأول أن يكون (أدبًا) ولا يكون قضاةً على الأدب فى أصوله .

فالشعر الجديد لا يخرج من ديوان الشعر كله فى جميع عصوره ، ولكن الشرط الأول فيه أن يكون شعرًا يبقى على قوام فن الشعر ولا يهدمه من أساسه ولا قوام للشعر إذا أصبح الشعر والنثر فنا واحدًا لا تمييز فيه بين القصيدة وبين النثر المفصّل أو المسجوع .

رابعة العدوية ولماذا ينكرها أهل السنة .. !!*

قصة فى أوانها .. والضمير فى أدائها يعود إلى سيرة رابعة العدوية طيب الله ثراها وعطر مثواها .

والقصة على ما نرى قصة عراك حول هذه السيدة المباركة بين أهل الفن وأهل السنة وأهل التصوف وأهل القانون ..

عراك على حقوق التأليف ، وعراك على سمعة السيدة ، المباركة ، وعراك على تمثيلها وإذاعة أحاديثها وكراماتها .

والسؤال من بعض الغيورين على اسمها المصون !

لماذا ينكرها أهل السنة وينحون عليها فى صحفهم ويغضبون لإحياء ذكراها وهى لا تستحق الإحياء ، ولم تكن صاحبة السيرة فى زعمهم تستحق الحياة .. !

ولا غرابة فى الخلاف بين أهل السنة وأهل التصوف لأنه خلاف منتظر بين أنصار السنن العامة وأنصار العبادة الخالصة التى يتصرف فيها كل عابد بوحى الضمير والذوق وهداية التفسير والتأويل .

ولكن أنصار السّنة فى هذه الخصومة بعينها لم يناصرهم التوفيق ، لأنهم عابوا على السيدة « المتصوفة » أنها كانت تصلى ألف ركعة فى الليلة مع أن الله خفف الصلاة عن عباده من خمسين إلى خمس ، وكانت تسأل عن ذلك فتقول إنها لا تريد ثوابًا وإنما أفعله لكى يسر به رسول الله يوم القيامة فيقول للأنبياء : انظروا إلى امرأة من أمتى هذا عملها .. » مع أن المسلم – كما قال أنصار السنة يأتى بالأعمال الصالحة وينتظر ثواب الله ...

---

* الأخبار فى ١٩٦٢/٢/٧ .

ولا يحق لأنصار السنّة المحمدية – باسم السنّة – أن ينكروا على عابد أو عابدة زيادة الصلاة على الصلوات الخمس المفروضة ، فإن من سنّة النبى عليه السلام أن يقوم الليل نصفه أو أكثر منه كما نقرأ فى سورة المزمل :

(يأيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زدْ عليه ورتِّلِ القرآنَ ترتيلا ...)

ولا حرج على مؤمن متدين أن يطيع الله حبا لطاعته ولا ينتظر الثواب ثمنًا للطاعة ، بل لا حرج على مواطن صالح أن يعمل بالعرف الجميل ولا ينتظر الجزاء ولا الثناء من الناس .

أما السؤال عن حقائق التاريخ فلا حاجة إلى حقائق التاريخ إذا أغنتنا عنها حقائق جدول الضرب وحقائق علم النفس التى هى حسبان من قبيل الحساب .. !

ألف ركعة لا تستغرق أقل من ست عشرة ساعة ، إذا لم نحسب حساب الاستطاعة ..

وحديث السيدة رابعة عن أملها فى إرضاء الرسول يؤيده علم النفس المحقق الذى يقول لنا إن المرأة لا تعمل عملا إلا وهى تبتغى منه أن تكسب الثناء من رجل تقدسه أو تعجب به أو تخافه أو تحبه أو تخاف عليه ، وليست المرأة المتصوفة مستثناة من قواعد الأنوثة .

ورضى الله عن هذه الأنثى الصالحة فى شهر الصلاة والصيام .

« تحية طيبة مباركة ، وبعد فقد ذكرتم فى كلمتكم القيمة التى نشرت بجريدة الأخبار حديثًا اشتهر بين الناس بأنه مرفوع إلى النبى عليه السلام وهو غير صحيح ، وذلك هو حديث : خذوا نصف دينكم من هذه الحميراء .

قال فيه الحافظ بن حجر : لا أعرف له إسنادًا ولا رأيته فى شىء من كتب الحديث إلا فى النهاية لابن الأثير ولم يذكر من خرجه ، وسئل الحافظان المزى والذهبى فلم يعرفاه ، ولا نستقصى أسماء من طعنوا فيه من أئمة الحديث .

وقد دعانى إلى بيان حقيقة هذا الحديث ماأعرفه من أن الناس يثقون بكل ماتنشرونه ولا يشكون فيه ، وتفضلوا بقبول فائق الاحترام »

محمود أبو رية

نشكر للأستاذ الفاضل استدراكه ، ونود أن نقول – لهذه المناسبة – إن تحقيق الإسناد لم يكن حكرًا للمشتغلين بالتحديث ونقل الروايات عن الأحاديث ، لأننا جميعًا نستند إلى أقوال ثقات اللغويين فى تحقيق الشواهد اللغوية من قبل الإسلام فى عصور اللغة الأولى . وقد روى صاحب لسان العرب هذا الحديث بهذه الصيغة : « خذوا شطر دينكم من الحميراء » ثم قال يعنى عائشة ، وكان يقول لها أحيانًا ياحميراء .

وقد تحقق فى تاريخ الحديث والمحدثين أن الشيخين اتفقا على رواية مائة وأربعة وسبعين حديثًا عن السيدة عائشة رضى الله عنها ، وأن البخارى انفرد بأربعة وخمسين ومسلمًا بثمانية وستين ، وقال مسروق : رأيت مشيخة أصحاب رسول الله الأكابر يسألونها عن الفرائض ، وفى الجزء الثالث من تيسير الوصول عن أبى موسى رضى الله عنه قال : ما أشكل علينا أصحاب رسول الله حديث قط فسألنا عائشة عنه إلا وجدنا عندها منه علمًا ، وقد أخرجه الترمذى وصححه .

فالواقع أن صحابة النبى عليه السلام كانوا يأخذون أحكام الدين من السيدة عائشة ، وأنها رضى الله عنها عاشت بعد النبى قرابة أربعين سنة يسألها الصحابة والتابعون عن أحكام الدين فتجيب ، ولم نسمع أن أحدًا منهم شكّ فى قبول حديث سمعه منها .

وقد جاء معنى الحديث فى غير المراجع التى أشار إليها الأستاذ أبو رية مرويًّا فى « كنوز الحقائق من حديث خير الخلائق » للإمام المناوى على هامش الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير ، ونصه هناك « خذوا ثلث دينكم من بيت عائشة » .

فأما الطعن فى الحديث فلن يكون طعنًا فى صحة معناه ولا فى صحّة الواقع ، وإنما يكون سكوتًا عن السند أو عن تسلسل الرواية ، ومثل هذا السكوت مما يحمد الرواة

عليه لأنه شاهد بأمانتهم فى النقل وتحرجهم من نسبة الحديث إلى سند لا يعرفونه ، ولكنه لا يبيح تكذيب الحديث ولا الجزم بامتناع صدوره عن النبى صلوات الله عليه ، إذ كان النبى لا يمنع سؤال السيدة عائشة عن شىء يستفسرونه من كلامه ، وإن حدث هذا على فرض من الفروض البعيدة جدًّا فلن يوجد من بين صحابته رضوان الله عليهم من يسأل بعد ذلك عن حكم واحد أو فريضة واحدة ترجع إلى سند منهى عنه .

وجوهر المسألة كلها أننا روينا عن السيدة عائشة إنكارها لقولهم إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، وأنها تلت بعد ذلك آية الكتاب التى نصت على أن الإنسان لا يؤخذ بوزر غيره « ولا تزر وازرة وزر أخرى » .

فالاستناد إلى إنكار السيدة عائشة لما نقل عن النبى بذلك النص إنما هو الاستناد الصحيح الذى يدعمه نص الكتاب الكريم ، وأخذ هذا الحكم عنها سبب من أسباب اليقين لاغبار عليه ، ولا يبقى من موضع الخلاف بعد هذا إلا أن حديث الحميراء لم يسمعه بلفظه بعض الحفاظ ، ولكنهم لا يقولون بامتناع وقوع الأخذ ولا يمنعه عقلا ولا نقلا على وجه من الوجوه .

ونعود أخيرًا فنقول للأستاذ الأمين على تصحيح الأحاديث من مصادرها إننا نتحرج غاية الحرج من نسبة أمر إلى صاحب الدعوة الإسلامية لا يجوز صدوره منه أو يجوز أن يكون فيه خلاف لكتاب الله ، وللمعهود المأثور من خلائق رسول الله ، وإن الحديث المشهور الذى نستشهد به أحيانًا قد يختلف الناقلون له بنصه كما تختلف النصوص فى بعض الأحاديث المصححة باتفاق الثقات ، ولكنه لا يتخلف أبدًا عن مدلول الأحاديث الأخرى التى تؤيده بمعانيها كما تؤيده بوقائع التاريخ وحجة العقل السليم .

وللسيد أبى رية حقه من الشكر على غيرته وحسن استدراكه فى المبدأ والختام ..

حول تقويم الشخصيات التاريخية*

فى خطاب الطالب الأديب (فتحى عبد الحميد مقلدى بكلية الطب فى جامعة عين شمس) سؤال عن مصرع الحسين بن على رضى الله عنه ينقل فيه كلامًا لصديقنا المازنى عن هذا الحادث التاريخى الجلل خلاصته « إن الحسين قدتعمد أن يضحى بنفسه بعد أن حاول أمرًا عرف مبلغ استحالته ، وليس معه إلا النساء والأطفال وحفنة صغيرة من الرجال ، فدفع بنى أمية إلى قتله قاصدًا أن يحفّ المصرع الذى مضى إليه عامدًا بكل عوامل الاستفزاز ليكون مصرعه لغمًا ينسف الدولة الأموية وينتهى بالقضاء عليها .

ويعقب الطالب الأديب على كلام صديقنا المازنى بقوله : « إنه لم يقتنع تمامًا بهذا الرأى ويرجو إيضاحًا وتفسيرًا له فى اليوميات) .

والذى أذكره من هذا الرأى أنه كما قال السيد (فتحى عبد الحميد » منسوب فى مقال المازنى إلى مصدره الأول : وهو كلام المستشرق الألمانى صاحب كتاب السياسة الإسلامية ، اطلعنا عليه – معًا – فى مكتب الدكتور محمدمهدى خان صاحب مجلة « حكمت » الفارسية لسان حال الإيرانيين الأحرار فى ذلك الحين ، حوالى سنة ١٩١٢ .. وهو – أى الدكتور محمد مهدى – من أكبر المطلعين على تواريخ الشيعة فى هذا الحادث على الخصوص وكان هو أحد الزعماء المفكريين الذين كانوا يشرفون على حفلة « عاشوراء » فى كل سنة ، وإليه كنا نرجع أحيانًا فيما يلتبس علينا من أخطاء الترجمات الإنجليزية عن الآداب الفارسية وأذكر أن صديقنا المازنى رجع إليه فى تحقيق بعض الرباعيات المنسوبة إلى عمر الخيام ..

---

* الأخبار فى ١٩٦٢/٥/٣٠.

ورأى المستشرق الألمانى هذا هو أحد الآراء التى أشرت إليها فى كتابى عن أبى الشهداء ، فقلت إن بعض المؤرخين يرى أن حركة الحسين رضى الله عنه تدبير منه توخاه منذ اللحظة الأولى ، فلم يخامره الشك فى مقتله ، ذلك العام ، ولا فى عاقبة هذه الفعلة التى ستحيق لا محالة بقاتليه بعد أعوام .. « فقال ماربين الألمانى إنها عزمة قلب كبير يحيي بها قضية مخذولة ليس لها بغير ذلك حياة » .

ولكننا لا نعتقد الصواب – كل الصواب – فى هذا الرأى ، فعقبنا عليه بقولنا « إنه لم يكن حقًّا كله فبعضه على الأقل حق لا شك فيه ، ويصدق ذلك على حركة الحسين بعد أن حيل بينه وبين الذهاب لوجهه الذى يرتضيه فآثر الموت كيفما كان ولم يجهل ما يحيق ببنى أمية من جراء قتله .

وقد جرى ذكر الموت على لسانه من خطوته الأولى وهو يتهيأ للرحيل ويودع أصحابه فى الحجاز ، فقال : إن الموت خط على ولد آدم ، ولم يخف عليه أنه يركب الخطة التى لا يبالى راكبها مايصيبه من ذلك القضاء .. »

ولهذه المناسبة نقول للسيد « زاهر أحمد عبد الرحيم » إن هناك مسائل كثيرة تتفق عليها آراؤنا فى الأدب ومذاهب الثقافة العامة نحن والزميلان المازنى وشكرى ، سواء فى مقالات الصحف والمجلات أو فصول الكتب والمصنفات ، ولا غرابة فى هذا الاتفاق مع العلم باشتراكنا فى دعوة واحدة ، واطلاعنا على مراجع واحدة ، وتبادلنا الأحاديث سنوات طوالا فى مختلف الشئون وعوارض الأخبار والأفكار .

ولكن الآراء التى أقررها ولا أسندها إلى مرجع آخر هى آراء قائمة على أسبابى العقلية التى يجمعها أساس واحد من التفكير ، فهى تتفق ببعض نتائجها مع آراء الزميلين الكريمين ، ولكنها فى جميع مقدماتها متفقة مع أساسها الذى لا تنفصل عنه ، حيث تلتقى بنا مذاهب الفكر والذوق وحيث يطرأ الخلاف أحيانًا على الأصول والتفصيلات .

* * *

كان الدكتور « محمد زكى عبد القادر » فى طريقة « نحو النور » المشرق حين كتب اليوم عن ذلك الأستاذ الذى يتهم القادة من الموتى والأحياء جزافًا بالخيانة فقال :

« إنه تعرض لما يمكن تسميته بالإرهاب »

وإن التحذير من التهم « هستيرية أصابتنا حين قال أستاذ جامعى رأيه فى تقويم بعض الشخصيات التاريخية » .

وإن ذلك الأستاذ « من حقّه فى حدود البحث العلمى من وجهة نظره أن يعلن رأيه فى دروسه »

ولا حاجة بنا إلى البحث عن النور الذى اهتدى عليه الدكتور محمد زكى عبد القادر إلى هذه التحيات السليمة للذين حذروا العقول والضمائر من تلك الدروس .

فالمسألة بغير زيادة حرف واحد هى :

أن أستاذًا يفرض على مئات الطلاب أن يسألهم عن محصولهم العلمى آخر السنة ويوجب عليهم أن يقرروا فى الجواب : « أن أحمد لطفى السيد وطه حسين وسعد زغلول ومحمد عبده خونة مجرمون » . وهم بالمصادفة كلهم من مؤسسى الجامعة فى هذه البلاد .

فإذا قرر الطلبة – راغبين أو طائعين – أن هؤلاء الأعلام الذين أسسوا لهم جامعتهم خونة مجرمون فقد نجحوا فى الامتحان واستمروا فى الدراسة وأعطوا التعليم الجامعى حقّه من الكرامة والحرية ، وإذا اجترأوا على وصف أولئك الأعلام بغير هذه الصفة حق عليهم السقوط فى الامتحان والانقطاع عن الدراسة ، ولا يجوز لهم أن يستمروا فى طريقهم الدراسية إلا إذا عادوا فى السنة التالية إلى التكفير عن ذلك الخطأ والإجابة بما يرضى الاستاذ « فى حدود بحثه العلمى وحريته الجامعية » .

إن الذين يطلبون حماية التعليم الجامعى من تعريض عقول المئات والألوف من الطلبة لهذا الإذلال والإجرام هم الذين يمكن أن نسميهم بالمرهبين والهستيريين ، والذاهبين نحو الظلام الحالك فرارًا من النور المبين .

أما أنصار الحرية العقلية فهم الذين يصيحون بذلك الأستاذ صيحة المصارعين غير الهستيريين : دونك أيها الأستاذ وعقول الطلبة المساكين .. فافرض عليهم أن يسودوا

أوراق الامتحان بوصمة الخيانة والإجرام أو يطردوا من سلك التعليم لأنهم غير أهل للتشرف بحقك المطلق فى حرية البحث وحرية الامتحان وحرية التقدير.

يادكتور زكى !

متعك الله بالصحة والنور، وحرمنا الله من كل رمق من هذه الصحة وكل شعاع من هذا النور

* * *

كان كتاب «اضمحلال الغرب» نعيًا هائلا أطلقه المؤرخ الألمانى «أزوالد سنجلر» قبل نحو خمسين سنة فى إبان اعتزاز الغرب بانتصاره على الدولة الألمانية.

وكانت للمؤرخ المتشائم دواعيه الفلسفية التى لم يحفل فيها كثيرًا بأحوال السياسة والحرب فى تلك الفترة، وكانت للأمة الألمانية كذلك دواعيها التى روجت فيها نعيب فيلسوفها المتشائم، فزاد عدد النسخ التى بيعت من كتابه فى ألمانيا الفقيرة على ستين ألف نسخة، لأنها قد وجدت فيها عزاءها بعد هزيمتها وانتصار الدول الغربية عليها، فإنما هو انتصار كالهزيمة المبرمة كما أنباها الفيلسوف الواثق من نعيبه الهائل ثقة المنجم البصير بساعة الكسوف.

أما دواعى «سنجلر» للإنباء بذلك المصير المحتوم فهو إيمانه بغرور المؤرخين الأوربيين الذين حصروا الحضارة الإنسانية بين آفاق قارتهم المحدودة، واعتقاده أن حضارة هذه القارة ومعها حضارة الغرب كله إن هى إلا صفحة من صفحات تنتشر ثم تنطوى متى حان بها يومها المقدور بحساب التاريخ، ويومها المقدور لكل حضارة منها قرابة ألف عام.

وترتيب هذه الحضارة الأوربية بين الحضارات الإنسانية هو الدرجة الثامنة أوالتاسعة بعد حضارة الصين وحضارة مصر القديمة وحضارة بين النهرين وحضارة المجوس، وحضارات أمريكا القديمة، وحضارة اليونان والرومان ويسميها الحضارة الأبولونية نسبة إلى أبولون رب الفن والفروسية وحضارة الشرق الأوسط ومنها الحضارة الإسلامية .. ثم هذه الحضارة الغربية الأخيرة واسمها عنده «الفاوستية» نسبة إلى

الساحر العالم « فاوست » الذى اشترى الرجعة إلى الشباب ليبيع الروح والوجدان .

وليست الهزيمة علامة مهمة من علامات الاضمحلال فى حساب سنجلر لأنه تنبأ للغرب بالاضمحلال وهو على قمة النصر بعد الحرب العالمية الأولى .

ولكن بوادر الاضمحلال عنده تظهر للعيان من أعراض ملموسة تتكرر فى حضارة على صور مختلفة ولكنها متشابهة متقاربة ، وتلك هى أعراض الانتقال من البساطة إلى البذخ ، ومن حياة الطبيعة إلى حياة المدنية ، ومن البواعث الفطرية إلى بواعث التفكير بحساب المكسب والخسارة ، ومن الخيال والبداهة الصادقة إلى حيل الذكاء وتنظيمات الآلة العلمية ، ومن تقديس النبل والتضحية إلى تقديس الأثرة والمناورة .

والظاهرة الملحوظة فى هذه الأيام الأخيرة هى عودة الاهتمام بنعيب سبنجلر إلى الشيوع فى البيئات الغربية من أمريكا إلى ألمانيا حيث ولد الفيلسوف قبل أكثر من ثمانين سنة . فتردد البحث فى كتابه على تعليقات المعاصرين على فلسفات التاريخ التى تقدمت هذا العصر وتجددت المقارنة بينها وبين مباحث التاريخ العصرى خلال هذه السنوات ، وأعيد طبع كتابه كاملاً ثم ظهرت طبعة مختصرة بالإنجليزية فى مجلد واحد متوسط بدلا من مجلدية الكبيرين .

وربما كان ختام الموسوعة التاريخية التى أتمها المؤرخ المشهور « توينبى » فى اثنى عشر مجلدا منذ بضعة شهور سببًا لهذه الرجعة إلى مذهب سلفه الكبير عن مصير الحضارة الغربية ، ولكنها رجعة غير محتومة ولا مطلوبة لو لم تكن هناك أسباب لا تحصى للتشاؤم والحذر كلما تطلع الناس إلى المستقبل مشفقين من صراع المطامع والمذاهب والعصبيات ، متوجسين من حروب الذرة والصواريخ وألغام الفضاء ، ضعاف الرجاء فى غلبة الأمل على اليأس وغلبة الخير على الشر وغلبة الوئام على العداء .

ومن الغلو فى التفاؤل أن نزعم أن المتشائمين جميعًا مخطئون ، إن الخطر الذى يتشاءمون به موهوم أو مختلق أو مبالغ فيه .

ومن الإفراط فى تجاهل الدلالات التاريخية أن ننسى دلالة النعيب الهائل الذى انطلق منذ نصف قرن من صفحات الفيلسوف الملهم أو صفحات الكتّاب الكثيرين

الذين اتبعوه بالنذير بعد النذير والتهويل وراء التهويل فليست المسألة هنا مسألة الخطأ والصواب فى التفكير ، ولكنها قبل ذلك مسألة البواعث النفسية التى يدل عليها تحكم هذه الخواطر فى تلك العقول وليست هى بالعقول الضعاف ولا هى بالعقول التى تخفى عليها سبل الصواب كل الخفاء إلى جانب سبيل الخطأ أو سبيل الخطر الموهوم .

والحق أن علامات الاضمحلال التى توالت بها النذر أظهر وأكثر من أن تحتاج إلى عناء طويل فى البحث عنها ، أو يتيسر للمتفائلين أن يهونوا من شأنها بعد العثور عليها .

فلا حاجة بالفيلسوف الناعب إلى أسباب تحقق له أسوأ ظنونه ، على طريقته ، ليضيفها إلى هذه الأسباب التى سنأخذ الآن فى حسبانها ولا نمضى بها طويلًا إلى نهايتها ، تسويغا لتنفيذ حكمه الصارم على حضارته المتداعية .

ألا يكفيه – مثلا – مسخ الفن الجميل وشعوذة الممسوخين بالقبح الفاضح باسم الجمال !

ألا يكفيه ضعف الثقة بالوجود كله ممثلا فى ضعف الثقة بالدين والصدق ومكارم الأخلاق !

ألا يكفيه تحويل المرأة من وظيفتها الاجتماعية ورسالتها الأموية ؟

ألا يكفيه طغيان العرف الحيوانى على معالم الشخصية الأدمية ؟

ألا يكفيه ضياع التضامن (الآدمى) بين كفر الغالب بالله وكفر المغلوب بالإنسان !

ألا تكفيه سيادة « السطحية » الرخيصة على كل قيمة إنسانية كانت من قبل ذات أعماق وآفاق ؟

ألا يكفيه ؟ ألا يكفيه ؟ بلى يكفيه ويكفيه ويكفيه وحسبنا بعض هذا (التعداد) على الرجل فى مأواه الذى أواه الموت إليه ، قبل أن يتحقق نذيره بالموت لحضارة قومة الغربيين .

إن بعض ذلك يكفيه ، وإن أكثر من ذلك من أسباب الاضمحلال الظاهر – غير خاف – حيث أنذر به فى إبان حياته .

ولكننا نرجع به إلى فلسفته حين نرتاب فى نبوءات تلك الفلسفة ومواعيدها .. فإذا بقيت حضارة اليوم بعد أجلها تبق لأنها قد خرجت من حدود القارة الأوربية وصارت إلى العالم الإنسانى الرحيب الذى لا تحصره تلك الحدود .

إن باب الأمل الواسع فى دوام هذه الحضارة العصرية أنها ملك بنى آدم بحقهم فى ميراثها وميراث الحضارات من قبلها .

ولو أنها كانت ملكًا للقارة الأوربية وحدها لما شككنا فى مصيرها ولا فى عجز تلك القارة عن حمايتها من ذلك المصير ، قبل أن تتداركها حماية الله على أيدى الصالحين الراشدين من بنى الإنسان .

نوع من الجدل ليس له أوان*

نوع من الجدل ليس له أوان ، لأنه فى كل أوان يقوم على دعوى صاحبة ولا يستند إلى دليل .

ذلك النوع من الجدل هو نوع « التعالى » الرخيص الذى يطيب لبعض الكتّاب أن ينتحلوه على حساب الكتّاب الآخرين ، ويحسبون أنهم بغير حاجة إلى مسوغ له غير قولهم بألسنتهم أنهم هم وحدهم يكتبون للبحث العلمى ويعرفون أدب المناظرة ، وأن الكتّاب الآخرين من جميع الأطراف يخرجون على هذا الأسلوب ويهددون حرية الرأى بالاتهام والإرهاب والانفعال وتجاوز العقل فى سبيل العاطفة والشعور .

سألتنى (مجلة آخر ساعة) رأيى فى استباحة كرسى الجامعة للتطاول على نخبة من أعلام الإصلاح فى مصر ، وتلويث أسمائهم وتواريخهم وتواريخ الأمة كلها فى عصرهم بألوان من الأباطيل لم يقم عليها دليل ، وأولها تهمة الخيانة والغدر بالبلاد .

وكان جوابنا لهذا السؤال تحقيقًا تاريخيًا لمصادر الحملة على الإصلاح من جانب دسائس القصور فى يلدز وعابدين ، ومن جانب أنصار الجمود الذين يعارضون الإصلاح فى كل زمن ، عن جهل وسوء نية أو عن غفلة ومجاراة .. وكان تفنيد الأباطيل المفتراة على أولئك الأعلام قائمًا على أوضح الحقائق فى تفنيد الدعاوى الباطلة جميعًا ، وهما حقيقتان بسيطتان (أولاهما) غياب جسم الجريمة كما يقولون فى لغة القانون و (الأخرى) انتفاء كل مصلحة أو منفعة فى الخيانة ، بل تحقق الضرر الذى أصاب أولئك المصلحين من أعداء الحرية وأعداء الإصلاح ، ويلحق بذلك بيان المنفعة الظاهرة أو الخفية التى ينتفع بها المطبلون والمرجفون ، هى وحدة الأسباب التى

---

* الأخبار فى ٦/٦/١٩٦٢ .

عرضت المفترى عليهم كافة للكيد المبيت بصفة خاصة من جانب الجمود وجانب بماسرة القصور .

وكان من حقنا – لو كان الأمر يعنينا – أن ننتظر الشكر على جلاء هذا الموقف التاريخي الدقيق من أولئك الذين يقولون إنهم يبحثون عن الحقيقة ويطلبون الدليل عليها ، ولكن الرجل الذى يسمعنا دائمًا أنه يتحرى البحث العلمى ويعلم الآخرين كيف يبحثون عنه لم يتلفت إلى ذلك ، أو التفت إليه ليسمعنا مرة أخرى حديثا عن البحث العلمى وعن الكتاب الذين يلقى عليهم دروسه ، فكتب يقول ما تعودنا أن يقال على هذا المنوال فى كل مجال .

وقد عرف القراء – ولا شك – من هو الكاتب الذى تغنى الإشارة إليه عن تسميته فى هذا المقام .. ومع هذا فنحن نسميه اليوم ونلقبه اليوم بلقبه الصحيح بدلا من لقب « الدكتور » الذى أخطانا فيه .. فهو الأستاذ محمد زكى عبد القادر ، حفظه الله .

ولسنا نعيد هنا نصًّا من نصوص الكلام الذى كتبناه فى تحقيقنا التاريخي عن مصادر الحملة على أعلام الإصلاح فى تاريخنا الحديث ، فإن المقال بين أيدى من قرأوه ويعنيهم أن يعرفوا موضع الخطأ أو الصواب فيما أدعاه عليه الأستاذ الباحث كما أدعاه على مقالات المنصوح لهم أجمعين .

ولكن المقام هنا مقام الأسلوب الذى يريد الأستاذ « محمد زكى عبد القادر » أن يقرر أوانه ليرجع عنه الكتاب أو ليرجعوا إليه هو قبل سواه .

فلا جدال – على أى نوع من أنواع الجدال – فى أسلوب واحد ليس له أوان على الإطلاق ، ولا سيما إذا وقف به الكاتب موقف التعالى على الجميع وإملاء الدروس على الجميع : وهو الأسلوب الذى يقوم على دعوى صاحبه واتهام سواه بغير دليل على الدعوى ولا فى الاتهام .

فمجرد القول بأن الكاتب يتحرى البحث العلمى لا يعطيه هذه الصفة ولا يجرد الآخرين منها .

ومجرد القول بأنه يتجنب الاتهام والانفعال لا يسمح له بعد ذلك أن يقول كل

مايقوله المتهم المنفعل وهو فى حل من الصفات التى يصف بها الآخرين .

والأستاذ زكى عبد القادر قد حكم لنفسه وحكم على الآخرين ولم يأت بشاهد واحد من شواهد الإثبات فى أقوال أولئك المتهمين أو المنصوحين .

وأيسر ماقاله عن أولئك الآخرين :

وأنهم (كادوا) أن يأتوا بكلام « يصح أن يسمى » إرهابًا أو حجرًا على حرية الآراء .

وإن هذا النوع من الجدل « ربما كان العصر يسيغه منذ خمسين سنة أو ثلاثين سنة ، ولكنه لم يعد مستساغًا فى هذا العصر الذى حلت فيه الجدية فى الفهم والإدراك محل العاطفة والانفعال » .

وإن الكتاب الآخرين (حاولوا استعداء السلطات على النشار) .

ومن الواضح أن البحث العلمى لا يشبه أن يتخلل الكلام كثير أو قليل من كلمات (ربما ويصح أن يقال وأكاد أن أقول) .

وأوضح من ذلك أن الأوصاف تسىء إلى من يتصف بها ولو جاءت مسبوقة بكثير أو قليل من (لعلى أرى) و (يوشك أن يخطر على البال) أو (خطر على البال إلى حد محدود ....) .

ومن المحقق أن الأستاذ زكى عبد القادر لم يسمع فى حياته القضائية أن (مدعى عليه) برىء فى قضية من القضايا لأنه قال للمدعى (أكاد أن أرى أنك كيت وكيت وكذا وكذا) مما يعاقب عليه القانون ...

والأستاذ زكى عبد القادر قد قال غير مرة إنه يحقق البحث العلمى ولم يحقق فى هذه المسألة شيئًا بدليل غير ما أدعاه ! وقد قال غير مرة إنه يتجنب الأوصاف الانفعالية ولكنه خاض فى هذه الأوصاف ورمى الآخرين بمجافاة البحث ، والإرهاب ، وبالتأخير عن الزمن ، وبالهستيريا وبالتشنج ولم يأت بشاهد واحد من أقوالهم يقنع الناس غير مطالبتهم بالتسليم والتأمين .

وهذا هو النوع من الجدل الذى ليس له أوان .

أما الجدل الذى فات أوانه منذ خمسين سنة ، أو ثلاثين ، فذلك هو الجدل الذى (ربما رأى الأستاذ إلى حدّ محدود أنه جدل الرجل الذى يصح أن يقال إنه متأخر عن الزمن وهو يجوز أن يكون عباس العقاد) .

. . وعند هذا نستأذن الأستاذ فى وقف الإرسال لحظةً لنسأل القراء سؤالا نتولّى نحن الإجابة عنه بالأسلوب الذى يرتضيه ونحاول جهدنا أن نستلهمه من الله بالتوسل والدعاء ، وهذا هو السؤال :

ما هى « العصرية » التى يتخلف بها عباس العقاد عن زكى عبد القادر خمسين سنة أو ثلاثين سنة أو ثلاث سنوات ؟

قولوا ، ولا حرج عليكم معشر القراء من التشنجات والانفعالات ، ولا من الأساليب التى لا يكتبها ولا يلفظها ولا تؤثر فيه ؟

ولقد أجاب القراء المسئولون على عهدتى ، ولكننى سمعت من همساتهم بعد كثير من الربمات واللعلات حديثًا عن العنب الحامض .. وعن الحامض جدًّا فى بعض الروايات .

ولا أعزم على الأستاذ عبد القادر أن (يجرب) عنبةً واحدة من تلك العناقيد الحامضة جدّ الحموضة .

فإنه لا يستطيعها ولا يحاولها ولا يذوقها ولا يقبلها ولا يتناولها ولا تؤثر فيه ..

* * *

فى بريد واحد وصلت إلى ثلاث رسائل فى قافية الأزياء والملابس ..

إحداها من السيد صلاح الدين إسماعيل يقول فيها : « إن ذكرى قاسم أمين تمر هذه السنة فى سكوت ، وهوسكوت من ذهب .. لما يشكوه الناس من أثر الدعوة إلى رفع الحجاب ، لأنها انتهت إلى تبرج فاضح عند طائفة من النسوة المتبجحات « تضج منه الأسر الشريفة » وأن الأمر يتطلب أن تشن عليه حملة دعائية ولو اقتضى هذا الأمر تخصيص أسبوع لذلك » .

والرسالة الثانية من السيد محمد فريد طاهر (بشارع منصور محرم بك) يحمل فيها

على القمصان المزركشة التى يلبسها بعض الشبان ويقول إنها أحرى أن تسمى البلوزات ، وأنه يشعر باشمئزاز كلما رأى شابًّا يخرج إلى الطريق بقميص من تلك القمصان لأنه استهتار بالأخلاق وليس غاية ما فيه أنه استهتار بمظهر الكساء .

وأرى أن هذه الشكوى من جانبين متقابلين خليقة أن تنبهنا إلى الناحية التى أغفلناها كثيرًا بين نواحى مسائل الأزياء و (الموضات) على كثرتها .

فنحن كلما شكونا زيًّا من الأزياء الفاضحة حسبنا أن المسألة مسألة إفراط المرأة فى حريتها أو مسألة تفريط الرجل فى حقوقه .. ولكن ماذا نقول فى قمصان الرجال التى يقول السيد محمد فريد طاهر ، بحق ، إنها أحرى أن تسمى بالبلوزات ؟

لا محل هنا للشكوى من إفراط المرأة فى حريتها أو تفريط الرجل فى حقوقه ، فإن المسألة تنتقل فى هذه الحالة من جانب حقوق الجنسين إلى جانب (الذوق) الذى يعم من يعمهم من أفراد الجنسين ، ولا يصح فيه أن يقال إنه ذَوق يجهل مطالب الحياء ، إذ الواقع أنه يبحث عن هذا الحياء ليتحداه بالاستفزاز والتعمد ويعلن عن نفسه بمقدار اجترائه على التحدى والاستفزاز .

ونحسب أن « موضة » (الجاكتة) الأخيرة التى يعلقها الرجال على أكتافهم قد أخجلت تواضع الشوال وعلمته أنه لا يتسع للشيء الكثير من قلة الحياء التى تتسع لها (الجاكتة) بعد أن صارت إلى ما صارت إليه ..

وإلى من صارت هذه الجاكتة أو هذا (الكرك) الرجالى الحديث ؟

لقد صارت إلى لباس للإبط والخصر بعد أن سماها الألوف حين اخترعوها باسم (السترة) .. فهى اليوم أولى باسم الفضيحة يفضحها الله ! ..

ولقد صارت إلى زى فى الشارع كزى راقص (كارمن) على المسرح فى عدة مصارع الثيران .

وقد يكون للبواعث الجنسية شأنها فى ترويج هذه الأزياء من كلا الطرفين ، ولكن الشأن الأكبر فيها ولا شك إنما هو شأن الأذواق المريضة التى تصيب « الشخصية »

بالضمور وشعور الإهمال بين الناس ، فلا تبقى لها بقية لإثبات وجودها التافه غير التحدى بالابتذال وفقدان الحياء .

إن الزى المبتذل الذى يتعمد إعلان الابتذال له معنى واحد ، ومعناه الواحد لسان الحال أن لابسه يقول : « أيها الناس ! إنكم لا تستطيعون أن تهملوا هذا الإنسان المهمل فى ذاته على الرغم منه ، لأنه يرغمكم على الالتفات إليه لتقولوا بينكم وبين أنفسكم إنه مخلوق ضائع لا يبالى الذوق ولا يبالى الحياء ولا يبالى الإهمال » .

* * *

بقيت الرسالة الثالثة من الرسائل الثلاث التى قلنا إنها وردت إلينا مع بريد واحد فى قافية الأزياء والملابس .

ولكن الرسالة من حرف آخر فى القافية ، وهو حرف الصحافة والذوق اللغوى ، ولا علاقة له بحرف الشكوى من أمراض الجنس والأذواق .

ومدارها على كلمة وردت فى العدد (رقم ١٤٣٩) من آخر ساعة تحت صورة رجل (يرتدى الجزمة التى ستحميه من البلهارسيا).

ويقول الطالب الحقوقى « محمد موسى بيومى » إنه تعود أن يقرأ أن فلانًا يرتدى الحلة أو يرتدى الجلباب .. أما أن يرتدى الجزمة فهو تعبير لم يسمعه من قبل .. فما هو التعبير الصالح فى مثل هذه الجملة ؟

ونقول للطالب الأديب إنه على حق فى استغراب رداء الجزمة لأن الحذاء ليس برداء ، وقد يكون الانتعال – أى لبس النعال – أصلح للتعبير فى مثل تلك الجملة ، مع قبول العذر للكاتب إذ قال إنه يرتفع بالقدمين إلى مقام المساواة مع سائر الأعضاء لابسات الرداء ، أو قال مع الشاعر :

خير أعضائنا الرءوس ولكن فضلتها بقصدك الأقدام

ماهذا العبط يا أستاذ ؟*

أيها الأديب ، لا تتعلم .. !

هذه – على ما يظهر – هى المفارقة العصرية فى بلدنا الذى اشتهر قديمًا بأنه بلد المفارقات ...

ولم تنقطع هذه المفارقات منذ أكثر من خمسة وعشرين قرنًا ، أو منذ القرن الخامس قبل الميلاد ، وهو القرن الذى كتب فيه هيرودوت تاريخه ليقول عن هذا البلد أنه بلد المفارقات أو بلد النقائض والأعاجيب .

وهذه المفارقة العصرية – مفارقة الأدب بغير تعليم – هى مفارقة بلدنا على قول القائلين بالتجديد والاستعداد للأدب بغير عدة غير بركة العجز.. وفيها الكفاية .

وموضع المفارقة فى هذه الدعوة أنها تصدر من أناس ينتسبون إلى الجامعات[1] ويلقون الدروس على طلابها ، ويعملونهم أن الكتابة لا تحتاج إلى لغة ، وأن الشعر لا يحتاج إلى وزن ، وأن القاعدة الذهبية فى الدراسات الأدبية هى إهمال كل قاعدة ذهبية ، بل كل قاعدة فضية أو نحاسية ، أو قصديرية ، أو طينية إذا وصل الأمر إلى الطين ، وقد وصل إلى مادون الطين بحمد الله رب العالمين .. !

فالمعهود فى الدعوات الجامعية أنها هى دعوات (التعبئة العلمية) بمختلف الشروط والقواعد والاصول ، وبكل ضرب من ضروب الاستعداد والتحضير والاستيعاب .

أما بلدنا فهو ، والحمد لله عند شهرته القديمة بالمفارقات والنقائض والأعاجيب ، يعطينا – ولا يبالى – علامةً أو علامتين أو ثلاث علامات أو علامين ، يقلبونها رأسًا

---

* الأخبار فى ١٩٦٢/٥/٢٣ .

(١) كان صاحب هذه الدعوى هو الدكتور رشاد رشدى أستاذ الأدب الإنجليزى بكلية الآداب جامعة القاهرة .

على عقب ولا يزالون يصيحون ثم يعيدون الصياح ثم يكررون الإعادة ، قائلين مرددين مجددين ، ومهددين ومرغين ومزبدين :

مالك ولقواعد اللغة أيها الكاتب ؟ أليست أمامك اللغة العامية ؟

ومالك ولقواعد العروض والبلاغة أيها الشاعر ؟ أليس أمامك الشعر بلا قافية ، ولو بالعافية ؟

ومالك وما للدراسة الثقافية أيها الأديب ؟ أليست أمامك (الحدوتة) تسميها قصة فنية ، أو تسميها بما تشاء من أسماء الفنون الخنفشارية ؟

ومن المألوف فى كل دعوة جامعية – ولو من قبيل هذه الدعوة الخنفشارية أنها تتحلى بشىء من وقار الحذلقة يخيف السامع من بعيد ، ثم يرتفع عنه الخوف قليلاً قليلاً كلما اقترب من بيت القصيد .

لكن هذه المفارقة العصرية لا تعتصم فى دعواها بشىء غير بركة العجز الصريح أو بركة (العبط) الذى رفع الكلفة واستغنى عن التلميح .. !

فلماذا نهمل الكتابة الفصيحة فى القصة الفنية أو فى الرواية المسرحية ؟

إن السبب الذى تسمعه من العلامة الفهامة آخر ما يصدر عن علم وفهم فى هذا الموضوع .. !

إنهم يقولون لك إن اللهجة العامية هى لهجة الكلام الطبيعية ، فمن الواجب إذن أن تكون هى لغة الفن ولغة المسرح ولغة البيان .. !

ما هذا « العبط » يا أستاذ .. !

ومتى كان العمل الفنى هو نقل الطبيعة كما تنقلها الآلة ؟ متى كانت الصورة الشمسية هى المثل الأعلى للتصوير أو للنحت فى فنونكم التى تسمونها بالتشكيلية ؟

إن الفن – بغير عبط – هو التعبير عن الطبيعة وليس هو نقل الطبيعة ، فلو لم يكن للفنان عمل فى التعبير عن شكله لما استحق أن يوجد ولا أن يوجد معه فنه ، لأن الطبيعة تغنينا عنه وعن صورته فى كل مخلوق نراه .

وأنت تلغو باسم شكسبير وخلفاء شكسبير وأسلاف شكسبير ، من الزمن الأول إلى الزمن الأخير .

فإذا كان فى روايات شكسبير ألف متكلم ومتكلمة فمن منهم كان ينطق بتلك الألفاظ التى وضعها شكسبير على لسانه ؟ بل كم من هؤلاء الألف كان يعرف من اللغة الإنجليزية كلمة واحدة يفهمها شكسبير ؟

كليوباترة المصرية ؟ جولييت الإيطالية ؟ هملت الدنمركى ؟ يوليوس قيصر اللاتينى ؟ تيموف الأثينى ؟ عفاريت الغاب ؟ كليبان الجزيرة المسحورة ؟ خلائق الجن وأشباح الهاوية ؟

ليس من هؤلاء مخلوق واحد نطق بكلمة إنجليزية فى حياته ، ولكنهم نطقوا بها فى روايات شكسبير ، ونطقوا بكلماتنا العربية الفصحى بما نقلناه من تلك الروايات ، ولو رددناها إلى (الأصل) الذى يخيل إليك أنها كانت أليق بها لنقصت فنا وأدبًا وشعرًا ومسرحًا ، ولم تزد شيئًا يحرص عليه القارئ أو المستمع أو الناقد أو الملحقون بالمسرح من أسفله إلى أعلاه !

ومن آيات العبط البالغ أن هؤلاء الذين يسومون الفن أن ينقل (العطسه) بلغتها العامية حرصًا على مشابهةالطبيعة – هم بأعينهم الذين يهللون للمصور (الخنفشارى) حين ينقل لك وجهًا آدميا فلا تدرى هل هو كرنبة أو إنسان ، وهل وجهه فيه أنف واحد أو أنفان ؟ .. أو ينقل لك شكلا من الأشكال فإذا هو خليط من جميع الأشكال ، لا مثال له فى الواقع ولا فى الخيال !

والفن الذى لا يسمح لك أن تقول (نعم) بدل (أيوه) هو الفن الذى ينخلع له وسط العلامة (الخنفشارى) رقصًا وطربًا حين ينظر إلى صورته (السريالية) فلا يعرفها برأس ولا ذنب ، ولا يشترط لها شبها من الأشباه ولا حكاية صادقة أو غير صادقة لمثال أو غير مثال ، فى واقع ولا فى خيال .. !

ولا يجوز فى العقل أن يجمع أحد بين الدعوتين فى فهم وصدق وإيمان بصحة القول

الذى يدعو إليه باسم الفن أو باسم الطبيعة ، لأنهما نقيضان يقوم كل منهما على بطلان الآخر كل البطلان .

فهو لا يستطيع أن يقول للمؤلف المسرحى : استمع ياصاح إلى الحوار الطبيعى فى عرض الطريق وإياك أن تجترئ عليه بشىء من التعديل والتبديل : إذا سمعت متكلمًا يقول (بلاش) فإياك أن تجعلها (بلاشىء) .. بل هى الباء المفتوحة أمام الباء المفتوحة ، واللام أمام اللام ، والألف أمام الألف والشين ساكنة أمام الشين ساكنة ، بلا فتحة عليها ولا همزة بعدها ، ولا تحريف ولا تبديل لأنه لاتبديل فى محكم التنزيل .. ! !

ومن استطاع أن يقول ذلك فما هو بمستطيع أن يعود إلى الفنان المصور ليقول له باسم هذا التنزيل : انظر ياصاح إلى وجه ذلك الآدمى فى الطبيعة واحذر كل الحذر أن تجعله أدميًّا ، وأن تجعله طبيعيا ، وأن تنظر فيه إلى شبه من اللون أو شبه من الرسم أو شبه من الملامح أو شبه من كائن واحد بين كائنات الطبيعة تبصره العينان ويدل عليه اسم فلان بن فلان .

إياك ثم إياك ، فان الفن هكذا وإن الطبيعة ليست هكذا ، وإن هكذا ليست هكذا ولا هكذا ، ولكنها لا فهم ولا معنى ولا شبه ولا دلالة ، وافهم كما تريد ، أو أرد كما تفهم ، بلا كلام .. !

فمن قال إن تحريف (حرف) فى الكلمة العامية كفر بالطبيعة والفن ، لا يستطيع أن يقول إن مسخ الطبيعة بكل ما اشتملت عليه هو التى الفن الطبيعى الصادق ، أو هو الطبع الفنى الأصيل .

لكن الدعوتين المتناقضتين تجتمعان معًا وتجتمع معهما ألف دعوة مناقضة لكل ما فى العالم بأسره إذا تم الاتفاق على (المبدأ) الأول من مبادئ هذا التجديد الموفق السعيد : وهو التجديد بلا قواعد ولا مقاييس ولا دليل على صحة هذا وبطلان ذاك من صورة أو تمثال أو قصيدة أو مقال : صور وأقوال بلا أسماء ولا أوزان ولا أقيسة

ولا مراجع للاستحسان والانتقاد غير فهاهة (العبط) وبركة العجز بحمد الله الذى يحمد على المكروه ، ولا إكراه .

وبهذا نعود إلى الأديب لنقول له : أيها الأديب لا تتعلم ولا تتفهم ولا تبالى كيف تكتب لأنك ستكتب على كل حال كما سيتكلم الناس على كل حال .

وبهذه (الرخصة) المباحة لكل مستبيح يصح أن يقول العلامة (الجامعى) إن قواعد اللغة فضول ، وإن قواعد الشعر لغو مرذول ، وإن الأدب كلام أى كلام ؟ وإن الأدباء أعلام وأى أعلام ؟ مقدار ما يجهلون هو مقدار ما يرشحهم للفهم والإفهام ، ومقدار ما يحفظ لنا المفارقات والنقائض والأعاجيب ، من عهد أبى التاريخ إلى مسيرة ألف عام ، بعد هذه الأيام ..

* * *

« ... الفرق شاسع بين المجنون والعبقرى ، فالأول – وهو المجنون – لا يكاد العالم يشعر بوجوده ولعله هو لا يشعر بوجود نفسه ، ونقول عنه إنه شاذ ... والعبقرى يقال عنه أيضًا إنه (شاذ) لمخالفته سائر الناس وهو ذو فضل على الناس بما يجنيه المجتمع من ثمرات بحوثه واختراعاته ومجهوداته فهل من الإنصاف والوفاء أن نطلق عليه وصف الشذوذ ونسوّى بهذه الصفة بينه وبين المجانين .. ألا يوجد فرق بين المجنون والعبقرى ؟ .. أرجو توضيح ذلك – إن سمحتم – بيوميات الأخبار » .

إبراهيم محمود رضوان

طلخا – شارع المنشية

إن الذنب على الترجمة فى مقابلة الكلمة الأجنبية بالشذوذ وهى فى لغتها موضوعة للدلالة على معنى الاستثناء ومخالفة العادة الشائعة فيما يستحسن وفيما يستهجن على السواء ، وهى كلمة Except Ionae

فالعبقرى مخالف للمألوف . والمجنون مخالف للمألوف ، ولكنها مخالفة إلى الزيادة من جهة وإلى النقص من الجهة الأخرى ، وبينهما فرق لا يلتبس فى مظهره ولا فى نتيجته : وهو الفرق بين الإنتاج والعقم ، أو بين التفوق على المستوى والهبوط دونه

درجات ، قد ترتفع إلى الذروة العليا وقد تنحدر إلى الوحدة السفلى ، من العقم أو من نتاج الشر والإيذاء .

ويظهر أن الكلمات التى تفيد الخروج على (المستوى) العام عرضة لهذا الخلط بين الطرفين فى كل اصطلاح تتداوله الألسنة ويطول به الاستعمال ، فإن كلمة (النبوغ) فى اللغة العربية تفيد معنى البروز والتميز من خط الاستواء بين الناس ، فما زالت على الألسنة حتى دلت على (النابغة) وهو المتفوق العقلى كما دلت على المرأة الناشزة المنبوذة من البيئة الشريفة ... وكذلك كلمة الناشزة من النشز وهو المحل المرتفع والنشز وهو التمرد والخروج على العرف المحمود .

وقد يقال عن العبقرى إنه خارق للعادة فلا يسلم بعد حين من معنى مكروه من معانى الاختراق والمخرقة والخرق وهوالحماقة والطيش ، فلا حيلة إذن غير التفرقة المعنوية بين دلالات الألفاظ ، كما نفرق اليوم بين الشىء (المحرم) من التحريم وبين الشىء (المحرم) من الحرمة والصيانة وليست هى أول ضحية من ضحايا العبقرية ولا أول مصيبة من مصائب الجنون .

* * *

« ... نغمة جديدة من العقاد فى دفاعة الأخير عن قاسم أمين : فهل هى رأى جديد فى المرأة غير الذى عرفناه من مؤلف كتاب المرأة فى القرآن الكريم .. »

فتحية أحمد عبادة

بين أقدم كلام كتبته عن قاسم أمين وأحدث كلام كتبته عنه خمسون سنة ، لا اختلاف بينهما فى الثناء والتقدير ، بل لعل الكلام الأول أبلغ فى الحماسة العاطفية والفكرية من الكلام الأخير .

كان كتاب (خلاصة اليومية) أول كتاب طبعته قبل خمسين سنة ، وفيه أقول :

« تحرير المرأة ليس من الأعمال الطنانة التى أكثر ما فيها دوى ورنين . ولكنه عمل هادئ رصين ينزوى فى البيوت والخدور ، لا يبرز إلا قليلا على قوارع الطرقات ، ولا يصرخ إلا نادرًا على منابر المنتديات .

فالمرأة المصرية مدينة لقاسم لأنها كانت سجينةً فأطلقها وكانت أمةً فأعتقها ، والأمّة المصرية مدينة لقاسم لأنها كانت شلاء فأبرأها من ذلك الشلل الذى أمسك شقّها عن الحركة دهورًا وأعواما ، والإنسانية مدينة لقاسم لأنه أنقذها من رق لا تجرؤ مصلحة الرقيق على مطاردته ، والفخر فى تحرير المرأة لا يزال الآن وبعد الآن من نصيب قاسم .. أما من قفوه فى هذا المقصد فإنما درجوا على طريق بينة الآثار..

ولا يرتفع الجديد من كلامى عن صاحب تحرير المرأة إلى مقام أرفع من هذا المقام فى عرفان الفضل والإنصاف من أراجيف الجهلاء وأتباع التقليد والجمود.

وأحسب أن السيدة فتحية قد فهمت على السماع أن تحرير المرأة مذهب لا أرضاه ولا أقول به من قديم ، فإن كان هذا ما فهمته فهو خلاف الواقع الذى كتبته مرارًا عن المرأة عامة وعن نسائنا المشهورات ، إذ ليس تحرير المرأة ما أعارضه وأناقش الداعين إليه ، وإنما أعارض اللغط الذى يخالف العلم والواقع والتاريخ لأن اللاغطين به يزعمون أن المرأة والرجل جنس واحد سواء فى وظائف الجسم والعقل وفى واجبات الحياة وحقوقها ، ولا يذهب إلى هذا صاحب مذهب يتأمل لحظة فى معنى ما يذهب إليه .

* * *

السيد محمود إسماعيل سيد الصفتى بالعياط يسأل : هل الجاحظ خليق أن نعده من الكتاب الإنسيين Humanists إذا بحثنا عن مثيل أو قرين له بين كتاب العرب ؟ وهل ندعم مجده إذا أطلقنا عليه هذه الماهية ؟

ونحن نبدى « أولاً » اعتراضنا على ترجمة كلمة (الهيومانزم) بالإنسية ، لأن المفهوم من كلمة الإنسية أنها قد تقابل الجنية أو الملائكية ، وقد تقابل الإلهية إذا أردنا النسبة إلى الإله كما ننسب إلى الإنس أو إلى الجن أو إلى الملائكة ، ولكن كلمة « الهيومانزم » فى أصل وضعها تقابل الكهنوتية من كلمة Divinity للتعبير عن الدراسات الدينية التى كانت مختصة برجال الدين أو كان رجال الدين مختصين بها فى القرون الوسطى .. ثم ظهرت علوم شتى اشتغل بها الباحثون فى عصر النهضة من غير رجال

الدين ، فانقسمت العلوم إلى لاهوتية بمعناها المرادف للكهنوتية وإلى إنسانية بمعناها الذى يطلق على عامة الناس وليست هى من مصدر الوحى الدينى الذى اختص به رجال الدين ، وتدخل فى هذا القسم علوم الفلك والرياضة والقانون والأدب والطب والكيمياء والصيدلة . وإن كان الاصطلاح العصرى يلحق هذه الدراسات الأخيرة بطائفة العلوم الطبيعية Science .

والأفضل فى رأينا أن تسمى دراسات (الهيومانزم) بالإنسانية لأن الذهن يألفها دون أن يعجل إلى المقابلة بينها وبين الجنية والملائكية كما يحدث عند سماع كلمة الإنسية .

وبعد هذه الملاحظة على التسمية نقول إننا قد نطلق كلمة « الهيوماتزم » فى اللغة العربية على بعض الدراسات عند النظر إلى مايقابلها فى اللغات الأجنبية ، ولكننا لا نرى وجهًا لإطلاقها على الدارسين من أمثال الجاحظ لأننا لا نعرف عندنا طائفة لاهوتية أو كهنوتية ينفصل عنها الجاحظ ومن نحا نحوه فى الكتابة بنوع من الدراسات مقصور عليهم ممتنع على غيرهم ، ولا خلاف فى مشابهة الجاحظ للكتاب الإنسانيين من الغربيين فى موضوعاته ودراساته ، ولكن من هم إذن كتابنا اللاهوتيون ؟ هل هم كتاب التفسير والتوحيد وعلوم الحديث والفقه والأصول ؟ يصح هذا لو كان هؤلاء فى اللغة العربية طائفة منعزلة كطائفة الكهان فى القرون الوسطى ، ولكنهم عندنا لا ينعزلون ولم يكن الجاحظ نفسه منعزلا عن هذه الموضوعات لأنه صاحب مذهب من مذاهب التوحيد . ولا موجب لتمجيده بإطلاق هذا اللقب عليه . لأن الكتابة فى المسائل الإنسانية عندنا لم تكن « نهضة » من نهضات الفكر المستقل فى وجه أحد من المحتكرين لجميع الدراسات أو المترفعين عن بعض البحوث دون سائر البحوث ، وحسب كاتبنا أن يقال « الجاحظ » وكفى . فلا حاجة به بعد تسميته إلى تمجيد بالألقاب والعناوين .

* * *

. . سؤالى يتعلق بقصيدة الحجر الصغير لإيليا أبو ماضى المقررة على الثانوية العامة ، فقد قرأت فى كتب عديدة أنها من الشعر الرمزى لأنها ترمز إلى كثير من الفوارق

الاجتماعية .. وسمعت رأيا آخر يقول إن هذه القصيدة ليست من الشعر الرمزى لأن هذا الشعر غامض يعبر عن شيء يحس به الشاعر فى نفسه لا يشعر به القارئ لزامًا فى جميع الأحوال .. ورجائى أن تبسطوا لنا الحقيقة فى يوميات الأخبار .

محمد رفعت سيد أحمد عطية

بالثانوية العامة

إن سؤال الطالب النجيب يفتح الباب للنظر فى ثلاثة أساليب تتشابه فى الظاهر مع فوارق دقيقه لا يصعب الانتباه إليها :

أولها أسلوب الكتابة بضرب الأمثال Mysticism ومنه قصيدة أبى ماضى ، وليس هو المقصود عامة بالكتابة الرمزية ، لأنه قد يأتى فى الشعر الصريح . وقد يصرح فيه الشاعر بأنه يمثل لأفكاره وتشبيهاته أو يفهم القارئ ذلك منه بغير حاجة إلى التصريح .

والأسلوب الثانى وهو المقصود بالأسلوب الرمزى يكون الشعر فيه ضربًا من الألغاز والكنايات يفهمه القارئ كما يفهم التورية إلى المعنى بالتلميح دون التصريح .. والفرق بينه وبين أسلوب الأماثيل أن أسلوب الأماثيل لا تلميح فيه ، لأن الشاعر والقارئ معًا صريحان فى القصد إلى التشبيه والإشارة ، وليس ضرب المثل غير زيادة فى التوضيح ، وليس هو بشيء مخالف للتوضيح .

أما الشعر الرمزى فهو نوع من الكتابة بالعلامات التى يسمونها بالشفرة (أو الصفر) غاية الفرق بينه وبين الشفرة أن العلامات فيه كلمات وعبارات وليست حروفًا أو أرقامًا أو تلفيقات مختزلة من الألفاظ التي لا تجرى على الألسنة .

والأسلوب الثالث هو أسلوب الأسرار أو أسلوب الصوفية Mysticism الذى يوصف أحيانًا بأنه أسلوب رمزى لسبب واحد : وهو حاجته إلى الصراحة ، ولكنه فى الواقع أسلوب آخر قوامه الخفايا الروحية التى هى من طبيعتها غامضة لا توجد لها ألفاظ صريحة

ولكنها توصف على ألسنة الصوفية كما توصف « الحالات الوجدانية » بالتقريب بينها وبين المحسوسات والمعقولات على قدر المستطاع .

وليست قصيدة الحجر الصغير من أسرار الصوفية ولا من كتابة الشفرة الرمزية ، ولكنها من باب الأمثال الصريحة فى كتابات الأقدمين والمحدثين .

بين التواضع والتفخيم*

إذا طالت على الأمة عهود الحضارات المتوالية أو شكت تحياتها أن تكون سباقًا بين المتكلم والمخاطب فى التواضع من جانب والمبالغة فى التفخيم من الجانب الآخر.

وقد روى لنا السياح من أبناء الجيل الماضى أن الرجلين من أهل الصين يتلاقيان فيسأل أحدهما صاحبه :

كيف خلفت الأمراء الأعزاء فى القصر المعمور؟

ويعلم المسئول أن صاحبه دائمًا يسأله عن أبنائه فى داره ، فيجيبه على هذه النغمة قائلا :

إن عبيدك وجواريك الصغار يسبحون بنعمتك فى الكوخ الحقير.

ويسرى هذا العرف المصطلح عليه إلى العبارات المتداولة فى صناعة الصحافة فترسل « إدارة التحرير » إلى الكاتب مقاله المرفوض ومعه كلمات اعتذار بهذا المعنى :

« إن صحيفتنا الصغيرة تهتم بنشر المقالات التى تدبجها يراع النوابغ من فطاحل الكتاب ، ولكن مقالك المردود إليك قد ارتفع إلى ذروة لا تدركها الأقلام ولا يوجد فى عصرنا هذا ذلك القلم الذى يكتب له نظيرًا ننشره بعده إذا طالبنا القراء بالمحافظة على مستواه ، وموالاة النشر على أسلوبه ومنحاه ، فتفضلوا فاحفظوه إلى أن يأذن الغيب المجهول بكتابة الكثير من أمثاله ، وأعذرونا إذا اضطرتنا الحال أن نعرف أقدارنا عند قرائنا فلا نقدم لهم باختيارنا غير ما نستطيع المثابرة عليه .. »

وهذا فن من التواضع قد بلغ الغاية من الإتقان والزخرفة والتنميق ، ولكننا نحن المصريين لا يحق لنا أن نخجل هذا التواضع بتواضع « صينى » ندعى فيه الاستغراب ، ويعلن فيه فقر التحيات « البلدية » فى هذا الباب .

---

* الاخبار فى ١٩٦٢/٧/٤ .

فأين يغيب عنا نحن المتواضعين قول القائل : محسوبك يقبل يديك .. وغلامك فلان وجاريتك فلانة يسألانك الدعاء ؟ وتفضل شرفنا « بكوبة ماء » تشربها فى دارنا الوضيعة ؟ واغفر لنا اجتراءنا على تقديم هذه الهدية « الزهيدة » إليك .. وكل ماهنالك من أمثال هذه المباراة أو « شد الحبل » من الطرفين بين التواضع والتفخيم.

عندنا من هذا ماهو « أنظف من الصينى » قبل غسيله وبعد غسيله !

بل عند الأوربيين الذين يمطّون الشفاة كلما ذكرت هذه المجاملات الشرقية نماذج منوعة من أمثال هذه المباريات ينسونها كلها وهم يكتبون إليك الخطاب فيستهلونه بألقاب السعادة ويختمونه « بالعبودية الخاضعة جدًّا على الدوام »

For ever your most obedient servant

وقد يكون فى الخطاب تبليغ بالنفى والاعتقال كما جاء – غير مرة – فى رسائل « العبد الخاضع » اللنبى إلى السيد الأجل سعد زغلول .

إذا اصطنعنا هذا التقليد الأصيل فى بطاقة الدعوة إلى عيد ميلاد ، فماذا نقول لنعطى التواضع والتفخيم حقهما من الإخجال والإطناب على سنة الاستشراق أو على سنة الاستغراب ؟

عندى اليوم مشروع بطاقة مليح ، أرشحه للتعديل والتنقيح ، وأتقبل المراجعة كلها فى هذا الترشيح !

فأقول وعلى المدعوين القبول .

« إن محسوبكم الماثل بين أيديكم ، ينطفل عليكم ويتوسل إليكم ، ليدعوكم إلى داره المهجورة ، وهى بكم مأهولة معمورة ، لعلكم تتفضلون بالاستماع إلى معاذيره الذليلة ، مما سببه لهذه الدنيا الجميلة ، من إزعاج وإيلام ، بهذا الإقدام على رحاب أهلها الكرام ، منذ كذا من الأعوام والشهور والأيام ، ثم إصراره على هذا الإزعاج من سنة إلى سنة ، ومن حقبة إلى حقبة ، تتقبلون منه المعاذير وتتركونه من العام الأول إلى العام الأخير. مستجاب الدعوة مستريح الضمير ، و الله يسأل أن يبقيكم على مدى

الأدهار ، مسموعة منكم هذه الأعذار ، مقبولة منكم عند كل صحبة وفى كل جوار ، آناء الليل وأطراف النهار » .

ولقد يخطر لى أن « المشروع » فضفاض رجراج ، لأن هذا الضرب من « الإزعاج » قابل لضرب آخر من التمثيل والإخراج ، على برج الخشب أو برج العاج ! ..

يجوز مثلا أن يكون برنامج الميلاد مبدوءًا بوصلة من « العياط » على مذهب « الصدق الفنى » عند المعيطين باللغة العامية ... لأن التجربة الأولى من قصة الميلاد كلها تبدأ فى كل ليلة ونهار ، بوصلة من العياط الثرثار ، لا تقبل التصرف والابتكار . ولا يجوز أن تهمل عند التجديد والتكرار ..

يجوز هذا ويجوز ذاك ، ولكنه فيما يعنينا الآن غير جائز ولا واجب ، فالحمد لله على الفرج القريب ، وهو السميع المجيب .

لقد أراحنا من المشروع الفضفاض الرجراج ، فى قصة هذا الإزعاج ، فأخرجنا من الحرج كما أخرجنا من الإحراج ، أن المدعوين الكرام ، هم المتفضلون بالدعوة والإقدام ، بل بالهجوم والاقتحام ، وكل ما استطاعه صاحب الدار المهجورة ، بعد أن أصبحت بهم ماهولة ومعمورة ، أن يكون عيد الميلاد ، قابلا للتأجيل بموعده المعتاد ، من يوم الخميس الثامن والعشرين إلى يوم الجمعة التاسع والعشرين .. لأن سعادة الاستقبال يومين متواليين مطلب لا ينال وطاقة فوق جهد الاحتمال ، على ابن الثلاث والسبعين ، فى شرعة أهل الغرب وفى شرعة أهل الصين .

وتبادلنا الأدوار على هذا الاعتبار ، هم يخجلون تواضعى وأنا أعود فأخجل تواضعهم ، وهم يعتذرون من ذنبى ، وأنا أكرر لهم الاعتذار ولا أسأم التكرار ولكن من حسن الضيافة وكرم الجوار فى قلب هذه الدار .

هم يقولون إننى شرفت هذه الدنيا وإننى أزيدها من التشريف كلما زادت من البقيا .

وأنا أرى أنهم شرفوا الدار وأكرموا المأوى ، وعلى ذلك شهادة من الزهر

والحلوى ، وشهادة أخرى أتم وأبقى ، من رائق الشعر وصادق النجوى .

وللتواضع أن يطمئن على خجله ، وللكبرياء أن تطمئن على عزتها ...

فإننى بحمد الله فى حل من الوفاء بلسانين ، ومن قبول الثناء على الجانبين : إن قلت لهم أنتم أهل صدق فيما وصفتم أثنيت على نفسى وأثنيت عليهم وإن قلت لهم أنتم أهل كرم فيما أثنيتم فقد أثنيت عليهم ولم أحرم نفسى جميل الثناء ، وسيان فى حكم الأرض والسماء كرم الثناء وكرم الوفاء .

وتنحلّ عقدة الميلاد على غاية المراد ، من رب العباد ، فإنه الحق يوم قلت لهم بلغة الصين ولغة الضاد ، وقولها كذلك بلغة الإحصاء والتعداد :

أيها الكرام المكرمون ، آليت وأنتم تشهدون ، أننى لم أعشها عبثًا هذه السنون ، الثلاث والسبعون ، إن كنت أستحق بها تحية زهركم وتحية شعركم ، واستحق بها قبلها ما يوحيها وينطق بألفاظها ومعانيها : عاطفة بالود الحميد وأمنية بالعمر المديد .

جورجى زيدان أو « الرومى » *

« ... فى كتاب صدر أخيرًا للأستاذين محمود الشرقاوى وعبد الله المشد عن على مبارك قرأت مارواه المؤلفان من جورجى زيدان أنه كان يلقب بالرومى ، وقد استبعد المؤلفان ذلك . فمن أين جاء جورجى زيدان بهذه النسبة ؟

وقد دافع المؤلفان دفاعًا قويًّا عن موقف على مبارك من الثورة العرابية ... مع أن المعاصرين له – وخاصة عبد الله نديم – كان لهم رأى آخر .

فما هو وجه الحق التاريخى فى هذه المسألة .

وقرأت فى كتاب للدكتور طه حسين بيتًا من الشعر الرائع هو :

وما أنا بالمفتون ضربة لازب ولا كل سلطان على أمير

ولكننى لم أستطع معرفة صاحبه . فهل هو من الشعر القديم ؟ ..

محمد منير الحسامى

جامعة القاهرة

إن جورجى زيدان لم يقل إن « على مبارك » كان يلقب بالرومى وإنما نقل نسبته من كتاب الخطط التوفيقية الذى ألفه على مبارك وجاء فيه غير مرة أنه يلقب « بالروجى » بالجيم ، وأن جده الأعلى قد عرف بهذا اللقب قبل عدة أجيال .

ولا نرى رأى المؤلفين أن تلقيبه بالرومى محتمل لانتقاله زمنا إلى آسيا الصغرى التى كانت مشهورة باسم بلاد الروم ، لأن جده الأعلى كما تقدم هو صاحب اللقب الأصيل .

أما موقف على مبارك من الثورة العرابية فخلاصة القول فيه أن الرجل ثائر يدعو إلى

---

* الأخبار فى ٨/٨/١٩٦٣ .

الإصلاح وتنظيم الحكم النيابى ولكنه لم يكن « عرابيا » فى خطته وفى طريقة تنفيذه لرأيه . وقد فصل من وظيفته وحاق به الغضب غير مرة لانتقاده نظام الحكم « الخديوى » فى كتبه وفى أحاديثه .

وينبغى أن نذكر هنا حقيقةً تغيب عن أذهان بعض قراء التاريخ فيما يتعلق بفترة الثورة العرابية على الخصوص ، وهى حقيقة الموقف الثورى بين المفكرين والساسة من طبقة الوزراء فى تلك الفترة . فقد كان المطلوب من الرجل الذى يدعى لتأليف الوزارة أو الاشتراك فيها يومئذ أن يتولى معاملة السفراء ومفاوضة الدول الأجنبية وإجراء الأعمال الوزارية برئاسة الأمير ، فكان الوزير الثورى الصالح لهذه الوظيفة هو الوزير الذى يرضى عنه دعاة الثورة والإصلاح ولكنه لا يكون على حالة العداء البين لمن تحاربهم الثورة ويحاربهم المصلحون ، ولا غنى له عن الوقوف موقف التفاهم أو « التخاطب » مع جميع العناصر التى تتصل بجهاز الحكومة من جانب الدول أو من جانب الدولة العثمانية أو من جانب الأمير ، ولم يكن على مبارك ولا أمثاله من طراز شريف والبارودى ورياض ليضطلعوا بأعباء الوزارة إذا كانوا منتسبين إلى معسكر عرابى فى الصميم ، وإنما كان يكفى أن يكون أحدهم مؤيداً لمطالب الثورة ليتقبله الثائرون ، ولكنه لا يقطع علاقاته بجهات الحكم ولا بجهات السياسة الدولية ، وقد يكون على خلاف العرابيين فى بعض الأمور وعلى خلاف مع الأطراف الأخرى فى غيرها من الأمور ، أو يكون له موقف فى السياسة العملية وفى برامج التنفيذ والإدارة يستقل به عن الفريقين ، ولكنه لا يسلكه مسلك المقاطعة البيّنة لأنصار الثورة أو لأعدائهم المحافظين .

وقد كان على مبارك ينتقد الحكم الخديوى فهو بذلك مقبول عند العرابيين ، وكان ينتقد الخطط المتطرفة التى لجأ إليها العرابيون دفاعاً عن أنفسهم فهو بذلك قريب من جانب القصر وجانب السياسة الدولية ، وهكذا كان سائر الوزراء فى سياستهم الثورية على درجات من الاقتراب إلى هذا الجانب أو إلى ذاك وربما تغير هذا الموقف قرباً وبُعداً على حسب درجات الخلاف وتبدل الحوادث والأحوال .

ولم يكن على مبارك على التحقيق ، من أتباع القصر المماثلين لسياسته ولا من أتباع

عرابى المنقادين له فى جميع خططه ، ولكنه – على ما يظهر – لم يكن مؤيداً لمسلك عرابى فى المرحلة الأخيرة بعد حوادث الإسكندرية .

* * *

أما البيت الذى قرأه الأديب الحسامى فى كتاب الدكتور طه حسين فهو من قصيدة لأبى نواس نظمها وهو يقصد إلى مصر بمديحه لأميرها الخصيب ، ومطلعها :

أجارة بيتينا أبوك غيور وميسور مايرجى لديك عسير

ومنها :

أما دون مصر للغنى متطلب بلى ! إن أسباب الغنى لكثير

ذرينى أكثر حاسديك برحلة إلى بلد فيه الخصيب أمير

ويروى البيت الذى أعجب به الأديب الحسامى على رواية أخرى لا نرجحها ففى بعض نسخ الديوان النواسى أنه قال :

وما أنا بالمشغوف ضربة لازب ولا كل سلطان على قدير

والمعنى واحد ....

المازنى يخرج لسانه .. للنقاد ! *

قائل هذه الأبيات :

كل حب إلى ملال وللحسن عفاء . وما أمضى العفاء
مالنا تتفق الحياة يمينا وشمالا مستعجلين الفناء ؟
أضمنا عمرا سواه جديدا أم وجدنا لعمرنا رفاء !

وقائل هذه الأبيات :

ماتبالى الأيام ثارت بنا هوجا ء أم غضّة النسيم رخاء
فتراها آنا تقص جناحينا وآنا تنميهما إنماء
وأراها لما رأتنا قرودا أوسعتنا فى عيشنا إزراء
عابثات بنا يخاطبن منا أغبياء قد أشبهوا الببغاء
حفظوا باللسان ثم تحاكوا كلمات من المعانى قواء
الهوى والخلود والوحى والعز م جميعا ، والهمة الشماء
إيه ما أرخص العقول علينا إن حشونا عقولنا أسماء

وقائل القصيدة كلها ، وهى لم تكمل فى ثلاثمائة بيت على هذا النسق – هو ولاريب شاعر متمكن من اللغة والفكر لا يستطيع مؤرخ أدب أن يؤلف كتابًا فى الشعر العربى الحديث ولا يثبت فيه اسمه بين طليعة الشعراء من أبناء عصره وأبناء سائر العصور

واسم هذا الشاعر هو « المازنى » وكفى ! المازنى الذى جعل ديدنه – رحمه الله – السخرية ينكر على نفسه الشاعرية فى أخريات أيامه ، ولكنه – فى أخريات أيامه هذه – قد نظم قصيدة العراك وبلغ بها مايزيد على ثلاثمائة بيت وفارق الدنيا قبل أن يتمها كما يريد . وربما جاوز بها ، لو أفسح له فى الأجل ، خمس مئات أو ست مئات

* الأخبار فى ٨/٨/١٩٦٣ .

ن الأبيات على وزن واحد وقافية واحدة ، وعلى هذا النسق من جودة الكلم والمعنى جزالة العبارة بما تشتمل عليه من دلالة الفكر وإيحاء الخيال .

واسم القصيدة – العراك – يدل على موضوعها :

فهى عراك بين ملكات النفس الإنسانية من وجدان وضمير وفكر وذوق وخيال شعور على معنى الحياة وقيمة العيش فى هذه الدنيا ، أو هى عراك بين مذاهب فلاسفة والشعراء والنساك والخلعاء من المثاليين والواقعيين ، ومن المتقدمين لمتأخرين ، فى كل خلاف بينهم على الغاية والبداية من حياة هذا الإنسان .

ولقد نظم صديقنا هذه القصيدة ، ونظم غيرها فى غير هذا الموضوع وهو يكتب يقول لمن يسألونه ولمن لا يسألونه إنه نفض يديه من الشعر وود لو يقذف بقصائده ميعًا فى بحر من بحور النسيان !

ونحن نعرف أخانا فى جدّه ومزاحه ، وفى سّره وعلانيته ، وفى رضاه وسخطه ، عرف أنها « مازنية » من مازنياته التى ولدت معه وشاخ وهى باقية على صباها ، وأولى ذه المازنيات « إخراج اللسان » على الماشى ... وربما كان منها إخراج اللسان لنفسه بين ربعة جدران .

قالوا : ليس المازنى بشاعر .

قال كما يقول الصدى الساخر : وليس بشاعر ... وليس بشاعر ، وزاد عليه صدى العاقل فقال : وإن شئتم فليس بناثر ولكنه قبض الريح وباطل الأباطيل .

وفى ذكرى المازنى تعود هذه الأصداء إلى بعض الأجواء التى لا ينسى فيها أدب شاعر الناثر على الرغم من منكريه وعلى الرغم من إنكاره هو مع عامة المنكرين ، ساءل قراء الشعر : أى حكم ياترى يلزم المازنى من إنكاره الشاعرية على نفسه وأوجز جواب على هذا السؤال أنه « اعتراف » فى الادب كالاعتراف فى القانون لا يدين صاحبه بغير دليل .. !

فلو جاز لشاعر أن يجعل نفسه سيد الشعراء باعترافه لجاز له أن يسلب نفسه ملكة شعر بمثل ذلك الاعتراف .

إن المرجع فى النهاية إلى كلام الشاعر من جيد ورديء ومن مشهور وغير مشهور ، فهو المرجع بعد كل حكم وكل تقدير ولو كان حكم القراء وتقدير النقاد ، مرددًا على ألسنة الشعراء أنفسهم فى زمرة المنكرين لأن التقليد فى الرأى جائز على هؤلاء كافة بعض حين ، ولكنه غير جائز أبدًا على طبيعة المعدن الذى ينقدونه ويقدرونه ، لأن دينار الذهب دينار ذهب بقيمة الذهب فى جوهره بين معادنه وخزائنه . وإن اختلفت أسعار الصيارفة واختلف رصيد الأوراق والأسواق .

وقد اقترحت يومًا على « أبى خليل » – طيب الله ثراه – أن يتوّج « مازنياته » فى هذا الباب بمازنية تبقى على الزمن بين آداب الأمم ، فيستعير من موليير عنوانه الطبيب المغصوب لينظم بشعره مسرحية الشاعر المغصوب ويجعلها سخرية الأبد بأدعياء النقد فى عصره ، فلا تفوتهم ضحكات الخلّف من بعدهم ولا يفوته هو أن يخرج لهم لسانه من عالم الخلود ... ويوسعهم إزراءً لأنه رآهم من القرود . ؟

ولكن قراء آخرين سوف يغنون المازنى عن هذه السخرية المازنية الموليرية ، لأنهم سيقولون ، وقد قالوا : صدقت يامازنى .. لست بشاعر ، وليس أحد فى الدنيا بشاعر ، إن كان أصحابنا أولئك من القراء الأدباء .

الشاعر العمومى ! *

يقول الأديب أحمد مدحت أنه قرأ فى الصحف أن شاعرا إنجليزيًّا خطر له أن يعمل شاعرًا « عموميا » كما يعمل الكتاب العموميون على أبواب المحاكم والدواوين فى مقابلة أجر معلوم يتقاضونه عن العريضة الرسمية أو الرسالة الخاصة التى يكتبونها لمن لا يحسنون الكتابة من الأميين ، وتقول الصحيفة إن هذا الشاعر العمومى يكتب للحبيب الذى يناجى حبيبته كما يكتب مقطوعات التهنئة لمناسبة الأعياد وحفلات الميلاد ، وصاحب هذه الفكرة – دونالد فيرجسون – قد نشر إعلانًا فى إحدى صحف اسكوتلانده قال فيه إنه مستعد لنظم القصائد فى جميع الأغراض بسعر خمسة شلنات لكل ثمانية سطور .

والسيد « مدحت » يسأل : هل يقبل الشعراء المتعطلون عندنا هذا السعر ثمنًا لشعرهم الموزون وهل يساوون بين البيت الموزون والبيت الذى لا وزن له ولا قافية فى لغة الغرام ؟ ...

وإذا راجت هذه البضاعة فى سوقنا العربية ألا تصلح أن تكون حلاً لمشكلة البطالة عند شعرائنا فى الأزمات التى تكسد فيها سوق الأدب ولا تكسد فيها سوق الغرام ؟

ونقول للسيد مدحت إن المشروع جدير بالتجربة قبل الإعلان فى الصحف عن فتح المكاتب وأسماء وكلاء الأشغال من هذا الطراز ....

ولا نشك فى إقبال العملاء والعميلات على طلب القصائد للمغازلة أو للتهنئة وإن كانت قارئات اليوم أزهد فى الشعر من قرائه ، لأن المرأة يعجبها دائمًا أن تكون موضوع « قصيدة » غرامية ولو لم تفهمها ، وقد نخطئ إذا توهمنا أن الشعر كان مفهومًا عند كل

---

* الأخبار فى ١٩٦٢/٨/٣٠ .

امرأة عربية ولوكانت من نساء الشعراء فقد أعجبت « أمامة » بشعر زوجها حين قال فيها :

تمت أمامة إلا من محاسنها فالحسن منها بحيث الشمس والقمر
قولا لمن عابها من عائب حنق أقصر فرأس الذى قد عبت والحجر

وهو لم يقل لها إلا أنها بعيدة من الحس بعد الشمس والقمر ، وأنه يتمنى لرأسها أن يصطدم بالحجر .

فإذا فقد الشاعر قارئات العصر اللواتى يفهمن الشعر ويعجبن بمعانيه فهو لا يفقد الكثيرات من زميلات أمامة بين القارئات والأميات .

ولكن التجربة قبل الشروع فى فتح المكاتب والإعلان فى الصحف لازمة لتقدير الأسعار وتقرير النسبة المجانية لحساب العشاق المفلسين والعشاق المستعدين لأسعار السوق السوداء والسوق البيضاء .

ونطمئن السيد مدحت على فضل السبق فى هذه الصناعة التى يظنها من واردات اسكوتلانده (سنة ١٩٦٢) .

فإن المكاتب قد افتتحت فى القاهرة قبل مطلع هذا القرن لتلبية الطلبات فى مناسبات الأفراح والحفلات أو مناسبات التهنئة بالرتب والنياشين والعودة من الحج أو من السفر البعيد ، وقد جمع بعض هذه المكاتب ثروة لأصحابها يملكون بها البيوت العامرة وإن لم يكن بعدد الأبيات التى نظموها للطلاب أو تقبلها من لم يطلبها بالإكراه !

إلا أن المكاتب التى افتتحت عندنا لهذه الصناعة لم تكن تدار لحساب أحد غير أصحابها ، ولم يكن للقسم « الحريمى » فيها حصة تذكر إلى جانب الحصة الوافية من نصيب الرجال ، فى تهنئات الرتب أو تهنئات الحج والزفاف !

نقيصة حسن الفهم ..
ونقيصة الاطلاع ! *

الثقافة الأدبية – فى ثقافة الغرب هى إحدى الظواهر المتكررة التى يحسن بالناشئين من طلاب التجديد عندنا أن يلتفتوا إليها ليضعوا موازين النقد الأوربى فى موازينها التى تستحقها ولا يستسلموا لأحكامها فى كل حين كأنما هى القول الأخير فى تقرير مراحل التقدم والتجديد .

كتب الملحق الأدبى لصحيفة التيمس (٢٤ أغسطس) عن كتب أربعة ظهرت فى وقت واحد حول موضوع واحد وهو موضوع الشاعر الألمانى « هنريك هينى » المتوفى بباريس قبل أكثر من مائة سنة (١٨٥٦) .

أول هذه الكتب عن شعر الغزل فى شباب الشاعر ، وثانيها عن الشاعر فى الطور الأخير من حياته وهو طور الناقد الهجاء المنكوب فى جسده وفى معيشته ، وقد عاش طريح الفراش ثمانى سنوات قبل وفاته ، يغالب الشلل والفاقة .

والكتاب الثالث يعرض لآراء الشاعر فى موضوع القصائد السياسية والأغانى السلفية .

والكتاب الرابع هو تقويم هينى السنوى وقد صدر أخيرًا عن السنة الحاضرة (١٩٦٢) .

ظهر الكتابان الأولان فى البلاد الإنجليزية وظهر الكتابان الأخيران أحدهما فى ألمانيا الشرقية والآخر فى ألمانيا الغربية .

وقبل فترة وجيزة تجددت الترجمات أو الطبعات لكتب لسنج الألمانى فى بلاده وفى

---

* الأخبار فى ٥/ ٩/ ١٩٦٢ .

فرنسا وانجلترا ، وتجددت العناية بالناقد هازليت والشاعر هاردى فى الطبعات الجديدة ، ولا سيما الطبعات الشعبية .

وموضع الالتفات أن يعود الاهتمام بهينى على غير اتفاق بين المهتمين به فى بلاده وغير بلاده ، وقد أوشك أن ينسى قبل عهد الدولة النازية وبعدها ،وحرمت هذه الدولة طبع كتبه وتداولها فى بلادها ، وسئل ثلاثون أديبًا مشهورًا من الألمان (سنة ١٩٥٣) عن قصيدتهم المختارة من شعر لغتهم فلم تذكر قصيدة واحدة لهينى بين القصائد المفضلة .

أما الناقد الكبير « لسنج » فقد بلغ من نسيانه أن جمهرة القراء فى الغرب حسبوا كتابه « اللاوكون » من كتب العام لأنهم لم يسمعوا به قبل طبعته الأخيرة .

وقد كان توماس هاردى بحسب من القصاصين أثناء حياته ويجهل كثير من قرائه أسماء أكبر دواوينه .

أما وليام هازليت ، وهو سيد نقاد الأدب باللغة الإنجليزية ، فقد نسى ذكره بين حملة الأقلام فى كل باب من أبواب الكتابة إلى ما قبل سنوات .

وهكذا تعرض أدوار الأفول والشروق لأعلام الثقافة عند القوم وتبحث عن الأسباب فلا تراها على ارتباط وثيق بقيمة هؤلاء الأعلام من الوجهة الفكرية والفنية ، بل ترى أكثر الأحيان أن الأسباب السياسية تعمل عملها بين البيئات الثقافية هناك ، من حيث نظن نحن أنها مقصورة علينا نحن الشرقيين ، لأننا من قبيل أغنياء الحرب فى هذا الميدان .. !!

فالناقد هازليت جنى عليه إعجابه بمبادئ الجمهورية والإمبراطورية البريطانية فى أوجها ، بعد انتصارها على نابليون الكبير .

والشاعر هاردى جنى عليه طغيان القصة على أغراض الأدب بعد عصر الشعراء الكبار ، من طبقة بيرون وشيلى ووردزويرث وتنيسون وبراون .

وكان هينى ولسنج من الدعاة إلى الديمقراطية فى عهد « الرايخ الألمانى » ومن أصحاب الثقافة الواسعة فى عهد الثرثرة الرخيصة ، فأصابتهما آفة السياسة كما أصابتهما

آفة الكسل والسرعة ، ولولا أن الأفول أدركها قبل الدول النازية ولحق بهما داخل البلاد الألمانية وخارجها لقيل إنه من جرائر الأصل اليهودى الذى ينتميان إليه .

ولابدّ من حسبان الحساب الكبير للعوارض « الجوية » فى سماء الأدب والثقافة ، إلى جانب تلك الأسباب السياسية .

ونعنى بالعوارض الجوية فى سماء الأدب مايقابل عوارض الجو فى حساب الفصول والأهوية ، وهى عوارض الحر فى زمهرير الشتاء وعوارض البرد فى وقدة الصيف ، وعوارض الصحو يوم تنتظر المطر أو عوارض المطر الغزير ولم تكن فى السماء غمامة ظاهرة قبل لحظات .

ففى سماء الأدب والثقافة عوارض شتى من هذا القبيل ، بين حادثة طارئة تشغل الناس بسابقة مستعادة من سوابق التاريخ ، أو اسم لامع يجتذب حوله الحواشى والذكريات من بعيد ، أو نكسة وحم كوحم النساء الحوامل تلمّ بالجماعات بين وجبة ووجبة من ضرورات الطعام ، أو هاتفة من هواتف الملل والسآمة وحب التقلب والدلال ، تسرى فى الصباح على مهل ولا تلبث أن تعود على عجل قبل المساء ...

ويضيع وقته عبثًا كل أديب من أدبائنا الناشئين يطلب التجديد إذا هو لم يحسن التفرقة بين هذه العوارض الزائلة وبين موازين النقد الباقية فإنه لا يستفيد من تقدم الثقافة الأوربية إذا أقتدى بها كما يقتدى التابع الخاضع بالإمام المطاع ، ولكنه يستفيد منها كل الفائدة إذا هو لم ينس وهو يدخل إلى ذلك المصنع الكبير أنه مصنع كبير حقًّا ولكن المعارض التى تقام إلى جانب المصانع الكبيرة تعرض المصنوعات من جميع الدرجات ، بجميع الأثمان لجميع الراغبين .. ومنهم من يتساوى عنده الثمين والبخس ومن يفضل البخس على الثمين !

ونحن - بحمد الله - حين كتب علينا أن نستفيد من الآداب الحديثة لندعو إلى أدب جديد - كانت فائدتنا من المعرض الكبير فائدة « الزبون » الذى ينتقى مايعرض عليه ومايؤخره العارضون إلى الرفوف الخلفية ، ولم تكن فائدة الزبون الذى يتبع أطول الصفوف إلى كل بضاعة تدق عليها الأجراس وترتفع من حولها عقائر الدلالين ، وكان

نقد لسنج وهازليت وشعر هيني وهاردى من البضائع المهملة فى الرفوف البعيدة يوم طلبناها من المعرض على الرغم من دلالية وقارعى الاجراس فيه !

ولا يطمع منا القارئ « اللبيب » فى أن نخدعه على حسب التقاليد المرعية لنصطنع التواضع الكاذب ولنزعم أنها توفيقة من توفيقات الحظ الحسن وأن حسن الفهم لم يكن له عمله فى هذا الاختيار الذى لا عمل فيه للمعرض والعارضين بعد عمل الشعراء أو الكتاب المجيدين .

فإذا شاء أنصار « اللافهم ولا مفهومية » من السرياليين فالفهم الحسن نقيصة مليحة جدا ندعيها ونلح فى أدعائها بمقدار حرمانهم منها وحقدهم عليها !

وإذا اصطنعنا معهم المجاملة فلنشرك مع حسن الفهم نقيصةً أخرى هى نقيصة الاطلاع على ذخائر الأدب العربى قبل الدخول إلى ذلك المعرض الكبير فقد كنا يوم دخلناه نقرأ المتنبى والمعرى وابن الرومى والجاحظ وعبد القادر والأصفهانى وأبا هلال ، ولا يقاس بمقياس هذا الأدب الرفيع أدب قط ثم يضل المهتدى بمقياسه وحده عن سبيل الاختيار الحسن حيث كان ، ولو كره حملة الأجراس وسماسرة الصياح والإعلان .

ونعود إلى نقيصة حسن الفهم التى تعجبنا جدًّا .. فندعى أنها هى التى أسعدتنا قبل ذلك بالاختيار الحسن فى البحث عن الذخائر العربية حيث كانت وهى التى كانت تهدينا إلى ذخائر الشعر فى مخطوطاته المنسية ، ومنها ذخائر ابن الرومى التى كانت تحتجب من القراء بحجابين من ظلم النحس وظلمة الخمول .

والآداب الأوربية الحديثة ثروة ضافية ونعمة سابغة إذا دخلنا معرضها « زبائن » مختارين ، ولكنها آكام من النفاية وسقط المتاع إذا كان الدليل إليها كله خرقة حمراء تهدى الى مخدع الست ساجان ومواخير الخواجتين ميلر وأميس ! وثلثهما من هؤلاء الخواجات .

* * *

« سقط طفل عمره سنة ونصف سنة من ارتفاع خمسة عشر مترًا ولم يصب بغير

رضوض قليلة ، وقد سقط من شرفة فى الدور الخامس وأيقن الجميع بوفاته . ولكنهم فوجئوا بسماع صراخ وقرر الطبيبان أن رضوضه خفيفة » .

قرأت مجمل هذا الخبر فى صحف اليوم ، وذكرت كلمة كان يرددها الدكتور حافظ عفيفى – وهو من كبار الرواد الأولين عندنا فى طب الأطفال إذ كنا نسمع منه كثيرًا أن جرح الطفل سريع الاندمال ، وأنه يكاد يعتقد أن جروح الطفل تندمل ولو شققناه نصفين بالعرض أو بالطول ..

ويسبق إلى الذهن على خلاف ذلك أن الطفولة ضعيفة الاحتمال ، وهى كذلك ضعيفة الاحتمال بغير مراء ، ولا ينفى هذه الحقيقة أن إصابات الأطفال أسلم عاقبة من إصابات الكبار ، وأن جراح الأطفال سريعة الاندمال . فإنها فى النهاية حقيقة واحدة من طرفين ..

فالطفل سريع النمو فهو من أجل ذلك ضعيف الاحتمال بمقدار ما فيه من النقص الذى يدعو إلى سرعة إتمامه بذلك النمو المتتابع من أول طراز العمر إلى طور النضج والاستواء .

والطفل سريع النمو فهو سريع التعويض للإصابة التى تعرض له من الحوادث الطارئة أو من نقائض التكوين . وهو أسرع تعويضًا لإصابات جسده من الإنسان الكبير ، وهذا الذى يقال من أجله – خطأ – أنه أقدر على الاحتمال وإنما هو يسرع إلى تدارك النقص قبل أن يستعصى تداركه عند الكبار ، لبطء العلاج وطول الانتظار .

ويحسن الآباء إذا انتهزوا هذه « الفرصة العاجلة » لإراحة أبنائهم منذ الصغر من جميع « الجراحات » الضرورية التى قد يحتاجون إليها بعد فوات هذه الفرصة فى سن الشباب أو سن الكهولة ، ولو ترجيحًا لا يبلغ مبلغ اليقين .

لقد كان النازيون يحدثون لهم شعائر « مذهبية » تخلف الشعائر الدينية أو التقليدية باسم الدين ، فجعلوا استئصال الزائدة الدودية فى أيام الطفولة الأولى بديلاً من الختان ، وأحسنوا بما صنعوا إلى الألوف ممن كانوا سيعانون الضرر الأليم بتلك الزائدة

الدودية خمسين فى المائة أو أربعين أو ستين ، ولكنهم – مائة فى المائة – يستريحون منها بغير ألم ولا ضرر بذلك الختان النازى فى أوائل أيام الطفولة .

ولا يلزم من محاكاة النازية فى هذا الختان أن يترك الختان الآخر فى موعده ، وقد يكفى الموعد الواحد للختانين .

مات علام*

كان من فواجع الخبر المفعم بأشجان الفجيعة أنني فوجئت به صباح أمس ، وحال المزمن بيني وبين الحزن الأليم أقضى له حقة ، مشيعا للصديق الكريم إلى مثواه الأخير.

مات عّلام !

وبدرت مني «كيف ؟» على غير انتباه ، كأنما سمعت شيئًا من مفارقات الأخبار لا يقبل التصديق .

ولو كانت صورة علام فى مواقفه الفنية هى التى ثبتت فى خلدى لقلت إنها هى صورة الفتى الأول : صورة الشباب الخالد كبر على النفس أن تثب منها إلى الموت فى لمحة عين .

ولكن الواقع أن علامًا كان أحد الممثلين القلائل الذين غلبت صورتهم الشخصية على صور الشخوص التى يمثلونها ويشتهرون بتمثيلها ، وربما اقتربت صورة علام بصورة قيس فى شبابه وهيامه لو كان كغيره من الممثلين الذين تنطوى أسماؤهم فى أدوار من مثلوهم وخلعوا عليهم شخوصهم ، ولكن علامًا حفظ صورته الشخصية بارزة عند عارفيه بخصاله وشمائله وعند عارفيه بفنه وشخوصه .. فهو هو علام الذى يمثل قيسًا ولم يصبح قط قيسا الذى تغيب فيه ملامح علام . وقد كانت أحب له دائمًا أن يتخذ من الشخوص غير شخوص الفتيان الأول ، لكيلا يقال إن محاسن فنه محسوبة على محاسن الطبيعة فما استكثرت النعى حين سمعته على الفتى الأول فوق مسرح التمثيل ، ولكننى استكثرته على الصديق الذى كنت أحس وجوده على كثب منى وإن باعدت بيننا الأيام ، وكان – ولم يزل – أخًا من إخوة الحديقة التى سجلها زميله الفنان المصور أحمد صبرى ، يرحمهما الله ويجزل لهما من مثوبته ورضاه .

---

* الأخبار فى ٥/ ٩/ ١٩٦٢ .

ولم يكن بروز الشخصية هو « الخصوصية » الوحيدة التى امتاز بها الصديق الفقيد . ولكنه كان من نوادر الممثلين الذين تمّت لهم مزية الأولية فى غير باب من أبواب فنه الرحيب .

كان من أوائل أبناء الأسر الكريمة الذين اجترأوا على تقاليدها واشتغلوا بالتمثيل قبل أربعين سنة ، ولقد كان فقدان الموت أهون على الأبوين فى الأسر العريقة من فقدان وليدهما على خشبة المسرح وهو مرجو الشباب لمستقبل الجاه والوظيفة ! وقد كان يوسف وهبى - أبقاه الله - من أبناء الأسر العريقة الذين جازفوا مثل هذه المجازفة بين أبناء جيله ، ولكن تقاليد الأسرة فى القاهرة غير تقاليد الأسرة فى الريف .

وكان علام من أوائل الطلاب الذين اشتغلوا بهذا الفن بين هواته من غير الطلاب المدرسيين ، واشتغل به مثله رائد آخر هو الأستاذ عبد الرحمن رشدى المحامى ، فجمعتهما هذه الزمالة ، وعاشا زمنًا وهما يحسبان من الطلاب الذين ضاع مستقبلهم ، قبل أن يجعلا هذا الفن مستقبلًا يتطلع إليه المئات من نوابغ الطلاب .

وكان من أول الممثلين الذين عرفوا أبطال المسرح والتأليف فى المكتبة قبل أن يعرفوهم على خشبة المسرح ودور التمثيل . ولم يكن حديثه حديث القارئ عن الكتاب والممثلين وقد علمت أنه كان يحيا معهم فى بيته وطريقه . ليحييهم أمام النظارة والقراء المعجبين .

كان علام يحفظ الشعر ويستشهد به فى موضعه ، وزرته فى المستشفى بعد العملية الجراحية فى عينيه فسمعته يردد بيت أبى الطيب !

ومن سرّ أهل الأرض ثم بكى أسى بكى بعيون سرها وقلوب

ويعتب على الناس فيقول : سررناهم فأين هى منا عيونهم وقلوبهم ؟ كلا أيها الصديق المبكى عليه ، إن العيون لتبكيك . وإن القلوب لتحزن عليك ، زفاء لنفسها بما فقدت من ذخائر الحياة والأحياء بفقدانك ، وإنها لأحوج إلى وفائها حيث لا حاجة بك إلى وفاء الأوفياء ، ولا خسارة عليك من جمود العيون وتقلب القلوب .

آخر زمن « فان دى سيكل »*

تقدميون ؟ ماذا تقول ؟ ماذا تعنى ؟ وماذا تظننا ياصاح ؟ أتقول إننا تقدميون ؟ بعد أن لحق التقدم بالتأخر لطول الترداد والتكرار سنوات بعد سنوات ؟ !

كلّا .... كلّا ... ثم كلّا وكلّا عشر مرات ، وراء عشر مرات ، وحق اللامعقولية الواحدة تتبعه الحقوق المتواليات لجميع اللامعقوليات واللامفهوميات ، واللامدركات واللامحسوسات ، من اليوم إلى آخر شهر برمهات ، ومن الأرض إلى أعلى النخلات طارحات البلح الأمهات ...

تهروليون نحن . وأنت الصادق لا تقدميون ولا مستقبليون ولا وراء المستقبليين ....

نحن تهروليون ووراء العقل واللاعقل ، ووراء المعقول واللامعقول . تهروليون . نعم تهروليون ، وشعارهم ياترى ماذا يكون ؟

شعارهم الملعون : ذيلك فى أسنانك ياجدع ... وراء العقل ، ووراء الجنون . إلى أين !

سبحان الله وأستغفر الله . من قوله سبحان الله ... فهل من « المعقولية » أو اللامعقولية أن يسأل الفم الذى « ذيله فى أسنانه » ثم يجيب بما يرضى الله ؟

إلى اللامعلوم .. إلى اللا موجود ! إلى اللاشىء ...

إلى اللا شىء مجرانا إلى اللا شىء ويانا
إلى اللا شىء آه يانا إلى اللاشىء لاكانى ..
ولا مانى .. ولا كانا

إلى اللا شىء ...

نعم إلى اللا شىء .

---

* الاخبار فى ٦/٢/١٩٦٣ .

أفهمت إذن – أيها المتهم إيانا بالتقدمية – إلى أين نحن سائقون ؟ إلى أين نحن مهرولون ؟

إن كانت « السريالية » ترضى أناسًا من القانعين ، فما فوق الواقعية عندنا أوّل خطوة من خطوات اللامعقول ... وثانى خطوة من خطوات الجنون وآخر خطوة من خطوات الفنون .

وإن كانت اللامعقولية تلحس العقل وحده ، فالهرولية تلحس كل شىء ، فلا يبقى عندنا وراء « اللا » غير « اللاشىء » !

إلى اللاشىء ياسيدى ! وإيدك هاتها فى إيدى ..
وقل زدتم وقل زيدى وضعت الطوق فى الجيد
لتحرير وتعوير وتقييد وتجديد !

مفهوم ؟

لا . غير مفهوم ! !

إذن نحن فى عالم اللامعقول نقعد ونقوم .

فى عصر الفضاء ماذا يبقى غير الفضاء ؟ وفى عصر الطيران السباق للأصوات ، ما فائدة الأصوات ؟ وما فائدة الكلمات ؟ وما فائدة المعانى ؟ وما فائدة النغمات ؟

أترجع بنا إلى الوراء لتحدثنا حديث التقدميين ، أولئك الكسالى النائمين ؟

أترجع بنا إلى الأمام ، ونحن أمام المستقبل بألف عام ؟

إلى اللاشىء والله بلا إيهٍ ولا آه
ولا واعى ولا ساهى ولا ناهى ولا ماهى
وإن زهزت للدنيا فزهره غير زهزاه
وقهقه غير قهقاه .. خواجا يلبس الشاهى

* * *

قال الذى لايقول ، أو يقول ولايسأل عن العقول : إنها وثبة واحدة إلى قبيل النهاية من القرن العشرين بخمس سنوات .

إنها هرولة واحدة تخطو بنا نيفًا وثلاثين سنة ، وبضع ساعات !

ونحن إذن فى « شيخوخة » القرن وفى المرحلة الأخيرة من مراحل التخريف .نحن كما يقولون فى آخر زمن Fin de Siècle نذهب إلى النهاية من عصر الفضاء . ومن عصر الطيران السباق للأصوات والأصداء .

هات كتابًا من عندك أيها الرفيق ...

ويقول الرفيق الرجعى العتيق : ما هذا بكتاب .... هذه كراسة بيضاء بلا كلمات ولا حروف ولا سطور . ونقول للرفيق : كلا ، كلا ... بل هو كتاب كما ينبغى أن يكون الكتاب فى عصر الفضاء .

بل هو كتاب كما ينبغى أن يكون الكتاب فى العصر الذى تصل فيه الطيارة ولا يبلغ الصوت قراره .

بل هو كتاب كما ينبغى أن يكون الكتاب فى العصر الذى جاوزنا فيه المعقول واللامعقول . وألغينا فيه الأسماع كما ألغينا فيه الكلام المسموع والمنقول .

كتاب وياله من كتاب

بليغ جدًّا ، باطنى وراء الوعى الباطن ، ظاهرى أمام الحس الظاهر ، بليغ فى الغاية من البلاغة ... لا يفوقه فى بلاغته إلا أخوه ذاك الذى تراه إلى اليمين ... لا .. بل إلى اليسار ، لا بل فى كل مكان ، وفى غير مكان .

وحذار أن تقول مرة أخرى إنها كراسة بيضاء !

كلا ياصاح .... إنه فضاء أبلغ من ذاك الفضاء

انظر إلى صفحته هذه البيضاء الناصعة البياض ... التى لا سطر فيها ولا كلمة ولا حرف ولانقطة ولا أثر عليها ولا على المكتبة كلها للمداد الملطخ بالسواد .

الحرف أبيض .. الكلمة بيضاء .. السطر أبيض .. الصفحة كلها بيضاء .

بياض ، بياض ، بياض ، فضاء ، فضاء ، فضاء ..

يالها من بلاغة فى عصر الفضاء ،عصر الطيران بلا أصوات ولا أصداء .

كراسة أبلغ من كراسة .

وفضاء أبلغ من فضاء .

. كيف با لله ؟

تسألني كيف ؟ وتستحلفني أيضًا با لله ؟

إننا نحن « الهروليين » ... وذيلك فى أسنانك يامسكين . نعيش فى أواخر القرن العشرين ، فكيف لم تسمع فى منتصف هذا القرن بالتقدم والتقدميين ، والسريالية والسرياليين ، والتجريدية والتجريديين .

كيف لم تعلم أن « صورة ملخبطة » تكون أصدق من صورة ملخبطة أخرى .. والحجة فى ذلك عند الوعى الباطن والباطنيين ؟

وكيف لم تعلم أن الصورة الملخبطة التى كانت هى أحسن تكون أيضًا هى ألعن .. والحجة بعينها عند باطنى إن أمكن ، كلما أمكن ، وحينما أمكن .

لخبطة أصدق من لخبطة .

وشخبطة أكذب من شخبطة .

ولخبطة مرة أخرى أصدق وأكذب من شخبطة مرة أخرى .

وأصدق وأكذب ، وأكذب وأصدق ، ولا أصدق ولا أكذب .. ولا أكذب ولا أصدق ، ولا وعى باطن ، ولا باطن وعى ، ولا معقول ولا غير معقول

ولكن ..

نعم ولكن . هذا السريالى مصور فنان وذاك السريالى غير مصور وغير فنان ، وصدق الاثنان ، وكذب الاثنان .

– أتفهم هذا ؟

– لا ..

– وهذا هو المطلوب .. فلتفهم إذن أننا نحن معاشر « الهروليين » نعلم أن الكراسة البيضاء أبلغ وأفصح من أختها الكراسة البيضاء ، وأن هذه وتلك كلتاهما كتاب ياله من كتاب ، نقرأه من الباب إلى الباب ، ثم تنفذ إلى الفضاء .. إلى الفراغ .. إلى الخراب :

إلى اللاشيء مخروبا إلى اللاشيء مقلوبا
إلى اللاشيء مخروبا إلى اللاشيء مكشوفا
وتلعبا وتلعيبا وألعوبا وملعوبا

إلخ إلخ . وإلى أوله قبل آخره ..

هكذا – نحن الهروليين – نتقدم التقدميين إلى السنة الألف والتسعماية والتسع والتسعين ، من نهاية القرن العشرين ، مخرفًا مخطرفًا بفعل السنين آمين آمين آمين.

والخلاصة مرة أخرى ..

شعار المذهب « ذيلك فى أسنانك وهرول وطلع لسانك ! »

وبلاغة المذهب «كراسة بيضاء » بياض الفضاء ، بلا كلمات ولا حروف ولا أصوات ولا أصداء .

* * *

« حاشية »

وفى هذه الحاشية نكشف أسرار الصناعة كلها بألسنتنا ، ونسبق اللامعقولية فى هذا الشوط بهذا الصنيع المجنون الملعون ، غير المعقول ولا المقبول فنقول أيها المستمعون ...

الحق أننا لم نبدع هذه « الهرولة » إلى أواخر القرن العشرين .

والحق أننا سلبناها سلبًا « لا معقوليًّا » من أخيه الأصغر ، ذلك القرن التاسع عشر .

فى تلك السنين ، قبل بداية القرن العشرين ، شاعت فى أفواه الببغاوات حكاية « الفان دى سييكل » Fin de Siècle كما شاعت فى أفواه الببغاوات المعاصرين حكاية « الوعى الباطن » وراح النقاد « المحققون » يعللون سخافة الزمن بما هو أسخف منها ، ويدفعون العجب من خرافة المخرفين بأنه هو « أوان التخريف » فى شيخوخة القرن الذاهب إلى الظلمات ، بين الهذر والقذر والتجديف

« آخر زمن .. »
« فان دى سييكل »

هكذا كان تعليل النقاد « المحققين » رائدًا قديمًا لنقاد الوعى الباطن فى منتصف القرن العشرين .

ويدركهم ناقد « معقول » ليقول لهم شاهت العقول .

أين هى الشيخوخة فى سنة ١٨٩٠ أو ١٨٩٥ ؟

إن هذا العهد الأخير فى حياة القرن الميلادى هو العهد الأول فى حياة القرن الهجرى ، وهو العهد الأوسط فى حياة القرن العبرى ، وهو طفولة وشباب وكهولة وشيخوخة فى وقت واحد ، وفى عدة قرون .

وكان كلامًا « معقولاً » سقطت به تهمة الزمن البرىء .

ولكنه غير معقول أن يبقى إلى اليوم ليدخل فى قاموس الزمن الجديد : قاموس اللامعقول .

فمن حقنا اليوم أن تسطو عليه نحن الهروليين.

–أمعقول هذا ؟ .. لا .. غير معقول .

قلنا : وهذا هو المطلوب .

مصرع مارلين مونرو بيديها*
جريرة المأساة مولدها على الرغم منها

امرأة مسكينة !

وامرأة مسكينه يرثى لها . كل من تفوتها أسباب السعادة من مصدرها الوحيد الذى تستمد منه المرأة سعادتها ولا تستمدها من غيره . وهو أنوثتها الصادقة ..

وقد كانت (مارلين مونرو) امرأة بغير أنوثة تمت لها أسباب السعادة من مظاهرها الكثيرة ، وهى مظاهر الجمال والمال والشهرة والإعجاب والمتعة ، فشقيت وسئمت كل ما ملكته من نعم الحياة المشتهاة ، وأولها الجسد الذى خيل إلى الكثيرين من عشاق فنها أنه السعاده كلها لمن يملكه لحظات من الحياة !

والمسكينة قد ورثت هذه (الأنوثة المفقودة) ولم تصنعها لنفسها ، لأنها بنت المرأة التى قضت حياتها من مقتبل عمرها فى مستشفى الأمراض العقلية ، وبنت الرجل الذى لم يطلب المرأة قط لتكون زوجًا له وأمًّا لبنيه وبنيها .

ونمت مارلين مونرو نموًّا جسديًّا (فجأة) ثم تزوجت وحملت فأجهضت مرة واضطرت مرة أخرى إجراء العمليات الجراحية لتصحيح الرحم وتيسير حالة الولادة .

وظلت الصورة الجسدية بغير أنوثتها هى كل ما بقى للفتاة النامية من محاسن حواء . فانقلب كل ما فى طبيعتها من أشواق المرأة هيامًا بتلك الصورة الجسدية وولعًا بإشباع الفراغ النفسانى بما تستطيع أن تثيره من الفتنة وما تصطنعه من دواعى الإغراء ، وقيل عنها إنها كانت تقضى فى حمامها الساعات الطوال وهى تتأمل جوارحها وتمتحن تأثيرها فى استقامتها وانطوائها وسكونها واهتزازها ، ثم تخرج إلى الطريق بغير ملابسها الداخلية !

---

* الأخبار فى ١٣/٢/١٩٦٣ .

وصادف إغراء (الانوثة الناقصة) طلبًا كثيرًا من جمهرة المصابين بنقائص الجنس فى زمن (المزايدة) بهذه النقائص فى أسواق المسارح ومعامل التحليل والدراسات العقلية والطبية ، فكانت مارلين مونرو هى الوثن الصالح لهذا المعبد ، وأصبحت حركات الإغراء التى اشتهرت بها صيدًا صالحًا لأنواع الرجولة المختلة فى عصرها ، فكان إغراؤها لذوى الشذوذ أقوى وأظهر من إغرائها لذوى الرجولة الصادقة التى تجد طلبتها فيما يقابلها عند الجنس الآخر من الأنوثة الوافية .

واختلال السليقة الجنسية فى الرجال هو وحدة مقياس الجمال الناقص الذى يجعل من جسد هذه الفتاة مثالا للأنثى الجميلة . فإن الصور التى نشرت لها بالمئات لا تمثل المرأة حق المرأة فى ذوق فطرى سليم من أقدم العصور إلى أحدثها ، فلا هى أنثى جميلة على مثال أفروديت اليونانية ، ولا هى أنثى جميلة على مثال غوانى عصر النهضة أو غوانى المدرسة الفلمنكية فى القرون الوسطى ، ولا هى على ذوق الجمال والأنوثة فى معاهد الأزياء العصرية التى لم تتلوث بتقاليع الموضة الأخيرة .. ولكنها تملك من قالب الجمال المألوف ما يكفى للإغراء بالحركة من جسد المرأة فى مخدعها . وهو إغراء يكفى أن يحتاج إليه الرجل فى الطريق ليدل على نقص الرجولة أو الانحراف فيها .

وحكاية العرض والطلب كافية لتفسير هذه (الوثنية) الفنية فى دور من أدوارها ، فقد كان الوثن الناقص على قدر عبادة الناقصين . وكانت الأنوثة المختلة بضاعة الرجولة التى لم تسلم من الاختلال .

ولكن الدعاية المسرحية لها عملها الدائم فى كل شهرة من قبيل شهرة مارلين ، فلا تغيب هذه الدعاية عن شهرة كتلك الشهرة جاوزت حدودها فى نطاقها المعقول .

ولابدّ أن يذكر فى مجال الكلام على ترويج الدعاية لفن مارلين مونرو أنها (تهودت) وأنها كانت تعاشر أناسًا من أقطاب الدعاية العالمية لبعض المذاهب الاجتماعية ، فليس بالكثير أن تنجح الممثلة كما نجحت مارلين ومعها هذه الأزواد الكثيرة من بضاعة الجنس المختل ومن ترويج الصهيونية والدعوة العالمية .

وقد نجحت الممثلة غاية النجاح الذى تطمع فيها الفنانة فى سوق الصور المتحركة .

ولكن (الإنسانة) لم تنجح مع صورتها على الستار الأبيض ، ولم تنجح مع جسدها الفاتن المفتون ، ولم يبد لها يومًا من الأيام عوضًا من تلك الأنوثة التى لا سعادة بغيرها فى عالم المرأة لجسد ولا روح .

ولا يقال – على سنّة الوعظ المطروق – إن الفتاة المسكينة قد ذهبت ضحية من الضحايا على مذبح الفن الجميل ، فإن الفن الجميل قد أعطى مارلين فوق ما أخذ منها بحساب الجمال أو حساب المال أو حساب الشهرة والإعجاب ، ولكنها فى الحق قد خرجت إلى الدنيا ضحية لأبوين لاهيين حملا أمانة الذرية على غير حق فيها ولا قدرة عليها ، فكانت مأساة مصرعها بيدها جريرة لمأساة مولدها على الرغم منها .. ولو شاءت هى لكان لها اجتهاد فى طمأنينة القلب والوجدان كاجتهادها فى فتنة الجسد والشهوة ، ولكنها بما اختارته لدنياها مضت ولها نصيب من شقائها كنصيب الأب والأم ونصيب القدر المحتوم .

الوفاء بين الزوجين .. ! ! *

أشارت الأخبار بالأمس إلى سلسلة من التجارب الاجتماعية الأخلاقية تجريها بعض الصحف فى العالم الجديد ويعينها عليها طائفة من المؤلفين فى حكمهم على الفضائل التى تروج أو لا تروج بين جمهرة من الناس فى إحدى البيئات ، ومنها البيئات التى يحسب أبناؤها بعشرات الملايين ، كالبلاد الأمريكية .

وبين تلك التجارب « الإحصائية » تجربة أجراها بعض المؤلفين عن الوفاء بين الزوجين يظهر منها أنه يقدر فضيلة الوفاء بمقدار طول الزمن الذى يقضيه الرجل أو المرأة فى الحياة الزوجية .. وخلاصة تجاربه أو إحصاءاته أن الوفاء صفة مؤقتة كالحب تزول متى زالت العاطفة بين المحبين .

وطريقة الإحصاء فى الحكم على شيوع الفضائل بين أبناء البيئة الاجتماعية طريقة سليمة لا غبار عليها ، لولا أنها تتطلب الدقة البالغة فى ضبط معانى الكلمات والتحقق من اتفاق المجيبين على معنى واحد عند فهم السؤال ، وعند الإجابة عليه .

والظاهر من كلام المؤلف الباحث عن الزوج والزوجة أيهما أوفى لصاحبه أنه جعل طول الرضى بالبقاء فى الحياة الزوجية مرادفًا لفضيلة الوفاء ، ودليلاً على ذلك الخلق النفسانى الذى أحصى علاماته فى عدد كثير من الأزواج بين الجنسين .

ولكن طول الرضى بالبقاء فى عيشة معينة قد يكون عادةً من عادات الألفة والامتثال للضرورة على غير علاقة بالفضائل النفسية ، فإن الطائر الذى يطمئن إلى البقاء فى قفصه ويكف عن ضرب أسلاكه بجناحيه والتطلع من فجواته للطيران منه إنما يفعل ذلك بحكم العادة التى ترتبط بضرورات الواقع ولا علاقة لها بمعانى الفضيلة فى الوجدان ، ولا بتلك العلاقة فى ضمير الإنسان .

---

* الأخبار فى ٧/ ١٠/ ١٩٦٢ .

فالاطمئنان إلى البقاء على معيشة واحدة إنما هو عادة تتساوى فيها ألفة الفضيلة والرذيلة أو حالة القبول للأمر المحبوب وحالة القبول للأمر المكروه .

وإنما تتجلى فضيلة الوفاء عند المنازعة بين هوى النفس ودعوة الواجب أو بين نزعة نطلبها ونميل إليها ونزعة نعرض عنها ونهم بالفرار منها ، وإنما تسنح فرصة التحقيق فى قوة هذه الفضيلة عندما يقف أحد الزوجين بين الإخلاص لصاحبه الذى أحبه من قبل ، وبين مطاوعة الحب الجديد الذى قد يتعرض له بعد أنقضاء عهد طويل أو قصير على الزواج ، وقد تحدث هذه المحنة ، وينفصم عقد الوفاء فيها مع رضى الزوجين بالبقاء فى معيشة واحدة .

ويظهر كذلك أن المؤلف خلط بين عاطفة الحب وفضيلة الوفاء فبدا له أن عمر العاطفة وعمر الفضيلة ينتهيان إلى أجل واحد ، فلا دوام للوفاء بعد زوال المحبة بين الزوجين .

وخطأ المؤلف واضح فى خلطه بين الأمرين .

ففى حالة الحب لا حاجة إلى السؤال عن الوفاء ، لأنها حالة الرغبة التى يقبل فيها كل من المحبين على صاحبه باختياره ويعارض كل ميل آخر يصرفه عن هذه الرغبة إلى غيرها ، سواء كان من أهل الوفاء أو كان من أهل الخيانة التى لا تدين بمعنى من معانى الوفاء ، وإذا حملت الرغبة فى المال لصًّا سارقًا يكسر الخزينة ويتجشم الخطر فى سبيل الوصول إلى المال الذى يشتهيه فأى معنى للخلط هنا بين الرغبة فى الشىء المحبوب وبين فضيلة الوفاء ، ولو سميناه وفاء للمال ؟

أصدق من حساب الإحصاء فى امتحان الفضائل أن نعود إلى حساب قديم عندنا يعرفه الذين عرفوا حكمة أبى بكر الصديق رضوان الله عليه .. فقد كان يقول ما فحواه : إنه ما تردد قط بين واجبين إلا اختار أبعدهما من هواه ..

وبهذه « الفرازة » المحكمة نستطيع أن نعرف متى نبحث عن حقيقة الوفاء بين زوجين أو بين محبين .

موضع البحث عن هذه الحقيقة حين يختار صاحب العاطفة بين الإخلاص لحب كان يستهوية من قبل والاندفاع مع هوى جديد لم يبلغ من النفس مبلغ الحب القديم ، ولكنه يستطيع أن يشغلها عنه ولو بعض حين .

وصدق حساب الصديق ، وكذب حساب الأرقام .. !

رحلة فى عالم شعرى*

من حق قراء اليوميات أن نشركهم فى هذه الرحلة إلى العالم الشعرى الذى تفتحه بين أيدينا عبقرية روبرت فروست بعد ما طالعناهم به من نبأ هذا الشاعر « العالمى » فى اليوميات الماضية .

والرحلة إلى العالم الشعرى غير بعيدة منا حيث كنا ، لأن العالم الشعرى هو هذاالعالم المعهود « بملابسه العادية » كلما نظرت إليه العبقرية الثاقبة ، بعين الخلق والإبداع .

فنحن لا نجعل العالم شعريا بثوب من ثياب التمثيل نخلعه عليه ثم نزج به على مسرح الأدوار والتلقينات .

بل نحن نجعل العالم شعريًّا كلما خلعنا عنه برقع الابتذال ونظرنا إليه من وراء الظواهر التى تنسجها عادات العرف فوق وجهه الساذج الذى لا طلاء عليه .

وسنرى فى رحلتنا إلى « العالم الشعرى » بدلالة روبرت فروست أننا نستطيع أن نرى ما يراه الشاعر الذى ينظر إلى دنياه بغير قناع ولو كان شعره كلامًا ولم يكن من غناء الآلات المربوطة على أنواطها ! ! وأنه يستطيع أن يجيد الغناء بكلامه ولو وقف ليناجى كواكب السماء وفى يده ميزان الحرارة ، أو وقف ليسكت الطير حينًا من الأحيان ولم يقف ليستمع إليها ويستزيدها من السماع فى كل حين .

نعم . ويستطيع أن يكون شاعرًا فى القرن العشرين غير بعيد عن الطبيعة الأبدية وهو يحمل رقم العام بارزًا على كل ورقة من ورقات التقويم .

* * *

الشاعر يناجى نجم السماء ويسأله أن يتخذ له شارة من شارات القرن العشرين ولا يظل على بعده قريبًا عن الزمن وذوية ، فيقول له إذ يناجيه :

* الأخبار فى ١٩٦٣/٢/٢٠ .

« أيها النجم .. !

يا أجمل النجوم فيما تراه العين .

إننا نعترف لمكانك الرفيع بالحق فى شىء من الغموض ، من سحاب أو غمام .

ولا نقول حق الغموض بظلام من الليل فإن ظلام الليل هو الذى يجلوك للأبصار .

وبعض الغموض من سمت اللياقة المسموح به للمكان الرفيع .

لكن هذا الصمت المطلق منك .

ليس بالمرضى الحميد .

فقل لنا شيئًا نستطيع أن نتعلمه منك .

قل شيئًا ... قل إننى أحترق .

وقل : على أى درجة من الحرارة .

درجات فارنهيت ، أو سنتجراد .

وتكلم باللسان الذى نفهم .

قل لنا من أى العناصر كيانك ومبناك ؟

وإنها – ويا للغرابة – لا تجدينا غير قليل .

لكنها فى النهاية تخبرنا ببعض الخبر ولتكون حادة حازمة كجد النجم الراهب اليقظان فى قصيدة كيتس ، قلما يتنزل للنظر إلى ما دونه فإنها – بعد – لا تتقاضانا شيئا فى هذا القرار ، ولا تسألنا عن شىء .

وكل ما تتقاضانا إياه من الصعود .

فإذا جمحت الدهماء من آونة إلى آونة شططًا فى الثناء أو شططًا فى الملام .

تركت لنا أن نختار مرتفعًا كالنجم البعيد .

نسمو إليه ونستريح »

* * *

والشاعر فى عالمه هذا يحب الطبيعة كما يكون كل حب « طبيعى » بغير كلفة ! حبًّا يسمح للمحب أن يسأم حضرة المحبوب بعض لحظات ، وهو فى سآمته أصدق

حبًّا ممن يتكلف الترحاب والإطناب فى كل كلمة تقال . وكل لحظة . وكل لقاء ..

وفى لحظة من لحظات هذا الحب السائم يقول للعصفور :

وددتُ لو طار هذا العصفور عن بيتى ولم يسمعنى أغانيه طوال النهار .

وصفقت له بيدى حين بلغ منى الضجر أن أحسبنى غير مطيق للمزيد من الإصغاء .

والغلطة منى ، ولا ريب ، ولو من إحدى نواحيها .

فلا غلط فى نغمة العصفور .

ولا بدّ من غلطة هناك حيث نقضى على نغمة صادحة بالسكوت .

* * *

ومرة أخرى يقول للطائر الصداح فى الغاب وهو يحسبه يقول للواقف بباب الغاب : ادخل come in

يقول :

سماع .

تلك موسيقى الطير .

ولا يزال النهار شفقًا على الأبواب .

لكنه بين ألفاف الغاب ظلام .

ظلام لا ينير للطير فراشه وهو يهيئه بجناحيه للمبيت .

ولكنه كاف لإطلاق الصوت بالغناء .

والشعاع الأخير فى أقصى المغرب يغيب .

لكنه فى صدر العصفور يستبقيه لصدحة أخرى قبل الختام .

ومن أعماق الغاب تتابعت أنغام . كأنما تقول : ادخل ! للشجن وللظلام

لكن .. لا

لقد خرجت على موعد مع النجوم

ولست بداخل ، ولو سئلت الدخول .

ولم أسأله ، مع ذاك .

* * *

ومن هذا العالم يكرّ شاعر القرن العشرين راجعًا إلى قرن – مقدورًا وغير مقدور – قبل المئات ، بل الألوف ، بل ألوف الألوف من القرون : أبسط كفى اليوم فلا أقبض على غير شعاع من الضياء بين أصبعين .

ولكنه كان مرةً – مرة واحدةً – زمن من الأزمان لفظ فيه التراب شيئًا من ذلك الشعاع .

فإذا كان بنو آدم وحواء ، قد طال بهم رصد الطين تهبط عليه ذكاء ، ولا تنبض فيه الحياة ، فلا يعجلوا بالاستهزاء . .

إن الله قد كشف وحيه قديمًا ثم استتر بحجاب السماء .

فلا تنسوا كيف ران السكوت على الأكوان منذ كان ذلك الزمان .

كان الله زمنًا يتحدث إلى الآذان .

وكانت الشمس زمنًا تنفث الشعلة الخفية فى طينة الأبدان .

وشعاعان اثنان اليوم يبقيان :

أحدهما شعاع هذا النفس الصاعد .

وثانيهما شعاع الإيمان .

* * *

ومن بداية الحياة قد يتحول إلى نهاية العالم على نبوءة « العلماء » :

بعضهم قال إن الدنيا تنتهى بلهيب النار .

وبعضهم قائل : بل هى منتهية ببرود الجليد .

وبما ذقته من تجارب الأهواء .

أقول إننى من أنصار النار ، لا مراء .

أما إذا حقّ على الدنيا أن تخرب مرتين وتنتهى نهايتين .

فقد أخال بعد ما عرفت من كوامن الكراهية :

أن الثلج أيضًا عظيم .

وهو – وحده – حسبها من الخراب مرتين ، ومن النهاية نهايتين .

* * *

والطبيعة محراب فى الربيع يصلى فيه الشاعر ويطلب فيه من خالق الكون فوق الكفاف من نعم الجمال مبتهلاً فيه بهذا الدعاء :

أعطنا سرورنا بالنظر إلى الأزهار هذا اليوم .

ولا تعطنا فكرة عما هو كائن بعد اليوم ببعيد .

فكرة الحصاد الذى لا نضمنه ، أو النتاج الذى تأتى به السنة فى أوان غير هذا الأوان : أوان الطلوع .

.. أعطنا سرورنا بالنوار الأبيض

لا شبيه له بالنهار ، ولكنه فى الليل شبيه بالأرواح والأطياف .

واجعلنا سعداء مع النحل السعيد

غاديًا رائحًا يرتع بين الشجر الحسان .

واجعلنا سعداء بسعادة الطائر الذى ينطلق صعدًا ونسمعه – على حين غرة – يصدح فوق أشتات النحل بالغناء .

سعداء مع الشهاب الساطع كسِنّ الإبرة نافذًا فى الفضاء ، بعيدًا بعيدًا من ذلك النجم الساكن فى مكانه بغير حراك .

هذا هو الحب ، وليس بالحب شيء سواه .

عنوانًا لضمير الله فيما يحكمه من تدبير وفيما يلهمنا أن نهتدى بقدسة الأقدس لما يريد .

ويتسع هذا العالم الشعرى الذى يتكلم مغنيًا ، أو يغنى متكلمًا ، حتى يحتوى معامل الصناعة وحقول الزراعة بين جناحيه ، ويلمس مواطن العطف فى صدر الإنسان حيث يدير الدولاب وحيث يضرب بالفأس فى التراب ، ويقول وهو يرثى « للمضرب » المنقطع عن الزملاء !

تبدلت دقات الجرس المترجح أمس : وخلفتها رفات الميقات كأنها عداد ناقوس الأعمار فى يد القضاء .

ويجرى المتخلف المتأخر ليدركه فلا يفوته أن يصل إلى الباب بعد أوان الوصول .

والشريعة التى هناك – لا تدرى أمن عند الله هى أم من عند الإنسان – إنه من جاء بعد الدقة المقدورة أو صدت فى وجهه الأبواب ، وضاع منه وقته وانقطع به رزقه ، ووقف ثمة موبخًا محرومًا على مدى خطوات من المكنات التى اهتزت للدوران واضطربت للحركة ورصدتها الأعين من قريب وبعيد ، ولكنها – وهى المرموقة المرقوبة – تتحجب وراء السدود فلا يبصر من خلالها مكانًا خاليًا يفتقده عند آلة عاطلة من جراء غيابه ، ولا مطمح له فى افتقادها إياه مكسورة القلب آسفة عليه !

* * *

على أنه قد خيل إليه فخال أن المنظر كله ماثل أمام عينيه .

هواء يملؤه غبار الصوف ، وألف خيط مشدود تلق بها بكرة إلى بكرة ومغزل إلى مغزل ، لا تشتدّ بها العزلة مرة فوق ما تطيق ، ولا تزال على اتصال يطول ثم يطول فلا ينقطع وإن طال ، أو يفلت مرة منقطعًا .... فما أسرع اليد التى تمتد إليه لتعيده إلى سوائه : يد الغزال الشاخص هناك بالمرصاد .

..... ويعرف الصانع المطرود مكانًا آخر غير هذا المكان :

غابة تطول فيها التلال والأكام كما تطول فيها الأدواح والآجام .

فإذا وقف على تلٍّ من تلالها ، أو أكمةٍ من أكامها ، فتلك أعالى الأشجار تلفه فروعها وتمترج بأنفاسه أنفاسها ...

وإذا ... وما أكثر إذا وإذا ...

إذ تريث لحظةً ، فهناك طريق تريد أن تطرق ، وهناك ينبوع يريد أن يشرب وهناك فكرة تريد التفكير ، وهناك حب يريد الإحياء والتجديد ، وليس هو بالكلام الذى يلغو به القائل ليقول ، ولكنه شىء يعمل كلما قيل .

والمصنع – بعد – جميل يتمنى له غاية ما فى مقدوره من الجريان والدوران

ولكنه – بعد – ليس بالحرم المقدس ... وليس فى قول آخر بالمحراب .

ولا يزعم صاحبنا أنه من رواد المحاريب ، ولكنه قال يومئذ ولا يزال فى وسعه أن يقول : إن حان الحين الذى تركد فيه الصناعة أو تشكو حاجتها إليه ، فتبحث عنه ولتأت هى إليه ، فإنها لتعلم أين يكون .

* * *

وليس أكثر من ذكريات الموت فى دواوين هذا الشاعر التى تفيض بدم الحياة ، ولكنها ذكريات لا تبدو للقارئ كأنها نقيضة من نقائض هذه العبقرية القائلة الشادية ، لأنه يعلم أنها عبقرية توسع آفاق الحياة حتى تدخل الموت فى نطاقها ، فلا تقف عنده كأنها نهاية المطاف ، بل تعبره هنا وهناك كأنه معلم عابر من معالم الطريق :

قال : « غابة من هذه .. ؟ أخالنى أعرفه .. فإن له بيتًا هناك فى القرية كيفما كان ، ولا آراه يرقبنى ليرى كيف أنظر إلى أشجاره وهى مجللة بالثلوج .

إن حصانى الصغير ليعجب إذ يرانى واقفا به هنا ولا مسكن للقرية فى الجوار بين الشجر والبحيرة المتجمدة ، فى أحلك ساعات العام .

ويهز جلاجل عنانه ليسأل : هل من خطأ ؟ هل من ضلال عن الطريق ؟
فلا تسمع مع جلاجله رنة أخرى غير نفحة الريح وحفيف الثلج المندوف .
إن الغابة الجميلة ... إنها لساجية ظليلة ، وإنه لسكون عميق ، وإنه لمقام مريح !
ولكننى على مواعد كثيرة أرعاها .
وكم من أميال أمشيها قبل الرقاد .
وكم من أميال طوال قبل الرقاد .

ويقول الشاعر عن المقبرة المهجورة !

إن الإحياء يقبلون على صخور القبور ليقرأوا ما عليها .
وإن المقبرة لا تزال تستدعى زوارها من الأحياء ، ولكم لا زائر لها من الأموات .
ومن نظمها الذى يقرأون ويقرأون : إن الأحياء الذين يطالعون هذه الصخور ثم

ينصرفون ، سوف يأتون إليها يومًا على نية المقام . ! فلا يرجعون .

وعلى هذه الثقة من الموت أقامت هذه الصخور على القبور .

ولكنها يطول بها الزمن فلا تملك أن تعجب : لماذا لا يقدمون ؟ مالذى يخيفهم من هذا المكان ؟

وما أسهل السخرية على حساب القبور !

ما أسهل أن يقال : إن الناس كرهوا الموت ، وإنهم أجمعوا النية أن يبتعدوا عنه ، ولا يقربوه !

وأحسبها أكذوبة تصدقها الصخور .

* * *

وانتهت الرحلة مع دواوين الشاعر الراحل حيث تركت ظلال الموت على صفحاتها ، ولكننى لم أتركها على الصفحات إلا لأودعها تحت التراب وجها من تلك الوجوه التى قال عنها الشريف الرضى طيب الله ثراه :

صور ضننت على العيون بلحظها ... أمسيت أوقرها من البوغاء

ونواظر كحل التراب جفونها ... قد كنت أحرسها من الأقذاء

قربت محلتهم على زوارها ... ونأوا عن القصاد أى تنائى

ولله البقاء بعد كل بقاء

تحريم أكل لحم الخنزير*

« نرجع لسيادتكم فى مسألة من مسائل الدين والطب معًا وهى تتعلق بتحريم أكل لحم الخنزير . فقد سمعت من الدكتور صالح شكرى الطبيب المشهور بعلاج الأمراض عن طريق الغدد والخمائر أنه قرأ أخيرًا بحثًا عن لحم الخنزير فى كتاب ألمانى عنوانه الجديد فى الطب للعالم الكبير ركويج Recke weg خلاصته أن لحم الخنزير يحتوى مادةً من فصيلة (الهوموتكسينا) تعوق عمليات الجسم للتخلص مما يعرض له من سموم . فضلاً عن احتوائه نسبة عالية جدًّا من الكبريت لا توجد فى غيره من اللحوم .

وإنى أرجع إلى سيادتكم سائلاً عن مدى صحة هذه الآراء ، وهل قام الدين بتحريم أكل لحوم الخنازير على أساس علمى أو على أساس دينى موروث من الأديان الكتابية السابقة للإسلام .

شوقى على هيكل

كلية دار العلوم

وكل ما نستطيع أن نعقب به فى هذا الموضوع أن المرجع الذى أشار إليه الدكتور شكرى موجود متداول وأنه يضيف سببًا جديدًا إلى السبب العلمى الذى يفسر لنا شيئًا عن تحريم لحم الخنزير وهو قابلية هذا اللحم خاصة لاحتواء ديدان مرض التريشنوزا Trichinose وهى تنتقل منه إلى آكليه فتستقر فى عضلاتهم وتتكاثر فيها تكاثرًا وبيلاً قد يودى بالحياة .

وهذه المعلومات التى سمعتموها من الطبيب الفاضل تفيدنا ولا شك عند البحث عن الأسباب العلمية وعن الأضرار الصحية التى تسوغ التحريم ، ولكن تحريمات الأطعمة فى الأديان ترجع إلى أسباب حيوية وأسباب تاريخية موروثة وأسباب

* الأخبار فى ١١/١٢/١٩٦٣ .

« تأديبية » لا نحيط بها تعليلات الطب فى جميع الظروف ، وقد نعرف منها القليل أو الكثير ، وقد نجهلها جميعًا فى بعض الحالات الخاصة ، ولكن السبب (الدينى) الذى ينبغى أن نستحضره ولا نغفل عنه فى حكمة الأوامر والنواهى أن بعضها مقصود لترويض النفوس على فضيلة الطاعة الواجبة للأوامر الإلهية ولو لم نقف على أسرار حكمتها فى باطنها ، وهكذا تراض النفوس على فضيلة الطاعة فى كل نظام متبع بين الجماعات وفى كل رياضة ذات غرض (تأديبى) معلوم ، ولو لم توجد عندنا الانظمة التى تفرض على الإنسان قبول الطاعة لغير سبب يحيط به لما استقام عمل الجيوش ولا عمل السفارات ولا عمل التعليم الذى يناسب الإنسان فى كل عمر من أعماره المتوالية ، ويبتدئ معه من أصغر أعماره فى سن الطفولة التى لا تعقل أسباب الأوامر والنواهى ولو شرحت لها الغاية مايستطاع من الإسهاب .

الواقعية فى الشعر وفى الغيط !*

من علامات الأديب الكبير أننا نجد فى أدبه شاهدًا حاضرًا على كل قضية من قضايا الأدب الإنسانى فى عصوره المختلفة فلا يخلو الشاعر الكبير ولا الكاتب القدير من جواب على كل سؤال يسأله القراء عن قضية القديم والجديد ، أو قضية الواقعية والمثالية ، أو قضية التفاؤل والتشاؤم ، أو قضية الإيمان والشك ، أو قضية الهدف المرسوم والوجهة المطلقة . لأن النفس الإنسانية على اتساع جوانبها حاضرة فى عمل الأديب الكبير . ولا تلوح لنا هذه النفس متجزئة متفرقة إلا فى أعمال الأدباء المحدودين ممن ينحصرون فى بعض جوانبها كأنهم جزء من إنسان .

ولعل هذه العلامة فرع من علامة أخرى أكبر منها : وهى الأصل الذى تتفرع عليه كل علامة مثلها .

فالأديب العظيم إنسان محيط بصفات نوعه كله لا ينحصر فى زمن ولا جهة معزولة عن سائر الأزمنة والجهات ، فنحن نستطيع أن ننسبه إلى إقليم محدود أو إلى فترة من الزمن أو إلى مدرسة فنية معروفة ، ولكننا لا نستطيع أن نغلق عليه بابًا من هذه الأبواب يحتويه ولا يخرج منه ، وليس فى وسعنا أن نحجبه عن عالم الإنسان الخالد الذى يحيط بجميع العهود والأوطان ولا تحيط به مدرسة واحدة أو مذهب منفصل أو عنوان محدود .

* * *

لقد كان روبرت فروست فى طليعة النخبة الكبار من شعراء القرن العشرين بكل علامة من علامات الشاعر الكبير؟ وأولها علامة « الإنسان » الذى لا يستغرقه من جميع جهاته بلد ولا مذهب ولا عنوان !

---

* الأخبار فى ١٢/١٢/١٩٦٣ .

كان من أيسر الأمور أن تنسبه إلى إقليم من أقاليم الولايات المتحدة ، بل إلى قرية من قرى ذلك الإقليم - نيوانجلاند - فلا يلتبس عليك بأبناء قرية أخرى من قراه الكثيرة .

وكان أيسر من ذلك أن تنادى « اليانكى » Yankee فيجيبك روبرت فروست .

ولكنك تستمع إلى حديث روبرت فروست فترى أن هذا « اليانكى » يلتقى بك ويلتقى بغيرك من أبناء القارات الأرضية حيث لا يلتقى بك « يانكى » آخر من بلاد العم سام ، وبخاصة حين يتحدث إليك بتلك اللغة التى يحسن صوغها وتركيبها على اصطلاحه الذى لا يجاريه فيه أحد ، وإن كانت كل كلمة من كلماته تجرى على الألسنة فى الحقول والأزقة والاسواق .

وتلك هى القدرة التى تخلق اللغة خلقًا خاصًّا لمعناها على فم متكلم واحد ، وإن كانت فى عمومها مشاعًا مطروقًا على جميع الأفواه .

وبهذه القدرة استطاع « فروست » أن يعرف شعره تعريفًا واضحًا بينًا لا تدانيه تعريفات الفن والدراسة ، فقال إنه يغنى ويتكلم ، أو أن غناءه ضرب من الحديث ، ولكنه مع ذلك غناء !

وأصحاب « المصطلحات » يبحثون فى معجماتهم كلها ليجدوا كلمة يعبرون بها عن مذهب روبرت فروست فى التفاؤل والتشاؤم فلا يهتدون الى كلمة أبسط ولا أسهل ولا أوفى من كلمته هو حيث يقول : إنه إذا سئل عن « قبرية » تكتب على مثواه الأخير قال لهم : اكتبوا أنه كانت له « عركة غرام » مع الدنيا .

فماذا تبلغ كلمة « التفاؤل » أو التشاؤم من الدلالة الصادقة - البينة - إلى جانب هذه الدلالة بغير اشتباه وبغير إلهام ؟

إن « مشاجرات » الغرام ليست بالتفاؤل ولا بالتشاؤم ، وليست لها دلالة خالصة على « الرضى » ولا دلالة خاصة على النفور ، ولكنها تعطينا « الشعور » نفسه أو « الحالة » بحذافيرها كما يمتزج فيها الحب والرضى والإقبال والإعراض والوفاق والخلاف .

وبمثل هذا التعبير ينحصر روبرت فروست فى المذهب الاشتراكى فإذا هو منسوب إلى طائفة من الناس حقًّا ولكنهم هم جميع الناس من وراء عنوان محدود .

فلم يكتب داعية من دعاة الاشتراكية شيئًا يسبق به روبرت فروست فى شوط العطف على العامل والفلاح والأجير حيث كان ، ولكنه يقول عن مزية الاشتراكية الكبرى إنها هى القضاء على تلك « الفردية » التى تنادى كل إنسان على حدة ! أعرف شغلك .. أنت وشأنك .. انظر إلى ما يعنيك .. فإن الاشتراكية الصالحة هى أن يكون شأن الناس جميعًا هو شأن كل إنسان على حدة ، وأن يتعلم (الاشتراكى) أن الذى يعنى الناس جميعًا يعنيه .

من أراد أن يعرف من روبرت فروست هل هو من المثاليين أو الواقعيين النفعيين فالجواب المفيد فى تعبيراته « البسيطة » إن الحب والمنفعة لا يتناقضان وإن كانا يجتمعان أحيانًا ويفترقان ، وإنك إذا عشقت عملك عشق الجمال انتفعت به على الوجه المحبوب ، وإن لم يكن على الوجه المحسوب أو المجموع والمضروب !

ولقد كان هذا الشاعر الواقعى من أبناء عصره وأبناء إقليمه وأبناء طبقته فى كل خاصة متميزة من خواص العصر والإقليم والطبقة ، ولكن شعوره بهذه النسبة فى جميع تفصيلاتها هو المادة الوافرة التى استخلص منها عقيدته فى قضية الإنسانية منذ كانت وكيفما تكون فى الزمن كله : وهى قضية الألم أو قضية الشر فى هذا العالم ، أو قضية الحكمة فى الشر والخير من وراء العالم المشهود ، فلم يقل أحد من طلاب التفسير للوجود خيرًا مما قاله الشاعر وهو يحكى بلسان الأقدار فى قصة أيوب : إننا ينبغى أن نحس الشر كأنه شىء بغير معنى إذا كان له معنى على الإطلاق .

وهذه أيضًا « تعبيرة من تعبيراته » التى يسميها « اللعب الجدى بالألفاظ » وليست هى مجرد لعب باللفظ من غير جد ولا أمانة للفكر والحقيقة ، لأن الشر الذى نفهم كل معناه إنما هو صفقة محسوبة لا حاجة بنا إلى السؤال عن حكمتها ، وإنما يصبح الشر تجربةً من تجارب المجهول إذا وجدنا له معنًى بعد فقد معناه ، أو إذا أستفدنا منه ونحن نجهل أننا نستفيد ، ولن يكون له حكمة يمارسها الأحياء إذا كان هؤلاء الأحياء يطلبونها

« ويعرفون نتيجتها قبل عرفانها بالتجربة الواقعة ، من حيث لا يريدون .

ومسألة الواقعية والمثالية عند روبرت فروست الشاعر هى فى صورة أخرى مسألة البطاطس فى الغيط والبطاطس فى دكان الخضر والفاكهة عند روبرت فروست الفلاح ..

فعند هذا الفلاح أن البطاطس يكون « واقعيا » على طريقتين !

إحداهما أن يترك بوحله وعروقه ليعرف من يشترونه علاقته الطبيعية – أو الواقعية – بالغيط الذى نبت فيه .

والطريقة الأخرى أن ينظف ويهذب وتزال عروقه وبقايا الطين عليه ، ليعرف من يشترونه كذلك أنه فى الحق غذاء طبيعى مقبول ... وكلتاهما طريقة واقعية وإن تباعدت المسافة بينهما كما تتباعد بين بعض الواقعية وبعض المثالية ، والطريقة الأخيرة هى « الواقعية » المأثورة عند روبرت فروست الشاعر الفلاح !

وقد كانت مسألة اللغة « الواقعية » إحدى مسائل الأدب المتجددة التى توجد شواهدها الكثيرة فى أدب روبرت فروست كما توجد فى كل أدب كبير ، فقد كان يختار اللغة الدارجة لنظم الموضوعات الشعرية التى ينظمها غيره بأسلوب الفصاحة المنغومة والنسق المأثور ، وربما خيل إلى بعض المتأدبين عندنا أن أسلوب هذا الشاعر الكبير شاهد على قضية العامية والفصحى فى لغتنا العربية ... وهذه أيضًا من مزايا الأدب الكبير أو الأدب الإنسانى الواسع فى تصحيحه للآراء وإبرازه للفروق بين المذاهب التى تخفى فروقها إذا رجعنا فيها إلى الشواهد المضللة من ألوان الأدب الصغير .

فليست العامية فى لغة « نيوإنجلاند » كالعامية فى لغتنا العربية ، لأن خصائص الإعراب التى تميز الفصحى من العامية عندنا لا وجود لها هناك ، وليس لها نظير فى التفرقة بين لغة الكتابة عندهم ولغة السوق والطريق وقد كانت لغة الإقليم المسمى « بنيوإنجلاند » أو إنجلترا الجديدة هى لغة كتاب الأجرومية New england primer قبل مولد فروست بنحو مائتى سنة ، وكان تأليف هذه الأجرومية أول محاولة من محاولات الاستقلال بلغة الإقليم أو لغة « المتطهرين »

puritans خرجوا بها على اللهجة الشائعة فى ظل الكنيسة التى حاربوها .

ولقد كانت مسألة استقلال اللغة مقترنة بمسألة استقلال الضمير وحرية العبادة فى عقيدة المتطهرين ، أسلاف فروست ، الذين هاجروا إلى انجلترا الجديدة منذ القرن السادس عشر ، إذ كان أولئك المتطهرون ينكرون احتكار رجال الدين لقراءة الكتب المقدسة ويؤمنون بحقهم فى قراءة تلك الكتب باللغة التى يتكلمونها ويكتبونها . فكان فروست يثور وهو يمشى بعد طول الزمن على خطى آبائه الثائرين الأولين .

وهكذا يلاحظ على جميع الأدباء الكبار من أعلام نيوانجلاند المشهورين ، فهم سواء ظهرت ثورتهم « التقليدية » فى أسلوب اللغة أو أسلوب التفكير يدخلون فى عداد أصحاب الأساليب التى تسمى فى عرف الأدب الغربى بأساليب النبوءات Prophetic لأن كتابها يخاطبون القراء خطاب الدعاة و « المرسلين » ومنهم كبيرهم (إمرسون) الذى يسمعك وعظ المنابر وهو ينقش بالقلم على القرطاس .

ومنهم « ثورو » ناسك الطبيعة الذى جعل من الغاب محرابًا مقدسًا كصوامع القديسين .

ومنهم الشاعر لونجفلو فى أناشيده التى يخيل إليك أنها وضعت للترتيل .

ومنهم أوليفر وندل هولمز الذى يتحدث على مائدته أحاديث الأباء والمعلمين .

والقصاص منهم – على طراز هاوثورن – يكتب قصته « الخطاب الأحمر » ليديرها على موضوع الخطيئة والتقوى بين جمهرة المتطهرين .

والمرأة بين شواعوهم وكاتبات القصة منهم راهبة « مدنية » على مثال الشاعرة اميلى ديكنسون ، أو رسول فى قضية الرق وقضية حقوق المرأة على مثال هارييت ستاو Stowe صاحبة « كوخ العم توم » أو إنجيل حركة التحرير كما تسمى - بحق ، بين الروايات .

ومن التجوز الكثير أن يقال إن روبرت فروست كان ينظم الشعر باللهجة المبتذلة فى السوق والطريق ، إذ ليست الكلمات هى التى تصنع الأسلوب « الأدبى » فى النهاية وإنما هو التركيب والروح الذى يودعة المتكلم فى ذلك التركيب ، وإن الكلمات فى

السوق والطريق لهى « الخامات » الشائعة التى يملكها جميع المتكلمين . ولكن التركيب وحده هو الذى يجعلها سبيكة خاصة عليها طابعها المستقل الذى يملكه سابكها دون سواه .

وتلك أيضًا هى إحدى دروس الأدب الكبير الذى يوجد فيه شاهد واضح أو شواهد كثيرة على كل قضية من قضايا الفن الخالد لا يحصرها وطن ولا زمان .

ذلك الدرس الخالد فحواه أن العبقرية الإنسانية لا تقوم على الهدم ولا تهدم من جانب إلا لتقيم البناء من جانب أحق بالبقاء ، والصواب الأول والأخير فى أمر فروست أنه ثار ولكن على آثار السابقين من الثائرين ، وأنه من بناة التقاليد قبل أن يكون من هدام هذا التقليد أو ذاك ، وقد كانت له عبقريته « الشخصية » لا ريب فيها ولا ريب فى أصالتها لديه بالوراثة والتلقين ، وأمه هى التى سمته « روبرت » على اسم روبرت بيرنس شاعر الأيقوسيين المحبوب ، لأنها كانت تحب الشعر وتنظمه وتتحرى فيه مثال أسلافها فى « اسكوتلاندة » موطنها الأول ... ولكنه بعد هذا النصيب القيم من الأصالة « الشخصية » إنسان مشارك فى ميراث موطنه وزمنه وميراث العالم الإنسانى كله فى القرن العشرين .

وروبرت فرويست (بانى التقاليد) هو الذى بدأ حياته بأسلوبه « المنفرد » فلم يجاوز السبعين حتى كان هو الشاعر الوحيد الذى حيّاه مجلسا الشيوخ والنواب فى بلاده عند بلوغه الخامسة والسبعين وعند بلوغه الخامسة والثمانين ، وكان هو الشاعر الوحيد الذى توّجته جامعات بلاده كما توجته مجامع الفن والأدب فيها مرتين وتوّجه بعضها ، كمجمع جائزة « بولتزر » أربع مرات ....

وهكذا يكون النجاح المرموق كل هادم بناء ، أو لكل بانٍ على أنقاض القديم المهجور .



فهرس الموضوعات

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

رقم الإيداع		١٩٨٥ / ٤٧٥٩
الترقيم الدولى	٩٧٧-٠٢-١٤٢٠-٥	ISBN

١ / ٨٢ / ١١١

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)